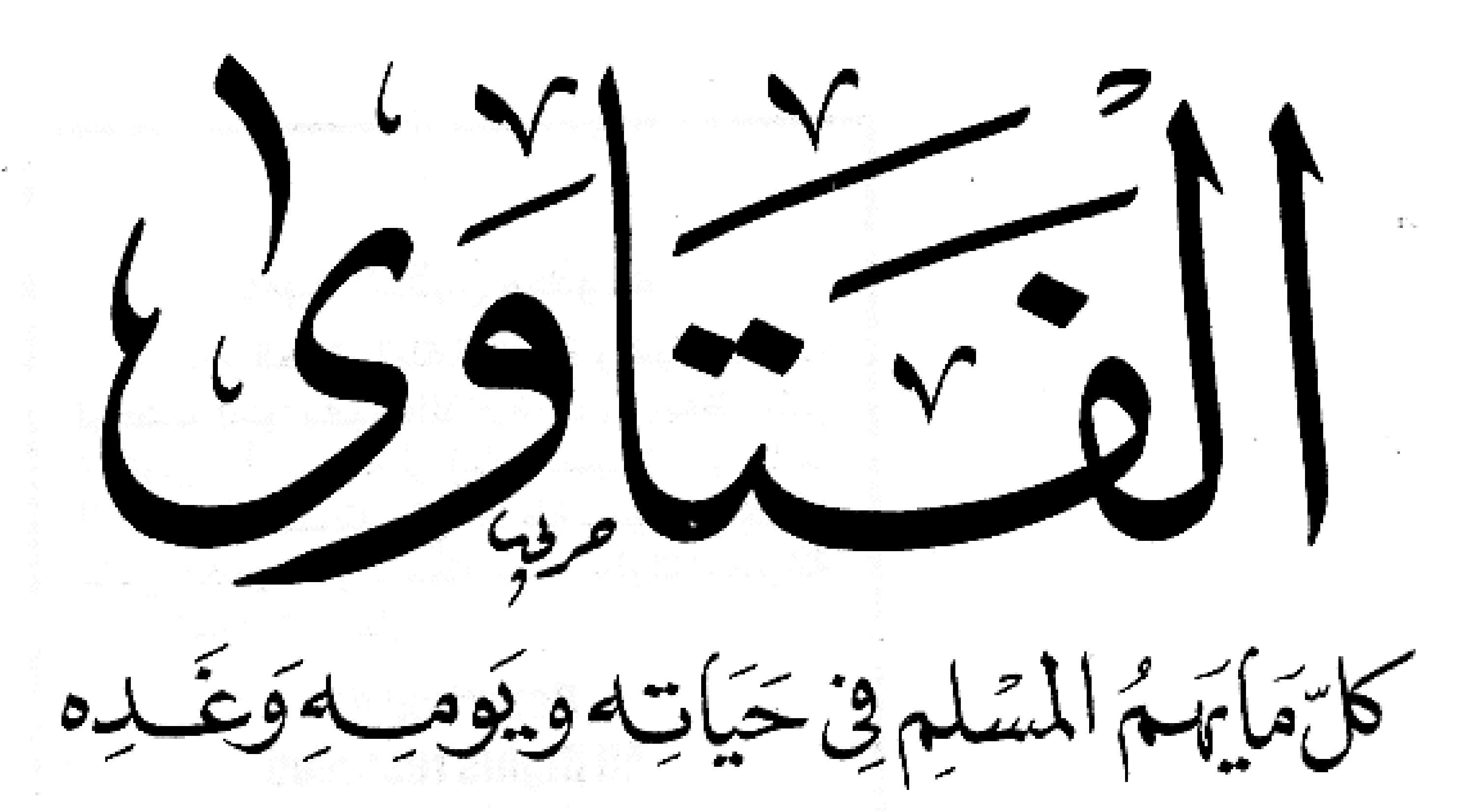


(طبعة متميزة بالترتيب والتبويب مع مزيد من الشروح والتعليقات)

للشيخ الإمام داعية الإسلام

محمد متولي الشعراوي

أعده وعلق عليه وقدم له

الدكتور السيد الجميلي



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين

٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

المكتبة التوفيقية

القاهرة – مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر – سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ – ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of El Hussen
Tel. : (00202) 5904175 - 5922410
Fax : 6847957

إشراف
توفيق شعلان

إهـــداء

إلى شيخ الأدباء، أديب الشيوخ...

رحب الجناب، عـذب الرحـاب، جليل المتـبع، مـريع المنتـجع، مُـعـشِب المسارح، مُخصب المنادح.

أدبه كالروض الممطور، والدر المنثور، والوشى المنشور، فـهو السحر الحلال لكونه متوشحًا بالرونق، والروعة والجلال.

مبسوطٌ شعاعه على الخافقين، ممدود شراعه على المشرفين، انتاش الأدب فى غربته؛ فكان مُنقذًا له من كبْوته، رافعًا إياه من نَبْوته، فكان سمعَه وبصرَه ولسانَه، ويدَه اليمنى، وعروته الوثقى.

ولئن كان العلم أوكـد الأسباب، والأدب أقـرب الأنساب، وكان وسيـبقى رَحمًا بين أهله، فـإنها محقوقة بأن تكـون ماسة مبلولة بمحوض المودة السـامية، والآصرة النامية. لحمتها وسداها الفضل والفضيلة.

أثر فى نفسى أكبـر الأثر ما أوليتنى، وسوَّغتنى من رعاية وإفـضال، فوق ما أطمع فيه، وأطمح إليه فى حَدْب الشفـيق، ومكانفة الصديق، فشكر الله سعيك، وبارك لك خطواتك، وأطال عمرك، وأدام فـضلك، ونفع بعلمك وأدبك، وتقبل عملك المبرور، وجهدك المذخور، وصنيعك المشكور.

إلى أستاذى وصديقى الأستاذ الدكتور شوقى ضيف.

رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

السيد الجميلى

بسم الله الرحمن الرحيم

فى ذمة الله

احتسبت الأمة الإسلامية والعربية فضيلة الإمام العلامة الشيخ محمد متولى الشعراوى يوم الأربعاء ٢٢ من صفر سنة ١٤١٩هـ الموافق١٧ من يونيو سنة ١٩٩٨م.

نعاه الناعى منذرًا بغروب ودلوك نجم العلم، وكسوف شمس الفضل، وانكسار فقار الفكر، والدموع القوانى عليه واكفة، والحسرات عليه عاكفة.

كان رحمه الله أمة فى نفس، وعالمًا فى شخص بل أمة فى رجل، وقنة من جبل، ملأ الدنيا وشغل الناس.

لقد رحل فى يومه وموعده، ونحن بعده لاحقون مدعوون لغده، فنحن ضيوف غرباء فى دار غرور، نفوسنا عارية مؤداة مردودة مرتجعة، ثم إن إقامتنا سحابة صيف ذاهلة ذاهبة منقشعة.

ليت شعرى ما يناسب هذا المقام، أهو قول الشاعر المفجوع:

وكانت فى حياتك لى عظات ... وأنت اليوم أوعظ منك حيا

أم قول عبدة بن الطبيب فى قيس بن عاصم:

وما كان قيس هلكه هلك واحد

ولكنه بنيان قوم تهدما

رحمه الله رحمة واسعة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

السيد الجميلى

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى هذه الطبعة

لما كان هذا الكتاب قد احتوى مئات من الفتاوى والأقضية والمسائل التى تنتظم كل ما يهم المسلم فى حياته ويومه وغده وهى بمثابة موسوعة جامعة.

ولما كان جمع ورصد هذه الفتاوى والأحكام وإعدادها قد تم فى أوقات مختلفة، ومناسبات متباينة منذ البداية مع تنوع المسائل والأقضية -فقد عزمنا منذ فترة على ترتيبها وتنسيقها على الأبواب الفقهية المعروفة لولا ظروف لافتة أجلت ذلك وأرجأته.

من ثم عمدنا إلى تحقيق مرجونا ومأمولنا عندما سنحت الفرصة بالتنسيق والترتيب والتبويب الدقيق مع إعطاء المسائل جميعها أرقامًا مسلسلة من أول الكتاب إلى آخره.

هذا فضلاً عن المحافظة التامة الكاملة على نصوص الكتاب ومتنه الأصلية، كما هى للأمانة العلمية، مع إضافة المزيد من الشروح والتعليقات والتخريجات -إذا ما احتيج إلى شىء من ذلك- فى الهوامش بإفاضة وإسهاب حينًا، وبتصرف واختصار أحيانًا؛ حتى يظل هذا السفر متجددًا إن شاء الله تعالى... وبهذا الذى قدمت آمل أن ينتفع به القراء الأعزاء تيسيرًا عليهم فى الوصول إلى مراداتهم ومطلوباتهم من مظانها... والله أسأل أن يجعله مقبولاً مرضيًا.

السيد الجميلى

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الطبعة السابقة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، خاتم النبيين، وإمام المرسلين وحجة الله على خلقه أجمعين، وأشهد أنه قد أدى الأمانة، وبَلَّغ الرسالة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، فجزاه الله عن أمته خير الجزاء، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته، واهتدى بهديه.

الحمد لله مكررًا، عدد ما كان وما يكون إلى غير انتهاء، حمدًا يليق بكماله، أزليًا بغير ابتداء، أبديًا بغير انتهاء، سرمديًا لا بداية له ولا نهاية.

إنه جل شأنه حقيق بالحمد والشكر والثناء، فقد علا بحوله، ودنا بطوله، ولأنه المحمود على عواطف كومه، وسوابغ نعمه.

نستعينه قادرًا قاهرًا، ونتوكل عليه كافيًا ناصرًا ونعوذ به، ونتوكل عليه، ونفر منه إليه، ونعتصم برحابه، ونضوى إلى جنابه، ونستعين بقدرته على دنيا كاسفة النور، ظاهرة الغرور، على حين إياس من ثمرها، واغورار من مائها، ثمرها الفتنة، كاسيها عار، وباغيها غاو، وطالبها مصروع، العزيز بها ذليل، والمشيح عنها وعن مصنوع زيفها الخلوب قوى مقرب... فنحن بها مرتهنون، وعن أنفاسنا فيها محاسبون مسئولون، وبأعمالنا مجزيون.

إن أول الدين معرفة الحق جل شأنه، وكمال معرفته لا يكون إلا بالتصديق المطلق به، وكمال هذا التصديق مرهون بتوحيده، ومدار التوحيد على الإخلاص له، وصدق التوجه إليه.

إن من ينصره الله تعالى كان مرفوع الشأن، ومن يتخل الله عنه، كان مستخذيًا مهينًا مخذولاً.

على مدار خمس عشرة سنة منذ أن قدمنا للعالم الإسلامى النشرة الأولى لهذا السفر الفقهى الجامع، حتى سارعت إلى استنساخه كبريات دور النشر، وقد كنا حريصين على أن يظل صورته الأولى طوال هذه الفترة لأسباب كثيرة أهمها كثرة الهموم والشواغل التى لفتت عن إعادة النظر فيه بمزيد من التحقيق والتمحيص، ثم تعرضه للزعازع والنوائب والنوازل الملمات، وبين غمز القادح وإغضاء المسامح، خضنا فى بحر لجى كثيف الظلمات بعضها فوق بعض، ولولا لطف الله تعالى بصدق الاستعانة به، وخلوص التوجه إليه والتعويل عليه.

ثم إننى أكرر مثلما كررت سلفًا شكرى وتقديرى وامتنانى لكل من أسهم بالرأى والمشورة لا سيما علماؤنا ومشايخنا الأجلاء الذين يضيق المقام عن ذكرهم جميعًا وأخص منهم بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور على عبد العظيم المستشار الفنى وخبير مجمع البحوث الإسلامية سابقًا -رحمه الله- والمرحوم المحقق الكبير البحاثة إبراهيم الإبيارى، وفضيلة الأستاذ العلامة عبد الهادى السيد العجيل قاضى قضاة اليمن الشقيق، وغيرهم وغيرهم.

هذه النشرة بين يديك عزيزى القارئ مزيدة مهذبة، مضبوطة، مشكولة إلى حد كبير، فنرجو أن تنال الرضى والقبول، والخير أردت، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

المعادى فى ربيع الآخر ١٤١٧هـ

سبتمبر ١٩٩٦م

السيد الجميلى

مقدمة الطبعة الأولى

بقلم/ السيد الجميلى

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبى الأمين، الذى أرسله الله بالهدى ودين الحق رحمة للعالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. . . وبعد:

فى أيامنا هذه وفى عصرنا الحاضر، تطور العالم بصورة فائقة تسامت على كل تصور، وأربت على كل خيال، وعظمت فوق كل توقع، وبين السفيه والجليل -فى هذا المعترك الصاخب- لمحة خاطفة، يحذرها العقل الذى يفرط فى إجلال القداسة.

فى كل الأطوار ومتباين الأحوال لا نرى تشريعًا مثل التشريع الإسلامى منهجًا، وسلوكًا رشيدًا نافعًا لإنسان هذا القرن، الذى بلغ فيه وبلغ به ذروة الحضرية وغاية التمدن. ومن مجد القرآن الأزلى وإعجازه السرمدى المستمر القائم أنه يخاطب كل العقول، ومختلف الأفهام، فى كل الظروف وكل الأمكنة، متسعًا فسيحًا مستوعبًا، معطاء، لا ينضب له معين، ولا ينفذ له مورد، ولا يجف له نبع، يخاطب القروى الفلاح الذى يعيش على الأرض، يكدح عليها، ثم يموت فيها بين طياتها، لكنه يتأثر ببيان القرآن الرائع، ومتقن لمحاته، وشريف معانيه، من دون ما رصيد من لغة أو لسن أو فصاحة، إنما للشعور النفسى ببنائه الشامخ اللبنات، فإنك لا تستطيع أن تفسر نشوة الأعضاء، وهيام العقل، وفرط الشعور من دقيق تراكيبه، ورائع نظمه.

مما يؤكد أن خالق ذلك الإنسان هو الذى يخاطب كل ملكاته بهذا البيان الرصين، ولذلك لا تستطيع أن تظفر بإجابة محددة عن سر الإعجاب الذى وضع فيه كل الناس بأن يقول. . أنا مبسوط. . أنا منشرح. سبحان الله!!.

بالمثل فهو يتحدث إلى العقل الواعى البصير، مثلما يخاطب البدوى فى فلاته، وهو بذلك يوائم ويلائم المستحدثات العلمية، والمخترعات الفيزيقية، فى

قمة تطورها ونهضتها، لأنك إن نسبتها إلى أصلها الأصيل؛ فستنتهى إلى الأمر البدهى النظرى.

ولما كان القرآن ثابتًا فى إلزامه التكليفات الشرعية، دون قصر طائفة على طائفة، أو جيل دون جيل، أو قرن دون قرن، بغير تحويل عنها أو تحوير فيها، فلابد أيضًا أن يتطور ويتحور الفهم العقلى؛ لأننا عندما نجد أنفسنا حيال أمرين متلازمين، أو ظاهرتين مقترنتين ببعضهما البعض اقترانًا وثيقًا، فإنه لشرط بقائهما متماسكتين فى هذا التلازم والاقتران أن تثبتا للظروف المتباينة، فإذا ما ثبتت واحدة، فلابد للأخرى أن تتحور، وتتغير وتتبدل تغيرًا موافقًا ومناسبًا، مع الالتزام بالأصول الجوهرية، والأسس الأولية.

لذلك كان لابد ولا مندوحة من أن يحدث تطور فى الفكر، وتعديل للفهم فى الاستيعاب النظرى بمنطق العلم، أو الاستيعاب العلمى بالمنطق النظرى. وإلا فسيجد العقل البشرى نفسه متجمدًا فكريًا وهو فى قمة المرونة العلمية التى أنجزها وعبر بها آلاف القرون والأحقاب الخالية، ويجب ألا يتطلب هو من الجهة المقابلة أن تتحور هى الأخرى، لأن هذه صادرة عمن لا يتغير.

وموقف الجمود والتعسف الفكرى لا ينفع الحضارة القرآنية الشامخة، غير المحتاجة إليه، فما هو إلا حجر عثرة حيال شحن الطاقات والغرائز بالجرعات الإيمانية الشافية للأدران، المصاحبة لهذه الطفرة الحضارية.

مراجع التفسير، ومتون الفقه، وأسانيد السيرة كلها تحت أيدينا، ولا اجتهاد مع النص، إنما فى المسائل التى لم يرد فيها تحديد جلى واضح. لابد أن يتناولها العقل الراجح بالبحث والاستقصاء والتحرى، ومضاهاة بصماتها على أحكام مماثلة لها إن أمكن التوافق بموجب القياس، أو مراعاة مجاراتها للواقع العقلى، والتصور المنطقى دون شطط أو مغالاة، ولهذا تركها المشرع لهذا.

متغيرات عرضت، استوجبت البحث عنها، وعن موقف الشرع والدين من كيانها الجديد، وكذلك أسهمت هى نفسها فى كشف غيرها من المسائل المستعصية فى نظر البعض لها، فكانت حتمية ترويض النظرة العقلية حيال هذه المسائل لاتساع مدلولاتها، وترامى أطرافها، حتى تجد لها مكانًا فى مجتمع الحضارة

الإسلامية القديمة الجديدة والمتجددة، بمنهج قويم سديد لا يخلق ولا يبلى، وإلا سنعود، ونقفل من هذه المعركة بخفى حنين.

قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها-:

«كان رسول الله -ﷺ- إذا ما خير بين شيئين، اختار أيسرهما على الأمة» هذه هى الرحمة المزجاة للعالمين حقًا.

ولما أن ذهب رجل إلى النبى -ﷺ- فقال له: يا رسول الله، أترى إذا أحللت الحلال، وحرمت الحرام، أأدخل الجنة؟، قال: «**نعم**».

هذا حلال... وهذا حرام... منهج سهل بسيط، بعيد عن التعقيد أو التطرف، وكذلك أيضًا فيه الالتزام الجاد بمنهج الحق، والحرص عليه والدأب فى جادته، وعلى محجته.

الإمام محمد متولى الشعراوى جلا لنا نقاطًا متعددة، وقرب كثيراً من الأفهام النائية، وفك طلاسم وألغاز شوارد وجمع متطرفات النفوس على مائدته الشهية التى اجتذب إليها بسحر بيانه أرواح وقلوب الناس، وسهل علينا، ويسر أمامنا، وروض حيالنا طريق الدعوة، خالية من عثرات الجهالة والتردى.

لقد أعطاه الله موهبة البيان للناس، والإيضاح السلس البسيط المتجرد من التعقيد المشين، ولهذا فهو ينطلق إلى غايته الشريفة فى قوة وثقة وتمكن... ونحن نسجل له، وندون له، ونروى عنه، ونؤرخ لسيرته، ونترجم أفكاره؛ لأن القلم كمبضع الجراح، ينصرف الأول للنفس، والثانى للبدن، وقد يتعدى أحدهما للنفس والبدن معًا، وهذه هى عبقرية المسك به، المملى عليه.

والكتابة للتاريخ من أشق المسائل وأعقدها على الإطلاق، لا سيما لهذه الأمة فى هذا الرجل العظيم، ولابد أن يكون التحفظ على تراث هذا العالم الجليل متوفرًا، والإلمام بأطرافه واعيًا صادقًا أمينًا، نأيًا عن الإسفاف، وبعدًا عن التفريط.

ونعوذ بالله من علم لا ينفع، فإن خير العلم ما نفع، ولابد لكل عالم مجيد أن يسجل للتاريخ، أو يسجل عنه أقرانه، أو مريدوه، مخافة زوال الآثار من النفوس؛ لأن صخب الحياة، وطوفان الحوادث، وطغيان الكوارث، جدير بنسيان المتذكر، وخليق بضياع النفيس.

ومن سفيه القـول أن يُستغنى عن عقيدة، ومن الإسفاف أن تقـوم عقيدة من غيـر تكليف ومنهج، وتحديد مـسار، فإذا ما خـالط النفوس ولابسـها حب النهج السماوى، فهذا هو السداد والابتعاد عن منزلقات التحلل الوعرة.

هناك أناس يتجادلون لئـلا يفهموا، وآخرون لا يجادلون ليـفهموا، وهؤلاء هم الذين يريدون بالجدال إثبات أنهم يفقهون، وعند الجدال تظهر خفايا الرجال.

والذى يخاطب الناس بما يعـرفون لا يحفلون به، ولا يخفـون إليه؛ لأنه لا ينبه فيهم شـيئًا، أما الذى يحدثهم بما لا يعرفون، فـإن أوصل مراده إليهم بالمنطق المعقـول كلفوا به، وشـهدوا له بالنبـوغ والعبقـرية، وهم يحتـفلون به ويحتـفون بمنهجه، أما إذا ركب مركبًا صـعبًا، ولم يفلح فى إدخال ما يريد إلى نفوسهم التى تجهل هذا الأمر فى إبانه، فإنه فى نظرهم متـعالم، ولا خير فى علمه فى نظرهم؛ لأن القريب من قرب نفعه.

اتصلت بالأستـاذ الإمام الجليل الشـيخ محمـد متولى الشـعراوى، وتوثقت العـلاقة بيننا فـفتح لى صـدره وقلبه ومنزله، وقـد أعطانى ثقة طـالما اعتززت بـها إحساساتى ومشاعرى، ولم أكن -كمـا هى عادتى دائمًا- أنفق وقتًا كثر أم قل فى متاهات الحياة إنما فى العلم، ومن أجل العلم والنفع العام كرست كل أوقاتى، فلم أشأ لأن أستـمتع وحدى بعطاء الشـيخ الجليل. فما أحب الإيثار إلى نفـسى، وما أكره الأثرة عندها، فـأردت أن أدون، وأنقل للتاريخ ما ييـسر الله على به متوخـيًا النفع العام والصالح الدينى.

حدثت الشيخ الشعراوى فى الطب -وأنا طبيب- فألفـيته يشرح حقائق طبية دقيـقة، ما كنت قد تعلمـتها فى كليـة الطب إلا بعد تجربة وتمحيص واسـتدراك، والغريب فى الأمـر أنه كان يحدثنى حديث الطبـيب الممارس، الذى يطبق النظرية العلمية بثقة المجرب الذى خيرها، والتى ما عرفناها -نحن الأطباء- إلا بعد فحص وتحليل، وتشريح طويل... ولقد تعلمت منه الكثير، وأخـذت من فلسفته الطبية العظيمة الذى أتكتم عـليه؛ حتى لا يسبق إلى الظن أن الشيخ الشـعراوى قد درس الطب فى جامعة، وجربه فى المخابر.

ولما كنت أقوم على مجلة لواء الإسـلام، بالرد على رسائل القراء، وكذلك بحكم عملى صحفيًا منتدبًا لمجلة الهـلال، ومحررًا بمجلة منبر الإسلام، وكاتبًا فى «طبيبك الخاص»، وأدرك شرف الكلمة، وأحـترم أذواق الناس، ولى سوابق معهم

فى كتب وضعتاه منذ فترة، فقد انهالت على سيول جارفة من رسائل القراء تطالب بآراء وفتاوى عصرية لبعض المسائل مثل: استعمال وسائل منع الحمل المختلفة، وموقف الشرع منها، كذلك وردت أسئلة إلى فى موقف الدين من البنوك ذات الأسهم ذوات العائد الجارى، أو شهادات الاستثمار، أيضًا أسئلة شاردة عن زواج المتعة وحكمه، وهل نسخ أم لا؟، كذلك الزواج العرفى ومشروعيته، ومدى تحليله، وغاية تحريمه.

ثم أسئلة متفرقة عن المرء فى مواضع التحريم والتجريم التى يتردد العقل فيها بين الصواب والخطأ (لا سيما عند المتشابه).

ولما كانت هذه المسائل ذات أهمية خاصة، ولما أن كثر الكلام فيها من علمائنا، أردت أن أجيب أعزائى القراء إلى أسئلتهم المتصلة، وإلحاحهم المستمر؛ لمعرفة رأى الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذه الأمور، وكان لابد أن تتصل اللقاءات، ولكن هذه الأشياء ربما تدرك (أو بعضها) من مقتضيات الأحوال، ومن سياق الحديث العادى نستطيع أن تشف عن أمور معينة. فقد يقرر العالم أمرًا معينًا من الأمور عفو الخاطر فى سياق الحديث عن أمر آخر. وقد تبدو منه حركة لا إرادية، ولكنها تشير إلى تقرير، أو تنفى قضية ما، وهكذا فلابد لذلك من الانتباه والالتفات إلى كل صغيرة وكبيرة تصدر من هذه الشخصية العظيمة.

كلما جلست معه، وتحدث إليه، واستعرضنا معًا تشريعًا من التشريعات، أو تقويمًا لإحدى المسائل، لبيان الحكمة فيه، أو جلاء سر من أسراره كنت أرفع حالة الطوارئ فى داخل خاطرى، وأفتح فجاج المعرفة والفضول والاستقراء المنهومة التى لا تشبع، ولا يرتوى لها صدى، ولا ينقع لها غليل من حديث الشيخ، وإنه دائمًا لذو شجون.

بيانه فرات سائغ، ومنهجه مورد سخى، وأنهار معرفته عذبة متشعبة، تشحذ الطبع، وتفتق الذهن، وتبعث على الانتشاء والبهجة والاغتباط.

اللهم انفع بهذا الكتاب، واجعله فى صحائف الأعمال، وفى ميزان حسناتنا يوم نلقاك، واجعله مما يقربنا منك، ويحفزنا على العمل بكتابك الكريم، وسنة نبيك الأمين، صاحب الشفاعة يوم الزحام، يوم تقول نفس يا حسرة على ما

فـرطت فى جنب الله، ويوم تقول نفس: يا لـيتنى قـدمت لحيـاتى، يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها، الأمر يومئذ لله.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. . . .

القاهرة فى يناير سنة ١٩٨١م

ربيع أول سنة ١٤٠١هـ

د. السيد الجميلى

قطوف من مقدمات الطبعات السابقة

ورد فى الأثر أن رجلاً ملحدًا دخل على الإمام أبى حنيفة النعمان، وهو بين تلاميذه، فسأله ثلاثة أسئلة فلسفية، قديمة، جديدة، متجددة، شغلت بال المفكرين القدماء والمحدثين، وأنهكت العقل البشرى عهودًا عهيدة، فقال له:

أولاً: كيف أعبد الله ولا أراه؟

ثانيًا: كيف ولماذا أحاسب على أشياء قد كتبها الله علىّ، وأنا مقهور عليها، مسير فيها؟

ثالثًا: كيف يعذب الجان فى النار وهو مخلوق من النار؟

فماذا كانت إجابة الشيخ يا ترى عن هذه الأسئلة الثلاثة؟ وكما نعلم أن الأئمة فيهم ذكاء القريحة، وحضور البديهة، وبلاغة اللسان، وفصاحة البيان وجمال النكتة، فلم يجبه إجابة تقليدية، إنما فى سرعة خاطفة أجابه إجابة علمية عن هذه الأسئلة مجتمعة.

مد الإمام يده إلى قلة إلى جواره، وضرب بها الملحد ضربة قوية تهتك لها إهاب جبهته، وانفجر الدم دافقًا من وجهه، فسأل الملحد نفسه -بعد أن فكر مليًّا- لو أنه اعتدى على الشيخ، أو شاتمه ولاحاه؛ لانقض عليه تلاميذ الشيخ وقتلوه، فاختار أن يشكوه للقاضى، الذى استدعاه على الفور، وسأله عن سبب اعتدائه على الرجل، فأجابه الشيخ:

لأن هذه الضربة فيها الإجابة عن الأسئلة الثلاثة:

فالأول: يشكو من الألم ولا يراه، فلم لا يعبد الله وهو لا يراه؟

والثانى: عندما ضربته بالقلة، كان مختارًا فى أن يشتمنى، أو يضربنى، أو يشكونى للقاضى، فعلم أنه لو شتمنى لضربه التلاميذ، ولو ضربنى قتلوه، فاختار أن يشكونى للقاضى، فهو مسير فى أشياء، مخير فى أشياء أخرى.

والثالث: الإنسان مخلوق من صلصال كالفخار، ولقد ضربته بالقلة التى

ترجع أصولها إلى مادة أصل الإنسان، ومثل ذلك يعذب الجان فى النار وهو مخلوق من النار(١).

وليعلم بنو آدم، أن الماضى قبل الإنسان قدراً هو الباقى له، وأن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يعافون منه.

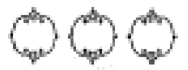
فالحياة كلها ابتلاءات، الخير والشر ابتلاء، المال أو الفقر ابتلاء، الصحة، والمرض ابتلاء، فإنسان يبتلى بالخير هل يشكر، وآخر يبتلى بالشر هل يكفر أم يصبر؟

ومن يجمعه الله لا يفرقه إنسان.

ومن هوان الدنيا على الله أنه لا يعصى إلا فيها، ولا ينال ما عنده من الخير إلا بتركها. ومع هذا، فإننا مطمئنون إلى أن الخير سيظل حتى تقوم الساعة وله فى بعض النفوس بعض الأثر الذى ينسجم معه كثير من أقضية الحياة.

قال شوقى رحمه الله:

وإذا الدنيا خلت من خير
وخوت من شاكر هانت هوانا(٢)



فبينما يغوص المسمار فى الماء، تطفو السفينة على سطحه وفى جسدها آلاف المسامير، وكيف يغوص المسمار الصغير فى الماء، وتطفو الباخرة الكبيرة، وهى مدججة بألوف المسامير دون أن تغرق(٣)؟!!

ومن العسير الولوج إلى قلب المرأة، ولكن قلوب الرجال هواء، ومصداقًا لذلك نرى القرآن يقدم المرأة على الرجل فى آية الزنا، مع أن الرجال مقدمون على النساء فى باقى آيات القرآن الكريم والتى يخاطب فيها الجنسين معًا.

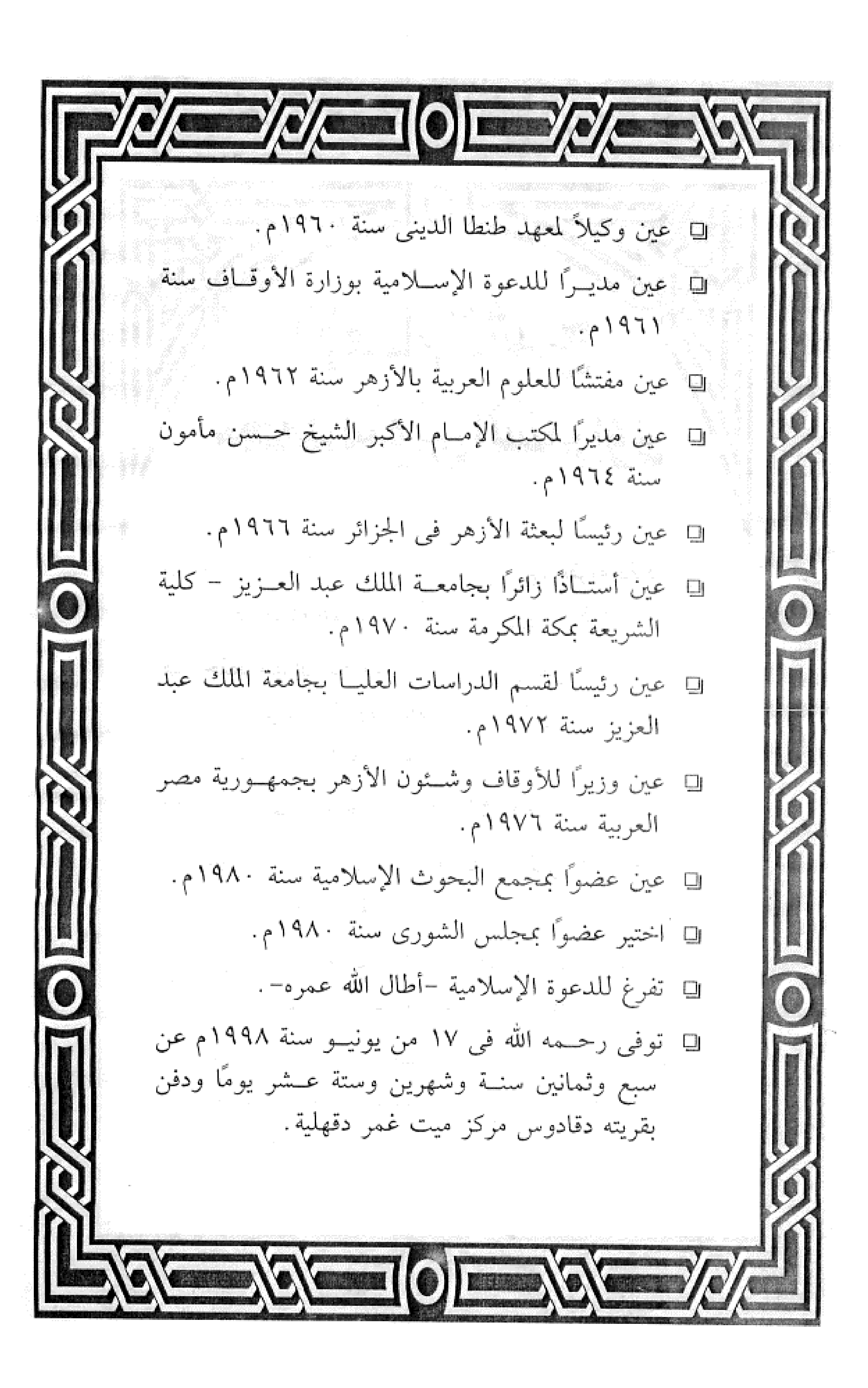
---

(١) من مقدمة الجزء الثالث المنشور فى مايو سنة ١٩٨١م - رجب ١٤٠١هـ. طبعة أولى.
(٢) من مقدمة الجزء الرابع المنشور فى سبتمبر سنة ١٩٨١م، الموافق ذو القعدة سنة ١٤٠١هـ.
(٣) من مقدمة الجزء السابع المنشور فى مارس سنة ١٩٨٢م، جمادى الأولى سنة ١٤٠٢هـ.



الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى

- من مواليد أول أبريل سنة ١٩١١م. بقرية دقادوس، مركز ميت غمر، من أعمال مديرية الدقهلية.
- حفظ القرآن الكريم فى قريته، وتلقى التعليم الأولى فى معهد الزقازيق الدينى الابتدائى، والثانوى، ثم التحق بكلية اللغة العربية.
- حصل على الإجازة العالمية ١٩٤١م.
- حصل على شهادة العالمية «الدكتوراة» مع إجازة التدريس سنة ١٩٤٢م.
- عين مدرسًا بمعهد طنطا الأزهرى وعمل به، ثم نقل إلى معهد الإسكندرية، ثم معهد الزقازيق.
- أعير للعمل بالسعودية سنة ١٩٥٠م. وعمل - مدرسًا بكلية الشريعة، بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة.



- عين وكيلاً لمعهد طنطا الدينى سنة ١٩٦٠م.
- عين مديـراً للدعوة الإسـلامية بوزارة الأوقـاف سنة ١٩٦١م.
- عين مفتشًا للعلوم العربية بالأزهر سنة ١٩٦٢م.
- عين مديراً لمكتب الإمـام الأكبر الشيخ حـسن مأمون سنة ١٩٦٤م.
- عين رئيسًا لبعثة الأزهر فى الجزائر سنة ١٩٦٦م.
- عين أستـاذًا زائرًا بجامعـة الملك عبد العـزيز - كلية الشريعة بمكة المكرمة سنة ١٩٧٠م.
- عين رئيسًا لقسم الدراسات العليـا بجامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧٢م.
- عين وزيرًا للأوقاف وشـئون الأزهر بجمهـورية مصر العربية سنة ١٩٧٦م.
- عين عضواً بمجمع البحوث الإسلامية سنة ١٩٨٠م.
- اختير عضواً بمجلس الشورى سنة ١٩٨٠م.
- تفرغ للدعوة الإسلامية -أطال الله عمره-.
- توفى رحـمه الله فى ١٧ من يونيـو سنة ١٩٩٨م عن سبع وثمانين سنـة وشهرين وستة عـشر يومًا ودفن بقريته دقادوس مركز ميت غمر دقهلية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم / الأستاذ الدكتور على عبد العظيم
المستشار والخبير الفنى بمجمع البحوث الإسلامية سابقًا

التأليف فن من أصعب وأعقد وأدق الفنون الفكرية، فليست كل أفكار صالحة للعرض التأليفى. وإذا كانت الأفكار هى غذاء العقول كما أن الأطعمة غذاء الجسوم، فليس كل غذاء صالحًا للأجسام، وإنما لابد من تيسير شروط خاصة تجعله صالحًا لأداء هذه المهمة، من أهم هذه الشروط.

أولاً: أن يسد حاجة العقول، كما تسد الأطعمة حاجة الأجساد، فتنوع الطعام ما بين بروتينات، ونشويات، ومعادن، وفيتامينات، يجعله صالحًا لأداء هذه المهمة، وكذلك الأفكار يجب أن تشمل البراهين العقلية، والعواطف الوجدانية؛ لتسد حاجة العقول كما ينبغى أن يكون فيها عنصر التشويق، فإثارة شهية القارئ للانتفاع بهذه الأفكار، ولما سئل الخليل بن أحمد: لماذا لم يقل الشعر، وهو الذى استنبط علمى العروض والقوافى لضبط موازين الشعر، وقوافيه أجاب: (يأبى على جيده، وآبى على نفسى رديئه).

ولما سئل الأستاذ العقاد: لماذا لم يتزوج، وهو بحاجة إلى من يؤنس وحشته ويرفه حياته؟ أجاب بما أجاب به الخليل بن أحمد: (يأبى على جيده، وآبى على نفسى رديئه).

ثانيًا: التشويق بإثارة شهية القارئ، لإفراز المواد الهضمية؛ فإذا الطاهى الطعام يحتاج مع تنويعه؛ لسد حاجة الأجسام إلى حسن عرضه، وتنسيقه، وتنويع ألوانه وطعمه، فيضيف إليه من الألوان والتوابل مما يثير شهية الطاعم، ويحرك أعضاء جهازه الهاضم.

ثالثًا: الإقناع الفكرى، ولهذا كان لابد للمؤلف، أو كاتب البحث أن يذكر مراجعه، ويبرز أهميتها؛ لأن الإقناع الفكرى من أهم أهداف المؤلفين، أو الباحثين، ولهذا كان من لطف الله أن يقيض لبعض الباحثين من يجيدون عرض آرائهم العقلية؛ فى أسلوب دقيق مشوق جذاب، ييسر الانتفاع بهذه الآراء.

فإذا استعرضنا الثقافة الإغريقية العريقة، وجدنا أننا ما كنا لننتفع بآراء سقراط الفيلسوف لو لم تسعفنا الأقدار بتلميذه النابغ أفلاطون، الذى حفظ آراء سقراط، وأجاد عرضها علينا بأسلوبه المشرق المقنع الجذاب، وما كنا لننتفع بآراء أفلاطون لو لم تسعفنا الأقدار بتلميذه النابغة أرسطو الذى حفظ لنا آراء أستاذه، وصانها من الضياع، وأجاد عرضها علينا بأسلوبه المشرق المقنع الجذاب.

ونستطيع أن نستشهد فى هذا المجال بابن تيمية المصلح الإسلامى الكبير، وتلميذه النابغة ابن قيم الجوزية الذى حفظ لنا آراء أستاذه وتابع خطواته فى النهضة الإسلامية القوية التى يجتنى ثمارها الآن.

كما نستطيع أن نستشهد فى هذا المجال بالمصلح الإسلامى الكبير جمال الدين الأفغانى، وتلميذه النابغة الشيخ محمد عبده وتلميذه النابغة محمد رشيد رضا؛ فلولاه لاندثرت آثار أستاذه. ولم تأخذ طريقها المرسوم للنهضة الإسلامية الشاملة التى أنتجت أطيب الثمرات، ولا تزال تجنى غراسها حتى الآن.

أثار هذه الخواطر فى ذهنى ما قرأته من أجزاء كتاب (الفتاوى) للإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى، والتى أعدها تلميذه النابه الدكتور السيد الجميلى، فإن الشيخ الشعراوى المعروف بذكائه ومواهبه، ليس لديه متسع من الوقت للمراجعة، والتحقيق، والتنسيق، ولقد قيض الله الدكتور السيد الجميلى من جهة، والأستاذ أحمد فراج من جهة أخرى لإبراز آثار الشيخ الشعراوى، وإخراجها بأسلوب ميسر، وعرض جيد.

ولفت نظرى فيما قرأته للدكتور الجميلى خبرته الصحافية العميقة التى منحت أسلوبه التشويق والجاذبية، وعكوفه على الدراسات الإسلامية فى قوة، ودقة، وعمق، وتنوع ثقافته ما بين طبية، وعلمية، وأدبية، وصبره على البحث والجمع وروعة التنسيق، وعمق التحقيق.

جزى الله شيخنا الإمام الشعراوى خيراً.. جزاء ما قدم، ويقدم للإسلام والمسلمين من علم نافع.. وبارك لنا فى حياته.

القاهرة فى: ٧ من شوال سنة ١٤٠٢هـ

٢٨ من يوليو سنة ١٩٨٢م

على عبد العظيم

المستشار الفنى وخبير مجمع البحوث الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه الفتاوى

بقلم/ الدكتور إبراهيم البطاوى

الأستاذ بجامعة الأزهر سابقًا

يعتبر فضيلة أخى الشيخ محمد متولى الشعراوى ظاهرة من ظواهر الروح فى هذا العصر المادى من حيث سلوكه الشخصى، وطريقة تناوله لموضوعات أحاديثه التى تنساب فيها مكنونات تحصيل عمره، مع إشراقات إلهامات يصغى فيها وجدانه طويلاً إلى هواتف القلب، ونبضات الروح، ثم يسارع فيصوغها فى تلك القوالب البيانية الأخاذة من رحيق التعبير الشائق الذى اشتهر به.

ومن هنا يفهم عنه رواد سماعه من الملايين على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية والثقافية؛ فاتسع نطاق النفع به، بعدد اتساع نطاق الإقبال عليه من بين جوعى الروح، وإشرافاتها فى عصر ضربت فيه ظلمات المادة وموجاتها العالية على كل دروب الحياة؛ حتى وصلت إلى كثير ممن يعملون فى حقل الدين ذاته؛ فجاءت أنظار بعضهم، وكأنها تخبطات من رَكَبَهُ الشيطان من المس، مثل آكلى الربا الذين قال الحق فيهم: ﴿ **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا** ﴾!!.

ومن هنا كان الشباب أسرع من الشيوخ إلى الارتواء من هذا النهر الشعراوى الرقراق؛ لأنه وجد فيه الصدق الذى افتقده فى الأكثرين، كما وجد فيه غذاءه الروحى دقائق الحاضر بآماله، ونبضات حياته فى الشرع الحنيف بعد طول اغتراب.

ومن هنا تنوعت موضوعات تلك الأحاديث لتطفئ تلك المجاعات الروحية عند الشباب، من القضاء والقدر، إلى حد نظر الخاطب لمخطوبته، واختلاط الشبان بالفتيات إلا فى حدود الشرع، وعدم الخلوة، إلى رد دعاوى المضللين الذين يزعمون غناء الأخذ بالقرآن ولا يعلمون أن السنة متممة وشارحة له ببيان معصوم، بعيد عن الهوى والجموح، إلى بيان أمر العفاريت، وأثر السحر فى النفوس؛

للتفريق بين أحب الأزواج إلى نظرية النشوء والارتقاء، حيث يرد بدعابته الجميلة المعبرة فيقول: (أين العوامل التى أثرت فى القرد الأول ليصبح إنسانًا؟)!! لماذا تركت بقية إخوته القرود على قرديتهم: «فلم يتحولوا أناسى»؟!.

ولماذا لم نلحظ قردًا آخر، غير القرد الذى زعمه دارون زورًا وبهتانًا، ليصيبه هذا الدور (أو الحظ) من الارتقاء حتى يصير إلى إنسان؟!!.

وهكذا يربط الرجل قضايا العصر بأصولها الإسلامية؛ فينير طريق السالكين من الحيارى شبابًا وفتيات وشيبًا، متنقلاً من زهرة إلى زهرة، ومن روضة إلى روضة، حتى يكاد يلم بمعظم مشاكل العصر، ومن هنا قلنا: إن الشيخ الشعراوى ظاهرة من ظواهر الروح فى هذا العصر الذى توثن المادية عبادها بعيدًا عن شرائع الله جميعًا.

إخراج الفتاوى:

إذا تحدث الرجل على سجيته، فإن اللفتة البارعة والجملة البليغة، والحركة المعبرة تنفذ بالمعانى إلى العقول والقلوب معًا فى وقت واحد. ولكنك حين تضع تلك الجواهر بين دفتى كتاب؛ فلن تساعدك تلك المشهيات إذ لا تستطيع تدوينها، وحينئذ تجىء أهمية الإخراج والتخريج لنصوص مضامين اشتمل عليه قول المحاضر الذى يجد فى الإكثار من تلك الأسانيد قطعًا لتيار المعرفة عن السيولة، وتشتيتًا لذهن سامع يؤمن بصحة المضمون من رجل وثق به، ولهذا يسأم إن توقف محدثه عن إضافة حقيقة جديدة، أو كشف معلومة مفيدة بسبب محاولة التدليل على مدلول قام فى نفس السامع جعل تصديقه برجحان عدالة قائله لديه، وإلا لما حرص على الاستماع إليه.

وهنا جاء عمل الشاب الأديب النابه الدكتور السيد الجميلى الطبيب المحب لفضيلة الشيخ الشعراوى، جاء إضافة وجهدًا فى الإخراج والتخريج لكثير من تلك المحاضرات والفتاوى تحت باب من أبواب المعرفة الفقهية، أو الاجتماعية؛ ليسهل على الطالبين الوصول إلى مرادهم؛ فكان إشراقًا من إشراق يقدره العارفون حق قدره، فله مع المؤلف الكريم من الثواب بقدر ما بذل كلاهما من جهد، تنزلت به على قطاع ضخم من شباب العصر - طمأنينة الإيمان والاستقامة.

بقيت لى كلمتان:

أما أولاهما: فنكران المؤلف على العقاد ذهابه مع المستشرقين إلى القول: بأن النبى -ﷺ- عبقرى كسائر عباقرة البشر، مع أنه معجزة تحار أمام جلالها جميع العبقريات، وهذا حق ذكره الشيخ بشجاعة مهذبة، حتى لا ينخدع بهذا الخطأ قراء الأستاذ العقاد؛ فيحق عليهم غضب الله الذى يغار على خاتم رسله، وأعظمهم على الإطلاق.

أما الثانية: فهى التباس يقع فيه اللغوى الحاذق حين يعرض عليه اصطلاح محرف لترجمة محرفة عن لغة غير لغته التى يتقن من ذلك كلام فضيلته عن (العلمانية) بكسر العين ج٣ ص٥٨ حيث نسبت إلى العلم الذى هو فى مقابل الجهل، واستنكر الرجل بشدة -وحق له ذلك- أن ينطبق هذا العلم -ما دام يقينًا لا طبيعيًا- على الإسلام إن رفضت الديانات الأخرى هذا العلم.

والدفاع هنا صحيح لو كانت القضية قضية العلم فى مواجهة الإسلام، فهو يحض على تعلم العلم النافع للبشرية. ولكن العلمانية المتداولة بين أروقة المفكرين فى الغرب فى اصطلاح يطلق على الجهل، أو التجاهل للدين بالذات، فهو عكس العلم بالدين، وهو ترجمة حرفية (للائيكية) عند الفرنسيين أو (الإيسيكورية) عند الإنجليز، وترجمتها: (العلم) بفتح العين، أو العالم أى الدنيا (أو الدهر) والمعنى قديم، أشار إليه القرآن الكريم فى صفة هؤلاء الدهريين فقال: ﴿ **وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون** ﴾.

وهو من الشعارات الخداعة التى أطلقها اليهود من أجل التعايش مع الديانات الأكبر من خلال الماسونية العالمية، التى انخدع بها قادة الثورة الفرنسية، ثم الأتاتوركية، وغيرها من الثورات على رقعة الأرض، فهم يهتمون بالدنيا ومصالحهم فيها تاركين الدين وراءهم ظهريًا، وإذا اصطدم الدين مع شهوة أو دنيا، نحى هذا الدين، وكان هذا أمرًا ضروريًا فى عصر الظلام العلمى فى أوروبا، بسبب رفض الكنيسة لكل إصلاح دنيوى - وهذه المشكلة ليست فى الإسلام الذى حض على إصلاح أمر الدنيا؛ لينصلح أمر الدين.

﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾.

أسأل الله أن ينفع بهـذا الجهد شـباب عصـرى وشيوخـهـم، وإلى مزيد من رحيق المعرفة بالله، أدعو للشيخ الجليل بالصحة والتوفيق.

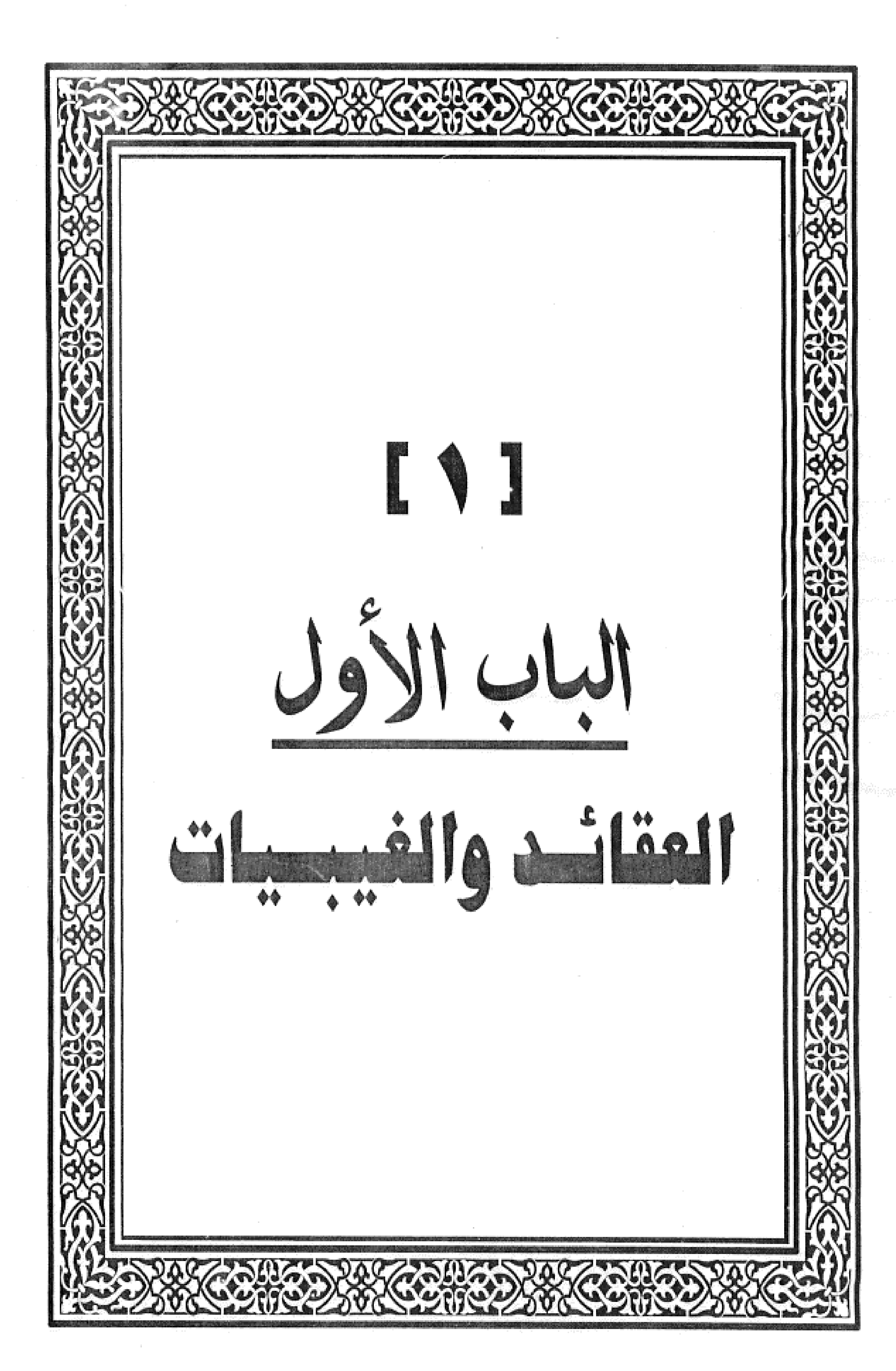
القاهرة في: ١٣ من ذى القعدة سنة ١٤٠٢هـ.

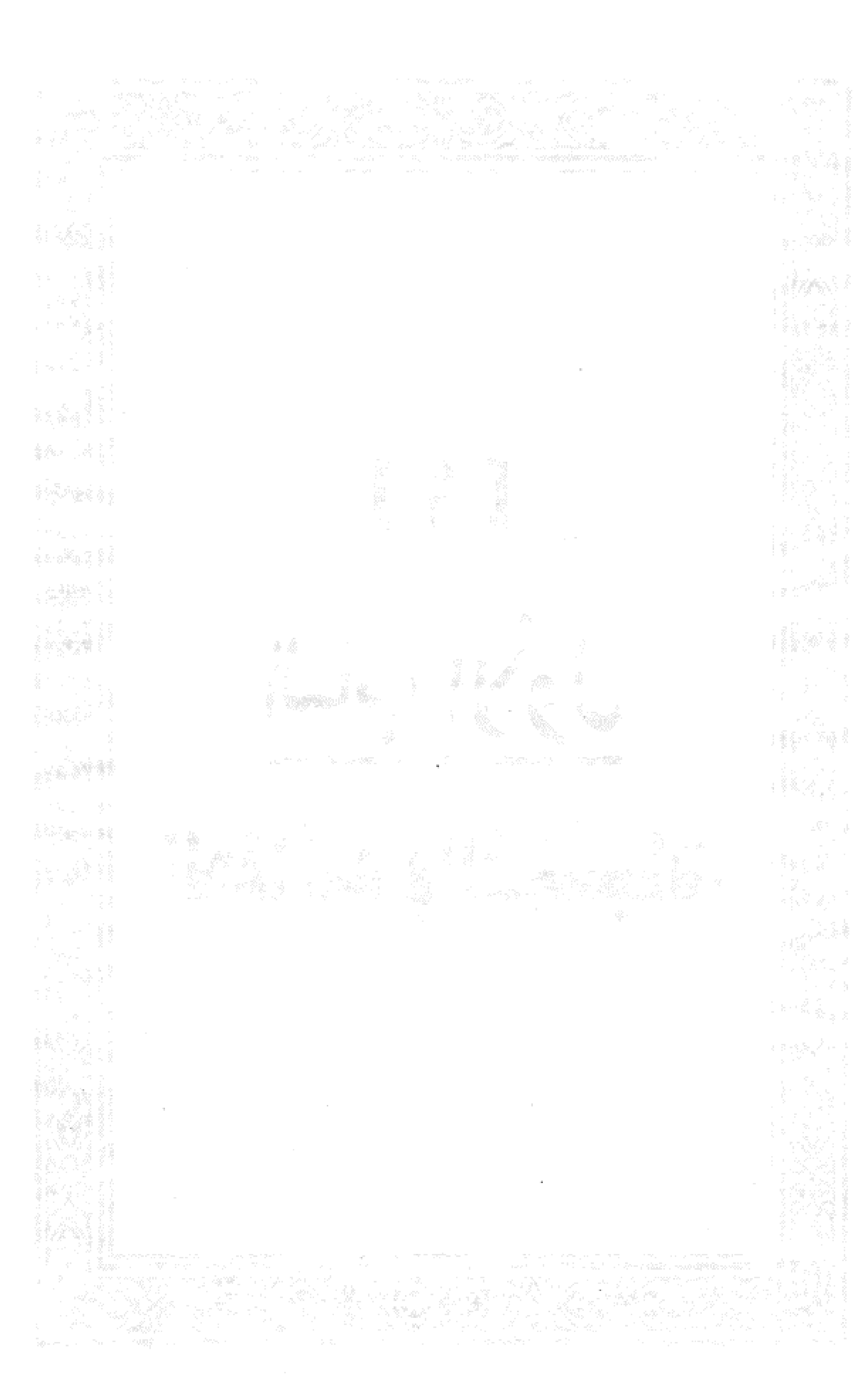
أول سبتمبر سنة ١٩٨٢م.

دكتور/ إبراهيم محمد البطاوى

الأستاذ بجامعة الأزهر سابقًا

دار الإنسان - القاهرة


[١]
الباب الأول
العقائد والغيبيات



أ ـ التوحيد والإيمان بالغيب

[١]

الغيبيات والإيمان بها

قضايا الإيمان كلها غيبية، لأنها لو لم تكن غيبًا، لما احتاجت إلى إيمان كما يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى.

● **والسؤال: هل الإيمان بالغيب أساس الالتزام بالمنهج؟ وما درجة تصديق الغيب بالنسبة للقمة الإيمانية؟**

- يقول فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى:

قال تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾**(١).

وهؤلاء وصفهم الله بأنهم الذين يؤمنون بالغيب، بما غاب عنهم من إله قوى قادر خالق، يؤمنون بملائكته، وكتبه، ورسله، ويؤمنون باليوم الآخر... وهذه كلها أمور غيبية، والأمور الغيبية تنطوى على أمر القمة الغيبية، وهو أن تؤمن بالله... وبعد ذلك تؤمن بما قاله لك الله.

فحين يقول الله (ملائكة) وأنت لا تراهم فقل: نعم، على الرحب والسعة، وهناك ملائكة، وإن كنت لا أراهم، لأن الله أخبرنى بهم، آمنت به بعقلى... آمنت بأنه إله.

وما دام الله سبحانه وتعالى قال... إنى خلقت ملائكة، فلا ينبغى أن نتهم قول الله، لأننا لا نرى ملائكة، وإلا كانت عيوننا تحكم على الله، والله يريد أن يكون حكمًا على كل جوارحك وعقلك.. فكونك لا ترى الملائكة شىء،

---

(١) سورة البقرة: ٣، ٤ .

ووجودهم شيء آخر، فأنت لك روح تمضى بها حياتك فهل رأيتها؟ أسمعتها أذقتها، أشممتها.. ألمستها بأى وسيلة من وسائل الإدراك؟

فأنت لم تدرك روحك.. لكنك أدركتها بأثرها فى حركة مادتك بحيث إذا سلبت منك الروح صرت جيفة ورمة، فأنت عرفتها بأثرها فيك، وهى مخلوقة لا ترى، فكيف بالخالق الذى سواها؟

يقول تعالى عن المتقين: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ**﴾(١). فإذا آمنا بالقمة الغيبية، آمنا بكل ما يقوله لنا الله وإن كنا لم نره، ويضرب الله الأمثال للناس فى ذوات أنفسهم، فقبل أن يكتشف الميكروب كانوا يشاهدون فى ذواتهم ظواهر أمراض لا يدركون إلا الظاهرة مثل الحرارة وغيرها، ولا يعرفون شيئًا اسمه الميكروب، فلما ارتقى العلم، وأذن الله لمخلوق من خلقه وهو الميكروب أن يتم مرآه للوجود، وأذن الله لمخلوق من خلقه وهو العقل أن يكتشف المجاهر، وبواسطة المجاهر رأينا الميكروب على صورة مكبرة.

إذن فعدم رؤيتك للشيء لا يعنى أنه غير موجود، ولكن آلة الإدراك هى العاجزة فيه...

لو أن القدماء حدثناهم من قبل بأمر الميكروب... أكانوا يصدقون؟ بالطبع لا يصدقون... إذن ترك الله بعض الخلق غير مدرك فى زمن؛ لأنه دون وأقل من مستوى رأى العين، ثم قدرنا عليه فى زمن آخر؛ فرأيناه كأن الله يقول لك: لا تنكر الغيب، فهذا كان غيبًا فى القديم، ثم صنعت لك الآلات لتراه؛ حتى تستدل على أن الغيب قد يكون موجودًا، ولكنك لا تراه.

إذن، فالذين يؤمنون بالغيب.. قمة الإيمان أن يؤمنوا بالله، وأن يؤمنوا بما أخبر الله به.

ثم قال تعالى: ﴿**وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ**﴾(٢). لأداء ولاء العبودية للحق متجددًا خمس مرات كل يوم.

---

(١) سورة البقرة: ٤ .

(٢) سورة البقرة: ٤ .

[٢]

هل الكفر أسبق أم الإيمان؟

س: ما معنى الكفر؟ وهل الكفر أسبق أم الإيمان؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: إن من يلج فى الكفر إنما هو المنتفع به، ولو لم يوجد منتفع بالكفر. لما تأصل الكفر فى الناس. والكفر معناه الستر.

فلفظ الكفر مؤمن؛ لأن كفر، أى: ستر، وكفر بالله أى: ستر وجود الله، ولأن الستر طارئ على الوجود، فالأصل إذن هو الإيمان، أى: أن كلمة كفر نفسها فضحت الكافرين؛ لأنه لا يقال كفر إلا إذا كان هناك شيء موجود، ثم سترناه، فكأن الإيمان هو الأصل الفطرى، ثم طرأ الساتر من الكفر لغفلة الناس.. لأن الإيمان يضيق على ذى السلطان، وأصحاب الاستعلاء والسيطرة والاستغلال، فابتدأوا يسترون الإله والإيمان.

إذن.. فاللفظ ذاته فى ذاته يدلك على أن الإيمان أسبق، وتلك قضية منطقية؛ لأن الخلق الأول -وهو آدم- الذى خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له الملائكة وأتاه المنهج.

كل ذلك أمر مشهدى، أى: أن الكفر لم يكن قد جاء، وكان يداعب آدم بواسطة إبليس.. والمفروض أن آدم كان يلقن أولاده بما يعرف، وبمرور الزمن حدثت الغفلة. ووجد الكثير من الناس أن الإيمان يقيد حركتهم، فابتدعوا الكفر، لكن العاقل حين يسمع كلمة كفر يجب أن يتنبه؛ فلا يشارك من ستر موجودًا.. ولهذا نبههم الله، وسألهم كيف يكفرون به؟

وهم لن يستطيعوا الجواب إلا بقولهم:

«إننا سترناك يا رب».. وهذا إيمان، قال تعالى: ﴿ **كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ** ﴾(١).

ففى هذه الآية عين الاستدلال على الإيمان..

ولقد استجابت لله طبائع الأشياء، حيث يفعل فى كذا، فينفعل له وهذا من

---

(١) سورة البقرة: ٢٨.

راجع تفسير القرطبى (١/ ٢٤٩) والطبرى (١/ ٤١٨ و٤٢٣).

تسخير الحق تبارك وتعالى للأشياء، وما فى الأرض جميعًا، وبمرور الزمن ظن أن له أصالة وسيطرة على الكائنات، ولذلك عاش، وفى ذهنه قوة الأسباب، وهو سبحانه فاعلها؛ فلم يلتفت إلى المسبب الحقيقى.

فهنا لا مجال للشك أو التردد فى أن الإيمان أسبق من الكفر، وبالمناسبة لم أجد ما يضايق فضيلة الإمام مثل سؤال الناس الفطرى الساذج: هل الكتكوت أم البيضة أولاً؟

ويصف ذلك أنه حماقة من حماقات الناس الفكرية العقلية.

[٣]

مطلوبات الإيمان، ومطلوبات العلم

س: للعلم مطلوبات، وللإيمان أيضًا مطلوبات، وهذه تختلف عن تلك كيف ذلك؟.

(جـ) يرى الشيخ محمد متولى الشعراوى:

أن مطلوبات الإيمان وقضاياه كلها غيبيات؛ لأنها لو كانت حسية فإنها لا تحتاج إلى إيمان، والغيب الذى حدث به القرآن حدثه رسول صدق، عن إله حق.

أما مطلوبات العلم المادى، فهى تسأل عن كيف، ولا تسأل عن لم: أما العلم الإيمانى الغيبى، فإنه يجاب عنه بـ (لِم).

ولذلك فإن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لما أن قال: ﴿**رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى**﴾(١)، أعطاه الله تعالى التجربة العملية الحسية.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٠ .
انظر أقوال المفسرين فى معنى هذه الآية فى جامع البيان للطبرى (٥/ ٤٨٥) وما بعدها، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (١/ ٣٣٤) ومعانى القرآن للفراء (١/ ١٧٤)، ومختصر ابن كثير (١/ ٢٣٣)، والبحر المحيط لأبى حيان (٢/ ٢٩٣).

[٤]

يأيـها الذيـن آمنـوا

س: قال تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم ﴾(٢). وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾(٢). وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾(٣). وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم ﴾(٤). وقال: ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا ﴾(٥). هنا وفى آيات أخرى كثيرة يوجه الحق سبحانه وتعالى نداءه إلى المؤمنين، ولكنه فى آية أخرى يقول: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾(٦) وهنا يوجه النداء للناس كافة كافرهم ومؤمنهم فلماذا يتوجه بالنداء للمؤمنين فى مواضع وللناس فى مواضع أخرى؟

(جـ): إن الأساس فى اتباع منهج الله هو الإيمان، ولذلك تجد الله سبحانه وتعالى حين يخاطب عباده فى منهجه يقول دائمًا: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ ويكررها فى آيات كثيرة من القرآن. . لماذا؟ لأن الأساس فى اتباع منهج الله هو الإيمان بالله وبالرسل والملائكة والغيب، ذلك هو الأساس، أما غير ذلك فهو باطل، ولو أتيت بما طلبه الله منك، ولكن لا إيمان فعملك باطل، ولقد أمرنا الله بالتصدق على الفقراء ابتغاء مرضاة الله، وإيمانًا بالله ومنهجه، فمن فعل ذلك فله الثواب، ولكن هب أن هناك إنسانًا يتصدق؛ ليقال عنه أنه جواد، أو كريم يأتى أمام القوم، ويجمع الفقراء؛ ليعطيهم المال، ويتباهى بذلك، ويتصدق على مشهد من القوم، ليتحدث ويتحدثوا عن ذلك كثيرًا، حتى إذا جاءه فقير بينه وبين نفسه تركه، ولم يتصدق عليه، أنه يريد السمعة والشهرة، ولا يريد رضا الله. . هذا الإنسان لا يثاب رغم أنه أتى عملاً من الأعمال التى حث عليها الله سبحانه وتعالى، وطلب منا القيام بها ولكنه أتاها بلا إيمان. . آتاها وقلبه غير مؤمن بالله لا ينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾.

كذلك رجل يصلى أمام الناس، فإذا كان وحده لا يصلى. . هل يثاب على

---

(١) سورة النساء: ٧١ . (٢) سورة التحريم: ٦ . (٣) سورة المنافقون: ٩ .
(٤) سورة التغابن: ١٤ . (٥) سورة التحريم: ٨ . (٦) سورة الحج: ١ .

صلاته؟ أبدًا.. مع أنه يفعل ما أمره الله به ولكن بلا إيمان.. والله سبحانه وتعالى أغنى الناس عن الشركاء.. ولذلك إذا كان العمل لوجهه، وإرضاء له سبحانه وتعالى فإنه يتقبله، أما إذا كان لإرضاء البشر فإنه غنى عن العالمين.

[٥]

عالم الغيب ومعلم الغيب

س: ما هو الغيب، وما معنى قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾[(١)] وهل الغيب أنواع؟ وهل هناك من يستطيع أن يخترق هذا الغيب بوسائله البشرية، أم أن هذا سر من أسرار العظمة الإلهية؟ نود نظرة شاملة من فضيلتكم حيث إن هذه القضية الهامة شغلت، وتشغل الكثير من عامة المسلمين - وخاصتهم.

أجاب فضيلته:

(جـ): الغيب نوعان: غيب مطلق، وغيب مقيد.

والغيب المطلق: هو الذى لا يعلمه أحد سوى الله عز وجل.

والغيب المقيد: هو ما يعلمه البعض، ويجهله البعض، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول: إذا رصدت نتائج الامتحان فى آخر العام، وقبل إعلان النتيجة. فهنا تكون نتيجة الامتحان غيبًا عنى وعنك، ولكنها معروفة عند هيئة التدريس، والمصححين.. كذلك إذا سرق شيء منك فالسارق غيب بالنسبة لك؛ لأنك لا تعرفه، ولكنه ليس غيبًا عن نفسه، أو عمن معه.

فإذا عرفت أنا هذا الغيب، فمن الجائز أننى اتصلت بقوة ممن تستطيع أن تعلم وتخبرنى، وليس هذا غيبًا، فمن الناس من يستعين بالجن، فهو يكلفه ليعرف أخبارًا يخبرنى بها، وهذه الأخبار لها واقع معلوم عن البعض، وكذلك هناك معلم غيب، فيكون الله سبحانه وتعالى قد ألهمه بشيء سوف يحدث فى المستقبل، ولا

---

(١) سورة الجن: ٢٦ .

راجع أقوال العلماء فى الطبرى (٢٩/ ٧٧) والقرطبى (١٩/ ٢٦) وما بعدها ومختصر ابن كثير (٣/ ٥٦٠)، والكشاف للزمخشرى (٤/ ١٧٢) والبحر المحيط (٨/ ٣٥٥) وروح المعانى للألوسى (٢٩/ ٩٥، ٩٦).

علم لأحد به، فهذا معلم غيب. . أما عـالم الغيب فيعلم بذاته وقد قال تعالى فى ذلك: ﴿ **فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾[1] ومثل هذا الإنسان يظهر الله سبحانه عليه بعض الأشياء ولكنك لا تجد عنده أجوبة عن كل ما تريد، لأنه لا يملك سوى ما أراد الله سبحانه وتعالى لأن يطلعه عليه ويبشره به، ولا شيء فى أن يخبر هذا الإنسان الطيب ما بشره الله به لأحد، والغيب حدث فى الماضى، أو حدث فى المستقبل، فعندما تخبر بشيء مضى؛ فيكون قد خرق حجاب الزمان الماضى، وعندما يخبرك بالمستقبل يكون قد خرق حجاب المستقبل، أما الحاضر، فإنه خرق للمكان فيخبرنى شخص بشيء حدث فى الإسكندرية وهو جالس معى هنا فى القاهرة فى نفس زمان الحدث.

والله سبحانه وتعالى تستوى عنده الأحداث؛ فعندما يخبرنا بشيء مستقبل، فكأنه حاضر؛ لأنه لا توجد قوة تملك أن تفعل غير ما قيل، فلابد أن يحدث ما يخبرنا الله سبحانه وتعالى عن المستقبل بالماضى المتحقق، فقال تعالى: ﴿ **أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ** ﴾[2] فأتى فعل ماضى، ولا تستعجلوه دليل على أنه مستقبل. . إذن معنى ذلك أن الأمر المستقبل حادث لا ريب، لأنه لن توجد قوة أخرى؛ لتغيير ما قاله الله سبحانه جل شأنه، فما قاله عن أمر مستقبل، هو أمر متحقق فكأنه قد تحقق بالفعل.

فالماضى أمر تحقق عند البشر، والمستقبل أمر تحقق عند الله سبحانه وتعالى. . ولذلك فعندما تقول: إن فلانًا قد أخبرنى بغيب، نقول: هل هو غيب عنك، وعلى كل الخلق أم أنه غيب عنك فقط؟. . فإن كان غيبًا عليك، ومعلومًا عند غيرك، فلا يكون قد عرف غيبًا؛ لأن الخبر موجود عند البعض، فمن الممكن أن يعرف هذا الخبر بطريق أو بآخر.

وإذا كان الحدث عند العالم الأعلى فقط، ولا يعلم أحد، فيصبح فيضًا

---

(١) سورة الجن: ٢٦ .

(٢) سورة النحل: ١ .

قال ابن قتيبة فى كتابه القيم: تأويل مشكل القرآن ص (٢٢٧): أتى بمعنى يأتى. اهـ. ويقول مثلاً على ذلك: كما يقال: أتاك الخير؛ فأبشر. أى: سيأتيك. ويقول الإمام الرازى: لما كان واجب الوقوع لا محالة؛ عبر عنه بالماضى، كما يقال للمستغيث: جاءك الغوث فلا تجزع. بتصرف من التفسير الكبير (١٩/ ٢١٨).

يرسله الله فى هبة مـن هبات الفيـوض على بعض خلقه، فينـطلق بالشيء وقد لا يدرى به كما أخبر الله سيدنا زكريا بأنه سيلد ولدًا وأن اسمه يحيى.

والخلاصة فى أن الغيب المطلق لا يعلمه سوى الله، فلا يقال أنه عالم الغيب غيب، ولكنه معلم غيب.

وإننا نأخذ على الناس إلحاحها فى مـعرفة الغيب، وهذا خطأ؛ لأن من نعم الله على خلقه أن ستـر عنا الغيب، وإلا فهات شخصًـا عنده ألف حادثة سارة فى حياته المستقبلة وحادثة واحدة مـحزنة، وانظر إليه فترى أن الحدث الحزين قد طغى على كل الأحداث السارة، ويغتم لهذا الحدث من قبل أن يقع، ويعيش فى المصيبة معزولة عن اللطف؛ لأن الله يلطف بنا عند المصيبة، فلماذا الاستعجال؟

[٦]

ما السبب فى أن أسرار قضايا الإيمان كلها غيبية ؟ !

س: ما السبب فى أن أسرار قضايا الإيمان كلها غيبية؟.

جـ: يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

لو أن العقل وقف على كل سـر فى الحياة، لما كانت الحـياة ولا الدنيا أهلاً لأن تنسب إلى عظمة الله.

ولو أنك عرفت كل شـيء فى الوجود، لكانت صنعة الله مـقدورًا عليـها، ولولا وجود بعض الأشـياء توقف العـقل، وهذه من عظمة الكون، ومن عظمـته نسبّه إلى الله جل شأنه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(١).

[٧]

القـــرآن متعبـــد بتلاوتـــه

س: هل تلاوة القرآن عبادة؟

جـ: نعم.

والله تعالى أعلم

---

(١) سورة الزمر: ٦٢.

[٨]

المقصود بكلمات الله

لقد سئل رسول الله -ﷺ- عن الروح، وعن أصحاب الكهف والرقيم، وعن ذى القرنين، وأوحى الله إليه بالإجابة عن هذه الأسئلة التى قُصِدَ بها إحراجه.. وفى ختام هذه السورة تحدث القرآن الكريم لبيان علمه تعالى المحيط بكل شىء الذى لا يتناهى عند حد.. أخبرهم يا محمد: ﴿**قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا**﴾[١] يكتب به، وكتبت كلمات علم الله به: لنفد البحر وفرغ، ولم تنفذ كلمات الله عز وجل.

فكلماته تعالى غير متناهية عند حد ﴿**وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾[٢] وهذا تمثيل لسعة علم الله والمعنى لو كانت بحار الدنيا حبرًا ومدادًا، وكتبت به كلمات الله وحكمه وعجائبه، لنفد ماء البحر على كثرته وانتهى، وكلام الله لا ينفذ؛ لأنه غير متناه كعلمه عز وجل..

وقيل: المراد بكلمات الله: كلماته التكوينية التى هى قوله للشىء (كن فيكون).. أى التى بها الإيجاد والخلق، وإيجاد الله وخلقه للأشياء لا حد له أبدًا، ولا نهاية له أصلاً، إذ هو الخالق دائم الإيجاد فى الدنيا كما نرى، وفى الآخرة.

[٩]

ليس كمثله شىء

س: وصف الحق تعالى نفسه وصفًا دقيقًا شاملاً؛ ليقطع على الفكر الإنسانى المتغير المتجدد من فينة إلى فينة؛ ليقطع عليه حبل التصور الأحمق الشائن فى الذات الإلهية، بخصوص تصور الخالق سبحانه وتعالى، أو محاولة تخيل صفة من صفات الحق جل وعلا بالحواس البشرية البسيطة المحدودة، فقال سبحانه وتعالى:

(١) سورة الكهف: ١٠٩ .

(٢) سورة لقمان: ٢٧ .

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[1] هنا وكأنه يقول للبشر: أريحوا أنفسكم من عناء الحماقة، فى البحث فيما لا يجدى عليكم شيئًا.

فما رأى الشيخ الشعراوى فى تفسير هذه الآية الكريمة: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾.

جـ: يقول فضيلة الإمام: إذا سمعت أن الله سبحانه وتعالى مثلاً له أرجل وله سمع وله بصر. لأنك أنت لا تعرف اليدين إلا فى هذا الشكل المخصوص الذى تراه فى نفسك، ولا تعرف السمع إلا بهذه الآلات المخصوصة، لا تقول لك: إن السمع عند الله يناظر السمع عند الخلق. لماذا؟ لأن الأصل أنه سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فكل ما ورد من إطارات الأسماء أو الصفات، ونظيره فى الخلق، فأنت تقتصر على القدر الذى وصف الله به نفسه، وكيفيات الأشياء لا ضرورة لها فى الإيمان، الكيفية التى يحملها الشىء ليست ضرورية فى الإيمان، ربنا قال: أنا سميع، وأنا بصير؛ إذن له سمع وله بصر، فلا تأخذ أنت من الصورة التى تعرفها للسمع وللبصر فى الخلق، ثم تقول ربنا سمعه وبصره مثلنا.. كلا.. لماذا؟ لأنك أنت حاكم بأن ربنا له وجود، ولخلقه وجود، هل وجود خلقه كوجوده؟ لماذا تجعل سمع خلقه مثل سمعه؟ أو سمعه مثل سمع خلقه؟ إنك فى إطار أنه مخالف. الله حى، والإنسان حى، فهل الحياة عندى كالحياة عنده؟ له حياة ولك حياة، ولكن هل حياتك كحياته؟ كلا.... لا...

فإذا ورد اسم من أسماء الله، أو صفة من صفاته جل شأنه يوجد مثله فى البشر، فأنت أمام أمرين، أن لا تمثل، وأن لا تعطل. تعطل فتقول: لا. ليس له سمع، لأن السمع هذا للبشر، نقول له: أنت تقيس لأن السمع عندك له آلة، وأنت منزه ربنا عن هذه المسألة، صحيح أنت تريد أن تنزه. إنما لماذا تعطل النص؟ هو قال: لى سمع. فأنت تأخذ على أن له سمعًا، إنما كيفية السمع هذه ليست عملك أنت، والكيفيات دائمًا ليست محل إيمان.

---

(١) سورة الشورى: ١١ .

ليس كمثله شيء: أى ليس كهو شيء. وعزا هذا القول القرطبى إلى ثعلب (١٦/٧) وأحد رأيين عند الطبرى (٢٥/٨) وانظر أيضًا مؤدى المعنى فى البحر المحيط (٧/ ٥١٠) وحاشية الجمل على الجلالين (٤/ ٥٥) والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٧/ ١٥٠).

وأوضح الإمام الجليل هذه النقطة فقال: عرجنا مرة على سيدنا إبراهيم -عليه السلام- لما سأل ربه ماذا قال له؟

قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ﴾[1] يعنى آمنت، ولكنه استدرك بعد ذلك ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ فالذى يناقش الأسلوب سطحيًا يقول: إن هناك تناقضًا، أنتم تقولون: إن ربنا هو قائله تغفلون عملية التناقض. إنما أنا لما أدخل عليه ككلام، وليس فى بالى أنه من الله... وأن كلام الله ليس فيه تناقض نقول له: أين مذهب التناقض؟ مثلما قال كثير من المفسرين..

ما معنى الإيمان؟ الإيمان هو اطمئنان القلب إلى قضية ما بحيث لا تطفوا إلى الذهن لتناقش من جديد، إن طلعت ثانيًا لتناقش من جديد، يبقى إذن أنها لم تصل إلى مرتبة الإيمان، إذن عندك مشروع إيمان، ولا زلت تبحث فيه. فكرة. إنما إيمان اطمأن القلب إلى قضية، وانتهى منها، ولم تعد تخرج مرة ثانية؛ لتناقش من جديد هذا معنى الإيمان.

نقول: (بلى) يعنى (آمنت) وما معنى آمنت؟ يعنى اطمئنان القلب إلى هذه القضية بحيث لا تطفوا إلى السطح، وإلى الذهن مرة أخرى.

﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[2] طلب المفقود عنده، وما دمت أنا أسأل؛ لكى يطمئن قلبى، كأن اطمئنان القلب غير موجود؛ لأنه ما دام اطمئنان القلب مطلوبًا له، إذن قضيته فى الإيمان بـ (بلى) غير منطقية.

نقول له: أنت تريد خداعنا، إنما نحكم معطيات الألفاظ، هل قال إبراهيم لربه: يا رب أتحيى الموتى؟ لا... بل قال له: كيف تحيى الموتى؟.

إذن حين سأل بصيغة (كيف) تبقى قضية الوجود الأساسية غير مختلف فيها.

فسيدنا إبراهيم يؤمن بإحياء الموتى، وهذا هو رأس قضية الإيمان، إنما يسأل عن الكيفية، وهذه ليس محلاً للإيمان.

---

(١) سورة الشورى: ١١ .

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠ .

انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (١/ ٣٣٤) وجامع البيان للطبرى (٥/ ٤٨٥).

[١٠]

الله الصمد، وتوحيد الألوهية والربوبية

س: ما معنى الله الصمد؟

وما معنى ربوبية الرحمن، وألوهية الرحيم؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: معنى الله الصمد:

الله أحد لا شريك له، قادر على أن يفعل ما يشاء وقتما يشاء.. مقصود فى كل الحوائج، بيده الخير كله، يستطيع أن يعطى كل إنسان حاجته، دون أن ينقص ذلك مما عند الله شيئًا، وهو فى قوته لا يستعصى عليه أحد، مهما بلغ جاهه أو سلطانه؛ ولذلك فإننا يجب ألا نخاف الدنيا كلها، ما دمنا مع الله، وما دمنا على الحق..

والله أحد ليس كمثله شىء، لا شريك له، ولا أحد يعلو ليكون ندًا لله جل جلاله.. وكل الناس بدرجاتهم وجاههم فى الدنيا هم عبيد لله سبحانه وتعالى، فالكل عبد لله، والكل آتيه بعد هذه الحياة.

وطلاقة القدرة تعطينا الشجاعة فى هذا الكون، لكى نواجه كل ظالم.. ونقف مع كل مظلوم.. ونأخذ جانب الحق.. فإذا حاول أحد أن يخيفنا بالأسباب أو ظاهر الحياة الدنيا من جاه، أو سلطان أو ملك أنعم الله به على عبد من عباده.. فلنتذكر أن الله سبحانه وتعالى كما أعطى يستطيع أن يأخذ، وكما أعز يستطيع أن يذل، وأن نقف مع الحق، ولا تغرنا الأسباب لأنها زائلة.

ثانيًا: معنى ربوبية الرحمن، وألوهية الرحيم:

والله سبحانه وتعالى حين شرع، العقوبة لأية معصية.. فمعناه أنه شرع لها الوجود.. وإلا فلماذا يضع الله عقوبة لشىء ليس موجودًا؟! وكما شرع لها الوجود.. شرع لها التوبة وهى.. باب ليخرج العاصى منه.. فيغفر له.. فإذا كنت قد عصيت الله؛ فلا يجب أن تستحى أن تلوذ برحمة الله، فالله سبحانه وتعالى رحمن رحيم، كلمة رحيم، مأخوذة من الرحمة، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا: أنا أريد بكم الخير، حتى ولو عصيتمونى..

ولذلك كتبت على نفسى الرحمة، فإذا كنت عاصيًا، فلا تستح أن تلجأ إلى رحمتى وتوبتى، وإذا أردت أن تفهم التغيير فى متعلقات صفات الله، فأنت تقول رحمن؛ لأنه يرحم المؤمن والكافر فى الدنيا. . وتجعل الأشياء تنفعل لهم. . إذن عدد الداخلين فى رحمة عطاء الله بالنسبة للدنيا. . هم كل خلقه؛ ليعطيهم جميعًا عطاء ربوبية، إذن فهو رحمن. . ولكنه فى الآخرة مثلاً رحيم؛ لأنه يطرد الكافرين من رحمته. . ويبقيها للمؤمنين وحدهم. . إذن الصفة لم تتغير، ولكن الذى تغير من تشملهم هذه الصفة. . ففى الدنيا كل عبد يأخذ من رحمة الله. . عدد هائل، فهو رحمن، وفى الآخرة يقل هذا العدد.

[٢١]

رب المشرق والمغرب

س: ما الفرق بين رب المشرق والمغرب، ورب المشرقين والمغربين، ورب المشارق والمغارب؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى:

١- قال الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب. . ولم يقل رب المشرق ورب المغرب. . أو لله المشرق، أو لله المغرب. . حيث كان المعتقد وقت نزول القرآن أنهما جهتان مختلفتان تمامًا. . متقابلتان بالنسبة للعين المجردة. . ولكن قول الله سبحانه وتعالى رب المشرق والمغرب. . معناها أن الشروق والغروب يتم فى وقت واحد. . أى أن الشمس تغرب على بلد فى نفس الوقت تشرق فيه على بلد آخر. .

٢- تأتى بعد ذلك للآية الكريمة ﴿**رب المشرقين ورب المغربين**﴾ فالكرة الأرضية فى عموميتها لها مشرقان. . مشرق تضىء منه الشمس نصف الكرة ومغرب. . ثم تستدير الكرة كلها. . فيأتى نصف الكرة الآخر فيكون له مشرق ومغرب. . إذن، فآية رب المشرقين ورب المغربين تعرض لنا بأن نصف الكرة يكون ظلامًا ليس له مشرق ولا مغرب. . والنصف الآخر يكون مضيئًا له مشرق ومغرب. . وعندما ينعكس الوضع يصبح هذا النصف له مشرق ومغرب. . وهذا النصف لا مشرق له ولا مغرب. . وهكذا فى عمومية الكرة الأرضية. . هناك مشرقان ومغربان. .

[١٢]

لماذا سورة «الإخلاص» بعد «الكافرون» و«النصر» و«المسد»

س: لماذا وردت سورة الإخلاص بعد الكافرون والنصر والمسد؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى:

ترتيب سورة الإخلاص بعد سور الكافرون والنصر والمسد ترتيب ضرورى؛ لأن الأولى تقطع العلاقات تمامًا مع الكافرين؛ لأنهم مصرون على الكفر. وهذا القطع جاء من ناحية الرسول -ﷺ- فى قوله: ﴿لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾[١] والثانى ﴿وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ وفى هذا معنى التوحيد ورسوخه فى الأذهان، وهنا أكدت الآية قطع العلاقة مع الكافرين تحت أى ظروف. ويستفاد من معنى قطع العلاقات، الاعتراف بوجود خصم وبدين هو عليه يعيش، لكن: أيظل الوضع هكذا؟ فجاءت سورة النصر: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾[٢] مشيرة إلى القضاء على الكفر والمعاندين، وقد يعنى ذلك أن كل الكافرين سيؤمنون بدين الله، لذا جاء الاستثناء القرآنى مؤكدًا وجود كفار معاندين مثل أبى لهب يحاربون الدعوة، ولذلك كانت سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[٣] الثالثة بعد السورتين السابقتين تستثنى صنديدًا من صناديد الكفر من الإيمان، بعد ذلك تأتى سورة الإخلاص؛ لتقرر حقيقة أن مصدر كل ما سبق من الآيات هو إله واحد فكل ما قيل هو كلام واحد ثابت لا معقب عليه، ولا تغيير فيه، وبذلك انسجمت كل السور مع بعضها.

---

(١) سورة الكافرون: ٢ .
راجع تفسير القرطبى (٢٠/ ٢٢).

(٢) سورة النصر: ١ .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٠/ ٢٣٣).

(٣) سورة المسد: ١ .
تبت: خَسِرَت: من التباب وهو الخسران.
راجع القرطبى فى المعنى: (٢٠/ ٢٣٥) والطبرى (٣٠/ ٢١٧) والفخر الرازى فى التفسير الكبير (٣١/ ١٧٣) والخازن (٤/ ٣١٧) ومختصر ابن كثير (٣/ ٦٨٩).

[١٣]

ولا تزر وازرة وزر أخرى

س: هناك آية كـريمة تقـول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾(١) وآية أخـرى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيـنَ يُضِلُّونَهُـم بِغَيْـرِ عِلْمٍ﴾(٢). سيدى الجليل.. ألا يوجد تناقض بين الآيتين؟ نرجوا الإفادة ولكم من الله الجزاء.

(جـ): معنى: «لا تزر وازرة وزر أخرى» أن عدالة الله ألا يؤاخذ غير مذنب بذنب سـواه، فليس هناك عقـاب لا شفعـة.. لكن يرد فى القرآن الكـريم أيضًا: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَـةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِيـنَ يُضِلُّونَهُـم بِغَيْـرِ عِلْمٍ﴾(٣).. نقـول: لا تناقض؛ لأن الذين حملوا أوزارهـم هم الذين أضلوا سواهم، حـملوا أوزار سواهم، فالأول وزر الضلال، والثانى وزر الإضلال.

[١٤]

التوكـــل والتفويـــض

س: ما المقصود بالتوكل والتفويض؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى:

إن الصدق فى التوكل يعنى «أن يتعب بدنك، ويرتاح قلبك».

لذلك فالله جل وعلا يطمئن المؤمنين الذين يصيبهم القلق والخوف من بطش ذوى السلطان.. فى مسألة الرزق فقال:

﴿فَلْيَعْبُـدُوا رَبَّ هَـذَا الْبَيْـتِ ۝ الَّـذِي أَطْعَمَهُـم مِّـن جُـوعٍ وَآمَنَهُـم مِّـنْ خَوْفٍ﴾(٤).

---

(١) سورة الأنعام: (١٦٤) وسورة الإسراء: (١٥)، وسورة فاطر: (١٨)، وسورة الزمر: (٧).

(٢) سورة النحل: ٢٥ .

(٣) سورة النحل: ٢٥ .

(٤) سورة قريش: ٣، ٤ .

راجع تفسير القرطبى (٢٠/ ٩٠)، والفخر الرازى فى الكبير (٣١/ ٨).

إن الجوارح تعمل، والقلوب تتوكل، فهاتان المسألتان هما سبب إرهاق الناس كلها.. لذلك يقول لنا الرحمن: اتركوا هاتين المسألتين لى؛ لأنى أضمنهما للمؤمن، وعلى المؤمن أن يتقن عمله فيما دون ذلك.

وقد يظن البعض أن العبادة هى إقامة فرائض الدين، كالصلاة والزكاة والحج، لكن فرائض الدين لا تتضمن إيمان الدين فقط، لكن يضاف إليها العمل؛ لأن العمل عبادة لله، لأنه استخلفنا فى الأرض.

لذلك، فعلينا أن نتقن العمل، ولا نحمل هموم الرزق.

التفويض: أشمل وأهم من التوكل، والتوكل كما هو معلوم: من أرقى المراتب ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[1].

ولا مرتبة تعلو على مرتبة الحب التى يسعى ويجد إليها كل مؤمن.

والتفويض: لا ينافى التوكل، بل لا يكون إلا معه، مقارنًا له.

وكأن التفويض أشمل من التوكل؛ لأن التوكل لا يأتى إلا بعد وقوع السبب الداعى إليه.

أما التفويض: فيكون قبل وقوع السبب، وبعده.

وهو يؤدى إلى الاستسلام الكلى، وتسليم الأمور كلها من حاضرها ومستقبلها، أسبابها ومسبباتها، لأن علمه تعالى وإرادته للحادثات، صفتان قديمتان، متلازمتان، يستحيل عليهما التبديل والتغيير، إلا ما قضى به الحكيم الخبير، مما أثبته فى اللوح المحفوظ من مسطور.

والتوكل: جاء فى القرآن الكريم عشرات المرات، بيد أن التفويض: لم يأت سوى مرة واحدة ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ**﴾[2].

والتفويض: ألا يرى المرء فى أعماله -مهما حسنت- عملاً منجيًا.

وألا يرى فى ذنوبه -مهما ساءت- عملاً مرديًا.

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٩.

راجع جامع البيان للطبرى (٧/ ٣٣٤)، والقرطبى.

(٢) سورة غافر: ٤٤.

انظر الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٣١٩)، والبحر المحيط (٧/ ٤٦٦).

[١٥]

حقيقة التوكل

التوكل والتواكل مصطلحان يجريان على ألسنة الناس، وقد لا يعرفهما حق المعرفة كثير من الناس.

والتوكل دائمًا على الله بعد العمل الجاد، ثقة ويقينًا بجزائه، وثوابه للعاملين ﴿نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾(١).

والتواكل يكون على الغير، من غير عمل، ومن غير نشاط فى حركة الحياة.

س: فما هى حقيقة التوكل؟

(جـ): يقول الإمام الجليل الشيخ الشعراوى:

إن للمؤمن قلبًا وجوارح، وحيث تتعب جوارحه ينبغى أن يتوكل قلبه.

الجوارح تعمل، والقلوب تتوكل، وتلك هى مسألة المؤمن.. أما من يتصور أن التوكل يعنى الانصراف عن العمل، ويدعى أن الله يرزقنا كما يرزق الطير... نقول له: إن الطير ليست مكلفة بأن تزرع، وعملها هو أن تنال رزقها وتمضى.

ولهذا نقول للذى يريد أن يتفنن باليقين والتقوى، ويجعل من التوكل حرفة... نقول له: سنحضر لك مائدة شهية، ونضع الطعام على المائدة، فأرنا كيف تتوكل -بمفهومك- ولا تمد يدك إلى الطعام، فهل تقفز اللقمة وحدها إلى فمك؟

إن هذا الشخص كذاب التوكل.

وإنما حقيقة التوكل، أن يتعب بدنك، ويرتاح قلبك.

[١٦]

معنى التوكل على الله

س: ما معنى التوكل على الله؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى:

(١) سورة آل عمران: ١٣٦.

أنت تجد حاكمًا تخضع له، ثم يذهب الحاكم ويضيع خضوعك، لكن الله يزيل عنك هذه العبودية، أنت تخضع لرجل ذى مال، ثم يأتى ليفلس، وتجد نفسك لا شيء، ولكن الله سبحانه وتعالى يزيل عنك هذه العبودية - أنت تخضع لإنسان تظهر أنه يملك شيئًا، لكنه يتخلى عنك، وبدلاً من أن يعطيك ما تريد، يعطيك الخوف والفقر، أنت تعبد مالاً أقنيته، أو ذهبًا أخذته، أو قوة جعلتك تتفوق على غيرك، أو سلاحًا تملكه ولا يملكه آخر.. هذه هى عبادات الدنيا، ثم يذهب هذا المال أو تضيع هذه القوة، أو يأتى إنسان بسلاح جديد يهزمك، المهم أن الله سبحانه وتعالى يريد أن ينجيك من كل هذا.. يريد أن ينصحك يقول لك: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ ﴾[1] فإذا طلبته وجدته، فهو القوى وقوته أزلية، وهو القادر وقدرته لا تزول، وهو المتحكم وحكمه لا ينتهى، وعرشه قائم حتى قيام الساعة، كلمته هى النافذة فى كل وقت، وفى كل عصر، وفى كل زمان، هو الله وحده لا ينازعه أحد ولا يستطيع، وهو القوى حين يضعف كل شيء، وهو القادر حين تزول القدرة عن الدنيا كلها، وهو الذى يستطيع أن يبدل العسر يسرًا، والظلام نورًا، والضيق فرجًا، ولا يطلب لذلك كله ثمنًا ولا جزاء، إلا أن تقول: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[2].. فكيف تترك الله، وتعتمد على سواه.. وكيف لا تتوكل على الحى الذى لا يموت.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾[3] فى هذه الآية كان الشغل الشاغل للإنسان هو رزقه، فخاطبه الله سبحانه وتعالى أولاً بقوله: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ ﴾. ليطمئنه أولاً على رزقه، وهناك رجل ميسر فى الرزق، لكنه يخشى الفقر من الأولاد، فالله طمأنه على أن الأولاد لن يأخذوا من رزقه شيئًا بقوله

---

(١) سورة الفرقان: ٥٨ .

راجع وانظر ما ذكره الإمام الرازى في تفسيره الكبير (٢٤/ ١٠٤) بتصرف.

(٢) سورة الفاتحة: ٥ .

ولكونه تعالى مولى أعظم النعم، فكان حقيقًا بأقصى الخضوع. من الكشاف (١/ ١١) بتصرف.

(٣) سورة الأنعام: ١٥١ .

زاد المسير (٣/ ١٤٨)، وراجع تفسير الطبرى (١٢/ ٢١٨).

سبحانه وتعالى: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾(١) . . إذن فالتغير هنا لازم وضرورى . . يخاطب كل حالة على حده . .

ولكن لماذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وقال: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ . . ولم يقل: نحن نرزقكم جميعًا؟ لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن نعرف أن لكل إنسان فى هذه الدنيا رزقًا مستقلاً عن الآخر . . وهذا الرزق الذى قسمه الله سبحانه وتعالى لا يستطيع إنسان آخر أن يأخذ منه شيئًا، ومن هنا، فالمولود لا يأخذ من رزق أبيه شيئًا، والوالد لا يأخذ من رزق ابنه شيئًا.

[١٧]

الرجوع فى الإيمان بغير شعور

س: هل يرجع الإنسان فى قضية الإيمان دون أن يشعر؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى إجابة عن هذا السؤال:

إن عزلت الشىء الذى يبلغك عن الله لتبحثه بحثًا دقيقًا؛ فاعلم أنك رجعت فى قضية الإيمان بالله.

ويجيب الشيخ الجليل فى دقة بيانية وعقدية قائلاً:

أنت حر فى أن تؤمن أو لا تؤمن . . . ولكن إذا آمنت بالله، فتقبل كل ما يأمر به الله دون مناقشة التفاصيل، وإلا فتكون قد رجعت فى قضيتك الأولى. وهى أصل العقيدة الإيمانية.

ويضيف العالم الجليل فيقول:

الله تعالى يريد أن نستقبل ما يأتينا منه استقبالاً فيه تسليم، لأنه سبق لك أن آمنت به . . . ولهذا حين يكلف الله عباده بشىء لا يقول أكلفكم بكذا، بل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾(٢). يعنى يا من آمنت بى إلهًا عالمًا حكيمًا قادرًا، فإنى أكلفك بكذا . . .

---

(١) سورة الإسراء: ٣١ .
انظر الفخر الرازى فى الكبير (٢٠/ ١٩٥).

(٢) سورة البقرة: ١٨٣ .
كُتِبَ عليكم: أى: فُرِضَ عليكم.

[١٨]

الشـــرك العلـــنى

تمهيد:

فى مجلة إسلامية ذائعة الصيت، بعيدة الانتشار، ورد مقال لأحد الإخوة من محرريها، وذيل هذا المقال بدعاء يقول فيه:

«اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد.. الكهف الحصين، ومنقذ الملهوفين، ومنجى الخائفين، وكهف التائبين... إلخ».

وأسفت أشد الأسف على هذا، ونسأل الله الهداية والتوفيق وحسن الختام.

يقول الشيخ الشعراوى: كل ما ورد من إطارات الأسماء أو الصفات لله ونظيره موجودة فى الخلق. فنحن نقتصر على القدر الذى وصف الله به نفسه، أما كيفيات الأشياء، فلا ضرورة لها فى الإيمان.. الله قال: أنا سميع.. أنا بصير.. إذن له سمع وله بصر، لا تأخذ أنت من الصورة التى تعرفها للسمع وللبصر فى الخلق وتقول: إن سمع ربنا وبصره مثلنا.. لماذا؟ لأنك أنت حاكم بأن ربنا له وجود، والخلق لهم وجود.. هل وجود خلقه كوجوده؟ لا.. ما دام وجود خلقه ليس مثل وجوده، فلماذا تريد أن تجعل سمع خلقه مثل سمعه وبصر خلقه مثل بصره.. إنك فى إطار أنه مخالف.. الله حى.. والإنسان حى يتكلم الآن.. هل الحياة عندى كالحياة عنده؟ لا.. فإذا ورد اسم، أو وصف لله يوجد مثله فى البشر، فأنت أمام أمرين: ألا تمثل، وألا تعطل. تعطل تقول: لا، ليس له سمع «لأن السمع للبشر» نقول له: أنت تقيس؛ لأن السمع عندنا له آلة، وأنت نزهت الله عن هذه الحكاية، صحيح أنت تريد أن تنزه، ولكن لماذا تعطل النص؟

قال الله تبارك وتعالى: إن لى سمعًا.. فأنت تأخذ على أن له سمعًا ولكن كيفية السمع هذه ليست عملى، والكيفيات دائمًا ليست محل إيمان.

[١٩]

امتنـــاع الشرك

س: ما معنى الشرك؟

جـ: الشرك هو وجود الله، مع إثبات شركاء معه. والشرك نوعان:

أولهما: افتراض اتفاق الإلهين.

والثانى: افتراض اختلافهما.

فالأول: هو اشتراك الاثنين فى شىء واحد.

والثانى: إن كانا مختلفين، تتحـول المشكلة إلى افتراض هل ينفذ الحدث أم لا ينفذ، والحدث ذلك إما موجود، أو غيـر موجود يريد أحدهما وجوده، والثانى لا يريد. وإن وجد صار ذلك هزيمة لمن لا يريد وجـوده، وإن لم يوجد صار ذلك هزيمة لمن يريد.

وبذلك يمتنع الشـرك بكل صورة ﴿ **وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ** ﴾[1] وإنه لو حدث ذلك الاصطراع؛ لأصبح هناك إله عال، ومعلو عليـه. ثم قد يتبادل الاثنان الموقعين فى اصـطراع آخر، مما ينتفى مع الكمال المطلق الذى يتصف به الخالق، فهؤلاء المشركون المساكين حين يرون شيئًا له فاعليـة فى الكون مثل الشمس، عليـهم أن يدركوا أنها مـسخرة لله، لأن العـبادة معناها ائتمار العـابد بأمر المعبود، ومحورها ومدارها علـى اتباع منهج المعبود بكل تشريعاته، وتكاليفه.

[٢٠]

الفطـرة ترفـض الشــرك

س: الفطرة التى فطر الله الناس عليـها ترفض الشـرك، ولكن ما يـحدث من شرك خفى، وغيـر خفى إنما تكون بتدخل الشياطين فى أعمـاق النفس البشرية من جانب، ومن جانب آخر إلى غلبة الظروف المحيطة من عقدية أو فكرية أو نفسية... إلخ.

فإذا ما احتكم الواقع للفطرة، نراها ترفض الشرك، وتستريح بالوحدانية، ولا ترضى بها بديلاً، ولا عنها حولاً.. فما رأى الشيخ الشعراوى فى ذلك؟

---

(١) سورة المؤمنون: ٩١

قال ابن كثـير فى المختصـر (٢/ ٥٧٣): «المشاهد أن الوجود منتظم متسـق غاية الكمال، فدل على تنزه الله عن الولد والشريك». اهـ بتصرف.

جـ: يقول فضيلة الإمام: قال تعالى: ﴿ **فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾(١) أى لا تجعلوا لله شركاء وأمثالاً وأنتم تعلمون أنها لم تخلق، ولم تجعل الأرض فراشًا، ولم تجعل السماء بناء، ولم تنزل ماء من السماء.. أنتم تعلمون أنها لم تعمل شيئًا من ذلك. فلماذا جعلتموها أندادًا لله؟. كأن الله يقول: هاتوا لله ندًا يعارضنى فيقول: لا.. أنا الذى جعلت السماء بناء.. أنا الذى أنزلت من السماء ماء، فإن كانوا لم يصنعوا فلا يجوز أن يكونوا أندادًا وإن كانوا قد صنعوا، فلماذا لم يعارضونى.

إذن فلماذا ادعى الكفار أن لله أندادًا؟

ذلك لأن الأنداد لا يقيدون حركة المشركين كما يقيدها الله، فالذى يقيد حركة حياتكم جعلتموه ندًا، والله حين يقيد حركتك فإنما يقيدها حبًا لك، لأنه حينما قيد حركتك، قيد من أجلك حركات الملايين، أما الأنداد فليست لهم مطلوبات، ولذلك فالكافر يحب الأنداد كحب الله، والذين آمنوا أشد حبًا لله، وذلك لأنه قيد حركاتنا من أجل أمننا واستقرارنا.

انظروا إلى قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ** ﴾(٢) لماذا لم يدع الند؟ لأنه يعلم أنه لا يخلق، ولا يملك كشف الضر، ولا تحويله فيذهب إلى الرب الحقيقى الذى يملك كل شىء وبيده كل شىء (منيبًا إليه) وكلمة (منيب) تدل على أنه كان منصرفًا عنه، ثم عاد إليه.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ** ﴾(٣).. ورجع إلى الأنداد بعد كشف الضر، والله تعالى يقول: ﴿ **وَجَعَلَ لِلَّهِ**

---

(١) سورة البقرة: ٢٢ .
الأنداد: الشركاء والأمثال.
انظر القرطبى، والطبرى، والسيوطى فى الدر المنثور (١/ ٣٥).

(٢) سورة الزمر: ٨ .
انظر الطبرى (٢٣/ ١٢٨) والقرطبى (١٥/ ٢٣٨) وحاشية زاده على البيضاوى (٣/ ١٩٣) وتفسير أبى السعود (٤/ ٣٠٣) والكشاف (٣/ ٣٨٩).

(٣) سورة الزمر: ٨ .
راجع تفسير القرطبى (١٥/ ٢٣٨) وتفسير الطبرى (٢٣/ ١٢٩) وكذلك تفسير أبى السعود (٤/ ٣٠٢).

أنداداً لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً ﴾(١) . . لأن الأمد لا يظل لك: ﴿ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾(٢).

[٢١]

السجـود لغيـر اللـه

س: قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾(٣). فكيف يكون السجود لغير الله، وكان إبليس كافراً؛ لأنه لم يسجد لآدم وآدم مخلوق لله؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى: لأن الأمر بالسجود لآدم جاء من الله سبحانه وتعالى للملائكة مباشرة، وأمر الله واجب الطاعة والتنفيذ دون مناقشة، أو مجادلة أو مراجعة. فالأمر صدر للملائكة ومنهم إبليس بالسجود لآدم، وهذا الأمر صدر من الله الذى خلق الملائكة وخلق آدم. فالأمر من الخالق الآمر له الطاعة والامتثال، وإبليس كفر؛ لأنه رد الأمر على خالقه، وأصر على خطئه.

[٢٢]

لمـاذا لا نـرى اللـه ؟

س: ما الحكمة فى أننا لا نرى الله؟ سؤال فطرى، لكن يخطر على النفس البشرية ويجرى على الخاطر إيغالاً فى الفضول والاستقراء.. ولكن هل يمكن للإنسان الذى لا يدرك الروح التى فى داخله، والتى تقوم بها حياته ووجوده وهى أقرب إلى نفسه من نفسه كيف يقدر أو كيف يطمع ويطمح إلى أن يرى الله سبحانه وتعالى، تجلت قدرته؟

جـ: يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

من عظمة الله أنك لا تدركه، ولو أدركته لما صح أن يكون إلـهًا. . . لأن

---

(١) سورة الزمر: ٨ . (٢) سورة الزمر: ٨ .

(٣) سورة البقرة: ٣٤ .

راجع الدر المنثور للسيوطى (١/ ٥١، ٥٢) والطبرى (١/ ٥٣٣) والقرطبى (١/ ٣١٠) والبحر المحيط لأبى حيان (١/ ١٥٨).

إدراك العقل لشيء، أو إدراك العين لشيء معناها أن هذا الشيء أصبح مقدورًا عليه، فإذا أنت أدركت الحق تبارك وتعالى، انقلب القادر مقدورًا عليه، والمقدور عليه قادرًا، لأنك قدرت على أن تراه، ولذلك فمن عظمة الله تبارك وتعالى أنك لا تدركه. وإذا كان الحق يصف نفسه فيقول: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[1]، وإذا كان النور يجيء منه الضوء، والضوء ذاته لا يرى إنما ترى به الأشياء، فنقول للذى خلق هذا كيف لا يدرك؟.

يُدْرِك ولا يمكن أن يُدْرَك، لأن من خلقه ما لا يرى، وما لا يُدرك، فكيف تتسامى أنت لتدركه هو؟.

إذن فعدم إدراكه يؤكد ألوهيته بحق وصدق.

[٢٣]

مثل نوره كمشكاة

قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ**﴾[2].

ولما سئل النبى -ﷺ- هل رأى ربه فقال -ﷺ-: «**نور أنَّى أراه**»[3].

وفى ليلة الإسراء عندما تجاوز السموات العلا قال -ﷺ-: «**وزج بى فى بحار من النور**». وقد لا يرى النور من قوة شدته، وشدة قوته، فإذا كانت الشمس وهى مخلوق من مخلوقات الله لا يمكن للبصر أن يثبت حيالها، فكيف تطيق هذه العين بسيطة التركيب النور الإلهى الغامر الدافق؟ سبحان الله تباركت أسماؤه وتبارك اسمه وجلت صفاته، وصفت نورانيته (نور على نور).

---

(١) سورة النور: ٣٥.

راجع البحر المحيط لأبى حيان (٦/٤٥٦)، والطبرى (١٨/١٠٨)، والقرطبى (١٢/٢٣١)، ومختصر ابن كثير (٢/٦٠٦)، والتسهيل لابن جزى (٣/٦٦).

(٢) سورة النور: ٣٥

(٣) أى: نور فى نور فكيف أراه؟؟!!.

[٢٤]

اللات والعزى ومناة

وتسأل قارئة:

عن معنى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾(١).

جـ: ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

معنى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ﴾(٢) فإن اللات والعزى ومناة أصنام كان الناس فى الجاهلية يعبدونها، ويدعون أنها آلهة، وشركاء لله.

فيقول الحق: هل ترون أن هذه الأصنام شركاء لله وأنتم الذين تنحتونها وإذا تصدعت تصلحونها بأيديكم.

وبعد ذلك تقسمون الكون، فتجعلون الملائكة إناثًا لله، وتجعلون لكم الذكور؟ فهل من المعقول أن يخلق الله الخلق، وتختارون أنتم لأنفسكم ولله؟ فهذه قسمة جائرة.

ثم يقول الحق بعد ذلك موضحًا الحقيقة: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾(٣).

[٢٥]

الإسلام والإيمان والإحسان

سئل -ﷺ- عن الإسلام فقال:

---

(١) سورة النجم: ١٩، ٢٠.

راجع القرطبى (١٧/ ١٠١)، والطبرى (٢٧/ ٣٤)، والبحر المحيط لأبى حيان (٨/ ١٥٣)، والخازن (٤/ ٢١٨)، والرازى (٧/ ٧٤٠)، والكشاف (٤/ ٣٠، ٣١)، وروح المعانى للألوسى (٢٧/ ٥٤، ٥٥).

(٢) سورة النجم: ١٩، ٢٠.

(٣) سورة النجم: ٢٣.

«شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(١).

وسئل -ﷺ- عن الإيمان فقال:

«أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، خيره وشره».

وسئل -ﷺ- عن الإحسان:

فقال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»(٢).

صدق رسول الله -ﷺ-.

[٢٦]
الإسلام صفة واسم وصفة وعلم

تمهيد:

جاء نور الإسلام شاملاً أقطار الدنيا، وأرجاء الكون إلى يوم البعث، ورسالة الإسلام جاءت بالمنهج القويم، الذى يسعد البشر، ويسدى إليهم الخير فى الدنيا وفى الآخرة، وما سبق الإسلام من ديانات قديمة، كانت أيضًا مشتقة من الإسلام، وإنما الإسلام الذى بعث به سيدنا رسول الله -ﷺ- اندمجت فيه هاتيك العطاءات الربانية مجملة.

ولا يخامر المحقق شك فى أن هذا الإسلام إنما جاء معجزًا لكل إنجازات، العقل البشرى، ولو أنه أرسل قبل وقته وأوانه؛ لتعذر على العقل والفكر الإنسانى استيعاب جرعاته العلاجية، إنما جاء فى التوقيت المناسب للنمو الفكرى للأفهام من ثم كان تقبله، واحتمال تكاليفه.

وقد ورد فى القرآن الكريم ما يجلو لنا أن الديانات السابقة جمعاء كانت مشتقة من الإسلام، وعلى ملته السمحة، ومن ورده السخى فرع صغير.

---

(١) أخرجه مسلم (٨)، وأبو داود (٥/ ٧١/ ٤٦٩٥) والنسائى فى السنن (٨/ ٩٧).
(٢) لذلك كان الإحسان من أعلى المقامات.

قال تعالى فى سورة البقرة:

﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(١).

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(٢).

س: والسؤال الآن: كيف نفرق بين الإسلام الذى كان فى الديانات السابقة وبين الإسلام الذى أنزله الله خاتمًا لهذه الديانات على أشرف وأكرم مرسل سيدنا محمد - ﷺ -؟

جـ: يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

يقول سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٧٧) وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٣).

النص القرآنى هنا صريح، ومحدد بأن الإيمان مرتبط بالعبادة، والعبادة ترتبط بفعل الخير، وفعل الخير يستدعى الجهاد فى سبيل الله الذى اختار الإيمان للمؤمنين، واختار المؤمنون الإيمان به، وليس فى الدين ما يجعل الإنسان فى حرج... إن الإسلام هو الدين الخاتم، والإسلام هو الدين الأول، فإبراهيم أبو المؤمنين، وقد سمى الله به المؤمنين المسلمين، وأنتم مسلمون فى الكتب السابقة على القرآن لرضاء المؤمنين بما شرعه الله فكونوا كما سماكم الله مسلمين ولتكن

---

(١) سورة البقرة: ١٣٣.

(٢) سورة البقرة: ١٣٦.

(٣) سورة الحج: ٧٧، ٧٨.

عاقبة إسلامكم هى إتقان هذا الإسلام؛ حتى يشهد الرسول لكم يوم القيامة بأنه بلغكم بالدين، وعملتم بما أبلغكم به، فتسعدوا فى الحياة الدنيا، وفى الآخرة.

وهكذا نرى أن الله سمانا المسلمين، ولم يصفنا بالمسلمين، لأن الإسلام للمؤمن، وصف واسم وعلم.

ولذلك معنى واضح وهو أن الدين عند الله هو الإسلام، ولأن الاسم أصبح وصفًا لنا وعلمًا علينا، لكن الإسلام بالنسبة للسابقين علينا هو وصف فقط. ومن ثم فإن كل الديانات موصوفة بأنها مسلمة، ولكننا نحن -أتباع محمد- مسلمون بالوصف، والاسم والعلم... وإسلامنا للأعلى جل شأنه.

[٢٧]

الإسلام اسم وصفة وحال وعلم

س: ما الفرق بين ورود (الإسلام) اسمًا، وصفة، وحالاً، وعلمًا، وهل له فى كل موضع دلالة معينة؟

جـ: إذا نظرنا إلى كلمة (إسلام) وجدناها قد جاءت اسمًا، ووصفًا، وعلمًا.

الشىء إذا كان وصفًا يظل يحمل معناه. لكن الشىء إذا كان اسمًا، فإنه يأخذ معناه وأكثر من معناه.. لنأخذ مثلاً يدل على ذلك: إذا قال أحدنا: (هل رأيت القمر)؟ فإن المستمع ينصرف ذهنه إلى الكوكب الفضى المضىء الذى يضىء ليل الأرض، ويأخذ ضوءه من الشمس. ولكن إذا سمى واحد ابنته (قمر) فهل معنى القمرية يظل موجودًا فى هذه الفتاة لا.. لأنه قد تكون غير جميلة، ويسميها والدها (قمر).. تمامًا كما قد يكون هناك إنسان شقى فى حياته، رغم أن والده أسماه (سعيد).

لكن كلمة (إسلام) هى اسم، ووصف، وعلم. لماذا؟ لأن الإنسان لا يسلم قيادة إلا لمن هو أقوى منه، ولا يسلم قيادة لمساويه. الصفة ثابتة، لكن الحال متغيرة.. والجمل بعد المعارف أحوال، وبعد النكرات صفات.

فمثلاً قولنا: (سارت السيارة وهى محترقة) يختلف تمامًا عن قولنا: (سارت سيارة وهى محترقة) فالجملة الأولى وردت (وهى محترقة) جملة اسمية، فى محل نصب حال وهى متغيرة. أما الجملة الثانية: (وهى محترقة) فهى جملة اسمية، فى محل رفع صفة، أو نعت للفاعل المرفوع (سيارة) والصفة ثابتة إنما الحال متغيرة.

[٢٨]

أطيعـوا اللـه وأطيعوا الرسـول

س: قال تعـالى فى كتـابه الحكيم: ﴿أَطِيعُـوا اللَّـهَ وَالرَّسُـولَ﴾[١] وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ﴾[٢] وقال: ﴿أَطِيعُـوا الرَّسُـولَ﴾[٣] فهل هناك اختلاف بين الأوامر الثلاثة بالطاعة فى كل من هذه الآيات؟

جـ: يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى: عندما يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**أَطِيعُـوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**﴾ فإن لله حكمًا ولرسوله فى نفس الحكم كلام.. إذن فأنا لا أكرر طاعـة.. أنا أطيع الاثنين، لأن الاثنين تواردا على الأمـر.. الله أمرنا أن نصلى والنبى أمـرنا أن نصلى.. الله أمرنا أن نزكى والنبى أمـرنا أن نزكى.. إذن المطاع متحد فى أمر الطاعة.

وعندما يقول الحق: ﴿**أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُـوا الرَّسُـولَ**﴾ فالله يأمـر إجمالاً والرسول يفـصل الأمر أطعت الله فى الإجـمال فى الحكم، وأطعـت الرسول فى التفصيل. ولكن عندما يقول سبحانه وتعالى: ﴿**أَطِيعُـوا الرَّسُـولَ**﴾ فالله لم يتكلم فى الحكم بتـاتًا، والرسول هو الذى جـاء بالحكم من عنده، ومن هنا فالله عـندما يأتى بهذه الآية، يأتى فى نفس الوقت بآية: ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾[٤] حتى لا تظن أن طاعة الرسول منفصلة عن طاعة الله. لماذا؟ لأن الرسول مفوض، وأنا حينما أطيع المفوَّض، أكون قد أطعت المفوِّض.

---

(١) سورة آل عمران: ٣٢ .

(٢) سورة النساء: ٥٩ .

(٣) سورة التغابن: ١٢ .

(٤) سورة النساء: ٨٠ .

راجع تفـسير القـرطبى (٥/٢٨٨)، والطـبرى (٨/٥٥٩)، والدر المنـثور للسيـوطى (٢/١٨٥).

ب - الروح وتحضير الأرواح والإسراء والمعراج

[٢٩]

تحضير الأرواح المزعوم وعلاجهم للمرضى

• تسأل السيدة س.م.م من الزيتون:

• عن حكم تحضير الأرواح، وعن علاج الأرواح للمرضى، وعن علاج المرضى بالقرآن الكريم؟

- يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

وما الذى أعلمهم أنها أرواح لله؟ هل يعرفون الروح حتى إذا حضرت قالوا: هذه هى الروح التى نعرفها؟

يمكنهم أن يقولوا إنهم يحضرون قوى خفية، ولكن يحضرون أرواحًا فلا. وكل ذلك غير مقبول[١].

ولقد اشتغل الناس بذلك من قديم، ولم يتقدم هذا العلم خطوة واحدة برغم أن بقية العلوم تقدمت وتطورت بشكل هائل، مما يدل على أنهم يبحثون فى غير موضوع تجريبى، لأن البحث العلمى يحتاج إلى المعمل، وإلى التجربة، وهذا العلم لا تتوافر فيه التجربة، ولا يتوافر فيه المعمل.

ومن يقول: إنه يحضر الأرواح عن طريق القرآن فهو كاذب مدلس، وكل ذلك يتم عن طريق الشعوذة. فيحضرون الجن.

وهؤلاء الذين يقولون عن أنفسهم ذلك، ويدعون تحضير الأرواح، نجدهم أشقى الناس حالاً، وأتعب الناس فى أمور دنياهم، ولا يوجد واحد منهم يموت بخير أبدًا، وأرزاقهم تؤخذ ممن لا يعلمون بعلمهم، وفى هذا أكبر دليل على أنهم لا يستطيعون نفع أنفسهم.

---

(١) راجع إن شئت كتاب: «السحر وتحضير الأرواح بين البدع والحقائق» تأليف السيد الجميلى السابق.

ثم إن اشتغال الناس بالغيب يتعبهم، ولقد كان يجب على الناس أن يعرفوا قدر أنفسهم، ويعلموا أن الله ستر الغيب عنهم رحمة بهم، وإلا فلو أن الإنسان عرف حدثًا واحدًا يحزنه، فإن هذا الحدث يطغى على كل الأحداث السارة فى حياته. والذى يخبرنى بغيب لا يستطيع دفع هذا الغيب فما الذى أستفيده إذن؟

[٣٠]

الروح هذه وتلك

س: هل الروح التى ينفخها الله تبارك وتعالى فى المادة لتتحرك، وتحس هى نفسها التى يعطيها الله فى منهجه القرآنى؟ لا سيما أنه من المعروف أن جسم الإنسان له شقان هما: البدن والروح، ومن المعروف أيضًا والمتفق عليه أن الروح من الله أى رحمته، والروح الأمين هو جبريل، وعطاء الله فى منهجه القرآنى هو روح أيضًا.. فما هو رأى فضيلة الإمام فى ذلك؟

جـ: كلا. . . فإن الروح الأولى يشترك فى حياتها المؤمن، وغير المؤمن.

لكن الروح الثانية هى تلك التى تعطى حياة أسعد، وأخلد، وأفضل، وهذه هى الحياة الحقيقية.

[٣١]

الروح والمادة

س: نعلم أن الإسلام يوازن بين الروح والمادة.. ولكن هناك آراء تقول: هناك فرق بين الروح والمادة، وكل ينتمى إلى عالمه الخاص، كيف التوفيق بينهما، وهما على طرفى نقيض. ليت إمامنا الجليل يفسر لنا ما غمض علينا بارك الله لنا فى عمره.

جـ: الروح والمادة. . هذا كلام نظرى. . الروح على إطلاقها خيرة. . الفساد يأتى من أن الروح تذهب إلى المادة، وتتكون النفس، ثم النفس تفعل أفعالاً.

إنما مادة هذا الوجود كله. . ، مادة خيرة، ومسبحة، وعابدة.

ولذلك يوم أن تنحل إرادة المريد عن مادته.. تأتى مادته على طبيعتها: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1] لأنه لم يعد له ولاية، الولاية أصبحت لله، كانت الولاية لإرادتك على جوارحك. (يا يد اضربى فلانًا.. يا يد اعملى كذا وكذا، لا تستطيع أن تعصى؛ لأن لك ولاية عليها).. فى يوم القيامة ليس لك ولاية عليها؛ لذلك شهدت عليك؛ لأن الولاية انعدمت.

مادة الكافر مسبحة.. وانفعالها لإرادته كفر (انظر الحكمة؟ المادة نفسها مسبحة، ولكن انفعالها لإرادة الكافر هى الكافرة) فلا تقل يا بنى، روحية ومادية، فهذا كلام سطحى، وليس كلامًا علميًا.. فالأشياء بطبيعة وجودها مسبحة عابدة.. ولذلك لا توصف المادة وحدها، ولا توصف الروح وحدها، إنما الكلام عن النفس، ومعنى النفس: أن الروح تلتصق بالمادة، ثم يأتى الاختيار وغيره، ومن هنا يأتى الخلل.. هل وضح الأمر؟!!.

[٣٢]

بين الروح والجسد

س: شقان ينتهى إليهما الكيان البشرى: عنصر الروح، وعنصر الجسد، وكلاهما متمم مكمل للآخر، ولا يتفاعل الجسم البشرى كيميائيًا مع الوجود حيال حركة الحياة إلا وهو متصل بالروح، فإذا انفصلت عنه، شلت حركته تمامًا.

فالنائم موضوعة عنه الأقلام حتى يستيقظ، لأن الروح قد انفصلت لحظيًا عن الجسد، وهنا انعدمت الحركة النشطة الظاهرة على صفحة الوجود.

فهل من الممكن أن نقول: إن حركة الروح والجسد معًا هى المسئولة عن العصيان تمامًا كمسئوليتنا عن الطاعة للخالق جل شأنه، وتبارك اسمه، هذا هو السؤال..؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى: مادة هذا الوجود مادة خيرة

---

(١) سورة النور: ٢٤ .
راجع تفسير الآية فى القرطبى (١٢/ ٢٠٧)، والبحر المحيط لأبى حيان (٦/ ٤٤٠)، وحاشية زاده على البيضاوى (٣/ ٤٣٠).

ومسبحة وعابدة، ولذلك يوم أن تنحل إرادة المريد عن مادته.. تأتى مادته على طبيعتها ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١) لأنه لم يعد له ولاية، لأن الولاية أصبحت لله بعد أن كانت لك أنت الولاية على جوارحك، ولا تستطيع أن تعصيك، لأن ولايتك مباشرة عليها.. ويوم القيامة ليس لك ولاية عليها، ولذا شهدت عليك، لأن الولاية انعدمت.

ومادة الكافر مسبحة خاضعة منفعلة لإرادته كافرة فى انفعالها، ولكنها خاضعة مسبحة لله فى مادتها.

وانفعالها لإرادة الكافر هى الكافرة، ولكن المادة مسبحة خاضعة للحق تبارك وتعالى.

فلا تقل روحية ومادية، فهذا كلام سطحى، وليس كلامًا علميًا، فالأشياء بطبيعة وجودها مسبحة عابدة، ولذلك لا توصف المادة وحدها، ولا توصف الروح وحدها، إنما الكلام عن النفس، ومعنى النفس أن الروح تلتصق بالمادة، ثم يأتى الاختيار وغيره، ومن هنا يأتى الخلل.

[٣٣]

ما مستقر الأرواح بعد الموت؟

س: ما مستقر الأرواح بعد أن تنفصل من أجسادها بالموت، وهو الوفاة الكبرى؟

- عن مستقر الأرواح بعد الموت يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٢) الروح: جسم لطيف يتصل بالبدن اتصال العاشق المعشوق، أو هى سارية فيه سريان الماء فى العود الأخضر، أو كالعطر فى الزهر، ولها أربعة دور: كل دار منها أعظم من التى قبلها: الأولى: بطن الأم، الثانية: هذه الدار التى نشأت فيها، واكتسبت فيها الخير والشر، والثالثة: دار البرزخ، وهى أوسع من هذه الدار وأعظم.. الرابعة: الدار الآخرة وهى دار القرار: الجنة أو النار.

والأرواح بعد مفارقتها لأبدانها متفاوتة فى مقارها: فمنها أرواح فى أعلى

---

(١) سورة النور: ٢٤.
(٢) سورة الإسراء: ٨٥.

عليين فى الملأ الأعلى: وهم الأنبياء، ومنها أرواح فى حواصل طير خضر، تسرح فى الجنة، حيث شاءت، وهى أرواح بعض الشهداء، فإن منهم من يحبس عن دخول الجنة لدين أو غيره.

روى الإمام أحمد فى مسنده عن محمد بن عبد الله بن جحش: أن رجلاً جاء إلى رسول الله -ﷺ- فقال: «يا رسول الله، ما لى إن قتلت فى سبيل الله؟ قال: «**الجنة**»، فلما ولى قال: «**إلا الذين سارنى بهم جبريل آنفًا**»[1].. ومنهم من يكون على باب الجنة كما فى حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة»[2]، ومنهم من يكون محبوسًا فى الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى: وهم العصاة، ومنهم من يكون فى أجواف طير سود فى سجين: كما فى حديث أم كبشة بنت المعرور.. وإن أرواح الكفار فى حواصل طير سود تأكل من النار، وتشرب من النار، وتأوى إلى حجر فى النار.

ومنها أرواح تكون فى تنور من نار: كأرواح الزناة، ومنها أرواح فى نهر الدم، كأرواح أكلة الربا..

فليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، وكلها على اختلاف مقارها لها اتصال بأجسادها فى قبورها؛ ليحصل لها من النعيم أو العذاب ما قدر لها.

[٣٤]

معجزة الإسراء والمعراج

س: معجزة الإسراء والمعراج من أروع ما جاء به الإسلام من حجج قوية، وبراهين دامغة لرؤوس الكفر والنفاق، فما هى خواطر الشيخ الشعراوى حول هذه المعجزة؟

جـ: يقول فضيلة الإمام الجليل: إن رسول الله -ﷺ- أسرى به، وصعد إلى السماء السابعة، إلى سدرة المنتهى بسلطان الله سبحانه وتعالى، ونحن يوم القيامة سنكون فى أى مكان بسلطان الله تعالى.

---

(١) آنفًا: سلفًا.

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (١/٢٦٦) وصححه السيوطى من رواية ابن عباس فى الجامع الصغير (٢/٣٠٥/٤٩٥٦).

ولو أن الآية الكريمة: ﴿لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ﴾[1] لم ترد لكان بعض الناس قد جادل فى معجزة الإسراء والمعراج، ولكن كونها وردت؛ فمعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى بسلطانه هو يجعل من يشاء يصعد إلى السموات، كل حسب ما هو مقدر له.

فإذا سمعنا أحدًا يقول: إن الإنسان قد نفذ من أقطار السموات والأرض؛ لأنه وصل إلى القمر. . نقول له: إن الإنسان قد استطاع أن يقتحم من ملايين السنين الضوئية بعض ثوان ضوئية، والتى تعتبر جزءًا من اتساع السماء الدنيا، وأنه محتاج إلى مليون سنة ضوئية محذوفًا منها ثانيتان؛ ليصل إلى العمق الذى يراه الآن من سماء الدنيا. . وهو فى كل هذا دون السماء الأولى لم يصلها بعد.

ويضيف فضيلة الإمام إلى ذلك قائلاً:

تلك قضية هامة للرد على بعض الذين يحاولون أن يخضعوا القرآن لقدرة البشر، وينسون قدرة الله، ويأخذون شيئًا سطحيًا فى محاولة لتطويره إلى مشكلة، هم أول من يعلم أنها غير موجودة؛ لأننى حين أقتحم ثوانى ضوئية من مليون سنة ضوئية، لا يمكن أن أدعى لنفسى، أو لا يدعى عاقل أنه اقتحم المليون سنة التى هى فى العمق الظاهر من السماء الدنيا.

وبهذا، فإن معجزة الإسراء والمعراج خالدة، وستظل خالدة إلى يوم القيامة. . ولن يستطيع بشر مهما علا قدره ووصل علمه، أن ينفذ من أقطار السموات والأرض، بل أن ينفذ من السماء الدنيا، فما بالك بالسموات السبع. . وستبقى معجزة المعراج علمًا يدعو العالمين إلى الإيمان بالله وقدرته، وسلطانه المعجز المستحق للعبادة والوحدانية.

[٣٥]

الإسراء بالروح أم بالجسد؟

س: هل الإسراء كان بالروح، كما يقول بعض العلماء ذلك، ولا يزالون

---

(١) سورة الرحمن: ٣٣.

السلطان هو الملك والقهر، وهذا القول هو المختار عند ابن قتيبة. . . ولكن جمهور العلماء على أنه سلطان العلم، ولعله هو الأصح.

وانظر أيضًا مختصر ابن كثير (٣/ ٤١٩).

حتى اليوم مختلفين فى كيفية الإسراء، هل كانت رؤيا منامية، أم إسراء بالروح، أم بالروح والجسد معًا؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى: إن المسألة لم تكن حدثًا من محمد -ﷺ-، إذن، فاستبعدوا قوانين بشريتكم، واستبعدوا قوانين أرضيتكم، وصعدوا المسألة بالنسبة لله.

ويردف الشيخ محمد متولى الشعراوى فيقول:

المنام لا يمارى فيه، فلو أننى رأيت أننى قد ذهبت إلى لندن هذه الليلة، فلا يناقشنى أحد؛ لأن المسألة رؤيا، فإذا كان موقف الكفار المعاندين من النبى -ﷺ- ليقولوا له: «أتدعى أنك أتيتها فى ليلة، ونحن نضرب إليها أكباد الإبل شهرًا!» ليؤكد أنهم فهموا أنها لم تكن لا منامًا، ولا روحًا، وإنما كانت يقظة بروحه وجسمه معًا، وإلا لما صدر هذا الاعتراض، فالكافرون تعنتهم أمام رسول الله -ﷺ- خدمونا خدمة كبيرة الآن؛ لأننا نقول: لو أنها كانت رؤيا منامية، لما ناقش فيها أحد، لأن قانون المرائى فوق قانون المادة اليقظية[1].

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

التعصب الذميم يصدر عادة من الجهل العظيم، ولقد كان حادث الإسراء مثيرًا للغاية؛ لاختراقه ناموس الطبيعة موضحًا طلاقة القدرة الإلهية، واجتياحها واجتيازها نطاق العقل البشرى المحدود إلى آفاق العلم الإلهى اللامحدود الممتد إلى غير انتهاء، امتداد الأزل البعيد، وسرمدية الأبد الأبيد.

ولا جرم أن كفار مكة أذهلهم هذا الحدث الضخم بكل ما جاء به من إعجازات، ولعل هذه القضية على ما فيها من سديد المنطق الصائب والرائع من الحكمة الرصينة، حفلت -على عظمتها- بالآراء المتقابلة، والاجتهادات المتنوعة، وهذا ما يحدث عند كل أمر جلل، إنما يتمارى فيه الممتارون، وتطير بصدده الأساطير والأراجيف.

---

(١) راجع أقوال العلماء والمفسرين فى «الإسراء بالروح أم بالجسد» وتأمل تنازعهم فى ذلك فى تفسير القرطبى (١٠/ ٢٠٤)، وانظر الطبرى (١٥/ ٢٢) والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٠/ ١٤٨)، وروح المعانى للألوسى (١٥/ ٥) وما بعدها.

[٣٦]

س: وما الدليل على أن الإسراء كان بالروح والجسد معًا؟

جـ: الدليل هو قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً...﴾(١) لأن قوله: «بعبده» تعنى الروح والجسد معًا. ولو أن الإسراء والمعراج كان بالروح فقط، أو رؤيا منامية ما جادل فيها أحد، ولما ذهب الناس فيها بين مصدق، ومكذب، والمنام لا يمارى فيه الحكم، ولما وقف كفار قريش من رسول الله -ﷺ- موقفهم هذا ليقولوا له: «أتدعى أنك أتيتها فى ليلة، ونحن نضرب لها أكباد الإبل شهرًا...» إنما يؤكد هذا أنهم فهموا أنها لم تكن منامًا، ولا روحًا، إنما كانت يقظة، بروحه وبجسمه، وإلا لما صدر هذا الاعتراض.. ولأن قانون المرائى فوق قانون اليقظة.

[٣٧]

وقفة مع الإسراء والمعراج

س: لماذا جاء الإسراء بالنص الصريح والمعراج بدلالة الالتزام؟

جـ: يقول الشيخ الشعراوى: لما تعرض القرآن لحادث الإسراء تعرض له صراحة.. وحينما تعرض للمعراج تعرض له التزامًا، لأنه لم يقل سبحان الذى عرج به من (بيت المقدس) إلى (سدرة المنتهى) مثلاً، إنما قال لنا الأشياء التى تستلزم صعوده، وارتقاءه، لكن لم يأت بسدرة المنتهى نصًا فى سورة الإسراء.

ويضيف فضيلة الإمام: أن هذا من رحمة الله بخلقه، فالأمر الذى أمكن رسول الله أن يقيم الدليل المادى عليه لسكان الأرض أتى به صراحة.. حتى لا يعذر فى تبليغه.. أما الأمر الذى قد تقف فيه العقول بعض الشىء، فقد تركه لمدى يقينك الإيمانى. أو مدى تسليمك بالمقدمة التى تلى النتيجة الأخرى.

وهل المعجزات التى أمد الله بها رسله -عليهم السلام- إلا خرقًا لنواميس الكون، وخرقًا لقوانينه، وخرقًا لحقائقه الثابتة، وما دامت هى خرقًا، فلا أستبعدها

---

(١) سورة الإسراء: ١ .

القرطبى (١٠/٢٠٣)، والطبرى (١٥/ ٢٠)، والبحر المحيط (٦/٣، ٤).

أن تحدث لرسول الله -ﷺ-.. وما دام الحق هو خارق الناموس، فالذى آمن بحادث الإسراء بالنبى -ﷺ- من مكة إلى بيت المقدس، وباقتناعه بالدليل المادى واجب عليه التصديق بالمعراج بغير دليل مادى، لأن الذى صدقك فيما تعلم، تصدقه فيما لا تعلم.

[٣٨]

س: وما القول فيمن يكذب الإسراء وفيمن يكذب المعراج؟

جـ: الذى يكذب الإسراء يكون كافرًا لأنه صادم النص القرآنى، والذى يكذب بالمعراج لا يكون كافرًا، ولكنه يكون فاسقًا، ذلك لأن الإسراء جاء فى القرآن بالنص الصريح، لكن المعراج جاء بدلالة الالتزام.

[٣٩]

س: ما مدى ارتباط حادث الإسراء وهو أرضى، بحادث المعراج وهو علوى؟

جـ: لما خرق الله سبحانه وتعالى لنبيه قانون الزمن فى الإسراء وهو حدث أرضى أعطى سيدنا رسول الله -ﷺ- عليه حججًا مادية مشهودة، فإن إيماننا بما كانت تحت أيدينا من الحجج التى نعرفها، يجعلها وسيلة إلى أن نصدق ونقول: الذى خرق له قانون المسافة فيما نعلم، قادر على أن يخرق له قانون العلو فيما لا نعلم وحينئذ يكون الإسراء كمقدمة إيناسية للعقل البشرى بصدق الرسول -ﷺ- فى إخباره عن المعراج.

[٤٠]

سؤال عن الإسراء

س: قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾[1].. لماذا لم يقل فى آخر هذه الآية: «والله على كل شىء قدير»؟

(١) سورة الإسراء: ١ .

جـ: هنا العلة الحقيقية التى أوجبت أن يسرى به -ﷺ- فقد سمع الله إيذاء الكفار لرسوله -ﷺ- وقد رأى ما تعرض له من الجفاء والتعب، والموجدة والسخرية والإهانة كل ذلك بمرأى ومسمع من الله.. فحين رأى الله ذلك كله وسمع ما سمع.. أراد أن يريه الآيات فأسرى به، تسرية له.

[٤١]

تعقيب على الإسراء والمعراج للسيد الجميلى [الشعراوى وعلم الميكانيكا]

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى فى حادث الإسراء: «إن المسافة تتناسب مع القوة تناسبًا عكسيًا، فكلما زادت القوة، قلت المسافة»[١]. والقوة التى فعلت هى قوة الله تعالى، نجد النتيجة (لا زمن) وهنا يطبق الشيخ الجليل قانونًا من أهم قوانين الميكانيكا، والذى ينص على أن:

المسافة = السرعة × الزمن.

ولما كانت المسافة ثابتة، فإنها كلما ازدادت السرعة، قل الزمن، وبقدر ازدياد السرعة يكون النقص فى الزمن؛ حتى إن الزمن حيال قدرة الله يصبح دون الصفر... سبحان الله!!

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسًا كان قبل يلومها

إذن فقد استعملت (الرؤيا) بمعنى البصرية، وبمعنى المنامية. ولكن عادة يستعملون الرؤيا (فى البصرية فى الأشياء العجيبة؛ كأنها من الأشياء التى لا تحصل إلا منامًا).

س: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾[٢] فكيف تكون «الرؤيا» فتنة للناس، أليس فى ذلك دليل على أن الإسراء كان منامًا؟

جـ: لابد أن تنقلب هذه الرؤيا حقيقة، إذن لا مانع أن يكون رسول الله

---

(١) وهذه من بدهيات ومسموعات قوانين الحركة المحفوظة التى حررها وقررها العالم الرياضى الشهير إسحاق نيوتن.

(٢) سورة الإسراء: ٦٠.

-ﷺ- قد رأى الإسراء رؤيا «ثم رآه يقظة كما حدث الله سبحانه وتعالى فى بعض سور القرآن». ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾[1] رآه فى الرؤيا ثم صار حقيقة وواقعًا. . فما المانع أن يكون رسول الله آنس الله روحه، فرأى منامًا هذه المشاهد. . وبعد ذلك رآها حقيقة كما رأى أنه دخل المسجد الحرام ورأى أصحابه محلقين، ومقصرين، وبعد ذلك رآها حقيقة. . ولا يمنع أن يكون رسول الله -ﷺ- قد تعرض لحدث الإسراء منامًا، وتعرض له روحًا، وتعرض له يقظة.

س: وهل ورد فى الأثر أن سيدنا رسول الله -ﷺ- كان يرى الرؤيا فتتحقق؟

جـ: نعم. . . قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن سيدنا رسول الله -ﷺ-: «أنه ما رأى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح»[2] فإذا رأى (رؤيا) فهى إذن حقيقة.

[٤٢]

لماذا لم يكن معراجًا فقط؟

س: لماذا كان الإسراء والمعراج، ولم يكن معراجًا فقط؟

أى لماذا أسرى الله سبحانه وتعالى برسوله -ﷺ- من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم بعد ذلك عرج به إلى السماء....؟

جـ: يقول فضيلة الشيخ الشعراوى لما عرض عليه هذا السؤال:

إن فى ذلك حكمة تقتضيها المعجزة. . ذلك أن رسول الله -ﷺ-. . . كان عليه أن يبلغ ما كلفه به ربه، والله سبحانه وتعالى كلف رسوله. . ليس أمام جمع من الناس. على مرأى من أحد من أمته. . ولكنه كلفه بينه وبينه. .

---

(١) سورة الفتح: ٢٧ .
تفسير الطبرى (٢٦/ ٦٩).

(٢) انظر مقدمة كتاب: «تهذيب تعطير الأنام فى تعبير المنام» للنابلسى و«تهذيب منتخب الكلام فى تفسير الأحلام» لابن سيرين، و«تهذيب الإشارات فى علم العبارات» للعلامة ابن شاهين، والثلاثة بتحقيق السيد الجميلى.

ومن هنا، فإن رسول الله -ﷺ- يكون فى هذه الحالة أمينًا فى الإخبار عما أبلغه الله به. . . . أى أنه وسيلة فى الأمر، يريد الله أن يعرفه لخلقه. . . ولهذا جعل الله سبحانه وتعالى الإسراء مقدمة للإيمان بالمعراج.

والإسراء آية أرضية من مكة إلى بيت المقدس. . . والمسافة بين مكة وبيت المقدس فى ذلك الوقت لم تكن أمرًا مستحيلاً. . . بل كانت القوافل تقطعها فى أيام أو أسابيع. . . المهم أنه كان يتم السفر من مكة إلى بيت المقدس، مهما اختلفت الوسيلة. . . إذن المعجزة هنا فى الإسراء. . . فى الزمن وحده، وهو المقصود.

والله سبحانه وتعالى لا يحده زمان ولا مكان، ورسول الله أسرى به. . . ثم صعد إلى السماء، ثم عاد فى نفس الليلة. . . معجزة الزمن هنا جعلت الناس لا يصدقون. . . فأخبرهم رسول الله بالقوافل القادمة، وبأشياء رآها على الأرض خلال الإسراء به من مكة إلى بيت المقدس والعودة، ووصف لهم بيت المقدس، أى أنه أعطاهم آيات أرضية حسية مشهودة على المعجزة. . . وكان هذا مقصودًا.

فالإسراء معجزة أرضية، بينما المعراج معجزة سماوية.

(٤٣)

المرائى ليلة الإسراء والمعراج

س: ما هى المرائى التى رآها -ﷺ- فى معراجه، وما دلالاتها - مثل شرب اللبن، وترك الخمر - ومدى صلة هذه المشاهد بالأمور التكليفية؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: قالوا: لأن العقل هو مناط ومنفذ التكليف من الله، والخمر جاءت لتستر العقل، لأن مدخلى إلى الله هو العقل التكليفى، فالمجنون لا يكلفه الله، لأن آلة الاختيار بين البديلات معطلة، ومعنى عقل. . أن يختار بين بديلات، فإذا كان أمرًا لا بديل له، فلا عمل للعقل فيه، وما دام وجد الاختيار بين البديلات، فلابد أن يكون العقل موجودًا وسليمًا، ومقاييسه صادقة، فكأن الإنسان بشربه الخمر قد عمد إلى تعطيل هذه النعمة الكبرى، منفذه إلى الإيمان بالله. وكأن الله أراد بالمنظر الأول أن يقول:

إن الفطرة طبيعتها سليمة لا تفسدوها بتصرفاتكم، هذا اللبن الذى تناوله النبى -ﷺ- وترك الخمر هذا اللبن نبع الفطرة، والخمر أنتم أفسدتموها بصنعتكم فيها، فقد تدخلتم فيها ببشريتكم، فبعد أن كانت نعمة سليمة جعلتموها مفسدة، وجهتموها إلى منفذ التكليف من الله، وهو العقل، وبهذا تكون قد رددت على الله نعمته الكبرى عليك.

كان هذا أول المناظر التى رآها سيدنا رسول الله -ﷺ-.. بعد ذلك نجد منظرًا آخر، وهو أنه وجد قومًا يزرعون ويحصدون فى وقتها، وتتكرر هذه العملية عدة مرات، فسأل جبريل من هؤلاء؟ فقال: المجاهدون فى سبيل الله والجهاد فى سبيل الله هو الانسياح بالدعوة المنهجية التى جاءت من الله إلى القوم، كى يهتدوا إليها؛ فلابد لهؤلاء المجاهدين أن يكون لهم ثمرات متعددة، ولماذا الثمرات المتعددة؟ لأنهم يجودون بأموالهم، وبأرواحهم، ووعد الله لابد أن يناسب قدر المجاهد فى العطاء، لذلك فلابد من تجديد ثوابه، فكلما جاهدت فى سبيل الله، وبعد ذلك تنشر الدعوة بجهادك فى سبيل الله، فلك ثواب من هدى بها باستمرار.

إذن، فرؤية الرسول -ﷺ- هذه المسألة؛ ليوضح حقيقة المجاهدين وثوابهم: ﴿**وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه**﴾.

ثم يعرض الله سبحانه وتعالى بعد ذلك منظرًا آخر، منظر الدنيا بامرأة عجوز، وعليها من كل زينة، فقال له: ما هذه يا جبريل؟ قال: «**لم يبق من عمر الدنيا إلا ما بقى من عمر هذه**».

فكأن الرسول -ﷺ- يقول: «**أنا بعثت والساعة كهذه، ولم يبق من عمر الدنيا إلا ما بقى من عمر هذه العجوز**»، فإذا كان عمرها هذا فلماذا تشغلون أنفسكم بها هذا الشغل الكبير، أعطوها على قدر عمرها. فيجب أن تقيس عمر الدنيا بمدة لبثك وبقائك أنت فيها... فالنعيم فى الدنيا محدود قدر إمكانياتى، ولكنه لا محدود فى الآخرة لأنه على قدر إمكانيات الله.

منظر آخر رآه رسول الله عليه الصلاة والسلام، رأى أن هناك أناسًا والمقص يقص شفاههم وألسنتهم لماذا؟ قالوا: لأن الشفاه واللسان هما الأداتان اللتان تتعاونان فى إخراج الكلام، فقال له: من هؤلاء يا أخى يا جبريل؟ قال: «**هم**

خطباء الفتنة» وهم الذين يقولون ما لا يفعلون، فألسنتهم أحلى من العسل، وفعلهم كالأسل، ويحدثون الفتنة لأنها آفة كل دعوة.. هم خطباء الفتنة ومن هم خطباء الفتنة؟ إنهم يقولون كلامًا يسمعه الناس، ولهم فعل يخالف ما يقولون، فيقارن الناس فعلهم بقولهم، فيعلمون أن هناك كلامًا يقال، وفعلاً يفعل، وإذا انفصلت الكلمة عن السلوك، انقلبت المناهج كلها.

ثم يقول فضيلة الإمام: إن ثمة بعض الصور والمرائى التى شاهدها رسول الله -ﷺ- ومنها مواضيع تتعلق بالصلاة وفرضها فى المعراج، والأنبياء الذين قابلهم رسول الله -ﷺ-، وكان أغلبهم من بنى إسرائيل ويضيف فضيلة الإمام: إن هذا الموضوع مهم جدًا وخطير.

ويبين الشيخ الجليل الحكمة فى هذه المرائى فيقول: إنها وسيلة إيضاح بالنسبة لبعض الأمور العظيمة التى تتعلق بالدعوة، وبعد ذلك تأتى المرائى الأخرى التى تتعلق بالمال، وتتعلق بالأعراض وتتعلق بالكلمة.

أما الذى يتعلق بالمال فالحق سبحانه وتعالى عرض على رسول الله -ﷺ- آية، وهى أنه رأى قومًا يسبحون فى بحر من دم، ثم مع ذلك يلقمون الحجارة، فسأل عنهم أخاه جبريل فقال: **«هؤلاء أكلة الربا»**.

ثم منظر الأعراض، ومن العجيب أن الغيبة التى تعرض لها الحق سبحانه وتعالى فى إراءته لرسوله -ﷺ- رآها فى ثلاث صور: رأى مرة قومًا لهم أظفار من نحاس، يخدشون بها وجوههم فسأل عنهم؟ فقيل: **«هؤلاء الذين يغتابون الناس»**. ورآهم مرة أخرى يأخذون قطعًا من لحومهم فيأكلونها، ورآهم مرة ثالثة يأخذون لحمًا منتنًا من الناس فيأكلونه، فعرضها فى ثلاثة مرائى؛ لتضخم فظاعة ذلك الجرم.

وسأله -ﷺ- رجل عن أخ له مات وعليه دين، فقال: **«هو محبوس بدينه، فاقض عنه»** فقال: يا رسول الله قد أديت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة وليس لها بينة، فقال: **«أعطها فإنها محقة»**.

وهذا فيه دليل على أن الوصى إذا علم بثبوت الدين على الميت، وجب عليه أن يفى به، وإن لم تقم به بينة.

[٤٤]

ارجع إلى ربك... (سؤال وجوابان)

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى فى حادث الإسراء والمعراج ما قاله القدماء ورواة السيرة من:

أن النبى -ﷺ- عندما نزل بتكليف الصلاة، ومر على سيدنا موسى عليه السلام، فلما أخبره بهذا قال له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف... وظل يراجعه حتى أصبحت خمسة فروض فى اليوم والليلة، وخمسين فى الثواب والأجر.. وهذه الرواية سردتها كتب السيرة، وأجمع عليها جمهور الفقهاء بأغلب الآراء والأسانيد الصحيحة.

لكن أحد العلماء قال لى سائلاً:

كيف يصح أن يقول موسى (ارجع إلى ربك)... هل معنى هذا أن الله سبحانه وتعالى غير موجود معهما.. إنه موجود فى كل مكان(١)، وكان الأولى والأصوب أن يقول: اسأله التخفيف مباشرة، لأن الرجوع إليه معناه أن هناك عازلاً من المكان، وتحديداً لوجود الله الذى يحفل به كل الوجود، وينتشر نوره فى كل الكائنات، وفى كل الموجودات «ما خلا بعض الأماكن المنصوص عليها».

وعرض الدكتور السيد الجميلى هذا السؤال على فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى؛ فأجاب الإجابة الشافية قائلاً:

ارجع إلى ربك، ليست بمعناها المكانى، ولكن المقصود بها الرجوع إليه فى الأمر نفسه، وهنا يكون الرجوع إلى الله محمولاً على معنى الأمر نفسه، وليس الانتقال إلى مكان وجوده.

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

ويجيب الدكتور السيد الجميلى إجابة أخرى فيقول:

إذا أراد الله سبحانه وتعالى أن يكلم ويكلف نبيًا أو رسولاً من أنبيائه أو

---

(١) إن الله سبحانه مستوٍ على عرشه بائن من خلقه لا يحده مكان ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

رسله دون واسطة، أو دون وحى؛ فلابد أن يتجلى له، وذلك مثلما تجلى لسيدنا موسى عليه السلام فى سيناء، ومن رحمة الله على الناس أجمعين أنه لا يتجلى عليهم؛ لأنه تجلى على الجبل فجعله دكًا، ولو أنه يتجلى على العالمين لاحترقت الكائنات من النور الإلهى.

وقبل أن يتجلى الحق جل شأنه للنبى أو الرسول لابد أن يتحول هذا النبى إلى ملكية صرفة؛ متجردًا من بشريته؛ حتى يصبح مؤهلاً للتلقى من الله وعنه، ويصبح فى مقام رفيع سنى، لا تطاوله بشرية. ولذلك فمجمل القول أن وجود الله عام فى كل البقاع ومتباين الأقطار، لكن تجليه ليس فى كل الأماكن إنما فى بعض الأماكن، ولما قال موسى لمحمد -ﷺ-: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف... يقصد بذلك أن ارجع إلى مكان جلوته الذى تحدث إليك منه فاسأله التخفيف، فالمسألة فرق بين الوجود، وبين التجلى، الذى هو إكرام وتشريف وإجلال. والله تعالى أعلم.

(٤٥)

من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى

قال تعالى فى سورة الإسراء: ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**﴾(١).

س: فلماذا قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا﴾؟

(جـ) يقول الشيخ الشعراوى:

لأن الكعبة كانت قد انطمرت كبيت من بيوت الله، لم يعد لها هذا المظهر، وسميت بيت العرب، وشحنت بالأصنام هذا شىء، وبيت المقدس له قدسيته مع موسى، وعيسى، وأنبياء بنى إسرائيل، ورسول الله -ﷺ- لم يبعث لقومه فقط، أى لم يخص العرب فقط كما يريدون هم أن يقولوا... لا.. إنما جاء عالميًا، فإسراؤه من مكة إلى بيت المقدس كأنه أدخل بيت المقدس فى مقدسات دينه الجديد، وهذه العملية توضح بأن دينه مهيمن على كل البقاع، وكل مقدسات

---

(١) سورة الإسراء: ١ .

البقع، وكذلك أيضًا اتجهنا إليه أولاً، فلا يأتي نفر ويقول: أنتم لكم دينكم، ونحن لنا ديننا، لا، صحيح أن ديننا جاء في مكة، لكنه مهيمن على سائر الكتب، ورسولنا مهيمن على كل مقدساتنا، من ثم أصبح بيت المقدس في مقدساتنا؛ لأنه صار منتهى مسرى النبي، وبداية معراجه -ﷺ-.

(٤٦)

النص وما سدرة المنتهى؟

س: قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (١٧) لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾(١).

من المسلم به أن رسول الله -ﷺ- صعد إلى سدرة المنتهى، لكن لماذا لم يأت بها نصًا؟

(جـ) يقول الشيخ الشعراوي:

قالوا: إن هذا من رحمة الله بخلقه، الأمر الذي أمكن لرسول الله أن يقيم الدليل المادي عليه لسكان الأرض أتى به صراحة.. حتى لا نعذر في تبليغه، أما الأمر الذي تقف فيه العقول بعض الشيء، فقد تركه لمدى يقينك الإيماني، أو مدى تسليمك بالمقدمة التي تلي النتيجة الأخرى، لأنك أنت ما دمت مؤمنًا فستقول: «ما دام صنع به كذا فيما أعلم، فإذًا يصنع به كذا فيما لا أعلم» لأنه حين يكون قد خرق لي القانون فما المانع ما دامت صيغة القانون هي.. هي أيكون قانون السماء صعب على الله، وقوانين الأرض غير صعبة على الله من قوانين السماء؟ وهل المعجزات التي أيد الله بها رسله عليهم الصلاة والسلام إلا خرق لنواميس الكون، وخرق لقوانينه، وخرق لحقائقه الثابتة، وما دامت هي خرقًا، إذن فلا أستبعدها أن تحدث لرسول الله -ﷺ- إلا فمثلاً.. الفلاسفة عندما قالوا: «صحيح أنا أؤمن بأن هناك ربًا خلق هذا الكون، ولكني أقول: إن الله خلق

---

(١) سورة النجم: ١٦-١٨.

انظر أبا السعود (٥/ ١٧٥) وراجع التفسير الكبير للفخر الرازي (٧/ ٧٤٠) وفيه استدلال لطيف بالغ الروعة على أنه -ﷺ- لم ير الله تعالى ليلة الإسراء والمعراج، هذا على النقيض مما انتهى إليه الخازن في تفسيره من رؤية النبي -ﷺ- ربه في معراجه (٤/ ٢١٦).

الكون، وخلق حقائقه، وترك الحقائق تعمل عملها، فالنواميس هى التى تعمل، هذا معناه أن الله باشر سلطاته فى ملكه مرة واحدة، خلق القوانين، ثم ترك القوانين تتحكم، وشاء الله أن يخرق القوانين، فى أكثر من شيء، أو فى كثير من الأشياء، لنعلم أن فوق القانون خالق القانون، الذى يستطيع أن يجعل القانون لا يعطى، فجاءت المعجزات، كل المعجزات التى حدثت للرسل خرقًا للنواميس، وإلا فالنواميس فى المياه السيولة والاستطراق.

ليس هناك مياه تقف هكذا، ومياه تقف هكذا، لا يضرب موسى البحر؛ فتفرق هذا وذاك كالطود العظيم، فهذا خرق للناموس.

والنار من طبيعتها الإحراق، ويلقى إبراهيم فى النار، وليس المقصود منه نجاة إبراهيم منها، وإلا لو كان المقصود ذلك لما مكن الله الكفار من القبض عليه، أو كان أرسل سحابة مثلاً تغيم، وتطفئ النار، لكن المراد أن إبراهيم طرح فى النار، وتظل نارًا، ولكن ناموس الإحراق يتعطل فيها.

ففى المعراج من الذى صعد إلى السماء ليعطى أماراتها؟..

هل سيقولون له: صف لنا سدرة المنتهى؟ إنهم لا يعرفون شيئًا عنها، ولا يعرفون وصف الطريق إليها؟ فالحق سبحانه وتعالى جعل النص على الإسراء الذى يقام عليه الدليل المادى؛ لأنه أرضى، وذلك بالنص الصريح، ثم جعل المعراج وهو سماوى بالالتزام(١)، ولذلك قال العلماء: الذى يكذب الإسراء يكون كافرًا لأنه صادم النص، والذى يكذب المعراج لا يكون كافرًا، إنما يكون فاسقًا، لأن الإسراء بالنص الصريح والمعراج بدلالة الالتزام.

[٤٧]

التقاء النبى بالأنبياء، وهو حى وهم موتى

س: كيف التقى النبى -ﷺ- بالأنبياء، وهو حى وهم موتى؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: إن القرآن فيه آيات، لو وقف الإنسان عندها

(١) أى بدلالة الالتزام.

بإمعان، لأعطت له الأصل الذى يعتمد عليه فى إيمانه بالرحلة، وما حدث فيها، مثلاً: كونه يلتقى بالأنبياء، ويصلى بهم مع أنه حى بقانون الأحياء، وهم موتى بقانون الأموات، فكيف الحى بقانون الأحياء، مع الموتى بقانون الأموات، وعملوا عملاً واحدًا؟

والواقع أن الإنسان بروحه حين تتصل به، تتصل اتصالات مختلفة، تتصل به وهو حى، لكن تنقسم قسمين: تتصل به حال النوم ولها قانون، واليقظة ولها قانون واليقظة والنوم هاتان آيتان يتعرض لهما الأحياء، دعنا من الأمر الغيبى الذى فى البرزخ أو ما بعد البعث، فنحن نتكلم على «المسألة الداخلة فى نطاقنا نحن، فأنا لى حالتان وأنا حى: حالة اليقظة، وحالة النوم، فللروح اتصال بالجسم فى حالة اليقظة ولها قانونها المعروف، وللروح اتصالها بالجسم فى حالة المنام، ولها قانونها المعروف، فإذا ما جئت لقانون الروح مع الجسم فى حالة المنام، هل هو قانون الروح مع الجسم فى حالة اليقظة؟ لا. . ليس هو. . لماذا؟ قيل: لأننى أرى فى المنام أن فلانًا يرتدى ملابس حمراء، وآخر يرتدى ملابس خضراء، فأنا أرى الألوان وعينى مغلقة، فما الذى جعلنى أرى الألوان بغير آلة مع أن عينى مغمضة وأنا نائم؟ إذن فهناك وسيلة من وسائل الإدراك غير التى عندى، ووسيلة من وسائل الإحساس بالأشياء غير الحواس الخاصة بى، فبمجرد خلود مادتى للنوم، ابتدأت للروح إشراقاتها وتجلياتها مع الجسم، تعطى له معانى جميلة، وبعد ذلك الزمن ليست له سيطرة المرائى، ولكن لها قانون خاص. . ترى مثلاً أنك نائم، ومعك إخوتك تمرحون وتضحكون وتأكلون الطعام، ويرى آخر نائم معك على السرير أنه مع قوم يضربونه، وأنت لا تشعر به، وهو لا يشعر بك، فأنت فى عالمك وهو فى عالمه، لو جئت وطبقت هذا القانون فى ماديات اليقظة، فلا يتحقق أبدًا.

إذن فاليقظة لها قانون، وللنوم قانون، وقانون الروح فى النوم أخف، وأشف، وأقوى من قانون الروح فى اليقظة، فإذا كان ذلك مع بقاء الحياة، فما بالك لو أن هذه المادة كلها فنيت وانتهت؟

ماذا يكون القانون الذى يأتى بعد ذلك؟

أيكون أكثف من قـانون النوم أم أشف من قانون النوم؟ لابد أن يكون أشف من قانون النوم، وتكون فيه المرائى وفيـه الصور، وفيه الالتقاءات، لكن من الذى يستطيع أن يتجـرد من ماديته لتفرق فـيه روحانيته حـتى يلتقى بمثل هؤلاء، تكون الجثة غير معروفة، فلا يكون القصد أيضًا التمثيل بها.

ولكن الذى يسوء هنا هو امتهان الجثة بعد أن تؤدى الغرض منها، فلا يكون لها حرمة، أو أن تنبش القبور للإتيان بالجثث وسرقتها، وهذا بالطبع حرام قطعًا.

ويجب أن نعرف أن أجزاء الميت مـحترمة، ولها حرمـة، بل إنه إذا بتر جزء من جسم الإنسان وهو حى، فإنه يدفن كمـا يدفن الميت تمامًا، فإن للإنسان كرامة حيًا وميـتًا، ولقد بلـغ من كرامتـه أنه قيل: إن كل إهاب (جلد) دبغ فـإنه يطهر بالدباغه، إلا الخنزير لنجاسته، والإنسان لكرامته.

فإذا كـان ولابد أن نشرح؛ فالتـشريح يكون باحتـرام وأدب، وأن يعود كل شىء إلى أصوله، بعد أن يتم الهدف من تشريحه، فيدفن الدفن الطبيعى، ويحافظ على كرامته، أمـا كما نرى من إهانة الجثث بعد أن ينالوا غرضهم منهـا فهو ما لا يقره أحد.

[٤٨]

هـل جنـة آدم هـى جنـة الآخـرة؟

س: اختلف العلماء فى الجنة التى أهبط آدم منها، هل هى جنة الجزاء أم أنها جنة دنيوية، أى: بستان مزهر كما يدل المعنى اللغوى للكلمة؟

(جـ): الجنة التى أسكن الله فيـها آدم ليست جنة الجـزاء؛ لأن جنة الجزاء لا يدخلها الإنسان إلا بعد حسـاب يترتب عليه الثواب، ولأن جنة الثواب لا تكليف فيهـا، ولا يمكن أن ينزغ فيها الشيطان - فـالجنة التى أسكنها آدم هى المكان الغنى بكل مقومات الحياة. أراد الله أن يدرب آدم وزوجـه على المهمة التى أرادها والمهمة تقتضى اخـتيارًا، والاختيـار يقتضى التوجيـه، والتوجيه يقتـضى الأمر بافعل ولا تفعل، وكل مناهـج الرسل الذين أرسلهم الله لا تخرج عن التكليف بافـعل كذا، ولا تفعل كذا فدرب الله آدم على مهمة افعل، وعلى مهمة لا تفعل. افعل.. قال

الله له ولزوجه: ﴿ وَكُلا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾(١). لا تفعل. ﴿ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴾(٢). إذن فرمزية افعل ﴿ كُلا ﴾ ورمزية لا تفعل ﴿ وَلا تَقْرَبَا ﴾ وههنا مجال لاختيار أن يأكل ما أذن الله أن يأكل، وأن يمتنع لا عن الأكل من الشجرة، ولكن من أن يقرب من الشجرة انظر دقة الأداء التطبيقى حين قال تعالى: ﴿ وَلا تَقْرَبَا ﴾ ولم يقل: ولا تأكلا، فكأن أمور المعاصى كلها لا يطلب الله منها ألا نفعلها فحسب، ولكن الله يريد أن يحمينا من إلحاح شهواتنا على فعل المعصية، ولذلك يبعدك عن أن تقترب من المعصية.

جـ- خلق الإنسان ونهجه فى الحياة

[٤٩]

معجزة الخلق

س: يقول الله عز وجل: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾(٣). ما هى الحكمة الإلهية فى سرد هذه الآية، وما هو المضمون الكلى، والمعنى المقصود لهذه الآية الكريمة؟

(جـ): حينما نستقبل قضية الخلق فى القرآن نجد أننا خلقنا من آدم، وخلق منه زوجه. يا ترى زوجه خلقت منه أم من جنس ما خلق هو، ثم رأينا أن الخلق دائر على أربعة ألوان: من لا أب ولا أم.. من أب فقط.. من أم فقط (السيدة مريم) من أب وأم مثل الناس جميعًا.. وقد يوجد الأب والأم ولا ولادة.

---

(١)، (٢) سورة البقرة: ٣٥.

انظر الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (١/ ٥٢) والقرطبى (١/ ٣١١) والطبرانى (١/ ٥٣٣) والتسهيل لعلوم التنزيل (١/ ٤٤).

(٣) سورة الشورى: ٤٩، ٥٠.

انظر القرطبى (١٦/ ٥٣) والطبرى (٢٥/ ٢٧) والبحر المحيط (٧/ ٥٢٦) وما بعدها ومختصر ابن كثير (٣/ ٢٨٣) والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (٤/ ٢٤) والكشاف (٣/ ٤٧٤).

إذن فليس معنى ذلك تحديد طلاقة القدرة من ألا يوجد إلا من أب وأم ويوجد الأب والأم والعناصر المستوفية.. ولكن المشيئة أبت.

إذن هى طلاقة القدرة التى لا حدود لها فى كسر القوانين، وتجاوز الأسباب والمسببات.

[٥٠]

كيف خلق الله العالم؟

س: كيف خلق الله العالم؟

(جـ): لما أن سئل -ﷺ-: كيف خلق الله العالم؟ أجاب «**كان الله ولم يكن شىء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شىء**»(١) ذكره أحمد.

[٥١]

كيف خلقنا الله من نفس واحدة

س: كيف خلقنا الله من نفس واحدة؟

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

إن ذلك أمر قد يقف أمامه العقل حائرًا، وهى مسألة قد يقول المضللون فيها أشياءَ هى مزيد من الضلال، قد يقولون أشياء مثل أن جنسًا ارتقى من جنس، وكأن الله عنده أجناس، ويحسم الأمر القضية فيقول:

﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ** ﴾(٢).

وهذا تأكيد إلى أن كل شىء خلقه الحق تبارك وتعالى من زوجين ذكر وأنثى هما أصل التكاثر.

ويقول الحق تبارك وتعالى:

---

(١) المسند ٤/١١، ١٢.

(٢) سورة يس: ٣٦.

الأزواج: الأجناس، انظر مختصر ابن كثير (٣/١٦٢)، وتفسير القرطبى (٢٢/٢٦).

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(١).

والحق تبارك وتعالى يعطى هنا بداية البداية بالنسبة للإنسان آدم عليه السلام، ومن نفسه خلق حواء، ومنهما نشر فى الوجود رجالاً ونساءً.

[٥٢]

الخلق بغير أسباب

س: الله سبحانه وتعالى جعل فى صفحة الكون الأسباب مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بمسبباتها، ومن ثم فإن ناموس الكون، وفطرة الطبيعة تتمثلان فى سيولة الأشياء وتوافق مسار الظواهر الطبيعية مع بعضها البعض، إلا أن مشيئة الله، وطلاقة قدرته لا تتقيدان بهذه الأسباب، فما رأى الشيخ الشعراوى فى هذا الصدد؟

يقول الإمام:

كل شىء فى الوجود خلقه الله، وجعل له أسبابًا، ولكن الأسباب التى خلقها الله لا يمكن أن تكون قيودًا على مشيئة الله سبحانه وتعالى، ومن هنا، فإنه مع وجود الأسباب فإنا نشاهد فى كثير من الأحيان أشياء تأتى بعكس الأسباب. . . يهب الله الملك لإنسان بطلاقة القدرة، وينزعه من آخر يملك أسباب القوة والعزة والسلطان. . لكنها تتداعى، وتنهار أمام طلاقة القدرة.

ولقد وضع الله القوانين الكونية؛ ليسير عليها الكون، ولكنه لم يجعل هذه القوانين قيدًا على مشيئته المطلقة، فمشيئة الله فوق القوانين كلها، لا تتجاوب مع الناس فمشيئة الله باقية موجودة فاعلة، لتحق الحق، وتزيل الظلم.

وإذا كانت الأسباب مخلوقة. فلا يجوز لمخلوق أن يقيد قدرة خالقه.

---

(١) سورة النساء: ١ .

راجع تفسير الطبرى (٧/ ٥٢٢)، وجامع القرطبى (٥/ ٣)، والبحر المحيط لأبى حيان (٣/ ١٥٧)، والتسهيل لعلوم التنزيل.

يأتى الله سبحـانه وتعالى لرجل، فيفتح له أبواب الرزق أضعـاف ما يساوى عمله، وآخر يضـيق عليه فى الرزق رغم أنه يعمل ويكد ويكدح أكـثر، وهذا أمام أعيننا وبصائرنا.. فـرغم أننا نأخذ بالأسباب، فلا يـجب أن ننسى طلاقة القدرة، فلا تغرنا الأسباب مهما أعطتنا. قالوا قديمًا: كم من عامل أكدى.

ولقد اقتـضت حكمة الله أن تكون طلاقة القدرة فوق الأسـباب؛ لأنه كلما أخذ الإنـسان بالأسبـاب وحدها ابتـعد عن طريـق الله سبحـانه وتعالى، واتـخذ الأسباب إلهًا، وعبد قدرته.

[٥٣]

خلق الله للدنيا

س: لماذا خلق الله الدنيا؟

وكان سؤالاً عظيمًا فى قيمته، قيمًا فى عظمته، أجاب عنه الشيخ الشعراوى بقوله:

إن الذى يصنع صنعة جميلة، يعرضـها على الناس؛ ليريهم ما سوت يداه، ولقد خلق الله الدنيا وزينها للناظرين؛ ليرى الناس بديع صنعه، ومتقن بنائه.

وضـرب الشيخ مـثـلاً لذلك: أن المرء الذى يهـوى الرسم، يحضـر الورق والأقلام، ويظل يصمم اللوحات الفنية، ويظللهـا ويحسن نواحيها، ثم فى النهاية يتركهـا دون أن يستفيد منهـا، وقد يأتى رجل، أو إنسان آخر فيـأخذها فيبيـعها؛ ويستفيد الثانى بثمنها أما الأول فقد كلفته دون إفادته منها.

● والله سـبحـانه وتعـالى (وهو قـيـاس مع الفـارق، ولله المثل الأعلى) خلق الدنيـا، وهو غنى عن العـالمين؛ حـتى يرى الناس جمـيل صنعـه، وبديع خلقـه فى العالمين. ولكن.. أين كان الله قبل خلق الدنيا؟

قال الشيخ الإمام:

هذه من الغيبيات التى لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى نفسه.

والخلق بالنسبة للإنسان (غيب) لا يعلمه الإنسان.

وصح عنه أنه سئل -ﷺ-: **«أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والأرض؟ فلم ينكر على السائل، وقال: كان فى عماء ما فوقه هواء، وما تحته هواء»**(١). ذكره أحمد.

ولما أن سئل -ﷺ- عن مبدأ تخليق العالم، أجاب بقوله: **«كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب فى الذكر كل شيء»**(٢).

قال تعالى: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ**﴾(٣).

وقال: ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا**﴾(٤).

يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى:

ليست هناك أية مقدمات تخبر الإنسان بذلك العلم، فهو علم الغيب المطلق، ولم يترك الله فى الكون مقدمات تدلنا على ذلك العلم، لكن الله يقول ذلك وحده، لذلك نسب الإظهار له... بينما نسب الإحاطة فى الحالة الأولى للناس، ويتمثل هذا فى قوله: ﴿**وَلا يُحِيطُونَ**﴾(٥).

أما فى الحالة الثانية -حالة علم الغيب- فقد نسب الله تعالى الإحاطة لنفسه ﴿**عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا**﴾(٦).

وعلى الإنسان ومن الواجب على العقل البشرى أن يتلقى الإيمان إذن كمصدر من مصادر العلم.

---

(١) المسند (٤/ ١١، ١٢)، والترمذى (٣١٠٩)، وابن ماجة (١٨٢).

(٢) المسند (٤/ ١٢).

(٣) سورة الأنعام: ٧٣، وسورة التوبة: ٩٤، وسورة الرعد: ٩ . وسورة المؤمنون: ٩٢، وسورة السجدة: ٦، وسورة الزمر: ٤٦، وسورة الحشر: ٢٢، وسورة الجمعة ٨ .

(٤) سورة الجن: (٢٦، ٢٧)، والرصد: الملائكة، انظر تفسير الطبرى (٢٩/ ٧٧)، والقرطبى (١٩/ ٢٦-٢٨)، والبحر المحيط (٨/ ٣٥٥)، ومختصر ابن كثير (٣/ ٥٦١).

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥.

(٦) سورة الجن: ٢٦ .

وهذا يمنحنا الأشيــاء التى لا يمكن أن نصل إليها مثل: كـيف خلق الإنسان؟ وكيف خلقت السماء؟

وهذه الأشياء لا نعرفها لأننا لم نرها.. ولا نملك تجربتها ويقول الحق:

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾[1].

والإيمان من أهم مـصادر العـلم فى رأى الشيخ الشعـراوى، فهـو يرى أن الإنسان عندما يؤمن يحـصل على مصدر كبير من مصـادر العلم يمنحه عطاء تامًا، وإن لم يؤمن يظل محـصوراً فى المادة، لا يتعـداها، ومن ثم يخفق فى معرفـة ما وراء المادة، والسبيل الوحيد لمعرفة ما وراء المادة هو الإيمان.

[٥٤]

مـا لـون آدم عليــه الســلام؟

س: أين نشـأ آدم عليه السـلام؟ وماذا كـان لونه: أبيض - أسمـر - زنجى - أصـفـر.. وكـيـف تشـعـبـت الأجناس، وهى من أصل واحـد وهـو آدم؟ نرجـو الإجابـة.

جـ: الرد على هذا السـؤال يتلخص فى جملة واحدة: علـم لا ينفع وجهل لا يضـر.. فلو أنه يهمنى مـا ترك الله بيانه، إذن ذلك فـضول ذهنى لا يـجدى، ويجب أن يتـرتب على السؤال سـؤال آخر: هب أنك علمت هذا فـماذا يتـرتب عليه؟ إن كل أمر غيبى عنك عمدتك فيه، إخبار من يعلمه، والذى أعلمنى بقصة الخلق هو الله، وما لم يعلمنى به فكأنه لا ضرورة له.

أما عن نشوء الأجناس، فنحن نعلم تأثيـر الحرارة والشمس، والرطوبة على أى مجـموعـة من البشر يقـيمـون فى مكان واحد، وكيف أدى ذلـك إلى تشعب الأجناس البشرية من أسود وأبيض وأصفر وغير ذلك.. والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الكهف: ٥١ .

[٥٥]

مدى مسئولية حواء عن معصية آدم

س: يقولون: إن حواء هى التى أوعزت إلى آدم بالمعصية بالأكل من الشجرة، فهل هذا صحيح؟!!

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

الدين لم يقل هذا. ونص القرآن:

﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾(١).

إذن فالقرآن قد برأ حواء من هذه التهمة إنما الذين يكرهون المرأة هم الذين يشيعون عنها ذلك، وأنها هى التى زينت له أكل الشجرة.

[٥٦]

لماذا قتل قابيل هابيل ؟

س: يسأل عن السبب الذى جعل قابيل يقتل أخاه هابيل ولماذا؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

كانت حواء تلد فى كل بطن ذكرًا وأنثى. فكان آدم يزوج كل ذكر من بطن بالأنثى من البطن الآخر: فأراد هابيل أن يتزوج بأخت قابيل، ولكن أرادها لنفسه، فأمرهما آدم أن يقربا قربانًا فمن تقبل قربانه تزوجها. فقرب قابيل جذعة سمينة، وقرب هابيل حزمة من زرع ردىء، وأتت النيران فأكلت قربان هابيل، فعد هذا قبولاً للقربان: فغضب قابيل وقال لأقتلنك حتى لا تتزوج أختى: فقال هابيل: إنما يتقبل الله من المتقين. وكان قد أقدم على قتل أخيه. وهذا ما يقول المفسرون، والله أعلم.

[٥٧]

منهج إبليس فى الغواية

س: منهج إبليس فى الغواية قديم قدم الأزل، يتوخى منه تحلل البشر من

---

(١) سورة طه: ١١٥ .

منهج الحق تبارك وتعالى، ولا يخضع لإبليس إلا ضعيف الإيمان، فاتر العقيدة، حيث يجد الشيطان طريقًا ممهدة إلى نفسه وروحه ووجدانه. فما هو ذلك المنهج الذى يتخذه إبليس للتسلل إلى دخيلة النفوس؟؟

(جـ): يقول الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى:

يمضى إبليس كاشفًا عن منهج غوايته قائلاً: ﴿**ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ**﴾[١].

فإبليس يأتيه من الأمام، ومن الخلف، واليمين، والشمال، ومن بين أيديهم، ولم يقل: لآتينهم من فوقهم أو من تحتهم، لأنه يعلم جيدًا أن الفوقية للقدرة الإلهية، والتحتية للعبودية موضع سجود الإنسان، ولا يمكن للشيطان أبدًا أن يعيش فى مستوى علو إلهى، ولا فى مستوى تحتى يمثل العبودية[٢].

[٥٨]

النفس والشيطان

س: من نكد الدنيا على الإنسان، ومن مظاهر شقائه فى هذه الدنيا الفانية أن وجد فى داخله متناقضان قويا الشكيمة، لا يتوانيان عن التناحر، والقضاء والمعارضة، وفى أتون هذه المعركة المتصلة طوال عمره يكون كل شقائه، وتحترق أعصابه، هاتان القوتان هما: قوة العقل والحكمة من جانب، وقوة النفس والهوى والشيطان من جانب آخر.

وفى كل أطوار بنى آدم نراه متذبذبًا بين هاتين القوتين، يقترب من الثانية فى مطلع حياته فى الغالب، ولكنه فى شرخ شبابه لا يزال منجذبًا إليها، ولا ينفك متصلاً بها، وفى كهولته وشيخوخته عندما يعاف زخرف الحياة وزيفها ورياءها تقترب رويداً رويداً من الأول، فإذا ما اقترب البشرى من الأول، صار مطبوعًا على شبه ملكية.

---

(١) سورة الأعراف: ١٧.

(٢) يقول ابن عباس: لا يستطيع أن يأتى من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله تعالى اهـ.

بتصرف من تفسير الطبرى (١٢/ ٣٤١).

أما إذا غلب عليه عنصر الثانية صار قريبًا من الحيوانية، وبين الملكية والحيوانية تتدرج مراتب ودرجات الصفاء والشقاء النفسى للتكوين الباطنى الآدمى.

ما رأى الشيخ الشعراوى فى التحام النفس بالشيطان واتصالهما؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام فى هذا الشأن:

شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعطى آدم وزوجه التجربة الحسية المادية؛ حتى يستقبلا الخلافة فى الأرض استقبالاً مدربًا؛ ليكونا الزوجين اللذين يتكاثر منهما الوجود كله، ويجعل منهما ومن نسلهما خلافة فى الأرض... من ثم، لابد لآدم وزوجه أن يعرفا العراقيل التى تتعارض مع الخلافة فى الأرض وهى:

- رغبة النفس فى الشهوة العاجلة.

- نزع الشيطان للوسوسة للنفس، فيما تحب من عاجل اللذة.

ويردف الإمام:

هل المعصية التى يظلم الإنسان بها نفسه من عمل نفسه، أم من طائف الشيطان؟

للتفرقة بين هذه وتلك، لابد أن تقول لنفسك:

- هل هذا الأمر أراده الله وحدده بـ (افعل) أو (لا تفعل) أم غير ذلك؟

وذلك حتى لا تدخل الشيطان عدوًا فى غير عداوة. فإذا كانت المعصية تلح على الإنسان بذاتها، وكلما حاول الإنسان أن يصرف نفسه عن هذه المعصية فإن نفسه تحدثه بها.. فعلى هذا الإنسان أن يعلم أن هذه المعصية من نوع «شهوة النفس» لأن النفس تحب الإنسان عاصيًا من نوع خاص، كالنظرة إلى المحارم، فيجب على الإنسان أن يصرف عنها نفسه، لكن النفس تلح عليه، فتجعله سادرًا فى طغيانه، فالنفس ترضى بالمعصية الجزئية.

أما الشيطان فإنه ذو أمر آخر، فهو يريد الإنسان عاصيًا دائمًا، ولا يرضى بالمعصية الجزئية، فإذا تأبى الإنسان عليه، وترفع عنه، حاول الدخول إليه من باب معصية أخرى.

[٥٩]

سلطان الشيطان على غير المؤمن

س: نحن نعلم أن سطوة الشيطان ونشاطه دائمًا إنما يتركزان فى إبعاد الناس عن منهج الله، ومنهج الله إنما مقصده الأسمى راحة الإنسان... فهل يستطيع الشيطان أن يؤثر على العبد المؤمن؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

منهج إبليس أن يمنعك أن تفعل شيئًا لآخرتك، ومن هنا فهو يزين لك الحياة الدنيا بما فيها من متع مادية، ويحاول أن ينسيك الآخرة بما فيها من نعيم دائم. وهذه الغواية تتم من باب عزة الله حيث قال:

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[١]. ثم قال الشيطان: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢]، أى سأغوى خلقك إلا الذى تريده أنت، وتخصه بالهداية، فإننى لا أستطيع أن يبقى لى عليه سلطان، لأن كلمة الله هى العليا، ولا أحد يستطيع أن يقف أمام سلطان الله، أى أنك يا رب تركت أمر الهداية لبعض خلقك بالاختيار، فالذى تريد أن تهديه لا دخل لى به.

ومن هنا فإن سلطان الشيطان على غير المؤمن ثابت، ولكن المؤمن لا سلطان له عليه.

[٦٠]

إنا عرضنا الأمانة

س: قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[٣].

---

(١) سورة ص: ٨٢ . انظر تفسير القرطبى، وأبو أبى السعود (٤/ ٢٩٩).

(٢) سورة ص: ٨٣ . هذا اعتراف من الشيطان اللعين بأنه لا سلطان له على عباد الله المصطفين الأخيار المختارين.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢ .

الأمانة: الفرائض، على ما ذكر القرطبى (١٤/ ٢٥٣)، وما بعدها، والطبرى (٢٢/ ٣٨-٤٠).

فما هى الأمانة؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

أن كلمة (أَبَيْنَ) لا تدل على معصية السموات والأرض والجبال لأمر الله؛ لأن المسألة ليست تكليفًا بعرض، والعرض المعروض عليها لها حرية أن يفعلنه أو لا يفعلنه. . فأبين ليس معناها عصيان أمر الله بعدم القبول، أى أمر يتأتى منها لا معصية فيها.

وهنا مشكلة تتمثل فيها كل مشاكل الحياة فيما يتعلق بالأمانات، وهى أن السماء والأرض والجبال خافت، ولم تأمن نفسها ساعة الأداء، خافت وأشفقت على نفسها من المخالفة فمن أول الأمر لم ترد الاختيار، وآثرت أن تكون مسيرة مسخرة. ولكن الإنسان قدر نفسه ساعة التحمل، ولم يقدر نفسه ساعة الأداء، لم يقدر أنه سيتعرض لمغريات الحياة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿**إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾(١).

أى: جهولاً ساعة الأداء هل سيؤدى أم لا يؤدى، والإنسان ظلوم لأنه حمل نفسه مسألة لا يطيقها إلا بعزم، وهو غير مأمون عليها، وكأن الحق تبارك وتعالى يقول لنا: لا تغتر بنفسك ساعة التحمل، لكن اعرف نفسك ساعة الأداء.

ولذلك الحق سبحانه وتعالى حينما يتكلم عن قضية الدين فى القرآن يقول: ﴿**إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ**﴾(٢)، فالقرآن لم يَحْمِ الدائن فحسب، وإنما يحمى المدين أيضًا، لأن المدين إذا عرف أن دينه موثق دأب وجد وعلم أنه لا مناص من الأداء، وعليه أن يجد ويدأب ويعمل، ليؤدى لكن لو لم يكتب ربما ساعة الأداء لا يؤدى، ولو أن المدين نجح فى عدم أداء الدين، فقد أفسد حركة التعامل فى الوجود.

فالأمانة فى نظر الشيخ الشعراوى، هى حرية الاختيار بين البديلات، ومحلها العقل الذى أعطاه الله بنى آدم وكرمهم به.

---

(١) سورة الأحزاب: ٧٢ .

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢ .

انظر البحر المحيط (٢/ ٣٥٠)، والقرطبى (٣/ ٣٩٧)، والطبرى (٦/ ٦٧).

[٦١]

وسبق الإسلام عصرنا

وضع الإسلام ضوابط، ومنظمات لتنسيق حركة الحياة فى المجتمع فى مختلف الأطوار، ومتباين الأحوال.

وهذه هى الهندسة الإلهية لتنسيق المجتمع، وتقويم لبناته، وشد أطنابه، وتقوية أركانه.

وفى كل النظم المختلفة التى تجربها هذه المجتمعات تستخلص نظامًا واحدًا، تراه مثاليًا، متمشيًا مع راحتها وسعادتها.

وقمة هذه النظم، وغاية التطور فى كل منهج تسلكه كل هذه الأمم تجده فى النهاية مقتربًا كل الاقتراب من الإسلام.

وهذا يؤكد بالدليل القاطع أن المجتمع المثالى هو المناسب لكل عصر، وكل أوان، وهذا هو رأى الشيخ محمد متولى الشعراوى.

[٦٢]

لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا

أحد المحققين للتراث الإسلامى من العلماء الذين أثروا المكتبة الإسلامية بالمراجع القيمة سألنى ذات يوم:

ماذا تقصدون بالمنهج؟

إن الشيخ الشعراوى دائمًا يتحدث عن المنهج، مع أن المنهج ليس متصلاً بذات الله سبحانه وتعالى، إنما المنهج هو ذلك الذى يتصل بحياة البشر، ومن الخطأ إضفاء المنهج لله جل شأنه، لأنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا**﴾(١).

---

(١) سورة المائدة: ٤٨ .

الشرعة والشريعة واحد على ما ذكر الإمام محمد بن جرير فى التفسير (١٠/ ٣٨٤).

والمنهاج هو الطريق الواضح. قال الإمام ابن قتيبة: يقال: نهجت لى الطريق: أى أوضحته.

ولم أجد فتوى تبين وتجلو لنا أن المنهج هو إبعاد التكليف من الله سبحانه وتعالى للبشر بـ (افعل)، و(لا تفعل)، ولم ألق بيانًا أفصح من بيان الشيخ الشعراوى حيث قال:

تنحصر مهمة المنهج فى قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾[1].

إن المنهج هو كلمة (يعبدون) أى: العبادة[2].

والعبادة هى التزام البشر بكلمتى (افعل) و(لا تفعل). فإن استقام الإنسان بهذا المنهج استقامت حياته، والخالق سبحانه وتعالى وضع لنا المنهج، فاختار الإنسان خليفته فى الأرض، وأرسل الأنبياء والرسل بالمنهج.

والمنهج يجعل حياة الإنسان سعيدة كلها غبطة، وروعة وجمال، لا تفوت الإنسان فيها نعمة، ولا يفوت النعمة فيها.

لذلك يقول تبارك وتعالى:

﴿ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

وهكذا الحياة بدون منهج، قد تغرى الإنسان بمتاع محدود الوقت بينما الحياة بالمنهج، وفى ظله تؤدى إلى دار حقيقية وكاملة، وهذه حقائق ثابتة، لا يدركها إلا الأسوياء من الناس.

ويردف الشيخ الجليل:

لقد سمى الله المنهج الذى يصل به الإنسان إلى القيم العليا (روحًا) فيقول تبارك وتعالى:

---

(١) سورة الذاريات: ٥٦.

(٢) هذا هو رأى الشيخ الشعراوى، وجمهرة من العلماء أن (يعبدون) يعنى: العبادة، لكن نفرًا آخر منهم ابن قتيبة يقول: إن العبادة هنا فى الآية المقصود بها التوحيد.. انظر الطبرى (٢٧/٢٨)، والقرطبى (١٧/٥٥)، والتفسير الكبير (٧/٦٥٨).

(٣) سورة العنكبوت: ٦٤.

انظر التسهيل لعلوم التنزيل (٣/١١٩).

﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

هكذا سمى الله تبارك وتعالى المنهج القرآنى (روحًا)(٢).

[٦٣]

أركان الإسلام وحركة الحياة

الاستسلام الكامل للجوارح، والخشوع التام للوجدان، هما سمات الإسلام الذى تتركز فيه، وتشع منه أنوار التطور للبشرية، فهو آسيها إذا عز الأساة، ومنقذها من المدلهمات والنوائب الطائشة الرعناء.

والإسلام عقيدة ومنهج، يرتفع بهما فوق الأركان، فما الصلة بين أركان الإسلام، وحركة الحياة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

خصوم الإسلام يحاولون أن يقصروا الإسلام على أنه أركان فقط،

---

(١) سورة الشورى: ٥٢ .
وسمَّى سبحانه وتعالى القرآن روحًا؛ لأن فيه حياة النفوس من موت الجهل، فالقرآن ربيع القلوب كما أن الغيث ربيع الأرض.
انظر القرطبى (١٦/ ٥٥).

(٢) وورد الروح فى القرآن الكريم على ثمانية أوجه:
(أ) روح الحيوان، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ﴾ الإسراء: ٨٥ .
(ب) جبريل عليه السلام، ومنه قوله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ﴾ النحل: ١٠٢ .
(جـ) اسم ملك عظيم. ومنه قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ ﴾ النبأ: ٣٨ .
(د) الوحى: ومنه قوله تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ ﴾ النحل: ٢ .
(هـ) الرحمة: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ المجادلة: ٢٢ .
(و) الأمر: ومنه قوله تعالى: ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ النساء: ١٧٠ .
(ز) الريح التى تكون فى النفخ ﴿ فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ التحريم: ١٢ .
(ح) الحياة: فى قوله تعالى: ﴿ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ ﴾ الواقعة: ٨٩ .

ويحاولون -وهم مفتونون- أن يقننوا لحركة الحياة وفق أهوائهم، وعلى غير ما قرر الإسلام، فيقولون: «المساجد مفتوحة فليصل من يريد، والزكاة يمكن أن يزكى بها من يحب».

والحج على من استطاع سبيلاً أن يحج.

أما غير ذلك فلا.

ونحن نقول لهؤلاء الذين يقصرون الإسلام على أنه عبادات فقط: لا. إنكم بذلك تقيمون أركان الإسلام فقط، وتتركون ما يبنى على هذه الأركان.

ولكنا نقول بكل قوة وشجاعة.

إن الإسلام جاء ليحمى حركة الحياة، وهدف المسلم أن يبنى على أركان الإسلام حركة الحياة كلها.

[٦٤]

وأنه أهلك عادًا الأولى

س: يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى﴾[١]. فما معنى (الأولى)؟ هل هناك عاد الثانية؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

ساعة تطلق الأولى يراد بها المتقدمة، وعندما يقول الحق سبحانه وتعالى أنه أهلك عادًا الأولى فهو يقصد عادًا السابقة، أو المتقدمة، ولا يقصد عادًا الثانية أو الثالثة.

[٦٥]

الخضوع للمنهج ومشقة التكليف

داء ابن آدم العضال، ومرض البشرية المزمن هو الضيق بالالتزام فى حركة الحياة، لأنه يحب الطلاقة والحرية الفسيحة، حتى ولو كان هذا الالتزام لصالحه،

---

(١) سورة النجم: ٥٠ .

انظر الطبرى (٢٧/ ٤٥) وما بعدها.

ذلك لأن الشيطان يجرى منه مجرى الدم، ولم تبعث السماء رسالة إلا وفيها تكليف، ولم يرد تكليف من السماء إلا بخير، وما جاء خير من السماء إلا وفيه راحة القلب وسكينة النفس، ولكن ابن آدم يتضور من التكليف، ويشعر معه بالتقييد، وضغط حركته وانتشاره فى الحياة ولكن العكس هو الصحيح، فما جاء رسول إلا فى لحظة تعثرت فيها الإنسانية، وضل ضلالها، وبلغ إغواؤها شأواً بعيداً، فما جاءت النبوات إلا لإعادة انسجام وتوافق بنى آدم مع الحياة، وتوافق وانسجام الحياة معه.

فلماذا يشعر الإنسان دائمًا بمشقة التكليف؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن التحلل فى الكون، وقمة الفساد ناجم عن المسائل التى يكون فيها اختيار لابن آدم، أما المسائل التى ليس له فيها اختيار فهى غاية الاستقامة، وما أفسد الدنيا إلا اختياره.

ولو تم اختبار ابن آدم بمنهج الله، ما اختل، وما زل، وما ضل.

والتكليف عادة تقييد لنزوات النفس، وحجر على حريتها الضالة، ولكن على العموم، فإن الذى ينسجم مع التكليف، ولا يشعر معه بمشقة، ويؤمن بالله حق الإيمان، فإنه جيد الإيمان، له رصيد عظيم من الإيمان يستقبل به كل شىء، فما فهمه من المنهج فهمه، وما لم يفهمه قد يفهمه فيما بعد، وقد تكون الحكمة فى ألا يفهمه. وهنا فإن راحة القلب فى اتباع منهج الله، ومن لا يشعر بمشقة التكليف، فهو جيد الإيمان، صادق النية مع الله سبحانه وتعالى.

[٦٦]

لا تنفذون إلا بسلطان

تمهيد:

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[1].

وقال أيضًا: ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ ﴾[2].

---

(١) سورة الإسراء: ٨٨.
(٢) سورة الرحمن: ٣٣.

صدق الحق تبارك وتعالى.

وهنا ينجلى أمامنا أن الإنسان عندما اقترن بالجن جاء الحق بلفظة «الإنس».

وقد تقدم الإنس على الجن فى الآية الأولى؛ لأن الإعجاز فيها متصل بالناحية البيانية، والإنس أبلغ وألسن وأبين من الجن.

أما فى السورة الأخرى فى الآية الثانية، فلقد تقدم الجن على الإنس؛ لأن التحدى هنا محتاج لقوة جبارة، والجن أعون عليها وأقوى منها من الإنس.

لكن السؤال الذى يعرض أمامنا هنا: ما معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ هل هو طلاقة القدرة، أم هو سلطان العلم؟ أم ماذا؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: بعض الناس يظنون أنه سلطان العلم، ونحن نؤكد أنه سلطان الله سبحانه وتعالى، لابد أن يظهر للعالم كله فى معجزة تدعو العالم كله إلى الإيمان.

فرسول الله -ﷺ- ليلة أن أسرى به، وصعد إلى السماء السابعة إلى سدرة المنتهى كان ذلك بسلطان الله سبحانه وتعالى.

ونحن يوم القيامة سنكون فى أى مكان بسلطان الحق تبارك وتعالى أيضًا، والملائكة التى تنزل إلى الأرض، وتصعد إلى السموات بسلطان الله سبحانه وتعالى.

ولو أن الآية الكريمة: ﴿**لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ**﴾ لم ترد لكان بعض الناس قد جادل فى معجزة الإسراء والمعراج... ولكن كونها وردت فمعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى بسلطانه، هو يجعل من يشاء يصعد إلى السموات، كل حسب ما هو مقدر له.

فإذا ما سمعنا أحدًا يقول: إن الإنسان قد نفذ من أقطار السموات والأرض؛ لأنه وصل إلى القمر... نقول له: إن الإنسان قد استطاع أن يقتحم ثوانى ضوئية من ملايين السنين الضوئية التى هى جزء من اتساع السماء الدنيا... وإنه محتاج إلى مليون سنة ضوئية محذوفًا منها ثانيتان ليصل إلى العمق الذى يراه الآن من سماء الدنيا... وهو فى كل هذا دون السماء الأولى، لم يصلها بعد.

ثم يردف فضيلة الإمام. . . تلك قضية هامة للرد على بعض الذين يحاولون أن يخضعوا القرآن لقدرة البشر، وينسوا قدرة الله، ويأخذوا شيئًا سطحيًا فى محاولة لتطويره إلى مشكلة هم أول من يعلم أنها غير موجودة. . . لأننى، حين أقتحم ثوانى ضوئية من مليون سنة ضوئية، لا يمكن أن أدعى، ولا يدعى عاقل أنه اقتحم المليون سنة التى هى فى العمق الظاهر من السماء الدنيا.

ولهذا فإن معجزة الإسراء والمعراج خالدة، وستظل خالدة إلى يوم القيامة. . . ولن يستطيع بشر مهما علا قدره، ووصل علمه أن يصل إلى أن ينفذ من أقطار السموات والأرض، بل أن ينفذ من السماء الدنيا، فما بالك بالسموات السبع. . . وستبقى معجزة الإسراء والمعراج علمًا يدعو العالمين إلى الإيمان بالله، ووحدانيته جلت قدرته.

[٦٧]

ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات

س: مولانا الإمام.. ما هو معنى الآية الكريمة: ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾[1] وهل هناك ارتباط بين هذه الآية الكريمة والآية التى تقول: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[2] هل هناك نسيج يجمع بين الآيتين الكريمتين؟ نرجو التنويه وشكرًا.

(جـ): أنت فى المجتمع وحاجتك إلى أفراد المجتمع كحاجة أفراد المجتمع إليك. . فإذا كنت تريد أن يؤدى المجتمع حاجتك فيه، فلا تطلب حقًا من المجتمع إلا بواجب تؤديه للمجتمع؛ لذلك يقول الرسول -ﷺ-: «**مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد**»[3]. . إياك أن تعتبر نفسك كلاً منفصلاً عن المجتمع، فالإسلام يطلب منك أن تعتبر نفسك جزءًا فى كل.

وما دام الجزء فى الكل -فالأجزاء تحتاج بعضها لبعض ليكون ذلك الكل-

---

(١) سورة الزخرف: ٣٢ .

(٢) سورة الحجرات: ١١ .

(٣) مسلم (٢٥٨٦) والمسند (٤/ ٢٧٠) عن النعمان بن بشير. وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٤٩٨/ ٨١٥٥).

فأراد الرسول -ﷺ- أن ينقل القضية الإفرادية فى المجتمع ليجعلها قضية كل، وأفراد المجتمع بالنسبة للمجتمع أجزاء لماذا؟ حتى لا يظن ظان انعزالية الفرد عن المجتمع ولذلك يقول: (كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى).

وأنت إذا نظرت إلى المجتمع وجدت المجتمع يتطلب حركة الحياة..

والحركة فى الحياة ليست واحدة.. فالحياة تريد حركات متنوعة تغطى جميع جوانبها.. فالمجتمع لا يريد أن يكون الكل (اقتصاديين) أو (أطباء) أو (قضاة) ولا يريد أن يكون الكل «علماء كهرباء».. لأن المجتمع ليس من جهة من هذه الجهات فحسب -ولكنه كل الجهات، فالحق سبحانه وتعالى يريد أن يجعل أفراد المجتمع جسدًا واحدًا كل عضو فيه يؤدى مهمة.. كذلك الحياة لكل فرد من الأفراد مهمة وقد تتسع المهمة لأفراد متعددين يكونون قطاعًا فى المجتمع لجانب من جوانب المجتمع، والمجتمع لا يقوم على جانب واحد.. وما دام المجتمع لا يقوم على جانب واحد، فلابد أن تتوزع المواهب.. ولابد أن تتوزع الميول.. ولابد أن تتوزع الأشواق إلى الأعمال.. ومن رحمة الله بنا أن جعل مواهبنا متعددة.. وأشواقنا للطموح متعددة.. فهذا يشتاق لكذا.. وذلك يشتاق لكذا.. وهذا يحب كذا.. وذلك بدون تخطيط من البشر للبشر بل تأتى المسألة تلقائية فى نفس كل واحد.. فلم يوجد مثلاً أن اجتمع أهل بلد من البلدان وقالوا: هذا البلد يحتاج إلى كذا بقال، وكذا تاجر أقمشة، وإلى كذا حلاق.. وإلى كذا طبيب، وإلى كذا محاميًا -ما قال أحد هذا القول، ولا خطط هذا التخطيط، ولكنك تنظر فتجد أن المواهب بذاتها- كل موهبة ذهبت إلى ناحية بدون تخطيط من أحد حتى تغطى كل جوانب الحياة بدون تفكير من أحد، وحين يدخل الإنسان بفكره ربما أفسد ذلك، ولذلك يجب أن ننظر إلى أفراد المجتمع نظرة على الجوانب التى يقومون بها، فليس عمل فى الحياة أشرف من عمل، ولكن هناك عامل أشرف من عامل.

إذن فكل عمل يغطى جانبًا من جوانب الحياة عمل مطلوب، والمخلص فيه يجب أن يأخذ حقه فى الوجود وقيمته، وكرامته لا بقيمة آلته التى اخترعها البشر، هذه صنعة هينة.. وتلك صنعة عظيمة، وهذه وظيفة محترمة، وهذه وظيفة حقيرة لا توجد هذه المسائل فى الدين -إنما يوجد عامل وعامل.. فقيمة كل امرئ بما

يتقنه[١]- لأنه العامل ما دام يغطى جانبًا من جوانب الحياة، فوجوده ضرورة، وكل فرد محتاج للآخر -ولذلك حينما يقول القرآن: ﴿ **لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ** ﴾[٢] لا يقول ذلك جزافًا؛ لأن الإنسان حين يسخر من إنسان منه لأن رأى مظهرًا، أو شكلاً دون مظهره أو شكله- يقول له القرآن: لا تسخر منه ربما كانت له موهبته.. أو زاوية هو أفضل منك فيها.. فإذا نظرت إلى إنسان فى زاوية، وهو أقل منك فابحث أنت ما هى الزاوية الكاملة فى ذلك الإنسان، لتعويض النقص الذى وجد فيه.

إذن فلابد أن يكون فيه كمال يعوض النقص فيه، ولابد أن يكون فى أنا نقص فى زاوية يعوضه ذلك الكمال؛ لأنه لا يوجد أحد ابن الله بل نحن بالنسبة لله جميعًا واحد متساوون، ولذلك يخطئ الناس حين يقسمون الناس إلى طبقات، لا يوجد فى الإسلام طبقات، وإنما توجد أعمال موزعة للناس كل واحد يقوم بقطاع من العمل.. والإسلام يحدد قيمة كل منهم بما يحسنه، ولذلك صاحب الجاه والمكان الرفيع، والثروة الطائلة يدخل بيته مثلاً فيجد رائحة خبيثة، فيسأل عن سر ذلك فيقال له: إن مجرى القاذورات مكتوم أو كذا.. فيقول: ولماذا لم تأتوا بمن يصلحه؟ فيقولون: لم نجده؛ فيذهب هو بجلالة قدره، ليبحث عنه، فإذا ما قال له ذلك الإنسان الذى يصلح المجارى، ليس عندى وقت يحتال عليه ويغريه بالمال، ويرجوه حتى يأتى إلى بيته؛ ليصنع ذلك العمل.. هنا صاحب الجاه جاء فى نقطة لا يحسنها، وجاء عند من يحسنها.. فما كان من أمره ظهر له فضل ذلك الوقت، إذن فالحق سبحانه وتعالى حينما يقول: ﴿ **وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا** ﴾[٣] لا يجب أن نقف عند السطحية حتى لا نربى النشء على ذلك، يجب ألا نربى النشء على أن رفعة البعض على البعض ليست بالمال فحسب، ولكن كل واحد فى المجتمع مرفوع مرة، ومرفوع عليه مرة، فالفرد فى المجتمع مرفوع فيما يجيد، وفيما يحسن، ومرفوع عليه غيره فيما لا يجيده ولا يحسنه.. إذن فكل واحد منا فاضل فى جهة، ومفضول عليه فى جهة.. المفضول عليه دائمًا.. الفاضل مسخر له فى صنعته.

---

(١) قال الإمام على بن أبى طالب -كرم الله وجهه-: «قيمة كل امرئ ما يحسنه».

(٢) سورة الحجرات: ١١.

(٣) سورة الزخرف: ٣٢.

إذن فكل فرد فى الكون مسخر لكل فرد. . إذن يتخـذ بعضهم بعضًا سخريًا لا يجب أن تؤخذ على طبقات معينة إلى طبقات معينة.

فالعالم مثلاً الذى يفنى عمره. . نحو عشرين عامًا ينقب فى الكتب ليستنبط حكمًا من أحكام الله، وبعـد أن ينضج يسأله سـائل، وهو سـائر فى الطريق عن مسألة من المسائل فيجيبـه عنها، يظن السائل أنه أجابه عليها هكذا، ولكنه لما علم أنه ظل عشرين عامًا يتعب نفسه، ويكد ليهيئ له هذا الجواب؛ فهو ساعة العشرين سنة كان مسخرًا لمن سأله بعد عشرين سنة، وكل إنسان هكذا إذا اعتبر أنه لا يملك من الحياة إلا زاوية واحدة، وبقية الناس يملكون له هذه الزوايا.

إذن فالزاوية التى يجيدها وله موهبة فيها هو فاضل فيها، وهو مسخر لخدمة الآخرين الذين ليست لهم هذه الموهبـة. . وغيره كذلك الموهبة النافعة فـيه غيره له موهبة تكملها، إذن فـذلك مسخر لهذا، وهذا مســخر لذلك، ولذلك كان القرآن دقيقًا جدًا فى التعبير: ﴿ **نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا** ﴾[1] ما هو البعض المرفوع؟. . وما هو البعض المرفـوع عليه؟. . مـبهمـات ببعض. . إذن فكل بعض مـرفوع، وكل بعض مرفوع عليه. . ولو أن استقراء إحـصائيًا جاء لقطاع من المجتمع، وبعد ذلك جاء بالأفراد، ثم درس كل فـرد وعرف زواياه، وملكاته، وأعطى له فى كل زاوية درجة، فـسيكون مـجمـوع كل إنسان يساوى مـجمـوع كل إنسان، والاخـتلاف والتـفاوت إنما هو قـدر الدرجـات فى كل زاوية من هذه الزوايا، وبذلك ينسـجم المجتمع ولا يتعاند وإنما يتعاون ويتعاضد. . ولو أن الناس كلهم سواسية فى خصلة واحدة لتدافعـوا، ولكن أنا محتاج إليك، وأنت محتاج إلى، وكـلانا محتاج إلى غيره. . إذن فـقد ربطت الحاجة (الموهبة) أو الحـاجة الطموحة، أو الحـاجة الملكية التى توجد فى ملكات الناس ارتبط بعضها ببعض، لأن عجز هذا كله يكمله قدرة ذلك؛ فيجب إذن أن تدور التربية على أن الإنسان فرد فى ذلك المجتمع.

هذا الفـرد لابد أن يكون له خاصـية. . ولكن النبـوغ يكون متى؟. . يكون النبوغ حينما يصادف العـمل الموهبة، ولكن حين لا يصادف العمل الموهبة لا يأتى النبوغ. . لذا فالعمل حين يصادف الموهـبة يأتى النبوغ، إذن فالميزان الأصلى الذى

---

(١) سورة الزخرف: ٣٢ .

يجب أن نتفاضل به: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وبعد ذلك يردنا إلى مسألة «إخوة الإيمان إلى إخوة الإنسانية ذلك أيضًا يجب أن يكون الملحظ الأساسى فى التربية».

[٦٨]

عــورات الإنســـان

س: من الخطأ الجسيم، والقصور الفاضح أن يتحدث إنسان همسًا فى أمر من الأمور يستحى منه فى العلن، فإذا لم يتوافق الظاهر والباطن، فهناك نقيصة لا تتجرد منها إلا النفوس اللوامة التى سرعان ما تفعل، وتعدل مسار نفسها. إذ تربأ بنفسها من التردى.

(جـ) يقول الشيخ الشعراوى:

إن وجود الشر هو معنى لاستبقاء الخير فى النفوس، وهو الصرخة التي تنادي دائمًا: إن هنا شر فحاولوا أن تقوموه، وحصنوا نفوسكم ضده.

ويستشهد الشيخ الشعراوى بقول الحق فى قصة آدم والشيطان:

﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾[1]، يدل على أن سوآت المجتمع لا تنكشف إلا إذا حصل عنصر المخالفة.. آدم وزوجته يأكلان فى الجنة، يأكلان بقدر الله. يقول له الله: كُلْ من هذا، ولا تأكل من هذا، وما دامت المسألة رمزية التكليف، وعملية تدريب فى الحياة، يقول الحق: كلوا ما شئتم من الجنة بغير فضلات، ذلك لأن الفضلات شيء زائد عن حاجة الجسم.

أما عندما أكل آدم من الشجرة، وعملت وسائل الاختمار عملها، ودخل العملية اختيارهم تواجدت الفضلات.

ويتساءل الإمام الجليل الشيخ الشعراوى:

---

(١) سورة الأعراف: ٢٢.

قال الكلبى: تهافت عنهما لباسهما؛ فأبصر كل منهما عورة صاحبه فاستحيا.

راجع تفسير الطبرى (١٢/ ٣٤١)، والقرطبى (٧/ ١٨٠، ١٨١)، والبحر المحيط لأبى حيان (٤/ ٢٨٠).

ما الفرق بين مخرجين هما القبل والدبر، وبين الأنف والفم؟ ولماذا كان القبل والدبر عورة ولم تكن الأنف والفم عورة؟

ذلك لأن القبل والدبر يخرج منهما المستقذرات كلها، إذن فكونهما عورة إنما جاء من المستقذرات كلها، وليس من كونها فتحات.

فى الجنة كانا يأكلان بمواصفات الحق، وعند الأكل من الشجرة، أكلا بمواصفات نفسيهما.

وليعلم الناس أن عورة الإنسان إذا ما ظهرت، فليدرك تمامًا أن منهجًا من مناهج الله قد تعطل.

ويضيف الإمام الجليل:

إن جمال الكون لا يتم إلا إذا وافقت النتائج المقدمات، إنما فى حالة اختلاف هذا التوافق، فإن الجمال قد ذوى وانتهى، واستبدل بالفساد والتحلل.

ويضرب الشيخ مثلاً طيبًا بالغًا فى الدقة، فيردف بقوله:

الألم الذى يشكو منه المريض ليس ظاهرة شر، بل صرخة تقول:

يا نفسى هنا داء فعالجيه.. والألم لذلك هو طريق العافية.

د ـ السحر وتسخير الجن

[٦٩]

السحر وتسخير الجن والشياطين

س: هل يتشكل الجن فى صور مختلفة، وهل له تأثيره على حركة الإنسان فى الحياة؟

(جـ): أجل، يتشكل الجان بسرعة خاطفة؛ لأنه إذا تشكل بشكل حكمه ذلك الشكل، فإذا أخذ صورة مادية خضع لقانون الماديات، فمن الممكن قتله برصاصة، أو ذبحه بسكين.

قال -ﷺ- لما تمثل له الشيطان: «**لقد هممت أن أربطه بسارية المسجد**

ليتفرج عليه صبيان المدينة»[(١)]. وحين يربط الشيطان؛ لا يستطيع فكاكًا، لأن قانون المادة حكمه.

۞ ۞ ۞

س: كيف يفرق الجن بين المرء وزوجه كما ورد فى القرآن الكريم؟

إن من خاصية الجن التشكل على هيئة قرد على وجه المرأة؛ فيبغض زوجها إليها، كذلك يتمثل الشيطان كالوحش على وجه الزوج؛ فينفر منه زوجه.

كيف يسخر الإنسان الجن، مع أن قانون الجن أقوى من قانون الإنس، وأشف منه؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى:

نعم.. يستطيع الله سبحانه وتعالى بطلاقة قدرته أن يجعل من الجنس الأدنى من يسخر الجنس الأعلى، ويتفوق عليه، وهذه ليست فرضية العنصر، فيريد الله أن يأتى أناس دون الجن فى قانونهم، ويعطيهم الأسباب؛ فيسخروا الجن.

ثم يردف فضيلة الإمام العالم فيقول:

حينما لا نقطع، ولا نستطيع أن نعلل شيئًا غيبيًا ثبت الإيمان به بواسطة الصادق فى التبليغ عن ربه الإله الحق، فخذها قضية لا يقف فيه عقلك، وهو الذى آمن بالإله الذى بلغها.. لا تناقض عقلك.

[٧٠]

﴿ وَلا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴾[(٢)]

قال سبحانه وتعالى: **﴿ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾**[(٣)]، فلا يضر السبب بذاته، ولكن الله جعله بإذنه، ووزر نيتهم فى الإذن، والله أنجى بإذنه، وعلمهم الله للابتلاء، ولكن الضرر بإذنه.

---

(١) حديث صحيح متفق عليه، أخرجه الشيخان (البخارى ومسلم) والإمام أحمد فى المسند فى مواضع متفرقة.

(٢) سورة طه: ٦٩.

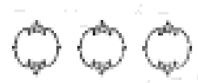
(٣) سورة البقرة: ١٠٢.

س: والمسحور الذى وقع فى أحبولة السحر، وشراك الشياطين، ومس الجنة.. ما علاجه؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

علاج المسحور يكون بقراءة المعوذتين ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾[1] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[2] وبهذا يرد الله به كيد الساحر إلى نحره، لكن ما يضر الإنسان هو نفسه، فإنه يظلم نفسه عندما يعتقد أن الساحر هو الذى يملك شفاءه من السحر، وعليه أن يقول: «اللهم إنى أفزع إليك إلى ما احتفظت به من شر ما علموه، وبكبرياء الإيمان». ووجوه السحرة عليهم غضب، وكلهم رهق وتعب.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[3]، أى فزادوهم تعبًا، لذلك نجد عليهم سحنة الغضب.



س: ما السبب فى أن أسرار قضايا الإيمان كلها غيبية؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

لو أن العقل وقف على كل سر فى الحياة، لما كانت الحياة ولا الدنيا أهلاً لأن تنسب إلى عظمة الله.

ولو أنك عرفت كل شىء فى الوجود، لكانت صنعة الله مقدورًا عليها، ولولا وجود بعض الأشياء توقف العقل، وهذه من عظمة الكون، ومن عظمته نسبته إلى الله جل شأنه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[4].

س: كيف يعذب الجن فى النار وهو مخلوق من النار؟

قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[5].

---

(١) سورة الفلق: ١.
(٢) سورة الناس: ١.
(٣) سورة الجن: ٦.
(٤) سورة الزمر: ٦٢.
(٥) سورة الحجر: ٢٧.

(جـ) يقول الشيخ الشعراوى: نعم يعذب الجن فى النار وهو مخلوق من النار، مثلما يغرق الإنسان فى الماء وهو مخلوق من الماء.

ويعقب الدكتور السيد الجميلى على ذلك فيقول: العنب حلال أكله، ولكن الخمر، وهى مصنوعة منه حرام.

[٧١]

النفاثات فى العقد

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾(١).

س: فما هى هذه النفاثات فى العقد؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى فى تفسير هذه الآية الكريمة: إن فسرناها بأنهن الساحرات، أو السحرة على إطلاقهم، هنا العلماء وقفوا موقفًا من هذه الآية، وكذلك موقفًا من قوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فى الآية التى تليها.

قال العلماء: إن هذه الآية جاءت لنا بنقطتين، وقف العقلانيون فيهما.. كيف يوجد شيء يسحر، وشيء يحسد، إذ أنكر العقلانيون السحر، وقالوا: إنه لا يوجد سحر إطلاقًا ذلك لأنه لم يخضع لقضية عقلية عندهم، كما أنكروا الحسد أيضًا؛ لأنه لم يخضع أيضًا لقضية عقلية كذلك.

وكما يقولون عن المدرسة العقلانية أنها لها نية حسنة. ولكن المدنية الحاضرة والنهضة العصرية التى بدأ الشرق العربى، والشرق الإسلامى أن يتعلق بأسبابها من الغرب؛ فتنت العقول بهذه الأشياء. وبعد ذلك جاء العقلانيون يتدخلون فى قضايا الإيمان الغيبية بأن يقربوا المسائل العقيدية التى لا تتفق مع العلم التجريبى، وواقع الأشياء، ومنطق الأشياء، فصاروا يؤولون فيها، وهم بذلك يريدون أن يخضعوا كل قضايا الدين لنطاق التجربة.

---

(١) سورة الفلق: ٤ .

النفاثات: السواحر. ينفثن: يتفلن إذا سحرن ورقين.

راجع الطبرى (٣٠/ ٢٢٨) والقرطبى (٢٠/ ٢٥٧) والبحر المحيط (٨/ ٥٣٢) والدر المنثور للسيوطى (٨/ ٤١٩) والتفسير الكبير للفخر الرازى (٣٠/ ١٩٤).

ولو أن هذه المسائل دخلت تحت نطاق التجربة، لما كانت المسألة فى حاجة إلى رسول، ولا إيمان بالله.

ولا يبقى عقلك حجة على ما خلق... وكم من أشياء لم تكن داخلة تحت نطاق الحس، ولا تحت نطاق التجربة، وبعد ذلك دخلت تحت نطاق الحس، وتحت نطاق التجربة.

الأشياء التى كانت غيبًا زمان، ثم مشهدًا تجريبيًا الآن، وهذه دلالة على أن عقل الإنسان ليس مقياسًا فى فهم الأشياء إذ أن عقلك ليس له إلا أن يوثق ذلك. أصدر ذلك عن الله أم لم يصدر؟

وبعد ذلك هو قال أم لم يقل ذلك؟

إن قال: خذها أنت مثلما قال الحق تبارك وتعالى... وبعد ذلك يكون البحث والاجتهاد، فاهتداء عقلك لبعض الأسرار قد يجعلك تؤمن عن يقين، وعن ثقة بالأشياء، وأنت لم تشهدها.

قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** ﴾(١) ويحيطون... جعل الإحاطة ونسبها لبشر، لكن بإذن الله، فكأن كل غيب عن البشر له مقدمات فى الكون من أجل أن يظهر.

قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ** ﴾(٢) فالمقدمات تفضل من الله على الإنسان.

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٥ .

السنة: النعاس من غير نوم، والوسنان: الناعس وهو غير نائم، وفى هذه الآية الشريفة دليل على أن السنة غير النوم، بدلالة العطف.

بتصرف من تفسير الطبرى (٥/ ٣٨٩) والجامع لأحكام القرآن (٣/ ٢٧٩) ولسان العرب لابن منظور (١١/ ٤١٩).

(٢) سورة الجن: ٢٦، ٢٧ .

انظر جامع البيان (٢٩/ ٧٦).

بعض العلماء قال: ﴿النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾(١) إنها ليست السحر...

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾(٢).

فالسحر ليس عملية بشرية، وأصله عملية علوية، فالشياطين علموها للبشر وبعد ذلك البشر تناقلوها.

﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾(٣).

الزمن والمسألة لهما مقدار عند الإنسان، وليس لهما مقدار عند الجن، ولا يستطيع الإنسان أن ينفذ من الحائط بينما الجن ينفذ منه.

[٧٢]

أى أنواع الجن يسخره الإنسان؟

س: نعلم أن الجن أنواع منه الخيِّرُ، ومنه الشرير الكافر، الذى يتعمد الأذى. فأى أنواع الجن يسخره الإنسان، أهو الخيّر أم الشرير؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: النوع الذى سيسخره الإنسان لا يخلو من أحد نوعين: إما جنى خَيِّرٌ، وإما جنى شرير.. والجنى الخيّر مثل الإنسان الخير، لا يستطيع أحد أن يسخره.. إذن لا يخضع للتسخير إلا الجنى الشرير، وهذا يتعب

---

(١) سورة الجن: ٢٦، ٢٧.
انظر جامع البيان (٢٩/ ٧٦).
(٢) سورة الفلق: ٤.
راجع الدر المنثور (٨/ ٤١٨) والجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٠/ ٢٥٧) والرازى فى التفسير الكبير (٣٠/ ١٩٥).
(٣) سورة البقرة: ١٠٢.

من سخره. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[1].

زادوهم رهقًا: أى زادوهم تعبًا، لأنهم تكبروا وتأبوا على قسمة الحق لهم بقانون الإنس. يقول لهم: وأنا أعطيت القانون لمن هو أحسن منك.. لا يقال: إنما الأعمال بالنيات، لأن نيتك أن تتفوق على البشر بقانون غير قانون البشر.

ويوضح الإمام الجليل نقطة خيرة للغاية إذ يقول فضيلته:

إن كل ما نراه من الخوارق، فهو من أعمال الأرواح الشريرة الهائمة فى الكون، وهذه لها طلاسم وأسماء وأسرار يستطيع الإنسان بها أن يسخر غيره.. فيعمل الأعمال التى لا يستطيع أن يعملها الإنسان، ولا الجنى العادى يستطيع أن يعملها.

س: وهل هذا التسخير من الإنسان للأرواح الشريرة الهائمة فى الكون يستطيع أن يقدم أو يؤخر فى حياة الإنسان؟

(جـ): كلا.. بدليل أننا نجد أن من ينهجون هذا النهج كلهم مصابون فى أشياء كثيرة، ومتعبون فى أشياء كثيرة.

إذن هناك خلق مستور عنا ولهم قوانين.. والحق يمكن الجنس الأدنى أن يتحكم فى الجنس الأعلى.

[٧٣]

خلق الجان من النار... وكيف يعذب فى النار؟!

قال تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾[2]، والإنسان قد خلق من الطين، فكيف يسخر مخلوق من الطين مخلوقًا من النار؟؟

---

(١) سورة الجن: ٦.

(٢) سورة الحجر: ٢٧.

قال المفسرون: المعنى بالجان فى هذه الآية: إبليس اللعين (أبو الجن) لأن منه تحدرت وتناسلت الجن.

ما هى الكيفية التى يتم بها ذلك، وكيف يعذب الجن فى النار، وهو مخلوق من النار؟؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

نعم.. ما دام خلق من النار، والإنس من الطين، فإن طبيعة تكوين كل منهما هى طبيعة عناصره. عندنا طبيعة عناصر تكوين كثافة وظلمة، طبيعة وعناصر تعطى شفافية، الأولى للإنس، والثانية للجن.

إذن لا تستقر الحواجز أمام مادته، ولا تحجبها، وقد خلق الجان بقانون أقوى من قانون خلق الإنسان، وقانون الجن أشف من قانون الإنس، وكما يتفاضل الإنس فى قانون كل منهم، بالمثل فإن الجن يتفاضل كذلك على بعض فى قانون الشفافية.

والحق سبحانه وتعالى عرض القضية فى قصة سليمان وبلقيس. سليمان يريد أن يحضر عرش بلقيس، قال: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[١] ففى قوله: ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ يدل على أنه كان عنده علم بأنهم فى طريقهم إليه، ومعنى ذلك أن من يتعرض للجواب: ليحضر عرش بلقيس قبل أن يأتوا، يحتاج إلى قوتين: قوة إيمانية، وقوة سرعة، أو طاقة سرعة: يذهب ويأتى بالعرش قبل أن يأتوا بالفعل. هذا ليس شعور بشر.. بل قوة وطاقة.. فوق البشر.

ومن هنا لم يتكلم بشر عادى؛ لأن قانون سليمان البشرى لا ينهض لذلك؛ لأن ركبهم فى الطريق إليه.

والسرعة التى تتطلب قوة خاطفة للإتيان بالعرش فوق قدرة الطين فى المروق والنفاذ.

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾[٢].

---

(١) سورة النمل: ٣٨.

وقد أراد سليمان أن يثبت لبلقيس ما هو عليه من نعم الله تعالى، وفضله، وعظيم قدرته. (انظر المعنى فى البيضاوى (٢/ ٨٣)).

(٢) سورة النمل: ٣٩.

راجع لسان العرب (٦/ ٢٦٣)، وتفسير الطبرى (١٩/ ١٠١)، والقرطبى (١٣/ ٢٠٣) وما بعدها.

وعفريت: يعنى جنى ثاقب بارع، وليس جنيًا عاديًا.

﴿ قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[(١)].

إذن الذى عنده علم من الكتاب عنده قانون أشف، وأرق من قانون العفريت من الجن، رغم أنه من الإنس. فما هو علم الكتاب؟ إنه علم أسرار الكتاب وفهمها.

ومن هنا نستنبط أن لكل جنس قانونًا يحكمه.

والإنسان مخلوق من الماء، ولا يذوب فى الماء. ويغرق فى الماء، كما أن النار ترى، لكن الجان لا يرى.

[٧٤]

قبول العبادة والشياطين

لى صديق من الأخيار فى شخصيته وسلوكياته، عبادته صادقة مخلصة لوجه الله تعالى، لسانه نظيف، لا ينطق الفاحشة، ولا يقرب السوء أبدًا، وربما كان ذلك من طبيعة البيئة النظيفة التى نبت فى أحضانها، لكنه يضيق ذرعًا بأقضيته فى الحياة التى تتعقد بشكل مروع فما سلك مسلكًا سهلاً قط فى حياته، إنما حياته كلها إجهاد، وموجدة متصلة، فإشفاقى عليه، وإعزازى إياه دفعنى لأن أسأل فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى:

س: هل من الممكن أن تكون العبادة خالصة لوجه الله تعالى والنية صافية، ومع هذا لا يتقبلها الله؟

(جـ): أجاب فضيلته.. أجل. وهنا مدخل الشياطين للنفس البشرية الطيبة، ومجال ممارسته لنشاطه؛ لأن الشيطان لا يعترض إلا الأتقياء والمخلصين فى العبادة.

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

قال تعالى: ﴿لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(١) إذن فمن الممكن أن تتدخل الشياطين فتفسد عبادة العبد الصالح . . . وقانا الله شر الشياطين.

ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم.

ولقد روى البخارى ومسلم وأحمد أنه -ﷺ- «**نهى عن خاتم الذهب**»(٢).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قد رأى خاتمًا من ذهب فى يد رجل، فنزعه وطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده!**» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله -ﷺ-: «خذ خاتمك وانتفع به»، قال: لا، والله لا آخذه أبدًا، وقد طرحه رسول الله -ﷺ-»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو أن النبى -ﷺ- رأى على بعض أصحابه خاتمًا من ذهب، فأعرض عنه، فألقاه، واتخذ خاتمًا من حديد، فقال: «**هذا شر، هذا حلية أهل النار**» فألقاه، فاتخذ خاتمًا من وَرِق (أى فضة) فسكت عنه»(٣).

وفيما روى أنه -ﷺ- قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يلبس حريرًا ولا ذهبًا**»(٤).

[٧٥]

الجـــن والسحــرة

س: هل من الممكن أن يتسبب الجن فى منع الرجل من ممارسة الجنس مع زوجته؟ وفى هذه الحالة أيكون العلاج بالذهاب إلى المشعوذين لفك هذا السحر والشعوذة؟

---

(١) سورة الأعراف: ١٦ .

الصراط المستقيم: هو الدين القويم.

انظر تفسير الطبرى (١٢/ ٣٤١) ومختصر ابن كثير (٢/ ١٠) والبحر المحيط (٤/ ٢٧٥).

(٢) مسلم (١٦٥٥) وابن حبان فى صحيحه وصححه السيوطى (٢/ ٦٠٢/ ٩٤٦٣).

(٣) الصحيح، كذا ورد فى المسند (٢/ ١٦٣).

(٤) المسند، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٤٠/ ٨٩٨٢).

(جـ): نعم.. كل هذا جائز، لا مانع من وجود السحر، وتسخير الجن حقيقة واقعة، والحق تبارك وتعالى يعطى بعض الخصائص للجنس الأدنى، فيجعله يسخر ويتحكم فى الجنس الأعلى، وهذه الخصائص تجعل الإنسان يستطيع أن يسخر الجن، فيجيء الجن القادر على التشكل للمرأة الجميلة، ويرسم شبح صورة قبيحة على صفحة وجهها، ويصبح هو قناعًا قبيحًا على وجه المرأة الجميلة، فيراها الرجل كالقردة أمامه.

وبالعكس يتشكل بصورة قناع جميل يتلبس بوجه المرأة الدميمة، أو العادية فيحبها الشخص، ويرى أنها ملكة جمال.

وهكذا فى عقد الزواج على زوجته فإنه يلبسها متشكلاً بصور تبعث على البرود الجنسى.

كل هذا من طريقة التشكل التى يتصور بها الجن، وأنصح دائمًا بعدم الالتجاء إلى المشعوذين، لفك المربوط والمعقود من الرجال على زوجته، إنما يقرأ سورة الإخلاص، والمعوذتين، وبذلك يأمن كيد الشيطان وينصرف عنه، بإذن الله هذا التشكل الجنى، فلا يضيره منه شيء.

[٧٦]
حكم من يختلف إلى المشعوذين

س: ما القول فى البسطاء والجهال الذين يختلفون إلى الكهان، والمشعوذين، والدجالين؛ يلتمسون عندهم الاستشفاء، واستطلاع الغيب؟

(جـ): قال -ﷺ- عن إتيان الكهان: «**لا تأتهم**»[١]. وسئل عليه الصلاة والسلام عن الكهان قال: «**ليسوا بشيء**» فقال له السائل: إنهم يحدثوننا أحيانًا بالشيء فيكون، فقال: «**تلك الكلمة من الحق يخطفها الجنى؛ فيقذفها فى أذن وليه من الإنس فيخلطون معها مائة كذبة**»[٢].

---

(١) المسند (٦/ ٨٧).

(٢) البخارى: (٩/ ٢٨٩/ ٧٥٦١) ومسلم (١٧٥).

[٧٧]

ولماذا اختار الله سليمان ملكًا ؟

س: اختار الله أنبياءه غير ملوك، لحكمة يقتضيها ذلك، ولو أراد الله شيئًا ما منعه شيء.. فما الحكمة من اختيار سليمان ملكًا ونبيًا؟

(جـ): إن فى ذلك مثلاً واضحًا للإنسان فى أن الله لو أراد أن تستقيم الأمور، لما استطاع أحد من خلقه أن يرفع رأسه، فها هو يختار رسولاً ولا يستطيع أحد أن يرفض له طلبًا؛ لأنه يملك القهر والسلطان.. لكن الله لا يريد ذلك.. الله يريد أن تذهب إليه طواعية، والله يريد أن نسير فى طريقه حتى ولو كان الذين يدعون إليه من الضعاف؛ لأن معنى ذلك أن الحب هو الذى دفعنا إلى الإيمان. وكم تعب الأنبياء، وكما عانوا من الحسد، والبغضاء، والمصاعب تلقاء دعوتهم لمنهج الله.

[٧٨]

وما كفر سليمان

تمهيد:

سخر الله لسليمان الجن، وكانت الملائكة تقودهم لسليمان بزواجر ومخاريق من نار، وكان سليمان يوقع وينزل بهم أشد صنوف العذاب إذا ما تقاعسوا فى تنفيذ أوامره إليهم. ولم يستعمل السحر فى تسخير الجن، وسخرهم للخير، ولم يسخرهم لشر أو لسبيل الشر. ولما مات سليمان، تقولت الجن عليه، وقالوا: إن سليمان إنما ملكهم بالسحر، وأرشدوا عن مواضع التمائم التى دفنها تحت كرسيه، كما أوردت ذلك بعض «الإسرائيليات».

وجاء القرآن ليبرئ ذمة سليمان، فقال تعالى فى سورة البقرة: ﴿ **وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ** ﴾[١].

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

الدر المنثور للسيوطى (١٠٣/١) وجامع البيان للطبرى (٤٥٣/٢) وكذلك (٥١١/٢، ٥١٢).

س: والسؤال: ما رأى الشيخ الشعراوى فى هذه القضية؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: الله تعالى سخر الجن سليمان، لنفع الناس وعمارة الأرض، ولم يسخرهم فى الإيذاء.

ولما قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ**﴾ أى أن الله جل شأنه حين سخر لسليمان الجن كان عليمًا بأن سليمان لم يكفر، ولن يستخدم هذه القوة فى الشر، ولكنه استخدم هذه القوة المسخرة له فى الخير، خصوصًا إذا أعطى الله لعدد من البشر فرصة لم تتح للآخرين.. فإن القسوة والشقاء سيسودان العالم، خصوصًا إذا استغل من أعطى هذه الفرصة، ليزداد بها شرًا ومعصية، ثم يقول الحق تبارك وتعالى عن الملكين هاروت وماروت اللذين علما الناس السحر.. ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾(١) وكلمة لا تكفر معناها: أنك إذا أخذت قوة ظاهرية فى الكون، فإياك أن تستعملها فى غير الخير.. وهذا ينطبق على العموم فى أية قوة يعطيها الله لك، فأنت وقت الطلب تقول: يا ربى، أعطنى كذا لأعبدك حق عبادتك، وأفعل الخير فى الكون.. فإذا أعطاك الله غرتك قوتك الظاهرية، وبدأت تفسد فى الأرض.. فإذا أردت حكمًا مثلاً دعوت الله سبحانه وتعالى أن يمكنك فى الأرض، واستجاب الله لك.. فإذا بك بعد أن مكنك الله تستخدم ما أعطاه لك فى محاربة الحق، ونشر الظلم والفساد، معتقدًا أنك فى منعة من الله سبحانه وتعالى.. وهكذا وقت أن طلبت تدعى الخير.. وبعد أن تحملت اتجهت إلى الشر.. وهنا يعلمنا الله مسالك الشيطان فى النفس البشرية، فأنت إذا ملكت سيأتى الشيطان، ويوسوس لك فى نفسك.. كما وسوس فى نفس آدم، فيوحى إليك أن ملكك لا يبلى، أى لا يزول.. وأنك خالد لن تلقى الله ليحاسبك، فتنسى يوم الحساب.. وتبدأ تفسد فى الأرض، ثم بعد ذلك يزول ملكك، ويذهب عنك الجاه والسلطان، وتلقى الله وحيدًا مجردًا من كل جاه الدنيا.. حينئذ يكون الشيطان قد أفسد عليك الفرصة التى أخذتها.. بدلاً من أن تكون أنت الأعلى أصبحت أنت الأسفل.

لذلك طلب الله سبحانه وتعالى حين نقرأ القرآن، أن نستعيذ الله من الشيطان الرجيم.. لماذا؟ لأنك إذا استعنت بالخالق من خلقه.. لا يستطيع هذا

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

الخلق أن يفسد نفسك.. والشيطان يريد، وأنت تقرأ القرآن أن يمنعك من أن تتلقى فيوضات الله من القرآن، فإذا استعذت بالله فالشيطان يخمد؛ لأنه إذا ذكر الله خمد الشيطان.

إذن فقول الله: إذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم، يقال: ليصبح جهاز استقبالك لصفاء وفيوضات القرآن بلا شوائب.

[٧٩]

لماذا خلق الله الشياطين؟

س: ما فائدة وجود الشياطين؟ وهل الشيطان موجود ليعكر صفو الإنسان؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إنه إذا لم يوجد ما يهيجك على المعصية تصبح الطاعة أمرًا اعتياديًّا، لكن عظمة الطاعة أن تتجلى بأن واحدًا يغريك بأن تعصى، فتقول له: لا.

إذن فكرة وجود الشيطان استيفاء لحرارة التكليف، ولمقابلة العبودية لله بأمر شيء من خلق الله. لو لم يوجد الشيطان كانت الطاعة فيها رتابة. وما معنى الرتابة؟ ربما لا يفكر أحد منا فى أكل لحم الخنزير، فالامتناع عنه بمرور الوقت يصبح عادة ورتابة، والله يريد منك أن يكون الامتناع عن خوف وعبودية، لا من آثار الرتابة والعادة، فلابد ممن يحرك لك طريق الغواية وأن تمتنع. هذه هى العبودية.

فاذكر مسبقًا عداوة من الشيطان ﴿**إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ**﴾[١]. إذن هذا مناط التكليف لنا إلى أن تقوم الساعة: أمر، ونهى، وتحذير من شيطان فيه عداوة مسبقة للإنسان. ما هى هذه العداوة؟.

إن الله قال للملائكة: اسجدوا لآدم... وهم لم يسجدوا لآدم، إنما سجدوا طاعة لأمر الآمر بالسجود لآدم.

إنما إبليس امتنع عن السجود لآدم، لأن السجود لا يكون إلا لله فهل أمر بالسجود إلا من الله؟ وقد علل هو عدم سجوده فقال: ﴿**أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ**

(١) سورة طه: ١١٧ .

طينًا ﴾(١)، ثم قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾(٢)، إذن هذا هو الاستكبار، ورد الأمر على الآمر سبحانه وتعالى؛ فخرج من رحمة الله إلى يوم يبعثون.

والحكمة فى خلق الشياطين هى نفسها الحكمة فى خلق الشر.

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: إنما أراد الله أن يجعل شيئًا، من الشر فى الوجود، لا ليذيع الشر، وإنما ليبتلى إيمان الناس فى الابتعاد عنه.

ورسالة الشر فى الوجود، هى أنه يهيج الناس إلى الخير، فبواسطة الشر يستبقى عنصر الخير بين البشر. فنحن بعد التجارب المادية أمامنا حين نخاف وباءً، نأتى للخالى من الوباء ونعطيه ميكروب الوباء، وهو ما يعرف «بمصل الكوليرا» أو «مصل التيفود»، لماذا نعطى له الميكروب حقنا؟ لنربى عنده مناعة، إذن فالشر إذا لم يوجد فى نفسى كان يجب أن يوجد ليستبقى عملية الخير.

[٨٠]

سحر قوم فرعون، وعصا موسى

اشتُهِرَ قوم فرعون بالسحر، فكان لابد أن يحبط موسى سحرهم هذا، حتى ينجلى صدق رسالته، وحقيقة دعوته، وسواء نبوته، وبعثه من الحق تبارك وتعالى مبلغًا عنه.

ومن أعسر المشاق أن يبعث رسول إلى سحرة، ومشعوذين ألفوا السحر، ومارسوا الشعوذة. فكان حتمًا ولابد من كفاءة عالية أوفق منهم، وأفوق عليهم؛ حتى يستسلموا مذعنين مشدوهين.

والساحر لا يشهد إلا لأكبر منه كفاءة، مثل الطبيب عندما يريد أن يطيب نفسه؛ فإنه يختلف إلى طبيب آخر أكبر منه علمًا، وأخبر منه تجريبًا، وهذا ما حدث بالنسبة لموسى، إذ دربه الله، وجعله متقنًا للتدريب، ثم بعد ذلك أجرى التجربة بكفاءة واقتدار، فأخرس ألسنة الباطل بلسان الصدق، وتجربة الحق.

---

(١) سورة الإسراء: ٦١ .

(٢) سورة الأعراف: ١٢ .

انظر جامع البيان (٨/٩٦) ومختصر ابن كثير (٢/٨) بتصرف.

س: والسؤال الآن: ما الفرق بين سحر قوم فرعون، وبين عصا موسى؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

قال تعالى: ﴿ **وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى** ﴾[١]؟ يرد موسى: ﴿ **قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ** ﴾[٢].

هنا يقول الله فى المهمة التدريبية لموسى عليه السلام: ﴿ **أَلْقِهَا يَا مُوسَى** ﴾[٣] فيلقى موسى بالعصا ﴿ **فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ** ﴾[٤]، وخاف موسى لكن الله يقول: ﴿ **لا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىٰ** ﴾[٥].

ولو لم يكن موسى قد خاف لقلنا: هذا نوع من السحر، ولنتنبه إلى أن هناك فرقًا بين السحر الذى كان يمارسه بعض قوم فرعون، وما جاء به موسى.

إن القرآن يصف حالة موسى:

﴿ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً** ﴾[٦]... وهذا دليل على أن عصاه انقلبت إلى حية بالفعل، والواقع ومعنى هذا أن حقيقة العصا قد تغيرت بالفعل، وهذا هو الفارق بين سحر قوم فرعون، وبين عصا موسى.

إن سحرة فرعون.. يسحرون أعين الناس، فلا ترى حقيقة الأشياء، إنما يرى الناس الوهم الذى يضفيه السحرة على أعينهم.

أما معجزة موسى.. ففيها تغيرت الحقيقة، وأصبحت العصا حية.. هكذا نرى معجزة الله مؤانسة لموسى، ثم بعد ذلك تدريب، ثم تكليف بالمهمة.

وهكذا يعلمنا الله أنه لا مهمة إلا بتدريب، ولا إنجازًا موفقًا بغير إتقان للتدريب.

---

(١) سورة طه: ١٧.

(٢) سورة طه: ١٨.

(٣) سورة طه: ١٩.

(٤) سورة طه: ٢٠.

(٥) سورة طه: ٢١.

(٦) سورة طه: ٦٧.

أوجس خيفة: أى أضمر خوفًا.

هـ - الوحى والرسل والأنبياء

[٨١]
بشارة سيدنا عيسى بمحمد -ﷺ-

س: ما دليل صدق بشارة سيدنا عيسى بسيدنا محمد -ﷺ-؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

١- ورد اسم سيدنا محمد -صلى الله عليه وآله- فى القرآن أربع مرات، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾(١).

﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾(٢).

﴿وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾(٣).

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾(٤).

٢- ورد اسمه -صلى الله عليه وآله- على لسان سيدنا عيسى باسم أحمد.

﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾(٥).

٣- إن لفظ الإنجيل فى اللغة اليونانية بمعنى البشرى، أو البشارة فلو أن الناس فقهوا عن الله، ولا أقول فقهوا القرآن، ولكن فقهوا ما بين أيديهم لعلموا أنهم يغضبون السيد المسيح حينما لا يعترفون بنبوة محمد -صلى الله عليه وآله-.

إن كلمة الإنجيل التى اختارها الله اسمًا للكتاب الذى أنزل على عيسى -عليه

---

(١) سورة آل عمران: ١٤٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٤٠.

(٣) سورة محمد: ٢.

(٤) سورة الفتح: ٢٩.

(٥) سورة الصف: ٦.

السلام- معناها البشرى، أو البشارة، والبشرى هى إخبار بشىء مفرح، وخير يأتى بعد فكأن لفظ الإنجيل فى ذاته مبشراً برسول الله الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وآله وسلم-.

٤- الدليل الأول على ذلك هو إنجيل متى:

الإصحاح الحادى عشر الفقرة (١٤، ١٥) بالرجوع إلى كتاب العهد الجديد ص ٢٥ نجد الآتى:

(الفقرة ١٤) يقول سيدنا عيسى: «وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيلياء المزمع أن يأتى الفقرة (١٥) (من له أذنان للسمع فليسمع).

فى كتاب الأستاذ عزت الطهطاوى (نبى الإسلام بين التوراة والإنجيل والقرآن) قال: إن كلمة (إيلياء) بلغة اليهود العبرية تحمل رمزاً عددياً يستعمله اليهود على حروف (أبجد هوز حطى كلمن)، وحساب الجمل (بضم الجيم وتشديد الميم وسكون اللام) هو الحساب بالحروف الأبجدية كالآتى:

أ ب ج د/ هـ و ز/ ح ط ى/ ك ل م ن

١ ٢ ٣ ٤/ ٥ ٦ ٧/ ٨ ٩ ١٠/ ٢٠ ٣٠ ٤٠ ٥٠

قالوا: إن اليهود عندهم حساب الجمل العددى، وقال الدكتور الطهطاوى أننا إذا حسبنا (إيليا) لأننا لم نجد رسولاً بعد عيسى اسمه إيلياء، فرجعنا إلى العبرية لنعرف معنى إيلياء، فوجدنا أن فيها رمزاً عددياً.

أ	ى	ل	ى	أ	ء
١	١٠	٣٠	١٠	١	١

= ٥٣

أ	ح	م	د
١	٨	٤٠	٤

= ٥٣

- وأحمد إذا جمعنا أيضًا حساب الجمل = ٥٣

فكأن كلمة إيلياء الواردة فى إنجيل متى، هى العددية للفظ أحمد.

- وتكون أحمد جاءت فى بشارة عيسى؛ لتلتقى رمزاً بما بشر به عيسى كلمة إيلياء التى لا مدلول لها فى نبوة جاءت بعده.

٥- الدليل الثانى: إنجيل يوحنا:

الإصحاح الرابع الفقرات (١٩، ٢٠، ٢١) وبالرجوع إلى كتاب «العهد الجديد» ص ١٩٧ نجد الآتى:

الخطاب من امرأة إلى سيدنا عيسى -عليه السلام-.

فقرة (١٩) (قالت له امرأة: يا سيدى، أرى أنك نبى):

فقرة (٢٠) (آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل، وأنتم تقولون: إن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه).

فقرة (٢١) (قال لها يسوع) عيسى (يا امرأة، صدقينى إنه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل، ولا فى أورشليم، تسجدون للرب).

٦- ما معنى ذلك؟: معناه إيذان بأن قبلة الله النهائية ستكون فى غير أورشليم، فقد جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس، وقبلة للصلاة.

أحب أن يفطن الناس جميعًا إلى ذلك؛ ليتدارسوها ولنهتدى جميعًا إلى منهج الله تعالى.

[٨٢]

فرح الوجود بمولده -ﷺ-

س: كيف فرح الوجود بمولد سيدنا محمد -ﷺ-؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

الرسول -ﷺ- هو الخاتم، ومعنى الخاتم: أن الله أودع فى أمته خصيصة، هذه الخصيصة تقوم مقام تعدد النبوات، وتعدد الرسالات، إذن فرسول الله -ﷺ- هو الخاتم لرسالات السماء، وما دام الخاتم لرسالات السماء، فلابد أن يكون فى رسالته عناصر البقاء، وفى أمته أيضًا، عناصر الحفاظ على هذه الرسالات، ولذلك يقول: «**الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة**»[1]، ولكن الخير حين يكون محصورًا

---

(١) ذكر السخاوى فى «المقاصد الحسنة» أن الحديث بلفظه هذا لا يعرف. ونقول: إنه إن لم يكن صحيحًا، فإن معناه صحيح.

فيه، فمحمد -ﷺ- أهل لأن يتلقى كمالات متعددة، ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى، فالخير فيه -ﷺ- بأجمعه وكله، ولكنه فى أمته موزع، فواحد يأخذ منه صفة، وآخر يأخذ منه صفة، وثالث يأخذ منه صفة، بحيث إذا تجمعت صفات الكمال فى أمته -ﷺ-، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الأمة كلها.

جاء رسول الله -ﷺ- ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود، ومعنى انسجام الإنسان مع الوجود أن الوجود بجماده ونباته وحيوانه خاضع مسخر لله، لا يمكن أن يصدر عنه شىء إلا بمراد الله منه، ولكن الإنسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع، وجاء منه العاصى، ولذلك يعرض الحق هذه القضية، فى عدم انسجام الإنسان مع الوجود الخاضع الساجد الخاشع، يقول الحق: ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ** ﴾(١) تلك هى أجناس بإجماع ساجدة، خاضعة لله، ولكنه حين جاء عند الإنسان لم يأت ذلك الإجماع، فقال: ﴿ **وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ...** ﴾(٢) وكان من المفروض أن ينسجم الإنسان مع الوجود كله، فيكون خاضعًا لمنهج الله، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله، ويأتلف معه، وينسجم معه، ولا ينسجم شىء من الوجود مع الإنسان الطائع، أما الإنسان العاصى، فهو يشكل شقاقًا بينه وبين أجناس الوجود، وجود مسبح، وجود ساجد، وجود خاشع، وإنسان متمرد.

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للإنسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود فلا بدعة إذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد إليه انسجام الإنسان معه، وذلك هو الشأن معه -ﷺ-، جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله، ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الإنسان، ليكون الإنسان خاضعًا كبقية أجناس الكون لله سبحانه وتعالى.

إذن فلا عجب أن يفرح به الوجود، لا عجب أن يفرح به الجماد، ولا

---

(١) سورة الحج: ١٨ .
راجع القرطبى ومختصر ابن كثير (٢/ ٥٣٤).
(٢) سورة الحج: ١٨ .

عجب أن يفرح به النبات، ولا عجب أن يفرح به الحيوان، ولا عجب أن تفرح به الملائكة، ولا عجب أن يفرح به طائع الجن.

إذن، فإذا عرضت لنا السيرة أن أشياء من الكون فرحت برسول الله، وحدثت أشياء منها، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله، عارف بحق الله.

وأيضًا، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا، ولكن الذين آمنوا هم الذين شاهدوها، هم الذين سمعوها، فالذين سمعوها حجة على أنفسهم، ونحن نتلقى عنهم الخبر، فإن كنا موثقين لهم فى الخبر، صدقناه، وإن لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر، فنحن أحرار فى أن نصدق أو لا نصدق، ولكن منطق الأشياء ومنطق الوجود، لا يحيل وجود شيء من ذلك.

فإذا جدثنا أن إيوان كسرى قد شق، فماذا فى ذلك؟ وما فى ذلك من العجب؟! أنستبعد أن يوقت شق الإيوان بالميلاد؟ أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس، وأن يوقتها مع الميلاد؟ أنستبعد على الله أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة؟!

(٨٣)

نزول الوحى

س: كيف كان ينزل الوحى على سيدنا رسول الله -ﷺ-؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

كان أول الوحى يجهد النبى -ﷺ-، فكان يقول بعد أول الوحى «**زملونى، دثرونى**»... وقال فى أول اتصال الوحى به: «**فغطنى؛ حتى بلغ منى الجهد**».. وروت السيرة: وأن جبينه ليتفصد عرقًا... كل ذلك ظواهر مادية...، وهذه الظواهر المادية لابد أن يكون ما فيها إجهاد مادى، وما دام فيها إجهاد مادى، لابد أن تكون فيه كما سبق أن قلنا تحولات كيماوية فى ذاتيته البشرية -ﷺ-؛ لأن ملكًا أعلى سيلتقى ببشر. فلا مفر من أحد أمرين:

الأمر الأول: إما أن ينتقل الملك من ملكيته إلى بشرية تساوى بشرية الرسول؛ فيتكلم معه، وحينئذ لا يكون عند البشر مجهود، لأن العملية صارت من الملك: وتمثل له بشرًا، وكلّمه، فهو لا يزال على طبيعته البشرية، وإما أن يحصل التحول منه -ﷺ-، فتصفو نفسه وتهتز بشريته، حتى يمكن أن تلتقى

البشرية بالملكيـة، وذلك هو أشق أنواع الوحى على رسول الله -ﷺ- إلا أنه آكد الوسائل فى صـدق بلاغه عن الله؛ لأن الملك إذا تمثل ربما يكون الـظن بشرًا أعلى من بشريتى يكلمنـى، ويخاطبنى، وينقل إلىّ كذا، فليس فى ذاتيـته -ﷺ- دليل الاتصال الخارجى.

أما أن يـحدث فى تكوينه شىء. ترتجف بوادره، ويـتفصـد جبـينه عـرقًا، ويحصل له ما يحصل، فهذا أمـر ذاتى فيه. فحينما يأتى علم له عن هذا الطريق، يعرف أن ذلك علم عن طريق غير عادى، ينجلى فيه ما على رسول الله -ﷺ-، ومعه دليله، إن ذلك ليس أمرًا عاديًا، لا ببشر، ولا بكلام، من وراء حجاب.

ذلك أن هذه الآية تنبئ أنه ليس عند الله أسباب يتقـيد بها، وإن كان الله قد خلق الأسباب لتنظيـم الحياة على الأرض، ولو كانت هذه الأسبـاب قيدًا على الله سبحـانه وتعالى لقال الله: إنه إذا أراد شيـئًا هيأ له الأسبـاب ليكون، ولكن كلمة «كن» أن لا دخل للأسباب فيه، وأن مجرد قوله تعالى: «كن» يجعل الشىء يكون دون أسباب أو مـسببات. . . فـخلق السموات بكلمة «كن» وخلق الإنسـان بكلمة «كن»، وكل ما يشاء بكلمة «كن».

ويوضح الشيخ الشـعراوى هذه المسـألة أكثر فـيقول فـضيلته: حـينما ألقى إبراهيم فى النار، وخاصية النار هى الإحراق، فـالله سبحانه وتعالى قال: ﴿**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ**﴾(١) فتوقفت خاصية الإحراق فى النار؛ فأصبحت لا تحرقه ولا تؤذيه.

[٨٤]

البث فى الروع

س: يعن سؤال لنا جميعًا... ما هو الفرق بين البث فى الروع، وبين أى خاطر بشرى آخر من الممكن أن يخطر للإنسان؟

(جـ): يقول الإمام الجليل الشيخ الشعراوى:

إن الذى ينفث فى روعه، يكون مع النفث فى الروع دليـل على صدقه وأنه

---

(١) سورة الأنبياء: ٦٩ .

انظر تفسير ابن الجوزى (٥/ ٣٦٨) والجامع لأحكام القرآن (١١/ ٣٠٣).

مع الله، ولا يشك فيه، بدليل أننا قلنا عندما قال الحق تبارك وتعالى لأم موسى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١).

قلنا: هل امتثلت أم موسى، أم لم تمتثل... أريد أن أرى أية امرأة تخاف على وليدها، فأقول لها: لما تخافى على ولدك ارميه فى البحر... أى نفر يصدق هذا المنطق؟ لو لم يكن مع هذا الخاطر الذى جاء فى روعها أنها تلقيه فى البحر خاطر ليس بشريًا، وليس شيطانيًا، وإنما هو خاطر من الله، ما انصاعت إلى تنفيذ الأمر المخالف للفطرة البشرية، وكيف تنجيه من موت مظنون، إلى موت محقق؟

إذن فالنفث فى الروع من جهة علوية إلهية.

[٨٥]

الآخرة والأولى

س: ما معنى: ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾(٢).

(جـ): يظن البعض أن المقصود بالآخرة فى الآية الكريمة من سورة الضحى المقصود بها (الحياة الآخرة). لكن الشيخ الشعراوى يوضح أن المقصود بها ليست (الحياة الآخرة) بل نزلة الروح الأمين جبريل بالوحى المرة الأخيرة.

يقول فضيلة الإمام الجليل: ولذلك ما اشتكى رسول الله -ﷺ- الوحى بعدها.. لماذا؟ لأنه ربيت فيه طاقة الشوق للأمر الشاق، فهانت المشقة وجعلت النفس لا تشعر بها. فإذا جاء الإنسان، وعرض على إنسان أمرًا شاقًا، ثم رأى ثمرة ذلك الأمر الشاق حلوة، بعدما يهدأ ويستجم، ذهب التعب وبقيت حلاوة ما أوحى إليه، حلاوة ما أوحى هذه تجعله يشتاق إن غاب عنه الوحى، وعندما

---

(١) سورة القصص: ٧.
راجع تفسير الطبرى (٢٠/ ٢٠)، والقرطبى (١٣/ ٢٥٠) والبحر المحيط (٧/ ١٠٥) والبيضاوى (٢/ ٨٨).
(٢) سورة الضحى: ٤.

يشتاق، يجد نفسه قد تولد فيها طاقة، وشوق يجعلانه لا يشعر بالمتاعب بعد ذلك.

[٨٦]
ليظهره على الدين كله

س: يقول القرآن الكريم: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(١) ونحن الآن نرى أنه ما زال هناك الإلحاد، والأديان الباطلة.. وليس هناك دين أظهر على بقية الأديان؟

(جـ): لو فهمنا القرآن بالعقلية العربية، والملكة العربية ما كنا سألنا هذا السؤال؛ لأنه يقول: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾.. ولو كره المشركون آيتين.. إذن سيظهره وهناك كاره، ولكن عندما لا يوجد كاره من الكافرين، وكاره من المشركين أى الكل من المؤمنين فما معنى يظهره إذن؟ أظهره بمعنى جعله يغلبه إذن يغلبه، تعنى أن هناك صراع، ولكن لو وجد الإيمان من الطرف الثانى، فإن الصراع ينتفى.

أنتم تهتدون الآن من نوع واقع التجربة فى مجتمعاتكم إلى بعض القضايا، فتحلونها حلاً بشريًا، فتجد أن الحل البشرى ملتقٍ مع الإسلام، وهذا هو الإسلام.. لأنكم دخلتم مع الإسلام فى صراع ثم اضطررتم أنتم مع بقائكم على قصوركم وشرككم إلى أن تأخذوه، ولكن هل أخذتموه على أنه الإسلام أم على أنه حل للمعضلة..

إذن ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ تعنى: أنه ستثبت لكم الأيام من الأحداث والتجارب أن قضايا الإسلام أحكم، وسيضطر إليها الناس، ولو كرهوا ويعملون بها على أنها ليست دينًا مثل الذين كانوا يحاربون الطلاق، ثم لجأوا إليه، وكذلك فى كل القضايا الأخرى من الربا والخمر.. انظر كم تصرف أمريكا من أجل محاربة كل هذه الأمور، وهم يفعلون ذلك، ليس لأن الإسلام قد نهى عنها، إنما

---

(١) سورة الفتح: ٢٨.
انظر تفسير الطبرى (٢٦/ ٧٠) والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (٤/ ٥٨) والكشاف (٤/ ٥٥٠).

يفعلونه لأنه يخرجهم من متاعبهم إذن ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ بمعنى أن يجعل حكمه غالبًا من غير مؤمن به، أدعى إلى الثقة به أكبر من أن يكون مؤمنًا به لأنه لا يفعله تدينًا موعظة، إنما فعله لأنه يريحه، إذن يجب أن نستقبل الإسلام بالنسبة لأصول الحكم، أو بالنسبة لأى شىء، على أننا سلمنا زمامنا لله.

[٨٧]

قد جاءكم من الله نور

س: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(١) فهل المقصود بالنور هنا النبى -ﷺ- أم القرآن؟

(جـ): لما كانت واو العطف تقتضى مغايرة ما قبلها لما بعدها فى الحكم، فإننا نفهم من ذلك أن النور ليس هو الكتاب (القرآن) الذى يشتمل على المنهج الذى يخرجنا من الظلمات إلى النور. ومحمد -ﷺ- هو الذى دلنا على الكتاب وهذا يصل بنا إلى أن محمدًا هو النور، ومحمد -ﷺ- ظهر أمامنا ماديًّا، ولم يره الناس نورًا بالمفهوم المادى إنما رأوه إنسانًا عاديًّا فى تكوينه وتركيبه الفسيولوجى.

ويصح أن يقبل هذا التفكير فى القرن العشرين، فالآن من الممكن تحويل أى مادة من المواد إلى إشعاعات ضوئية، وأى ضوء بتجميعه، وتكثيفه تنتج عنه مادة.

وعلى هذا الترتيب قرب العلم المسألة للأفهام، فالله قد خلق الأشياء من نور، ومعنى هذا أنه من شعاع نوره خلقت الماديات.

[٨٨]

تتابع الرسل لماذا؟

س: فى تتابع الرسل والأنبياء صراعات شتى بين الحق والباطل، فلماذا لم يكتف الحق تبارك وتعالى برسالة واحدة يجبر الناس على الإذعان لها، والإيمان بها؟

---

(١) سورة المائدة: ١٥ .

(جـ): يقول فضيلة الإمام: يقول الله تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾(١).

بل إن بعض الأنبياء قد بعث ومعه قوة مذهلة يستطيع بها أن يقهر من فى الأرض فى عصره مثل سليمان.. كان معه الريح.. ومعه جيوش من الإنس والجن.. ومعه الغلبة والقوة من الله سبحانه وتعالى، وكان من الممكن حقًا أن يرسل الله رسولاً له من القوة والقهر ما يقهر الناس على الإيمان بالله، ولكن الله لا يريد ذلك.

إن الله يريد أن يأتى الإنسان إليه طائعًا مختارًا، وبذلك ميز الإنسان عن سائر المخلوقات من الكائنات، يريد من الإنسان أن يقول: يا ربى.. اخترت طاعتك، واخترت الإيمان بك، وبعدت عما نهيتنى عنه مستخدمًا فى ذلك ما أعطيتنى من حرية الاختيار ليكون جزائى عندك عظيمًا، فإنى إليك باختيارى.

[٨٩]

أولو العزم من الرسل

س: هل يعتبر آدم من أولى العزم والله يقول فيه: ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾(٢) ومن هم أولو العزم؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

آدم ليس من أولى العزم، وأولو العزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، عليهم الصلاة والسلام، وقد جمعهم الله فى قوله:

---

(١) سورة الشعراء: ٤ .
راجع ما قاله الشيخ الصاوى فى حاشيته على الجلالين (٣/ ١٦٧).
(٢) سورة طه: ١١٥ .
نسيان آدم هنا هو ترك العهد.
راجع القرطبى. وقوله: ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ أى رأيًا معزومًا عليه.
راجع الكشاف للزمخشرى، وحاشية الصاوى على الجلالين (٣/ ٦٦).

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾(١).

[٩٠]

الشريعة والحقيقة

س: ما هو الفرق بين الشريعة والحقيقة؟

(جـ): المقصود بالشريعة هو أن تعمل الأمر الذى يسقط عنك الحرج، والحكم من مساويك.. فإذا قامت الصلاة فقمت وتوضأت وصليت، لكنا رأيناك تفعل ذلك ولا أحد يستطيع أن يقول غير ما رأى، ولكن هل أديت الصلاة كما يريدها الله منك وبنية أداء الفرض الذى أمرك الله به؟ أنت عندما توضأت وصليت فقد أتيت بحدود الشريعة، أى: بالشكل المطلوب فى الصلاة، ولكن هل اتجهت نيتك عند ذلك إلى أداء فرض الله أم رياء؟ الحقيقة هى أن تؤدى الشريعة بالحكم والقصد المطلوب من العمل المشرع.

فالشريعة: هى أن تؤدى الفرائض شكلاً، ولكن الحقيقة هى أن تؤديها موضوعًا، فالحقيقة: هى السر بين العبد وربه، أهو يؤدى ما شرعه الله كما يريده الله، أم أنه يريد فقط أن يخرج من تبعة مثله. إذن فالحقيقة أن تصل إلى لب التكليف، فيقال: أن من يشرع ولم يتحقق يكون منافقًا، فقد كان المنافقون فى عهد رسول الله -ﷺ- يجلسون فى أول الصفوف فهم من ناحية الشريعة يؤدون الأعمال، أما حقيقة الأمر فغير ذلك. إذن أقبل على حكم الله بمراد الله فيه، لا بما يدفع عنك رأى مثلك.

فلو أن رئيسًا جديدًا دقيقًا فى عمله، ووضع تعليمات دقيقة للمواعيد، ومنع تناول المشروبات والأطعمة فى وقت العمل، ووضع لائحة جزاءات للمخالف، فنجد موظفًا يأتى فى موعده، وينفذ كل التعليمات المطلوبة منه، فهو أدى الشكل بالحضور والالتزام بالتعليمات الشكلية دون الجوهر، والموضوع، وهو أداء العمل المطلوب منه. وهكذا الشريعة هى شكل العبادة، والحقيقة هى المراد من المشرع،

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

راجع القرطبى (١٦/ ١٠) وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ٣٢).

فمن أدى الشريعة فقط فقد خدع الناس، ولكنه لم يخدع المشرع، ولذلك فإن صاحب الشريعة لا يجد فيوضات صفاء، أما صاحب الحقيقة فله صفاء، وله نور وإشراق.

[٩١]

وشهدوا للقرآن وهم به كافرون

س: كيف غزا القرآن قلوب الكفار، ومع ذلك لم يؤمنوا به معاندين ومكابرين؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى فى ذلك: العرب أول الأمر استقبلوا هذه المسألة لا بأذواقهم البيانية، ولا بملكاتهم الطبيعية إنما استقبلوا ذلك بالإنكار أن يكون محمد -ﷺ- هو الرسول بدليل قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**﴾(١).

إذن فلا اعتراض لهم على القرآن، والقرآن قد أخذ بألبابهم، وأخذ بأفكارهم، وإنما الخلاف فقط فى: لماذا هذا الرسول بالذات؟

إذن فقد نقلوا الموضوع عن أصله؛ لأن الموضوع أنه تحداهم بالقرآن، ولكن الخلاف عندهم ليس على القرآن، ولكن على من جاء على يده القرآن. ونجدهم يترددون.. فمرة يقولون: سحر فنسألهم أهو سحر؟ يقولون: نعم سحر.. فنقول لهم: المسحور، أله خيار مع الساحر؟ إذا أراد الساحر أن يسحر إنسانًا.. أيستطيع المسحور أن يتأبى على ذلك السحر؟ فإذا كان قد سحر قومًا، فلماذا لم يسحركم أيها المخالفون؟

إذن فى ذلك نرد عليهم فى أنه ليس بسحر، ولو كان يسحر لسحركم أنتم أنفسكم.

---

(١) سورة الزخرف: ٣١.
البحر المحيط (٨/ ١٢) والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٧) وتفسير أبى السعود (٥/ ٤٤) وحاشية الصاوى (٤/ ٤٦) والكشاف (٣/ ٤٨٥).
قال المفسرون: يُعنون بالرجلين: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفى بالطائف. اهـ.

ومرة يقولون: كهانة، نقـول: قارنوا بين أسلوب الكهانة، وسجع الكهانة، وسجع القرآن.

إلا أن القرآن حين يعرض ذلك، يعرضه عـرضًا مدللاً تدليلاً تقنع به النفس الطبيعية الصافية، فماذا يقول؟

﴿ وَمَا هُـوَ بِقَـوْلِ شَاعِـرٍ قَلِيـلاً مَّا تُؤْمِنُـونَ ﴿٤١﴾ وَلا بِقَـوْلِ كَاهِـنٍ قَلِيـلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[١].

[٩٣]

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل

س: قـيل: أن إبراهيم -عليه السلام- هو الذى بنى البيت الحـرام، ولكن آخـرين قالوا: إن الملائكة هى التى بنت بيت الله الحرام.

(جـ): والشيخ الشعراوى يرى:

أن بيت الله الحرام قـد بنى قبل إبراهيم بفترة طـويلة، ولكن إبراهيم -عليه السلام- رفع القواعد منه هو وابنه إسماعيل؛ لقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ يَرْفَـعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾[٢] فكلمة (يرفع القواعد) معناها أن البـيت كان مـوجودًا قبل ذلك، ولكن جـاء إبراهيم ليجـدد بناءه ويقيم دعائمه من جديد.

تعقيب:

فى هذا المقام الرفـيع الرائع لا يجب أن تمر روعة المشـهد دون وقـفة طويلة

---

(١) سورة الحاقة: ٤١، ٤٢.

القرطبى (١٨/ ٢٧٥) والتفسـير الكبير للرازى (٣٠/ ١١٨) والخازن (٤/ ١٤٥) والكشاف (٤/ ١٥٤) وروح المعانى (٢٩/ ٥٣).

(٢) سورة البقرة: ١٢٧ .

وقواعد البيت: أساسه، واحدها: قاعدة (وفى اللسان (٧/ ٣٠١): جمع الأس: أساس، وجمع الأساس: أُسُس مثل قذال وقُذُل).

وقواعد النساء: هن العجائز واحدها قاعد وهى العجوز.

راجع جامع البيان (٣/ ٥٧)، وأبا عبيد فى مجاز القرآن (٥٠).

نتأمل فيها مليًا روعة المنظر التمثيلى، وكأنه واقع بين ظهرانينا، ودعاؤهما ملء السمع والبصر فى كل عصر وأوان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[١].

﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

إعجاز فنى، وصورة حية مجسدة ناطقة بالحيوية.

البيت كان موجودًا قبل إبراهيم وإسماعيل، بدليل قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[٣].

ففى قوله تعالى: ﴿عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ فالعندية تؤكد لنا أنه كان موجودًا وإسماعيل رضيعًا، قبل أن يصبو ويكبر.

س: وهل خلقت الجنة بعد أم لا؟

(جـ): نعم خلقت. والله أعلم.

[٩٣]

تأملات فى سورة يوسف

س: سيدى الشيخ: فى سورة يوسف يقع صراع بين إخوة يوسف ويحتد هذا الصراع حتى يصل إلى التآمر على يوسف بالكيد. كيف يكون هذا وأبوهم نبى؟ ونريد أن نستوضح الشيخ: ما هو موقع الشر داخل نفوس إخوة يوسف.. وبماذا نسميه؟

(جـ): يعرض القرآن فى بعض اللقطات التى عرضها فى القصص فى سورة يوسف: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾[٤] إذن فإيثار فرد بالحب على الآخرين ينشىء فى نفس الآخرين عقدة النقص.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧.
(٢) سورة البقرة: ١٢٨.
(٣) سورة إبراهيم: ٣٧.
(٤) سورة يوسف: ٨.

هذه العقدة قد تؤدى إلى أن يكون السلوك غير منطبق على المبدأ الخلقى، ولذلك حينما أحس إخوة يوسف بأن يوسف وأخاه أحب إلى أبيهم منهم، فكروا فى أن يزيحوا ذلك الحب من طريقهم وقالوا: (نحن عصبة) ولو أنهم فهموا بعض الفهم، لعرفوا أنهم جاءوا بحيثية امتياز ذلك الصغير بالحب؛ لأنكم عصبة ولأنكم أشداء -وهو صغير يعطف عليه- فلا تقيسوا العطف والحب هنا على العطف والحب عليكم؛ لأنكم اجتزتم المرحلة التى يعوزكم فيها العطف.. والحب فى المرحلة التى ينفع فيها العطف والحب، فالإنسان منا يحب صغيره قطعًا لماذا؟ لأنه يعتقد أن هذا الصغير بالنسبة لإخوته هو أقصرهم عمرًا معه، وأنه فى حاجة مع العجز إلى شيء كثير من الحب، فلو أن الكبار فهموا تلك العلاقة لما جعلوها عيبًا فى الأب، ولا أخذوها سبب حقد على ذلك الابن: ﴿ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾(١) أنتم قلتم: إنكم عصبة يعنى: جماعة أشداء أقوياء فى حاجة إلى ذلك الحنان.. وإلى ذلك الحب.. وبعد ذلك ماذا كان كان من أمرهم ما كان.. قالوا: ﴿ اقْتُلُوا يُوسُفَ ﴾(٢)... وبعد ذلك نلاحظ ظاهرة نفسية تبين لنا مدى عنصر الخير حين يفكر فى الشر، ومدى عنصر الشر حين يفكر فى الخير.. هؤلاء أسباط أى: (أحفاد) وأبناء نبوة -وصحيح أن الانفعال البشرى جعلهم يفكرون فى إيذاء يوسف، ولكن انظروا أسار الإيذاء فى خطه الأعلى إلى الشر؟ أم سار الإيذاء فى خطه الأدنى من الشر؟ الاقتراح الأول الذى جاء بعد الانفعال من ظاهرة حب أبيه له أكثر منهم.. لننظر ماذا قالوا عن الانفعال؟. قالوا: ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾(٣).. إذن فالتفكير الانفعالى قالوا: ﴿ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا ﴾(٤).. إذن تنازلوا عن فكرة القتل: ﴿ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ ﴾(٥) بعد ذلك هدأت انفعالات الشرحين جاءوا للتنفيذ قالوا: ﴿ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ ﴾(٦).

هذا يدلنا على أن الخير حين يفكر فى الشر لا يصعد الشر، ولكنه يتنازل عن الشر.. فبعد أن فكر فى القتل فكر فى إلقائه فى الأرض، ثم فكر فى إلقائه فى الجب ليلتقطه بعض السيارة.. إذن فقد خفت المسألة.. إذن فالذى يقول: إن

(١) سورة يوسف: ٨.
(٢) سورة يوسف: ٩.
(٣) سورة يوسف: ١٠
(٤) سورة يوسف: ٩.
(٥) سورة يوسف: ٩
(٦) سورة يوسف: ١٠.

إخوة يوسف كانوا.. كذا.. وكذا.. كانوا يفكرون فى ذلك الشر.. ونقول لهم: فكروا فى الشر على ظاهرة أغيار الشر وانفعال الخلق.. ولكن انظر هل وصلوا إلى الشر مبلغًا أعلى مما فكروا فيه، أم تدنوا فى الشر، وتلك طبيعة تدل على طبيعة الخير فى نفوسهم؟ والذى يدلك على أن العقدة التى تترسب فى الإنسان من أى لون من ألوان الانفعال الخاص بالعاطفة تتركز فيه، وتسيطر على كل تصرفاته حتى بعد أن يكبر عقله.

انظروا إليهم بعد أن ذهبوا إلى أخيهم وقد صار «عزيز مصر» وبيده خزائن الأرض، وذهبوا ليطلبوا القوت، وبعد ذلك احتال يوسف ليبقى أخاه عنده - ماذا قالوا؟ قالوا: ﴿إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِن قَبْلُ﴾[1] لا يزال الأصل موجودًا وهو الانفعال.. إذن فالمنهج الإسلامى يعرض فكرة المساواة بين الأبناء، أو بين القوم الذين وكل إلى الإنسان تربيتهم.

نعم قد يكون فى بعضهم مخايل تحب، وفى بعضهم مخايل لا تحب، ولكنهم فى موضوع التربية سواء. وهذه التربية ليس معناها أن نسمو بأهل المواهب إلى فوق، ولكن أن نأخذ بيد العاجزين؛ حتى نسيرهم إلى مرتبة المواهب، وبذلك يمتاز المربى عن قرب.. والله تعالى أعلم.

[٩٤]

وماذا عن السنة النبوية

س: من البدع والمفتريات المعاصرة السيئة فرية خطيرة الوقع على قلب الإسلام وهى بدعة إنكار السنة النبوية، والاتجاه إلى القرآن كلية فى كل أمور التشريع والتكليف.

وإهمال السنة النبوية الشريفة والتى تعد بحق المذكرة التفسيرية الإيضاحية للقرآن الكريم أمر له خطورته، إذ إن معنى ذلك حرمان الإسلام من بيان النبى - ﷺ - وجلائه لكثير من القضايا الواردة فى القرآن، ومن ثم فلابد من حسم هذه القضية التى يرددها ويراوغ فى أطرافها المشككون. فما رأى الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذه المسألة.

---

(١) سورة يوسف: ٧٧ .

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: استمرار السنة النبوية حتى يومنا هذا معجزة من باطن معجزة القرآن، وعلى الذين يشككون ويتشككون فى السنة أن يفطنوا إلى أن تشكيكهم، أو تشككهم فى بقائها يؤدى بهم إلى الشك فى معجزة القرآن نفسها وذلك لأن الله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه: ﴿ **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾[1].

فمهمة الرسول -ﷺ-: بيان ما نزل إليه. ثم قال تعالى: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾[2] فنسب البيان الذى كلف الله به رسوله إلى ذاته تعالى: ﴿ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ** ﴾ ﴿ **ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ** ﴾ فلو لم يكن البيان النبوى حقيقة ملزمة للمسلمين، لما جاء فى القرآن منسوبًا إلى الله تعالى. وعليه فالإيمان ببقاء سنة النبى -ﷺ- معجزة من باطن معجزة القرآن.

قال تعالى: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾[3]. هذا يدل على أن للرسول -ﷺ- عملاً مع القرآن وما دام له عمل مع القرآن فلابد أن يقوله أو يفعله أو يقره وهذا لمن عاصره.. ومن لم يعاصره فمطلوب منه أن يأخذ ما أتى به الرسول -ﷺ- أيضًا، ولذلك لابد من أن يبقى قوله وفعله وتركه وإقراره.

وإذا كان الرسول -ﷺ- قد بلغ عن ربه ثلاثًا وعشرين سنة، وكلامه وفعله وإقرار فعل الغير أمامه، بيان فبالله ليقل لنا المتشككون فى السنة كم ترك النبى -ﷺ- من حديث وهو يبين ما أنزل إليه من ربه كما أمره ربه؟.

إذن فلو استعرضنا ما بقى من صحيح الحديث لنا، لوجدنا أن ما بقى أقل بكثير جدًا مما كان يجب أن يكون.. فقد تركنا الكثير من الحديث، حتى نصحح المقاييس والمصافى التى نأخذ عنها ما قاله رسول الله -ﷺ-؛ ولأن يترك شىء مما قاله خير من أن يدخل على حديثه شىء مما لم يقله.

والذين أرادوا أن يكون مرجعنا فى كل أمر هو القرآن فقط، عليهم أن

---

(١) سورة النحل: ٤٤. (٢) سورة القيامة: ١٧-١٩.

(٣) سورة الحشر: ٧.

راجع التفسير الكبير للرازى (٢٩/٢٨٦) والتسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (٤/١٠٩) والكشاف للزمخشرى (٤/٨٢) وروح المعانى (٢٨/ ٥٠).

يوجدوا لنا فى القرآن تفاصيل أركان الإسلام فقط . . لا أقول كل تعاليم الدين . . إن هؤلاء الذين أسرفوا على أنفسهم، واجترأوا على هذه الفرية، وهم بقولهم هذا على أنفسهم شهود على أن حديث رسول الله -ﷺ- صادق وأخبر عن وجودهم فى مستقبل الزمان، فلو لم يقولوا ما قالوه من إنكار السنة ولزوم القرآن وحده لما وجدنا مصداقًا من الواقع أفضل من حديث عنهم. فقد قال -ﷺ-: «**يوشك رجل يتكئ على أريكته يقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال أحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله**»[١].

فلو كان غير ذلك، أو لو لم يكن هؤلاء قد افتروا هذه الفرية[٢]، لشككنا فى حديث رسول الله -ﷺ- هذا إذن فقولهم هذا دليل على صدق ما يدعون كذبه.

[٩٥]

المسلمون والنصارى

س: ما أبعاد الصلة بين المسلمين والنصارى؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

لقد استقبل الإسلام ما نسميهم أهل الكتاب من النصارى استقبالاً سمحًا كريمًا، واستقبال سلام وأمان، ولقد كرم الإسلام عيسى ابن مريم، ونفى الإسلام عن عيسى كل ما يمكن أن يكون سببًا فى إذلاله، أو أن تتهم به أمه.

وكرم الإسلام المسيحية، وذلك ليقر مبدأ التقاء السماء بالأرض.

لذلك نجد أن الفرس الذين هم الأبعد عن احترام الإسلام، كانوا يمثلون المجوسية والإلحاد.

وكان الروم الذين يمثلون المسيحية وأهل الكتاب كانوا أقرب إلى قلب رسول الله والمؤمنين برسول الله . . . ذلك لأن الروم كانوا من أهل الكتاب.

---

(١) راجع سنن ابن ماجة عن المقداد بن معدى كرب (١٢).

(٢) الفرية: الأكذوبة المفتراة.

فلما نشبت المعركة بين الروم وفارس. . . وتمت هزيمة الروم على يد الفرس، حزن رسول الله حزنًا شديدًا، وحزن المسلمون برسول الله، ولكن الالتقاء بين السماء والأرض، وخضوع الأرض لمنهج السماء، هى أمور متفق عليها.

لذلك كان قلب رسول الله، وقلب المؤمنين برسول الله، مع أهل الكتاب من الرومان عندما هزمهم الفرس.

فالإسلام ورسول الله قد أحب الذين كفروا بمحمد كنبى، ولكنهم مؤمنون بالله. . . أحبهم عن الذين كفروا بالله.

إذن. . . فعصبية محمد -ﷺ- لربه أقوى من عصبيته لنفسه، من ثم كان حزن النبي والمسلمين لهزيمة الروم.

قال تعالى فى كتابه الكريم:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(١).

نكتة

فى مثل هذا المقام لابد من سرد هذه الحادثة:

دخل رجل مسيحى متعصب على الشيخ محمد عبده، وسأله: كيف كان وجه السيدة عائشة عندما ذاع عنها حديث الإفك في المدينة؟!

أجابه الإمام محمد عبده على الفور:

كان وجهها مثل وجه مريم، حين أتت قومها تحمله!!!

---

(١) سورة الروم: ١ - ٥ .
راجع تفسير القرطبى (١/١٤)، والطبرى (٣/٢١)، والبحر المحيط (٧/١٦١).

و- القضـــاء والقـــدر...

[٩٦١]

القضـاء والقـــدر... (١)

س: ما الفرق بين القضاء والقدر..؟!

(جـ): القـضاء حكـم لا إرادة لى فيـه... ولكن القـدر هو ما قـدرت أن يحدث كـذا فتأتى الأمـور على وفق التقديـر. فإذا كتب وزير الزراعـة تقريراً عن القطن فقال: إننا نزرع عـدد كذا فدانًا، وحالة الفدان كذا، ومتـوسط إنتاج الفدان كذا، فتقـدر أن يكون إنتاج هذا العام كذا قنطارًا، فهو يقـدر أنه علم، وعلمه قد يصيب، وقد يخطئ لظروف لم تكن فى الحسبان.

ولكن حين يقدر الله سبحانه وتعالى، فـلن يغيب عنه أمر؛ فتأتى الأمور فى الكون على وفق مـا قدر الله. فالقـضاء أمـر لا اختيـار لى فيـه كالمرض والموت، وعندما يقدر الله أن أفعل كذا فى أمر اختيارى، فهو لم يجبرنى على فعله، ولكنه قدر، وعلم أزلاً أننى سأختار هذا الطريق.

فلو أننى أرسلت الخادم ليشترى لـك زجاجة من الكازوزة، فقلت لك: لقد أبطأ لأنه قابل ولدًا على ناصـية الشارع ولعب معه، وضـيع النقود وهو خائف أن يأتى. أنا قلت لك هذا الكلام، وأنا مـعك فى البيت، وبعد ذلك جـاء الخادم، ولما سألناه قـال: ما حدثتك عنه تمامًـا هل يا ترى عندما تكلمت أنا عمـا حدث، وأنه سيحدث كـذا وكذا، هل أرسلت معه قوة ترغمـه على فعل ما أقول لك، أم أننى أعرف سوابقه فقط، ولكن لم أرغمه على تنفيذ ما أقول.

كـذلك (ولله المثل الأعلى) علم الله سـبحـانه وتعـالى أزلاً مـا يكون من عبده.. فكتب عنده لا ليلزم، ولكن لعلمه ما يكون من العـبد فهو قدره. والفرق بين الصورتين أن العلم فى البشر قد يختلف فيه.

فـمن الجائز أننـى أعرف هذا عن الخـادم، ولكن يمكن أن يخـرج هذه المرة بالصدفة فتصدمه سيـارة وينقل إلى المستشفى، ولا يحدث مما قلته.. هذا خطأ فى علمى أنا.. لكن الحق تبارك وتعالى لا خطأ فى علمـه أبدًا.. تبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره.

[٩٧]

القضــاء والقــدر... (٢)

س: إذا كان عمل الإنسان مقضيًّا به مقدرًا له فكيف يحاسب عليه؟؟!!

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

لابد أن تفهم الفرق بين قضى، وبين قدر.

(قضى)، يعنى حكم حكمًا لازمًا لا يمكن أن ينتهى، وذلك فى الأمور التى لا دخل للإنسان فيها، ولذلك فالله لا يحاسبك على قضاء.

ولكن (قدر)، تعنى: أن الأمور تأتى فى المستقبل من وجهة نظرك، فتقول: إننى قدرت أن أفعل كذا. وعندما يأتى وزير الزراعة مثلاً بناء على الإحصاءات والأرقام ويقول: تقدر الدولة محصول القطن هذا العام بكذا مليون قنطار. مع أن علم البشر ناقص، وتقديره بحسب المعلومات التى وصلت إليه.

ولكن تقدير الله عز وجل لا يحدث فيه خلاف؛ لأن معلوماته مؤكدة. فإذا قدر على إنسان فى الأزل أن يكون عاصيًا، فمعنى ذلك أنه علم أزلاً أن هذا الإنسان سيختار المعصية. ولكن ساعة اختيار المعصية هل أرغمه الله عليها؟

الوزير حينما قدر المحصول، هل أرغم الأرض على أنها تنفذ تقديره؟ لا. بل هو قدر حسب المعلومات التى وصلت إليه، والمسألة تسير فى طريقها الطبيعى بدون تدخل منه.

كذلك خلق الله الخلق، وقال: هناك أمور قضيتها، وهذه لا أحاسب عليها أحدًا، وهناك أمور تركت للعبد الاختيار فيها. . ولكن قدرت أن العبد سوف يعمل كذا، ساعة كذا، لا أقهره على أن يعمل، لأنه عمل بصفة الاختيار، ولكنى أعلم ما سوف يعمل.

فالله قدر، لأنه علم أنك ستختار، ولم يقدر؛ ليوجب عليك أن تصنع ما قدر. وهذا هو الفرق بين القضاء والتقدير.

ولنضرب لذلك مثلاً، فلو أن كلية الحقوق مثلاً حددت جائزة، فقال عميد الكلية لأستاذ المادة: إنه يريد امتيازًا فى مادة كذا، ليعطى جائزة قدرها كذا. . فرشح الأستاذ أحد تلاميذه، لأنه يعرفه، فلم يثق العميد فى كلامه، وعقد

اختبارًا، فجاءت النتيجة بحسب ما قدر الأستاذ، فهل كان الأستاذ على يد الطالب ساعة أن كتب الإجابة؟

كلا. ولكنه حكم لعلمه بامتياز هذا الطالب بالذات، ولكنه علم قد يختل؛ لأنه علم بشر، ولكن علم الله لا يختل أبدًا.

[٩٨]

قضية التسيير والتخيير

س: مسألة قديمة جديدة، شغلت بال الفلاسفة القدماء والمعاصرين: هل الإنسان مسير؟ أو مخير؟ وإذا كان مسيرًا، فلماذا يحاسب على أشياء قد كتب عليه عملها؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

الإنسان مسير فى بعض الحالات، مخير فى بعض الحالات الأخرى؛ ذلك لأن الإنسان كائن يمتاز عن بقية الكائنات بالعقل والفكر وهو مناط الاختيار بين البدائل، فإن الشيء الذى لا بديل له؛ لا فكر ولا اختيار فيه؛ لأن العقل هو مناط اختيار البدائل، والشيء الذى لا بديل له، لا اختيار فيه.

فما معنى الفكر؟ الفكر هو المقياس الذى يميز به بين البدائل، والأمور الاختيارية، من الممكن أن تفعلها، أو لا تفعلها، وما دام البديل موجودًا، وعقلك حاضرًا، فلك أن تفعل أو لا تفعل.

ومحل التخيير وانتقاء البدائل منوط بالعقل. لذلك فإن فاقد العقل لا يكلف من الله، وكذلك المجنون والمعتوه (إذ التكليف والحرج مرفوع عنه؛ لأنه لا محل ولا موجب له).

ولقد خلق الله الإنسان، ولا حيلة له فى خلق نفسه، ويميته أيضًا، ولا حيلة له فى موته، لأن هذا قدر الله، وذاك قدر الله أيضًا، ولا ينفصل قدر عن قدر، إنما جعل الله الإيمان اختياريًا. ذلك لأن الله سبحانه وتعالى يحب أن يحبه عبده، ويقبل عليه مختارًا غير مجبر، ويتمنى الحق تبارك وتعالى أن يحبه عبده ويتعلق به، وهو قادر على عصيانه، والابتعاد عن جادته.

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

يحسن المرء فى شىء ويسىء فى آخر، ومن له بعلم ما استتر، فربما أساء فى الأولى وأحسن فى الثانية، وما يدريه بحقيقة الحكم، فالحكم لابد أن يكون أعلم بهذا وأعلم بذلك، والعلم الفوقى دائمًا يعلم ما استتر، وما خفى وراء حجب الغيب من كوامن الأقدار(١).

[٩٩]

قمة الفساد والتحلل

يقول الشيخ الشعراوى حكمة أثيرة بالغة العظمة، عظيمة المعنى فى مسألة التسيير والتخيير.

«إن قمة الفساد والتحلل فى الكون لا يتأتى إلا مما وصلت إليه يد الإنسان».

لو نظرنا إلى المخلوقات التى لم تصل إليها يد الإنسان نجدها منسجمة مع الحياة، ومع الطبيعة لا يرقى إليها فساد، أو خلل، أو عطب، فالمنظومات السيارة وغيرها من المكونات الطبيعية فى صفحة الكون راسخة ثابتة قعساء؛ لأنها فوق قدرة البشر فى النيل منها، ومن نظامها السيار المنسجم، وما وصل التحلل والفساد إلا لتلك الأشياء التى عبثت بها يد الإنسان، فحولتها عن فطرتها وغيرت فى مسارها، ومن ثم ظهر التعارض مع حركة الإنسان فى الحياة، ومنهجه فى الكون.

من هنا كانت قضية التسيير والتخيير والتى شغلت بال الناس منذ القديم... هل الإنسان مسير أم مخير؟؟

وهو مخير فيما يصل إلى يديه، أو فيما تصل إليه يداه من أمور الحياة وشئون الوجود، وكل ما لا طاقة للإنسان به، أو كل أمر غيبى لا يعرف الإنسان الحكمة فى تكليفه، أو السر فى الأمر به، أو النهى عنه، لابد أن يكون متصلاً باختيارية الإنسان... فلا يمكن أن يصدر تكليف للإنسان إلا فى أمر من الأمور التى له حرية الاختيار فيها، ويستطيع العقل البشرى أن يوجد لها البدائل، والنظائر.

---

(١) انظر القضاء والقدر لابن تيمية بتحقيق السيد الجميلى وأحمد عبد الرحيم السايح.

إذن فقمة الفساد والتحلل لا تتأتى من الأمور التى يسير فيها الإنسان، إنما تنجم من الأمور الاختيارية، ونجد مثلاً على ذلك كل ما تحدثه أيدى البشر من تدمير، وتقويض فى الكون ما كان ليتم لو أن الله منع عنها عبث البشر وتطاولهم.

والأمور الإجبارية، أو الجبرية منسجمة مع بعضها ومع الطبيعة فقلب الإنسان الذى لا يملك أن يوقفه بيديه وهو نائم تراه منتظم الخفقان، أو مستقيم الضربات، مستمرًا فى أداء وظائفه الفسيولوجية بنشاط واقتدار، رغم أن الإنسان يكون غائبًا عن الحياة، وعن حركة الوجود تمامًا.

وفى قوله تعالى: ﴿ **فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ** ﴾[1] يثبت لنا الحق تبارك وتعالى أن الإيمان والكفر من الأمور الاختيارية التى لا قهر فيها، ولا إجبار عليها.

وهو يهدى من يشاء، ولكنه حدد من يشاء هدايته، وهو من لا يكفر به، ومن لا يظلم، ومن لا يفسق.

﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ** ﴾[2].

﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾[3].

﴿ **وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ** ﴾[4].

قال تعالى: ﴿ **وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾[5] فالله يهدى من يشاء الهداية، ويسهل طريق الهداية عليه، طالما أن هذه المشيئة فى نفسه النزوع إليها.

وذلك مصداقًا لقوله عز من قائل: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا** ﴾[6] جمعت المتضادين تلك النفس: الفجور، والتقوى فسبحان الله!

---

(١) سورة الكهف: ٢٩. (٢) سورة البقرة: ٢٦٤. (٣) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٤) سورة المائدة: ١٠٨. (٥) سورة البقرة: ٢١٣.

(٦) سورة الشمس: ٧، ٨.

والإلهام هنا هو إلهام تعريف: أى عرفها فى الفطرة. وهذا الرأى معزو إلى ابن عباس ومجاهد والفراء على ما هو مذكور فى الطبرى (١٣٤/٣٠)، والقرطبى (٧٥/٢٠).

ويردف الإمام الجليل الشيخ الشعراوى فيقول:

لقد جعل الله مولد الإنسان لا إراديًا، أى إجباريًا وتماسك وجدانه وجسمه أيضًا، ومتطلبات أعضائه الفسيولوجية إجبارية أيضًا، لكنه جعل الإيمان به اختياريًا... لماذا؟ لأن الله يحب أن يقبل العبد عليه مختارًا وهو فى مقدوره ألا يؤمن أن يطيع العبد ربه وفى استطاعته أن يعصيه، ولذلك كان الإيمان اختياريًا وليس إجباريًا.

تعقيب وبيان

الناس ليسوا مطالبين أن يتجردوا من بشريتهم؛ فيظهروا فى ملكية صرفة تتجرد من شهوة الجسد، وتلذذ الجسم بنسائم الحياة، ولينقطعوا للعبادة، ويتركوا السعى والكد فى معترك الحياة وشتى مجالاتها، إنما هم مطالبون بالترفع والاعتدال والالتزام بأصول المنهج، بعيدًا عن التقييد الشديد، وكذلك نأيًا عن الإهمال المزرى، ولكل نفس قدرها من الطاقة والتحمل، قال تعالى: ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ**﴾(١). ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ**﴾(٢).

والذى يستفسر عن عقوبة معصية ارتكبها، أو جرم اقترفه، إنما يوجد فى داخل تكوينه بادرة خير؛ فلا يجب أن نحرمه من تنمية عنصر الخير فيه، وتنبيه غريزة الصلاح والسواء فى باطنه، فنطلب منه الاستقامة، والتوجه إلى الله بقلب سليم، عسى الله أن يصفح عنه ويسامحه.

﴿**وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ**﴾(٣) ولم أر خلة كريمة طيبة مثل تلك التى يتحلى بها الكرماء من الناس الذين يحاسبون أنفسهم أولاً بأول، ولولا الأنفس اللوامة

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٦.

راجع التفسير والفرق بين الكسب والاكتساب فى القرطبى ولسان العرب.

(٢) سورة الطلاق: ٧.

راجع تسهيل ابن جزى (٤/ ١٢٣٩)، وتفسير القرطبى (١٨/ ١٦٩)

(٣) سورة الزمر: ٧.

التى تلوم صاحبها وتوجهه إلى طريق السداد والصواب؛ لأقفرت الحياة وأضحت مفازة يكره اللبث فيها وجدان الإنسان، وما وجد فيها ما يسبى النظر أو يشرح الصدر، أو يسر الخاطر، إنما فلاة موحشة يركبها كل مضطر، قليلة الحيلة.

وكان على الدنيا السلام، وساد الفساد والتحلل فى أبشع صوره ﴿ **وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ** ﴾(١).

ثم إن الفساد قد فشا وانتشر من عبث الإنسان، قال تعالى: ﴿ **ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ** ﴾(٢).

وكأن هذا عقاب لهم عن نبوهم عن المحجة، ومجافاتهم لسواء السبيل؛ فقد ذكر تعالى ذلك فى قوله: ﴿ **لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ** ﴾.

[١٠٠]

الشر مخلوق

س: الله سبحانه وتعالى قد خلق الخير، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يرضى للشر أن ينتشر، فلماذا خلق الله الشر فى الوجود؟ مع أن الحق ﴿ وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾(٣). ويحب أن ينتشر الخير فى الوجود.

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعطى شيئًا من الشر فى الوجود، لا ليشيع الشر ويذيع، وإنما ليبتلى الناس فى الابتعاد عنه، وإلا لو لم يخلق الله سبحانه وتعالى الشر، فكيف تأتى الابتلاءات؟.

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٥.

(٢) سورة الروم: ٤١.

وظهور الفساد فى البر بالمحل والإجداب، وانقطاع مادة البحر بذنوب الناس وظلمهم. راجع المعنى فى الطبرى (٢١/ ٣٢)، والقرطبى (١٤/ ٤٠).

(٣) سورة الزمر: ٧.

[١٠١]

لا إكراه فى الدين ؟

لا يستطيع أحد أن يجبر قلب إنسان على الحب
لا أحد يمكنه أن يصدر أمرًا يقول (أحبنى)
إذن فالعقائد لا إكراه عليها.

ثم يقول فضيلة الشيخ الشعراوى تتمة لما قاله من هذه الدرر القيمة:

﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلاَّ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾[١].

ثم يردف فضيلة الشيخ:

أنت حر فى أن تؤمن، ولكن إذا آمنت، فلابد أن تتقبل كل ما يأمرك به الحق، دون مناقشة التفاصيل، وإلا تكون قد رجعت فى قضيتك الأولى. ويقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[٢].

لا إجبار فى دخول الدين لأحد، فمنهج الحق واضح، ومنهج الباطل واضح.

[١٠٢]

«ولا أحد من البشر يملك كن فيكون»

توجهنا لفضيلة الإمام بالسؤال التالى:

يقول الله تعالى فى حديث قدسى: «أطعنى عبدى تكن ربانيًا»[٣] فما هى المجالات التى تجعل من العبد تقيًا صافيًا ربانيًا؟

---

(١) سورة الشعراء: ٣، ٤ .
راجع ما قاله الشيخ الصاوى فى حاشيته على الجلالين (٣/ ١٦٧)، والقرطبى فى جامعه (١٠/ ٣٤٨) و(١٣/ ٨٩).

(٢) سورة البقرة: ٢٥٦ .

(٣) هذه زيادة مدخولة مكذوبة (تقول للشيء كن فيكون) وهى من الموضوعات المفتراة لمصادمتها النص القرآنى فتأمل.

قال الشيخ الجليل:

إن ما يصنعه الله تدبير إلهى له مطلق الحكمة، وإن ما يصنعه الإنسان يتجمد فى حدود ما صنع الإنسان... وقد صنع الإنسان الكوب ولا ينمو، ولا يتزوج، وينتج نسلاً من الأكواب.

فصنعة الإنسان تتجمد عند الشكل الذى أوجدها فيه، والإنسان لا يملك من أمر الروح شيئًا؛ لأن الروح من أمر الله.

أما صنعة الله؛ فإنها تتجدد، وتكبر، وتتناسل، وتتحرك، ولا حدود لإبداع الله فى حركة الإنسان، وتتألق صنعة الله بلا حدود بأمره هو ﴿**كن فيكون**﴾.

[١٠٣]

قهر وتسيير، وإرادة وتخيير

فى كل أمر يدور حوله النقاش، ويلتقى حوله الاختلاف، نرى رأى الإسلام فيه هو فصل الخطاب.

قال تعالى: ﴿**وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾[١].

وقال أيضًا: ﴿**اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ**﴾[٢].

وإذا كنا نقصد بالحياة هذا الوجود الحساس، وما عليه من حركة قسرية قهرية تسخرية، أو حركة إرادية تخييرية، فإن الحياة دائمًا هى محور الحركتين، الحركة التى تحدث بدون إرادة منهم، أو اختيار، وبين التى تحدث منهم بالإرادة، ومرجحات الاختيار.

وإن الحياة الأخرى تكون السعادة فيها على قدر توفيقك، وإخلاصك فى

---

(١) سورة القصص: ٧٧ .
النسيان هنا هو الترك والإهمال أى: ولا تترك نصيبك من الدنيا، وحظك المقسوم.
(٢) سورة الحديد: ٢٠ .
راجع تفسير القرطبى (١٧/ ٢٥٥).
قال ابن عباس: يجمع المال من سخط الله، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرفه فى مساخط الله، فهو ظلمات بعضها فوق بعض اهـ.
بتصرف من التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣٣).

حركة حياتك الأولى، والآخرة ليست موضوع الدين، ولكنها جزاء على موضوع الدين.

والذين يقولون: إن الدنيا هى الغاية، لا شىء بعدها نقول لهم: ما ذنب الذين يشقون فى حياتهم؛ ليسعدوا سواهم؟ أين يكون جزاؤهم؟

لو نظرنا هذه النظرة لكان هؤلاء الذين يشقون لإسعاد غيرهم، هم أحمق الحمقى؛ لأنهم فوتوا على أنفسهم موضوعًا واحدًا هو الدنيا، ولا عوض له فى شىء اسمه الآخرة.

[١٠٤]

إنا هديناه السبيل

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[١]؟

(جـ): حينما قال الحق تبارك وتعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ فسر السبيل ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ والسبيل هو الطريق الذى يسلكه، إما شاكرًا لأنعم الله، وإما كفورًا بأنعم الله، فهو صالح للعمليتين وربما يقول: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[٢] أى جعلناه صالحًا لهذه.. وصالحًا لهذه -فما الذى يرجح؟ فما دام فيه الصلاحية لهذه، ولهذه، ما الذى يرجح منهج الله من إلزام نفسى به؟ لو كنت مخلوقًا لطريق واحد كنت أقول: لا - أنا لا أستطيع أن أذهب إلى الطريق الآخر.. ولكنه هو مهدى للسبيل - والمنتظر أمران: إما أن يكون شاكرًا، وإما أن يكون كفورًا.

س: فما الذى يرجح اختياره بين البديلات؟

(جـ): لا شك أنه العقل، إذن هذه من مهمته ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ثم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا

---

(١) سورة الإنسان: ٣.
راجع التفسير الكبير (٣٠/ ٢٣٧) والكشاف (٤/ ١٩٥).
(٢) سورة البلد: ١٠.
راجع اختلاف العلماء فى معنى النجدين هل هما طريقا الخير والشر أم الثديان، وذلك فى القرطبى (٢٠/ ٦٥) والطبرى (٣٠/ ١٢٧) والخازن (٤/ ٢٥٠).

جلاَّهَا ﴿٣﴾ واللَّيْلِ إذا يغْشَاهَا ﴿٤﴾ والسَّماءِ ومَا بَناهَا ﴿٥﴾ والأَرْضِ ومَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ ونَفْسٍ وما سوَّاهَا ﴿٧﴾ فألْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١).

[١٠٥]

يضل من يشاء ويهدى من يشاء

س: يقول تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾(٢) ويقول أيضًا: ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(٣) فلم لم تكن الهداية لكل الناس إلى الصراط المستقيم؟

(جـ): يجيب الإمام: هنا يثور سؤال: ما الذى أعان هذا، ولم يعن هذا؟ ثم أليس الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء؟ وحينما نطالع آيات القرآن لابد أن نحضر كل المادة، بمعنى أنى سأطالع آيات فيها إثبات وآيات فيها نفى مثلاً.. والله يقول لرسوله -ﷺ-: ﴿**وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(٤) إنك لتهدى. ماذا أثبت له؟ أثبت له الهداية، ثم يقول فى آية أخرى: ﴿**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾(٥) فأثبت الهداية له مرة، ونفاها عنه مرة أخرى، ولا يمكن أن يكون النفى والإثبات متعلقين بمعنى واحد فى الهداية، بل الهداية هنا لها معنيان: هداية بمعنى الدلالة، وهداية بمعنى المعونة أما التى للرسول -ﷺ- فهى الهداية بمعنى الدلالة: ﴿**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾. أى تدل الناس وترشدهم إلى طريق الخير. إما أن يسلكوه فهذا موضوع آخر. أن يؤمنوا به أو لا يؤمنوا به هذا موضوع آخر. فالذى يؤمن به ويقبل على منهج الله فيه ويصدق الله فيه تكون هداية الله فى

---

(١) سورة الشمس: ١ - ١٠.

القرطبى (٢٠/ ٧٤) والطبرى (٣٠/ ١٢٣) والبحر المحيط (٨/ ٤٧٨) والكشاف (٤/ ٢٥٧، ٢٥٨).

(٢) سورة النحل: ٩٣.

انظر مختصر ابن كثير (١٠/ ١٧٢).

(٣) سورة البقرة: ٢١٢.   (٤) سورة الشورى: ٥٢.

(٥) سورة القصص: ٥٦.

أن ييسر عليه الأمر، وأن يعينه عليه.. ويأتي في آية أخرى فيقول: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾[١] إذن فالهداية تأتى بمعنيين: بمعنى الدلالة، وبمعنى الحمل على عمل الخير. أما التى بمعنى الدلالة فالكل مشترك فيها، وأما التى بمعنى الحمل على الخير فإن الذى يقبل على الله مؤمنًا به، ومصدقًا لهداه فإنه تعالى يقول له: ما دمت آمنت بى وصدقتنى وأقبلت بنفسك على منهجى، فإن أعينك على ذلك المنهج، وأمكنك منه وأذيقك حلاوته. إذن فالحق حينما يقول: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[٢]. أى دلناهم فاستحبوا العمى على الهدى. أى أنهم قالوا: لا، نحن غير مؤمنين بأن هناك ربًا، وليس هناك من توجيه، فإن كانوا غير مؤمنين بأن هناك ربًا، وبأن منه التوجيه والإرشاد، فكيف يمكنهم من الهداية؟ لا يمكن أن يمكنهم، وإنما يمكن من أقبل عليه مؤمنًا به، ومن سمع له فكأنه يقول له: آمنت بى وصدقت منهجى، وأقبلت بنفسك على، إذن فإنى أعينك على ذلك الأمر، فإذا رأيت آية مطلقة مثل قوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٣] فلابد أن تحمل هذا المطلق من القرآن على مقيده. نقول له: هات آيات القرآن فى الهداية كلها تجد هنا: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾[٤] مطلقة على الكل عامة، وفى آية أخرى يقول: ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾[٥] أى الكافرين به، فكيف يعينهم على التقوى؟ لا يمكن وتجد: ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٦] ﴿ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾[٧] ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾[٨].

إذن فهداية الله بمعنى تذليل العقبات والعمل على طريق الخير لمن؟ لمن استمع له، وآمن به، وأقبل عليه، وعلى منهجه، فالمعونة تأتى من الله لهذا، وأما الذى لا يؤمن ولا يستمع منه، ولا يقبل على منهجه فكيف يعينه الله؟ لا ينبغى أن يعينه الله. فإذا رأيت آيات فى القرآن مطلقة، وآيات أخرى مقيدة، فاحمل المطلق دائمًا على المقيد، وقل: (ويهدى من يشاء). نعم صحيح، ولكن من هم الذين

(١) سورة محمد: ١٧.
(٢) سورة فصلت: ١٧.
(٣) سورة: النحل: ٩٣.
(٤) سورة: النحل: ٩٣.
(٥) سورة البقرة: ٢٦٤.
(٦) سورة المائدة: ١٠٨.
(٧) سورة البقرة: ٢٥٨.
(٨) سورة الزمر: ٣.

يشاؤهم؟ هم المؤمنون المقبلون عليه المصدقون بمنهجه، فأما الذى كفر به فلا يعينه على الهداية، فهو قد هدى الجميع بمعنى دلهم. لكن المعونة منه لا تكون إلا لمن آمن به، واقتنع لمنهج عنه.

فإذا أمن به واقتنع بالمنهج عنه تكون معونة الله سبحانه وتعالى.

والدليل على توافر حرية الاختيار: أن المكره على شيء لا يعاقب عليه. والمسألة ليس فيها تناقض عقلى، هم يقولون: إذا كان الله كتب على الإنسان المعصية، فلماذا سيعذبه؟ ولنا أن نقول: إنه يأتى الشق الثانى وهو: وإذا كان قد كتب له الطاعة، فلماذا يثيبه؟، لم نسمع السؤال الثانى أبدًا. كل سؤال يرد يقال فيه: إذا كان الله قد كتب على المعصية، فلماذا يعذبنى؟ ولم نسأل أبدًا: وإذا كان كتب لى الطاعة، فلماذا يثيبنى؟ لماذا؟ لأن المسألة الأولى جاءت له بظلم كما يرى، والثانية جاءت له بيسر، فهو يريد أن يوجد لنفسه منفذًا، ليخلص منه من ذلك المغرم.

[١٠٦١]

الرزق

قال تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾(١).

والشيخ الشعراوى بما عهدت فيه التجارب من تمحيص وألمعية وذكاء حاد؛ له حكمة مأثورة فى ذلك دائمًا حاضرة فى بديهتى قائمة فى خيالى، وهى قوله المشهور: «إن رزقك من المال والشهرة أعرف بمكانك منك بمكانك».

ولو عرف الناس ذلك جيدًا، ما أتعبوا أنفسهم قلبيًا فى صخب الحياة ومعترك أحداثها، وهم يتوهمون أنه لولا كذا لكان كذا، فليهدأوا، وليعلموا أن

---

(١) سورة الذاريات: ٢٢ .

من أجمل الأقوال مبنى ومعنى ما رآه الشيخ الصاوى -رحمه الله- من أن الآية تنطوى على مقصود الامتنان والوعد والوعيد.

(بتصرف من حاشية الجلالين (٤/ ١٢٥)).

الرزق من المال والشهرة لن يخطئ الذى قدر له[١]. وهناك فرق بين العمل مطلوب الجوارح، وبين الرزق مطلوب التوكل (فكم من عامل أكدى)[٢].

وأذكر أيضًا كلمة قالها لى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى عندما كنت أقوم بتأليف كتابى عن حياته وفقهه، قال سيادته:

[ألويت وجهى عن الشهرة، وأنا فى الشباب، ومحتاج إلى المال، فسعت إلى فى الكبر، وأنا عازف عنها].

ولما أن سألت فضيلة الشيخ عن محاولات الناس فى منع الحمل بشتى الطرق والوسائل قال لى:

هم يخافون الحياة ونقص الأرزاق، ولا يعلمون أن الكثيرين منهم بتصرفاتهم هذه يحبسون الأرزاق عن أنفسهم، وعن أبنائهم.

ونحن فى تجاربنا وعهدنا بالحياة نرى أناسًا يموتون، ويتركون أطفالهم أيتامًا، وتدور الأيام، وتدول ويصل هؤلاء الأبناء اليتامى إلى أعلى المناصب، وأرقى الدرجات.

وربما لو عاش أهلوهم لهم ما وصلوا إلى هذه الرغائب والأمنيات، ولا إلى تلك المناصب والدرجات، فليتركوا المقادير كما هى، وينصرفوا هم إلى شئونهم الخاصة فى حركة الحياة. وكم من أبناء عاشوا فى أحضان آبائهم ورعايتهم، خرجوا إلى الحياة عاطلين محرومين[٣].

***

وأعقب على كلام حضرة الشيخ الجليل فأقول: إن أكثر ما يصيب الأذكياء

---

(١) فى مقابل هذا المعنى يقول الشاعر العربى:

وإذا حذرت من الأمور مقدرًا ... وهربت منه، فنحوه تتوجه

(٢) أى: كم من عامل مثابر كادح، أكدى فلم يظفر بطائل كفاء عمله واكتداحه.

(٣) إذا كان الرزق مصروفًا إلى محض قضاء الله وقدره، وليس مرهونًا بالعمل أو العقل، فإن فى هذا مندوحة وسعة لأن يريح الإنسان نفسه، إذ أن عليه الأخذ بالأسباب، ثم يترك الأمر بعد ذلك ويفوضه إلى الله تبارك وتعالى.

من بؤس العيش، وسوء الحال، لو أنهم صفت لهم الحياة ما جادوا بهذا العطاء الفكرى الذى يضيفون به إلى رصيد الإنسانية تراثًا ومجدًا أثيلاً.

قال المتنبى:

ولو كانت الأرزاق تعطى على الحجا
هلكن إذن من جهلهن البهائم

وقوله أيضًا:

تموت الأسود فى الصحراء جوعًا
ولحم الضأن تأكله الكلاب
وذو جهل ينام على حرير
وذو علم ينام على التراب[١]

[١٠٧]

الرزق بغير أسباب

س: كيف يرزق الله عباده بغير أسباب؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

إذا قلنا: إن دول البترول قد وصلت إلى المركز التى يتحكم فى اقتصاد العالم أجمع، فلابد أنها قدمت حسب النظرية المادية السببية من العلم والعمل، ما قدمته دول العالم أجمع، وهذا غير صحيح، بل إن بعض هذه الدول تعمل على استخراج البترول منها شركات غربية من الدول التى تخضع اقتصاديًا لدول البترول، والعمل الذى ثم، ثم بواسطة خبراء وآلات ومعدات تكنولوجية استوردت من دول أخرى... فكيف يحدث هذا إذا لم يكن الله سبحانه وتعالى (يرزق من يشاء بغير حساب)؟ ولقد شاءت قدرة الله أن يتم ذلك فى أمة إسلامية، ويكون برهانًا صادقًا على كلام الله.

---

(١) نوم الجاهل على الحرير، وإغراقه فى النعم استدراج فى الأغلب الأعم، والإعسار والتقتير والتشديد على العالم قد يكون للابتلاء، بل لابد أن يكون كذلك.
ولو كان الجاهل الموسر شاكرًا، والعالم المعتسر صابرًا كان كلاهما مأجورًا على الشكر، وعلى الصبر.

ولو أن القاعدة على إطلاقها، وهى أن الأسباب هى التى توجد الرزق لما كان ذلك يمكن أن يحدث، ولما كانت دول البترول تستطيع أن تكون أكبر قوة اقتصادية فى العالم، وفى زمن قياسى لا يستطيع العلم والعمل خلاله أن يعطينا بهذه الوفرة وبهذا السخاء.. ذلك لكى تتطور دولة أو عدة دول لتصبح أغنى دول العالم.. فإن ذلك يتطلب بجانب العلم والعمل فترة زمنية طويلة.. ولكن هنا لا الزمن، ولا العلم، ولا العمل يتناسب مع الرزق.. إذن من الذى أوجد هذا الرزق؟، ومن الذى أعطاه؟.. الله سبحانه وتعالى مصداقًا للآية الكريمة... ﴿ **يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾[1].. وهنا يجب أن يتوقف الحكم المادى الغربى الذى يأخذ بالأسباب، ولا يعترف بغيرها، والذى يطعن فى الآية الكريمة ﴿ **يرزق مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾.. ويدعى أنها لا تتمشى مع تطورات العصر، ومقاييس العلم والزمن.. نقول له: قبل أن تتسرع فى اتهامك.. فقد أتينا لك بمثل من العصر الذى تعيش فيه.

إننا نجد فى كل مكان رزقًا لمن يشاء الله بغير حساب.. هذا الرزق يلقى بالأسباب بعيدًا؛ لتأتى طلاقة القدرة، وتعلن أن لله ما يشاء، عندما يشاء، وقتما يشاء، وأنه إذا كانت الأسباب موجودة، فإن طلاقة القدرة موجودة فى الكون وأعتقد أنه لا أحد يستطيع أن يرد على هذه النقطة.. أو يدعى ظلمًا وبغير حق أن الآية الكريمة ﴿ **يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ** ﴾.. ليست حقيقة كونية.. موجودة منذ خلق الله الأرض، وستظل إلى قيام الساعة.

ز ـ طلاقة القدرة

[١٠٨]

طلاقة القدرة

س: انتصر رسول الله -ﷺ- على رؤوس الشرك بطلاقة القدرة كما يقول الشيخ الشعراوى:

فإذا ما سألنا: اختراق الناموس فى أى أمر دنيوى مشهود للإنسان إنما علته

(١) سورة البقرة: ٢١٢ .

طلاقة القدرة، وهنالك تتعطل الأسباب، وتتوقف أواصرها وصلاتها، فلماذا اجتمعت طلاقة القدرة بخرق الناموس، مع وجود الأسباب فى انتصار النبى -ﷺ- على دولة الكفر والإلحاد؟؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: إن انتصار الرسول -ﷺ- تمامه كان بطلاقة القدرة إلى جانب الأسباب، أى بالاثنين معًا. وضرب مثلاً على ذلك فقال: فى هجرته -عليه السلام- حمته طلاقة القدرة من أن يصل إليه الكفار، بينما هما اثنان: الرسول وأبو بكر. والكفار الذين يبحثون عنهما عدة مئات إن لم يكونوا ألوفًا.. وفى غزوة بدر كانت طلاقة القدرة هناك مع الأسباب، فكانت الملائكة هى التى ثبتت المؤمنين، ونصرتهم بجانب الأسباب، وهى الموقعة نفسها.

كذلك فى غزوة الخندق هزمت طلاقة القدرة كل قبائل قريش، ويهود المدينة الذين اجتمعوا، ليقضوا على دين الإسلام... وكان فتح مكة دليلاً قويًا وبرهانًا ساطعًا؛ حيث أخفت طلاقة القدرة جيش المسلمين عن أعين الكفار، حتى وصل إلى مشارف مكة، وفوجئوا به، مع أن هذا الجيش كان من الممكن أن يكتشفه كفار قريش، لكن قدرة الله أخفته عن عيونهم.

ويطلق الإمام الشعراوى قاعدة عامة وقوية فى ثقة وتمكن:

الأسباب، وطلاقة القدرة ماضيان فى الكون إلى يوم القيامة[1]؛ لنصر الضعيف على القوى، وإزالة الظلم الذى لا يستطيع أى سبب من الأسباب التى يملكها المظلوم أن تزيله، ولنصر الحق على الباطل.

[١٠٩]

المشيئة وطلاقة القدرة

س: يقول سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[2].

---

(١) يقصد الإمام أن طلاقة القدرة هى أيضًا من الله تعالى مثل الأسباب تمامًا، ولكن الإعجاز بالنسبة لنا نحن المكلفين، فكل شىء بتقدير الله ومشيئته.

(٢) سورة يس: ٨٢ .

راجع حاشية الصاوى على الجلالين (٣/ ٣٣٣).

ويقول أيضًا: ﴿ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ﴾(١) و﴿ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ ﴾(٢) و﴿ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ ﴾(٣).

فهل لطلاقة القدرة فى المشيئة الإلهية حكمة؟ وما هذه المشيئة فى قضية العقيدة؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: هذا هو قمة طلاقة القدرة، فالآيات هذه تنبهنا وتنبئنا إلى أنه ليس هناك أسباب عند الله يتقيد بها، وتتقيد بها مشيئته سبحانه وتعالى... ولو كانت قيدًا لقال لنا الله: إنه إذا أراد شيئًا هيأ له الأسباب؛ ليكون، ولكن كلمة (كن) معناها أنه لا دخل للأسباب هنا، وأن الشيء يوجد بمجرد قوله سبحانه وتعالى (كن) وسبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾(٤)، ويقول: ﴿ وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا ﴾.

ورغم أن الله سبحانه وتعالى جعل الإنجاب لا يتم إلا باجتماع الذكر والأنثى... إلا أن طلاقة القدرة تجعل من يشاء عقيمًا؛ فتتوقف الأسباب بمشيئة الخالق... سبحان الله.

وطلاقة القدرة هذه، لا يستعصى عليها شىء؛ لأنها تطرح الأسباب، وهى تجلى أن الله سبحانه وتعالى الذى يخلق بالأسباب يخلق أيضًا بغير الأسباب.

[١١١٠]

يا رب.. وطلاقة القدرة

س: أين هى طلاقة القدرة فى كتاب الله وما صلتها بالدعاء المباشر للحق تبارك وتعالى من العبد المؤمن يرفع يديه: «يا رب»؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد الشعراوى:

إن كلمة «يا رب» إذ تخرج من قلب مظلوم لا حول له ولا قوة إنما هى

---

(١)، (٢) سورة المائدة: ٤٠ .

(٣) سورة البقرة: ٢١٢، وسورة آل عمران: ٣٧، والنور: ٣٨، والشورى: ١٩ .

(٤) سورة الشورى: ٤٩ .

راجع أقوال العلماء ورأى الرازى فى التفسير الكبير (٢٧/ ١٨٥) وانظر التسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٢).

استنجاد بطلاقة القدرة الإلهية على قوانين الأسباب، فالذى يصيح «يا رب» عجزت الأسباب عن أن تعطيه، وأصبح بلا حول ولا قوة. . . ومن هنا فلم يعد له إلا أن يتجه إلى السماء، ويستنجد بطلاقة القدرة، فهى وحدها القادرة على أن تعيد للضعيف حقه، وأن تقتص للمظلوم من ظالميه، والله سبحانه وتعالى لم يجعل طلاقة القدرة محجوبة عنا. . بل نجدها فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع، فإذا قرأت ﴿ **يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ** ﴾[1] . ﴿ **يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ** ﴾[2] . ﴿ **يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[3] . ﴿ **وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ** ﴾ . ﴿ **تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ** ﴾[4] . ﴿ **إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾[5] . تجد أن الله سبحانه وتعالى أعطانا طلاقة القدرة فى هذه الآيات وفى آيات أخرى من القرآن، ولعل قمة طلاقة القدرة تنجلى فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾[6] .

ج ـ أشراط الساعة وأماراتها والموت

[١١١١]

أول أشراط الساعة

س: ما أول أشراط الساعة؟

(جـ): أول أشراط الساعة، نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وهذه إحدى مسائل عبد الله بن سلام الثلاث، وهى جمعاء موجودة فى صحيح البخارى.

---

(١) سورة آل عمران: ٧٤ .

(٢) (يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء).

سورة آل عمران: ١٢٩، وسورة المائدة: ١٨ .

(٣) أى لمن أراد له المغفرة، أو لمن أراد لنفسه ذلك بالعمل الطيب الصالح.

سورة آل عمران: ١٢٩، وسورة المائدة: ١٨ .

(٤) سورة آل عمران: ٢٦ .

(٥) سورة آل عمران: ١٦٥ .

(٦) سورة يس: ٨٢ .

[١١٢]

رفعت الأقلام وجفت الصحف

س: ما معنى القول: (رفعت الأقلام وجفت الصحف)؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن رفعت الأقلام وجفت الصحف معناها أن كل ما كان إلى أن تقوم الساعة مسطور فى الكتب، ولم يخرج الكون عما سطر، وطويت الصحف وجفت معناها أنه لم يعد هناك شىء جديد يكتب، ولكن كل ما يكون فى الوجود مسطور فى الصحف «لأنه سبحانه وتعالى على علم بما يقع عليه كونه، وإن كان الإنسان مختارًا والتحكم فى منطقة الاختيار دليل على العلم الشامل، وليس معنى ذلك أنه مفروض على، ولكنه كتب لأنه علم.

[١١٣]

ذكـــر المـــوت

س: أذكر الموت دائمًا.. فى كل لحظة.. ومع كل خفقة.. لا يغادرنى الشعور به أثناء النوم واليقظة.. إنه يلازمنى الليل والنهار، يمتزج بى، ويسرى فى دمى.. أسمع صوته وهو يهمس فى أذنى؛ فيتملكنى الرعب، ولا أستطيع منه فكاكًا أو إفلاتًا، لقد تحولت حياتى إلى عذاب قاتل، فتملكنى اليأس وخارت قواى ومزقنى الألم.. وأصبحت نظرتى للحياة نظرة مأساوية يجللها السواد، ويعشش فيها البوم.. فقدت الأمل، ولم أعد متحمسة للحياة.

هل أجد البلسم الشافى لديكم.. هل أجد الكلمة الحنونة؛ لكى تعيد لى توازنى، ولكى تشرق نفسى بالأمل، والإقبال على الحياة.. هل أجد..؟

(جـ): يا ابنتى.. هونى عليك.. فالموت ليس كما تظنين.. وليس هو نهاية النهاية للإنسان، وإنما الموت مرحلة انتقال من حياة إلى حياة.. والإيمان يا ابنتى هو جواز المرور إلى حياة سعيدة هنية، وعدها الله عباده الصالحين، ورحمة الله هى أوسع مما نظن.

﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾(١).

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٦ .

راجع تفسير الطبرى (٩/ ٥٨) وتفسير أبى السعود (٢/ ٢٠١).

أمـا عن حالتـك فقـد يكون هناك ظرف خـاص بك قـد يكون هذا الظرف حدث لك وأنت غير واعية له. . كأن يكـون قد مات لك عزيز، أو قريب فجعت فيه، ويكون ذلك سببًا لتذكرك الدائم للموت.

أما الإنســان فمطلوب منه إيمانيًـا أن يتذكر الموت، ولكــن لا يعيش فى هذا التذكر. . ومن رحمة الله أن تنساه بعض الوقت، لأننا لو جعلناه دائمًا أمامنا لقعد الناس عن العمل والحـركة فى الحياة. فلـيذكر الإنسان المؤمن الموت بقـدر ما يدفع عنه غرور البقاء وغرور الغنى.

ط- الحياة البرزخية وحساب القبر

[١١٤]

البــرزخ والحيــاة البرزخيــة

س: ما البرزخ، وما هى الحياة البرزخية؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

ما هو البرزخ فى الجـغرافيا؟ هو ما يصل بين يابسين يخـتلف عما يصل بين ماءين. وكل ما يصل بين شـيئين فهو برزخ. فمـعنى برزخ هو فاصل موصل بين شيئين أصليين.

ونحن لنا حياة نعيشها، وحياة أخرى وعدنا بها. وهناك فاصل بين الحياتين، وهى فترة الموت. وهى فترة البرزخ.

وتختلف حـياة البرزخ من فـرد إلى آخر، كل حسب عـمله، ولكن انعدام الشعـور بالزمن هو الذى يجعل فـترة البــرزخ متسـاوية. . ولننظر إلى من ينام ثم يستيقظ، فهو لا يشعـر بزمن نومه، فربط الزمن بالحدث هو الذى يشعرنا بالزمن، بدليل أنه لو جاء حدث يشـغلك عن تتبع الزمن؛ فإنك تجد الزمن قد مـر سريعًا، دون أن تشعر به. وإن جاء حدث يقتل فإنه يعطيك شعورًا بطول الزمن.

فإذا انتهـيت إلى الحدث والزمن شعرت به، وإن لم تنتبه إليـه لم تشعر به. ولذلك يعبر الحق عن ذلك قائلاً:

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾(١).

وقال: ﴿ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴾(٢).

وهذا يدل على أنه لا يشعر بالزمن إلا من يتتبعه.

[١١٥]

البرزخ وحساب الآخرة

إذا كان الحساب فى القبر ثابتًا لقوله -ﷺ- فى الحديث الشريف: «**عذاب القبر حق**»(٣)، وقوله: «**يهود تعذب فى قبورها**»(٤)، وقوله: «**هذان قبران يعذبان وما يعذبان فى كبير، فأما أحدهما فكان لا يستبرئ** (وفى رواية: لا يستنزه) **من البول، وأما الآخر فكان يسعى** (أى: يمشى بالسعاية) **بالنميمة بين الناس**»(٥).

س: إذا كان ذلك كذلك، فما الفروق بين حساب القبر وحساب الآخرة؟؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: حساب القبر وحساب الآخرة:

حساب القبر شيء وحساب الآخرة شيء. وكل واحد منهما ثابت بالأدلة الشرعية. فقد قام الدليل من القرآن الكريم والسنة النبوية على أن حساب القبر حق، قال تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾(٦)، روى الترمذى بسنده إلى البراء -رضي الله عنه- فى نزول هذه الآية: عن

---

(١) سورة النازعات: ٤٦ .

(٢) سورة المؤمنون: ١١٣ .
العادُّون: هم الحُسَّاب المتمكنون.
راجع تفسير القرطبى (١٢/١٥٦) وانظر التفسير الكبير للرازى (٢٣/١٢٧).

(٣) رواه الخطيب عن عائشة وصححه السيوطى (٢/٣٣٥/٥٤٠٨).
وانظر التذكرة للقرطبى بتحقيق السيد الجميلى (١/ ١٩٠) وما بعدها.

(٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل (٥/ ٤١٧) و(٥/ ٣٤٥).

(٥) أخرجه القرطبى بنحوه فى كتاب «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» بتحقيق السيد الجميلى (١/ ١٩٣).

(٦) سورة إبراهيم: ٢٧ .

النبى -ﷺ- قال: «**نزلت فى القبر إذا قيل للميت: من ربك وما دينك ومن نبيك**»[(١)]، وأما حساب الآخرة فقد قام الدليل عليه من القرآن، والسنة، وإجماع المسلمين، ومنكره كافر، والعياذ بالله، والأدلة الدالة على ثبوت حساب الآخرة لا تخفى على عاقل، ومنها على سبيل المثال. قول الله تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَرَ الإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ**﴾[(٢)].

يروى الحاكم بسنده إلى ابن عباس -رضي الله عنهما- فى ظروف هذه الآيات قال: جاء العاص بن وائل[(٣)]، إلى رسول الله -ﷺ- بعظم رميم بال، فأخذ يفته بيده ويقول: يا محمد، أيحيى الله هذا بعد ما رم وبلى؟ قال الرسول -ﷺ-: «**نعم يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم يدخلك نار جهنم**»[(٤)]، وفى رواية أن قائل ذلك أبى ابن خلف.

ومن الفروق بين حساب القبر وحساب الآخرة: أن حساب القبر يكون عن أشياء معينة، ورد فى السنة منها أن الميت يسأل عن ربه ونبيه ودينه. أما حساب الآخرة فيكون عن كل شيء، إلا ما تفضل الله تعالى بقبول التوبة منه.

قال تعالى: ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿**وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا (٤٨) وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾[(٦)].

---

(١) الترمذى فى جامعه الصحيح.

(٢) سورة يس: ٧٧-٧٩.
انظر تفسير القرطبى (١٥/ ٥٨) والبحر المحيط (٧/ ٣٤٥).

(٣) هو العاصى بن وائل بن هاشم السهمى، قرشى، أحد الحكام فى الجاهلية، وهو من المستهزئين، مات على الكفر سنة ثلاث قبل الهجرة.

(٤) المستدرك.

(٥) سورة الزلزلة: ٧، ٨.
انظر التفسير الكبير (٣١/ ٦١).

(٦) سورة الكهف: ٤٨، ٤٩.
راجع القرطبى (١٠/ ٤١٧).

[١١٦]

حساب القبر حق

ثم يقول الشيخ الشعراوى:

إننا حتى كبشر فى الدنيا لا نحكم على قضية إلا بعد تحقيق البوليس ثم النيابة، ثم المحكمة، ثم ينفذ الحكم بعد ذلك.

وحساب القبر هو عرض للجزاء، والآخرة هو دخول في الجزاء. قال تعالى: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[١].

ثم يقول: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾[٢]

[١١٧]

حساب القبر للغريق والمحروق والممزق

س: هل يحاسب فى القبر الغريق والمحروق والممزق والذى أكلته البلى والسباع وتقطع إربًا إربًا؟

(جـ): نعم يحاسب حساب القبر، بتجميع ذراته.. قال تعالى: ﴿ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾[٣].

وقد سئل - ﷺ -:

يا رسول الله، كيف يجمعنا ربنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟

فقال: **«أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله، الأرض أشرفت عليها السماء وهى مدرة بالية»** فقلت: لا تحيا أبدًا، ثم أرسل ربك عليها السماء، فلم تلبث عليك إلا أيامًا، ثم أشرفت عليها، وهى شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء على أن يجمع نبات الأرض»[٤].

---

(١)، (٢) سورة غافر: ٤٦ .

راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٧/ ٧٣).

(٣) سورة ق: ٤ .

(٤) المسند.

[١١٨]

هل ترد الروح فى القبر عند المساءلة ؟!

س: عند المساءلة فى القبر، هل ترد الروح إلينا عندئذ، أم كيف تتم المساءلة فى القبر؟

(جـ): فيما ذكره أحمد عن النبى -ﷺ- أنه سئل هذا السؤال من عمر -رضي الله عنه-، قال: هل ترد إلينا عقولنا فى القبر وقت السؤال؟ فقال -ﷺ-: «**نعم كهيئتكم اليوم**»[(١)].

[١١٩]

عذاب القبر للجسد أم للروح

س: عذاب القبر للجسد أم للروح أم للاثنين معًا؟

(جـ): قال تعالى فى قوم فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا**﴾[(٢)]، وقال أيضًا: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾[(٣)].

مرتان دخول الحياة، فالبعث، ثم ما بعد البعث.

ولما أن سئل -ﷺ- عن عذاب القبر، قال: «**نعم عذاب القبر حق**»[(٤)]. متفق عليه.

[١٢٠]

اللاموت واللاحياة

س: ما معنى عدم الحياة والموت فى قوله تعالى:

---

(١) المسند (٢/ ١٧٢).

(٢)، (٣) سورة غافر: ٤٦ .

راجع باب «عذاب القبر حق» فى الحياة البرزخية فى كتاب «التذكرة» للقرطبى بتحقيق السيد الجميلى (١/ ١٩٠) وما بعدها.

(٤) أخرجه الخطيب عن عائشة، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٣٣٥/ ٥٤٠٨).

﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم ﴾(١).

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

المجرم هنا هو المشرك. والمعنى أن هذا جزاء الكافر الجاحد، لا يموت فيستريح، ولا يحيا الحياة الأخرى بما فيها من نعيم. بدليل قوله تعالى: ﴿ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم ﴾(٢).

بل عذاب دائم مستمر. وقيل: أن نفس الكافر تبقى معقلة من حنجرته، فلا يموت بفراقها، ولا يحيا باستقرارها، والله أعلم.

ى - مواقف يوم القيامة (البعث والحساب والجنة والنار)

[١٢١]

الآمنون من عذاب الله يوم القيامة

س: من هم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة؟

(جـ): قال - ﷺ -: «**إن لله عباداً اختصهم لقضاء** (أو: بقضاء) **حوائج الناس حببهم فى الخير وحبب الخير إليهم، إنهم الآمنون من عذاب الله يوم القيامة**»(٣). (صدق رسول الله).

[١٢٢]

يوم يفر المرء من أخيه

س: إذا كان المرء يفر من أخيه وأمه وأبيه يوم القيامة، فأين يذهب كل الحب لأبى وأمى وإخوتى..؟! هل يرضى الله أن أفر ممن كان سبباً فى وجودى؟

(جـ): لقد أراد الله أن يضرب مثلاً بأن للإنسان ذاتية.. هذه الذاتية تجعل حبها دائماً، لأنفعهم إليها، ولذلك فإن حب الولد لأمه لا ينشأ لمجرد أنها أمه،

---

(١) سورة فاطر: ٣٦.   (٢) سورة فاطر: ٣٦.

(٣) حسنه السيوطى فى الجامع الصغير عن ابن عمر (١/١٤١/٢٣٥١).

ودليل ذلك أن الطفل إذا ابتعد عن أمه وأرضعته امرأة أخرى، واعتنت به وربته، فإن الطفل لا يحب أمه ولا يعرفها، ولكنه يحب من أحبته وحنت عليه.

ووضع الله سبحانه فى الأم والأب حبًا لأبنائهم قدر الحاجة، ولذلك فعندما سئلت المرأة البدوية عن أحب أولادها إليها؟ قالت: «الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يشفى، والغائب حتى يعود»، إذن فالحب يكون حب الحاجة.

ويوم القيامة لا يتعرض المؤمنون الذين عملوا الصالحات لمثل هذا.. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[1]. أما الذى يفر من أهله فهم الذين عملوا المعصية، وأغضبوا الله عز وجل وجزاؤهم العذاب؛ فيعيش حينئذٍ كل واحد فى مصيبته، إنه يفر بالكفر والمعصية ممن أوجد السبب فى وجوده.

[١٢٣]

ماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟

س: سئل -ﷺ- ماذا يفعل بنا ربنا إذا لقيناه يوم القيامة؟

(جـ): فقال: «**تعرضون عليه بادية له صفحاتكم، لا تخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك -عز وجل- بيده غرفة من الماء؛ فينضح بها قبلكم فلعمر إلهك ما يخطئ وجه واحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة (الملاءة البيضاء) وأما الكافر فتحطمه بمثل الحميم الأسود**»[2].

[١٢٤]

مساءلة الرسل يوم القيامة

س: هل يسأل الرسل يوم القيامة أم لا؟

(جـ): أجل يسأل الرسل يوم القيامة وقد ورد فى هذا قوله تعالى:

---

(١) سورة الطور: ٢١.

القرطبى (١٧/ ٦٧) والطبرى (٢٧/ ١٥) وروح المعانى (٢٧/ ٣٢).

(٢) المسند. (٤/ ١٤) والنضح: الرش. والريطة: الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين.

﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾(١).

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لا عِلْمَ لَنَا ﴾(٢).

﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾(٣).

﴿ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(٤).

﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴾(٥). كل هذه الآيات دلالاتها تشير إلى أن الرسل سيسألون يوم القيامة والله تعالى أعلم.

[١٢٥]

حكمة الآخرة

س: اليوم الآخر هو يوم الحساب لليوم الأول: ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾(٦).. هذا ما نعلمه، ترى هل توجد حكمة أخرى نحن لا نعرفها عن جوهر اليوم الآخر؟ نرجو من فضيلة الإمام التكرم بإفادتنا جزاه الله خيراً.

(جـ): إن قضية الآخرة ويوم الدين هى قضية الإيمان والإيمان أنك ستلاقى الله، وسيحاسبك.. والمؤمن إذا جاء أجله كانت نفسه مطمئنة.. لماذا؟ لأنه يعلم

---

(١) سورة الأعراف: ٦ .
انظر أبا حيان (٤/ ٢٧٠) ومختصر ابن كثير (٢/ ٥).
(٢) سورة المائدة: ١٠٩ .
راجع تفسير الطبرى (٧/ ٨١) وتفسير أبي السعود (٢/ ٧٠) والبحر المحيط (٤/ ٣٠).
(٣) سورة النساء: ٤١ .
راجع الطبرى (٨/ ٣٦٧).
(٤) سورة الأنعام: ١٥، وسورة يونس: ١٥، وسورة الزمر: ١٣ .
(٥) سورة الفرقان: ٣٠ .
مهجوراً: أى معدولاً ومصروفًا عنه.
وقيل: هجروا فيه، أى جعلوه كالهذيان والهُجْر الاسم. انظر المعنى فى لسان العرب (٧/ ١١٣).
(٦) سورة الزلزلة: ٨ .

أنه سيلاقى الله.. وسيحاسبه حسابه.. وغير المؤمن إذا سمع سيرة الموت انزعجت نفسه، وملأ قلبه الخوف والرعب.. لماذا؟.. لأنه يعلم داخل نفسه أنه سيلقى الله.. ولكنه يحاول ستر هذه الحقيقة التى سيكشفها الموت.

لولا أن الله سبحانه وتعالى هو مالك يوم الدين.. لما استطاع إنسان مستقيم أن يتحرك فى الحياة.. لماذا؟ لأن حركتك إذا كنت مستقيمًا على المنهج.. سينتفع بها غيرك ممن تركوا المنهج.. ولا تنتفع أنت بالآخرة.. إذن فأنت شقيت؛ لأن غيرك عصى الله.. وخالف الله.. لولا أن الله سبحانه وتعالى هو مالك يوم الدين؛ لأصبحت الدنيا حياة يفتك فيها القوى بالضعيف، ويسحق فيها الظالم المظلوم، ولكن الله سبحانه وتعالى يأتى ويطمئنك.. ويقول لك: أنا مالك يوم الدين.. اطمئن طمأنينة كاملة.. تلك هى الحكمة من وجود اليوم الآخر إنه جوهر العدل فى ذلك الكون الفسيح.. إنه يوم الفصل بين الحق والباطل.. بين المؤمن والكافر.. بين الصالح والطالح.. بين الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة.. يومها لن يظلم ربك أحدًا.. نسأل الله أن يجعل هذا اليوم خيرًا وبركة، علينا وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها. وخير أيامنا يوم لقائه.. آمين.

[١٢٦٦]

الحياة الآخرة

س: كيف تكون الحياة الآخرة..؟

(جـ): إننا فى حال حياتنا لنا حالان: حال يقظة وحال نوم.. هل قانون اليقظة هو نفس قانون النوم.. نجد أنهما يختلفان رغم وجود الحياة.

إذن، إذا قلنا: إن الموت حياة أخرى، ونظام آخر، فلابد أن نصدق ذلك؛ لأنك ترى وأنت نائم، وعيناك مغمضتان.. فهناك وسائل إدراك غير العين تستطيع أن ترى بها الأشخاص والألوان والأماكن.. فإذا حدث هذا لمجرد أن مادة الإنسان، وهى جسم قد خمد قليلاً.. فإذا قيل لنا: أن فى القبر حياة أخرى عندما تنتهى الحياة، فلابد أن تكون هذه الحياة أكثر شقاوة، تزيد فيها وسائل الإدراك.

إننا فى الرؤية نذوق الطعام والشراب، ونشعر بحلاوته أو مرارته، ونرى هذا يرتدى الأبيض، والآخر يرتدى الأخضر. وعندما ترى رؤيا تحكيها فى وقت طويل رغم أن العلم أثبت أن أطول حلم لا يستغرق أكثر من سبع ثوان. إذن، فالزمن

ملغى. . كذلك إنك تنام إلى جانب شخص يرى أنه بين أحبابه فالزمن ملغى. . كذلك أنك تنام إلى جانب شخص يرى أنه بين أحبابه يضحك، ويأكل ويمرح، والآخر يرى أنه بين أعدائه يضربونه. . لا هذا يشعر بذاك، ولا ذاك يشعر بهذا.

ولذلك لفتنا النبى -عليه الصلاة والسلام- إلى هذا فقال: «**إنكم تموتون كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون**».

فإذا اختلف قانون النوم عن قانون اليقظة، فإن الموت يختلف عن قانون الحياة.

[١٢٧]

أين أطلبك يوم القيامة

س: من الثابت أن محمدًا -ﷺ- سيشفع لأمته يوم القيامة، وهذه ميزة خصه الله بها دون سائر الأنبياء، فما هى المواطن التى يشهدها رسول الله -ﷺ- يوم القيامة بالتحديد؟

(جـ): سأله -ﷺ- أنس أن يشفع له، قال: «**إنى فاعل**» قال: فأين أطلبك يوم القيامة؟ قال: «**اطلبنى أول ما تطلبنى على الصراط**»، قلت: فإذا لم ألقك على الصراط؟ قال: «**فأنا على الميزان**» قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «**فأنا عند الحوض، لا أخطئ هذه المواطن الثلاثة يوم القيامة**»(١).

[١٢٨]

غذاء الدنيا وغذاء الجنة

س: هل غذاء الجنة مثل غذاء الدنيا؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾(٢).

---

(١) المسند (٣/١٧٨).

(٢) سورة السجدة: ١٧.

يقول الإمام الزمخشرى: «لا تعلم النفوس كلها ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبى مرسل أى نوع من الثواب ادخر الله لأولئك وأخفاه عن جميع خلائقه لا يعلمه إلا هو» الكشاف (٣/ ٢٤).

وما دامت لا تعلمه فلم تضع له لفظًا، وما دامت لم تضع له لفظًا، فليس فى لغتنا ما يؤدى معنى الحقيقة، لكن الله يريد أن يعطينا صورة عن الحقيقة، فيعطى مثلاً. . ومع ذلك قلنا: يتصرف أيضًا فى المثل لا يجعله على إطلاقه، يتصرف فيه بأن نريد أشياء، وأن ينقض أشياء. . . فمثلاً عندما يعطينا صورة الخمر فى الآخرة يقول: ﴿**لا فِيهَا غَوْلٌ**﴾(١) أى نزع من المثل شيئًا ضارًا، وهو أن آفة خمر الدنيا أنها تغتال العقل، ويعطى لها أشياء ليست فيها فيقول: ﴿**خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ**﴾(٢).

ويقول مثلاً: إن نبق الجنة: السدر الذى فى الجنة هو ﴿**سِدْرٍ مَّخْضُودٍ**﴾(٣) ينزع منه أذى الشوك الذى فيه: ﴿**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى**﴾(٤).

وعندما يعرض الحق سبحانه وتعالى لأنوع من فواكه الجنة يقول: عنب ورمان ونخل. . من الأشياء الموجودة عندنا فى الدنيا، لماذا؟. . لأنه لو جاء بأشياء لم توجد لها نظائر فى الدنيا، فمن الصعب أن تقبل عليها النفوس؛ لأنه لم يسبق للإنسان التعرف عليها، لكن عندما يقدم لك تفاحًا كبيرًا، وشكله جميل ورائحته أحلى، فأنت تعرف التفاح وطبيعته ورائحته فى الدنيا، فهل تقبل عليه أو لا تقبل؟

---

(١) سورة الصافات: ٤٧ .
أى لا تغتال عقولهم.
انظر الطبرى (٢٣/ ٣٤) والقرطبى (١٥/ ٧٨) وما بعدها والبحر المحيط لأبى حيان (٧/ ٣٥٨) والمختصر (٣/ ١٧٩).

(٢) سورة محمد: ١٥ .
انظر القرطبى (١٦/ ٢٣٦) والطبرى (٢٦/ ٣١) وتفسير أبى السعود (٥/ ٧٣).

(٣) سورة الواقعة: ٢٨ .
السدر المخضود: الذى لا شوك فيه.
راجع الطبرى (٢٧/ ١٠٣) والبحر المحيط (٨/ ٢٠٦) والقرطبى (١٧/ ٢٠٧) وأبا السعود (٥/ ١٢٩).

(٤) سورة محمد: ١٥ .
انظر حاشية زاده على البيضاوى (٣/ ٣٤٨).

فيأتيك بما ألفته نفسك، واستأنست به في الدنيا وهنا، يقول القرآن: ﴿ **كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا** ﴾[١].

ولماذا متشابهًا؛ لأنه يؤنسك باستعماله، لأن كل غريب مهيب وقد يستهجن.

[١٢٩]

هل يتناكح أهل الجنة ؟ ؟

س: هل يتناكح أهل الجنة؟ وهل ينزل المنى من الذكور؟

(جـ): سئل -ﷺ-: أنطأ فى الجنة؟ فقال: «**نعم**[٢]**، والذى نفسى بيده دحمًا دحمًا، فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكرًا**»، ورجال إسناده على شرط صحيح ابن حبان.

وفى معجم الطبرانى أنه سئل: هل يتناكح أهل الجنة؟ فقال: «**بذكر لا يميل، وشهوة لا تنقطع، دحمًا دحمًا**»، قال الجوهرى: الدحم: الدفع الشديد.

وفيه أيضًا سئل -ﷺ-: أيجامع أهل الجنة؟

فقال: «**دحمًا دحمًا. ولكن لا منى ولا منية**»[٣].

[١٣٠]

الشهيد والزوجات

س: من هو الشهيد؟ والزوجات فى الجنة؟ ومن لهم العذر يوم القيامة؟

---

(١) سورة البقرة: ٢٥ .

وأوتوا به متشابهًا: قال الزمخشرى: اللون واحد، والطعم مختلف. الكشاف (١/ ٢٦١).

(٢) وذكر هذا الحديث الإمام ابن قيم الجوزية فى فتاوى رسول الله -ﷺ- من كتابه «أعلام الموقعين عن رب العالمين».

(٣) لا تسل عن الكيفية. . . لأن هذه فى علم الله تعالى وقدرته؛ ولأن القوانين فى الجنة والآخرة غير قوانين الدنيا، غاية الأمر ومداره ومبناه ومعناه الأسمى هو تحصيل اللذة والمتعة اللانهائية.

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: من هو الشهيد؟

الشهيد لغة فعيل بمعنى: فاعل، لأنه شاهد أى حى حياة خاصة فى قبره، ولأنه يشهد رحمة الله تعالى، أو بمعنى مفعول لأنه مشهود له بالجنة، ولأن الملائكة تشهد موته إكرامًا له وشرعًا هو مسلم مات حال قتال الكفار، أو بعدها بسببها ولا ترجى حياته كما قال بعض العلماء وهو على أقسام ثلاثة: شهيد الدنيا والآخرة، وهو من مات فى المعركة فى حرب الكفار، أو البغاة ولم يراء ولم يخن فى الغنيمة ولم يقتل مدبرًا عن القتال، وهم أحياء فى البرزخ حياة خاصة لحديث «**الشهداء على بارق** -نهر بباب الجنة- **فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيًا**».

وأما شهيد الدنيا فقط وهو المقتول فى حرب الكفار وقد خان فى الغنيمة أو قاتل رياء أو قتل مدبرًا، فله حكم الشهادة فى الدنيا فلا يغسل، ويصلى عليه عند الحنفية، ولا يصلى عليه عند غيرهم، ولا ثواب له على الشهادة فى الآخرة.

وأما شهيد الآخرة فقط بمعنى أنه له ثوابًا خاصًا، وهو من مات فى الطاعون، والغريق، والمبطون، وغيرهم ممن ذكروا فى أحاديث سيدنا رسول الله -ﷺ- التى منها أنه قال: «**الشهادة سبع سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذى يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدًا**»[1]. أخرجه مالك وأحمد والأربعة إلا الترمذى بسند صحيح.

وتفسير هذه السبع: أن المطعون من مات بالطاعون. والغرق: الغريق. ومحل كونه شهيدًا، إذا لم يكن قد ألقى بنفسه فى الماء.

وذات الجنب: القروح تصيب الإنسان داخل جنبه وينشأ عنها حمى لازمة وسعال. والمبطون الذى يموت بمرض البطن كإسهال واستسقاء. والمرأة تموت بجمع هى التى ماتت وفى بطنها ولدها، أو ماتت عند الولادة، أو التى تموت بكرًا. ومعنى جمع بمعنى مجموع أى أنها ماتت مع شىء مجموع فيها غير منفصل عنها من حمل أو بكارة.

---

(١) المسند (٥/٤٤٦).

ثانيًا: الزوجات فى الجنة؟

نعم، الجنة فيها أزواج مطهـرة من الحيض والنفاس والولادة، ومن كل سوء وتعب، والأزواج نوعان: الزوجـات اللاتى كن فى الدنيا، ويكرمـهن الله بدخول الجنة ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ**﴾(١) والحور العين اللاتى يزوجهن الله أى يكـرم بهن عباده ليتـمتعـوا بهن تمتع الزوجات، ولم يثـبت أنه سـيكون هناك تناسل، ولماذا يكون، ولا حـاجـة إليـه للمسـاعـدة فى الأعمال، والاستكثار بالعشيرة، فالجنة دار ثواب وراحة لا دار عمل وتعب ولا دار غل ولا تنافس وتفاخر، والأطفال الذين كتب الله لهم دخول الجنة سيكونون على ما دخلوها يمرحون، ويتمتعون بأنواع النعـيم الكثيرة دون تطلع إلى الناحية الجنسية التى لم يذوقوها فى الدنيا ولا حاجة بهم إليها.

ثالثًا: من لهم العذر يوم القيامة:

إن رسالة الإسلام هى الرسالة العـامة العالمية لكل البشر، مـصداقًا لقول الله تعالى لرسوله وحبيبه ومصطفاه: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾(٢) ويقول: ﴿**مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**﴾(٣).. وقد بلغ الرسول -ﷺ- الرسالة إلى الناس كافة وحـملها الصحابة والدعاة من بعـده، حتى لم يبق من الدنيا مكان إلا وسـمع عن هذه الرسـالة الخـاتمة التى تهـدى الناس إلى السـعـادة فى الدنيـا والآخرة.

وأما أن يكونوا أهل فترة: أى لهم العذر يوم القيامة؛ فيقولون ربنا لم ترسل لنا رسولاً، ولم تأتنا آياتك.

وقد وردت أحاديث تفيد ذلك، وأن الله سينجيهم مثل الأطفال الذين يموتون صغارًا، والمجانين والحمقى والصم والبكم الذين لم يتعلموا.

---

(١) سورة الرعد: ٢٣ .
الجامع لأحكام القرآن (٩/ ٣١٢).
(٢) سورة الأعراف: ١٥٨ .
راجع تفسير الطبرى (٩/ ٥٨).
(٣) سورة الأنبياء: ١٠٧ .

أما ما يقال أن العلماء اكتشفوا مناطق بدائية كانوا فى معزل عن الدنيا فهؤلاء يكون لهم العذر وهم ناجون مصداقًا لقول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[1].

[١٣١]

أول طعام أهل الجنة

س: ما أول طعام يأكله أهل الجنة؟

(جـ): لما أن سئل -ﷺ- هذا السؤال قال: «**زيت كبد الحوت**»[2]. فسئل -عليه الصلاة والسلام-: «ما غذاؤهم على أثره؟»[3]. فقال: «**ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها**»[4]. متفق عليه.

وسئل -ﷺ-:

س: ما شرابهم فيها؟

(جـ): فقال: «**من عين فيها تسمى سلسبيلاً**»[5].

[١٣٢]

لا تغوط فى الجنة

س: هل أهل الجنة يتغوطون؟ وإذا لم يكونوا كذلك، فإلى أين تذهب الفضلات؟

(جـ): أفتى فضيلة الشيخ الشعراوى:

---

(١) سورة الإسراء: ١٥.
راجع تفسير جامع البيان (١٥/ ٤٢) والقرطبى (١٠/ ٢٢٧).
(٢) المسمى God Liver Oil.
(٣) غذاؤهم على أثره: أى بعده.
(٤) صحيح مسلم (٢٥٢).
(٥) مسلم (٢٥٢).

أن أهل الجنة لا يتغوطون، وعزا ذلك إلى أننا سنأكل فى الآخرة بأسلوب مختلف عن تناول الطعام فى هذه الدنيا.

هنا فى الدنيا يأكل الإنسان باختياره، أما فى الآخرة فالإنسان يأكل ما يشتهيه بأمر الله.

وليس فى الآخرة سعى وراء الرزق، أو أسباب يجرى إليها الإنسان، فالأسباب فى الآخرة تنتهى، ونعيش فى حضرة «المسبب لكل شىء»، إن الله جل شأنه بقدرته يستطيع أن يعطى الإنسان لذة الطعام، وفاعليته، ولا تبقى فضلات الطعام.

وما فضلات الطعام؟ إنها الزائد فى جوف الإنسان، والذى لم يعد الجسم يستفيد منه، وهذا الزائد صار فى الصحة.

وخالق الشىء، وكل شىء يستطيع أن يخلق المهمة لما يدخل فى جوفك، دون أن يكون ما هو زائد عن الحاجة، وما هو ضار.

[١٣٣]

من يدخلون الجنة بغير حساب سؤال وجواب

س: هل هناك من يدخلون الجنة بغير حساب؟

(جـ): أجل... أولئك الذين أباح الله لهم الأسباب، فلم يستعملوها احترامًا لقضاء الله عليهم.

[١٣٤]

هل ينام أهل الجنة؟

سئل -ﷺ-: أينام أهل الجنة؟

فقال: **«النوم أخو الموت، وأهل الجنة لا ينامون»**[١].

(١) ضعفه السيوطى فى الصغير (٢/٥٥٧/٩٣٢٥).

[١٣٥]

للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

س: قالوا: إن «زيادة» هى رؤية الله سبحانه وتعالى فى الجنة، جعلنا الله من المؤمنين المتقين، وصدقنا وعده برؤية وجهه الكريم فى جنة النعيم. فكيف نراه سبحانه وتعالى فى الآخرة، هل بحواسنا المادية فى الدنيا، أم سيحدث تحوير وتطويع أو استبدال هذه الحواس بحواس أخرى؛ لرؤية نور الحق جل شأنه؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى: نعم، سترى الله سبحانه وتعالى فى الآخرة، ولكنه يصعب علينا تصور ذلك إذا اعتقدنا أننا نراه بحواسنا الأرضية، ولكن الله سبحانه وتعالى سينشئنا نشأة أخرى مناسبة للحياة الأخرى، ولكى يقرب الله لنا هذا فقد خلق فى الأرض أشياء تقرب لنا معانى الغيب، فتوجد أشياء لا تستطيع رؤيتها بالعين المجردة، وباختراع الأجهزة والآلات رأيناها، فمثلاً الميكروب لم نكن نراه وعدم رؤيتنا له ليس معناه أنه لا يرى، ولكن عينك قاصرة عن رؤيته بدليل أننى استطعت رؤيته بالاستعانة بجهاز مكبر.

والشىء لا يرى إما لتناهيه فى اللطف، أو لتناهيه فى البعد، ولما وجد المجهر كبر الصغير، والتلسكوب قرب البعيد، إذن فالذى يجعلنا لا نرى هو أننا غير معدين هذا الإعداد.

وإذا نشأنا نشأة أخرى فإننا سنعد إعدادًا آخر؛ لنرى ما لم نكن نراه من قبل، ولذلك فعندما نقبل على عالم البرزخ، وقبل الموت تنتهى الحجب، ونستطيع أن نرى ما لم نكن نستطيع رؤيته من قبل وبذلك، فإن لكل حياة قانونها، ولنأخذ مثلاً حياتنا فنحن نمر بحالتين: يقظة ونوم وقانوننا فى النوم يختلف عن قانوننا فى اليقظة، وفى النوم نرى رجلاً يرتدى زيًّا أبيض، ويركب سيارة خضراء.

فكيف أدركت الألوان وأنا مغمض العينين؟

إذن أثناء النوم لنا وسيلة إدراك غير العين. والصحبة فى النوم لا تؤثر فينا، فينام شخصان فى حجرة واحدة، وعلى سرير واحد أحدهما يرى نفسه سعيدًا منعمًا، والآخر يرى نفسه متألمًا يضربه الناس من حوله وكل من الشخصين لا يشعر بالآخر.

[١٣٦٦]

الحـــــور العيـــــن

س: قال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾(١).

فإذا كانت الممارسة الجنسية موجودة فى الجنة:

﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾(٢).

فلابد أن تكون مـجردة من كل ملحقاتهـا من المنغصات الدنيوية، مـثلما نزع من خمـر الدنيا منغـصاتهـا.. -أى إن دواعيهـا وتداعيـاتها على حـد سواء مـباينة ومغايرة لنظائرها فـى الدنيا- فما تصور الشـيخ الشعراوى لهذه القضـية وخواطره إزاءها؟ مع قول البعض بأن هذه العملية قذرة فكيف تكون فى الجنة؟

(جـ): يقول الإمام:

إن هذه هى أمتع ما وجـد فى الحياة من متع النفس، إنمـا أنت لا تتصورها بواقع العملية أو بمقدمـات العملية، بل تتصورها بنهايات العمليـة، قبل ما تحصل منك العملية تصـبح هى ألذ شىء، وعندها تبقى فى نشوة واستمـتاع، وبعد ذلك إن استـقذرت شيـئًا فبعد أن تذهب فـورتك فالمسـتقذر هى فى ساعة الفـورة كان محبوبًـا، إذن المقدمات محبوبة، لاشك، وواقع العـملية محبوب، فمـاذا يجعلها قذرة؟ ما يأتى بعدها. هذه هى منغصات هذه اللذة فى الدنيا.

فلا يجب إذن أن تقيس المسائل على واقعـها فى الدنيا، فإذا قال الحق تبارك وتعالى: ﴿وَكَوَاعِـبَ أَتْـرَابًا﴾(٣) لا تقول: هل المسألة أصبـحت جنسية ومن

---

(١) سورة الدخان: ٥٤.

زوجناهم: أى قرّناهم، والحوراء: هى البيضاء، والعيناء هى عظيمة العينين. انظر تفسير البيضاوى (٢/ ١٨٢) والقرطبى (١٦/ ١٥٢).

(٢) سورة البقرة: ٢٥.

أزواج مطهرة: قيل: من الحيض والغائط، والبول وأقذار بنى آدم.

(٣) سورة النبأ: ٣٣.

كواعب: نساء قد كعبت ثُديِّهن؛ وأترابًا: على سن واحد.

راجع تفسير القرطبى (١٩/ ١٨١) والتسهيل (٤/ ١٧٤).

العجيب أن الذى يقول لك: هل هذا الكلام القذر موجود فى الجنة تجده من أسبق الناس إلى هذه المسألة فى الدنيا، وأحرصهم عليها، وأشدهم كلفًا بها.

لما تنكرونها؟

إنها متعة فى مقدماتها، وفى واقعها متعة، وإن كنت تستقذر منها شيئًا، فبعد ذلك. لماذا لا تقول: إن الله سيسلب مستقذراتها، كما سلب مستقذرات الخمر...

﴿لا يُصَدَّعُونَ عَنهَا وَلا يُنزِفُونَ﴾(١).

إذن فالشيء المقزز أو الشيء الذى ينفر منها، مرفوع عنها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا﴾(٢).

والكواعب من النساء: هى التى لا يزال ثديها يشبه الكعب، أى: لم يتهدل بل ما زال ناتئًا. يعنى: نهداها لم يتهدلا.

ومعنى «أترابًا» أى متساويات فى العمر، يعنى: لكى لا تزوف هكذا، ولا هكذا. فالمسائل كلها مثل بعضها.

[١٣٧]

صفات الحور العين

س: ما هى الحور العين؟

(جـ): حور: بيض، عين: ضخام العيون، شعر الحوراء بمنزلة جناح النسر.

س: ما معنى قول الله عز وجل: ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾(٣)؟.

---

(١) سورة الواقعة: ١٩ .
انظر خصال الأربع فى مختصر ابن كثير (٣/ ٤٣٠).

(٢) سورة النبأ: ٣١ - ٣٣ .
المفاز: موضع الفوز.

(٣) سورة الواقعة: ٢٣ .
انظر التسهيل (٤/ ٨٩) والرازى فى الكبير (٢٩/ ١٥٤).

(جـ): صفاؤهن صفاء الدر الذى فى الأصداف الذى لم تمسه الأيدى.

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾(١)؟

(جـ): خيرات الأخلاق، حسان الوجوه.

س: وما معنى قوله عز وجل: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾(٢)؟

(جـ): رقتهن كرقة الجلد الذى رأيت داخل البيضة، مما يلى القشرة.

س: وما معنى قوله تعالى: ﴿عُرُبًا أَتْرَابًا﴾(٣)؟

(جـ): هن اللواتى قبضن فى الدار الدنيا عجائز رضمًا شمطًا، خلقهن الله بعد الكبر؛ فجعلهن الله عذارى، عربًا: متعشقات متحببات، أترابًا: على ميلاد واحد.

[١٣٨]

للرجال فقط

س: لماذا الحور العين فى الجنة للرجال؟ ولماذا وعد الله الرجال فى الجنة بالحور العين، ولم يعد النساء كذلك؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الشيخ: الحق سبحانه وتعالى جعل نعيم الجنة مناسبًا لما تحبه النفس المستقيمة، فالمرأة فى ذاتها لا تحب بطبيعة فطرتها السليمة أن يتعدد عليها رجل، حتى إن من السيدات من يموت زوجها فتأبى أن تتزوج بعده، مع أن الزواج بعد وفاة زوجها حلال.. فإنها تعتبر أن من كرامتها عند نفسها ألا يتعدد عليها رجل، ومن فحولة الرجل أن تتعدد عليه النساء، فأعطى الرجل ما يثبت له الفحولة، وأعطى المرأة ما يثبت لها العفة والإعزاز، قد تفهم المرأة أن الله حرمها شيئًا أعطى نظيره للرجل ولكننا نقول: إنه عدد للرجل فى الدنيا ولم يعدد للمرأة، وفى الجنة لن تغار المرأة على زوجها لأننا لن نذهب إلى الجنة بطبعنا هذا

---

(١) سورة الرحمن: ٧٠.

(٢) سورة الصافات: ٤٩.

(٣) سورة الواقعة: ٣٧.

ولكن يتغير الطبع فيقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾(١).

[١٣٩]

رفقاء الجنة

س: ما هى الأعمال التى ترفع الدرجة فى الجنة، وتجعل الإنسان من رفقاء الرسول -ﷺ- فى الجنة؟

(جـ): لكى تكونى رفيقة للرسول -ﷺ- فى الجنة، فليكن لك به أسوة حسنة فى كل ما فعل، وأكثرى من الصلاة عليه، والحب له، فمن أحب قومًا حشر معهم وعدم تركه بعد ذلك، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، واعلمى أنك إن كنت تفعلين شيئًا من النوافل اعتدت عليه، ثم حالت صحتك أو أى موانع دونه، فيجرى الله عليك ثواب ما كنت تفعلينه فى وقت الصحة والمقدرة عليها.. وفقك الله يا ابنتى.. وحقق لك ما تطلبين.

[١٤٠]

نعم يلتقى الأحباب فى الآخرة

س: لا أستطيع أن ألتقى بمن أحبهم فى الحياة الدنيا، فهل أستطيع أن ألتقى بهم فى الدار الآخرة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن المرء مع من أحب.. فقد نظر أحد أصحاب رسول الله -ﷺ- إليه وبكى فقال له: «**ما يبكيك؟**» قال: أذكر دنيانا ونحن معك، ثم أذكر آخرتى وأنت فى مقامك الأعلى عند ربك، ونحن فى مقام آخر. فأنزل الله عز وجل: ﴿**فَأُوْلَـٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـٰئِكَ رَفِيقًا**﴾(٢).

فالمرء مع من أحب.

---

(١) سورة النساء: ٦٩.

(٢) سورة الأعراف: ٤٣. وسورة الحجر: ٤٧.

الغل: الحسد والعداوة والحزازة فى الصدور.

[١٤١]

وإن منكم إلا واردها

س: قال تعالى: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾(١).

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: هذه الآية يفسرها بعض الناس على أساس أن أحدًا لن ينجو من العذاب.. وأننا جميعًا صالحين أو عاصين مكذبين أو مطيعين سنعذب بالنار، وحتى نفهم هذه الآية فهمها الصحيح يجب أن نفهم معنى كلمة واردها.. وورود الماء معناه إتيان الماء.. هذه هى العين، وقد وصلت إليها وسقيت ماشيتى، ولم أشرب أنا وانصرفت.. ولم أشرب أنا، قد يشرب من معى، ولكنى أنا لم أشرب.

إذن الورود معناه الذهاب إلى مكان الماء.. إما أن تشرب منه، أو لم تشرب فهذا موضوع آخر. ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾(٢).. يريد الله أن يخبر عباده بفضله عليهم.. فيقول لهم: إنكم جميعًا سترون النار، وستسيرون إليها.. ولكن هنا يجب أن نفهم أن القرآن يشرح بعضه البعض. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾(٣).

فكأنما كل منا سيرى النار.. ويتجه عباد الله الصالحين إلى السماء.. ويقولون: يا ربى، الحمد لله الذى أنجيتنا من الهول الذى رأيناه، وزحزحتنا عن النار، فالنجاة من النار نعمة كبيرة، فما بالك لو زحزح عن النار، وأدخل الجنة؟ يكون هذا فوزًا عظيمًا يكون قد أمن، وتجنب عذاب النار، وفى نفس الوقت، متع نفسه بالجنة ونعيمها.. ذلك هو طريق الإيمان، وطريقه الذى يقود إلى الجنة التى فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اللهم قربنا من طريق جنتك، وأدخلنا إياها، ويسر أمامنا كل ما يقربنا منها من قول وعمل.

---

(١)، (٢) سورة مريم: ٧١ .

انظر أقوال العلماء فى القرطبى (١١/ ١٤٣).

(٣) سورة آل عمران: ١٨٥ .

ك ـ متفرقـــات

[١٤٢]

التوسل (بالأنبياء والصالحين)

يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن الأخذ بالأسباب لا ينافى التوكل على الله، وإلا فكيف يقول فى عسل النحل: ﴿**فيه شفاء للناس**﴾. ومعنى قوله ﴿**فيه شفاء للناس**﴾، أن يلجأ الناس إلى ما يعلم أنه شاف، أو يظن بترجيح البشر أنه شاف[1]، وهناك فارق بين عمل الطبيب، وقول الله: ﴿**وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ**﴾[2]. لأن الطبيب معالج، والله شاف، والمعالج عرضة للصواب والخطأ، ولا يظن ظان أن عمل المعالج يناقض قضاء، أو يؤخر موتًا، لذلك نجد كثيرًا من المرضى يموتون على أيدى معالجيهم بفعل معالجيهم.

وكما قال الشاعر:

.... **خطأ الطبيب إصابة الأقدار**

ورحم الله شوقى إذ يقول فى الموت:

إن نام عنك فكل طب نافعٌ أو لم ينم فالطب من أذنابه

والمعالج المصيب فى علاجه لم يخرج عن قدر الله. لأن ذلك أمر أيضًا فى قدر الله، فلم ينعزل قدر عن قدر.

لما أن حدث الجدب فى الجزيرة العربية المقفرة كان يقول سيدنا عمر: «كنا نستسقى برسول الله -ﷺ- وهو معنا، والآن نستسقى بعم رسول الله، قم يا عباس فاستسق لنا، فقام العباس، ودعا فنزل المطر»[3].

---

(١) هذا هو رأى فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى. (٢) سورة الشعراء: ٨٠.

(٣) تنوزع فى هذه القضية تنازعًا خطيرًا مشهورًا بين العلماء... وتبريرات فضيلة الإمام يأخذ بها ويحذو حذوها بعض العلماء... ويردها كثير منهم تعويلاً على أن التوسل المشروع يكون بالعمل الصالح، وبالإيمان بالله، أو بحق دعائه -ﷺ-.

والكلام مبسوط فى هذا الشأن فى مظانه من كتب العقيدة.

راجع «قاعدة جليلة فى التوسل والوسيلة» للإمام العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد بسط القول فى ذلك من مختلف زواياه وجوانبه.

وهذا التوسل بالأحياء، لأن انتفاعهم لا يزال قائماً، أما النبى -ﷺ- فقد مات عندئذٍ؛ وتوقف لذلك انتفاعه بالماء، لكن المسألة آلت إليه؛ لأنه عم النبى.

[١٤٣]
الإسلام... والاشتراكية

س: لقد سبق الإسلام الاشتراكية... وجعلها النظام المثالى فى حياة المجتمع الإسلامى، فلمَ تلصق البدع المحدثة لنفسها أنها أرست قواعد الاشتراكية، ثم تقرن الاشتراكية فَى مضمونها بنظريات إلحادية تتعارض مع منهج الحق تبارك وتعالى؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى موضوع الاشتراكية هذا:

إنه لا يلوم غير المتدينين بالإسلام فى أن يبحثوا عن قضايا الخير لأنفسهم بأى لون وبأى شكل، إنما ألوم المسلم؛ لأنه عنده الخير كله، وما دام المسلم عنده الخير كله فلماذا يحتاج إلى هذه المبادئ الوضعية؟ أيمكن أن يكون الإنسان مسلماً وشيوعياً فى وقت واحد؟ وهم معذورون فى أن يقولوا أن الإسلام والقرآن ليس فيه شيء من هذا. التحقيق لأنهم لا يعرفون شيئاً عن الإسلام ولا عن القرآن، ونتحدى لو أن واحداً منهم قرأ القرآن، أو درسه، أو استنبط شيئاً منه، إذن فهو يحكم على شيء دون أن يتصوره قرأ عن الماركسية، وألف كتاباً بل ربما أكثر، ولم يقرأ شيئاً عن القرآن وعن الإسلام، وإذا قلنا: ما مثار الاشتراكية التى طبقت عام ١٩١٧م إلى الآن فى الكون، ما ثمارها فى الدول التى اعتنقتها؟ انظر إلى الإسلام فى نصف قرن عندما طبق، ماذا فعل فى غير المتدينين به كدين، وأخذوه كنظام، أخذوه للنفع الذى فيه... وبعد ذلك نرى نصف قرن طبق فيه الإسلام، ونصف قرن طبقت فيه مبادئهم لنرى الفرق.

[١٤٤]
وإذا كان الرزق مكتوباً.. فلماذا العمل؟

س: يقول البعض: إنه إذا كان الرزق مكتوباً ومقدراً، فلماذا نتعب أنفسنا فى قضية الرزق؟ فما رأى فضيلة الإمام فى هذا؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن ما يحدث للإنسان فى حياته نوعان: نوع يأتى من خارجه.. وهو قدر الله فيه.. لا يستطيع أن يوقفه، أو يتحكم فيه.. مثل ذلك أن يكون الإنسان فى مصنع مثلاً... أو فى مكان ما.. ثم يفقد وظيفته لأن الشركة أفلست.. أو لأنها تريد الاستغناء عن عدد من الموظفين.. ومثل ذلك أيضًا ما يقع للإنسان من عشرات الحوادث كل يوم.. التى تخرج عن إرادته، ولا يستطيع أن يتحكم فيها.

وهناك جزء اختيارى.. وهو الذى لإرادة الإنسان دخل فيه والذى قد وضع الله سبحانه وتعالى له قوانين ومنظمات.. فالذى يعمل يحصل على نتيجة عمله.. كل شىء له أجر وله مقابل... ورزقك لابد أنه آتيك.. هذا هو موضوع البحث.

وكل عناصر الرزق موجودة فى الأرض.. ولكن المهم أنها تصل إليك تمامًا، كما تشترى لبيتك كل ما يحتاجه طوال الشهر.. وتخزنه وتضعه فى البيت.. إذن الرزق موجود فى البيت.. كل عناصره موجودة متوفرة.. وفى متناول يدك، والذين يقولون بالتوكل ويثيرون هذه القضية بهذا المعنى.. إنما هم أولئك الذين يريدون أن يفروا من كل عمل يورثهم تعبًا.. أما كل عمل يورثهم لذة، فإنهم لا يؤمنون بالتوكل فيه.. فهم يناهضون أنفسهم، ويحاولون الهروب من أى تعب إنه يتوكل؛ حتى يصل الرزق إليه.. ويوضع الطعام أمامه.. ولكن عندما يوضع الطعام أمامه وهو جائع.. فإنه ينسى فى هذه اللحظة ما كان ينادى به، ويبدأ فى تناول الطعام.. باذلاً فى ذلك جهدًا لتناوله ومضغه، حتى يشبع.. فلماذا لا يتوكل حتى يدخل الطعام إلى جوفه، دون أن يبذل أى جهد؟!؛ لماذا لم ينتظر حتى تدخل اللقمة فمه، ثم تنزل معدته حتى تملأ بطنه؟!.. إذن أنت توكلت فيما يتطلب منك مجهودًا، أما فيما يحقق لك لذة، فإنك لم تتوكل فيه، ولو كنت صادقًا فى التوكل عندما وضع أمامك الطعام.. لظللت جالسًا بلا حركة.. ولا مجهود.. حتى يدخل الطعام فى فمك.

ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى يوفر لنا أسباب الرزق كلها فى الأرض.. تمامًا كما يقول صاحب البيت للمسئولة عن البيت: إن كل ما تحتاجينه خلال الشهر موجود عندك فى المخزن.. وكونها لا تريد أن تتعب نفسها وتعد الطعام هذه مسألة أخرى

ولذلك يقال فى الحكمة المأثورة: «الجوارح تعمل، والقلوب تتوكل» فالتوكل صفة القلوب.. وليس صفة الجوارح.. فالجوارح مطلوب منها أن تعمل.

وللشيخ الشعراوى حكمة جليلة طالما سمعتها منه فى أكثر من موضع، وهو قوله: «إن رزقك من المال والشهرة أعرف بمكانك منك بمكانك». هذه المأثورة التى أطلقها الإمام كبيرة المعنى والدلالة، صفوة القول، ومجمل العبارة إن هذه معناها أن يكدح الإنسان، ويسعى إلى رزقه، لكن لا يتعجله؛ لأنه رزق مقدر، ولن يخطئه أو يتعداه إلى سواه.

وأعقب أيضًا على كلمة الإمام أن قوله تعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[1] قد جعل الحق جل شأنه الرزق فى السماء، حيث تعجز الحواس الإنسانية وغير الإنسانية عن الوصول إليه، أى أن معنى الآية الكريمة، أن رزقك أيها المخلوق فى السماء حيث لا يمكن ليدك أن تصل إليه، إنما عليك أن تكدح وتكدح وتعمل وتسعى، حتى يأتيك رزقك الذى قدره الله لك... وفى قوله تعالى ﴿رِزْقُكُمْ﴾ يؤكد لنا بصريح اللفظ أن هذا الرزق محدد مقصور على ذاتيتكم، فإن رزق الإنسان موعود به على أن ينشط حيال حركة الحياة، وألا يقف جامدًا أمام نشاطاتها المختلفة.

[١٤٥]

ماركس وأفيون الشعوب

س: كتب بعض الناس عن الإسلام والماركسية، وقد آلمنى ما صادفت فى كتاباتهم من مقارنتهم منهج الحق تبارك وتعالى الذى وضعه الله جل وعلا لإسعاد البشر يقارنونه بأفكار وضعية وضعها بشر مثلهم، بحثًا عن أسباب الخير بالطريقة التى يرونها هم أنفسهم؛ وبأى لون من الألوان، يتركون منهج الله الذى فيه الخير كل الخير، ويتجهون إلى اجتهادات البشر فى ماذا؟ فى قضايا جاءت محسومة بنص قرآنى واضح:

---

(١) سورة الذاريات: ٢٢ .

انظر حاشية الشيخ الصاوى على الجلالين (٤/ ١٢٥) والكشاف للزمخشرى (٤/ ١٧) وروح المعانى للألوسى (٢٧/ ١٠).

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

يا ليت الناس الذين يأخـذون الأفكار عن الشـيوعـية يأخـذون الأفكار من زاويتها البعيدة عن قضـية الوجود الحق، أو واجب الوجود، فعندما يقول لك: أنا ماركسى، أليس معنى بهذا أنه يؤمن بما آمن به ماركس؟ وما أدل شىء قاله ماركس عن الدين؟ قـال «الدين أفـيـون الشـعـوب» فكيف أقـول له: أنت مـسلم؟ وإنما يحرصون على احتفاظ بالإسلام أخيرًا فقط؛ لأنهم تلقوا الأوامر من أسيادهم هناك بأنه لم يحن الأوان بعـد لأن نهاجم الإسـلام.. فشلت هذه المحـاولة، ونحن لا يهمنا ذلك.. إن كانوا فلأنفسهم. ﴿لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾(١)، وهو عندما يقول أن القـرآن غير صالح لقيـادة الزمان، نقول له: أنت كفرت؛ لأنك اتهمت الله فى منهـجه... فى أنه وضع منهجًا لا يصلح للبشر.

[١٤٦١]

التصـــوف

يقول الإمام الجليل:

التصوف الحقيقى أن تعيش فى السوق، وتعايش أحداث الحياة لقول الشاعر:

ليس زهدًا تصـــوف من تقـــى فرّ من غمـرة الحـــياة بديـــن

إنما يعرف التصوف فى السوق بمـــال، ومطمـــع، وفتـــون

هذا هو اليـقين الإيمانى؛ لأن من العـفة ألا تجـد، والمرء الذى لا يسـتمـيله الفساد وهو موجود فيه، أحب عند الله؛ لأن شرف العبادة أقيم من إلف العادة فى اجتناب المحظورات، والنأى عن المحرمات.

وليس التصوف الحقيقى فى نظر الإمـام العالم الجليل النأى عن الحياة والبعد عنها، وقد استشهد بالإمام أبو الحسن الشاذلى بأنه كان أبرع الناس فى التجارة.

(١) سورة الحجرات: ١٧ .

[١٤٧]

الأسباب والفتنة

س: هل هناك فتنة فى تخطى الأسباب بالنسبة لأقضية الحياة؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

هب أن الأرض قد أجدبت، وهب أن زرعك اجتاحته آفة من الآفات، فيجب ألا تقف عند سبب من الأسباب... الجوارح تعمل، والقلوب المؤمنة تتوكل على الله المسبب، ولذلك يأتى الله سبحانه وتعالى لأناس زرعوا وربوا وسقوا، وقبل الحصاد يصيب الثمرة بأية آفة من الآفات.. ما حظ الله فى هذا؟

حظ الله فى هذا ألا تفتن بالأسباب...

وتتحقق القضية فى كتابه الكريم التى أطلقها: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾(١)، حتى لا تحسب أن رزقك لا يأتيك إلا من تعبك. ولا يجب أن تزعزع الأسباب الإنسان عن المسبب أبدًا، وهذا حماية من الفتنة فى الأسباب، فإذا علمت أن وراء الأسباب مسببًا يعطى بلا سبب، ويرزق من حيث لا يحتسب الإنسان، فقد ظفر الإنسان بقوة إيمانية عظيمة لإيمانه بالمسبب الذى لا يفتقد فى عطائه بالأسباب.

[١٤٨]

المعجزة والكرامة

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

إن الله سبحانه وتعالى يريد منا فى مسألة الخوارق للناموس أن نؤمن بها وبإمكانياتها، أى بإمكانية حدوثها، وما دامت المسألة موكولة إلى القدرة، فإيمانك يتسع لها، أما تحقق وقوع المعجزة، فهذا ليس لأحد حجة على أحد آخر فيه.

ويردف الشيخ الشعراوى:

---

(١) سورة الطلاق: ٢، ٣.

انظر القرطبى (١٨/ ١٥٩)، وراجع البحر المحيط (٨/ ٢٨٢).

إن من رأى المعجزة فهى حجة على نفسه، وإذا أخبر بها فصدقه على قدر توثيقه.

والمعجزة فى رأى الشيخ الشعراوى:

أعلى من الكرامة، بل هى أعلى درجات الكرامة.

وقد يقول قائل: ولِمَ لم يخص الله محمدًا بمعجزات حسية، كما خص بقية الرسل؟ نقول: نعم، وقد فعل، ولكنها لم تكن إلا للقلة التى كانت فى عصره، فإن صدقتها فأهلاً وسهلاً، وإن لم تصدقها، فابحث عن توثيقها، فالمعجزة الحسية حجة على من رآها، ومن لم يراها فهى له خير.

وقد كفى الطعام القليل ناسًا كثيرين على عهد رسول الله -ﷺ- ومن رأى هذه الواقعة فهى حجة عليه:

وكذلك نستقبل كرامات من أفاض الله عليهم.. إذا حدثك واحد عن كرامة واحد، وأنت استقرأتها بالنسبة للقوانين، هل هو صادق أم كاذب؟ فليس مطلوبًا منك أن تصدقه، لأنها ليست مصنوعة لك، فالمصنوع لك هو الكرامة التى تراها بعينك أنت، حتى تعطيك طاقة من الإيمان.

إذن فالكرامة على هذا القدر، وبعض الناس يستقبلها بالاستهزاء وبعضهم يستقبلها بالتقريظ، فمن الذى يستقبلها بالتقريظ؟ إنه ذلك الذى حدثت له. الذى رآها بعينه، أما أنت يا من لم تر بعينك، فأنت حر فى أن تصدق أو تكذب، أنت خارج عن النظام.

فالكرامة حجة على من رآها، والقرآن حجة على الجميع.

[١٤٩]

من هم الفاسقون؟

إذا كنت تقطع ما أمر الله به أن يوصل، فأنت خارج عقد الإيمان بالله وكنت فاسقًا. وقد ذم الله الفاسقين فقال:

﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ﴾(١).

---

(١) سورة الرعد: ٢٥.

ويدخل فى هذا نقض العهود، لأنه قطع لما أمر الله به أن يوصل بين العبد وبين الله ورسوله.. وقد يكون الموصول بين الإنسان وغيره هو رباط الإنسانية... ويروى أن معاوية بن أبى سفيان كان جالسًا. فقيل: يا أمير المؤمنين، بالباب رجل يقول: إنه أخوك، فقال: كيف لا أعرف إخوتى؟ ائذن له. فدخل الرجل، فقال له معاوية: أى إخوتى أنت؟.

قال: أخوك من آدم. قال: رحم مقطوعة، والله لأكونن أول من وصلها، وقضى له حاجته.

لذلك يقول النبى -ﷺ-: «**المؤمن أخو المؤمن**»(١)، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾(٢).

لذلك فإن كل ما يؤدى إلى قطع ما أمر الله به أن يوصل من وشيجة الإنسانية فهو ظاهرة من ظواهر الفسق والخروج عن الإيمان. وكل ما يؤدى إلى الالتحام والترابط، إنما هو الإيمان.

يقول فضيلة الإمام الجليل:

كيف يكون الله معك، وأنت تقطع ما أمر الله به أن يوصل؟؟!!

[١٥٠]

التوبة

س: ما الحكمة فى تشريع التوبة، وقبولها من قابل التوب، وغافر الذنب؟

(جـ): يقول الإمام الجليل: تشريع التوبة وقبولها من الحق تبارك وتعالى، جاءت صيانة لحركة الهداية فى الأرض، لأن التوبة لو لم تشرع لكان مجرد وقوع إنسان فى معصية، ذريعة له أن يستشرى فى الأرض بالمعاصى، وحينئذ يفسد الكون بمجرد غفلة إنسان واحد؛ لأنه إذا كان قد طرد من الرحمة بمجرد المعصية الواحدة فلا أمل فى أن يرجع، ولماذا يرجع إلى منهج يحدد حرية شهواته فى الحياة ما دامت المعصية الواحدة كافية لأن يطرد من رحمة الله، فتصور أن واحدًا

---

(١) لكن السيوطى ضَعَّفَ هذا الحديث وإن كان معناه صحيحًا. (٢/٥٤٩/٩١٥٦).

(٢) سورة الحجرات: ١٠ . انظر تفسير البيضاوى (٣/ ٣٧٢)، والقرطبى (١٦/ ٣٢٦)، والطبرى (٢٦/ ٨٣)، والبحر المحيط (٨/ ١١١).

يعصى ربه ثم ييأس من قبول ربه توبته، مـاذا يكون موقفه فى الكون؟ إنه سيعربد فيه انحرافًا وانحـلالاً وطغيانًا وجبروتًا، وحينئذ يغرى غـيره بالأسوة الحسنة فى أن يكون مـثله، وحينئـذ يكون العالم كله شـر فىٍّ صدام الحـياة ومـعاركـها، أى أن مشروعيـة التوبة من الحق هى فتح مجال لرجـوع الإنسان الذى انحرف إلى طريق السواء والسداد.

لذلك فالحق جعل للإنسـان العذر فى الغفلة والنسيان، والعـذر فى أن نفسه قد تضعف مرة فتصيبه المعصية، ولكن ذلك لا يعنى أن يستشرى فى باب المعصية، وبين أن الله أفرح بتوبة عـبده العاصى، من أحدكم وقع على بعـيره وقد أضله فى فلاة. كل ذلك حرصًا على سلامة وصيانة حركة الحياة.

[١٥١]

شروط التوبة

س: ما هى شروط التوبة، وما الفرق بين الذنوب الكبائر والصغائر؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾(١) أمر الله عباده بالتـوبة، وهى فرض عين على كل إنسان، ومن شروط التـوبة الندم على ما وقع من الذنوب والإقلاع عنها والعـزم على عدم العودة إليها وإعـادة الحقوق إلى أصحابها -والتوبة النصوح، قـيل: هى التى لا عودة بعدها كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

وقال الحسـن: النصوح أن يبغض الذنب الذى أحبـه ويستغفـر منه إذا ذكره وقال القـرطبى: يجمعـها أربعة أشـياء: الاستـغفار باللسـان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجنان، ومهاجرة سيء الخلان.

وقال أبو بكر الدقـاق المصرى: التوبـة النصوح هى رد المظالم، واستـحلال الخصوم، وإدمان الطاعات.

والذنب الذى تكون منه التوبة، إما أن يكون حقًا لله تعالى، أو للآدميين،

---

(١) سورة التحريم: ٨ .

فإن كان حقًا لله كترك صلاة، فإن التوبة لا تصح منه حتى ينضم إلى الندم قضاء ما فات منها، وإن كان الذنب من مظالم العباد، فلا تصح التوبة منه إلا برده إلى صاحبه، والخروج عنه إن كان قادرًا عليها، فإن لم يكن قادرًا فعليه أن يعزم على الأداء فى أقرب وقت وأسرعه.

والآيات الواردة فى التوبة كثيرة، ورسولنا صلوات الله وسلامه عليه حث العصاة والمذنبين من أمته على التوبة فى أحاديث عديدة: منها ما رواه مسلم والنسائى، عن أبى موسى -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها**»(١). وروى ابن ماجة بإسناد جيد عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم**»(٢)، وروى الترمذى وابن ماجة والحاكم عن أنس -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون**»(٣)، والاستغفار من الذنوب وسيلة من وسائل التوبة.

الذنوب درجات، فما فحش ضرره، فهو الكبيرة، وما زاد فحشه فهو أكبر الكبائر، وما قل ضرره فهو الصغيرة، وكل هذه الذنوب سواء أكانت كبيرة، أم أكبر، أم أصغر، فاقترافها حرام.

وإن أكبر الكبائر المحرمة شرعًا ثلاث هى الشرك بالله، واتخاذ الأنداد والوسطاء والأولياء والشفعاء، وعبادتها أو التقرب إليها بالقرابين والنذور وضروب التقديس، وتلك أكبر جريمة أن تجعل لمن خلقك ندًا، وأن تشرك به ما لا يملك ضرًا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياة، وثانيها: عقوق الوالدين، وإيذاؤهما بالقول أو العمل، فسبهما وشتمهما بل قول: أف لهما، عقوق وقطيعة، وكذلك عصيان أمرهما، والتلكؤ فى قضاء شئونهما، ومد اليد بالسوء إليهما، كل ذلك عقوق، ونكران للجميل، وإن دعواك إلى الإشراك، أو عصيان الخلق، فلا تطعهما، وإن وجب عليك البر بهما، وحسن الصحبة.

---

(١) وهذا من لطفه سبحانه وتعالى ورحمته.

(٢) ليس بعد كرمه وجوده كرم وجود؛ لأن رحمته سبحانه وتعالى وسعت كل شىء.

(٣) الترمذى (٢٤٩٩) وابن ماجة (٤٢٥١) وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٣٩٢/ ٦٢٩٢). وهو فى صحيح الجامع (٤٣٩١) وتخريج المشكاة (٢٣٤١).

وقرر العلماء وجوب طاعتهما فى المباحات فعلاً وتركًا، واستحبابها فى المندوبات، وفروض الكفاية كذلك.

وثالثها: قول الزور والباطل، وقد أكبر الرسول -ﷺ- خطره وأعظم جرمه. وإن قول الزور يشمل شهادة الباطل، والحكم الجائر، ورمى الأبرياء بما هم منه براء، والقول على الله بغير علم، فكل ذلك داخل فى قول الزور هذا، وإن شاهد الزور يسىء إلى نفسه، إذ يبيع آخرته بدنيا غيره، يسىء إلى من شهد له بإعانته على ظلمه، وإلى من شهد عليه بإضاعة حقه، وإلى القاضى بإضلاله عن الحجة، وإلى الأمة بزلزلة الحقوق فيها. وعدم الاطمئنان عليها، ومن الخزى الفاضح أن يكثر بيننا من يشهدون زورًا لمجرد صداقة، أو رجاء، أو نظير مبلغ يسير يتقاضونه، فهؤلاء خربت ذممهم، وخبثت نفوسهم، أولئك هم إخوان الشياطين.

[١٥٢]

وبالحجارة هزم جيش أبرهة

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾(١).

س: هل (الحجارة) جاءت من النار على صورتها المادية، أم أنها نوع من الميكروبات أبادت جيش أبرهة الحبشى عن بكرة أبيه؟

(جـ): فى كتابنا (الإعجاز الطبى فى القرآن) ناقشنا هذه المسألة بإسهاب، وإطناب شديدين.

---

(١) سورة الفيل.

الطير الأبابيل: الجماعات المتفرقة.

(حجارة من سجِّيل): أى من أُجُرٍّ على ما رأى ابن عباس، أى: من طين. وهذا مذكور فى رواية الإمام محمد بن جرير الطبرى (٣٠/ ١٩٢)، وراجع أيضًا الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٠/ ١٩٨) والبحر المحيط (٨/ ٥١١٢) والتفسير الكبير للفخر الرازى (٣١/ ٩٥) وتفسير أبى السعود (٥/ ٢٨٤).

وقد استبعد فضيلة الإمام أن تكون ميكروبات على أساس أن من خاصية الميكروبات الانتشار، وكان من الممكن أن تجتاح مكة بأسرها.

ثم يتساءل الإمام: أى طير عاقل هذا الذى يطير فى اتجاه محدد معين؟ أيريدون بذلك أن يسهلوها على الله!

إذن فالشيخ الشعراوى يرى أنها حجارة مادية، ومن المستبعد أن تكون نوعًا من الميكروبات (هذا فى اعتقاده، ومن منظوره الاجتهادى، وهو قول سائغ ومبرره مقبول).

[١٥٣]

نسخ الحكم قبل أداء الفعل

نعلم جميعًا أن الصلاة قد شرعت بالمباشرة بين الحق تبارك وتعالى وبين رسوله وفيما ورد أن النبى قد تلقى من الحق تكليف الصلاة خمسين فرضًا فى اليوم على الأمة آداؤها، وتعلم ما جرى من نصح موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام بمراجعة الحق فى ذلك، وإنقاص الصلاة حتى صارت خمسًا فى الفرض، وخمسين فى الأجر والثواب، وقد قال البعض: إن هذه من الإسرائيليات التى تشير إلى وصاية أمة موسى على أمة محمد.

والشيخ الشعراوى مقتنع بهذه الرواية التاريخية تمامًا، وفى هذا المجال يقول فضيلته:

موسى رسول الله، وهو من أولى العزم، وكونه يطلب من رسول الله أن يرجع إلى ربه؛ ليسأله التخفيف... لا نرى فى ذلك وصاية... وما نوع الوصاية؟

الوصاية تكون من الإنسان الذى يفرض على أمرًا أكثر، أم الوصاية التى تأتى للتخفيف، هل توصف بأنها وصاية؟

إن موسى يريد أن يخفف عنى أمورًا يعرف هو أننى لا أطيقها.

إن الرواية التى ذكرت: «فإن أمتك لا تطيق» فكأنه يريد أن يقلل من شأن الأمة الإسلامية، واحتمالها، نحن نناقش ذلك، وخاصة أن هناك رواية أخرى تقول: «فإن أمتك ضعاف لا يطيقون» أو شىء بهذا المعنى.

هذا ما يقال، لكن حينما يقـول له موسى: أنا جربت الأمم قبلك، لم يكن الله قد فرض على قوم موسى إلا صـلاتين، صلاة بالعشى، وصلاة بالغداة، ومع ذلك ما قاموا بها، فموسى حينما يرى أمـة كان معها، ومع ذلك لم يقوموا بوقتين من الأوقات، ويقول لـرسول الله ما قاله، فهـذا دليل على أنه يحب رسول الله، ويحب أمة رسـول الله، ولذلك يريد ألا يعرضهـا لما تعرضت له أمتـه من أنها لم تستطع.

فهذه إذن ليست شهادة بأننا ضعـفاء، وإنما هو يفترض أننا قد لا نقوى على هذا، لماذا؟ لأنه جرب الأمم فلم تقـو على ذلك، ويقينه بأن أمتـه لم تفعل هذا، إذن، فهذا أمر ضدهم، وليس ضدنا (ضد قوم موسى).

وهنا سؤال:

إذا كان الله قد أرادها خمسين أولاً، ثم فرضها بعد ذلك خمسًا، فلم ذلك؟

يقول فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن التكليفات من الله ليست لحاجة الله سـبحانه وتعالى إلى فعلنا، وإنما هى لصالحنا نحن، فالأساس الأصيل أن التكليفات لا ينتفع الله بها، وإنما هى لصالحنا نحن.

وحيث إن الله تبـارك وتعالى قد جـعلها خمـسًا فى العمل، وخـمسين فى الأجر والثواب، فإن العطـاء ثابت من الله سبحانه وتعالى، وما جـاء التخفيف إلا للوسيلة، ولم يقابله تخفيف العطاء والثواب.

والسؤال:

كيف ينسخ الله الحكم قبل أن نمكن من الفعل؟

يقول الإمام الجليل: إن الناس يفهمون أن مراد التكليف من الله إنما هو فعل الشيء المكلف به، بمعنى أن المراد من كل تكليف من الله لخلقه أمران:

الأول: الإيمان بالتكليف.. وعدم رده.

والثانى: فعله... فإذا قبلت الأول؛ فقد أخذت شقًا من الأمر بالتكليف، وبعد ذلك الشق الآخـر، وهو الفعل، وأريد أن أوضح هذه النقـطة فأقول مـثلاً: إبليس عصى ربه، وآدم عصى ربه، فلمـاذا طرد إبليس من رحمة الله، ولماذا تلقى

آدم من ربه كلمات؛ فتاب عليه، فإبليس قد رد الأمر على خالقه، وهذا ما لم يحدث مع آدم عليه السلام.

[١٥٤]

الدنيا الملعونة

س: كيف نوفق بين لعن الدنيا فى الحديث، وبين الحديث الآخر: لا تسبوا الدهر فأنا الدهر؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

المقصود بالنهى عن سب الدهر على أنه الفاعل، لأن الدهر مخلوق، فلا تقل إن الدهر فعل بى كذا، فإن الدهر ظرف للحدث، والله سبحانه هو مجرى الأحداث. فإن سببت الدهر كمسبب للحدث فإنك تكون سببت الله والعياذ بالله.

ومعنى لعن الدنيا وما فيها إلا ذكر الله. هو أن الله أعطانى اختيارات فى الدنيا أن أختار الطريق خيرًا كان أو شرًا، فإن أقبلت على الخير، فمن المنطق ألا تلعنه، وإن أقبلت على الشر فإنه ملعون، إذن فليس المقصود لعن الدنيا لذاتها، ولكن لما فيها من مخالفة منهج الله.

[١٥٥]

قارئة الفنجان

س: ما الحكم فى قراءة الفنجان، وهل هو حرام أم حلال؟

(جـ): يختلف القول عن قارئة الفنجان فهناك من تدس الوسطاء الذين يتصلون بشكل أو بآخر بمن يترددون عليها؛ ليعرفوا أخبارهم وينقلوها لها، ثم تبنى عليها حكايات تحدثهم بها؛ فينبهر المتردد عليها لمعرفتها لأخباره؛ وبذلك يعتقدون فى صدق قولها.

ومن الجائز أيضًا أن يستولى الشيطان على قارئة الفنجان؛ فيتشكل فى الفنجان بالشكل الذى يريد فنراها تقول: إنها ترى فى الفنجان رجلاً أو طريقًا مفتوحًا أو سفرًا بالطائرة أو بالباخرة، وكل هذا فى مقدرة الشيطان؛ لأنه يستطيع أن يتمثل فى أى صورة يريد.

ونري ذلك غالبًا فيمن يقرءون الفنجان مقابل أجر، فهم يتعيشون من خداع الناس، ولكنه يوجد من الناس من يفتح الله عليهم بأى شكل فيجرى على ألسنتهم أقوالاً لا يقصدونها؛ فنجدها تصدق وهؤلاء بالطبع لا يتعيشون من هذا العمل ولا يأخذون عليه أجرًا؛ لأن هذه الفتوحات بيد الله، ولا يمكن أن يعتمد عليها الشخص، لأنها ليست فى يده والمقصود من مثل هذه الحالات أن الله سبحانه وتعالى قد يريد أن يكرم إنسانًا خيرًا طيبًا؛ فيظهر له كرامة من نوع أو آخر. . والله تعالى أعلم.

[١٥٦]

الإسلام المفترى عليه

قرأت فى كتاب Early Mankind in the world للمؤرخ الكبير العالم الأثرى جيمس هنرى بريستد J. Henry Breasted وهو مرجع تاريخى عظيم، له قدره، وله خطورته، دقيق البحث، لكنه عندما تعرض للإسلام وللدعوة الإسلامية بقوله: إن الدولة الإسلامية انتشرت بحد السيف، آلمنى أشد الإيلام.

وهذه فرية تاريخية بثها المرجفون المستشرقون وغيرهم من المغموزين، وهى من سموم الحقد والبغضاء؛ لأن اتساع رقعة الدولة الإسلامية فى فترة زمنية وجيزة قصيرة نسبيًا إذا ما قورنت بغيرها من الأمم والممالك والأمصار الدارسة، إذ امتدت إلى مشارف الهند، واحتوت الأندلس، وامتدت أطرافها وإشراقاتها إلى رقعات ومساحات مديدة من سطح الكرة الأرضية -فكان ذلك طفرة أفسحت الظنون فى التشكك فى ارتباطها بالسيف والقسوة والقوة.

- وفى ذلك يقول الشيخ الشعراوى: انتشر الإسلام بين الضعفاء، ولم ينتشر بالأقوياء. . لذلك عندما يقول أحدهم: إن الإسلام انتشر بالسيف، نقول له: هذه حجة مردودة. إذا كان الإسلام انتشر بالسيف، فمن الذى حمله. . من الذى حمل هذا السيف؟

كان يصح ذلك لو أن محمدًا -ﷺ- جاء ومعه سيف، وأجبر به الناس على أن يؤمنوا، ولكن الذين آمنوا به كانوا هم الضعفاء، ونحن نتكلم لا فى السيف الذى حمل، ولكن عن الذى حمل السيف.

على فرض أن انتشار الإسلام كان بالسيف. . من الذى حمل السيف؟

المسألة: ما الذى جعل الضعفاء يكون لديهم القوة على حمل السلاح؟

إن القضية أن المبدأ تحقق فى أن الإسلام إنما جاء ليعرض مبادئه، لا ليحمل السيف.

[١٥٧]

الصفقة الرابحة

س: ما معنى قول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[١]؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: المشترى (بكسر الياء) هو الله، والمشترى (بفتح الياء) نفوس المؤمنين، والثمن الجنة، وما غاية الإنسان إلا أن يعيش سعيدًا ممتعًا، فمهما كان ثمن الجنة فليتعجلها، كما تعجلها الصحابى، الذى قال لرسول الله -ﷺ-: «**أليس بينى وبين الجنة إلا أن أذهب إلى هؤلاء أقاتلهم فيقتلوننى؟**».

قال: «بلى».

وكانت فى فمه تمرات، فاستبطأ أن يظل حيًا إلى أن يمضغ هذه التمرات، وألقى بالتمرات خارجه، وخاض المعركة فقتل.

وأيضًا جمال الصفقة وإغراؤها يجعل المعذور فى الإسلام عن الجهاد يتطوع هو بالجهاد.

هذا هو عمرو بن الجموح[٢]، رجل عذره الله؛ لأنه أعرج فيقول لأبنائه: لابد أن أشهد المعركة، فيقولون له: يا أبانا، نحن نكفيك المعركة فيقول: لا، ولابد أن أشهد المعركة، فيصر أبناؤه عليه لمنعه، فيذهب إلى رسول الله -ﷺ-

---

(١) سورة التوبة: ١١١ .

انظر تفسير الطبرى (١١/ ٢٧) والتفسير الكبير للرازى (١٦/ ١٩٩).

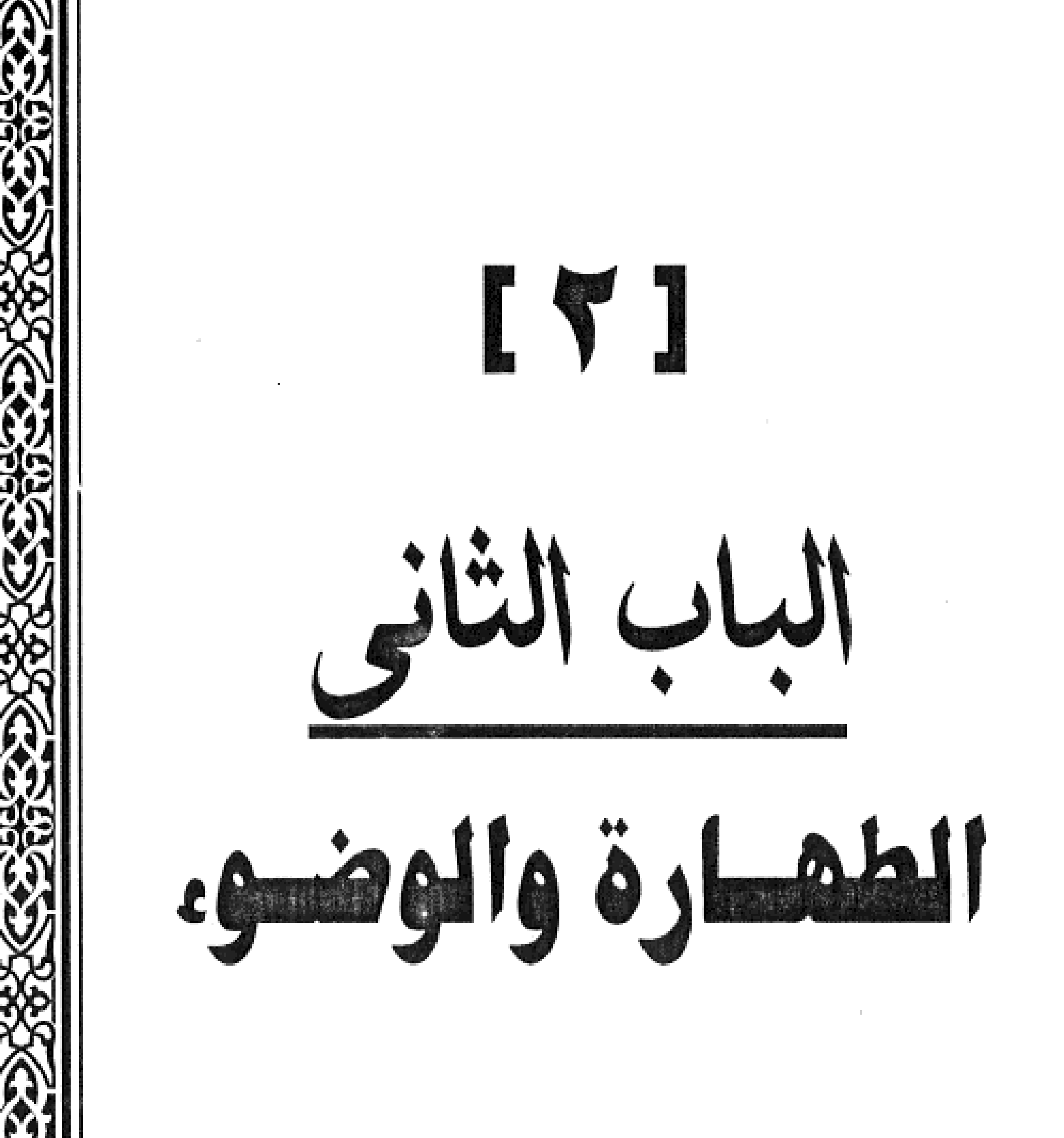
(٢) هو عمروبن الجموح بن زيد بن حرام الأنصارى، السلمى، صحابى كان فى الجاهلية من سادات بنى سلمة، وأكابرهم وأشرافهم. كان آخر الأنصار إسلامًا. وهو سيد قومه الأبيض الجعد. استشهد فى وقعة أحد سنة ثلاث للهجرة.

انظر الأعلام (٥/ ٧٥) وصفوة الصفوة (١/ ٢٦٥) والإصابة (ت ٥٧٩٩).

فيقول له: يا رسول الله، إن أبنائى يمنعوننى أن أخوض المعركة، فيقول له رسول الله -ﷺ-: «**إن الله قد عذرك**» أى لأنه ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج فيقول له: «والله يا رسول، إنى أحب أن أطأ بعرجتى هذه الجنة» فيبتسم رسول الله -ﷺ- ويطلب من أبنائه أن يسمحوا له، فهذا رجل معذور بحكم الإسلام والشرع، ومع ذلك استطاب الصفقة، فأحب أن ينتهز هذه الصفقة ليأخذها.

يا لها من صفقة رابحة..!! إنه سيموت حارب أم لم يحارب، فالموت لن يترك أحدًا، فلماذا لا يموت بثمن غالى لله ولماذا لا يموت بصفقة رابحة، تجعله هو ميتًا فى نظر الناس، لكنه حى حتى تقوم الساعة، حى يرزق!

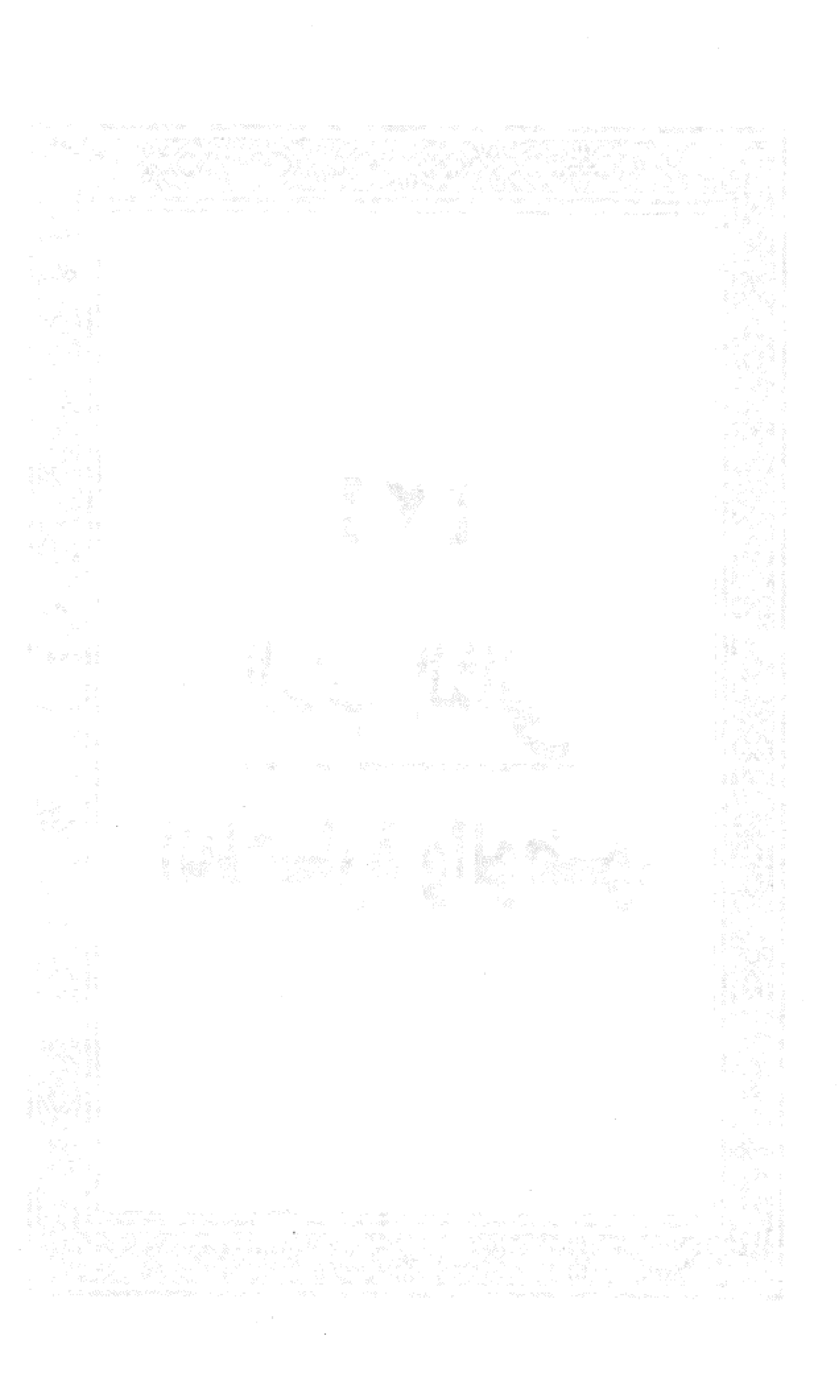
فأى عقلاء هؤلاء؟ هم الذين يوازنون فى الصفقات، ويستهينون بهذه الحياة وزخارفها، حتى يعيش المؤمن فى جو عقائدى، وحين يتأكد أن الذى عقد الصفقة معه هو ربه الذى يصدق وعده، يجب عليه أن يتهافت على هذا الأمر، ويجب عليه أن لا يدخر وسعه، وأن يعتقد أنه سيموت، شهد معركة أم لم يشهد.



[٢]

الباب الثانى

الطهارة والوضوء


[٧]

[١٥٨]

الوضوء مدخل العبادة الأولى

الوضوء هو مدخل العبادة الأولى وهى الصلاة.. حين أراد الله أن يهيئنا نفسيًا للصلاة أمر بالوضوء فماذا قال؟ قال: ﴿ **إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ** ﴾[١].. يعنى الأيدى داخلة فى الأمر بالغسل.. أى أن الأمر ينصب على غسل الوجوه، والأيدى إلى المرافق.. المغسول فى الأول هو الوجه، والمغسول فى الثانى الأيدى.. الوجه لم ترد فيه غاية.. اغسلوا وجوهكم.. والأيدى جاءت فيها غاية «إلى المرافق» كأن الله يريد حكمًا محددًا.. لكن الوجه عندما لم يوجد فى اللغة ما يختلف عليه فيه.. لأن الوجه معروف بالاتفاق، إذن فليس فيه خلاف.. ولكن الأيدى فيها خلاف.. والله يريد ألا يدخل الخلاف فى هذه.. فقال: أيديكم إلى المرافق، لو لم يجىء بالغاية إلى المرافق هنا لجاء من يقول: إن الأيدى تطلق على الكف أو الكوع أو إلى الكتف، وكنا نقول: إنه احتمال وارد ولكن الله لا يريد احتمالاً ويريده إلى المرافق.. إذن حين أراد أن يحدد لم يعجزه الأسلوب الذى يحدد به.. وبعد ذلك جاء (امسحوا برؤوسكم). فلماذا لم يقل امسحوا رءوسكم، كما قال: اغسلوا وجوهكم، ولماذا لم يحدد مقدار ما يمسح من الرأس.. إذن الإطلاق هنا يدل على أن رأيًا يحتمله النص مقبول عند الله. الباء هنا للاستعانة فقط.

[١٥٩]

إثم مس المصحف لمن ليس طاهرًا

س: ما إثم مس المصحف لغير الطاهر؟

(جـ): القرآن الكريم كتاب الله المقدس، يجب تعظيمه واحترامه، ومن تعظيمه وإجلاله ألا يمسه إلا طاهر، ويكاد يجمع الفقهاء على عدم جواز مسه لمن كان محدثًا، وأجاز بعض الفقهاء مسه لضرورة التعلم والتعليم.

وعلى هذا فيحرم مس القرآن من الجنب، والمحدث والحائض، والنفساء لعدم طهارتهم.

---

(١) سورة المائدة: ٦ .

وقد استدل ابن تيمية على هذا الحكم الشرعى من وجه لطيف فقال: إن الآية الكريمة، ﴿لا يَمَسُّهُ إلاَّ الْمُطَهَّرُونَ﴾(١) تدل على الحكم من باب الإشارة، فإذا كان الله تبارك وتعالى يخبر أن الصحف المطهرة فى السماء لا يمسها إلا المطهرون، فالصحف التى بأيدينا كذلك ينبغى ألا يمسها إلا طاهر.

وأن الحق الذى ينبغى أن يعول عليه، وهو ما اتفق عليه الفقهاء من حرمة مس المصحف الشريف بدون طهارة.

ومن مسه بدون طهارة أثم وارتكب جرمًا كبيرًا فى حق كتاب الله تبارك وتعالى، وينبغى عليه أن يستغفر الله عز وجل من فعله، وأن يتطهر احترامًا لقدسية كتاب الله تعالى، وحتى يرضى الله عنه، ويتقبل منا ومنه صالح الأعمال.

[١٦٦٠]

إصابة الثوب بدم الحيضة

س: سألته -ﷺ-: امرأة فقالت: سألها يصيب ثوبها من دم الحيضة، فكيف تصنع به؟

(جـ): فقال عليه الصلاة والسلام: «**تحته، ثم تقرصه بالماء، ثم تنضحه ثم تصلى فيه**»(٢) (وتحته: أى تحكه)، ثم تقرصه (أى تدلكه بأطراف الأصابع والأظفار)، مع صب الماء عليه حتى يذهب أثره، ثم تنضحه: (أى تغسله).

[١٦٦١]

المسح على الشعر

س: هل المسح على بعض الرأس فى الوضوء هو المسح على أى جزء من الشعر حتى ولو فى مؤخرة الرأس وليس مقدمتها..؟

---

(١) سورة الواقعة: ٧٩ .

(٢) هو أبى بن عمارة الصحابى الجليل، مدنى سكن مصر المحروسة - ذكر ابن حجر أن فى إسناد حديثه اضطراب.

راجع تقريب التهذيب ٢٨٢ .

(جـ): بعض المذاهب تجيز المسح على جزء من الرأس، ولا يشترط هنا مقدمة الرأس أو مؤخرته، والله تعالى أعلم.

[١٦٢]

المسح على الخفين

س: سئل -ﷺ- عن المسح على الخفين؟

(جـ): فقال: «**للمسافر ثلاثة أيام، وللمقيم يوم وليلة**».

وسأله أبى بن عمارة[١] فقال: يا رسول الله -ﷺ-، أأمسح على الخفين؟

فقال: «**نعم**». قال: يومًا؟ قال: «**يومين**». قال: وثلاثة أيام؟. قال: «**نعم وما شئت**»[٢].

فطائفة من أهل العلم أخذت بظاهره وجوزوا المسح بلا توقيت وطائفة قالت: هذا مطلق، وأحاديث التوقيت مقيدة[٣]، والمقيد يقضى.

[١٦٣]

المذى

س: سئل -ﷺ- عن المذى؟

(جـ): فقال: «**يجزى منه الوضوء**»[٤].

س: فقال السائل كيف بما أصاب ثوبى منه؟

(جـ): قال: «**يكفيك أن تأخذ كفًا من ماء؛ فتنضح به ثوبك حيث ترى أنه أصاب منه**»[٥].

---

(١) سنن أبى داود (١/ ١٠٩/ ١٥٨) وابن ماجة رقم (٥٥).

(٢) مذهب أبى حنيفة أن المطلق محمول على القيد، وهو رأى أكثر الأصوليين.

(٣) انظر فتاوى رسول الله -ﷺ- بإعداد وتحقيق السيد الجميلى.

(٤) الترمذى، عن سهل بن حنيف رقم (١١٥)، وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح.

(٥) سنن ابن ماجة (٦٦٤).

[١٦٦٤]

الاستحمام (الغسل) من الجنابة

الدكتور السيد الجميلى: فيما ورد من آيات الله البينات لم ينجل أمامنا حكم أو فتوى دينية شرعية للاستحمام من الجنابة، ولكن هناك حكمة طبية بالغة الأهمية، وهى أن النظافة بعد الممارسة الجنسية ضرورية لمنع الأمراض الجلدية أو المعدية بالالتحام الجسدى والتلاصق. أفاد فضيلة الشيخ الشعراوى بالنسبة للحكمة الشرعية بالآتى:

الحكمة فى كل أمرى تكليفى من الله لمن آمن به، علته الأمر، ولا تسأل عن حكمة لكل شىء إلا إذا كان الآمر مساويًا للمأمور.

والإيمان كما أفاد الإمام الجليل:

هو علة كل حكم صادر عن الله سبحانه وتعالى.

وهذا قطعًا لا ينفى أن يكون له حكمة، ولكنها حكمة قد تكون أسمى من المكلف، ولو كان سبب الاستحمام من الجنابة طبيًا، لحرم الله على المرضى لمس المصحف. فالشيخ الشعراوى لا يرى سببًا طبيًا قويًا لها فى نظر فضيلته.

وأضاف فضيلة الإمام الجليل:

أن الحكمة فى الأمر التكليفى قد تبدو بعد الفعل، لكنها لا تسبقه؛ لأن الحكمة إن سبقت الفعل فإن الاستجابة للحكمة، والإيمان استجابة للآمر، وظهور حكمة لأمر صدر التكليف فيه من الله بعد فترة من الزمن تأكيد لأن كل ما لا أعلم حكمته له حكمة، فلحم الخنزير مثلاً أكنا نؤجله إلى أن تأتى التحليلات الطبية فتفيد أنه مضر لبدن الإنسان وصحته؟ وهنا كنا نقول: آمنا بتحريم لحم الخنزير. وشرب الخمر ينطبق عليه نفس الأمر.

فوجود علة لشىء الآن شهادة بأن كل عمل أو حكم له علة، فلنقس ما لم نعلمه على ما علمناه، وإن لم نصحب كل حكم بهذا فلا قيمة للإيمان.

والذين أباحوا الطلاق الآن، وهم غير مؤمنين بمن أباحه قننوه؛ لأنهم رأوا ضرورته لحل مشاكلهم فيعتبر تقنينه لا إيمانًا بمن شرع أولاً، ولكن للعلة التى أدت إليها الضرورة أخيرًا.

والجنب لا يقرأ القرآن، ولا يمس المصحف، ولا تجوز صلاته وهو جنبًا.

وسأل رجل النبى -ﷺ- فقال: إنى اغتسلت من الجنابة، وصليت الصبح، ثم أصبحت؛ فرأيت قدر موضع الظفر لم يصبه الماء، فقال: **«لو كنت مسحت عليه بيدك أجزاك»**(١). ذكره ابن ماجة.

قال ثوبان:

استفتوا النبى -ﷺ- عن الغسل من الجنابة، فقال: **«أما الرجل فلينشر رأسه فليغسله حتى يبلغ أصول الشعر، وأما المرأة فلا عليها أن لا تنفض، لتغرف على رأسها ثلاث غرفات (حثيات) تكفيها»**(٢). ذكره أبو داود.

وقد سئل -ﷺ- عن الرجل يجد البلل، ولا يذكر احتلامًا، فقال: **«يغتسل»** وعن الرجل يرى أنه احتلم، ولم يجد البلل، فقال: «لا غسل عليه».

وسألت أم سلمة قالت: يا رسول الله إنى امرأة أشد ضفر رأسى، أفأنقضه لغسل الجنابة؟ فقال: **«لا. إنما يكفيك أن تحثى على رأسك ثلاث حثيات، ثم تفيضين عليك الماء»**(٣)

[١٦٥]

الوضوء مع الغسل

س: هل يغنى الغسل عن الوضوء، أو لا؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

هذا يتوقف على سبب الغسل وكيفيته. فإن كان الاستحمام للنظافة، أى لمجرد غسل البدن والرأس، فإنه لا يغنى عن الوضوء، وأما إن كان الاستحمام لإزالة الحدث الأكبر، فإن الوضوء فى مثل هذه الحالة يدخل فى الاستحمام.

ويجب أن نفهم أن هناك أشياء لا تطلب فى الوضوء، ويبطل الغسل إن لم

---

(١) سنن أبى داود (١/ ١٧٥/ ٢٥٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٩)، وعند أبى داود: «واغمرى قرونك عند كل حفنة» السنن (١/ ٣).

(٣) سنن الدارقطنى، عن أم سلمة (١/ ٢٢٣).

تفعل، فأنت لا يطلب منك فى الوضوء فرضًا أن تتمضمضى أو تستنشقى، لكن فى غسل الجنابة فرض عليك ذلك. وهنا نجد أن فى الغسل شيئًا غير موجود فى الوضوء، فأنت إذا توضأت بدون أن تتمضمضى أو تستنشقى فإن وضوءك سليم، أما فى الغسل ولم تتوضئى ولم تتمضمضى ولم تستنشقى فغسلك باطل.

فالوضوء الشرعى هو غسل اليدين والوجه ومسح الرأس وغسل الرجلين، وما زاد على ذلك ليس فرضًا، ولكنه سنن.

أما فى الغسل فالمضمضة والاستنشاق فرض فيه، لأنهما من ظاهر الجسد، ولا تفطرين إذا فعلتهما فى صيامك، لأنك لم تدخلى شيئًا فى جوفك، فداخل الفم ليس من داخل الجوف.

[١٦٦]

دوام الشك فى الوضوء

تسأل السيدة س.م فتقول:

إننى دائمًا متشككة فى الوضوء، وأحيانًا أكون متأكدة من أن هذا وسواس وشك، فأصلى، ولكن ضميرى يظل يؤرقنى؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

أصل الحكم به أن نطرح الشك، ونستصحب الأصل. بمعنى أنى فى الأصل كنت متوضئًا، ثم شككت أأحدثت أم لا. إذن أكون متوضئًا.

وإن كنت محدثًا ثم شككت هل توضأت أم لا، فأكون محدثًا.

[١٦٧]

البول فى المثانة

البول يختزن فى جسم الإنسان فى (المثانة البولية) ويمنعه من التدفق صمام خاص يعمل تحت تأثير الجهاز العصبى السمبتاوى والجارسمبتاوى.

ومن هنا، فإن الجهاز الهضمى هو الذى يعطى الأوامر مباشرة إلى صمام المثانة البولية بالانفتاح، وكذلك بالانغلاق، وفى الظروف العادية، فإنه لا يسمح للبول بالمرور، إلا أنه فى بعض أمراض الجهاز العصبى، أو النخاع الشوكى أو

الفقرات العجزية أو القطنيـة. . قد تصاب هذه الأعصاب بالتلف، من ثم لا يمكن التحكم فى البول.

ويأتينا كثيرون من مرضى البروستاتا الذين يعانون من التهابات حادة، وتحت حادة، ومزمنة، أو حـتى مجرد احتقان فى البـروستاتا، يشكون من نزول قطرات من البـول لا إراديًا، وهذا يبطل ويفـسد وضـوءهم، وكان هذا داعـيًا لأن أسـأل فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى:

إذا كان البـول وهو فى المثانة لا ينقض ولا يبطل الوضـوء والغسل الظاهرى للجسم، فلماذا تفـسد نقطة البول الوضوء إذا مـا خرجت من فتحة القـضيب بعد الوضوء؟؟ أليست هذه مثل البـول الموجود فى المثانة بداخلها، والذى لا يؤثر على طهارة البدن؟؟.

أجاب فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى:

طالما أن البول فـى المثانة داخل الجسم، فـإن له فائدة وهى وجـوده لضرورة تقتضى ذلك، وأنه طالما خرج من حدود الباطن للجزء الظاهرى من البدن، أصبح فضلة، وقد استغنى الجسم عنها.

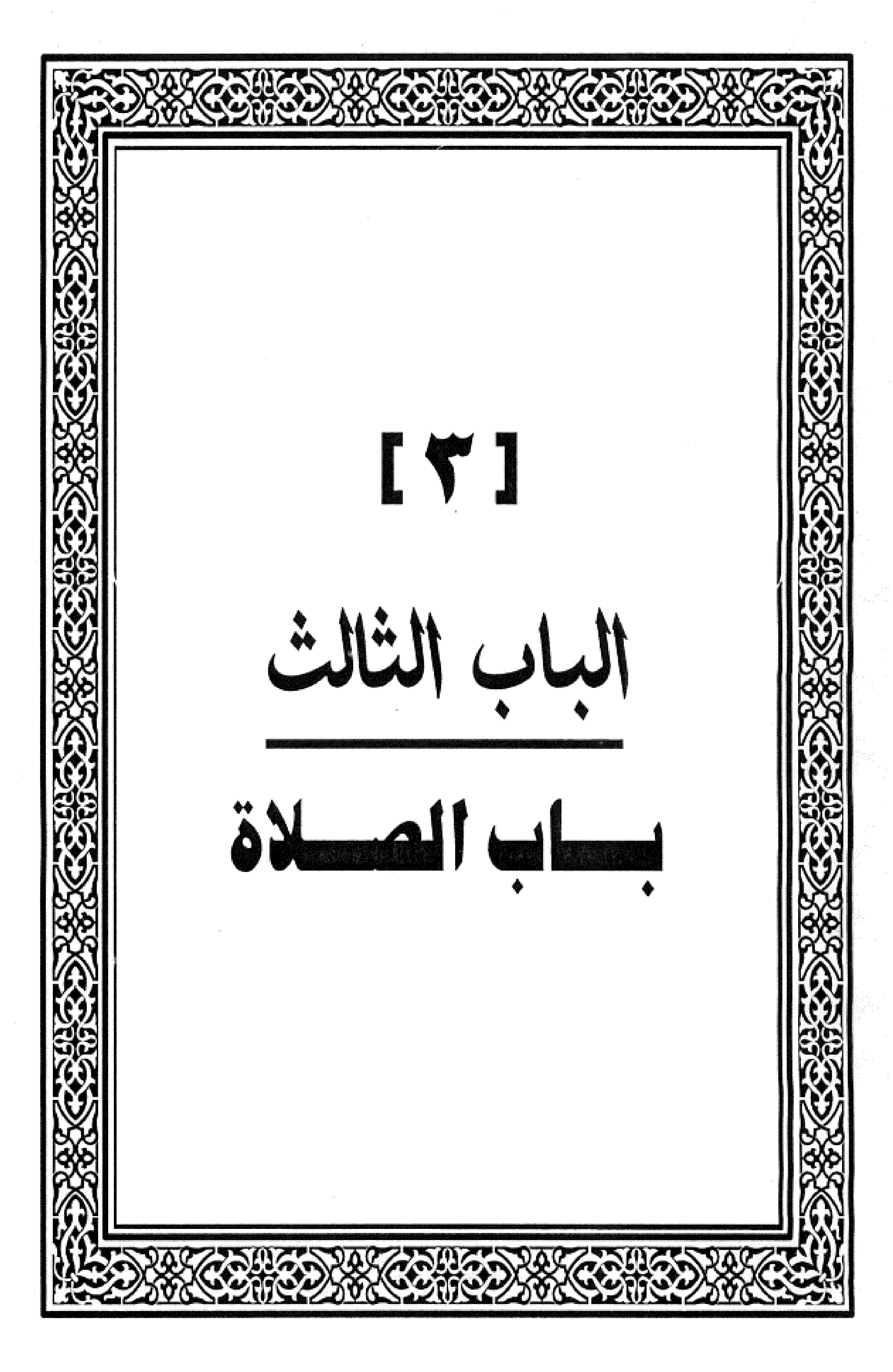
ولذلك فإن الطهارة ينـقضها كون هذا البـول خرج من الداخل؛ لأنه أصبح خبثًا، وفضلات طردها البدن من داخله، ومثله مثل البراز تمامًا.

[١٦٨]

كـم تجلـس النفساء؟

س: كم تجلس النفساء؟

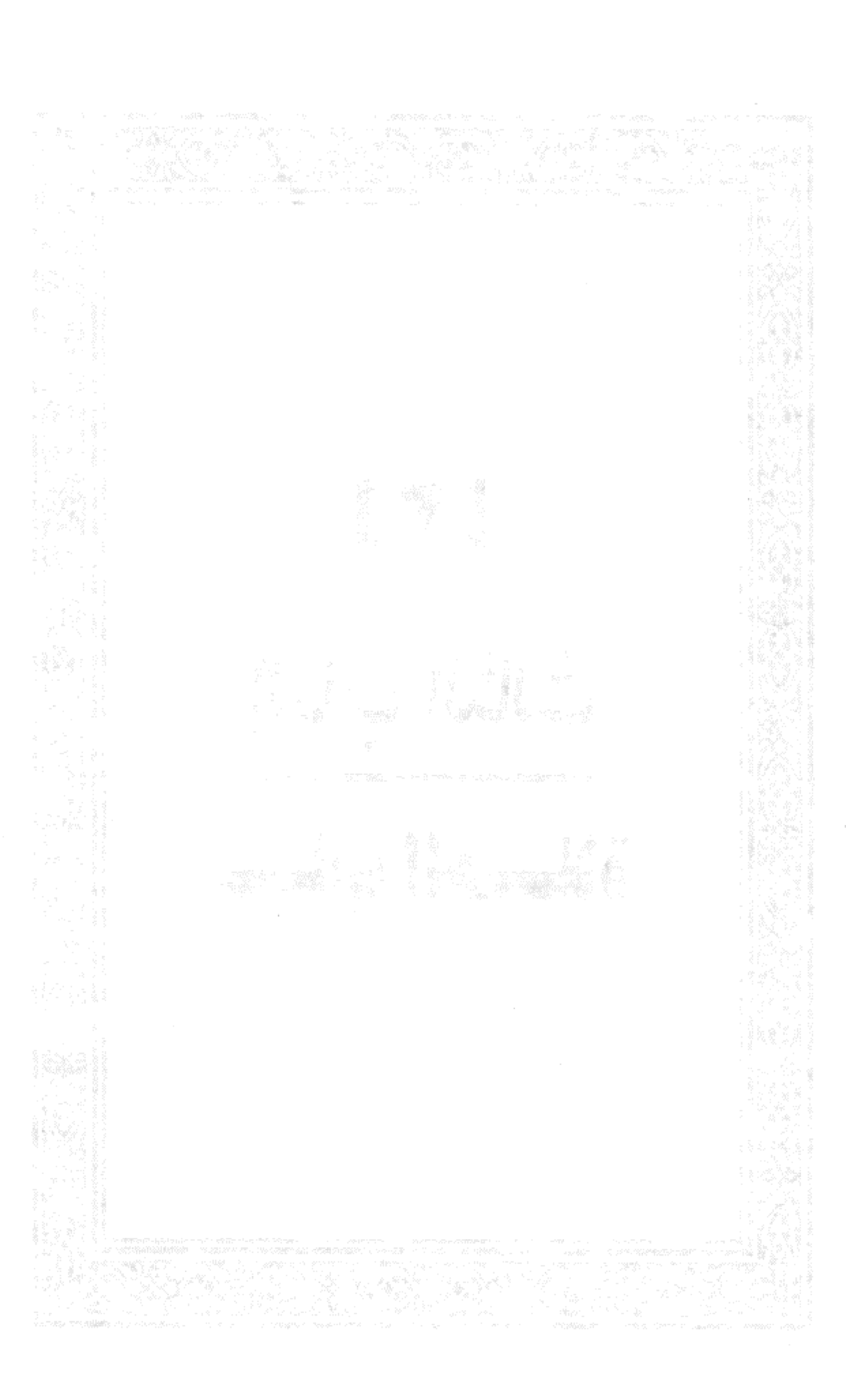
(جـ): قال -ﷺ- فيـما ذكـره الدارقطنى[1]: «**تجلس أربعين يومًا إلا أن ترى الطهر قبل ذلك**».



[٣]

الباب الثالث

بـــاب الصـــلاة



[٧]

[١٦٩]

الأذان وما يدور حوله

س: جرت العادة فى معظم المساجد أن يؤذن المؤذن، وعقب الانتهاء من الأذان يقول: الصلاة والسلام عليك يا سيدى يا رسول الله جهرًا فهل الصلاة على الرسول -ﷺ- جهرًا عقب الأذان هى من صلب الأذان، أم أن هذه زيادة عما ورد نرجو الإفادة؟

(جـ): هذا حب لرسول الله -ﷺ-، ولكن أنت تحبه بمشقة، هو قال: **«إذا سمعتم المؤذن وانتهى من أذانه فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على»**(١).

(وللمؤذن وللذى يسمع) نصلى عليه فى سرنا. لكن المؤذن ليس له أن يوجد شيئًا بصوت الأذان. وبلهجة الأذان الأصلية، حتى لا يفهم الناس أن ذلك من صلب الأذان.

[١٧٠]

أذان النساء لا يجوز؟

س: هل يصح للمرأة أن تؤذن إن لم يوجد غيرها لأداء الأذان؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

من شرط المؤذن أن يكون رجلاً.. لأنه منصب من مناصب الرجال كالإمامة والقضاء. قال رسول الله -ﷺ-: **«يؤمكم أقرؤكم، ويؤذن لكم خياركم»**(٢).

وأذان المرأة غير جائز، لأنها إن رفعت صوتها ارتكبت معصية. وإن خفضته، فقد تركت سنة الجهر. وأذان النساء لم يكن فى السلف.. ولو أذنت أجزأ أذانها، وارتكبت معصية. وإن أذنت للنساء جاز، لكنه غير مستحب.

---

(١) أخرجه البخارى (١/ ٢٥٢/ ٦١١)، ومسلم (٢٨٨)، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (١/ ٤٨/ ٦٩١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد عن أنس فى المسند (٥/ ٧١) وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٨٩/ ٩٩٩١).

[١٧١]

التبليـــغ خلـــف الإمــام

س: ما حكم التبليغ وراء الإمام، وحكم صلاة المبلغ؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

على الإمام أن يجهر بالتكبير والتسميع والسلام والإعلام من خلفه.. فمن كان صوته يصل إلى من فى المسجد، فالتبليغ مكروه.. وأما إن كان صوت الإمام لا يصل إلى المصلين، فيستحب التبليغ على ألا يقصد المبلغ بتكبيرة الإحرام الإبلاغ فقط، وإلا فسدت صلاته..

والحنفية قالوا: إن رجع فى التبليغ وتغنى، وقصد إعجاب الناس به، فسدت صلاته على الراجح من أقوالهم.

[١٧٢]

السنن المؤكدة والصلاة الفائتة

س: ما هى السنن المؤكدة، وما حكم الصلاة الفائتة، وأوقات الكراهة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: سنن الصلاة المؤكدة:

الرواتب المؤكدة التى تصلى مع الفرائض الخمس: هى ركعتان قبل الصبح، وركعتان قبل الظهر، وركعتان بعده، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، وزاد بعض الفقهاء بناء على بعض الروايات ركعتين أيضًا قبل الظهر، فيكون له أربع ركعات قبله وركعتان بعده.

وروى مسلم **«ما من عبد مسلم يصلى لله تعالى فى كل يوم اثنتى عشرة ركعة تطوعًا غير فريضة، إلا بنى الله تعالى له بيتًا فى الجنة»**(١).

والعصر له سنة قبلية، وليست مؤكدة، (أى لم يحافظ النبى عليها) وهى أربع ركعات.

---

(١) مسلم (٥٠٣).

كما جاء فى حديث أحمد وأبى داود والترمذى وحسنه. وابن خزيمة وابن حيان فى صحيحهما «**رحم الله امرأ صلى قبل العصر أربعًا**»(١).

ثانيًا: الصلاة الفائتة:

الصلاة المفروضة التى فاتت يجب قضاؤها على الفور، سواء فاتت بعذر غير مسقط لها، أو فاتت بغير عذر أصلاً، ولا يجوز تأخير القضاء إلا لعذر مثل السعى لتحصيل الرزق ولا يرتفع الإثم بمجرد القضاء بل لابد من التوبة كما لا ترتفع الصلاة بالتوبة، بل لابد من القضاء لأن من شروط التوبة الإقلاع عن الذنب.

والصلاة الفائتة تقضى على الصفة التى فاتت عليها، وينبغى مراعاة الترتيب فى قضائها، فيقضى الصبح قبل الظهر والظهر قبل العصر، وهكذا، وينبغى مراعاة الترتيب بين الفوائت والحاضرة، بمعنى أنه لا يجوز أداء الوقتية قبل قضاء الفائتة وينبغى أن يكون معلومًا أن من عليه فوائت لا يدرى عددها يجب عليه أن يقضى حتى يتيقن براءة ذمته أو يغلب على ظنه براءة ذمته، ويكفى تعيين المنوى كالظهر مثلاً، ويجوز قضاؤها فى أى وقت، ويجوز لصاحب السؤال أنه عندما يصلى الظهر مثلاً أن يصلى قبله ظهراً مما عليه، وهكذا حتى يغلب على ظنه أنه أدى ما عليه من الفوائت.

وليحذر من العود إلى مثل هذا، لأن الصلاة عماد الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين والله يوفقنا لحسن العمل.

ثالثًا: أوقات تكره فيها الصلاة:

الأوقات التى تكره فيها الصلاة بلا سبب خمسة مواضع: أحدها بعد صلاة الصبح أداء حتى مطلع الشمس وترتفع. وثانيها: عند مقارنة طلوعها سواء صلى الصبح أم لا حتى ترتفع الشمس بعد ذلك قدر رمح. وثالثها: عند الاستواء حتى نزول الشمس، لما روى مسلم، عن عقبة بن عامر: «ثلاث ساعات كان رسول الله -ﷺ- ينهانا أن نصلى فيهن، أو نقبر فيهن موتانا: حين تطلع الشمس بارغة، حتى ترتفع، وحين يقوم قائم الظهيرة حتى تميل الشمس، وحين تضيف

---

(١) أبو داود (٣/٥٣/١٢٧١) والترمذى (٤٣٠) وهو حسن الإسناد وأخرجه أحمد فى المسند (٢/١١٧).

للغروب»[١] وجمهور العلماء على أن الصلاة المنهى عنها فى هذه الأوقات هى النافلة، وليست الفريضة.

وسبب الكراهة أنه -ﷺ- قال: «**إن الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان، فإذا ارتفعت فارقها، فإذا استوت قارنها فإذا زالت فارقها، فإذا دنت للغروب قارنها، فإذا غربت فارقها**»[٢] رواه الشافعى بسنده.

ورابعها: بعد صلاة العصر وأداء حتى تغرب الشمس بكمالها. وخامسها: عند مقاربة الغروب، حتى يتكامل غروبها للنهى عنه فى خبر مسلم.

وهذا كله إذا صلى فى غير حرم مكة فقط.

أما فى حرم مكة فيصلى فى أى وقت ولا كراهة لخبر: «يا بنى عبد مناف، لا تمنعوا أحداً طاف بهذا البيت وصلى فى أية ساعة شاء من ليل أو نهار»[٣] رواه الترمذى وغيره وقال حسن صحيح، ولأن فيه زيادة فضل الصلاة.

[١٧٣]

من ترك الصلاة فترة من العمر

تسأل السيدة أ. أ. س قائلة:

إن أختها توفيت فى العشرين من عمرها، ولم تكن تصلى، إلا أنها صلت بانتظام قبل وفاتها بستة أشهر، ولكنها مرضت قبل الوفاة، وتسبب مرضها فى عدم انتظامها، لإصابتها بالغيبوبة، فما رأى الدين فى ذلك؟

(جـ): يجيب الشيخ الشعراوى قائلاً:

ما دامت أختك قد تابت قبل وفاتها، وقطعت تركها للصلاة، واستمرت عليها بالفعل، ثم طرأ عليها المرض، ففترة إغمائها لا تجب عليها الصلاة فيها. وفى غير فترة الإغماء تصلى قائمة، فإن لم تستطع فجالسة، أو مضطجعة، حتى ولو برموشها، ما دامت فى وعيها. أما فى حالة الغيبوبة فتسقط الصلاة عنها.

---

(١) تضيف للغروب: تميل وتجنح للغروب.

(٢) المسند (٣/ ٣٩٣)، (٣/ ٣٤٨).

(٣) الترمذى (٨٦٨).

وما دامت كانت تصلى فى غير وقت الغيبوبة، فنأمل إن شاء الله أن يغفر الله لها، وأن يتقبل منها، فقد قال الله تعالى: ﴿إلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾(١).

[١٧٤]

الصلاة وحكم من فاتته

س: سئل الإمام الجليل عن حكم من فاتته الصلاة حقبة فى حياته فى عمر الشباب مثلاً، فما العمل؟ هل يقضى ما فاته؟ وكيف يكون ذلك؟ أم كيف يصلى السنن والنوافل بعد ذلك، وهو عليه دين قديم؟ أليس هناك ما يوجب المسامحة عما سلف؟

(جـ): قال الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن من فاتته الصلاة، لا يصلى السنة، ولكن مع كل فرض يصليه يصلى معه فرضًا مما عليه، ولابد من قضاء ما فاته؛ لأنه لا عذر لترك الصلاة»(٢).

۞۞۞

سبق أن تكلم الإمام الجليل عن حكمة الصلاة، وترك الصلاة، وكيف أن تارك الصلاة نفرين من الناس:

رجل لا يرفض التكليف، ويذعن للأمر، لكنه يأخذه الكسل، ويغلب عليه التبلد؛ فلا يصلى فنقول لهذا المتكاسل: لابد أن تصلى.

وآخر يرفض التكليف من أساسه فهو كافر(٣).

---

(١) سورة الفرقان: ٧٠.
انظر الطبرى (١٩/ ٣٢) والكشاف (٣/ ١٠١).

(٢) هناك نفرٌ من العلماء يرون عكس ما أفتانا به الشيخ الشعراوى، حيث رأوا أن خروج الصلاة عن وقتها يجعلها بعد فوات الأوان معرضة للرد وعدم القبول... فلا جدوى من إعادتها، ولكن الأنسب لجبرها هو الإكثار من السنن والنوافل لرأب هذا الثأى... وهذا ما عليه أغلب علماء السنة... وكلا الرأيين سائغ.. فمن أخذ بهذا، فبها ونعمت، ومن أخذ بذاك كان صحيحًا على المذهب الآخر.

(٣) أى أن من تركها جحودًا كان كافرًا؛ لأنه رد الأمر على الآمر.

[١٧٥]

الصلاة فى حضرة الخالق

الدكتور السيد الجميلى: الصلاة عماد الدين لما فيها من المنح العظيمة، والهبات الجليلة، وقد ورد تكليف الصلاة بصريح النص فى قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة**﴾. وفى الصلاة قرة العين، وشفاء الروح، واسترواح النفس؛ لأنها مثول العبد بين يدى خالقه جل شأنه، وهذه الحضرة لها جلالها ولها قداستها، وفيها رياضة بدنية، وترويض للمفاصل المختلفة فى الجسم، وتعتبر لذلك علاجًا فيزيائيًا طبيعيًا لمرضى الروماتيزم المفصلى، والتهابات المفاصل المزمنة، وتصلب الفقرات الظهرية، وبعض أمراض العظام، وبعض حالات الشلل التى تحتاج العلاج الفيزيائى.

سأل النبى -ﷺ- عبد الله بن سعد: أيهما أفضل الصلاة فى بيتى أم فى المسجد؟ فقال -ﷺ-: «**ألا ترى إلى بيتى ما أقربه من المسجد؟ فلأن أصلى فى بيتى أحب إلى من أن أصلى فى المسجد، إلا أن تكون صلاة مكتوبة**»(١).

ذكره ابن ماجة.

وسئل -ﷺ-: متى يصلى الصبى؟، فقال: «**إذا عرف يمينه من شماله فمروه بالصلاة**»(٢).

وإذا تطلبت الظروف من شخص ما ألا يصلى فى المسجد، ويصلى فى بيته فلا يمنع إذ إن المذكور فى حتمية الصلاة فى المسجد لم يرد إلا فى يوم الجمعة لقوله تعالى:

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ**﴾(٣).

صدق الله العظيم

---

(١) فصلاة الفريضة فى المسجد، ولا شىء فى صلاة النوافل فى البيت. انظر ابن ماجة (١٣٧٨).

(٢) انظر سنن أبى داود (١/ ٣٣٥/ ٤٩٧).

(٣) سورة الجمعة: ٩ .

راجع تفسير الآية فى القرطبى (١٨/ ٩٦) والطبرى (٢٨/ ٦٨) والدر المنثور للسيوطى (٦/ ٢١٩)، والبحر المحيط لأبى حيان (٨/ ٢٦٩)، والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١١٩).

قال -ﷺ-: **«حبب إلى من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجعلت قرة عينى فى الصلاة»**[١]. والشيخ الشعراوى يرى فى الصلاة اجتماع كل أركان الإسلام ودعائمه الخمس، ففيها يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وهو يزكى فى الصلاة؛ لأنه ينفق جزءًا من وقته، وهذا الجزء من الوقت عندما يستغله الإنسان فى حركة الحياة؛ فإنه يكسب به المال، فالصلاة إذن قد توفر فيها عنصر العطاء وهو الزكاة.

ويقول الشيخ الشعراوى: إن فى الصلاة زكاة بأصل المال. كما يتجلى فى الصلاة ركن الصيام، لأن الصيام امتناع عن شهوة البطن، وشهوة الفرج فى نهار رمضان، فالصلاة تمنعك عن فعل ما تفعله وأنت صائم، فلا حركة فيها ولا كلام وكذلك فيها الحج، لأن فيها وجهتك بيت الله الحرام (الكعبة) ولابد أن تكون حاضرة ماثلة أمامك.

لهذا كان للصلاة كل هذه الأهمية، من ثم فلا تسقط أبدًا، لأن كل أركان الإسلام فيها.

وقد سئل -ﷺ- عن يوم الجمعة، وما فيه من الخير قال: **«خمس خلال: فيه خلق آدم، وفيه هبط آدم إلى الأرض، وفيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيها شيئًا إلا أعطاه إياه، ما لم يسأله إثمًا أو قطيعة رحم، وفيه تقوم الساعة، فما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا حجر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة»**[٢]. ذكره أحمد والشافعى.

[١٧٦]

عن صلاتهم متكاسلون

س: لماذا يتكاسل بعض الناس عن أداء الصلاة، مع أن النبى -ﷺ- قد قال: «الصلاة عماد الدين»، وقال أيضًا: «لا نصيب فى الإسلام لتارك الصلاة».

---

(١) أخرجه السخاوى فى المقاصد الحسنة: بغير لفظ (ثلاث) وقال: زيادة «ثلاث» باطل، لا أصل له. راجع أيضًا صحيح الجامع الصغير (٣/ ٨٧/ ٣١١٩).

(٢) وهذه هى الخيرات التى انطوى عليها يوم الجمعة.

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

هل يتكاسل بعض الناس عن الصلاة؛ لأن الصلاة تستغرق وقتًا قد يعطل حركة الإنسان فى الحياة؟

وإذا كان الأمر كذلك.. فنقول: من أى شيء تستمد قيمة الوقت؟

إن الحق تبارك وتعالى إذا اطمأن إلى أنك ضحيت بالوقت الذى تخسر فيه حركة تؤدى إلى كسب المال.. فأنت أيضًا إذا ما تحركت، وجئت بالمال يديم الله ابتلاء عبوديتك باعتبار أن المال الذى كسبته من الحركة يجب أن تخصص بعضه لإخوانك الضعاف؛ فيشرع الله الزكاة.

[١٧٧]

هل تارك الصلاة كافر؟

الصلاة عماد الدين، وهى ركن أساسى من أركانه، وقد ورد تكليف الصلاة فى الكتاب بصريح اللفظ فى قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾[١]. ولكن البعض يتقاعسون، ويتكاسلون فى أداء هذه الفريضة الواجبة، والسؤال الآن: هل تارك الصلاة كافر؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

الصلاة هى الركن الأساسى الملازم للمؤمن، لا يرفع عنه فى أى ظرف من ظروف حياته، إن لم يستطع قائمًا، صلى قاعدًا، وإن لم يستطع قاعدًا، صلى نائمًا، وإن لم يستطعها نائمًا صلى بالإيماء، أو بالإشارة، وإن لم يستطع أن يومئ أو يشير، وله عقل فعليه أن يخطر أركان الصلاة على باله.

إذن الصلاة أمر لازم. لا يمكن للمؤمن أن ينفك عنها أبدًا، لذلك كانت الصلاة من أركان الإسلام، وتارك الصلاة أحد نفرين من الناس:

الأول: يرد الأمر على الله، وينكر الصلاة كأمر تكليفى، وهذا هو الكافر.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣ و٨٣ و١١٠، وسورة النساء: ٧٧، وسورة النور: ٥٦، وسورة المزمل: ٢٠.

الثانى: يتهاون فى الصلاة كسلاً، لكنه يؤمن بأنها ركن أساسى، وتكليف من الله إليه، ومثل هذا نأمره بأن يصلى، ويعيد ما فاته[١].

[١٧٨]

الصلاة سرًا وجهرًا لماذا؟

س: نريد أن نعرف السر فى أن صلاة الظهر والعصر، تكون القراءة سرًا، بينما فى صلاة الصبح والمغرب والعشاء تكون القراءة جهرًا؟

(جـ): يجيب فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى قائلاً:

إن السر فى ذلك أن المسلمين كانوا فى بدء الإسلام ضعافًا، فكانوا يجهرون بالصلاة فى الأوقات التى ينام فيها الأعداء فى بيوتهم صباحًا، ويجهرون فى صلاة المغرب والعشاء، لأن الكفار يكونون لاهين فى غفلة مساء، ويسرون فى صلاتى الظهر والعصر ليقظة الأعداء، وانتشارهم نهارًا فى كل مكان، فلما قوى الإسلام، ولم يعد المسلمون ضعافًا، بقيت الصلاتان السريتان، والصلوات الجهرية كما هى دون تغيير (استصحابًا للأصل).

قال تعالى: ﴿ **وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً** ﴾[٢] معنى هذا أن يكون المصلى فى قراءته فى الصلاة وسطًا.

[١٧٩]

الصلاة الوسطى

سئل -ﷺ- عن الصلاة الوسطى فقال:

---

(١) هذا الذى ذهب إليه فضيلة الشيخ الشعراوى من إعادة الصلوات الفائتة -يأخذ به كثير من العلماء ويفتون بموجبه. . . بيد أن كثيرًا من العلماء أيضًا يرون هذه الإعادة لا تجدى فتيلاً؛ لأن الصلاة -عندهم- مرهونة بوقتها؛ فإذا انقضى وقتها لم يكن هناك موجب لإعادتها، وهم يَرَوْن أن ما يجبر هذا القصور والتقصير هو إكثار المكلف من السنن لعل فيها رأبًا لهذا الثأى، وجبرًا لهذا الشرخ الخطير. والله أعلم.

(٢) سورة الإسراء: ١١٠.

أى بين الجهر والإخفاء ابتغ طريقًا قصدًا وسطًا.

انظر أيضًا القرطبى والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢١/ ٧٠).

«هى صلاة العصر»[١].

وسئل أى الصلاة أفضل؟

قال -ﷺ-:

«طول القنوت»[٢]. ذكره أحمد.

س: هل من ساعة أقرب إلى الله من الأخرى؟

(جـ): قال -ﷺ-: «**نعم جوف الليل الأوسط**»[٣].

[١٨٠]

استيطان الأماكن فى المسجد والنهى عنه

س: وماذا عن استيطان الأماكن فى المسجد؟ ولماذا نهى النبى -ﷺ- عنه؟

(جـ): بعض الناس يدخل المسجد ليجلس فى مكان محدد، وهؤلاء ينسون أن النبى -ﷺ- قد نهى عن استيطان الأماكن فى المسجد، ومعنى هذا أن الإنسان يجب ألا يخصص لنفسه مكانًا محددًا فى المسجد، ويتخطى رقاب المصلين؛ ليصل إلى ذلك المكان الذى خصصه لنفسه.

[١٨١]

خير الصفوف وبُعْدُ المسجد وتحية المسجد

يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: خير الصفوف فى الصلاة:

المقصود بالخيرية هنا الأفضلية من حيث زيادة الأجر والثواب.

ذلك أن الصف الأول لا يتمكن منه إلا الحريص عليه بسرعة التبكير؛ فيمكث فيه حتى يحين الوقت، وما دام هو فى مصلاه لا يحبسه إلا الصلاة فهو

---

(١) المسند (٥/٧).

(٢) مسند الإمام أحمد (٣/٣٠٢، ٣١٤، ٣٩١، ٤١٢) و(٤/٣٨٥).

(٣) النسائى فى عمل اليوم والليلة رقم (١٠٨) والترمذى (٣٥٧٤)، وقال أبو عيسى: «هذا حديث حسن» اهـ.

فى صلاة، فضلاً عن استغفار الملائكة، ودعائها له اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، وفى هذا يقول رسول الله -ﷺ-:

«لو يعلم الناس ما فى النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما فى التهجير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما فى العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا»(١).

وعلى عكس هذا نجد الصف الأول للنساء، قريبًا من الرجال، وقد يعمد بعض من لا أخلاق لهم إلى الصفوف الأخيرة من الرجال؛ ليكون قريبًا من النساء، لم يدخل المسجد إلا لهذا الغرض، فإذا ما تمكن الشيطان من أن يكون سفيراً بين زائغ وزائغة كان الخير الذى يفضى إلى الشر. ولا خير فى خير يفضى إلى شر.

إن التى تخرج من بيتها للصلاة تحرص الحرص كله أن تؤديها دون تلكؤ أو احتكاك بما يفسدها أو يسىء إليها. ودون أن تمضى وقتًا طويلاً فى المسجد مع أخرى فى ثرثرة تذهب بهما هنا وهناك، فتجنيان من الإثم أضعاف ما تحصلان من الثواب.

ولما كانت عاطفة المرأة أشد، وحساسيتها أرهف، ومكانتها وشرفها أكثر حساسية، وجب عليها الاحتياط والحذر.

ثانيًا: حكمة تفضيل المسجد البعيد:

دليله حديث صحيح رواه الإمام مسلم فى صحيحه، عن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه-، قال: قال: رسول الله -ﷺ-: **«إن أعظم الناس فى الصلاة أجراً أبعدهم إليها ممشى»**(٢) ولذلك قال العلماء باستحباب الصلاة فى المسجد البعيد لكثرة الخطا إليه ويتبع ذلك كثرة الحسنات قال رسول الله -ﷺ-: **«ألا أدلكم على ما يمحوا الله به الخطايا ويرفع به الدرجات. إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط»**(٣).

---

(١) البخارى (١/ ٢٥٣/ ٦١٥) ومسلم (٤٣٧).
(٢) البخارى فى الصحيح ومسلم (٦٦٢).
(٣) مسلم (٢٥١).

كما قالوا باستحباب الصلاة فى المسجد الذى يؤمه جمع كثير من المصلين لقول رسول الله -ﷺ-: «**صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله تعالى**»(١).

مما تقدم يتبين أن سبب التفضيل للمسجد البعيد والكثير الجمع هو ما يعود على المصلى من حسنات.

ثالثًا: حكم تحية المسجد:

وأما ركعتا تحية المسجد فسببها ظاهر، وهو أن الإنسان إذا دخل المسجد تسن له هاتان الركعتان قبل أن يجلس إذ أن المسجد معد للصلاة فيه، فلا ينبغى إذ يدخل الإنسان المسجد ويجلس من غير أن يصلى لأنه يكون بذلك قد خرج عن الغاية التى من أجلها بنى المسجد.

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ**﴾(٢).

وبذلك لا تكره تحية المسجد فى أى وقت من أوقات النهار، ولا الليل إلا إذا دخل الإنسان المسجد، فرأى جماعة فدخل فيها، فإنه يكون قد أدى تحية المسجد إذا تحية المسجد بالصلاة، وقد صلى وقد أمر رسول الله -ﷺ- بتحية المسجد إذا دخل الإنسان فى غير وقت الصلاة.

قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا جاء أحدكم المسجد، فليصل سجدتين من قبل أن يجلس**».

[١٨٢]

لا رد الله عليك ضالتك

س: حين راح رجل يبحث عن شىء ضاع منه فى المسجد، قال له رسول الله -ﷺ-: «لا رد الله عليك ضالتك»(٣) لماذا؟

---

(١) الحديث يدل على الترغيب والحض على الجماعة لعظيم فضلها.

(٢) سورة التوبة: ١٨.

(٣) حتى لا يكون المسجد محلاً لنشدان الضوال.

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: لأن المسجد هو المكان الذى يجب ألا يخطر فى بال الزائر له سوى أن يكون مع الله سبحانه وتعالى.

وحين خصص بيت الله هذا للعبادة، فإن لحرمته ما يقتضى ألا تتداول فيه حركة الحياة، لأنه للصلاة والعبادة.

إن المسجد هو المكان الذى يصفو فيه العبد إلى الرب، وأية صفقة يعقدها أناس فى بيت الله؛ فلابد أن تحكم عليها بأنها صفقة خاسرة.

لذلك فعلى المؤمن إذا دخل المسجد، فلينو الاعتكاف مدة الإقامة فى المسجد؛ لأن الإنسان لو تحدث فى أمر يتعلق بغير الله، فليعلم أنه غير ناجح. إن بعض الناس قد تعود على التواعد فى المساجد؛ لينهوا فى هذه اللقاءات صفقات، أو تجارة، أو أية مسألة من مسائل الدنيا، وهم يجهلون أن المساجد دور عبادة فقط وتلقى العلم، وعلى هؤلاء أن يعلموا أن أية صفقة، أو مسألة من مسائل الدنيا تعقد فى المسجد، لا يمكن أن تحل فيها البركة.

إن اللقاء فى المسجد مع الله ينشر الطمأنينة فى النفس، فلماذا هذه الإقامة من أجل الدنيا، وأمورها ونحن فى رحاب الرحمن.

س: وماذا عن استيطان الأماكن فى المسجد؟ ولماذا أنهى النبى -ﷺ- عنه؟

(جـ): بعض الناس يدخل المسجد ليجلس فى مكان محدد، وهؤلاء ينسون أن النبى -ﷺ- قد نهى عن استيطان الأماكن فى المسجد، ومعنى هذا أن الإنسان يجب ألا يخصص لنفسه مكانًا محددًا فى المسجد، ويتخطى رقاب المصلين؛ ليصل إلى ذلك المكان الذى خصصه لنفسه.

[١٨٣]

الصلاة فى الصف الأول

س: وهل الصلاة فى الصف الأول فى المسجد لها شىء من الفضل عن باقى الصفوف، أو عن الصف الخلفى؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: إن أى مكان فى بيت الله هو لمن سبق إلى نداء الله، وقد يظن إنسان أن الصلاة فى الصف الأول لها ثواب أكثر من ثواب الصف الأخير، لا، ليس ذلك صحيحًا؛ لأنه ليس من المعقول أن يأتى إنسان إلى

نداء الله متأخرًا، ويتخطى رقاب الناس، ويضايقهم ليصل إلى الصف الأول إن الله هو الذى يرتب الصفوف.

وعلى الإنسان أن يسأل نفسه: كيف أدخل بيت ربى بهذا الأسلوب الذى أتخطى فيه رقاب الآخرين؟ إن على الإنسان المؤمن أن يجلس فى أى مكان فى المسجد دون مزاحمة؛ لأن المعنى فى دخول المسجد أن يتفرغ الإنسان من الأنانية، وصراع الحياة الدنيا، ويتفرغ تمامًا لمحبة الله والتعلق به، وأن الوجود فى المسجد هو تجديد الإيمان، وتنقية الروح بصفاء جديد.

وإن صح التشبيه فإننا نقول إن بطارية القلب يتم شحنها بالصفاء والارتقاء بالوجود فى رحاب الرحمن، ولحظة امتلاء القلب بالصفاء، والارتقاء بالوجود فعلى الإنسان أن يخرج إلى الحياة، ليبدأ حركته بها بهمة ونشاط بعد أن أخذ من المسجد فيض الإيمان والتقوى، والبر ورضاء الرحمن.

[١٨٤]

كراهة الصفقات التجارية فى المسجد

س: وما وجه كراهة الصفقات التجارية فى المسجد؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: لأن أمور الدنيا عندما يدخل فيها الإنسان فقد يمتلئ بالصراع، أو الحنق، أو المداهنة، أو الصوت العالى، أو غير ذلك مما يتأذى منه أى إنسان يلقى الله، ويقف بين يديه.

ويقول الشيخ الجليل: إن اللقاء بالمسجد مع أخوة فى الإيمان، هو لقاء المحبة لا لقاء الصراع.

إن اللقاء فى المسجد مع الله ينشر الطمأنينة فى النفس، فلماذا هذه الإقامة من أجل الدنيا، وأمورها ونحن فى رحاب الرحمن.

[١٨٥]

صورة مسجد على علبة كبريت

كنا فى بيت الإمام الجليل وحضر فضيلة الشيخ الدكتور محمد الطيب النجار رئيس جامعة الأزهر، وفجأة عرض على الدكتور النجار أحد الحاضرين علبة كبريت عليه صورة مسجد، وسأل: هل هذا حلال أم حرام؟، ولاسيما أن هذه العلبة سيلقى بها فى الأرض بعد فراغها، أجاب الدكتور النجار أنه لا شىء.

ذلك لأن الأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى حسبما قال رسولنا -ﷺ-.

[١٨٦]

ينشرح صدرى

س: إننى أحيانًا ينشرح صدرى فى الصلاة، وأحيانًا أخرى لا أشعر بذلك، وهذا يحدث دون إرادتى، فهل من توجيه يتيح لى أن أكون أكثر خشوعًا واطمئنانًا فى الصلاة فى كل وقت وفى كل حين..؟

(جـ): إن الله سبحانه وتعالى يريد منا أداء العمل المفروض علينا كالصلاة مثلاً، فإذا صاحب أداء العمل طمأنينة فهذا تعجيل للثواب، ولكن عدم شعورك بالطمأنينة وانشراح الصدر يجب ألا يجعلك تترك العمل المفروض عليك، وما دمت تداوم على عملك، فلك ثواب عملك.

ويوجد مبدأ لابد أن تعرفه، وهو أننا غير مسئولين عن المسائل غير المحكومة بإرادتنا.. فالإنسان يؤدى الصلاة فى كل الأحيان سواء كان منشرح الصدر، أو غير منشرح الصدر، لأن الصلاة واجبة الفعل، وتركها كفر.

[١٨٧]

فضل الجماعة

فضل الجماعة عظيم وعميم فى حركة الحياة الإسلامية، وإن قبول عبادة الجماعة، أشرف عند الله تبارك وتعالى.

ولما قال موسى للخضر -عليهما السلام-: ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا**﴾(١) لم يصبر موسى؛ لأنه قال: (صابرًا) إنما نجد إسماعيل الذبيح يقول لأبيه ﴿**سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾(٢) فلقد صبر لذلك وكان الفداء؛ لأنه

---

(١) سورة الكهف: ٦٩.
انظر تفسير القرطبى (١١/ ٢٠).

(٢) سورة الصافات: ١٠٢.
راجع تفسير القرطبى (١٥/ ١٠١) والطبرى (٢٣/ ٤٩، ٥٠) وانظر جلال الموقف فى المشهد الرهيب والحوار المثير بين الذبيح وأبيه عليهما السلام فى حاشية الصاوى على الجلالين (٣/ ٣٤٣).

قال: (من الصابرين) وهذا يجلى لنا فضل الجماعة، وللشيخ الشعراوى معنى بهذا الصدد فى فاتحة الكتاب، يقول المسلم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١) فالمسلم يقول عنه، وعن غيره، وغيره يقول عن نفسه وعن غيره، وهكذا.

أنت قد لا تطمئن إلى قبول عملك عند الله.. لكن إذا وجد جمع كبير لن يخلو هذا الجمع من عابد مقبول عند الله، فإذا أنت ضممت نفسك مع العابدين وإليهم، فقد يقبل الله تعالى الجماعة كلها وأنت بينهم.

[١٨٨]

السرحان بدون قصد فى الصلاة

س: ما حكم السرحان بدون قصد أثناء الصلاة؟

(جـ): مسألة السرحان مسألة ظاهرة.. إلا أن هذه الظاهرة لا تقف عند حدها كظاهرة، بل يأتى عمل اختيارى فيها للإنسان...

إنك أثناء الصلاة يأتى الشيطان؛ ليأخذك لخاطر من الخواطر.. عيبك حينئذ أنك لا تنتبه إلى أنك أخذت إلى خاطر غير ما أنت فيه، الشيطان يعطيك الخيط، ثم تبدأ أنت تجر بفكرك وتعيش فيه. إذن فالذى ستؤخذ عليه ليس الخاطر الذى يمر بك. ولكن استطراد ذلك الخاطر، وحينما حدث الجدل بين الله وبين إبليس، وامتنع إبليس عن السجود لآدم، هل قال إبليس لله: إنه سيقعد لعباده على الطريق الأعوج؟.. لا.. قال: سأقعد لعبادك على الطريق المستقيم، لأن الذى فى الطريق المعوج لا يحتاج إلى الشيطان.. الشيطان لا يقعد عند الخمارة.. إنما يقعد عند باب المسجد، الشيطان لا يقعد ناصحًا عندما قال: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٢).

ولحظة الصلاة هى أقرب ما يكون فيها العبد إلى الله.. والشيطان يريد أن

---

(١) سورة الفاتحة: ٥.

(٢) سورة الأعراف: ١٦.

انظر الطبرى (١٢/٣٤١) والقرطبى (٧/١٤٨).

يفسد هذه الخلوة بين العبد وربه.. فيأتى لك بخاطر.. والعقدة التى لم تكن تعرف حلها قبل الصلاة ينبش لك فيها.. خيبة الإنسان فى تلك اللحظة أن يظل ينقاد للشيطان ويبحث فى تلك العقدة ويظل يرتب فيها.. فلو أن المؤمن حين مسه الطائف - كلمة طائف تعنى أن الشيطان لا يسكن معك دائمًا: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ**﴾(١).

قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. وما دام قال الله لى: ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾(٢) فقطعًا استعاذتك بالله ستمنعه عنك؛ لأنه لا يقدر على الشيطان إلا خالقه.. لكن لنفرض أننى لا أقاومه هكذا فما هى النتيجة؟

سيأتى إبليس يوم القيامة على من اتبعه بالحجة.. ويقول: والله أنتم خائبون يا عصاة.. لماذا؟ هل كان لى عليكم سلطان؟ ﴿**إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ**﴾(٣) لقد كنتم على إشارة منى.. فلم يكن لى سلطان حجة أقنعكم.. ولو جئت لتجادلنى على المعصية لا أجد حجة أقولها لك.. هذا هو سلطان الحجة، ولم تكن لدى قوة أرغمك بها على فعل شىء لكى أكون سلطان إكراه... إذن فلا عندك سلطان إكراه.. ولا عندى سلطان حجة.. إذن ﴿**وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم**﴾(٤).

وتحضرنى قصة لأبى حنيفة -رضوان الله عليه- وكان مشهوراً بأنه نابه، ويقصده كل صاحب مشكلة.

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٠ وفصلت: ٣٦.

(٣)، (٤) سورة إبراهيم: ٢٢.

انظر تفسير الطبرى (١٣/ ١٣٣) وهذه هى الخطبة «البتراء» التى يخطب إبليس بها فى محفل من أوليائه ومحبيه فى جهنم عليهم اللعنة أجمعين، وتكون هذه الخطبة بعد انقضاء الأمر ودخول أهل الجنة الجنة، ودخول أهل النار النار، وفيها تنجلى الندامة والأسف، ولكن بعد فوات الأوان.

راجع ما قاله الإمام الرازى عنها فى الكبير (١٩/ ١١٠) بتصرف.

ذهب إليه شخص وقال له: يا إمام، لقد كان لدى مال، وخبأته فى باطن الأرض ثم نسيت مكانه.. فأين أجده؟ قال أبو حنيفة له: ليس لى فى ذلك علم.. ولكنى أحتال لك.. إذا جئت بالليل بعد صلاة العشاء، قم فتهجد لله طوال الليل، وفى صلاة الفجر جاء الرجل لأبى حنيفة، وقال له: يا إمام، لقد وجدت المال، قال أبو حنيفة له: كيف؟ قال الرجل: لقد نفذت نصيحتك، وأثناء صلاتى فى الليل تذكرت مكان المال. فقال أبو حنيفة: والله لقد علمت أن الشيطان لن يدعك تتم مناجاتك مع ربك، وسيأتى بخاطر يحدثك بموضوع المال، وستنقاد طوعًا للشيطان، لتصل لمكان المال.. فلا أتممتها.

[١٨٩]

أى الصلاة أفضل؟

سئل النبى -ﷺ-: أى الصلاة أفضل؟

قال: «**طول القنوت**»[(١)].

وأى القيام أفضل؟

قال: «**نصف الليل وقليل فاعله**».

وسئل أيضًا: هل من ساعة أقرب إلى الله من الأخرى؟

قال: «**نعم، جوف الليل الأوسط**».

[١٩٠]

كيفية الصلاة فى السفينة؟

س: ما حكم الصلاة فى السفينة، وإذا تملكه الرعب مخافة الغرق بسبب عواصف بحرية فهل يصلى أم لا؟

(جـ): سأل جعفر بن أبى طالب -رضي الله عنه- رسول الله -ﷺ- عن الصلاة فى السفينة فقال -ﷺ-: «**صل فيها قائمًا إلا أن تخاف الغرق**»[(٢)].

---

(١) المسند (٣/ ٣٠٢ و٣١٤)، (٣٩١، ٤١٢) و(٤/ ٣٨٥).

(٢) وصححه السيوطى فى الجامع الصغير، معزوا إلى الحاكم، عن ابن عمر (٢/ ٣٠٩/ ٥٠٠٩).

[١٩١]

الوســواس فـى الصـلاة

تسأل فتقول:

عند كل صـلاة يوسوس لى الشيطان أنـى أصلى للحائط الذى أقف أمـامه، برغم علمى الأكيد بغيـر ذلك. فهل أستمر فى صلاتى، أم أتوقف حـتى يبتعد عنى هذا الشيطان اللعين؟

(جـ) ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

استمرى فى صلاتك، ولا تتوقفى أبدًا عن أداء الصلاة المفروضة، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم.

فـأنت لا تصلين إلى مطلق حائـط، ولكنك تصلين إلى حائط مـخصـوص اتجاهه إلى القبلة. فلو كان لمطلق حائط لكان أى حائط فى أى اتجاه يكفى.

ولكن مـا دمت تتوجـهين إلى حائط بـالذات، وقد تنحـرفين عنه إلى ركن بالحائط بحسب اتجاه القبلة، فلا دخل للحائط فى ذلك.

قولى هذا فى نفسك، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم.

[١٩٢]

ما فى يوم الجمعة من الخير

س: ما فضل يوم الجمعة؟

(جـ): سئل -ﷺ-: يا رسول الله أخبرنا عن يوم الجمعـة ما فيه من الخير لله قال: «خمس خلال: فـيه خلق آدم، وفيه أهبط آدم إلى الأرض، وفـيه توفى الله آدم، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد فيهـا شيئًا إلا أعطاه إياه ما لم يسأله إثمًا أو قطيعة رحم، وفيه تقـوم الساعة، فمـا من ملك مقرب، ولا سمـاء، ولا أرض، ولا جبال، ولا حجر، إلا هو مشفق من يوم الجمعة»(١). ذكره أحمد والشافعى.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/ ٤٠١) و(٢/ ٤٨٦) و(٤/ ٥٠) و(٥/ ٢٨٤).

[١٩٣]

فضل يوم الجمعة

س: لماذا فضل يوم الجمعة؟

(جـ): سئل -ﷺ-: لأى شىء فُضِّل يوم الجمعة؟

فقال: «**لأن فيها طبعت طينة أبيك آدم، وفيها الصعقة والبعثة، وفيها البطشة، وفى آخر ثلاث ساعات، منها ساعة من دعا الله فيها استجيب له**»[١].

وسئل أيضًا -ﷺ- عن ساعة الإجابة يوم الجمعة أيضًا؛ فأجاب: «**حين تقام الصلاة إلى الانصراف منها**» ولا تنافى بين الحديثين؛ لأن ساعة الإجابة وإن كانت آخر ساعة بعد العصر، فالساعة التى تقام فيها الصلاة أولى أن تكون ساعة الإجابة، كما أن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قباء، ومسجد رسول الله -ﷺ- أولى بذلك منه، وهو أولى من جمع بينهما بتنقلها.

[١٩٤]

فرضية الجماعة فى صلاة الجمعة

س: ما الحكمة فى فرضية الجماعة فى صلاة الجمعة؟

(جـ): فرض الجماعة فى صلاة الجمعة -فى رأى الشيخ الشعراوى- أراده الله لاستدامة الولاء الجماعى له سبحانه وتعالى؛ لأن الولاء الفردى قائم فى الصلاة العادية، وذلك لأن الولاء الجماعى يبدو أمام خلق الله تعالى، ومن ثم ينقطع فى البشرية مظهر الاستعلاء والكبر.

ثم يضيف فضيلة الإمام:

كأن الله سبحانه وتعالى يقول: أنا أريد أن تعلنوا جميعكم ولاءكم لى باجتماعكم معًا، حتى إذا ما رأى الضعيف القوى عنه فى سجوده لله تعالى مساويًا له استقر فى نفسه أن الجميع سواسية أمام الله فى موقف العبودية.

لذلك شرع الله سبحانه وتعالى اللقاء الجماعى يوم الجمعة مرة كل أسبوع للقضاء على الكبر فى النفوس. والكبر هذا مرض خطير فى النفوس.

---

(١) انظر «أعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام العلامة الشيخ ابن قيم الجوزية.

ثم يضيف فضيلة الشيخ الشعراوى:

إن الله سبحانه وتعالى قد وجهنا إلى هذا الولاء المستطرق فى فاتحة الكتاب، وهو يعلمنا فيها أن نقول: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾(١).

ثم يكون الدعاء ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾(٢) كان المفروض أن أقول: إياك أعبد، وإياك نستعين، اهدنا الصراط المستقيم. لكنك تقول عنك وعن غيرك، وغيرك يقول عن نفسه وعنك، وكل من فى الجماعة دعا لك وأنت دعوت له، وربما كان أحد الصالحين موجودًا فى الجماعة، فيستجيب الله دعاءه للجميع، والله تعالى بكرمه يقبل عن الجميع بفضل الصالحين فى الجماعة.

[١٩٥]

حكمة الانتشار فى الأرض

س: لماذا أمر الله سبحانه وتعالى بالانتشار فى الأرض بعد صلاة الجمعة؟ هل فى ذلك حكمة؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

لو تنبهنا إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣).

لعلمنا أن وقت الإنسان يجب أن يكون بين أمرين: بين انشغال بالمنعم؛ لنأخذ منه شحنة الطاقة على حركتك فى النعمة، وبين حركتك فى النعمة ذاتها.

فالأمر الأول: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ والأمر الثانى: ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾. فالضرب فى الأرض هو المقصود من الخلافة فى الأرض.

---

(١) سورة الفاتحة: ٥. (٢) سورة الفاتحة: ٦.

(٣) سورة الجمعة: ٩، ١٠.

راجع تفسير الآيات فى: تفسير الطبرى (٢٨/ ٦٥، ٦٦) والقرطبى (١٨/ ١٠١) والبحر المحيط (٨/ ٢٦٨) وتفسير أبى السعود (٥/ ١٦٣).

فالضرب فى الأرض بالحركة جزء من منهج الله تبارك وتعالى، وما دام الضرب فى الأرض بالحركة، فيجب أن تكون الحركة فيما يهم الإنسان أولاً، وهو رزق نفسه.

ثم يقول الحق: ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه** ﴾ وهذا أمر بالكدح، كبح لغرور الكادح.

س: هل حركة الإنسان ومشيه فى مناكب الأرض، هو الذى يجىء له بالرزق؟

(جـ): يقول الإمام الشيخ الشعراوى:

لا... فكم من عامل أكدى.. لا تظن أن ضربك فى الأرض هو الذى جاء لك بالرزق، ولكنك وصلت إلى الرزق الموجود والمخلوق فى الأرض، والله طمأننا عليه بقوله:

﴿ **قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ** ﴾(١).

فكأن الأرزاق مكنوزة فى الأرض، وعملك لا يخلق الرزق، ولكن يوصلك فقط إليه.

وذلك من استدامة وجماعية العبودية لله يوم الجمعة.

[١٩٦]

الإمامة وخطيب الجمعة

س: هل يجوز لشخص آخر غير خطيب الجمعة أن يؤم المصلين بدون عذر، وهل تجوز الإقامة من غير المؤذن؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

---

(١) سورة فصلت: ٩، ١٠.

انظر تفسير الطبرى (٢٤/ ٦٣) والقرطبى (١٥/ ٣٤٣) والبحر المحيط لأبى حيان (٧/ ٤٨٦) والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٥/ ٣٦١) ومختصر ابن كثير (٣/ ٢٥٦) وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ١٨).

من الأفضل أن يكون الخطيب هو إمام الجمعة، إلا إذا كان هناك مانع كإصابة الخطيب بمرض أو غيره. وكذلك من الأفضل أن يقيم المؤذن، وإن أقام غيره فجائز.

[١٩٧]

أول مسجد وضع للناس

س: ما هو أول بيت وضع للناس فى الأرض؟

(جـ): سأله أبو ذر[١] فقال -ﷺ-: «المسجد الحرام».

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾[٢].

[١٩٨]

أولى القبلتين

س: بيت المقدس أولى القبلتين لماذا؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: كان بيت المقدس يحتوى على المقدسات الإسلامية فى الوقت الذى لم تكن الكعبة قد خلصت فيه لله بعد. ولأن الكفار جعلوها مقرًا لأصنامهم، وكانوا يسمونها بيت العرب. وقبل أن يستقر فى النفوس أن الكعبة بيت الله. لذلك فلو أن المسلمين اتجهوا فى صلاتهم إلى الكعبة، لكان مثلهم كمثل العرب فى اتجاههم للأصنام، فكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يستقر فى الأذهان أولاً أن هذا هو بيت الله، وليس بيت العرب استقرارًا عقيديًّا كما أنه لم يكن للمسلمين ولاية على البيت، بدليل أن المسلمين حينما تمكنوا من الكعبة كسروا الأصنام من حولها، فإذا اتجهوا إليها وهى خالية تمامًا من الأصنام كان الاتجاه لله لا إلى الأصنام.

---

(١) هو أبو ذر الغفارى، الصحابى الجليل، اسمه جندب بن جنادة على الأصح، مات سنة اثنتين وثلاثين فى خلافة عثمان.

(٢) سورة آل عمران: ٩٦ .

وبكة هى: مكة؛ فكلا الاسمين واحد، لأن الباء تبدل من الميم. انظر ابن منظور فى اللسان (١٢/ ٢٢٣) بتصرف.

[١٩٩]

الأرض مسجد وطهور

س: قال -ﷺ-: «فضلت على الأنبياء [قبلى] بست: أوتيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، وختمت الأنبياء والمرسلين، وصاحب الشفاعة»[1]. (صدق رسول الله).

ففى قوله -ﷺ-: «وجعلت لى الأرض مسجدًا وطهورًا» يضع أمامنا قضية جلية منتهية، وهى أن تكليف الصلاة للفرد حرية مطلقة فى ممارسته فى أى مكان. . .

فما الفرق بين الصلاة فى أية بقعة على ظهر البسيطة، وبين الصلاة فى المسجد؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

الأرض مسجد وطهور، وهناك مكان يصلح للصلاة فيه، ويصلح أيضًا لمزاولة حركة الحياة، ففى مصنعك مثلاً -تدير حركة حياتك، ولك أن تصلى، وفى حقلك تدير حركة حياتك بالزرع وتصلى، وفى معهدك تتلقى العلم، ويمكنك أن تصلى.

إذن فالمكان العام الشائع تصح الصلاة فيه، ويصح أيضًا غير الصلاة من مهمات مزاولة الحياة.

وبعد ذلك إذا أردنا أن ننتقل إلى منطقة من مناطق القرب نعزل مكانًا من الأمكنة، ونقول: إن هذا المكان لا تزاول فيه حركة الحياة، ويخصص للصلاة، ذلك ما نسميه مسجدًا، وما نسميه بيت الله، ولذلك دعا النبى -ﷺ- ألا تربح صفقة ما دمت فى المسجد، إذا نشدت ضالة كذلك؛ لأن هذا الوقت خص للقاء ربك، فلا يصح أن تشغل فيه بسواه، وحسبك فى يومك وهو أربع وعشرون ساعة أن تأخذ للصلاة كلها ساعة من يومك؛ تختلى فيها بربك، وتنقطع عن حركة الحياة.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم فى الصحيح (٣٧١) والترمذى وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/٣٦٤/ ٥٨٨٠).

إذن فوجود المسجد تحديد لمكان كان صالحًا للصلاة فيه، وغير الصلاة ولكنه بتحديده، وتحجيره أصبح للصلاة فقط، والمكان -من شأنه هذا- قد يكون باختيار العباد ينسبونه لله - فيقولون بيت الله.

إذن فبيت الله فى مكة، بيت ربنا باختيار ربنا، وبيوت الله فى سائر الأرض، بيوت الله باختيار سائر خلق الله؛ فوجب أن تكون بيوت الله باختيار خلق الله، تابعة لبيت الله باختيار الله.

[٢٠٠]

المسجد الأقصى وقتذاك

س: هل كان المسجد الأقصى -بالمناسبة- مسجداً، مع أنه لم يكن قد صلى فيه رسول الله -ﷺ- ولم يكن مسجداً بالمعنى المفهوم؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

ما معنى كلمة مسجد؟ إن كلمة مسجد اسم مكان لمكان السجود، والسجود جاء فى كل الرسالات، وهناك فرق بين الشيء حينما يستعمل وصفًا اشتقاقيًا، وبين أن يستعمل علمًا، وهل كلمة مسجد بقيت علمًا عندنا على المكان الخاص به، إنما المسجد هو كل مكان يسجد فيه لله، وهم اتخذوه أيضًا مسجدًا لله، بدليل قوله تعالى لمريم: ﴿ **يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ** (٤٢) **يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾[1] فكأن السجود موجود فى الرسالات كلها، وأيضًا يقص علينا سبحانه وتعالى قصة أهل الكهف فيقول: ﴿ **لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا** ﴾[2] فكأن كلمة المسجد لم تأت ابتداء مع الإسلام، إنما شاع استعمالها فى هذه الأماكن مع الإسلام، وإلا فكل مكان يسجد لله فيه يكون مسجدًا.

تأتى الآية: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ**

---

(١) سورة آل عمران: ٤٢، ٤٣.

انظر الطبرى (٦/ ٣٨٦).

(٢) سورة الكهف: ٢١.

﴿الأَقْصَا﴾(١) قلنا: إن المسجد الحرام هذا هو أول بيت وضع للناس، ويجب أن نفهم فإن بعض الناس قالوا: إن سيدنا إبراهيم هو الذى بناه. ونقول لهم: لا.. هو موضوع للناس.. إذن ما دام هو موضوعًا للناس، فيكون واضعه غير الناس، وما دام وجد ناس، وآدم من الناس، فلابد أن يكون بيت الله، ولابد أن يكون هذا موضوعًا قبل سيدنا آدم كما قالوا لنا: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾(٢).. وآدم من الناس. وبنوه من الناس، فيكون آل البيت قد وضع لهم، وإنما إبراهيم فقط رفع القواعد منه.. رفع القواعد من البيت.

ويجب أولاً أن نعلم أن إسماعيل -عليه السلام- عاون أباه إبراهيم فى رفع قواعد البيت.

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(٣) فإسماعيل فى حال كان فيه يعين أباه على البناء، لكن الحق يحكى لنا فى سورة أخرى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾(٤).

فساعة الإسكان كانت هاجر، وابنها الرضيع، ولم يكن عنده هو إذن. فالعنديات عند بيتك المحرم معلومة، قبل أن يرفع إبراهيم القواعد من البيت؛ فيكون البيت ليس من وضع إبراهيم، ولا من تأسيس إبراهيم، لكن البيت من قبل إبراهيم، وإبراهيم فقط هو الذى رفع القواعد.

[٢٠١]

صلاة الفجر والصبح

س: صلاة الفجر والصبح ما الفرق بينهما؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

كلمتا الفجر والصبح اسمان على مسمى واحد، وهذا من قبيل التسمية بالمترادفات.

---

(١) سورة الإسراء: ١ .

(٢) سورة آل عمران: ٩٦ .

(٣) سورة البقرة: ١٢٧ .

انظر تفسير الطبرى (٣/ ٥٧).

(٤) سورة إبراهيم: ٣٧ .

فصلاة الفجر هى صلاة الصبح، إلا أن بعض الناس يخلط بين سنة الفجر وصلاته، فسنة الفجر: ركعتان تؤديان قبل صلاته، وهما سنة مؤكدة، لا تغنى صلاتهما عن صلاة الفريضة، وصلاة الفجر: ركعتان ويظهر الفارق بينهما فيمن يصلى الفجر قبل شروق الشمس، فإنه يصلى السنة ركعتين قبل أداء ركعتى الصبح.

ومن يصلى بعد الشمس، يصلى ركعتى الصبح أولاً.

ثم يصلى ركعتى السنة، ذلك أن المسلم مطالب أولاً بما افترضه الله عليه، فإذا ما كان الصبح فى وقته كان هنالك متسع للسنة قبله، وإذا لم يكن فى وقته صلى الفريضة أولاً خشية أن يأتيه أجله قبل أدائه، فلا يموت وفى وقته فريضة، ثم يصلى بعدها السنة.

[٢٠٢]

لماذا الظهر والعصر سرًا ؟

س: الظهر والعصر سراً لماذا؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ: كان المسلمون ضعافًا فى أول الإسلام، فكانوا يجهرون بصلاتهم صباحًا والكفار ينامون كذلك فى المغرب والعشاء كان الكفار ينشغلون بلهوهم.

أما فى صلاتى الظهر والعصر، فكان موعد يقظتهم وانتشارهم فى كل مكان فلما قوى الإسلام ولم يعد المسلمون ضعافًا ظلت الصلاتان السريتان والصلوات الجهرية كما هى دون تغيير، استصحابًا للأصل.

[٢٠٣]

صلاة الليل وصلاة التسابيح

س: ما حكم صلاة الليل، وصلاة الحرب، وصلاة التسابيح؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: صلاة الليل:

وردت نصوص كثيرة فى القرآن والسنة: تبين فضل قيام الليل، وما يترتب

عليه من آثار طيبة: فمن القرآن الكريم: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(١) وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾(٢).

وقوله: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾(٣).

ومن السنة: ما روى عن عبد الله بن سلام أنه قال: أول ما قدم رسول الله -ﷺ- المدينة انجفل الناس إليه، فكنت ممن جاءه، فلما تأملت وجهه واستبينته: عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب، وقال: فكان أول ما سمعت من كلامه: أن قال: «**أيها الناس افشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلُوا الأرحام، وصلُّوا بالليل والناس نيام: تدخلوا الجنة بسلام**»(٤). وعن سلمان الفارسى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**عليكم بقيام الليل، فإنه دأب الصالحين قبلكم، ومقربة لكم إلى ربكم، وتكفرة للسيئات، منهاة عن الإثم، ومطردة للداء عن الجسد**»(٥).

ويسن لمن أراد ذلك: أن ينوى عند نومه قيام الليل، فعن أبى الدرداء -رضي الله عنه-: أن النبى -ﷺ- قال: «**من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم فيصلى من**

---

(١) سورة الذاريات: ١٥-١٨.
راجع روح المعانى للألوسى (٢٧/٧، ٨) وزاد المسير (٨/ ٣١) وكشاف الزمخشرى (٤/ ١٥).

(٢) سورة الفرقان: ٦٣، ٦٤.
القرطبى (١٣/ ٧) والطبرى (١٩/ ٢٢) وانظر البحر المحيط (٦/ ٥٨٢) والتفسير الكبير للرازى (٢٤/ ١٠٨) والكشاف (٣/ ٩٩).

(٣) سورة الزمر: ٩.
الجامع لأحكام القرآن (١٥/ ٢٣٨) وجامع البيان للطبرى (٢٣/ ١٢٩) وحاشية زاده على البيضاوى (٣/ ١٩٤) والكبير (٢٦/ ٢٥٠) والكشاف (٣/ ٣٩٠).

(٤) ابن ماجة (٣٢٥٢) والترمذى (٢٤٨٧) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٥) أخرجه أحمد فى المسند والترمذى (٣٥٤٩) وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٣٤٤/ ٥٥٧٣).

الليل فغلبته عينه حتى يصبح: كتب له ما نوى، وكان نومه صدقة عليه من ربه»[(١)].

صلاة الليل هى صلاة التهجد، وهى سنة واظب عليها رسول الله -ﷺ-، وهى أفضل الصلاة بعد المكتوبة، وإن فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على العلانية، حيث إن صدقة السر تضاعف على صدقة العلانية بسبعين ضعفًا.

وصلاة الليل دأب الصالحين من قبلنا، ومقربة إلى الله، ومكفرة للسيئات، ومنهاة عن الإثم ومطردة للداء عن الجسد ومن صلى بعد العشاء فقد قام من الليل، ولكن فى أداء الصلاة بعد النوم إرغام للشيطان، ومجاهدة للنفس، وإن يعجبه من العبد إذا قام عن فراشه وبين أهله إلى صلاته ويباهى به ملائكته ويقبل عليه بوجهه الكريم، وأنه بقبح من طالب الآخرة ألا يكون له قيام بالليل.

وفى الحديث: «**ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير، فيقول هل من داع فاستجيب له، هل من مستغفر فاغفر له، هل من سائل فأعطيه هل من تائب فأتوب عليه حتى يطلع الفجر**»[(٢)]. ولم يواظب الرسول الكريم فى تهجده على قراءة شىء مخصوص.

ومن الحسن أن يتتبع القرآن فيقرأه المرء شيئًا فشيئًا فى قيامه حتى ختمه فى شهر أو أقل أو أكثر حسب نشاطه، وأما عدد الركعات فأكثر ما روى من قيام رسول الله -ﷺ- ثلاث عشرة ركعة.

ثانيًا: صلاة الحرب:

إذا دخل وقت الصلاة فى حال القتال مع العدو فإن كان العدو فى جهة القبلة تقدم الإمام واصطفت الناس عقبة، وشرعوا فى الصلاة وركعوا جملتهم ورفعوا الرءوس من الركوع، ثم إذا أخذوا فى السجود بعد هذا سجد معه أهل الصف الأول، واستقام أهل الصف الثانى تجاه العدو حتى إذا فرغ الإمام وأهل

---

(١) النسائى (٣/ ٢٥٨).

(٢) البخارى (٢/ ١٢١/ ١١٤٥) ومسلم (٥٢٢) وأبو داود (٢/ ٦/ ١٣١٥) و(٥/ ١٠٠/ ٤٧٣٣) والترمذى (٤٤٦) و(٣٤٩٨) وابن ماجة (١٣٦٦)، والمسند (٢/ ٤١٩) و(٤/ ٨١ و٤٨٧).

الصف الأول من الركعة الأولى. وقاموا إلى الركعة الثانية هناك يسجد أهل الصف الثانى ثم يقومون ويتقدمون إلى مكان أهل الصف الأول، ويتأخر الصف الأول، وليحصل لأهل الصف الثانى، سجدنا للركعة الثانية مع الإمام سجدتان؛ فى الفضل. . فإذا جلس فى التشهد سجد أهل الصف المؤخر، ثم لحقوه فى التشهد وسلم المجموع بالاتفاق، وأما إذا لم يكن للعدو فى جهة القبلة جعل الناس طائفتين طائفة تجاه العدو وطائفة معه وصلوا مع الإمام ركعة، ثم صاروا إلى مكان تلك الطائفة تجاه العدو، وجاءت تلك الطائفة فادركوا الركعة الثانية ثم سلم هو، وقضى كل من الطائفتين ركعة بعد سلام الإمام. وهذه بعض الأحوال التى كان يفعلها الرسول -ﷺ-.

ثالثًا: صلاة التسابيح:

ذكر الإمام أبو حامد الغزالى فى كتابه «إحياء علوم الدين» أن صلاة التسابيح مأثورة، ولا تخصص بوقت ولا بسبب، ويستحب ألا يخلو الأسبوع منها مرة واحدة أو الشهر مرة.

روى عكرمة، عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه -ﷺ- قال للعباس بن عبد المطلب: «**ألا أعطيك، ألا أمنحك، ألا أحبوك بشىء إذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره، قديمه وحديثه، خطأه وعمده، سره وعلانيته؟ تصلى أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة وأنت قائم وتقول: سبحان الله وبحمده، ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة، ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات، ثم ترفع من الركوع، فتقولها قائمًا عشرًا، ثم تسجد فتقولها عشرًا، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرًا، ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرًا، ثم ترفع من السجود فتقولها عشرًا، فذلك خمس وسبعون، فى كل ركعة تفعل ذلك فى أربع ركعات إن استطعت أن تصليها فى كل يوم مرة فافعل، فإن لم تفعل ففى كل جمعة مرة، فإن لم تفعل ففى كل شهر مرة، فإن لم تفعل ففى السنة مرة**».

ومجموع هذه التسبيحات ثلاثمائة تسبيحة، وتصلى ركعتين ركعتين ليلاً ونهارًا.

[٢٠٤]

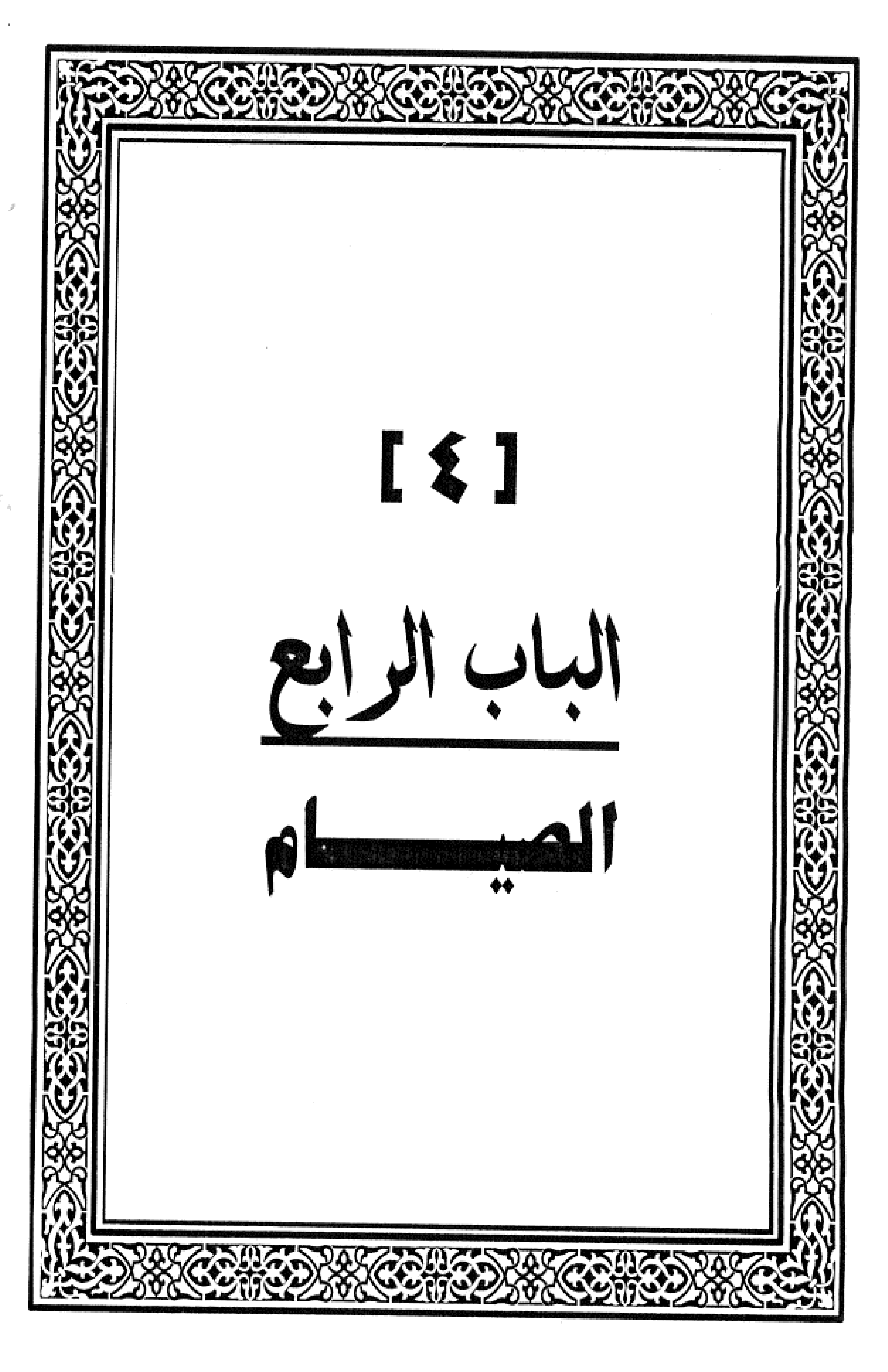
الصلاة فى الحرم المكى

س: ما ثواب الصلاة فى الحرم المكى؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

قال المصطفى عليه الصلاة والسلام: «صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[١] - وقال: «من صلى الصبح فى جماعة وقعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، وصلى ركعتين كان كأجر حجة وعمرة تامة تامة»[٢] رواه أحمد «من صلى العشاء فى جماعة فكأنما أقام نصف الليل، ومن صلى الصبح فى جماعة فكأنما... قام الليل كله»[٣] و«من صلى فى اليوم والليلة اثنتى عشرة ركعة تطوعًا بنى الله له بيتًا فى الجنة»[٤].

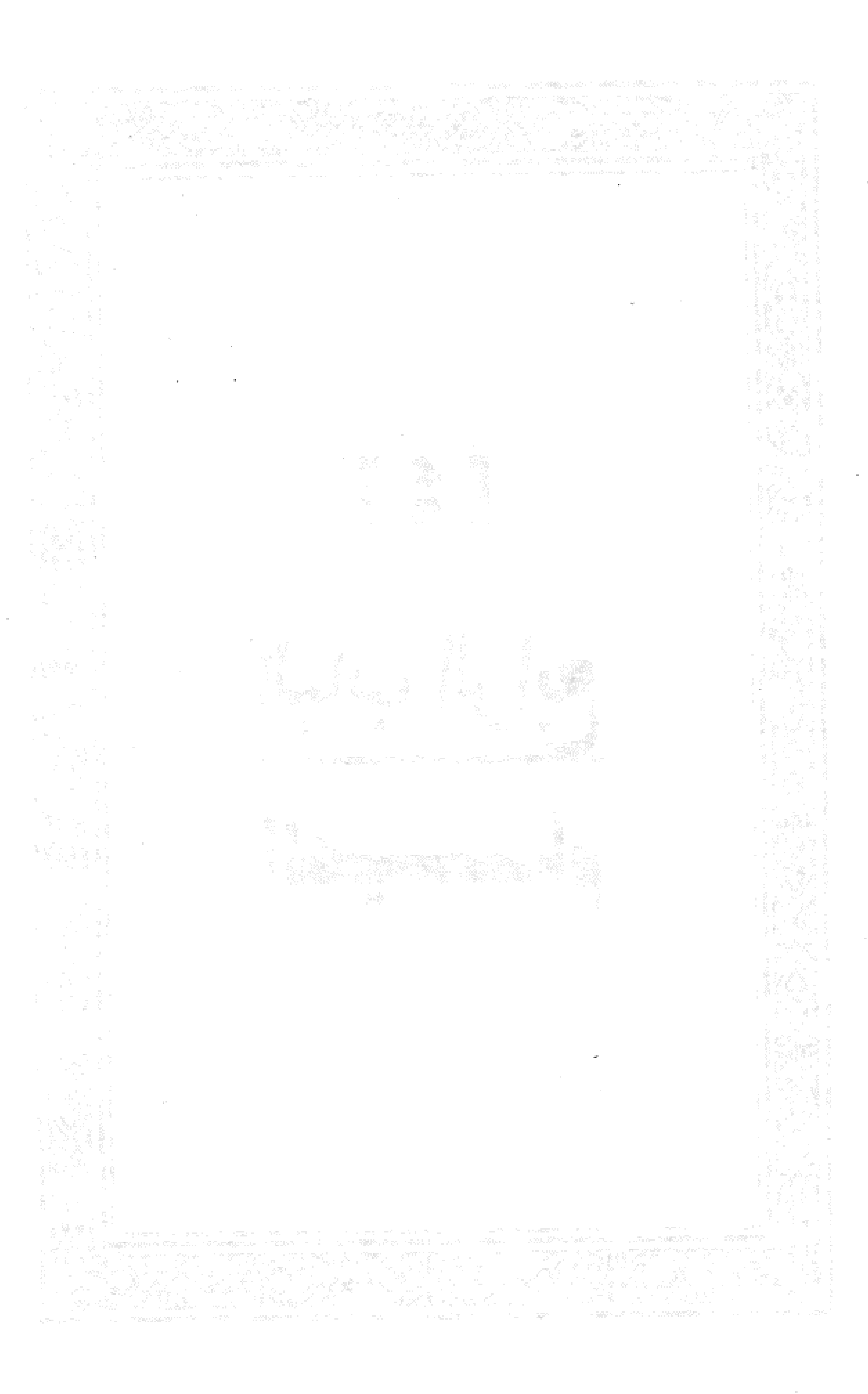
(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ٣٤٣) و(٣٩٧) و(٤/ ٥).
(٢) المسند (١/ ٥٨).
(٣) المسند (١/ ٥٨).
(٤) مسلم (٥٠٣).



[٤]

الباب الرابع

الصيام



[٢٠٥]

لماذا سمى رمضان رمضانًا ؟

س: لماذا أطلق الله سبحانه اسم شهر رمضان على شهر الصيام، وما معنى رمضان، وما الحكمة فى ذلك؟ نرجو توضيح هذا الأمر، ولكم من الله الجزاء؟

(جـ): حين يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾[(١)]!! ما هو معنى كلمة شهر؟ كلمة شهر مأخوذة من الإعلان والإعلام والإظهار، ولا زلنا نستعملها أيضًا فى الصفقات ونقول: (الشهر العقارى) أى: الإعلان بوجود صفقة حتى لا يتأتى بعد ذلك وجود صفقة على صفقة وقد سميت الفترة الزمنية شهرًا لا أن لها علامة تظهرها.

إن الشمس لا تستطيع أن تعرف بها الشهر، إنما هى سمة لتحديد اليوم، فاليوم من مشرق الشمس إلى المشرق التالى. . وهذا يوم له ليل وله نهار. والشمس ليست فيها علامة مميزة سطحية ظاهرة بحيث يفهمها الإنسان. . إنما الهلال يأتى فى أول الشهر، بعد المحاق يبدو ويظهر. . إذن فهنا علامة ميزت وجود الشهر، إذن فالهلال جاء لتمييز الشهر. . والشمس جاءت لتمييز اليوم.

ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يربط الأعمال العبادية بآيات كونيات ظاهرة. . هذه الآيات هنا هى الهلال. . وبعد ذلك يأخذ من الشمس اليوم فقط؛ لأن الهلال لا يعطيك اليوم. . إذن فنحن فى حاجة إلى الاثنين. . فكأن ظهور الهلال على شكل خاص (بعد المحاق ثم يبدو) تكون هذه بداية.

ولذلك دائمًا يبتدئ زمن رمضان بليل والعبادات هنا فى رمضان أن الليل يجىء أولاً. . نستطلع المغرب فإن رأينا الهلال نقول: شهر رمضان قد بدأ. . (ولم تختلف هذه المسألة بأن النهار يسبق الليل إلا فى عبادة واحدة وهى الوقوف بعرفة. . فالليل يجىء بعدها)[(٢)].

وشهر رمضان -مادة الراء والميم والضاد- كلها تدل على الحرارة والقيظ

(١) سورة البقرة: ١٨٥ .

(٢) ملحوظة جديرة بالاعتبار.

(رمض الإنسان) يعنى: حرقه العطش.. والرمضاء الرمل الحار[١].. الماشية رمضت، يعنى: الحر أصاب خفها فلم تعد تقوى أن تضع رجلها على الأرض مأخوذ إذن من الحر والقيظ الشديد.. وكأن الناس حينما جاءوا ليضعوا أسماء للشهور صادف ذلك فى رمضان كان فى وقت الحر (كما أن ربيع أول وربيع ثانى كانا فى وقت الربيع) وكأنهم لاحظوا الأوصاف فى الشهور ساعة التسمية، ثم دار الزمن الخاص العربى (الهلالى) فى الزمن العام (الشمسى) فجاء رمضان فى برد، وجاء فى خريف.. لكن ساعة التسمية كان فى الحر.. إذن التسمية فى رمضان لوحظ فيها وقت إطلاق التسمية.. كأن الحق سبحانه وتعالى باختياره لهذا الشهر ذلك الاسم ليدل بذلك على المشقة التى تعترى الصائم..!

[٢٠٦]

فضائل رمضان

س: ما هى فضائل رمضان؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

المراد من الصيام مجانبة الآثام (أى الذنوب) وليس المراد بالصيام الجوع والعطش. كما يقولون: إن الله تعالى فرض الصيام لكسر شهوات النفس، ولتقوية المؤمن على مخالفة هواها وغرائزها الضارة.

وصوم الخصوص يقوم على حفظ الجوارح الست: غض البصر عن الحرام. وصون السمع عن الإصغاء إلى محرم، أو القعود مع أهل الباطل، وحفظ اللسان عما لا يعى جملة، ومراعاة للقلب، بعكوف الهمة على الله سبحانه، وكف اليد عن المحرم من كسب الفاحشة.

ومن آدابهم فى الصيام الإكثار من ذكر الله تعالى، وتقليل ذكر الخلق باللسان، وترك المجاملة والمخاصمة.

إن رسول الله -ﷺ- قال:

«أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام فى أول ليلة من رمضان، وأنزلت

---

(١) انظر القاموس المحيط ولسان العرب فى مادة ر م ض.

التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وبدء نزول القرآن فى العشر الأواخر من رمضان»(١).

وقال -ﷺ-:

«الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشهوة فشفعنى فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعنى فيه، قال: فيشفعان»(٢).

وقال -ﷺ-:

«أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمسًا لم يعطهن نبى قبلى:

أول ليلة من رمضان ينظر الله إليهم، ومن نظر الله إليه لم يعذبه أبدًا.

الثانية: فإن خلوف أفواههم حين يمسون أطيب عند الله من ريح المسك.

الثالثة: فإن الملائكة تستغفر لهم فى كل يوم وليلة.

الرابعة: يأمر الله جنته استعدى وتزينى لعبادى أوشك أن يستريحوا من تعب الدنيا إلى دارى وكرامتى.

إذا كان آخر ليلة غفر الله لهم جميعًا» قال رجل: أهى ليلة القدر يا رسول الله؟ قال: «لا. ألم تر إلى العمال يعملون؛ فإذا فرغوا من أعمالهم وفوا أجورهم»(٣).

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به. والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد أو قاتله فليقل: إنى امرؤ صائم، والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»(٤).

---

(١) المسند (٤/ ١٠٧) وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (١/ ١٦٣/ ٢٧٣٤).

(٢) المسند (٢/ ١٧٤).

(٣) المسند (٢/ ٢٩٢).

(٤) البخارى (٧/ ١٠٣/ ٥٩٢٧) ومسلم (١١٥١) وأبو داود (٢/ ٧٦٨/ ٢٣٦٣) والترمذى (٧٦٤) والنسائى (٤/ ١٦٢، ١٦٥).

«وللصائم فرحتان يفرحهما، إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه»(١).

وعن سهل بن سعد -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «إن فى الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد»(٢).

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ثلاثة لا ترد دعوتهم: الصائم حين يفطر. والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين»(٣).

عن أبى سعيد -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من عبد يصوم يومًا فى سبيل الله تعالى إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا»(٤).

وقت الصوم وشروط وجوبه والنية:

ووقت الصوم من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾(٥).

ولو طلع الفجر وفى فمه شىء فلفظه. صح صومه، أما إذا ابتلعه بعد ذلك فإنه يفطر.

[٢٠٧]

حول فائدة الصوم والعبادات الأخرى

س: تسأل سحر محمود فتقول:

---

(١) البخارى (٣/ ٦٢/ ١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

(٢) البخارى (٤/ ٩٥) ومسلم (١١٥٢) والترمذى (٧٦٥) والنسائى (٤/ ١٦٨).

(٣) الترمذى (٣٥٩٨) وابن ماجة (١٧٥٢) والمسند (٢/ ٣٠٥).

(٤) البخارى (٦/ ٣٥) ومسلم (١١٥٣).

(٥) سورة البقرة: ١٨٧ .

انظر القرطبى فى جامعه والطبرى (٣/ ٥٠٨) والدر المنثور للسيوطى (١/ ١٩٧).

إننى أقوم بفرائض الله كلها، غير أن نفسى تحدثنى دائمًا: ما الفائدة التى يستفيدها الله من صيام الناس عن الأكل والشرب؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن كل التكليفات ليست لجانب الله عز وجل.. والعجيب أن الله يقول: اصنع التكليفات لله، وعائدها لك. وهذه هى الفطرة، فالعمل لله، والاتجاه لله، لأنه هو الذى أمر بها، وأنا أطيع الأمر، ولكن عائدها لمن؟ للإنسان العامل.

وكل عطاء تعطيه لغير الله فعائدته تعود إليه إلا عطاء الله فعائدته عائدة إليك وإلا فما الداعى لأن تؤخر فردًا كتب الله له ميراثًا، فما دام الله كتب له ذلك، فهو أقرب لها من غيره.

والإنسان لا يمكن أن يوصى إلا بثلث ماله. وأما الثلثان فهو حق الله يتصرف فيه بقوانين التوريث كما أراد.

والله تعالى يقول:

﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾[1].

فأنا لا أترك ثروتى لمن أحب، ولكن أتركها لمن أحب الله. وما دام الإنسان قد دخل دنياه وليس معه شىء، فالله يخرجه منها أيضًا وليس معه شىء. وليس له أن يتصرف إلا فى الثلث، ويترك الباقى لأصحاب الحقوق.

كما يجب أن يكون الثلث الذى تتصرف فيه لغير الورثة. فإن كان لأحد من الورثة، فلابد من موافقة جميع الورثة.

[٢٠٨]

أنواع الصيام، والميت عليه صوم

س: ما هى أنواع الصيام؟ وحكم من مات وعليه صوم؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: أنواع الصيام:

---

(١) سورة النساء: ١١ .

١- صيام الفرض. ٢- صيام القضاء.
٣- صيام النذر. ٤- صيام الكفارات.
٥- صيام التطوع.

وهذه نبذة مختصرة عن كل نوع من هذه الأنواع:

١- صيام الفرض:

وهو صيام رمضان، وقد ثبتت فرضيته بالكتاب والسنة والإجماع.

٢- صيام القضاء:

وهو الصيام الذى يجب أداؤه بسبب الإفطار فى رمضان بعذر كالسفر والمرض، قال تعالى:

﴿ **فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ** ﴾[1].

٣- صيام النذر:

وهو الصيام الذى يفرضه المسلم على نفسه تقربًا لله، ويجب على الوجه الذى نذره به، فمن نذر صيام يوم أو أيام معينة، وجب صيام هذا اليوم أو هذه الأيام المعينة، وإن أطلق وجب على الإطلاق، وهذا الصوم واجب ضمن الأمر بالوفاء بالنذر، قال تعالى: ﴿ **وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ** ﴾[2].

٤- صيام الكفارة:

ويلزم فى الأمور الآتية:

(أ) الإفطار عمدًا فى رمضان لغير عذر عند بعض الأئمة.

(ب) الجماع فى نهار رمضان عامداً.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٤.
راجع تفسير الطبرى (٣/ ٤٣٤) والدر المنثور للسيوطى (١/ ١٧٧).
(٢) سورة الحج: ٢٩.
راجع تفسير القرطبى (١٢/ ٤٩) وجامع البيان للطبرى (١٧/ ١٠٩) والدر المنثور للسيوطى (٤/ ٣٥٨) والتفسير الكبير (٢٣/ ٣٠).

(جـ) ارتكاب بعض المحظورات فى فتـرة الإحرام، وعدم قدرة المتـمتع على تقديم هدى.

(د) القتل الخطأ وما فى حكمه.

(هـ) الحنث فى اليمين.

(و) الظهار.

٥- صيام التطوع:

هو الصيام الذى يؤديه المسلم تقربًا لله ومستحبًا فى:

١- يوم عرفة لغير الحاج.

٢- يوم عاشوراء وكذلك يوم التاسع أى يومى ٩، ١٠ محرم.

٣- ستة أيام من شوال.

٤- الأيام البيض من كل شهر عربى (١٣ و١٤ و١٥).

٥- يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع.

٦- الصـوم من الأشهـر الحـرم: وهى ذو القعـدة، وذو الحـجة، والمحـرم ورجب.

٧- صوم تسع من ذى الحجة أى من اليوم الأول إلى التاسع من ذى الحجة.

٨- صوم شعبان كله أو أكثره.

ويكون مكروهًا فى:

١- يوم الجمعة إذا أفرد بالصيام.

٢- يوم السبت كذلك.

٣- صوم الدهر كله.

ويكون محرمًا فى:

١- يومى العيدين أى أول عيد الفطر، وأول عيد الأضحى.

٢- يوم الشك وهو يوم الثـلاثين من شـعبـان إذا ترددت على الألسنة رؤية الهلال، ولـم تثبت، إلا أن يوافق عادة له، أو كان قضاء عن رمضان.

٣- أيام التشريق الثلاثة وهى: اليوم الحادى عشر والثانى عشر. والثالث عشر من ذى الحجة.

٤- صوم المرأة تطوعًا وزوجها مقيم معها ومن غير إذنه.

أما حكم الميت وعليه صوم:

فمن أفطر لعذر وتمكن من القضاء، ولم يقض أو أفطر لغير عذر ومات، ولم يقض طعم عنه من له التصرف فى ماله عن كل يوم مسكينًا، أو إخراج القيمة نقدًا.

من أفطر بسبب مرضه الذى يعوقه عن الصيام، ثم مات قبل زواله لا يلزمه قضاء، ولا وصية بالفدية؛ لأنه لم يدرك عدة أيام أخر وهذا مجمع عليه.

استحباب صوم ستة أيام من شوال:

أجاز العلماء إدماج النية فى العبادات، ومنها الصوم بقصد المزيد من الثواب وحب الله؛ فالنافلة تجيز الفريضة، فأجازوا صوم ستة أيام من شوال متفرقة أو متتابعة.

فإذا عزم المسلم صوم ستة أيام من شوال متتابعة، فتخير الأيام من يوم العاشر حتى الخامس عشر من شوال، أو الثالث عشر حتى الثامن عشر من شوال، تنال ثوابًا متعددًا لأنك تكون قد أصبت أكثر من صوم مؤكد عن سيدنا رسول الله -ﷺ- وآله.

[٢٠٩]

صوم المتطوع

فيما رواه أحمد أنه -ﷺ- سألته حفصة: أنى أصبحت أنا وعائشة صائمتين متطوعتين، فأهدى لنا طعام فأفطرنا عليه، فقال -ﷺ-: «**اقضيا مكانه يومًا**»(١).

ولا ينافى هذا قوله: «**الصائم المتطوع أمير نفسه**»(٢).

(١) أخرجه الإمام مالك فى الموطأ (١/٣٠٦) والترمذى (٢/١١٩) وأحمد فى المسند (٦/٢٤١).

(٢) الترمذى (٢/١١٨) وأحمد (٦/٤٢٤، ٤٣١) وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/٧٩/٥١٢٢) عن أم هانئ.

فإن القضاء أفضل.

[٢١٠]

صوم ما بعد رمضان

س: أى شهر من شهور العام يفضل أن يصومه الإنسان بعد شهر رمضان؟

(جـ): سأل رجل رسول الله -ﷺ- فقال: أى شهر تأمرنى أن أصوم بعد رمضان؟ فقال: «إن كنت صائمًا بعد رمضان فصم المحرم، فإنه شهر فيه تاب الله على قوم، ويتوب فيه على قوم آخرين»[١].

[٢١١]

صوم الدهر؟

س: منذ طفولتى لا أحب الطعام إلا قليلاً منه يكفينى، وإن ذلك يجعل عبادة الصوم عندى سهلة يسيرة، فهل يجزينى صوم الدهر، وهل ورد فى الأثر من السلف الصالح من صام الدهر كله؟

(جـ): سئل -ﷺ-: فقيل: يا رسول الله، كيف بمن يصوم الدهر. قال: «لا صام ولا أفطر»[٢] أو قال: «لم يصم ولم يفطر». قال: كيف بمن يصوم يومين ويفطر يومًا؟ قال: «أو يطيق ذلك أحد؟» قال: كيف بمن يصوم يومًا ويفطر يومين؟ قال: «وددت أنى طوقت ذلك». ثم قال -ﷺ-: «ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان، هذا صيام الدهر كله، صيام يوم عرفة، احتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله، والسنة التى بعده، وصيام يوم عاشوراء احتسب أن يكفر السنة التى بعده»[٣].

[٢١٢]

الصوم لى

س: الصوم لى... فلماذا؟

---

(١) المسند.

(٢) أحمد فى المسند (٤/ ٢٥) و(٥/ ٢٩٧) و(٣١١).

(٣) مسلم: (٨١٩).

(جـ): لأن الإنسان قد يفطر بينه وبينه نفسه، ولكنه أمام الناس يبدو صائمًا، لذلك فهو عمل خاص، يطلع عليه الله سبحانه وتعالى، ويباشره بنفسه دون سواه.

[٢١٣]

صوم غير خالص

الصوم من أرقى العبادات، حيث كرمه الحق تبارك وتعالى؛ فجعله لنفسه، وهو يجزى به، وكما نعلم أن الصوم كان مكتوبًا على الأمم السابقة لقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾(١)، وهذا يوضح ويجلى لنا أهميته كعبادة حقة لله تعالى جل شأنه، ومن ثم لابد أن يكون حرصنا على صفاء هذه العبادة، وأن تكون خالصة لوجه الله أمرًا ضروريًا له أهميته البالغة.

س: فكيف يعرف المؤمن، ومن يدريه أن صومه خالص، وكيف يعرف أن صومه غير خالص؟؟

(جـ): يجيب فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى عن هذا بقوله:

الحكمة فى كل أمر تكليفى لم آمن به علته الأمر... فالمسلم يفعل كذا؛ لأن الله قال له: افعل، ولا تفعل كذا، لأنه قال له: لا تفعل كذا... وهل حكمة الأمر عند المأمور به، أم عند الآمر، هل يعلم الطفل الحكمة فى جرعة الدواء المرة حين تشفيه من مرضه؟ إنما الطبيب الذى وصفها له هو الذى يعلم الحكمة فيها ومنها.

والمسلم يصوم؛ لأن الله قال له: صم. وحذار من تعليق الحكم على علته... والذى يصوم لأن صومه يشفيه من علته نقول له: صومك ليس عبادة.. وليس ناشئًا عن إيمان، إنما ذلك صومٌ، إيمانًا بعلة الصوم، وليس بالصوم نفسه، إذن فالأصل فى المؤمن أن يقبل الأمر من الله، دون علة الأمر، ولا يعلق علمه على هذه العلة؛ حتى تكون عبادته خالصة، وصومه خالصًا لوجه الله تعالى.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٣ .

[٢١٤]

أيامًا معــدودات

س: مـا هى حكمة مـشروعـية الصـوم بالأيام المعدودات، ومـا هو المقصـود بالأيام المعدودات؟

(جـ): الصوم بالأيام المعدودات يوم عـاشوراء.. ثلاثة أيام من كل شهر.. إلخ.. وتلك الأيام المعدودة هى التى شرع الله فيها أن نصوم، إلا إذا كان الإنسان مريضًا أو مسافرًا، فعليـه عدة من أيام أخر، وهو مخير فى تلك الأيام المعدودة إن كان مطيقًا للصوم أن يصوم أو يفتدى.. يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

أما حين شرع الله الصـوم فى رمضان.. فلم يتأت فيه ذلك الاخـتيار بدليل كلمة يطيقونه، لم تأت فى قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾(٢).

وعلى ذلك فالصوم فى الإسلام كان على مرحلتين:

المرحلة الأولى: هى أن الله سبحانه وتعالى شرع صيام أيام معدودة فمن كان غير مريض، وهو مقيم فعليه أن يصوم، وإن كان الصوم خيرًا له.

المرحلة الثانية: أما حين شرع الصوم فى زمن محـدد بشهر رمضان فلم تكن فيـه هذه الرخصة.. بدليل أن آية: «يطيـقونه» هناك جاءت فى أيام مـعدودة، ولما تأت فى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن، فـمن شهد منكم الشهر فليصمه، ثم استثنى المريض والمسافر والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة البقرة: ١٨٣، ١٨٤.

(٢) سورة البقرة: ١٨٥.

[٢١٥]

المستحب والمباح للصائم

س: ما المستحب والمباح للصائم؟ وما حكم من صام ولم يصل؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: الأمور التى يستحب للصائم أن يفعلها فى رمضان؟

١- السحـور وكلما تأخر كـان أفضل، قال الحـبيب المصطفى: «**تسحـروا فإن فى السحور بركة**».

٢- كف اللسان عن فضول الكلام.

٣- الإكثار من الصدقة والإحسان إلى الأقارب خاصة.

٤- تلاوة القرآن ومدارسته والإكثار من الذكر.

٥- تعجيل الفطر بعد تحقيق الغروب، وقبل أداء صلاة المغرب.

٦- الدعـاء المأثور عن النبى: «**اللهم لك صـمت، وعلى رزقـك أفطرت، وعليك توكلت، وبك آمنت، ذهب الظمـأ وابتلت العروق وثبت الأجر بإذن الله اغـفر لى يا رب العالمين، الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت**».

٧- الاعتكاف فى العـشر الأواخر من رمضـان ولو لأقل من ساعة فى المسـجد أو أداء صلاة العشاء أو الفجر بالمسجد أو صلاة التراويح جماعة أو منفرداً.

[٢١٦]

مكروهـات الصيــام

١- القبلة ودواعى الوطء من معانقة، ولمس ونظر، إذا كان ذلك يحرك شهوته.

٢- المشاتمة والتقاذف والتنابز بالألقاب.

٣- المضمضة والاستنشاق لغير الحاجة.

ثانيًا: ما يباح للصائم:

الحقنة فى العرق -أو تحت الجلد لا تفطر إذا قصد بهـا العلاج- أما إذا قصد بها التـغذية أو الإسكار أو التخدير فـيفطر بها الصـائم بالطبع -خلافًا لابن تيمـية الذى أجاز الحقنة فى العرق- أو تحت الجلد مطلقًا.

وأيضًا لا يكون مفطرًا كل ما وصل إلى الجوف من منفذ غير أصلى - كالكحل فى العين ومسها والتقطير فيها، أو فى الأذن. وكدهان الجروح المتصلة بالجوف ولبوس أقماع البواسير أو الدهان بمراهمها وزيت الشعر والحناء- حتى وصل طعمها إلى الحلق لأنه وصل عن طريق المسام لا عن طريق منفذ أصلى.

وقد روى عن عائشة -رضي الله عنها- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- اكتحل فى رمضان وهو صائم.

ومثل هذا يقال القىء الذى يغلب الصائم -فإنه لا يفطر به؛ لأنه يتعمده- أما إذا تعمد الصائم القىء فإنه يفطر به وقد روى فى هذا -عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: **«من ذرعه القىء فليس عليه قضاء ومن استقاء عمدًا فليقض»**[1].

ثالثًا: حكم من صام ولم يصل:

من المعلوم أنه يجب على كل مسلم أن يؤدى جميع الفرائض التى فرضها الله عليه حتى يصل إلى تمام الرضا من الله والرحمة منه وحتى يكون قربه من الله وزيادة ثوابه وقبوله أوفر ممن يؤدى بعضها ويترك البعض الآخر، وتكون صلته بالله أوثق إلا أنه لا ارتباط بين إسقاط الفرائض التى يؤديها والفرائض التى يتهاون فى أدائها، فلكل ثوابه، ولكل عقابه.

فمن صام ولم يصل سقط عنه فرض الصوم ولا يعاقبه الله عليه، كما أن عليه وزر ترك الصلاة يلقى جزاءه عند الله.

ومما لا شك فيه أن ثواب الصائم المؤدى لجميع الفرائض، والملتزم لحدود الله أفضل من ثواب غيره. فالأول يسقط الفروض، ويرجى له الثواب الأوفى لحسن صلته بالله. والثانى لا ينال من صيامه إلا إسقاط الفرض، وليس له ثواب آخر إلا من رحمة الله.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين»** أى: المكثرين.

وقال -صلى الله عليه وسلم-: **«من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا، سهل الله له طريقًا إلى الجنة، وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم إلا**

(١) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٢٦/ ٨٦٧٣) وحسنه.

نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[١].

[٢١٧]

قبلة الصائم..!!

سأله -ﷺ- عمر بن أبى سلمة[٢]: أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله -ﷺ-: «**سل هذه**» لأم سلمة[٣] فأخبرته أن رسول الله -ﷺ- يفعل ذلك، قال: يا رسول الله، قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال -ﷺ-: «**إنى لأتقاكم لله وأخشاكم لله**»[٤]، ذكره مسلم، وذكر أحمد أن شابًا سأله فقال: أقبل وأنا صائم؟ قال: «**لا**»، وسأله شيخ: أأقبل وأنا صائم؟ قال: «**نعم**» ثم قال: «**إن الشيخ يملك نفسه**»[٥].

[٢١٨]

جماع الرجل زوجته وهو صائم

سأله -ﷺ- رجل فقال: هلكت، وقعت على امرأتى وأنا صائم، فقال رسول الله -ﷺ-: «**هل تجد رقبة تعتقها؟**» قال: لا، قال: «**فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟**» قال: لا، قال: «**فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟**» قال: لا، قال: «**اجلس**»، فبينما نحن على ذلك، إذ أتى النبى -ﷺ- بفرق فيه تمر (والفرق هو المكتل الضخم).

فقال: «**أين السائل؟**» قال أنا، فقال: «**خذ هذا فتصدق به**» فقال الرجل: أعلى أفقر منى، يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها -يريد الحرتين- أهل بيت أفقر

---

(١) مسلم (٢٦٩٩).

(٢) هو عمر بن أبى سلمة بن عبد الأسد المخزومى، ربيب النبى -ﷺ-، صحابى صغير، ابن أم سلمة، عين أميرًا على البحرين، مات سنة ثمان وثمانين.

(٣) هى أم سلمة: أم المؤمنين: هند بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، قيل: ماتت سنة اثنتين وستين على أرجح الأقوال.

(٤) صحيح مسلم (٧٧٩).

(٥) فمناط الإباحة هو ملك النفس.

من أهل بيتى، فضحك -ﷺ- حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أطعمه أهلك**»(١).

[٢١٩]

يوم الاثنين ويوم الخميس

س: ما فضل صوم يوم الاثنين والخميس، ولما خصهما رسول الله -ﷺ- بالصوم؟

(جـ): سئل -ﷺ- عن صوم يوم الاثنين، فقال: «**ذلك يوم ولدت فيه وفيه أنزل على القرآن**».

وسأله -ﷺ- أسامة، فقال: يا رسول الله، إنك تصوم حتى لا تكاد تفطر، وتفطر حتى لا تكاد تصوم، إلا يومين إن دخلا فى صيامك وإلا صمتهما، قال: «**أى يومين؟**» قال: يوم الاثنين، ويوم الخميس قال: «**ذاك يومان تعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، فأحب أن يعرض عملى وأنا صائم**»(٢).

[٢٢٠]

العشر الأواخر من رمضان

س: ما الحكمة فى أن الاعتكاف فى الأيام العشرة الأخيرة من رمضان (سُنَّة)؟

(جـ): المقصد من ذلك الارتقاء وتصعيد التكليف رغبة فى أن يكون المسلم فى تمام الصفاء، لأن صيام رمضان فيه تدريب الإنسان على الحرمان من أشياء كانت حلالاً، ولأن الأيام العشرة الأخيرة فى رمضان هى سنة للاعتكاف.. ففى ذلك اختيار أن يظل الإنسان فى بيته وبين أهله، واختيار للإنسان أن يخرج من الألفة مع المكان والأهل. ولعل فى ذلك تعويداً للإنسان بأن يخلص أياماً لله، فيخرج إلى المسجد عشرة أيام، ويتدرب على الصفاء الذى يضىء الأعماق عندما

(١) أخرجه الشيخان فى الصحيحين، فهو متفق عليه (البخارى (٣/ ٧٣/ ١٩٣٦)، ومسلم (٧٨٢).

(٢) أخرجه أحمد فى المسند (٥/ ٢٠١).

يتـرك الإنسان أهله ومـاله، وفى هذا تدريب لرحلـة أخرى هى ركن خـامس من أركان الإسلام، وهى الحج، تلك الرحلة التى يترك فـيها الإنسان أهله وبلده وماله وجاهه، ويذهب إلى بيت الله.

وهكذا يصـبح الاعتكاف تدريبًا عـلى التقوى، وإعـدادًا لرحلة الذهاب إلى الكعبة التى يتجه إليهـا كل مؤمن بالقلب، ويزيد بها علم اليقين، وكأنه يراها عين اليقين.

[٢٢١]

المقصـود بالاعتكـاف

س: ما المقصود بالاعتكاف فى العشرة أيام الأخيرة فى رمضان؟

(جـ): عندما نرى الحق سبحـانه وتعالى يقول للنبى -ﷺ-: إن الاعتكاف فى العشرة أيام الأخيرة من رمضان سنة، فهذا ارتقاء وتصعيد للتكليف، ورغبة فى أن يكون المسلم فى تمام الصفـاء، إذ إن رمضان يدرب الإنسان على حرمـان أشياء كانت حلالاً.

ولما كانت العـشرة أيام الأخيـرة فى رمضان هى سنة الاعـتكاف، فللإنسان الخيار فى أن يبقى فى بيته، أو يظل بين أهله، واختيار للإنسان أن يخرج من الألفة مع المكان والأهل... وهذا تدريب للإنسان؛ لـكى يخلص أيامًا لله يتدرب فيـها على الصفاء الروحى، الذى يرقى بالنفس والروح معًا.

۞۞۞

س: هل هذا التدريب يخدم رحلة أو هدفًا معينًا آخرًا؟

(جـ): أجل، إنه تدريب لرحلة أخرى، وهى رحلة الحج إلى بيت الله فمن ثم نرى الاعتكاف تدريب على التقوى؛ لأداء مناسك الحج لبيت الله الحرام.

[٢٢٢]

صوم النذر فرض

س: إنها نذرت أن تـصوم شهـر شعبـان إن نجحت. ولكنهـا لم تصم منه إلا خمسة عشر يومًا، برغم مرور خمسة أعوام؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

يمكنك قضاء بقية أيام النذر فى أى وقت من العام، وإذا كان الصوم المفروض فى شهر رمضان قد أباح الله لنا أن نقضى ما لم نستطع صومه، فكذلك الصوم المنذور.

ويجب أن تعلمى أن صومك بالنذر صار فرضًا، ويصبح له حكم المفروض، وعقاب من لم يؤد النذر، مثل عقاب من لم يؤد الفرض.

[٢٢٣]

من مات وعليه صوم نذر

سألته -ﷺ- امرأة فقالت: إن أمى ماتت وعليها صوم نذر. أفأصوم عنها؟ فقال: «**أرأيت لو كان على أمك دين فقضيته، أكان يؤدى ذلك عنها؟**» قالت: نعم، قال: «**فصومى عن أمك**»[١].

وعند أبى داود أن امرأة ركبت البحر؛ فنذرت إن الله عز وجل نجاها أن تصوم شهرًا، فنجاها الله، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت ابنتها، أو أختها إلى رسول الله -ﷺ-، فأمرها أن تصوم عنها.

[٢٢٤]

حكم من أكل أو شرب ناسيًا فى رمضان

سأله -ﷺ- رجل فقال: يا رسول الله، أكلت وشربت وأنا صائم ناسيًا، فقال: «**أطعمك الله وسقاك**»[٢].

وعند الدارقطنى فيه بإسناد صحيح «**أتم صومك، فإن الله أطعمك وسقاك ولا قضاء عليك**»[٣]، وكان أول يوم فى رمضان.

وسألته -ﷺ- امرأة أكلت معه، فأمسكت، فقال: «**مالك؟**» فقالت: كنت

---

(١) البخارى (٨/ ٢٥٥/ ٦٦٩٩)، ومسلم (٨٠٤).

(٢) سنن أبى داود.

(٣) سنن الدارقطنى (٢/ ١٨٠).

صائـمة فنسـيت، فقـال ذو اليدين: الآن بعـد ما شـبعت! فـقال -ﷺ-: «أتمى صومك، فإنما هو رزق ساقه الله إليك»[١].

[٢٢٥]

من احتلم وهو صائم

س:هل يفطر من احتلم وهو صائم؟

(جـ): لا شيء على من احتلم وهو صائم.

قال -ﷺ- فى الحديث الصحيح:

«رفع القلم عن ثلاثة: المجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم»[٢].

[٢٢٦]

تعويض أيام من رمضان

س: تسأل ن. م. ع. بالمعادى فتقول:

إنهـا شـديدة الضعـف، مما يجعـلها لا تسـتطيع تعـويض صـيـام الأيام التى أفطرتهـا من رمـضان، ومع مـرور السنوات تراكـمت عليـهـا أيام الإفطار التى لم تعوض صيامها، فماذا تفعل إذا هى لم تقدر على التعويض؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

عليك بصيام ما تقـدرين عليه إلى حد الإجهاد فلا تتـابعى الصيام، وتوقفى فترة، ثم عـودى مرة أخرى للصيام، فلو صـمت يومين أو ثلاثة، ثم أفطرت فترة من الزمن، وعـدت إلى الصيـام مرة أخرى، فـيمكنك القـضاء بالتـدريج وبدون إجهاد.

أو يمكنك توزيع أيام إفطارك يومًا أو يومين كل أسبوع، أو كل شهر بحسب مقدرتك إلى أن تنتهى.

---

(١) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٦٧).

(٢) أخـرجه أبو داود (٤/ ٥٥٨/ ٤٣٩٨)، وصـحـحــه السـيـوطى فى الجامــع الصغـيـر (٢/ ٢٧٣/ ٤٤٦٣).

فإن كان ضعفك شديدًا، ولا تتحملين ذلك أيضًا، ورأى طبيب مسلم مؤتمن ذلك، فإن الصيام يكون قد سقط عنك، وتفدى صيامك بإطعام مسكين عن كل يوم أفطرت فيه.

[٢٢٧]

رخصة الإفطار لداعى السفر فى رمضان

س: فى عصرنا الحاضر، هل تجوز رخصة الإفطار للمسافر مع سهولة ويسر المواصلات العصرية التى تقطع مئات الأميال، بل آلاف الكيلو مترات فى وقت وجيز؟

(جـ): لا تقارن سفر الأمس بسفر الآن.

ولكن قارن:

سفر الأمس، بإقامة الأمس، وسفر الآن، بإقامة الآن.

[٢٢٨]

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

س: إذن فما هو المراد بهذه الآية الكريمة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(١).

(جـ): بعض الناس تتعصب للعبادة نقول لهم: التعصب للمعبود يكون قبل التعصب للعبادة.. انظر ماذا يريد أن يقول لك.. قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(٢) تعقيب على أنه أعفى المريض وأعفى المسافر من الصيام.. إن الله يريد بكم اليسر فكأنك لو خالفت ذلك لأردت الله معسرًا وليس ميسرًا.. فعليك أن تلتزم بالآية: ﴿فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ وعليك أن تلتزم بالتيسير الذى شرعه الله لك.. لماذا..؟ لأنك لو جنحت إلى ذلك لجعلت الحكم فى نطاق التعسير.

(١)، (٢) سورة البقرة: ١٨٥.

[٢٢٩]

الجهر بالإفطار فى رمضان

س: ما حكم الجهر بالإفطار فى نهار رمضان؟

(جـ): يعزر.

والتعزير هو التأديب بالضرب، أو الشتم، أو المقاطعة أو النفى.

وحكم التعزير واجب فى كل معصية لم يضع الشارع لها حدًا، ولا كفارة، وذلك كالسرقة التى لم تبلغ نصاب القطع، أو كلمس الأجنبية، تقبيلها، أو سب المسلم بغير لفظ القذف، أو ضربه بغير جرح، أو كسر عضو مثلاً.

وأحكام التعزير أنه إن كان ضربًا ألا يتجاوز عشر ضربات بالسوط، لقوله -ﷺ-: «**لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط، إلا فى حد من حدود الله تعالى**»[١]. متفق عليه.

وأن يجتهد السلطان فى التعزير، ويجد فى أن يضع لكل حال ما يناسبها، فإن كان الشتم يكفى لردع المذنب كفى، وإن كان حبس يوم وليلة كفيلاً بالتأديب.

[٢٣٠]

تصفيد الشياطين فى رمضان

يقول سيدنا رسول الله -ﷺ-: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين**»[٢] صدق رسول الله.

وتصفيد الشياطين أى: تقييدها فتصبح مشلولة عن الحركة وممارسة أى نشاط يعرقل انتشار الخير أو أسبابه بين بنى البشر.

وإنما نجد الكثيرين يصادفوننا فى رمضان بادية عليهم ظاهرة فيهم لمسات

---

(١) البخارى (٨/ ٣١٠/ ٦٨٤٨) ومسلم (١٣٣٢).

(٢) أخرجه البخارى (٣/ ٦٠/ ١٨٩٨) ومسلم (٧٥٨) والترمذى والنسائى (٤/ ١٢٧) وابن ماجة فى الصيام والإمام أحمد فى المسند (٢/ ٢٣٠) و(٢٨١) و(٢٩٢) و(٣٥٧) و(٣٧٨) و(٣٨٥) و(٤٠١) و(٤٢٥) و(٣/ ٢٣٦) و(٤/ ٣١١، ٣١٢) و(٥/ ٤١١).

الشياطين، ونزوات الجن فنحن نلتقى بالكاذب، والكذوب والغشاشين، والأفاكين والمفطرين الشهر جهاراً، وهذه كلها أمارات الحيوية الشياطينية فى داخلهم.

س: فكيف إذن تصفد الشياطين وتقيد فى رمضان مع هذه المشاهد اليومية؟

ويفسر بعض الفقهاء ذلك المسلك أو هذه المشاهد بأن هناك نوعًا معينًا من الشياطين هو الذى يصفد، أما الآخر فلا يصفد.

ويقول فريق آخر: إن المقصود فى الحديث أن جميع الشياطين تصفد فعلاً، إنما من يأتى الفواحش فقد أصبح كالشياطين وأمثاله لا يحتاجون إلى شيطان ليوسوس لهم حتى يجترحوا السيئات، وينتهكوا الحرمات.

إلا أن مولانا صاحب الفضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى يقول:

(جـ): هناك نوعان من الكلام: كلام خبرى يقص عن واقع، وكلام آخر خبرى يريد إنشاء واقع، فمثلاً قوله تعالى عن البيت الحرام: ﴿**وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا**﴾[1] فإذا كان المقصود به إخباراً من الله بذلك الواقع فكان لا يمكن أن يحدث فى كون الله ما يناقض ذلك، أما إذا كان المقصود منه إنشاء واقع أن يكون أمرًا من الله تعالى للناس أن يجعلوه أمنًا، وبالتالى فقد نجد فى الواقع ما يغاير ذلك وهذا راجع إلى أن الناس لم تمتثل للأمر.

كذلك إذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿**الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ**﴾[2] فإن واقع الأمر يناقض ذلك، فنرى طيبين لغير طيبات، والعكس. فإذا استمعت كلام الله تعالى، وأطعناه جعل الطيبين للطيبات، وإن لم نستطع يكون العكس.

وبتطبيق ذلك على تصفيد الشياطين فى الحديث نجد أنه كلام يراد به إنشاء واقع، فيقصد أن يقول: صفدوا فيه الشياطين، فإن أطعنا صفدت، وإن لم نطع لم تصفد، ونحن مأمورون بإنشاء هذا الواقع.

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧ .
آمنا: مأمونًا فيه، وهو اسم فاعل أريد به المفعول.
راجع تفسير الطبرى (٧/ ٤٨).

(٢) سورة النور: ٢٦ .

[٢٣١]

حكم النيابة والقضاء فى العبادات

س: ما حكم النيابة والقضاء فى العبادات؟ والوضع الصحيح فى الصلاة وحكم الفاتحة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: حكم النيابة والقضاء فى العبادات:

المراد بالنيابة ما كانت فى حال الحياة، فلا يجوز لإنسان أن ينيب غيره؛ ليؤدى الصلاة عنه، لأنها عبادة بدنية والعجز عن أدائها بعيد؛ لأنها تؤدى بأية كيفية مستطاعة من قيام أو قعود، أو اضطجاع، أو إيماء بالرأس، أو العين، أو بجريانها على القلب. وكذلك الصوم عبادة بدنية لا ينوب فيها أحد عن أحد، فمن لم يستطع أفطر، وقضى عند الاستطاعة، أو أخرج فدية إن لم توجد فرصة للاستطاعة كالعجوز، والمريض مرضًا لا يرجى شفاؤه على تفاصيل موجودة فى كتب الفقه.

أما الزكاة فتجوز النيابة فى إخراجها من مال المزكى؛ لأنها عبادة مالية يتحقق الغرض منها بوصول الزكاة إلى من يستحقها بأية وسيلة تكون. والحج عبادة بدنية ومالية معًا، تجوز الإنابة فيه لمن عجز ببدنه واستطاع بماله.

فقد ثبت أن امرأة من خثعم قالت للنبى -ﷺ-: إن فريضة الله على عباده فى الحج أدركت أبى شيخًا كبيرًا لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: «**نعم**».

والمراد بالقضاء ما كان بعد الوفاة: فمن مات وعليه صلاة لم يؤدها، لا يجوز لأحد يصلى عنه، لأنها كما سبق عبادة بدنية لم يرد عن النبى -ﷺ- نص يجيز قضاءها عن الميت.

ومن مات وعليه زكاة لم يخرجها، وجب إخراجها من تركته قبل تقسيم الأنصباء على الورثة، لأنها دين يقدم مع الوصية على التوارث لقوله تعالى: ﴿**مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ**﴾(١). والحج إذا وجب على المستطيع، ومات ولم

---

(١) سورة النساء: ١١ .

يحج وجب على غيره أن يحج عنه لورود الحديث الصحيح بذلك، فقد قالت امرأة من جهينة للنبى -ﷺ-: إن أمى نذرت الحج، ولم تحج حتى ماتت فهل أحج عنها؟ فقال: «**نعم، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته؟ اقضوا فدين الله أحق بالوفاء**»(١).

هذا فى القضاء، أما من أراد أن يقدم قربة يستفيد بها الميت، فليكن ذلك بالدعاء والاستغفار والصدقة بنية أن يكون الثواب للميت، وكذلك بقراءة القرآن عند بعض الأئمة، وبالحج أيضًا ليهب ثوابه إليه.

ثانيًا: الوضع الصحيح فى الصلاة:

ينبغى للمصلى إذا فرغ من الوضوء، والطهارة من الخبث فى البدن والمكان والثوب، وستر العورة من السرة إلى الركبة أن ينتصب قائمًا متوجهًا إلى القبلة، ويزواج بين قدميه ولا يضمهما. فإن ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل.

وقد نهى الرسول -ﷺ- عن الصفن والصفد فى الصلاة.

والصفن هو: رفع إحدى الرجلين.. ومنه وقوله تعالى: ﴿**الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ**﴾(٢).

والصفد هو: اقتران القدمين معًا، ومنه قوله تعالى: ﴿**مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ**﴾(٣) ويراعى فى ركبتيه الانتصاب. وأما رأسه إن شاء تركه على استواء القيام. وإن شاء أطرق. والإطراق أقرب للخشوع، وأغض للبصر، وليكن بصره محصورًا على مصلاه الذى يصلى عليه، فإن لم يكن له مصلى؛ فليقرب من جدار الحائط. أو ليخط خطًا. فإن ذلك يقصر مسافة البصر. ويمنع تفرق الفكر.

وليدم على هذا القيام كذلك الركوع من غير التفات.

---

(١) تقدم هذا الحديث.

(٢) سورة ص: ٣١ .

الصافنات الجياد: الخيل، ويقال هى القائمة على ثلاث قوائم. وقيل: أن الصافن فى لغة العرب هو الواقف من الخيل وغيرها.

انظر القرطبى (١٥/ ١٩٣) والطبرى (٢٣/ ٩٨) والدر المنثور (٥/ ٢٠٩).

(٣) سورة إبراهيم: ٤٩ .

والأصفاد هى الأغلال.

القرطبى والطبرى (١٣/ ١٦٧).

ثالثًا: حكمة الفاتحة فى الصلوات:

بدأت كل ركعة من ركعات الفرض أو النفل: بالفاتحة، لأنها تشتمل على مجمل ما فى القرآن الكريم: بطريق الإيجاز أو الإشارة، حيث تتضمن: بيان التوحيد، وبيان الوعد والبشرى للمؤمن، وبيان الوعيد للمسيء وبيان العبادة، وبيان طريق السعادة فى الدنيا والآخرة، وقصص الذين أطاعوا الله: ففازوا، وقصص الذين عصوه: فخابوا.

هذا بالإضافة إلى أن قراءتها فى كل ركعة: تعتبر ركنًا قوليًا عند الشافعية:

فعن عبادة بن الصامت أن النبى -ﷺ- قال: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[1].

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن** (وفى رواية: «بفاتحة الكتاب»)، **فهى خداج** (أى ناقصة نقص بطلان) **هى خداج غير تام**»[2] رواه أحمد والشيخان.

وعنه قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**لا تجزئ صلاة لا يقرأ فيها بفاتحة الكتاب**» رواه ابن خزيمة وابن حبان وأبو حاتم.

وبهذا تظهر الحكمة فى تخصيص الفاتحة بالقراءة فى جميع الركعات دون غيرها من سور القرآن الكريم.

[٢٣٢]

صلاة القيام

س: ما حكم صلاة القيام (التراويح)؟؟

(جـ): حكم صلاة القيام أو التراويح:

١- هى سنة مؤكدة للرجال والنساء على السواء فى جميع ليالى رمضان، وتسن فيها الجماعة.

---

(١) رواه الجماعة.

(٢) المسند (٢/ ٢٥٠) و(٢٨٥) و(٤٨٧) و(٦/ ١٤٢) و(٢٧٥) والبخارى (١/ ٢٠٣/ ٧٥٦) ومسلم (٢٩٥) وأبو داود (١/ ٥١٤/ ٨٢٢).

٢- يجوز أن تصلى فى المنزل، وصلاتها فى المسجد أفضل.
٣- وقتها من بعد صلاة العشاء، حتى طلوع الفجر.
٤- عدد ركعاتها ثمان ركعات، أو عشرون ركعة بقراءة خفيفة بخلاف ركعتى الشفع، وركعة الوتر.

ومعنى الاعتكاف. الإقامة الكاملة فى المسجد، وعدم الخروج منه مدة معينة، على نية التقرب لله عز وجل، وهو سنة حين يتطوع به المسلم من تلقاء نفسه، وتتأكد سنيته فى العشر الأخير من رمضان، فإذا نذره المسلم، كان واجبًا عليه أن يؤديه.

وليس للاعتكاف وقت محدد، فمتى مكث الإنسان فى المسجد مدة بنية الاعتكاف، كان معتكفًا، فإذا خرج، فله أن يجدد النية.

[٢٢٣]

ليلة القدر

س: مسألة يرددها البعض: هل رأى رسول الله -ﷺ- ليلة القدر؟ وهل رآها أحد من الصالحين على حقيقتها؟

(جـ): يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى:

قالوا: إن أحدًا من خلق الله لم ير ليلة القدر إلا رسول الله -ﷺ-، وتلك من الخصوصيات التى خص الله بها رسوله، بعد ذلك رآها بعض الناس، والذين رأوها قالوا لرسول الله رأوها رؤيا منامية كما قال: «رأيت كأنى أسجد فى ماء وفيض، فلما أصبح صباح ليلة الثالث والعشرين، وجدوا المسجد طول الليل: السماء أمطرت، وسجد رسول الله حتى بان ذلك فى جبهته وفى يديه، ومن هنا نعلم أن ليلة القدر كانت فى ذلك العام فى تلك الليلة».

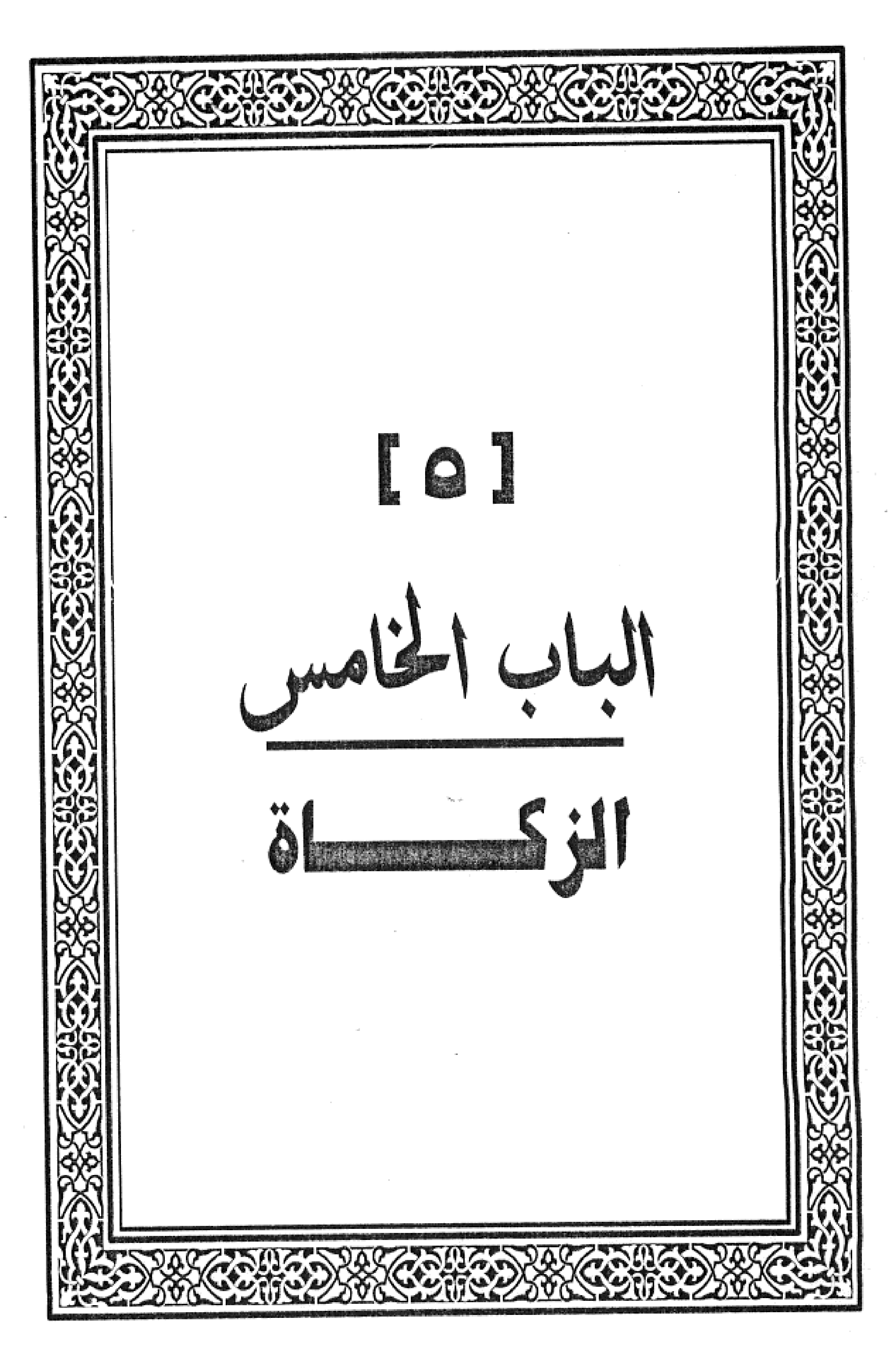
حديث آخر ثبت عن رسول الله -ﷺ-: وهو أنه خرج -ﷺ- على أصحابه، وهم فى المسجد، فوجد قومًا يتشاحنون فقال: «كنت جئتكم لأخبركم بليلة القدر، ألا وإنه قد تلاحى فلان وفلان -وعينهما- فرفعت، التمسوها فى العشر الأواخر» ولو أنها رفعت على مدلول من قال: لما التمسناها فى العشر الأواخر، وإنما الذى رفع هو تحديدها فى ليلة خاصة.

ولكن الأحاديث التى قالت: «التمسوها فى السابع والعشرين» قالوا: هذه

الأحاديث لابد أن يكون كل حديث منها واردًا فى سنة، فهو فى تلك السنة: التمسوها فى ليلة كذا، وفى السنة الأخرى: التمسوها فى ليلة كذا، وبذلك نعلم أن تعدد الروايات، إنما هو لتعدد السنوات، وليس تعدد كل الروايات فى سنة واحدة.

بعد ذلك جاء صحابة رسول الله -ﷺ-، وأخبر جمع منهم أنهم رأوها فى السبع الأواخر، يعنى أن واحدًا رآها فى كذا، وواحدًا رآها فى كذا، المجموع أنهم رأوها فى السبع الأواخر، فقال رسول الله -ﷺ-: أرى رؤياكم، فقد تواطأت - أى اتفقت- التمسوها فى السبع الأواخر... أى فى ذلك العام. فكل ما ورد من تحديد ليلة من لياليها فى وقت من الأوقات، فإنما كانت فى تلك الليلة.

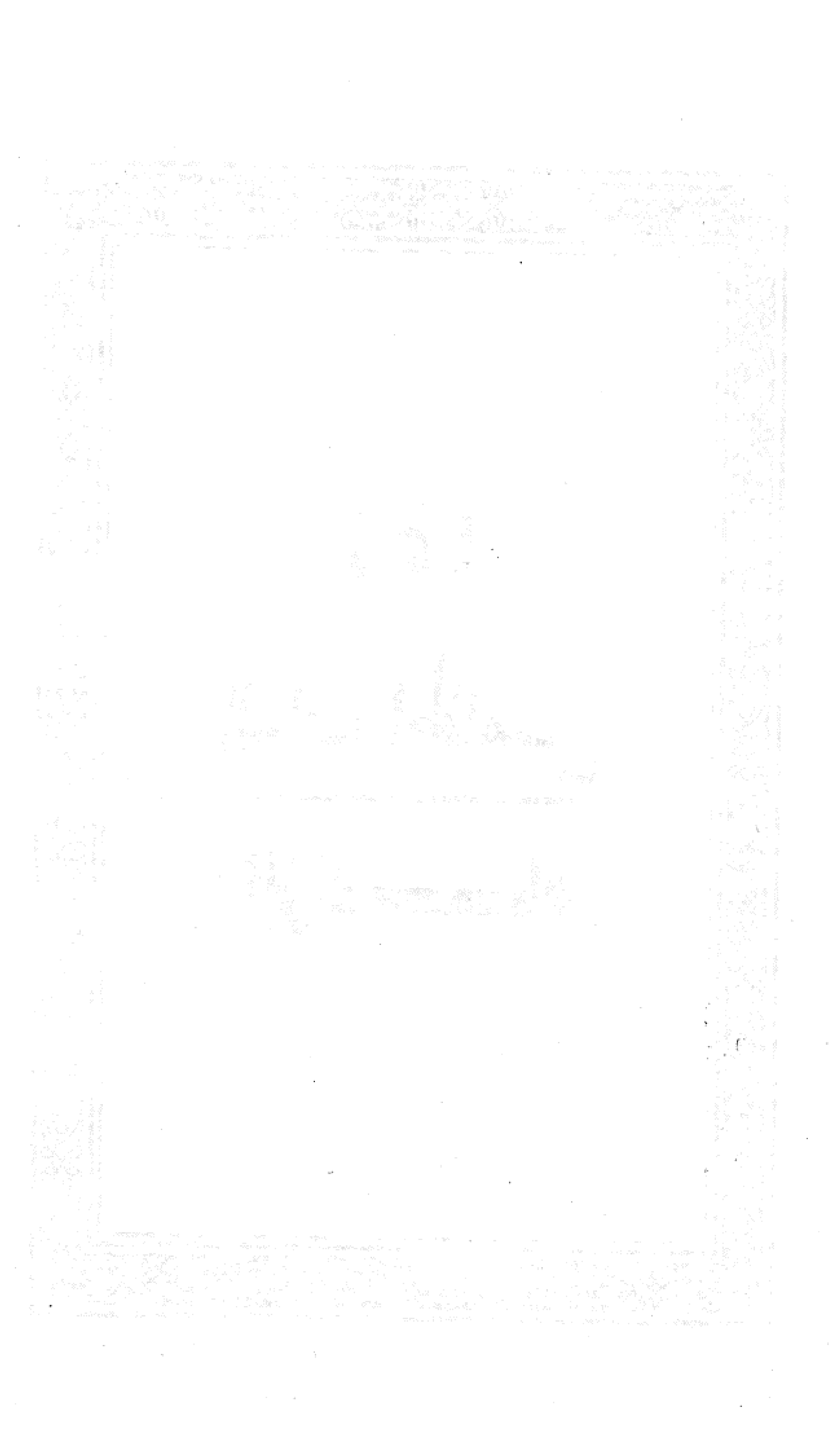
وبعض الناس قالوا: وتنتقل فى كل السنة.



[٥]

الباب الخامس

الزكــــاة



[٢٣٤]

الزكـاة كيـف كانـت نمـاءً؟

س: كيف كانت الزكاة -وهى عطاء- نماء، مع أن العطاء ينقص المعطى منه. وكيف تكون تطهيرًا؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

الزكـاة تطهيـر ونماء.. لأن المزكى عليـه، وهو ضعـيف، ينظر إلى من هو أقوى منه بما قد يحـرك فى نفسه قوى الغيرة والحـقد والكراهية والغل. لكنه حين يرى إنسانًا أنعم الله عـليه، ثم يمد العون إلى مـثله بما أنعم.. يقول: النعـمة عند هذا الإنسان نفعتنى، وبهذا يطهر قلبه من الحقد والغل.

والزكاة أيضًا نماء؛ لأن المعطى حين يعطيه مالاً تعطيـه حركته فى الحياة بهذا المال.. وكذلك تدله على أنه فى مـجتمع إيمانى متكافئ، وأنه لا يستـقبل أحداث الحياة وحده، إنما إخوانه المؤمنون من حوله.

إذن فهو لا يبالى بأحداث الحـياة ما دام هناك أناس تربطهم به أخوة إيمانية، الخيـر عندهم متـعد إليـه، فيـتم بذلك النماء لرجـولته، والنمـاء لقوته، والـنماء لشخصيته.

أما إذا انقـبض الناس عنه فسيرى أنه يواجه الحـياة وحده، وهو أعـزل فلا يتحقق له النماء المشار إليه... ولا النماء فى أمله فى الحياة.

[٢٣٥]

الزكاة دين واجب

س: من مات وعليه زكاة وجبت لأنها دين واجب؟

(جـ): ومن مات وعليه زكاة وجبت فى ماله وتقدم على الدائنين، والورثة، والوصية. لقـوله تعالى فى المواريث: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّـةٍ يُوصِـينَ بِـهَا أَوْ دَيْنٍ﴾(١) والزكاة دين قائم لله تعالى.

---

(١) سورة النساء: ١٢.

[٢٣٦]

السائل ولو على ظهر فرس

سأل أحد الإخوة المسلمين فضيلة الشيخ الشعراوى:

س: ما الحكم فى السائل الذى أعلم جيداً أنه غير محتاج إلى السؤال، وإنما يتكفف ويسأل الناس، هل أعطيه أم أمنعه؟

(جـ): أجاب فضيلة الإمام الجليل:

(السائل ولو على ظهر فرس)[١]. وطالما قبل المسألة، فلك ولا عليك شىء إذا أنت أعطيته، فإن الجزاء لك على النية وعلى العطاء.

وكان رسول الله -ﷺ- لا يرد سائلاً..

[٢٣٧]

ما نقص مال من صدقة

س: يقول -ﷺ-: «ما نقص مال من صدقة» فكيف يكون ذلك؟

(جـ): مثلما تزداد البئر عمقًا كلما أخذت منها.

[٢٣٨]

مصارف الزكاة الثمانية

س: ما هى مصارف الزكاة الثمانية؟

---

(١) عليك أن تعطى السائل لتحوز الأجر على الإعطاء، مع أن الإسلام حين أمر بإعطائه، نهاه أن يأخذ، لأنه ينهى عن التسول... فأنت مأمور بالإعطاء، وهو مأمور بالتعفف، وليس هناك مساغ بحال للقول بأن هناك تعارضًا، وإنما هى شبهة ولا ظل لها فى الحقيقة... فإنك مأمور أن تعطيه بقدر مستطاعك وقدرتك؛ حتى يظل جانب الخير فى دخيلتك متحفزًا يقظًا مشحوذًا.
والمحتاج عليه أن يتعفف بأن يمتنع عن الأخذ ما لم يكن مضطرًا، فإن كان الاضطرار شديدًا، فلا بأس ولا مشاحة ولا وكف ولا ضير أن لا يعطى غير القادر، ولا أن يأخذ المسعر، المنزول به.
والهجنة أن يمسك موسر، وأن يعف مضرور معسر... والله أعلم.

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

حدد الله سبحانه وتعالى مصارف الزكاة، فقال سبحانه:

﴿ **إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ** ﴾(١).

١-٢- الفقراء والمساكين لا يجدون كفايتهم، ويقابلهم الأغنياء هم المكفيون ما يحتاجون إليه، والقدر الذى يصير الإنسان به غنيًا هو قدر النصاب الزائد عن الحاجات الأصلية له، ولأولاده، ومن تلزمه نفقتهم من مأكل، ومشرب، وملبس، ومسكن، ومركب، وآلة حرفة؛ ونحوه.

عن أبى هريرة أن رسول الله -ﷺ- قال: «**ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، إنما المسكين الذى يتعفف، اقرءوا إن شئتم ﴿ لا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾**»(٢).

٣- العاملون عليها: يوليهم الإمام أو نائبه العمل على جمع الزكاة.

٤- المؤلفة قلوبهم، يراد تأليف قلوبهم وجمعها على الإسلام.

٥- فى الرقاب، فيعان المكاتبون بمال الزكاة لفك رقابهم من الرق.

٦- الغارمون هم الذين عليهم الديون، وتعذر عليهم أداؤها كمن التزم فى ذمته دينًا ليدفعه فى إصلاح ذات البين أو ضمن دينًا فلزمه أو استدان.

٧- فى سبيل الله، سائر المصالح الشرعية العامة، وفى مقدمتها الاستعداد للحرب بشراء الأسلحة وأغذية الجند وأدوات النقل، وتجهيز الغزاة، ويشمل إنشاء المستشفيات، وشق الطرق وجميع أوجه الخير والبر.

٨- ابن سبيل: وهو المسافر الذى نفذ ماله، وأصبح فى حاجة إلى مال ينفق منه.

الأصناف الآتية لا تستحق الزكاة ولا تحل لهم ولا يجزى صرفها:

١- الكفرة والملاحدة.

---

(١) سورة التوبة: ٦٠.
انظر الدر المنثور للسيوطى (٣/٢٥١) والطبرى (١٠/١١٣) وابن جزى (٢/٧٩).

(٢) سورة البقرة: ٢٧٣.
الإلحاف والإلحاح واحد راجع تفسير الطبرى (٥/٥٩٧).

٢- آل البيت من بنى هاشم وبنى المطلب.
٣- الآباء والأبناء.
٤- الزوجة لأن نفقتها واجبة على الزوج.

ونحن نميل إلى الأخذ بالرأى الأول.. إذ الزكاة حق.

[٢٣٩]

دفع الزكاة للأقارب

س: هل يجوز دفع الزكاة للأقارب؟ وهل تخصم الضريبة من الزكاة؟

(جـ): **أولاً: الزكاة تدفع لغير الأصول والفروع:**

ويجوز للمزكى دفع زكاته إلى أقاربه عدا أصوله وفروعه وزوجته، واتصال المنفعة بينهم، فلا يتحقق التمليك على الكمال.

ثانيًا: الضريبة لا تغنى عن إخراج الزكاة:

الضرائب تقررها الدولة على الشعب، لاستخدامها فيما تؤديه من مهام إدارية ودفاعية، ولإنشاء المستشفيات وغيرها من المنشآت العامة خدمةً للمجتمع. والشريعة الإسلامية تجيز لولى الأمر المسلم فرض ضرائب للقيام على مصالح الأمة التى تستلزم نفقات لا مورد لها إلا تلك الضرائب، فلا تداخل بين الزكاة والضرائب فلكل أساسه ودوره ومصارفه، ومن ثم يجوز احتساب الضرائب من رأس المال الذى تجب فيه الزكاة باعتبارها دينًا وجب فى ذمة صاحب المال للدولة، والزكاة لا تجب إلا إذا بلغ المال نصابًا محددًا، ومن شروط وجوبها براءة الذمة من ديون العباد وعلى هذا يجوز احتساب الضرائب من رأس المال الذى تجب فيه الزكاة لا من القدر الخارج زكاة.

[٢٤٠]

الزكاة على المحتاجين

س: والزكاة على أهل بيت محتاجين؟

(جـ): أهل البيت الذين تجب إليهم النفقة، لا تحسب عليهم الزكاة، كما لا يصح إعطاؤها لرفع مستوى قريب، كما أنه محظور حجر مال الزكاة فترة من الوقت كما يفعل البعض.

[٢٤١]

إعطاء غير المسلم الزكاة

س: ألا يجوز إعطاء غير المسلم شيئًا من الزكاة؟

(جـ): وأجمع الأئمة على عدم جواز صرف شيء من الزكاة الواجبة -غير زكاة الفطر- إلى غير المسلم، لأن الرسول -ﷺ- صرح بقصرها على فقراء المسلمين، وذلك فى حديثه لمعاذ -رضي الله عنه- حين بعثه إلى اليمن وقال له: «**فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة فى أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**» (رواه البخارى).

أما زكاة الفطر فقد أجاز أبو حنيفة وحده صرف شيء منها لغير المسلم، بيما منع الباقون مع الأئمة ذلك، وأما صدقة التطوع، وهى غير الواجبة فجمهور الأئمة يجيز توزيع بعضها على المحتاج غير المسلم.

[٢٤٢]

زكاة الفطر

س: ما حكم زكاة الفطر؟

(جـ): زكاة الفطر سنة واجبة على أعيان المسلمين؛ لقول ابن عمر -رضي الله عنه-: «فرض رسول الله -ﷺ- زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر أو صاعًا من شعير، على العبد والحر والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين». متفق عليه بالإجماع.

س: ما حكمة زكاة الفطر:

(جـ): تطهير نفس الصائم مما يكون قد علق بها من آثار اللغو والرفث، كما أنها تغنى الفقراء والمساكين يوم العيد عن السؤال.

قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: «فرض رسول الله -ﷺ- زكاة الفطر طهرة للصائم، من اللغو والرفث وطعمة للمساكين»[١].

---

(١) سنن أبى داود (٢/ ٢٦٢/٩-١٦٠) وابن ماجة (١٨٢٧).

ذكره أبو داود، وابن ماجه، وصححه الحاكم وقال -ﷺ-: «**اغنوهم عن السؤال فى هذا اليوم**»(١).

[٢٤٣]

حقوق المال

سئل -ﷺ-: أفى المال حق سوى الزكاة؟

قال: «**نعم**» ثم قرأ: ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾(٢). ذكره الدارقطنى.

❁❁❁

سأله -ﷺ- رجل فقال: إنى تصدقت على أمى بعبد، وأنها ماتت، فقال: «**وجبت صدقتك، وهو لك بميراثك**»(٣). ذكره الشافعى.

سأله -ﷺ- أبو ذر فقال: من أين أتصدق، وليس لى مال؟ قال: «**إن من أبواب الصدقة التكبير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعظم والحجر، وتهدى الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفه**»(٤).

وسألته -ﷺ- امرأة فقالت: إنى تصدقت على أمى بجارية، وإنها ماتت، فقال: «**وجب أجرك، وردها عليك الميراث**»(٥). ذكره مسلم.

[٢٤٤]

زكاة الورعين والتأمين النقدى والعقار والأسهم

س: ما هى زكاة الورعين؟ وما حكم زكاة التأمين النقدى والعقار والأسهم؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

---

(١) سنن البيهقى بسند ضعيف.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧ .

(٣) من ثم فإن تسويغ العمل ووهب ثوابه إلى الميت جائز.

(٤) وهذا باب عظيم من أبواب الخير، يجب أن يلتفت إليه المكلفون.

(٥) فى الصحيح.

أولاً: زكاة الورعين:

إن زكاة الورعين لا تحدد نصابًا، بل يزكى عن كل مال يدخل. وأكثر من ذلك يزكى عما يخرج منه أيضًا، فإذا اشترى الإنسان ثوبًا بجنيه تصدق بقرشين ونصف.

فهو يزكى فى ما دخل له ولو لم يحل عليه الحول، ولو لم يبلغ النصاب، يخرج ٢,٥ ٪ ولو اشترى سيارة بألف جنيه، يخرج خمسة وعشرين جنيهًا زكاة قال تعالى: ﴿ **وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ** ﴾(١).

ثانيًا: حكما زكاة التأمين النقدى:

التأمين النقدى الذى يدفعه المستأجر للمالك مال مملوك للمستأجر مودع عند المالك ضمانًا لسداد الأجرة فى موعدها، فتجب زكاة على مالكه لا على المؤجر إذا توفرت شروط الوجوب.

ثالثًا: حكم زكاة العقار:

العقار الذى يتجر فيه صاحبه بالبيع والشراء حكمه حكم السلع التجارية ويزكى زكاة عروض التجارة، والعقار الذى يسكنه صاحبه، أو يكون مقرًا لعمله كمحل للتجارة ومكان للصناعة لا زكاة فيه.

والعقار الذى يستغله مالكه بالإيجار لا زكاة فى عينه، ولكنه غلته تخضع للزكاة بشروطها إذا توفرت من النصاب الزائد عن حاجته والحول.

رابعًا: حكم زكاة الأسهم:

يرى بعض الفقهاء المعاصرين أن الأسهم التى تتخذ للتجارة تجرى فيها زكاة عروض التجارة ومقدارها ربع العشر فى قيمتها بعد حولان الحول.

أما الأسهم التى لا يقصد صاحبها التجارة فيها فتجب الزكاة فى غلاتها، بعد كل النفقات، والقدر الواجب إخراجه هو عشر الصافى من الغلة.

❁❁❁

(١) سورة الأنفال: ٦٠ .
الطبرى (١٠/ ٢١).

س: هل يجوز دفع الزكاة للأقارب؟ وهل تخصم الضريبة من الزكاة؟

(جـ): **أولاً: الزكاة تدفع لغير الأصول والفروع:**

ويجوز للمزكى دفع زكاته إلى أقاربه عدا أصوله وفروعه وزوجته، واتصال المنفعة بينهم، فلا يتحقق التمليك على الكمال.

ثانيًا: الضريبة لا تغنى عن إخراج الزكاة:

الضرائب تقررها الدولة على الشعب، لاستخدامها فيما تؤديه من مهام إدارية ودفاعية، ولإنشاء المستشفيات وغيرها من المنشآت العامة خدمةً للمجتمع. والشريعة الإسلامية تجيز لولى الأمر المسلم فرض ضرائب للقيام على مصالح الأمة التى تستلزم نفقات لا مورد لها إلا تلك الضرائب، فلا تداخل بين الزكاة والضرائب فلكل أساسه ودوره ومصارفه، ومن ثم يجوز احتساب الضرائب من رأس المال الذى تجب فيه الزكاة باعتبارها دينًا وجب فى ذمة صاحب المال للدولة، والزكاة لا تجب إلا إذا بلغ المال نصابًا محددًا، ومن شروط وجوبها براءة الذمة من ديون العباد وعلى هذا يجوز احتساب الضرائب من رأس المال الذى تجب فيه الزكاة لا من القدر الخارج زكاة.

[٢٤٥]

الضرائب والزكاة

س: كما نعرف جميعًا أن الدولة تقوم بفرض الضرائب على الرعية؛ حتى تنهض بالمشروعات الإنشائية والتعميرية الضخمة التى لا يقوى على إقامتها الأفراد، وهذه المشروعات ينتفع بها المجتمع بأسره عادة... فهل لهذه الضرائب صلة بالزكاة. أم أنها خدمات لا تتصل بموضوع الزكاة؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

يجب أن لا تؤخذ الضرائب هذه من حصيلة الزكاة، فلا أرصف طريقًا وعندى فقير جائع أو محتاج.

ماذا تقوم الدولة؟ إنها تفرض الضرائب؛ للقيام بالخدمات التى تؤديها للأفراد، لأن الطرق المرصوفة يتمتع بها الذى يركب السيارة والترعة المحفورة يستفيد منها الفنى الذى لديه زراعة. إذن مرافق الدولة تقوم بها الدولة، إنما

بضرائب على الأفـراد إن لم يكن دخل الدولة يكفيـها . . أو لأبنى مـدرسة، لأن المدرسة يدخلها ابن الغنى، والجامع يصلى فـيه كل الناس. إذن الزكاة لا تنتقل من مصارفها إلا إذا كانت هذه المصارف غير موجودة.

إذن، فالمشروعات التى ينتفع بها الجميع لا تؤخذ من الزكاة أبدًا، وإنما الزكاة للفقير البسيط، فإذا زادت عن حاجة الفـقير فأهلاً وسهلاً؛ لأن الدولة لها مصادر كثيرة من الغنائم، والأنفال، والخراج، فإن لم تستطع الدولة إنجاز مشاريعها أخذت من الناس حسب قواهم.

[٢٤٦]

زكاة المعادن والركاز والكنز

س: ما المراد بالمعادن والركاز والكنز؟؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

زكاة المعدن والركاز:

مما لاشك فيه أن الله سبحانه وتعالى أودع أرضه الكثير من خيراته، وادخرها لبنى آدم ومكنهم من نيلها بجهد قليل. . ونعم الله تقـابل بالشكر عليها، والإنفاق منها فى سبيله سبحانه.

ولذلك أوجب الله تعالى على من استـخرجها حقًّا، ليعلم الانتفاع بتـلك الثروات العظيمة، ويعود نفعها على مستخرجها، وعلى الجماعة الإسلامية.

وكذلك ما قد يجده الإنســان فى الأرض من الكنوز التى لا يعرف لها مالك أثبت الشرع فيها حقًّا.

قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ**﴾(١) وهذا يشمل ما تنبـته الأرض من الزروع، والثمار، وما اسـتخرج من الأرض، مما أودعه الله فيها من المعادن والكنوز.

والمعادن: لغة المواضع التى تسـتخرج منها جواهـر الأرض، وقيل: المعادن تلك المواد نفسها، كالذهب والفضـة والنحـاس، والنفـط، والكـبريت.

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٧.

وتطلق فى عصرنا الحاضر على مواد معينة منها الذهب والفضة والنحاس.

والكنز: المثبت فى باطن الأرض من الأموال بفعل الإنسان.

والركاز: يشمل النوعين: المعادن والكنوز.

فالركاز ما يوجد فى باطن الأرض مما أودعه فيها الخالق أو المخلوق.

[٢٤٧]

القدر الواجب فى الركاز

س: ما القدر الواجب فى الركاز؟؟

(جـ): كل ما استخرج من باطن الأرض وجب فيه الخمس (٢٠٪) لقول النبى -ﷺ-: «**فى الركاز الخمس**»[1].

ثم إن ما يؤخذ مما يستخرج من المعادن فهو زكاة، وأما ما يؤخذ من الكنوز فقد قيل هو فىء فيصرف فى المصالح العامة، وقيل هو زكاة فيصرف فى مصارف الزكاة.

زكاة السيارات ما قيمتها؟

- السيارات والدواب المعدة للركوب، إذا لم يقصد عند شرائها التجارة فيها لا زكاة فى قيمتها مهما بلغت وكذلك الدور المتحصل من أجرتها يخصم منه مصاريفها وديونها وغرامات مرورها، فإذا بلغ الباقى نصابًا وحال عليه الحول من تاريخ قبضه، وجبت فيه الزكاة متى تحققت شروط الوجوب، ومقدارها: ربع العشر.

[٢٤٨]

سؤال وجواب عن الزكاة

عرض للشيخ محمد متولى الشعراوى ونحن فى بيته سؤال -أحسبه فى غاية الأهمية- من أحد مريديه قال فيه:

---

(١) ابن ماجة (٢٥١٠) عن ابن عباس، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٣٦٧/ ٥٩٢٦) ثم أخرجه ابن ماجة عن أبى هريرة (٢٥٠٩).

س: لو افترضنا أن رجلاً يدخر مبلغًا من المال، لإعداد جهاز زواج لابنته ألف جنيه مثلاً، أو أكثر أو أقل، وهو فى حالة عسر مادى يقتضى أن يحفظ هذا المبلغ وكل فترة يضيف إليه ما يتيسر له ذلك من إضافات؛ حتى يقوم بأداء الواجب عليه، فهل عليه إخراج الزكاة عن هذا المبلغ؟

أفاد الشيخ الشعراوى:

نعم، يخرج عليه زكاة المال، ونصابها معروف.

⚘⚘⚘

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

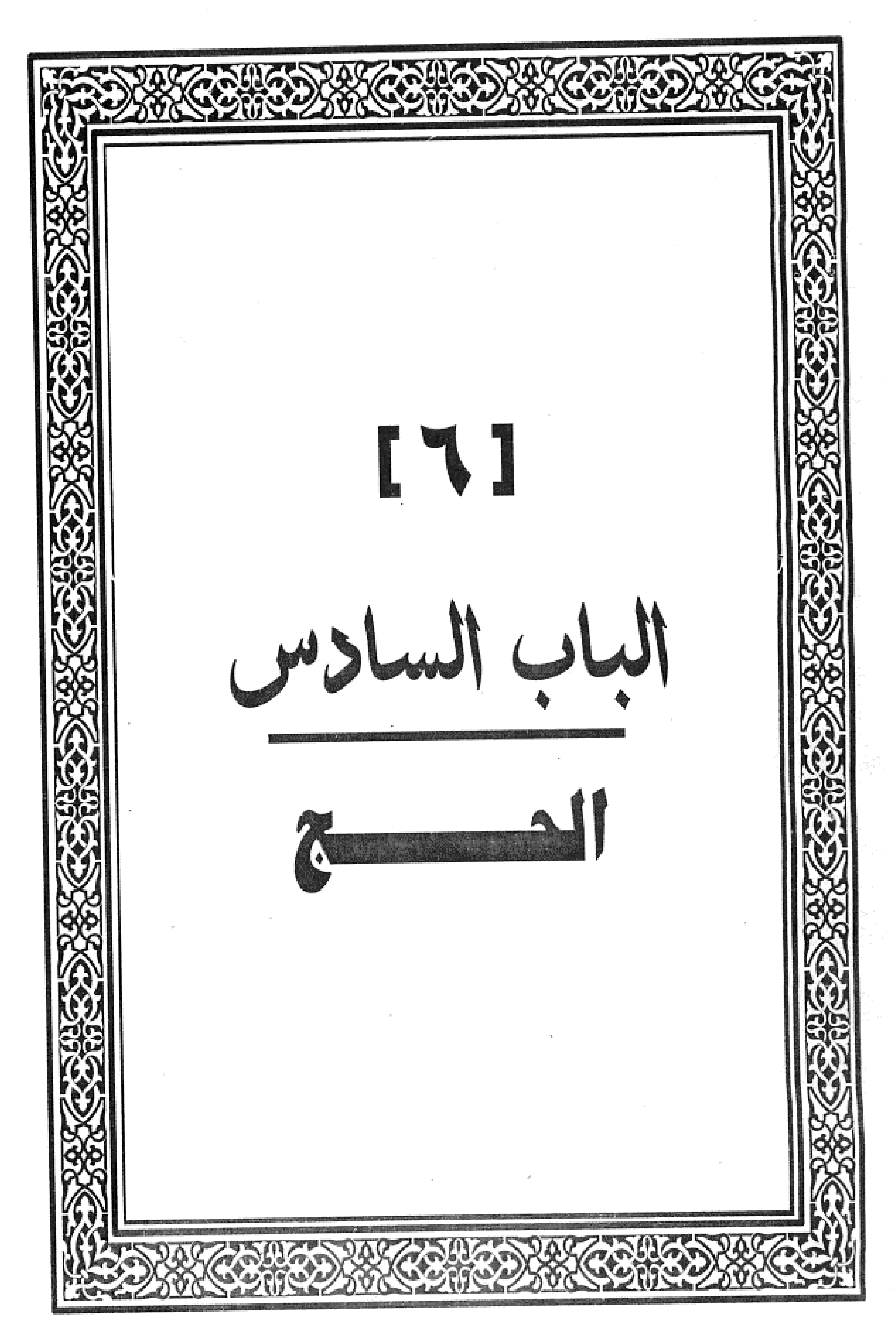
هذه المسألة أعتقد أنها شائعة هذا العصر، حيث يوهم الناس أنفسهم أن هذه المبالغ معفاة من الزكاة؛ فليقلعوا عن هذا التوهم، وليخرجوا حق الله عليهم وحقوقهم أنفسهم فى إرضاء الله سبحانه وتعالى؛ لأن حقوق الله أولى بالقضاء.

ومن مصائب التورية فى التلاعب بالعقل البشرى أن توحى إليه بشىء تقصد به صميم نقيضه.

فقد يتألف الجمال الصافى من امتزاج دموع وعبرات بابتسامة خفيفة.

وبالمثل أن تتوهم الصدود دلالاً، وأن تحسب الدلال صدودًا، وبين مجالات هذه، واحتمالات تلك يتشتت الذهن تشتت ألوان الطيف فى المنشور الزجاجى.

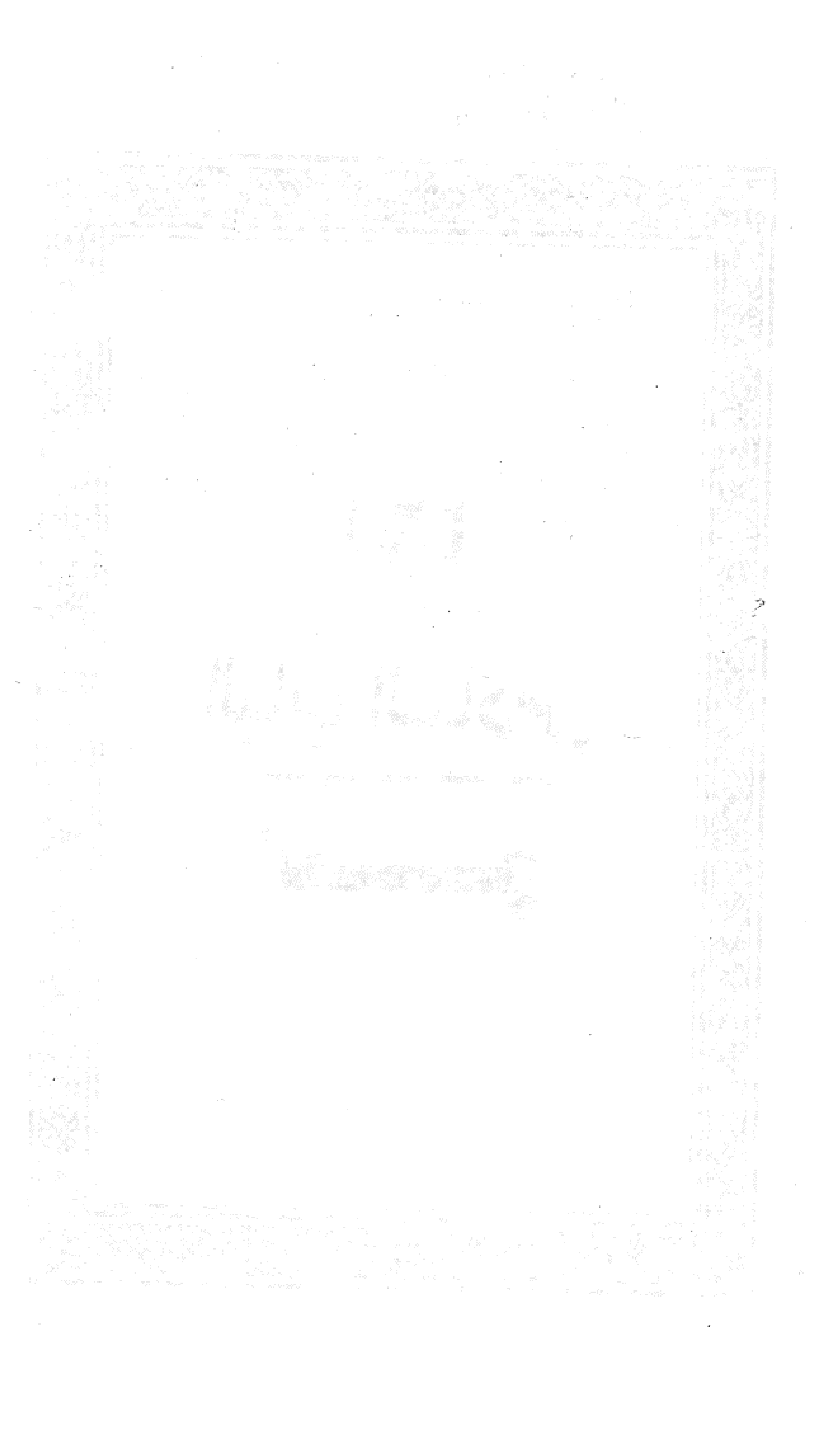
ومن هذه المتشابهات يفلح المتشككون فى وجود ثغرات يجترحون بها السيئات، وينتهكون الحرمات، وهم يأكلون السحت، وهم لا يشعرون، فلا وسعوا فى صدورهم من العذر، ما لم يوسعوا فى ترك مباح مما تركته نقمة على الشريعة أو تبرمًا بها، أو تمردًا عليها.



[٦]

الباب السادس

الحج



[٢٤٩]

الحج قبل الإسلام

س: هل كان الحج موجوداً قبل الإسلام، وهل كان بصورته التى نؤديها الآن؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

بدا واضحًا أن قصة إبراهيم مع البيت فى قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً﴾(١) فالأمر لإبراهيم واضح من أن الحج أذن فيه فعلاً، وإبراهيم بدأ فعلاً، وهذا كلام صادق إلا أن قول الله -إذا أردنا أن نفهمه بعمق- نجده أمر الله أن يرفع القواعد، ومعنى رفع القواعد أن البيت كان موجودًا، وقد طلب منه الله رفع هذه القواعد. والرفع يتعلق بالبعد الثالث الذى يعطى حجمًا لا مساحة، وما دام الله قد قال فى البيت كلامًا عامًا فى غير إبراهيم فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾(٢) وما دام وضع للناس من بداية وجود الناس، وما دام كان له بيت كان له حج، والذى يقول الحج من أول إبراهيم، ووجود البيت كذلك من أول إبراهيم، فكلام غير دقيق؛ فيكون المفهوم الصحيح وجود البيت من زمن قديم، وحجه كذلك من زمن قديم.

ولماذا؟ لأنه يجوز أن البيت قد انطمر بأى عامل من العوامل، فأراد الله سبحانه وتعالى أن يجلى هذا الأمر من جديد، ويكون الإذن برفع قواعده تجديدًا لما انطمر وانطمس، كأن الانطماس للبيت انطماسًا ماديًا، وانطماسًا منهجيًا، فأراد الله أن يعيد معالم البيت برفعه، ليحجه الناس بدليل أن إبراهيم ساعده ابنه

---

(١) سورة الحج: ٢٧ .
راجع تفسير الطبرى (١٧/ ١٨٠) والقرطبى (٣/ ١) وما بعدها والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٣/ ٢٧).

(٢) سورة آل عمران: ٩٦ .
بكة ومكة شىء واحد. فإن الباء تبدل من الميم على ما ذكر ابن منظور فى لسان العرب (١٢/ ٢٢٣).

إسماعيل لرفع القواعد ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾(١) ويفهم من هذا أن إسماعيل كان قد بلغ من السن ما يسمح له بمساعدة أبيه فى رفع قواعد البيت.

والقرآن يقص علينا أن إبراهيم أسكن إسماعيل وأمه عند البيت المحرم، فهذا يدلنا على أن البيت كان موجودًا، وإبراهيم لم يصل بعد فى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾(٢) فيكون البيت موجودًا أنذاك، وإنما التحديد لم يكن موجودًا عند الإسكان.

[٢٥٠]

أثر الحج فى حياة المسلمين

س: كيف يستفيد المسلمون والشعوب الإسلامية من الحج؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

الحج تجمع عقدى فذ، ومؤتمر عالمى فريد، دعا إليه رب واحد، وحدد دوراته فى زمان واحد، ورسم منهجه بكتاب واحد، على رسول واحد، واستجاب له المسلمون بزى واحد، وقصد واحد.

وفى جلال هذه الوحدة تنصهر الأجناس والألوان واللغات، وتذوب العصبيات والبيئات والطبقات، فلا نسب إلا إلى الإسلام، ولا حسب إلا فى الإيمان.

وتلك خصوصية يجب أن تستغل تعارفًا بربط الشعوب بالمودة، وتآلفًا يلف الأجناس بالتراحم، كما يجب أن يستغل الحج لتدارس الأحوال، حتى يعرف كل مسلم وضع إخوانه فى كل بلد، وحينئذ تتعاون الطاقات، وتتكامل الإمكانيات،

---

(١) سورة البقرة: ١٢٧.
قواعد البيت: إساسه (بكسر الهمزة) والقواعد جمع قاعدة، فأما قواعد النساء، فواحدها قاعد وهى العجوز (الطبرى (٣/٥٧)) وجمع الأس: إساس، وجمع الأساس: أسس. انظر اللسان (٧/٣٠١).

(٢) سورة الحج: ٢٦.
أى جعلناهم لإبراهيم بيتًا.
انظر التفسير الكبير (٢٣/٢٦) ومختصر ابن كثير (٢/٥٣٩).

ويصبح المسلمون كما قال الرسول -ﷺ-: «**كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا**».

وإذا كان الإسلام يواجه تحديات خصومه، فليس لنا أمل إلا توحيد الصفوف هدفًا. وصفًا وتخطيطًا ونضالاً، فيمكننا حينئذٍ أن يفيد دورنا فى الأرض، ونصبح تجمعًا له وزنه وقدرته وهيبته وخطره.

[٢٥١]

ثواب الحج

س: يقول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة». فهل يتناسب هذا الثواب مع أعمال الحج ومناسكه؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

عندما يتوجه الإنسان لأداء فريضة الحج، فإنه يترك بيته وأهله وماله متوجهًا إلى بيت الله الحرام، ملبيًا دعوة الله، وترى الحاج حين يحرم ويحج لا يخطر بباله شىء من أمور الدنيا، فإذا ما انتهى من أعمال الحج، تشوق إلى أهله ووطنه، وتلك حكمة أخرى، لأنه لو حلا له النسك، ولم يتشوق للعودة إلى الأهل والوطن، لضاق المكان بالمحبين.

وكون الحاج يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، هذا يعنى الذنوب التى بينه وبين ربه، أما الذنوب التى بينه وبين العباد، فلابد أن تؤدى قبل الحج، ولذلك نجد من دقة التكليف أن المدين لا يصح أن يحج إلا إذا استأذن صاحب الدين، أو كفيله، فإن كان عنده وفاء للدين فى بلده وفى به، وإن لم يكن عنده وفاء أوصى بالوفاء من تركته.

ولا يصح أن نقول: إن الجزاء أكبر من العمل، لأن تناسب الصفقات لا يجوز أن يلاحظ إلا بين المتساويين، يعنى إلا إن كانت الصفقة معقودة بين متساويين، إنما حين نقيس الصفقة المعقودة بين الله سبحانه وتعالى وبين عباده، فلا يصح أن نقول: الجزاء أكبر من العمل، لأن الله هو الذى حدد العمل، وحدد الجزاء، لأن الله يعطى من وصفه.

ولنفرض أن إنسانًا زرع وردًا جميلاً، ثم قدم وردة للملك، فأعطاه ألف دينار، هل نقول: إن الملك أعطاه أكثر من ثمن الوردة؟ لا نقول هذا.

[٢٥٢]

الدوائر(١) الأربع للبيت الحرام

س: ما هى الدوائر الأربع لبيت الله الحرام وخواصها؟

(جـ) يجيب الشيخ الشعراوى:

لما كان بيت الله الحرام هو المقصد الأصيل الذى تهوى إليه الأفئدة، وهو المحور الذى تدور حوله المناسك، وتحيط به أماكن الشعائر، ولهذا أحاطت به أربع دوائر لكل دائرة حدها وخواصها ومطلوباتها، وأول هذه الدوائر:

المسجد الحرام، ويحدد مكانه بالمسجد، مهما امتد واتسع، وأما ما يخص المسجد دون سواه ما قاله الله: ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾(٢)، ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٣) ويضاعف ثواب الصلاة فيه إلى مائة ألف، وأول ما نشد الرحال إليه، كما أخبر بذلك الصادق الأمين.

وتحدد الدائرة الثانية: حول المسجد حدودًا تحميه علامات تفصله عن الحل، وهى منطقة حرام حتى على المقيم لا يعضد شجرها، ولا يحل صيدها، ولا يحرم من كان داخلها بعمرة إلا أن يخرج إلى الحل -التنعيم-، وحول هذه الدائرة دائرة أوسع وتحدها المواقيت التى لا يتجاوزها قاصد البيت إلا محرمًا.

والإحرام نية القلب، وتجرد مما اعتاد الإنسان من ثياب تنم عن جاهه وتميزه مستبدلاً بذلك ثوبًا أبيض غير مخيط، حتى يكون الحاج عبدًا فى ركب عبيد مندمجًا فى سوائية الخلق، حين يقبلون على الحق، لا يستثنى من ذلك إلا المرأة التى ترتدى ملابسها العادية المحتشمة التى أمرها بها دينها الحنيف. ومن هنا يدخل الحاج فى سلام مع الوجود كله، سلام مع نفسه التى سالمته فرضيت أن تمتنع عن كثير مما أحل الله لغير المحرم؛ فلا شهوة له فى زوجته، ولا فى طيب فضلاً عن رفث أو فسوق، وهو فى سلام مع الناس فلا جدال، وفى سلام مع النبات، فلا

---

(١) الدوائر: جمع دائرة.

(٢) سورة آل عمران: ٩٧ .

(٣) سورة الحج: ٢٥ .

راجع تفسير القرطبى (١٢/ ٣٣)، قال مجاهد -رضي الله عنه-: تضاعف السيئات فيه كما تضاعف الحسنات اهـ.

بتصرف من التفسير الكبير (٢٣/ ٢٥).

يقطع نباتًا، ولا يعضد شجرًا، وفى سلام مع الحيوان فلا يرمى صيدًا ولا يدمجه، وإن صاده غيره، ويظل هكذا حتى يتحلل.

وفى الإحرام من المواقيت إشعار النفس بأنها دخلت حمى الله، وأقبلت على مكان غير عادى، فلابد أن تخرج عن كثير مما اعتادت، تربية للمهابة، واستحضارًا للقداسة.

وبعد المواقيت تأتى الدائرة الرابعة وهى أوسع الدوائر، لأنها تشمل سائر الأرض كلها، ولهذه الدائرة مطلوب واحد، هو أن يجعل العبد بيت الله قبلة مصلاه حاضر القلب، مع جلال الرب العظيم الأحد.

[٢٥٣ أ]

الحج عن الغير

س: هل تحج المرأة عن أمها؟

(جـ): سألته -ﷺ- امرأة فقالت: إن أمى ماتت ولم تحج، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجى عنها**»[١] (حديث صحيح).

كما أفتى رسول الله -ﷺ- رجلاً سمعه يقول: لبيك عن شبرمة -قريب له- فقال -ﷺ-: «**أحججت عن نفسك؟**» قال: لا، قال: «**حج عن نفسك، ثم حج عن شبرمة**»[٢].

[٢٥٣ ب]

حكم الحج عن الغير

س: ما حكم الحج عن الغير؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

نعم، يجوز الحج نيابة عن المتوفى والمعذور، ويشترط فيمن يحج أداء الفريضة وينوى عن الغير، ويذكر اسمه ويثاب الغير، والنائب.

---

(١) وهذا ترخيص وجواز حج الأحياء عن الأموات، وقد ثبت فى مسند الإمام أحمد: «احجج عن أبيك» (١/ ٢١٢) وصحيح مسلم (١١٤٩).

(٢) ذكره الإمام الشافعى وأحمد فى المسند (٤/ ٢٩٥) والدارقطنى (٢/ ٢٦٩).

قال الحبيب المصطفى لامرأة تستأذنه فى الحج عن أبيها: «**أرأيت لو كان على أبيك دين أكنت قاضيته؟**» قالت: نعم. قال: «**دين الله أولى بالقضاء، من حج عن ميت كتبت للميت حجة**[١] **من حج عن أبويه يبعث يوم القيامة مع الأبرار**»[٢].

[٢٥٣ جـ]

حج الولد عن أبيه

س: سأله - ﷺ - أبو ذر فقال: إن أبى شيخ كبير، لا يستطيع الحج ولا العمرة، ولا الظعن؟

(جـ): فقال له: «**حج عن أبيك، واعتمر**»[٣] قال الدارقطنى: رجال إسناده كلهم ثقات.

(والظعن: هو السفر).

وسأله - ﷺ - رجل قال: هلك أبى، ولم يحج، أفأحج عنه؟

فقال - ﷺ -: «**أرأيت لو كان على أبيك دين فقضيته، أيقبل منك؟، فاحجج عنه**»[٤].

وهو يدل على أن السؤال والجواب إنما كان عن القبول والصحة، لا عن الوجوب. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[٢٥٤]

كيفيات الحج

س: ما هى كيفيات تأدية الحج والعمرة؟

(جـ): للحج ثلاث كيفيات:

---

(١) المسند (١/ ٢١٢) والهيثمى فى مجمع الزوائد (٣/ ٢٨٢).

(٢) هذا الحديث ضعفه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٢٣/ ٨٦٣٠).

(٣) أخرجه الترمذى (٩٣٠) والنسائى (٥/ ١١٢) و(١١٧) وابن ماجة (٢٩٠٦) والدارقطنى فى السنن، عن أبى رزين (٢/ ٢٨٣) وصححه السيوطى فى الصغير (١/ ١١٤/ ٣٦٨١).

(٤) سنن الدارقطنى، عن أنس بن مالك (٢/ ٢٦٠).

أولاً: الإفراد: وهو أن ينوى الحج منفردًا، فإذا ما انتهى من أعمال الحج، وتحلل التحلل الثانى أحرم بالعمرة، ولا هدى عليه.

ثانيًا: القران: وهو أن يحرم بالحج والعمرة بنية واحدة، وإحرام واحد، وطواف واحد، وسعى واحد، وحلق أو قص واحد، ويجب عليه هدى عند التحلل من الإحرام.

ثالثًا: التمتع: وهو أن يحرم بالعمرة وحدها، فإذا انتهى منها تحلل، ثم ينوى الحج يوم الثامن من ذى الحجة.

ويجب عليه هدى بعد التحلل من إحرام الحج.

[٢٥٥]

الحجيج والمنافع

س: ورد إلىَّ سؤال من قارئ لمجلة «لواء الإسلام» عن قبول، أو عدم قبول حجته لبيت الله الحرام أثناء وجوده بأرض الحجاز عاملاً بعقد عمل فى إحدى المؤسسات هناك.

والحقيقة أنه فى هذه الأيام نظرًا لكثرة هجرة العمال إلى الخارج، ونزوحهم جريًا وراء الرزق والمنافع، أكثرهم يؤدى الحج، ولكنه يشعر فى قرارة نفسه أنه لم يذهب بقصد الحج أساسًا، وإنما يجىء الحج عرضًا، فهل الحج مقبول عندئذٍ أم لا؟

ولما عرضت هذا السؤال على الشيخ محمد متولى الشعراوى:

أفاد أن الحج صحيح، ولكونه ذهب للعمل، لا يتعارض مع صحة حجه؛ لأن الحجيج لا يقوم إلا بمنافع.

لقوله تعالى: ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ﴾(١).

[٢٥٦]

المحظور والمباح للمحرم

س: ما المحظور والمباح للمحرِم؟

---

(١) سورة الحج: ٢٨ .

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

المحظورات:

١- الرجل لا يغطى رأسه.

٢- ولا يحلق شعره.

٣- ولا يخطب أو يتزوج وإنه إذا ارتكب محظوراً عمداً لزمه دم، وإن ارتكبه بعذر فعليه الفدية، وهى صيام ثلاثة أيام، أو التصدق على ستة مساكين أو ذبح هدى، والجماع قبل التحلل يبطل الحج، والمباح لبس الخاتم والساعة والنظارة والحزام والاغتسال والشمسية وغسل البشاكير.

وروى عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال النبى -صلى الله عليه وسلم-: **«إنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام لا تضع ناقتك خفًا ولا ترفعه إلا كتب لك به حسنة، ومحى عنك خطيئة، وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بنى إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة، وأما وقوفك عشية عرفة؛ فإن الله يهبط إلى سماء الدنيا فيباهى بكم الملائكة يقول: عبادى جاءونى شعثًا من كل فج عميق، يرجون رحمتى، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر لغفرتها؛ أفيضوا عبادى مغفوراً لكم، ولمن شفعتم له وأما رميك الجمار، فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات، وأما نحرك فمدخر لك عند ربك، وأما حلاقك رأسك فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، وتسمحى عنك بها خطيئة، وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، فإنك تطوف، ولا ذنب لك يأتى ملك حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول اعمل فيما يستقبل فقد غفر لك ما مضى»**.

[٢٥٧]

مغزى الأضحية

س: ما هو المغزى والمدلول الإيمانى للأضحية؟

(جـ): سأله -صلى الله عليه وسلم- زيد بن الأرقم: ما هذه الأضاحى؟ فقال: **«سنة أبيكم إبراهيم صلاة الله وسلامه عليه»**. قال: فما لنا منها؟ قال: **«بكل شعرة حسنة»**، قالوا: يا رسول الله، كالصوف، قال: **«بكل شعرة من الصوف حسنة»**[1].

---

(١) مسند الإمام أحمد (٤/ ٣٦٨).

[٢٥٨]

هل يجوز الاشتراك فى الأضحية ؟

أمر رسول الله -ﷺ- بسبعة من أصحابه كانوا معه، فأخرج كل واحد منهم درهمًا؛ فاشتروا أضحية، فقالوا: يا رسول الله، لقد أغلينا بها، فقال النبى -ﷺ-: «**إن أفضل الضحايا أغلاها وأسمنها**»(١)، فأمر رسول الله -ﷺ- فأخذ رجل برجل، ورجل برجل، ورجل بيد، ورجل بيد، ورجل بقرن، ورجل بقرن، وذبحها السابع، وكبروا عليها جميعًا(٢).

نزل هؤلاء النفر منزلة أهل البيت الواحد فى إجزاء الشاة عنهم؛ لأنهم كانوا رفقة واحدة.

وسأله -ﷺ- رجل فقال:

إن على بدنة (وهى البقرة، أو الناقة، وقال بعض الفقهاء: هى الإبل خاصة) وأنا موتر بها ولا أجدها فأشتريها؛ فأمره -ﷺ-: «**أن يبتاع سبع شياة فيذبحهن**»(٣).

[٢٥٩]

أنواع الذبح ومكانه

س: ما هى أنواع الذبح ومكانه وزمانه؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

١- الهدى ويلزم القارن والمتمتع وتارك المبيت بمنى وطواف الوداع والإحرام من الميقات، ومكانه منى أيام التشريق ومكة فى غيرها والشاة للواحد والبقرة أو الجمل لسبعة، والعاجز عن الذبح يصوم ثلاثة أيام قبل عرفة، وسبعة أيام بوطنه أو يصوم العشرة بوطنه.

٢- الأضحية سنة بعد صلاة العيد.

٣- ذبح النذر.

٤- وذبح التطوع غير محددة المكان والزمان.

---

(١) المسند (٣/ ٤٢٤). (٢) المسند (١/ ٣١١، ٣١٢). (٣) مسند الإمام أحمد.

[٢٦٠]

العمـــرة سنـــة أم فـــرض ؟ ؟

س: هل العمرة سنة أم فرض؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

فى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[١] يكون سبـيلاً: المعنى أن العمـرة فرض، وليست سنة، ومـا دام الله قد وصف الحج بأنه أكبر، يفهم من ذلك أن هناك حجًا كبيرًا، والمقصود من حج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً عمل العمرة والحج معًا.

نفهم من هذا أن الله وصف الحج فى عرفة بالحج الأكـبر، إذن فالثانى الذى ليس فيه وقوف بعرفة، ليس حجًا أكبر، وإنما حج كبير، وإلا ضاق معنى اللفظ.

وفى حديث: «**بنى الإسلام على خمس**»[٢]، يقصد منه الحج والعمرة معًا.

[٢٦١]

فضل حجة الجمعة والموت فى الحرمين

س: ما فضل حـجة الجمعة؟ وحكم تمنى الموت فى أحـد الحرمين؟ وهل ماء زمزم للشفاء بقدرة الله كما قال الرسول -ﷺ-؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: حجة الجمعة:

وقد أورد جلال الدين السيوطى[٣] صاحب الجامع الصغير والكبير: إن وقفة عرفات يوم الجمعة تفضل غيرها من خمسة أوجه:

---

(١) سورة آل عمران: ٩٧ .
راجع الطبرى (٧/ ٤٨).

(٢) متفق عليه، أخرجه البخارى (١/ ٤٦، ٤٧) ومسلم (١٢).

(٣) هو الإمام العلامة، المفسر، الحافظ، الأصولى، الفقيه المحدث، اللغوى النحوى جلال الدين السيوطى صاحب التصانيف المشهورة.
انظر ترجمته لنفسه فى كتابه: «حسن المحاضرة».

أولاً: موافقة حجة النبى، فقد حج النبى يوم جمعة، وما كان الله تعالى ليختار لرسوله -ﷺ- إلا أفضل الأيام.

ثانيًا: أن فى يوم الجمعة ساعة إجابة للدعاء.

ثالثًا: أن الأعمال تشرف بشرف الأزمنة، كما تشرف بشرف الأماكن، وأفضل أيام الأسبوع هو يوم الجمعة، فإن صادفه الحج كان أفضل.

رابعًا: ورد أن أفضل الأيام يوم عرفة، إذا وافق يوم الجمعة.

خامسًا: إذا كان الحج يوم جمعة غفر الله لجميع أهل الموقف حتى لو كان الحج يومًا آخر غير يوم الجمعة، فما وجه التخصيص؟ فقال: يحتمل أن الله يغفر لهم بلا واسطة يوم الجمعة، بينما فى غيرها يهب قومًا لقوم.

والحديث الذى يتحدث عن أفضلية الحج يوم الجمعة بسبعين حجة هو حديث ضعيف، ورغم ذلك، فقد أجاز علماء الأصول رواية الحديث الضعيف، إذا كان فى فضائل الأعمال.

ثانيًا: تمنى الموت بالحرمين:

لا بأس فى أن يطلب الإنسان الموت فى أحد الحرمين: الحرم المكى والحرم المدنى.. مع حسن صلته بربه: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، لما رواه البخارى عن حفصة أم المؤمنين: أن عمر -رضي الله عنه- قال: «اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك، واجعل موتى فى بلد رسولك -ﷺ- فقلت: أنى هذا؟ فقال: يأتينى به الله إن شاء الله.

حديث: «**من مات فى أحد الحرمين: بعث آمنًا يوم القيامة**» رواه الطبرانى عن جابر بن عبد الله الأنصارى..

[٢٦٢]

البيت الحرام والشهر الحرام.. لماذا؟

س: هل هناك صلة بين معنى كلمة الحرام فى قوله: ﴿البيت الحرام﴾ و﴿الشهر الحرام﴾؟ أم أن كلاً منها له مدلوله الخاص؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: إن معنى قوله: «البيت

الحرام أن الله جعل البيت حرامًا.. وجعل الأشهر الحرم، لإرضاء الغرور البشرى، فللنفس البشرية غرور يغذيه الشيطان دائمًا؛ فيجعلها تأبى الرجوع إلى الحق، ويجعلها تريد أن تستبيح حرم غيرها وحقوقه، ومن هنا كان البيت الحرام أمنًا للناس عسى أن ترتدع النفس عندما يلجأ الإنسان إلى بيت الله.. وجعل الأشهر الحرم لا قتال فيها، عسى الإنسان أن يبتعد عن شرور الحرب، وينعم بالسلام، إذا أحس بنعمة السلام، وكان الله سبحانه وتعالى برحمته حريصًا على أن يتم ذلك، دون إهدار للغرور البشرى.

وبذلك يستطيع الإنسان الذى يريد أن يوقف القتال، أو يوقف خصومة أن يقول: إنه فعل ذلك إجلالاً لله سبحانه وتعالى، وهكذا شاءت رحمة الله عندما يفتح باب التوبة، أن يحفظ للإنسان ماء وجهه وغروره.. وأن يجعلها عملية سهلة على النفس، وليست عملية صعبة. وكانت لذلك هذه المشيئة تسهيلاً للتوبة، وترغيبًا فيها، من ثم كانت الأشهر الحرم راحة، وتوقفًا عن القتال يثبت خلالها الرغبة فى السلام.. ولكن الله سبحانه وتعالى لم يشأ أن يجعلها خضوعًا لعدو يقاتلك، فهو لم يأمر مثلاً خلال الأشهر الحرم بأن نلقى سلاحنا ويأتى أعداؤنا ليذبحونا وليقتلونا، فنقول لهم: اذبحوا كما شئتم، لأننا لم نقاتل لأننا فى الأشهر الحرم، لأن الله تعالى قال: ﴿ **وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ** ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ** ﴾[2].

ومن هنا فإنه إذا حدث قتال فى الشهر الحرام فلا تقل إنك اعتديت عَلَيَّ فى الشهر الحرام؛ لأنك بدأت بالعدوان عَلَيَّ ويستطرد فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً: إن الشهر الحرام هو ساتر زمنى، ليفيق أولئك الذين يتخذون الحرب وسيلة لحل مشاكلهم، ويمتنع عن القتال خضوعًا لأمر الله، ومن هنا يحفظ لهم الغرور الذى طالما أهلك النفس البشرية وقادها إلى أشياء فيها أذى كبير. وبعد عن الله، ذلك أن الغرور يهز الإيمان بالنفس البشرية ويزعزعه، على أن الذى بمكة مكان: «البيت

---

(١) سورة البقرة: ١٩١ .

انظر الطبرى (٣/ ٥٦٥).

(٢) سورة البقرة: ٢١٧ .

الحرام» حدده الله سبحانه وتعالى منذ خلق آدم . . كما حدد جبل عرفات قبل أن يتم بناء الكعبة المشرفة، ويرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل. كان هناك تل صغير فى هذا المكان، وكانوا يطوفون بمكان البيت، ويقفون بعرفات، فالحج موجود منذ وجد آدم عليه السلام، ومنذ نزل البشر إلى الأرض.

[٢٦٣]

ما لبس المرأة فى الإحرام؟

س: ما هو لبس المرأة فى الإحرام؟

(جـ): الملبس العادى للمرأة هو لبس الإحرام.

[٢٦٤]

الصفا والمروة من شعائر الله

س: ما سر السعى بين الصفا والمروة؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن الصفا والمروة شعيرتان من شعائر الله، وسر استبقاء هاتين الشعيرتين: أن سيدنا إبراهيم ترك زوجته هاجر وطفلها سيدنا إسماعيل بوادٍ غير ذى زرع، ليس فيه من مقومات الحياة إلا الهواء.

وذلك أمر غير طبيعى من زوج وأب مثل سيدنا إبراهيم. ولكن إبراهيم كان أمة قانتًا لله، يصدع بالأمر دون مراعاة لأسباب البشر.

ولو كان إبراهيم سيبقى معهما لسكتت هاجر، لأنه بذلك يتحمل عناء الفكر فى ضروريات الحياة، ولكنه كان على رحيل، فلما سألته وعلمت أن ذلك عن أمر الله، قالت بيقين العبد فى ربه وثقة المؤمن فى إلهه: «إذًا لا يضيعنا».

وذلك أول درس للغافلين الذين يذكرون الأسباب وينسون خالق الأسباب.

ثم يقرن هذا الدرس بدرس آخر، هو ألا تهمل الأسباب، لأن الأسباب من عطاء الله، فإن جوارح المؤمن تعمل، وقلبه يتوكل. . وكذلك كانت هاجر.

فكما أنها توكلت على الله فى ترك زوجها لها ولطفلها، كانت ذات نصيب

فى الجهاد بالسبب فـى الدرس الثانى.. فذهبت إلى الصفا لعلها تجـد مظهر حياة يدل على ماء، فلما لم تجد سـعت إلى المروة، ثم عادت إلى الصفا، وظلت هكذا سبعة أشواط، وعادت مجهدة متعبة غير ساخطة، لأن لها رصيد الإيمان بقدرة الله سبحانه.

وكان ربها عند حسن ظنها به، فـقد تفجر الماء عند الطفل الذى لا حول له ولا قوة.. وهكذا يجزى الله المتوكل، فيرزقه من حيث لا يحتسب، ولكن بعد أن يبذل المستطاع من الجهد.

[٢٦٥]

المعنى الإيمانى لوجود الحجر الأسود

س: ما المعـنى الإيمانى لوجود الحـجر الأسود، ولمـاذا توجد عليـه آثار أقدام، وهل هى مجرد آثار أقدام إبراهيم على الحجر؟ وما قيمة حجر عليه آثار أقدام؟

(جـ): يقول الإمـام الجليل: إن المعنى الذى أراده الله سبحانه وتعـالى بإبقاء هذا الحجر فى مـكان مقدس، هو معنى إيمانى كـبير.. فالله قد أمـر إبراهيم عليه السلام بحـجر ووقف عليـه.. لماذا؟ ليرفع البناء أكـثر قليـلاً مما كلف به من بناء البيت، وكان ينقل هذا الحجـر من مكان إلى آخر، ويقف عليه ليكمل البناء، وهنا يأتى المعنى الإيمانى.. وهو أن الإنسـان المؤمن لا يكتـفى بالتكليفـات.. بل يزيد عليها ومن هنا حاول إبـراهيم أن يزيد من هذه التكاليف.. وكذلك نجد أن الركن الوحـيد فى الإسـلام الذى يكتـفى كثـير من المؤمنين بـالفريضـة فيـه هو الحج، فالمفروض أن الحج مرة واحدة فى العمـر لمن استطاع إليه سبيلاً ولا يمنع من تكرار الحج أكثر من مرة إن استطاع المؤمن إلى ذلك سبيلاً.

[٢٦٦]

حكمة تقبيل الحجر الأسود

لقد عـرضت هذا السـؤال على فضـيلة الإمام الجليل الشـيخ محـمد متـولى الشعراوى فأفاد:

تقبيل الحجر الأسود ثبت من المشرع.

ويوضح فضيلته:

العبادة فى عدم جلاء حكمتها.

وحكمة العبادة فى أنها صادرة من الله.

والله لا يكلف إلا من أحبه.

فالتكليف تشريف من الحق سبحانه وتعالى لعبده.

ويقول الشيخ الشعراوى:

عجيب أمر المؤمنين مع ربهم إن الله يكلف من يحبه، ولا يخلو تكليف من مشقة.

[٢٦٧]

إنابة الزوج فى رمى الجمار

س: ترافقنى زوجتى فى الحج، فهل يجوز لى أن أنوب عنها فى رمى الجمار تفاديًا للزحام؟

(جـ): يجوز أن تنوب عن زوجتك فى رمى الجمار، ولو لم يكن الطريق مزدحمًا.

[٢٦٨]

التحلل الأول والتحلل الثانى

س: عزمت على الحج وتقدمت للقرعة، ولكن لم تصبنى القرعة، فهل لى ثواب الحج؟

(جـ): لا شك أن لك ثوابًا على نيتك، ولكنه لا يعدل ثواب من أدى الفريضة، وعليك ما دمت مستطيعًا أن تتقدم للقرعة كل عام، لعل الله أن يجعل لك نصيبًا فى أداء الفريضة.

س: وما هو التحلل الأول والتحلل الثانى؟

(جـ): إذا رميت جمرة العقبة الأولى يوم النحر، ثم قصرت شعرك أو حلقته حل لك ما كان محرمًا عليك، إلا عقد النكاح والوطء ومقدماته، ويسمى التحلل الأول، فإذا طفت طواف الإفاضة، حل لك كل ما كان محرمًا بالإحرام، ويسمى التحلل الثانى.

[٢٦٩]

تكـــرار الحـــج والعمـــرة

س: هل تكرار الحج وفيه مزاحمة لمن لم يحج، وتكرار العمرة فى السنة الواحدة مكروهان؟ وهل التصدق بمصاريف الحج المكرر أكثر ثوابًا عند الله؟

(جـ): أكبر دليل على خطأ هذه الفكرة أن أكثر الحجاج هم العوادون كما أن المتطوع لا يجبر على تطوعه فى لون معين به، له أن يفعل ما يحب وما تسر له نفسه ولا شيء أفضل له من غيره. أما عن تكرار العمرة فلا شيء فيه، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾(١).

وقول البعض: إنه لا يصح عمل أكثر من عمرة فى العام الواحد؛ لأن العمرة دون الحج؛ فلا يصح أن أكرر الأقل، ولا أكرر الأصل، ونرد عليهم بأن الحج مرتبط بزمان، وما دام كذلك فلا أستطيع أن أكرره فى غير زمنه، لا أقول سأحج فى شوال، أو فى صفر، ولكن للحج وقت محدد، لا يصح فى غيره. أما العمرة فغير مقيدة بزمن، فأستطيع أن أؤديها فى أى وقت، ولو أتيحت لى الفرصة، لأكررها فلا حرج.

[٢٧٠]

الحيض والنفاس فى الحج والعمرة

س: ما حكم الحيض والنفاس فى الحج والعمرة؟

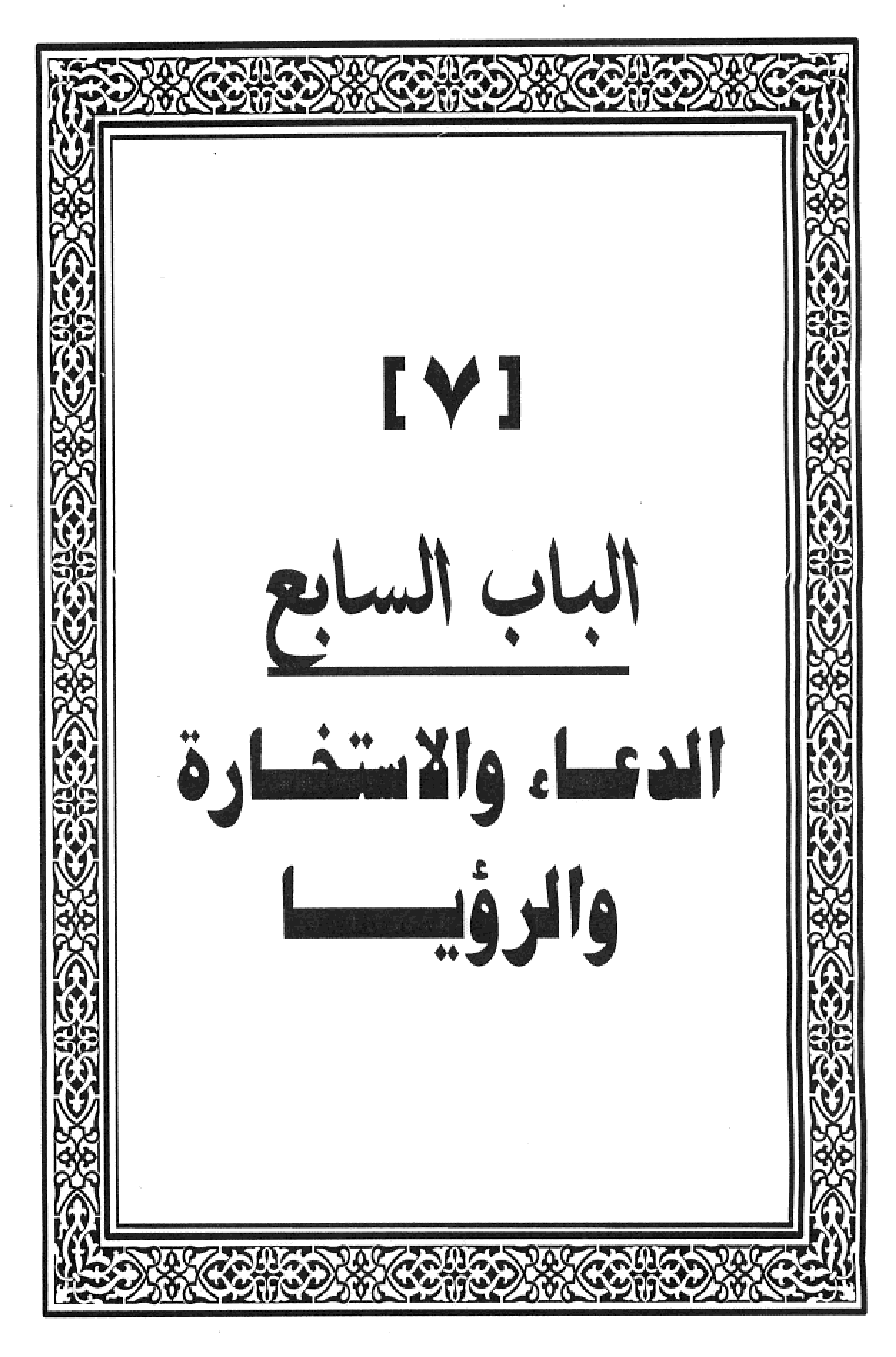
(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

يباح كل أعمال الحج عدا الطواف، وقد أفتى الأزهر الشريف للمتزوجة وغيرها إباحة تناول قرص واحد يوميًا مانعًا للحمل عقب الدورة التى تسبق السفر والطواف، ودخول المسجد، وأجاز الشافعية طواف الحائض للإفاضة المضطرة للسفر كعذر شرعى بشرط الاغتسال، وعصب موضع الدم وتعفى من طواف الوداع.

---

(١) سورة البقرة: ١٥٨ .

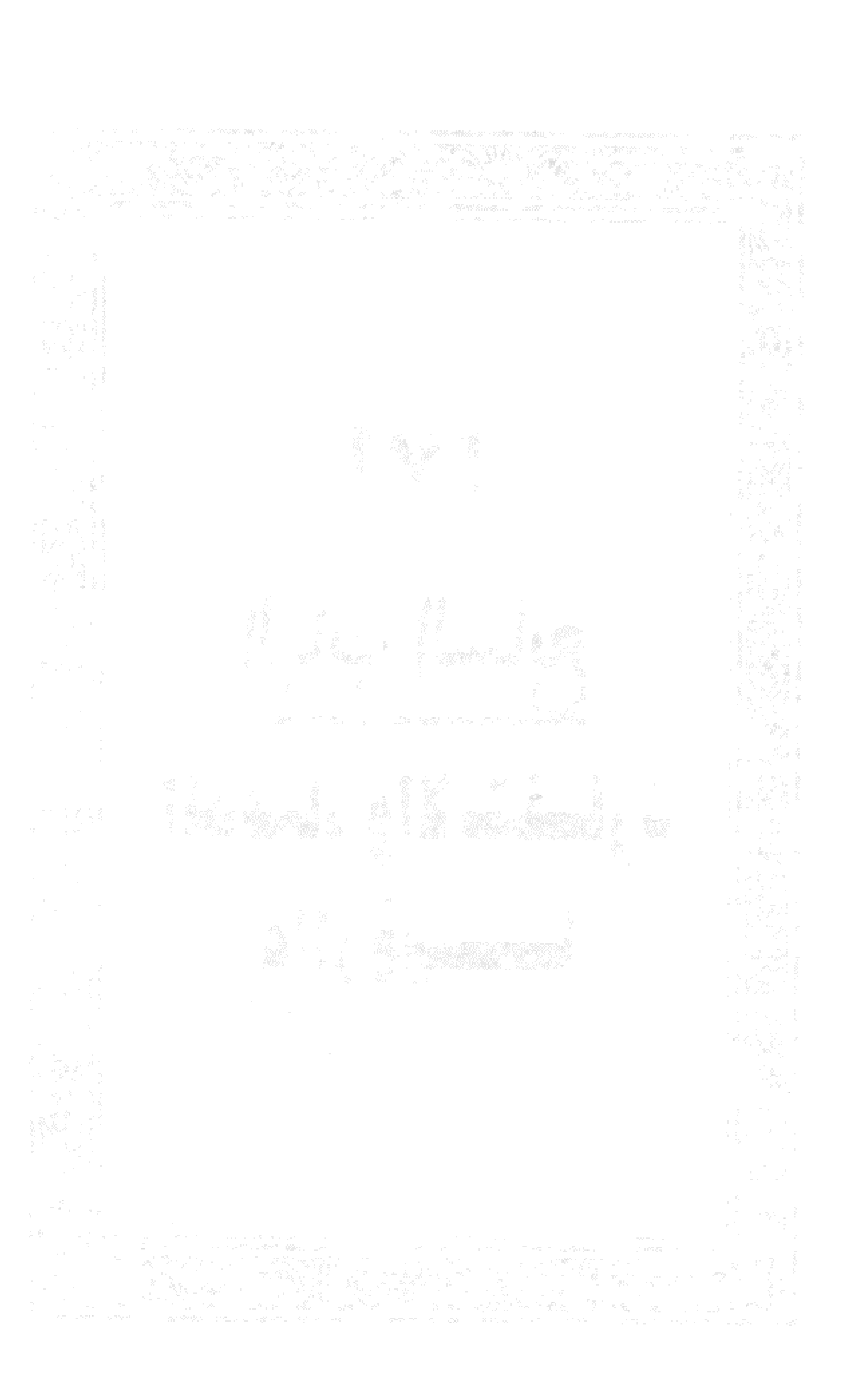
انظر الطبرى فى تفسيره والبحر المحيط (١/ ٤٥٦).



[٧]

الباب السابع

الدعاء والاستخارة والرؤيا



[٢٧١]

الدعــــاء

س: يجرى دائمًـا على ألسنة النـاس هذا التسـاؤل: إننى أدعـو الله، فـلا يستجيب لى، فـهل هذا يدل على عدم الصلاح والتقوى، وعـدم رضى الله سبحانه وتعالى عنى؟.

أم أن الدعاء شرط استجابته أن يقترن بأمور أخرى لا أعرفها؟

(جـ): يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن الله يريد من الإنسان أن يقول يا ربى، حـتى يكون جزاؤه عظيمًا. . لأنه يقبل على منهج الله باخـتياره وبمحض إرادته، وهذا هو مـراد الله من الإنسان [أن يقبل على ربه غير مقهور وغير مجبور].

وقد يطلب الإنسان من الله شيـئًا فيه ضرر كبير، ولو كان يبـدو خيرًا حيال ناظريه، فقد نطلب مالاً مثلاً؛ فيـفسدنا، ويبعدنا عن الله، ويجعلنا نطغى وها هو الخسران المبين.

والله سبحانه وتعالى يـريد أن يحفظنا، وأن يعطينا ثواب الآخرة وأن يجعل لنا حظًا من النعـيم، وبناء على هذا كله تقف الاستـجابة، وتكون رحـمة من الله سبحانه وتعالى، فقد يتمنى الإنسان السفر إلى بلد ما، ويكون فيه إيذاء له.

وقد يتـمني الإنسان أن يتم شـىء، وفيه شـر كبـير. . يقول الحـق تعالى: ﴿**وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ**﴾(١).

ويقول أيضًا: ﴿**وَاللَّـهُ يَعْلَـمُ مُتَقَلَّبَكُـمْ وَمَثْوَاكُـمْ**﴾(٢)، ﴿**وَاللَّـهُ يَعْلَـمُ إِسْرَارَهُمْ**﴾(٣)، وقد نحب شيئًا بينما وضـع الله فيه شرًا وبيلاً. . ويجب أن نفهم أن كراهيتنا للشيء أو حبنا له ليست هى الخير بالنسبة لنا.

والناس عادة تنظر إلى ظاهر الحياة الدنيا، ولا تنظر إلى حـقيقتها. وبعد أن ذكر الله فـى سورة الأنبـياء دعوات الأنـبياء واسـتجـابته لهـم قال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُـوا لَنَا خَاشِعِـينَ**﴾(٤)، وهنا أسباب الاستجابة للدعاء: المسارعة فى الخيرات، والدعاء رهبة ورغبة والخشوع لله.

---

(١) سورة البقرة: ٢١٦.

(٢) سورة محمد: ١٩.

(٣) سورة محمد: ٢٦.

(٤) سورة الأنبياء: ٩.

[٢٧٢]

الدعـــاء المستجـــاب

قال تعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾(٢).

فما هو الدعاء المستجاب؟، وما هو مطلوبات الاستجابة وما هو الدعاء غير المستجاب؟ ولماذا يدعو الكثيرون من الناس ربهم، ولا يستجيب لهم؟ هل معنى هذا أن دعاءهم غير خالص، أم غير متوفر فيه شروط الإجابة؟

(جـ): ويريحنا فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى بالإجابة الشافية التى تثلج الصدر، وتريح القلب، وتسر الخاطر فيقول:

بعض الناس يرفع يديه للسماء ويقول: يا رب، ولا يستجاب له؛ لأن الله سبحانه وتعالى يستجيب لخير عباده المؤمنين، وقد نطلب من الله شيئًا فيه أذى وضرر كبير، ولو كان يبدو فى ظاهر الأمر خيرًا، وقد نطلب مالاً فيفسدنا، ويبعدنا عن الله، ويجعلنا نطغى، والله يريد أن يحفظنا، ويعطينا ثواب الآخرة، وأن يجعل لنا حظًا من النعيم، ومن هنا تكون الاستجابة وقفًا، وتكون رحمة الله سبحانه وتعالى، يقول الحق جل شأنه: ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾(٣).

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة غافر: ٦٠ .
ندب الله تعالى عباده إلى دعائه، إذ تكفل لهم بالإجابة (انظر مختصر ابن كثير (٢/٢٥١)).

(٢) سورة البقرة: ١٨٦ .
انظر تفسير القرطبى (٢/٣١٧)، والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (١/١٩٧)، وما بعدها.

(٣) سورة البقرة: ٢١٦ .

(٤) سورة النور: ١٩ .

ونحن قد نحب شيئًا قد وضع الله فيه شرًا وبيلاً. . . وقد أوضح الشيخ الشعراوى القاعدة ببلاغة وبيان بقوله:

يجب أن نفهم أن كراهيتنا للشيء، أو حبنا له ليست هى الخير بالنسبة لنا. . فأنا قد أحب أن أملك من متاع الدنيا الكثير، وقد يورثنى هذا المتاع هلاكًا، ويقودنى إلى شر مستطير، وهذا الشر لا يكون فى الآخرة فحسب، إنما فى الدنيا أيضًا.

ويوضح الشيخ الجليل هذه القضية بقوله:

ليس كل بيت زخرفه جميل حياته سعيدة، بل ربما يكون من أشقى بيوت الأرض قاطبة.

ومن الذى يتقبل الله منه الدعاء؟

هذا واضح فى القرآن الكريم سورة الأنبياء بعد أن ذكر لنا دعوات الأنبياء واستجابته لهم قال:

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[1]. فشرط استجابة الدعاء، المسارعة فى الخيرات، فالدعاء يتقبل من العبد الخير الذى يسعى فى الخير، ولا يتقبل من عبد يسعى فى الشر، وإيذاء البشر، وهو بذلك إنما يحاول أن يفسد نظام الكون مخلوق الله.

والمسارعة فى الخيرات جزء من الإيمان، له أهميته القصوى. لماذا؟ لأنه إيمان الجزاء وبالآخرة، وبقدر الله، وقدرته سبحانه وتعالى.

فمن سارع فى الخيرات أصبح مستجاب الدعوة.

[٢٧٣]

أجمل الدعاء

س: ما أجمل دعاء يدعو المسلم به الله؟

(جـ): أجاب الشيخ الشعراوى لما عرضت عليه هذا السؤال:

ما علمه النبى -ﷺ- للسيدة عائشة:

(١) سورة الأنبياء: ٩٠ .

«اللهم إنك عفو تحب العفو، فاعف عنى»[١].

[٢٧٤]

الدعاء غير المستجاب

س: نعلم جميعًا أن الله سبحانه وتعالى استجاب لإبليس دعاءه إياه عندما قال: ﴿أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾[٢] فقال الحق جل شأنه: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾[٣] والكثيرون من الناس يسألون: أنهم يدعون الله دائمًا ليلاً ونهارًا ولا يستجيب لدعائهم فما التعليل لذلك؟

(جـ): الله سبحانه وتعالى يستجيب حتمًا لخير عبده المؤمن، وما هو قادم غيب عنا.. لا يعلمه إلا الله وحده، ومن هنا فإنا لا نصلح أن نكون حكمًا لما هو قادم.

وقد تطلب من الله شيئًا وفيه ضرر كبير، ولو كان يبدو خيرًا، وقد نطلب مالاً؛ فيفسدنا ويبعدنا عن الله، ويجعلنا نطغى، وهذا هو الخسران المبين، والله يريد أن يحفظنا.. وأن يعطينا ثواب الآخرة.. وأن يجعل لنا حظًا من النعيم، ومن هنا تقف الإجابة وتكون رحمة الله سبحانه وتعالى وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾[٤].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٥] ولكن الناس ينظرون إلى ظاهر الحياة الدنيا ولا ينظرون إلى حقيقتها، فالحق سبحانه وتعالى إذا وجد فى سابق علمه الأزلى خيرًا؛ عجل بالإجابة، وإن وجد شرًا أجل.

[٢٧٥]

الدعاء ليس اعتراضًا على المقدور

س: تقول الآنسة س.م.ع:

---

(١) الترمذى فى جامعه الصحيح (٣٥١٣) والمسند (٧/ ١٧١، ١٨٢، ١٨٣، ٢٠٨).

(٢) سورة الأعراف: ١٤.

راجع القرطبى (٧/ ١٤٧).

(٣) سورة الأعراف: ١٥. (٤) سورة البقرة: ٢١٦. (٥) سورة النور: ١٩.

إنها لم تتزوج برغم أنها بلغت الخامسة والعشرين، وبنات بلدتها يتزوجن فى سن صغيرة، وهى تسأل: هل الدعاء إلى الله أن يرزقها الزوج الصالح يعتبر اعتراضًا على قدر الله؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

لا شىء فى دعائك لله أن يرزقك الزوج الصالح، وما دام الإنسان يدعو بما أحل الله له، فله أن يدعو بما يشاء.

[۲۷٦]

من دعاء الصلاة

س: سأل الصديق -رضي الله عنه- الرسول -ﷺ-، أن يعلمه دعاء يدعو به فى صلاته؟

(جـ): فقال -ﷺ-: «قل اللهم إنى ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك، وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم»(١).

[۲۷۷]

شروط وآداب الدعاء وكيفية ختم الصلاة

س: ما شروط وآداب الدعاء وكيفية ختم الصلاة، وسجدة الشكر؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: شروط وآداب الدعاء:

الدعاء هو الطلب على سبيل التضرع. وقد ذهب أهل السنة إلى أن الدعاء ينفع فى القضاء المعلق، والقضاء المبرم، لقول النبى -ﷺ-: «**دعوة المظلوم مستجابة، ولو فاجرًا**»(٢) وأما قول الله تعالى: ﴿**وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ**﴾(٣) فمعناه أنه لا يستجاب للكافرين فى دعائهم، برفع العذاب عنهم يوم

---

(١) مسند الإمام أحمد (١/٧).

(٢) المسند (٢/٦٣٧). (٣) سورة الرعد: ١٤.

القيامة، فلا تعارض بين الحديث والآية -ودليلهم من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿**وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾[1] وقوله جل شأنه: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾[2] ومن السنة ما رواه البزار والطبرانى والحاكم، عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل، وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة**»[3] يعنى يتصارعان ويتدافعان.

للدعاء شروط وآداب ينبغى مراعاتها:

١- أكل الحلال.

٢- أن يدعو وهو موقن بالإجابة.

٣- ألا يكون قلبه غافلاً.

٤- ألا يدعو بما فيه إثم، أو قطيعة رحم، أو إضاعة حق من حقوق المسلمين.

٥- ألا يدعو بمحال، ومن آدابه أن يتحرى الأوقات الفاضلة.

يستجاب الدعاء بين الآذان والإقامة، لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «**لا يرد الدعاء بين الآذان والإقامة**»[4] وأثناء السجود فى الصلاة، لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد**»[5].

وفى وقت السحر، حين يبقى ثلث الليل الأخير، لقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: «**إن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول: هل من تائب؛ فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ هل من سائل فيعطى مسؤله حتى يطلع الفجر**»[6].

---

(١) سورة غافر: ٦٠. (٢) سورة البقرة: ١٨٦.

(٣) أخرجه الحاكم عن عائشة وصححه السيوطى فى الصغير (٢/ ٥٨٨/ ٩٩٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود (١/ ٣٥٨/ ٥٢١) والترمذى (٢١٢) وسنده ضعيف، لكن رواه أحمد فى المسند من طريق آخر صحيح وزاد فيه (فادعوا). المسند (٣/ ١٥٥) و(٢٢٥) وصححه ابن حبان (٢٩٦).

(٥) مسلم (٤٨٢) وأبو داود (١/ ٥٤٥/ ٨٧٥) والنسائى (٢/ ٢٢٦).

(٦) المسند (٢/ ٢٨٢) و(٢/ ٤٨٧) و(٢/ ٥٠٤) و(٤/ ٨١).

وفى يوم الجمعة لقول الرسول -ﷺ-: «**إن فى يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها خيراً، إلا أعطاه إياه وهى بعد العصر**»(١). وفى شهر رمضان عند الإفطار أو حال الصيام، لقول الرسول -ﷺ-: «**ثلاثة لا يرد دعوتهم الصائم حين يفطر**» وفى رواية: «**حتى يفطر**» **والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين**»(٢). وفى ليلة القدر، وفى يوم عرفة قال -ﷺ-: «**خير الدعاء يوم عرفة**» وعند الجهاد، وبعد الصلوات وعند الأذان..

وهناك بعض الأحوال التى يستجاب فيها الدعاء وهى: دعوة الوالد لولده، ودعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب، ودعوة المريض، ودعوة المسافر، والله تعالى يستجيب دعاء من دعاه إذا أحسن الإيمان بربه، واستجاب لأوامره فهو القائل عز من قائل: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ** ﴾(٣) وقوله جل شأنه: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾(٤)، وعندما يقدم العبد دعاءه بالصلاة والسلام على رسول الله، ويختمه بذلك ضمن الإجابة من الله.

ثانيًا: كيفية ختم الصلاة:

كان رسول الله -ﷺ- إذا فرغ من صلاته قال: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير**» عشر مرات. وكان يقول: «**استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه**» ثلاثًا، ثم يقول: «**اللهم أنت السلام، وإليك السلام، ومنك السلام تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام**».

ثم يقول: «**اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا راد لما قضيت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد**». ثم يقرأ آية الكرسى، ويسبح -ﷺ- ثلاثًا وثلاثين، ويحمده ثلاثًا وثلاثين، ويكبره ثلاثًا وثلاثين، ثم يقول تمام المائة: «**لا إله**

---

(١) المسند (٢/ ٢٧٢) و(٥/ ٤٥٣).

(٢) المسند (٤/ ١٥٤) و(٢/ ٣٠٥).

(٣) سورة غافر: ٦٠ .

(٤) سورة البقرة: ١٨٦ .

إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير».

ثالثًا: سجدة الشكر:

يستحب عند جمهور العلماء السجود للشكر لمن حدثت له نعمة تسره، أو تجددت له، أو صرفت عنه نقمة، وسجدة الشكرة سنة، وليست واجبة، ولا سجود للشكر فى الصلاة، إذ ليس من توابعها.

أما الحديث الدال على سجدة الشكر فهو: عن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله -ﷺ- خرج، فاتبعته حتى دخل نخلاً فسجد، فأطال السجود حتى خفت أن يكون الله قد توفاه، فجئت أنظر فرفع رأسه فقال: «**مالك يا عبد الرحمن؟**»، فذكرت ذلك له فقال: «**إن جبريل عليه السلام قال لى: ألا أبشرك؟ إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك، سلمت عليه فسجدت لله عز وجل شكرًا**»[1].

[٢٧٨]

الاستغفار والحج ومحو الذنوب

س: هل يستغفر الإنسان من كل ذنب بالتخصيص على حده، أم يستغفر من ذنوبه جميعًا على العموم؟ وما مدى صحة القول: الحج يمحو الذنوب جميعًا، إذ يرجع الحاج من ذنوبه كيوم ولدته أمه؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: لا بل يستغفر من كل ذنب على حده، ولكن ساعة تذكر الذنب بخصوصه وساعة لا تذكر الذنب تستغفر من كل ذنب، وكلما بكيت على ذنب أصبح حسنة، فكل من يؤلمه ذنبه فيذكره بألم وندم يكون حسنة وهذا هو معنى يبدل الله سيئاتهم حسنات، ولكن يجب الفهم أن الله يغفر بالحج الذنوب المتعلقة به..

أما الذنوب المتعلقة بالعباد فلابد من استبراء العباد. أما ما لا يذكره مما فعل

(١) المسند (١/ ١٩١)، ومسلم (٣٨٤) و(٤٠٨)، وأبو داود (٢/ ١٨٤/ ١٥٣٠)، والترمذى (٤٨٥) والنسائى (٣/ ٥٠).

فى حق العباد، فقد علمنا أن نقول: «أستغفر الله العظيم لى ولوالدى ولأصحاب الحقوق علىَّ»(١).

[٢٧٩]

هل الاستغفار يمحو الذنوب؟

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٢).

س: فهل معنى هذا أن الاستغفار يمحو الذنوب؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: هذه الآية الكريمة توضح لنا معنى الاستغفار.. وكيف أنه لا يحدث إلا إذا كان الإنسان فى قلبه إيمان، ومعنى الآية الكريمة: أنه ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم؛ لأننى أرسلتك رحمة للعالمين، وحيث أن رحمتى سبقت عذابى.. لذلك فأنا لا أعذبهم وأنت فيهم الرحمة المهداة.. ثم تمضى الآية الشريفة؛ لتشرح ماذا سيحدث بعد انتقال رسول الله إلى جوار ربه... وهنا يكمل الله الحديث فيقول: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٣) إذن بعد انتقالك يا محمد إلى جوار الله، فإن الله سبحانه وتعالى لن يصيب بعذابه المستغفرين.. لماذا؟.. لأن الاستغفار هو الخضوع، وهو الخشوع لله.. ولا يوجد الخضوع إلا فى قلب مؤمن. وما دام الإيمان موجودًا فى القلب فرحمة الله تحيط بعبده.

وهكذا يبين الله سبحانه وتعالى لنا قيمة الاستغفار عنده.. وكيف أنه يمنع العذاب، ويمحو الذنوب ويمضى الله سبحانه وتعالى فى بيان فضل الاستغفار إليه، فيقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(٤).

إذن أولى مراحل المغفرة وأهمها هى الاستغفار.. والخضوع لله والخشوع

(١) لعل فى هذا الدعاء أداءً للحقوق إلى أربابها.

(٢) سورة الأنفال: ٣٣.

راجع التفسير الكبير (١٥/١٥٨).

(٣) سورة الأنفال: ٣٣.

(٤) سورة النساء: ٦٤.

لله.. من أقوى علامات الاستغفار. والقلب غير المؤمن. ليس فيه رحمة ولا فيه مغفرة، ورسول الله -ﷺ- كان يدعو أمته دائمًا للاستغفار، وكان يقول: «**استغفروا الله فإنى أستغفره فى اليوم مائة مرة**».

فإذا كان رسول الله -ﷺ- الذى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، يستغفر الله فى اليوم مائة مرة، فكيف يكون حالنا نحن؟

إذن الاستغفار مرتبة من مراتب الإيمان بالله، والخشوع لله سبحانه وتعالى.. ولا يدخل إلا قلب مؤمن.. ولا ينطق بصدق إلا إنسان يخشى الله.. ولا يهرع إليه إلا من يخاف ربه، ويخشى يوم الحساب. عسى الله أن يقبل الدعاء.. ويغفر الذنب، وتفيض الرحمة.

وعندما يأمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم بالاستغفار، فإنه من خلاله يأمرنا جميعًا أن نستغفر لذنوبنا.. وإذا كان الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله الذى غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر بالاستغفار.. فهذا أمر لنا بالإكثار من طلب المغفرة، والغفران من الله؛ ليمحو ذنوبنا، ومن يغفر الذنوب إلا الله، فلنهرع جميعًا إلى الاستغفار، وليرفع الظلم، ونتوب إلى الله وتخشع قلوبنا، إذن الاستغفار فيه تذكير دائم بقدرة الله وقوته وضعف عبده وعجزه.. وفى هذا تذكير لنا بالله سبحانه وتعالى كلما نسينا، وبالحساب كلما أخذتنا الدنيا بعيدًا عما أمرنا به الله، وخضوعًا وخشوعًا للقدرة الكبرى، والقوة الكبرى التى نعبدها، وهى الله سبحانه وتعالى.

وقال الحق تبارك وتعالى لرسوله: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾(١).

[٢٨٠]

استغفار بلا ذنب

س: فما هو الذنب الذى اقترفه رسول الله -ﷺ- حتى يستغفر له؟

(جـ): يجب حيال هذا أن نضع أمامنا حقيقتين:

أولاهما: أن رسول الله -ﷺ- أرسل رحمة للعالمين.. ومن هنا فإنه

---

(١) سورة غافر: ٥٥ . وسورة محمد ٩٩ .

انظر الطبرى (٢٤/ ٥٠) والقرطبى (١٥/ ٣٢٤) وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ١١) والتفسير الكبير للرازى (٢٧/ ٧٨) والكشاف (٣/ ٤٣٢).

رحمة. . وأن الله سبحانه وتعالى هو القوى العزيز الجبار القادر، الذى يمهل ولا يهمل. . فإذا أخذ، كان أخذه أخذ عزيز مقتدر.

ولقد كان رسول الله -ﷺ- يحمل نفسه فوق طاقته مع الكفار والمنافقين، ويشقى ويعذب نفسه من أجل ذلك، والله سبحانه وتعالى يقول له: ﴿ **مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى** ﴾[1]. ويقبل عذر المنافقين، ويأذن لهم فى تخلفهم عن الجهاد، فيقول له الحق: ﴿ **عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ** ﴾[2].

وهنا يلوم الله سبحانه وتعالى رسوله على الإفراط فى الرحمة، وهؤلاء الكفار الذين عذبوا رسول الله، وحاربوا دين الله يموتون، فيأتى رسول الله -ﷺ- ويصلى عليهم عسى الله أن يرحمهم، فيقول له الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا** ﴾[3].

س: وهل صلاة رسول الله عليهم ذنب؟

(جـ): إنها إفراط فى الرحمة، وإجهاد لرسول الله. . وهو يطلب لهم الرحمة فيخاطبه الحق سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ **إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ** ﴾[4].

[٢٨١]

الانكسار لله تعالى

س: الانكسار لله تعالى.. كيف السبيل إليه؟

---

(١) سورة طه: ٢ .

(٢) سورة التوبة: ٤٣ .
انظر جامع البيان (١١/ ١٤٢).

(٣) سورة التوبة: ٨٤ .
انظر تفسير البيان.

(٤) سورة التوبة: ٨٠ .
فى الكشاف (٢/ ٢٠٥) (بتصرف) قال الزمخشرى: والسبعون جار مجرى المثل فى كلامهم للتكثير، ثم يقول: وكيف خفى على رسول الله -ﷺ- وهو أفصح العرب وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته؟! يقول: لم يخف عليه ذلك، ولكن خيل بما قال إظهارًا لغاية رحمته ورأفته.

(جـ): عندما يملك الإنسان أسباب الحياة المختلفة ينسى المسبب، ويتصور أنه هو الذى أتى بالأسباب بعمله وجهده، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[1] فإذا تذكر الإنسان مع كل سبب أن الله سبحانه وتعالى هو المسبب يكون فى هذا الانكسار لحركة الأسباب، وعندما يرى الإنسان أن ما عداه من الناس خير منه فى الحسنات، وأنه هو أكثر من غيره فى السيئات، فكل إنسان مقتنع بسيئاته، ولكنه يظن أن غيره قد فعل سيئة.

فلا تنكير بأواثق السيئات على مظنون السيئات. كذلك انظر إلى كل صاحب فضيلة وقل: إنه أفضل منى، وإذا نظرت إلى صاحب رذيلة فأعرف أن بك من الرذائل أكثر منه، وهذا يخلصك من غرور نفسك، فالغرور هو اعتقادك بأنك أفضل من غيرك، واختصار معنى الانكسار إلى الله، هو الاعتقاد يقينًا بأنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وتدريب النفس على معنى قوله تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾[2]. . ولكى يلفت الله الناس إلى ذلك الباب فتجده يعطى من لا حيلة له ليتعجب صاحب الحيلة، ولكنه سبحانه وتعالى لا يجعل هذه القضية عامة؛ لكى يدفعنا للأخذ بالأسباب.

إذن علينا دائمًا أن نتذكر أن الله سبحانه وتعالى هو المسبب، وهو واهب الأسباب. . هل وضح الآن معنى الانكسار لله تعالى.

[٢٨٢]

ما لربى وما لى؟

س: سأله الأعرابى الذى علمه الرسول -ﷺ- أن يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا والحمد لله كثيرًا وسبحان الله رب العالمين بكرة وأصيلاً ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، فقال: هذا لربى فما لى؟

---

(١) سورة العلق: ٦، ٧.

انظر حاشية الصاوى على الجلالين والقرطبى والكشاف (٤/ ٢٧١) وروح المعانى للألوسى (٣٠/ ١٨٢).

(٢) سورة الحجرات: ١١.

راجع القرطبى (١٦/ ٣٢٧) والطبرى (٢٦/ ٨٣) والبحر المحيط (٨/ ١١٣) والبيضاوى (٣/ ٣٧٣) والكشاف (٣/ ٥٦٥، ٥٦٦).

(جـ): فقال -ﷺ- قل: «اللهم اغفر لى، وارحمنى، واهدنى، وارزقنى، وعافنى (واعف عنى)، فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»(١).

[٢٨٣]

أى الدعاء أسمع وفى أى الأوقات ؟

س: يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٢) ونحن ندرك أن الدعاء هو مخ العبادة، وإنى لأسأل: أى الدعاء أسمع، وفى أى الأوقات؟ ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(٣).

(جـ): سئل -ﷺ-: أى الدعاء أسمع؟ فقال: «جوف الليل الآخر ودبر الصلوات والمكتوبات»(٤).

وقال: «الدعاء بين الأذان والإقامة لا يرد» فقالوا: فماذا نقول يا رسول الله؟ قال: «سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة»(٥).

وسئل -ﷺ-: بأى شىء نختم الدعاء؟ فقال: «بآمين»(٦).

[٢٨٤]

الباقيات الصالحات

س: سئل -ﷺ- عن الباقيات الصالحات؟

(جـ): فقال: «التكبير، والتهليل، والتسبيح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

[٢٨٥]

الاستخارة الشرعية

س: تسأل م.ع. ف:

---

(١) مسلم (٢٦٩٧).

(٢)، (٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) أوقات الاستجابة.

(٥) الترمذى (٣٥٩٤).

(٦) آمين: اسم فعل بمعنى استجب.

عن صلاة الاستخارة، وهل ما يراه الإنسان فى منامه بعد الاستخارة يدل على القبول أو الرفض؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

إن الرؤيا فى المنام ليست واردة فى الاستخارة، ولكن ما نراه فى المنام يأتى من شغل البال بالموضوع.

إنما الاستخارة الشرعية التى علمنا إياها النبى -ﷺ- هى: أن نصلى ركعتين، ثم نسأل الله بالدعاء المعروف وهو:

«**اللهم إنى أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لى فى دينى ومعاشى، وعاقبة أمرى، عاجله وآجله، فاقدره لى، ويسره لى، ثم بارك لى فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى، ومعاشى وعاقبة أمرى، عاجله وآجله، فاصرفه عنى، واصرفنى عنه، واقدر لى الخير حيث كان، ثم رضنى به**» ثم تسمى حاجتك.

ثم ما ينشرح له صدرك بعد ذلك فهو ما يريده الله لك.

والاستخارة لا تكون إلا فى الأمور المتساوية، بحيث لا يستطيع الإنسان ترجيح أحدها. كما أنها لا تكون فى أمر يتضح بالشرع، فلا يجوز أن أعمل استخارة لرجل تقدم لابنتى وهو على غير دين. فلابد أن تتوافر مقاييس الدين فى الأمر أولاً، ثم بعد ذلك تأتى الاستخارة.

فلو تقدم شابان مستقيمان، على دين واحد، واختار الإنسان بينهما لتساويها، فأعمل الاستخارة حينئذ.

[٢٨٦]

سنة الاستخارة والرؤيا الصالحة

س: يرى بعض الناس أن الاستخارة سنة عن النبى -ﷺ- الصادق المصدوق غير صحيحة، ويرفضونها البتة من أساسها، وقد حاولنا عبثًا إقناع بعضهم. فما رأى الشيخ محمد متولى الشعراوى؟

(جـ): إنه يؤمن بها تمامًا.

كما يثق فى الرؤيا الصالحة، ويرى أن الكافر لو رآها إنما لا يتفق صلاحها وكفره، ولكن صلاح الرؤية لمؤولها ومفسرها.

قال تعالى فى سورة يوسف:

﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾[1].

وملك مصر -فرعون مصر- وقتذاك كان كافرًا، وإنما جاءت هذه الرؤيا إليه، تكريمًا لمؤولها يوسف الصديق -عليه السلام- إذ قال:

﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[2]، وقد صدق.

ولما سئل -ﷺ- عن معنى قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[3]، فقال: «هى الرؤيا الصالحة يراها المؤمن، أو ترى له»[4].

[٢٨٧]

الرؤيا الصادقة

س: سيدى الشيخ.. ما هى الرؤيا الصادقة، وما هى خاصية الأنبياء والرسل فى هذا المضمار، وهل قصة الوليد التى ذكرها القرآن: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[5] تعطى معنى التنبؤ بالمستقبل؟

---

(١) سورة يوسف: ٤٣. (٢) سورة يوسف: ٤٧. (٣) سورة يونس: ٦٤.

(٤) وقال آخرون من العلماء: هى بشارة يبشر بها المؤمن فى الدنيا وعند الموت. وهذا الرأى نقلناه عن تفسير جامع البيان (١١/ ٩٣) وما بعدها.

(٥) سورة القلم: ١٦.

الخرطوم: كناية عن الأنف.

انظر قول الإمام الرازى فى ذلك فى التفسير الكبير (٣٠/ ٨٦) والكشاف (٤/ ١٤٣) وروح المعانى (٢٩/ ٢٨، ٢٩).

(جـ): من الممكن أن تتصور أن للعالم نموذجًا مصغرًا يبرز إلى الوجود على وفق ما قص قديمًا تمامًا، مثل المهندس الذى يصنع نموذجًا لعمارة سيبنيها فتأتى العمارة على وفق النموذج حتى ألوان الحجرات، ونظام الأثاث وهكذا، وكل هذا يأتى على قدر إمكانيات الفاعل، فقد يخطط المهندس على أن تكون حجرة المعيشة بلون معين، ولكن تقف قدرته وإمكانياته ساعة التنفيذ، لعدم توافر اللون المطلوب فى الأسواق مثلاً، أو أنه لا يستطيع تكوين نفس اللون الذى كونه عندما رسم النموذج؛ فيأتى بلون قريب، ولكنه ليس نفس اللون ويكون هذا بسبب سوء فى التخطيط أو عدم توافر الإمكانيات، ولكن ما بالنا بالذى لا تتغير إمكانياته، ولا تخونه قدرته فعندما يقدر شيئًا، فلابد أن يحدث. . فتأتى هبات، ترينا بعض المشاهدات من هذا النموذج المرسوم؛ فنستطيع أن نعرف الشكل المستقبل فنقول: إن هذا المكان سيبنى به بيتى صفاته كذا أو عدد حجراته كذا. . وهذه تعتبر بشرى، فمن مبشرات النبوة الرؤيا الصادقة بأى شكل.

فمن الناس من يرى الرؤيا وهو نائم، ومن الناس من لديهم صفائيات، فيستطيعون أن يروا الرؤيا عند الاستيقاظ، ونرى أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى للنبى عليه الصلاة والسلام أخبارًا حدثت قديمًا، ومعلوم أن محمدًا لم يثقف نفسه، فهو لا يعرفها وهم يعلمون عدم معرفته -عليه الصلاة والسلام- لها فتوافق الحقيقة القرآنية التى يقولها ما عندهم والله سبحانه وتعالى يؤكد عدم معرفة الرسول بها فيقول: ﴿ **وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ** ﴾[(١)] ﴿ **وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ** ﴾[(٢)] و﴿ **وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ** ﴾[(٣)].

وفى كل خرق فى حجاب الزمان الماضى. وفى غزوة مؤتة عندما أخذ -ﷺ- الرايات فى نفس وقت حدوثها، فى ذلك خرق فى حجاب الزمن.

---

(١) سورة القصص: ٤٦ .
انظر القرطبى (١٣/ ٢٩٢) وأبا السعود (٤/ ١٥٦) والكشاف (٣/ ١٨٣).
(٢) سورة آل عمران: ٤٤ .
الأقلام: هى القداح. على ما ذكر ابن منظور (١٥/ ٣٩٢) والأقلام هى الأزلام أيضًا. الطبرى (٦/ ٣٥١).
(٣) سورة القصص: ٤٥ .

وعندما كان -عليه الصلاة والسلام- يعد للمعركة، فيخط على الأرض ويقول: هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان، وبعد ذلك يأتى المستقبل، ويصدق ما قال، فمن الذى يستطيع أن يحدد حركة معركة يصول فيها الناس، ويجولون فيعلم الرسول أن فلانًا سيضرب وفى هذا المكان بالتحديد. كيف هذا؟ ويقول عند الوليد[1]: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾[2] فيحدد موضع الضربة.. من يستطيع أن يحدد فى معركة الأشخاص الذين يصرعون فيها والأماكن التى يصرعون بها، فهذا خرق للمستقبل، ويخبره به من يعلم واقعه، ولا يوجد من يخرج الأمر عن إرادته.. إذن هى خاصية خص بها الرسول لرفع مكانته -ﷺ-.

[٢٨٨]

لولا دعاؤكم

س: تسأل الحائرة ف.أ.ن:

هل يخفف الدعاء من المصائب؟ وهل يلطف الله بنا نتيجة الدعاء؟ وكيف يكون فى ذلك والله سبحانه وتعالى ينزل المصائب على الناس على الرغم من أنهم يدعونه؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن الإنسان يحدد اللطف بما عرف، فأنت تريدين أن تخضعى حكمة الله فى اللطف لحكمتك أنت.

ألم تطلبى شيئًا من الخير فى نظرك مرة، ثم يتبين لك بعد ذلك أنه شر!

بل لعل لطف الله ألا يجيبك إلى حمق دعائك... إذن ليس اللطف بأن تأتى الأمور على وفق ما يشتهى الإنسان، وإنما اللطف يأتى على وفق ما يريده الحق سبحانه وتعالى.

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومى، أبو عبد شمس: من قضاة العرب فى الجاهلية ومن زعماء قريش، ومن زنا دقتها، كان ممن حرم الخمر فى الجاهلية. وهو والد خالد بن الوليد سيف الله المسلول. وقد هلك بعد الهجرة بثلاثة أشهر. انظر اليعقوبى (١/ ٢١٥) وابن الأثير (٢/ ٢٦).

(٢) سورة القلم: ١٦ .

فإن كنا مؤمنين بحكمة الله تعالى، فيجب أن نأخذ اللطف على هذا المعنى، وليس أن اللطف هو تحقيق المراد لنا، لأن الله إذا حقق لعباده كل مراداتهم فإن هذا لا يكون مناسبًا لكمال الحق وحكمته.

ولكنه سبحانه وتعالى يعدل مطالبنا فى الخير.. فأنت تطلب الخير على قدر فهمك وتقديرك القاصر للأمور، أما الله فبحكمته العالية، يعلم أن ما تطلب من الأمر ليس خيرًا لك.. ويترك الله بعض الناس يصلون إلى خير يريدونه، ثم يعرفون بعد ذلك أنه شر، وهذا لكى يعرف هذا العبد أن الله حينما يقبض عنه طلبه: أن الخير فيما يختاره الله لنا، ولو كان بعدم تحقيق رغباتنا وطلباتنا، ولو جاء على غير مراداتنا.

فإن كنت تريدين اللطف من حيث تفهمين أنت، فليس هذا إيمانًا ولا عبودية، ولكن اللطف هو ما يعلم الله أنه اللطف.

ويجب أن نعلم جميعًا أن كل ما يجرى على العبد لطف من الله، لأنه ليس بين الله وبين عباده خصومة.. فالله قيوم، وهو رحمن رحيم، وكل صفات الله تعالى تدفعنا، وتطلب منا أن نأمنه على مصالحنا، وعلى اللطف.

فلا تطلبى مظهر اللطف بما تعرفين من اللطف، ولكن دعى اللطف لما يعرفه الله من اللطف.

[٢٨٩]

فضل قراءة القرآن

تمهيد:

قال تعالى: ﴿ **فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ** ﴾(١). وقال: ﴿ **وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ** ﴾(٢). وقال: ﴿ **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ** ﴾(٣). قراءة القرآن عبادة وأفضل وقت لقراءة القرآن هو وقت الفجر لقوله تعالى: ﴿ **وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** ﴾(٤) أى: تشهده ملائكة الليل، وملائكة النهار، والسؤال:

---

(١) سورة المزمل: ٢٠.
(٢) سورة القمر: ٤٠.
(٣) سورة القيامة: ١٧، ١٨.
(٤) سورة الإسراء: ٧٨.

س: هل قراءة القرآن الصامتة أثوب عند الله، أم القراءة المسموعة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: أنصح بالقراءة بصوت مسموع، وفى حالة الحفظ، فاقرأ أيضًا فى المصحف، لكى تعطى عينيك ثواب النظر، وأذنيك ثواب السمع، ولسانك ثواب النطق.

فالقرآن ليس مجرد كلمات تنطق، إنما ملائكة تصف لكل حرف ملك، وللقرآن ود مثل ودك للناس، فإذا جفوته نسيته.

س: والعوام والبسطاء من دهماء الناس الذين يقرءون، ولا يفهمون معانيه، ولا إعجازاته، هل يثابون على قراءة القرآن أيضًا؟

(جـ): قراءة القرآن نوعان: نوع يقصد به التعبد، وهذا لا علاقة لنا فيه بالمعنى؛ لأننا مهما فكرنا بالمعنى على قدر القارئ فاقرأ القرآن تعبيرًا بالمعنى المراد لله منه، وليس بالمعنى الذى نعرفه ونفهمه.

أما إذا قرأنا القرآن استنباطًا فهذا موضوع آخر بالمستنبط يقرأ الآية، ويقول معنى هذا اللفظ كذا وهذا اللفظ كذا: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾[1].

إذن أنا أقرأ القرآن للمعنى المراد لله فيه. ويجب أن نعلم أن الانتفاع بالأشياء لا يعنى فهم كيفية النفع فالرجل العادى يستفيد من مشاهدة جهاز التليفزيون أو الراديو، ولكن مهندسه يعرف ويعلم كل شىء فيه، وعدم معرفتى تلك الأجهزة لم يقلل استفادتى منها شيئًا. وهل عدم معرفتى بتركيب الدواء يمنع من فائدته؟.

كلا.. وإلا لطلب كل مريض من الصيدلى معرفة مكونات كل دواء يأخذه، إذن فقراءة القرآن بفهم أو بغير فهم تفيدنى. وعلينا أن نفهم القرآن بقدر قدرتنا، ولا يكلفنا الله بأكثر من هذا.

[٢٩٠]

التفاضل بين سور وآيات القرآن

س: هل هناك فى القرآن آيات أفضل من آيات، أو سور أفضل من سور؟

(١) سورة النساء: ٨٣.

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: لا يقال آيات أفضل من آيات، لأن كل آية فيها كلام من الله. ولكن كل آية فى موضعها هى الخير. فلا يقال مثلاً فى أى دواء مركب من عقاقير متعددة وعناصر كيماوية كثيرة: أن هذا العنصر خير من هذا العنصر، لأن كل عنصر فيه يؤدى مهمة تأتى بخير العافية وكمال الصحة.

ولكن آيات القرآن قد تحمل مناسبات فى أشياء خاصة للقرآن فيها آيات.. فكل آية فضلها فى أنها تعالج زاوية. فهى مع زاويتها الخير. ولا نقول خير من آية أخرى، لأن الآية الأخرى لها مجال هى فيه الخير.

[٢٩١]

قراءة القرآن بغير فهم

س: هل إذا قرأ القرآن إنسان ولم يفهم شيئًا من معانيه، هل يثاب عليه؟

(جـ): نعم يثاب على القراءة التعبدية.

[٢٩٢]

التسول بالقرآن

س: يسأل كثير من الشباب عن التسول بالقرآن الكريم فى أغراض دنيوية معينة فى الطرق والمواصلات؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: التسول فى كل صوره ممنوع؛ لأن كلمة التسول توحى صنعة فى السؤال، والسؤال لا يكون صنعة وإنما حاجة تعرض، وهو حين يسأل يكون فى حالة يستحق فيها الصدقة بحسب الظاهر إن لم تعلم حاله، ولا يصح أن تجتهد أنه سأل احترافًا بدون أن تتأكد من ذلك.

ولقد وضعت فى ذلك قاعدة احتياطية، وهى لأن تخطئ فى العطاء، خير من أن تصيب فى المنع.

أما أن يسأل بالقرآن، فذلك أمر يجب أن يتنزه عنه السائلون، وأن يعظ به المسئولون، حتى لا نعرض كلام الله لإذلال السؤال، وهوان المسألة.

وأظن أن التسول بالقرآن نشأ لترقيق قلب المسئولين بأن السائل منقطع لكتاب الله، وليست له قدرة على عمل شيء آخر، فالمعاملة الإسلامية تقتضينا تنظيم

علاج لهذا الأمر؛ بأن نهيئ لكل هؤلاء عملاً يكفيهم حاجاتهم، ولا يعرض كتاب الله لهذا التهوين.

[٢٩٣]

مواضع عدم ذكر اسم الله

س: هل هناك مواضع لا يذكر فيه اسم الله؟ وما هى؟ ولماذا لا يذكر فيها اسم الله تبارك وتعالى؟

(جـ): نعم.. وقد ذكروا من هذه المواضع بيوت الخلاء والحمام.. ووقت قضاء الحاجة.. وذلك تنزيهًا لاسم الله سبحانه وتعالى عن هذه المواضع المستقذرة، وهناك مواقف تجعل المؤمن ينزه اسم الله أو يذكره فيها، كما إذا جاءك سائل يسألك شيئًا، وليس معك ذلك الشيء.. وقد اعتدنا أن نقول للسائل حينئذ: (الله يحنن عليك) فمن أول ما يسمع كلمة (الله) يعرف أنك لن تعطيه.. فيكرهً هذه الكلمة وفيها اسم الله؛ لأن السائل يكره ما يحرمه من العطاء إليه.

وإذا فقدت واحدة ولدها الوحيد مثلاً وجئناها لنعزيها؛ فلا يصح أن أقول لها كما يقول كثير من الجهلة «الله هو الذى فعل هذا، وليست لنا حيلة». ولكن قل لها: هذا قضاء فقط: لماذا؟

لأنها تكره هذه العملية.. ولماذا تقول لها: الله، فيمكن أن تسخط على الله.

إذن فالمؤمن لبق.. يستطيع أن يحدد الوقت الذى ينزه فيه اسم الله عن أن يذكره، وهو بهذا التنزيه يذكره، حينما لا يذكره؛ لأنه لم يذكره تنزيهًا له عن هذه المواطن.

[٢٩٤]

القرآن علاج وشفاء للمجتمعات

س: قال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾(١) وقال تعالى أيضًا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢). ونسأل فضيلة الإمام: كيف عالج القرآن، وشفى أمراض البشرية، وأدران المجتمعات بمنهجه السديد القويم؟

(١) سورة التوبة: ١٤ .
(٢) سورة الإسراء: ٨٢ .

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إنك فى كثير من الأحيان تقاوم منهج الله لأنه يحد من حركتك فى الحياة التى تعتقد أنك لو تمتعت بالحركة فيها على حساب هواك وما تريده لفسد العالم كله. والمنهج فى الإسلام موحى به من الله سبحانه وتعالى، وهو محفوظ من الله، أى أن الحق سبحانه وتعالى هو الذى يحفظه، والقرآن معجزة ومنهج الإعجاز فيه أنه ليس للبشر فيه مكان، فهو كلام الله محفوظ من الله سبحانه وتعالى، إلى يوم القيامة، والإعجاز فيه أنه يعطى عطاء لكل جيل، يختلف عن الجيل الذى قبله، والإعجاز فيه أنه صالح لكل زمان ومكان، والإعجاز فيه أنه يداوى أمراض المجتمعات أينما كانت، وأنه كلام الله يحمل العلاج لكل الداءات.... معنى هذا أن مجرد القول بهذا الكلام يفسر لنا معجزة كبيرة فى القرآن الكريم. فالرسالات جاءت، وقد نزلت لتعالج داءات المجتمع، كل رسالة نزلت إلى قوم تعالج الداءات، أو الانحرافات الموجودة فيه.

[٢٩٥]

شعور الموتى بالأحياء

ثبت بالأحاديث أن الميت فى قبره له إحساس بمن هو خارج القبر، ففى البخارى أن الميت يأتيه الملكان؛ ليسألاه وهو يسمع قرع نعال من دفنوه عند انصرافهم وفى مسلم مثله[١].

وفى فتاوى ابن تيمية ما نصه: ما تقولون فى الأحياء إذا زاروا الأموات هل يعلم الأموات بزيارتهم؟ وهل يعلمون بالميت إذا مات من قرابتهم أو غير قرابتهم؟ فقال: جاءت الآثار بتلاقيهم وتساؤلهم وعرض أعمال الأحياء عليهم، وابن القيم فى «زاد المعاد» صرح بمعرفتهم لمن يزورونهم، وبخاصة فى يوم الجمعة؟

وقد صح أن النبى نادى قتلى بدر من المشركين، وقال لعمر لما سأله: **«والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع منهم»**[٢].

قال رسول الله -ﷺ-: **«إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء»**[٣] أبو داود عن أبى هريرة.

---

(١) صحيح البخارى بنحوه.

(٢) انظر كتاب «الروح» لابن قيم الجوزية بتحقيق الدكتور السيد الجميلى.

(٣) سنن أبى داود (٣/٥٣٨/٣١٩٩).

«قلب القرآن يس -لا يقرؤها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له- اقرءوها على موتاكم»(١) رواه أحمد عن معقل.

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، علم ينتفع به وولد صالح يدعو له»(٢) مسلم عن أبى هريرة.

سئل الرسول: إننا نتصدق وندعوا ونحج لموتانا هلى يصل الثواب لهم؟ قال: **«نعم، إنه ليصل إليهم وإنهم ليفرحون به كما يفرح أحدكم بالطبق إذا أهدى إليه»** أبو داود عن أنس.

ذلك فإن خلاصة القول أن:

زيارة القبور، قراءة القرآن، التلقين، الصدقات للميت: يثاب عليها ذلك فضل من الله لا وجوبًا عليه سبحانه.

[٢٩٦]

شعور الموتى بالأحياء

تسأل السيدة سعاد محمود فتقول:

س: هل يشعر الأموات بالأحياء؟ وهل الدعاء لمن لا نعرف من الأموات يؤدى إلى رحمتهم؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

نعم. ولو لم يكن هناك شعور لما أمرنا الشارع أن نقول حين نذهب إليهم: «السلام عليكم ديار قوم مؤمنين، أنتم السابقون، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون».

أمرنا الشارع أن نسلم عليهم، فلابد أن تكون هناك استجابة وتجاوب: ويقولون: إن الميت يشعر بكل شيء، حتى إنه يسأل عن هرة بيته.

وأما عن الدعاء، فما الذى يمنع من أن يصل إليهم ثواب الدعاء والرحمة؟ بالله، ألست تجد فى حياتك إنسانًا يعذب إنسانًا، فيمر آخر فيشفع له، فيمنع عنه العذاب؟ وما الهدف من هذا؟ الهدف أننى يجب أن أشعر أننى محتاج لرأى الغير

---

(١) مسند الإمام أحمد (٥/ ٢٦) و(٢٧).

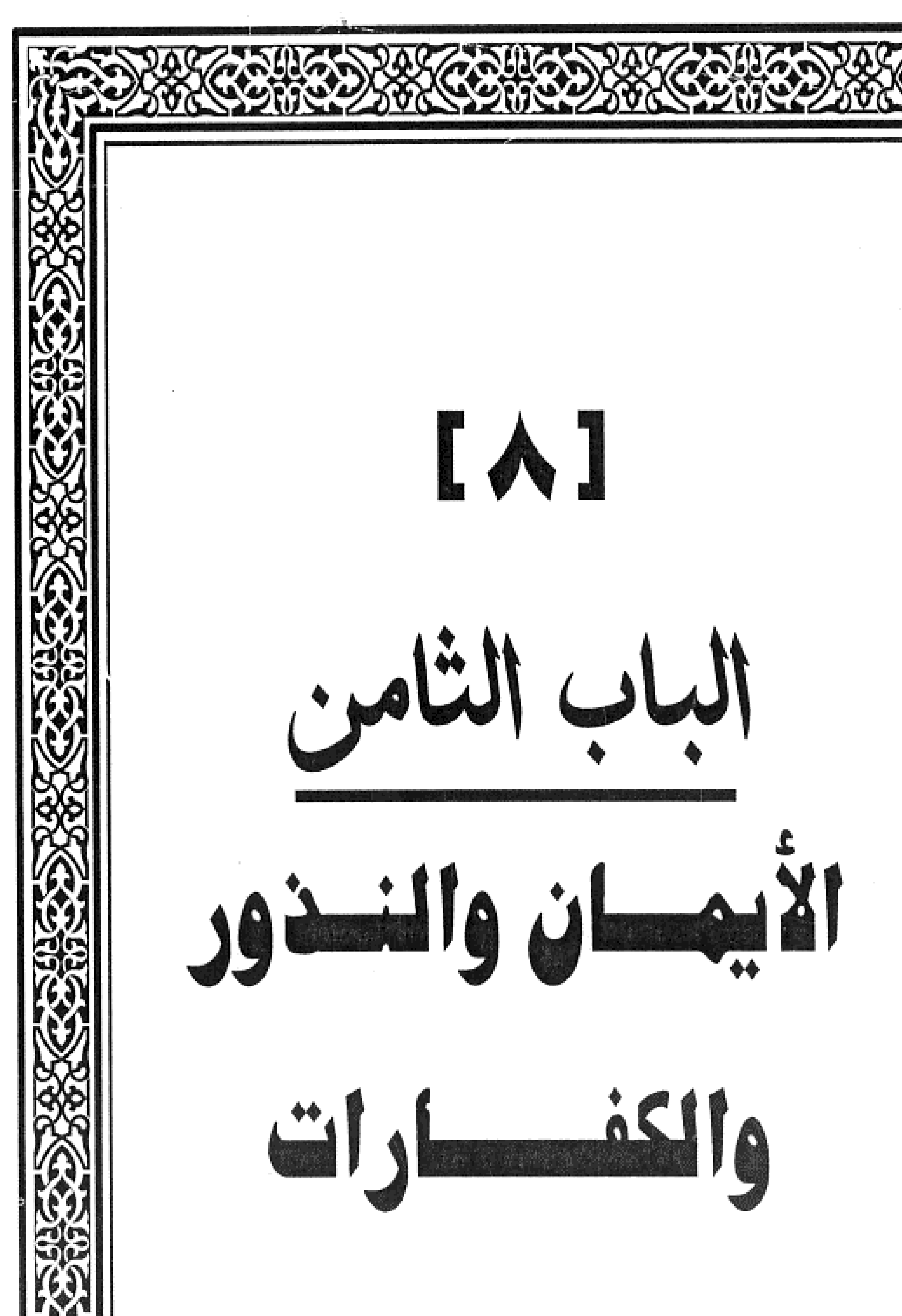
(٢) مسلم (١٦٣١) والإمام أحمد فى المسند (٢/ ٣٧٢).

فى نفسى، وأن رأى الغير فى ينفعنى، وذكراى الطيبة تنفعنى، فأحاول جاهدًا أن يرضى الناس عنى، فأترك الدنيا ولى فيها رصيد خير عند كل الناس، لعل واحدًا يدعو لى.

إذن فهذا استحثاث لك أنت، لكى لا تترك عند الناس إلا كل خير.. لا يجب أن تأخذ المسائل منفصلة، فلقد خلق الله الكون فى نظام لكى يسعد ببعض، ولكى يوجد التعاضد والتساند، فعندما أجد خصلة خير فى شخص أنميها فيه، فإن لم أستطع أنا أن أفعل الخير بنفسى، فعلى الأقل لا أستهزئ بفاعل الخير.

لأنه عندما يفعل الخير سينالنى أنا منه شيء، وبذلك فالمقصود أن أترك الخير لدى كل الناس.

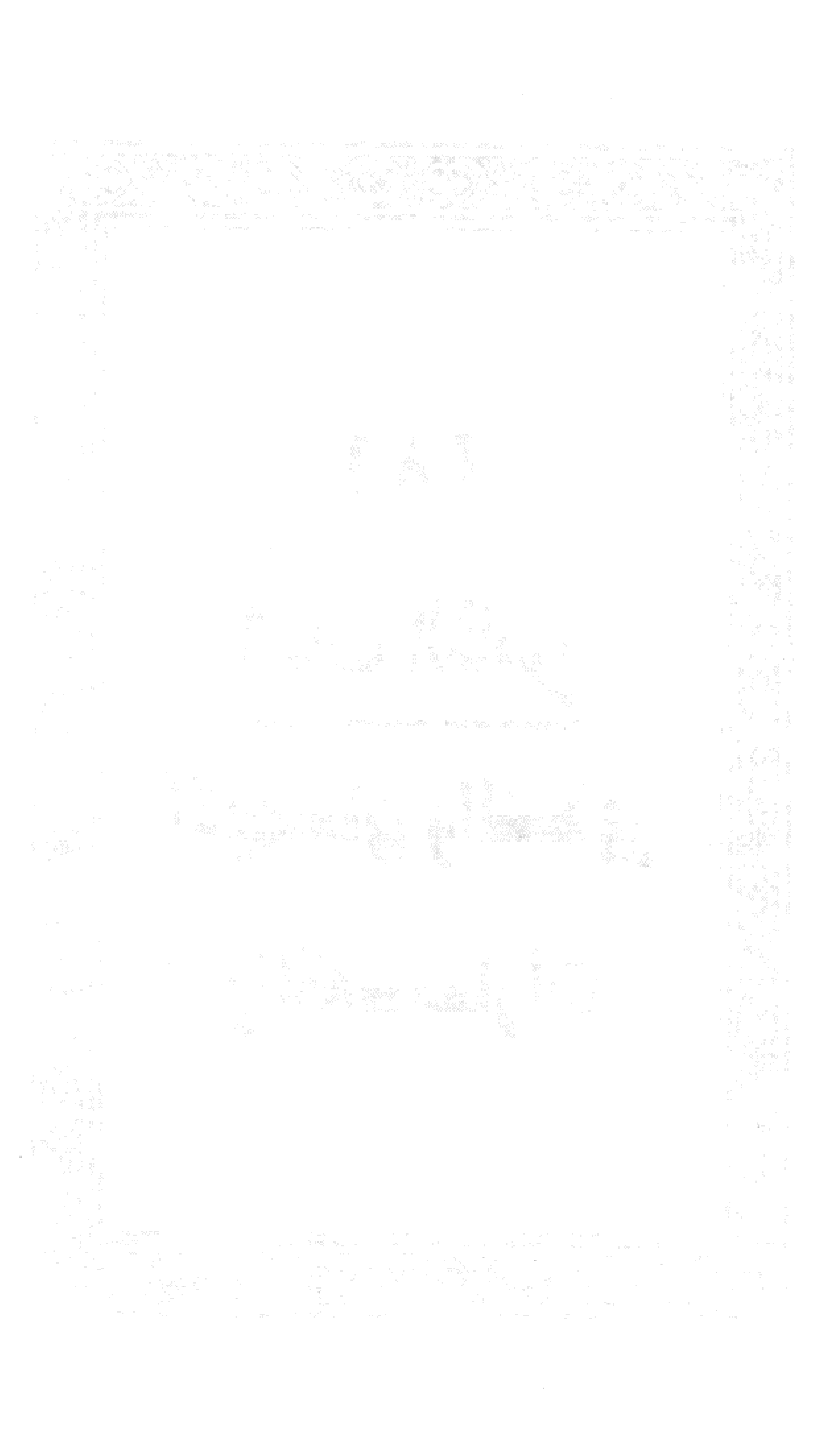
٭٭٭



[٨]

الباب الثامن

الأيمان والنذور والكفارات



[٢٩٧]
النــذر وأنــواع اليميــن

س: ما النذر؟ وما أنواع اليمين؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

ما النذر؟

النذر عبادة قديمة ورد فى سورة آل عمران قال تعالى:

﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾[(١)].

وقد شرع فى الإسلام، فقال تعالى:

﴿ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾[(٢)].

وقال: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾[(٣)].

وفى السنة قال رسول الله -ﷺ-: «**ومن نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصه فلا يعصيه**»[(٤)]، وهو التزام قربى غير لازم فى أصل الشرع، وإنما يصح إذا كان قربى ولا يصح إذا كان معصية.

روى الإمام أحمد أن النبى -ﷺ- نظر وهو يخطب إلى أعرابى قائم فى الشمس فقال: «**ما شأنك؟**» قال: نذرت أن لا أزال فى الشمس، حتى يفرغ رسول الله من الخطبة، فقال الرسول: «**ليس هذا بنذر، إن النذر فيما ابتغى به وجه الله**»[(٥)]، وقد يكون النذر مشروطًا، وقد يكون غير مشروط.

فالأول: هو التزام قربة عند حدوث نعمة، أو دفع نقمة مثل: إن شفى الله

---

(١) سورة آل عمران: ٣٥ .

انظر الفخر الرازى فى التفسير الكبير (٨/ ٣٩) والطبرى (٦/ ٣٢٩) والدر المنثور للسيوطى (١/ ١٧).

(٢) سورة البقرة: ٢٧٠ .

(٣) سورة الحج: ٢٩ .

انظر أقوال المفسرين فى الطبرى (١٧/ ١٠٩، ١١٠) والقرطبى (١٢/ ٤٩).

(٤) المسند (٦/ ٣٦).

(٥) المسند (٢/ ٢١١).

مريضي فعلى إطعام بعض الفقراء، فهذا النذر يلزم الوفاء به عند حصول المطلوب.

والثاني: النذر المطلق وهو أن يلتزم ابتداء بدون تعليق على حصول شيء كأن يقول: لله على أن أصلى بعض الركعات، أو أصوم بعض الأيام فهذا أيضًا يلزم الوفاء به، لدخوله فى قوله -ﷺ-: **«من نذر أن يطيع الله فليطعه»**.

وذكر النووى فى شرح مسلم: أنه أجمع المسلمون على صحة النذر، ووجوب الوفاء به، إذا كان الملتزم طاعة، فإن كان معصية لم ينعقد النذر، ولا كفارة عليه عندنا وبه قال جمهور العلماء.

إذا نذر إنسان الصوم، فيجب عليه الوفاء، ويلزمه الصوم الذى نذره فإن عجز عن الصوم لمرض يرجى شفاؤه، فيلزمه أداؤه بعد الشفاء، وإن كان مريضًا بمرض مزمن لا يرجى شفاؤه، فعليه كفارة اليمين، لما رواه مسلم عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«كفارة النذر كفارة يمين»**.

وما أنواع اليمين؟

اليمين هى أن يحلف الإنسان، أو يقسم على شيء، ولا يجوز إلا بالله أو باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، وأنواعه ثلاثة:

الأول يمين لغو: وهو ما يجرى على لسان المسلم، من الحلف بغير قصد، كمن يكثر فى كلامه أن يقول: لا والله، وبلى والله، أو يحلف المسلم على الشيء يظنه كذا فيتبين على خلاف ما كان يظن، وهذه لا إثم فيها، ولا كفارة لقوله تعالى: ﴿**لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ**﴾(١)، واليمين الثانية المنعقدة: وهى التى يقصد عقدها على أمر مستقبل، كأن يقول المسلم، والله لأفعلن كذا، أو لا أفعل كذا، ومن حنث فيها أثم، ووجبت عليه كفارة، وإن فعلها سقط عنه الإثم وزال، قال تعالى: ﴿**وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ**﴾(٢) واليمين الثالثة هى يمين الغموس: ومعناها أن يحلف المرء على أمر ماض أو حاضر متعمدًا الكذب، كأن يقول والله لقد اشتريت كذا وكذا بخمسين مثلاً، وهو لم يشترها، أو والله لقد فعلت كذا وهو لم يفعل، وسميت اليمين غموسًا، لأنها تغمس صاحبها فى النار، وهذه اليمن لا كفارة فيها وإنما تجب فيها التوبة والاستغفار لعظم ذنبها.

---

(١) سورة المائدة: ٨٩ .

(٢) سورة المائدة: ٨٩ .

أما الكفارة فهى إطعام عشرة مساكين، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة مؤمنة فإن لم يجد أو لم يستطع صام ثلاثة أيام متتابعة، إن استطاع وإلا صامها متفرقة، قال تعالى: ﴿لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

[٢٩٨]

حول تغيير مصرف النذر

س: هل يمكن دفع مبلغ كنت نذرته لباب من أبواب الخير بالتحديد فى باب آخر من أبواب الخير؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

إنه الممكن أن توضع المبلغ الذى كنت نذرته لجانب معين من جوانب الخير، ولم تتمكن من أدائه فى هذا الباب فى باب آخر من أبواب الخير.

[٢٩٩]

التعزير فى الإسلام

س: حين توجهنا بالسؤال لفضيلة الشيخ الشعراوى؟ عن مسألة التعزير فى الإسلام، ومعناه وحدوده؟

(جـ) أجاب فضيلته:

حين يشرع الله عقوبة نقول: إن غير المؤمنين بالله شرعوا عقوبة أيضًا.. أصحاب الديانات الوضعية شرعوا عقوبات... لأنهم عرفوا أن هناك جرائم لابد من الضرب على يد من يكسر قانونها، ونحن لدينا نص فى القانون يقول: لا عقوبة إلا بتجريم. ولا تجريم إلا بنص... لا يستطيع أحدٌ أن يجرم عملاً إلا إذا قال أولاً: إن ذلك العمل جريمة.. إذن لا يمكن أن تجرم أحدًا إلا بنص، ولا يعاقب إلا بارتكاب جريمة.

---

(١) سورة المائدة: ٨٩.

وتشريع الله للعقوبات، لابد أن ينشأ عن تجريم يحدد أنواع الجرائم، فالذى يثبت فيه حكم الله، إما أن يكون حدًا، وإما أن يكون قصاصًا، والحدود مملوكة لله، ولا يستطيع أحد أن يعفى عنه... القصاص الذى جعلناه للنفس البشرية التى اعتدى عليها بالقتل ﴿**فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا**﴾(١).

فالعقوبات إما جرائم، وإما قصاص... القصاص صاحبه ولى الأمر، وهو المعول عليه فى البت فيه. ﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾(٢)، فالعقوبة لله، لا يستطيع أحد أن يتنازل عنها، فإذا وصلت إلى جريمة، ولم يستكف الحد، مثل السارق ما دون حد السرقة، ما دون حد النصاب، ألا يسرق أقل من خمسة وعشرين قرشًا، والتعزير حق للوالى حينما يجد حالات من هذا القبيل، فيفرض عقوبة لا تصل إلى الحد المقرر فى هذا الشأن.

فالتعزير عقوبة مرجعها فى التقدير إلى ولى الأمر، لمن لم يستوف شروط الحد فى الجريمة، والعقوبة الرادعة فيها فى الجريمة، وثمة من أخطأ، ويكفى توبيخه... أو قطيعته، أو نهره وزجره، أو ضربه بسوط، وهذا يختلف باختلاف المعزر، وقيمة تأديب المعزر تختلف من شخص إلى شخص باختلاف الناس.

وصفوة القول، ومجمل العبارة، فالتعزير معناه عقوبة يقدرها ولى الأمر فى أمر لم يبلغ فيه حتى حدود الحد

[٣٠٠]

عـدد الكبـائر

س: كم عدد الكبائر، وما جزاء من يرتكب الكبيرة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

---

(١) سورة الإسراء: ٣٣.
وهناك قراءة (فلا يُسرف) بالياء المثناة التحتية، وزعم الطبرى فى تفسيره (١٥/ ٥٩) أنهما سواء.

(٢) سورة البقرة: ١٧٨.
يكون العفو هنا بقبول الدية فى القتل العمد، والعفو عن الدم.

الكبائر كما جاء فى حديث ابن عمرو بن العاص: الشرك، وعقوق الوالدين، وقتل النفس، واليمين الغموس.

وفى حديث ابن عمر وهى تسع: قتل النفس، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، ورمى المحصنة، وشهادة الزور، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف والسحر، والإلحاد فى الحرم.

ومنها عند العلماء: القمار، والسرقة، والخمر، وسب السلف، وعدول الحكام عن الحق، واتباع الهوى، واليمين الفاجرة، وسب الأبوين، والسعى فى الأرض فساداً.

وقال ابن عباس: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، فهو كبيرة.

[٣٠١]

إقامة الحد وعقوبة الآخرة

س: هل إقامة الحد تعفى من عقوبة الآخرة؟

(جـ): أجل، وإلا لاستوى من أقيم عليه الحد، مع من أفلت من إقامة الحد عليه.

ولذلك قيل: هل الحدود جوابر أو زواجر؟ والحقيقة أنها لمن أذنب جوابر، ولمن لم يذنب زواجر.

وسأله -ﷺ- رجل فقال: أصبت من امرأة قبلة، فنزلت: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾(١).

فقال رجل: أَلِيَ هذه؟ فقال: «**بل لمن عمل بها من أمتى**»(٢).

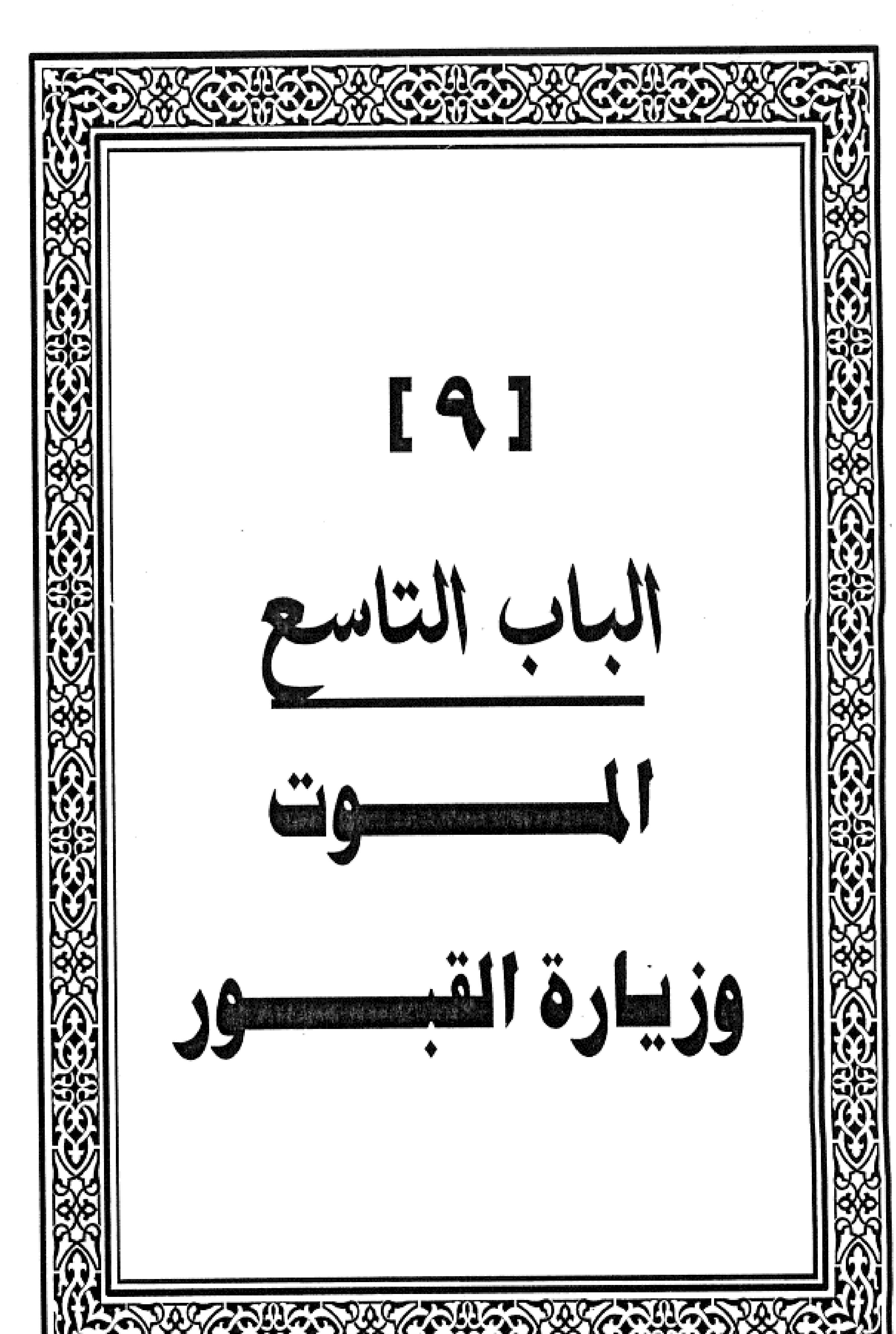
متفق عليه.

۞۞۞

(١) سورة هود: ١١٤.

انظر تفسير جامع البيان للطبرى (١٢/٧٧)، والقرطبى (٩/١٠٨).

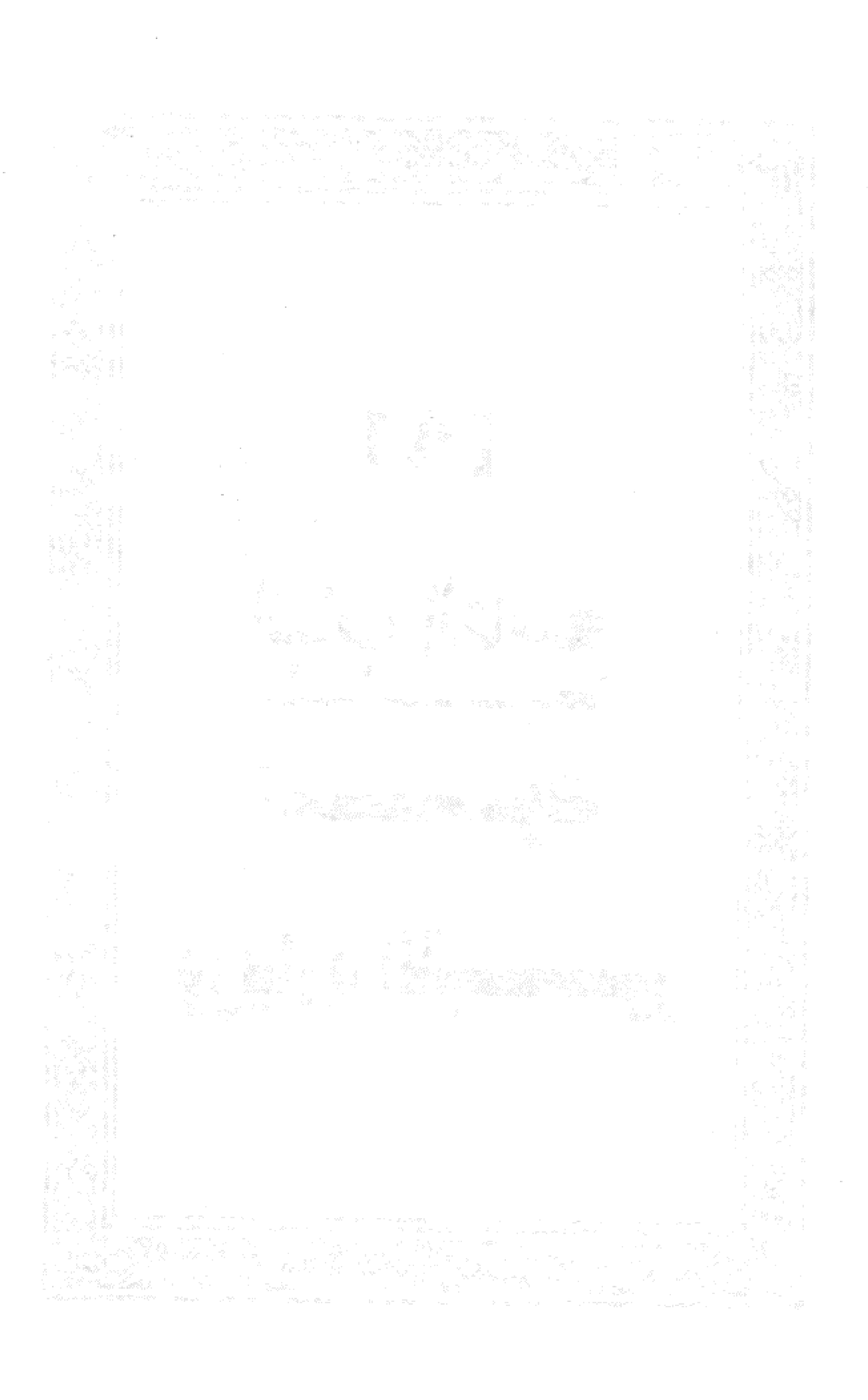
(٢) أخرجه الشيخان فى الصحيحين.



[٩]

الباب التاسع

الموت وزيارة القبور



[٣٠٢]

الوفــاة الصغـرى والوفـاة الكبــرى

الله سبحانه وتعالى يقبض الأنفس من الأبدان عند فناء آجالها، وهى الوفاة الكبرى، ويتوفى الأنفس التى لم تمت فى منامها وهى الوفاة الصغرى، وهذه الآية للاعتبار، ومعناها أن الله يتوفى النفوس على وجهين: أحدهما وفاة كاملة حقيقية، وهى الموت، والآخرى وفاة النوم، لأن النائم كالميت فى كونه لا يبصر ولا يسمع، وقال ابن كثير: أخبر الله تعالى بأنه المتصرف فى الوجود كما يشاء، وأنه يتوفى الأنفس الوفاة الكبرى بما يرسل من الملائكة الذين يقبضونه من الأبدان، والوفاة الصغرى عند المنام، فيمسك الروح التى قضى على صاحبها الموت، فلا يردها إلى البدن، ويرسل الأنفس النائمة إلى بدنها عند اليقظة إلى وقت محدود هو أجل موتها الحقيقى.

قال ابن عباس: إن أرواح الأحياء والأموات، تلتقى فى المنام فتتعارف ما شاء الله لها، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

وفى الآية تنبيه على عظيم قدرته تعالى، وانفراده بالألوهية، وأنه يحيى ويميت، ويفعل ما يشاء، لا يقدر على ذلك سواه.

إن فى هذه الأفعال العجيبة لعلامات واضحة قاطعة على كمال قدرته وعلمه تعالى لقوم يجيلون أفكارهم فيها فيعتبرون.

[٣٠٣]

تلقين الميت وسؤال القبر

س: تنازع العلماء فى تلقين الميت على القبر، فزعم بعضهم أنه لا ينفع الميت؛ لكونه ليس مأثورًا فى اعتقادهم، ولأن الميت لا يسمع الأحياء فكيف يسوغ له الانتفاع؟ لكن الآثار والأخبار الوثيقة والمنصوصات المعتبرة على العكس وطرف النقيض من ذلك.

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

تلقين الميت:

استحب بعض أهل العلم كالشافعي -رضي الله عنه- أن يلقن الميت بعد الدفن.

فقد روى الطبراني[١] من حديث أبي أمامة -رضي الله عنه- أنه قال: «إذا مات أحد من إخوانكم فسويتم التراب على قبره فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان بن فلانة فإنه يسمعه ولا يجيب، ثم يقول: اذكر ما خرجت عليه من الدنيا: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا، وبالقرآن إمامًا.

فإن منكرًا ونكيرًا يأخذ كل واحد بيد صاحبه ويقول: «انطلق بنا، ما يقعدنا عند من لقن حجته». قال رجل: يا رسول الله، فإن لم يعرف أمه؟. قال: «**ينسب إلى أمه حواء**» إن الميت يسمع وقع الأقدام[٢]. ويسمع الكلام، ويكون التلقين من باب التذكرة التى تنفع المؤمنين لتذكر ذلك عند سؤال الملكين له فى قبره.

﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**﴾[٣].

أما سؤال القبر:

قال الحبيب المصطفى: «**إن أحدكم إذا مات، عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[٤].

قال الحبيب المصطفى: «**أعوذ بالله من عذاب القبر، وإن العبد المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة وانقطاع عن الدنيا، جاءه ملك الموت، فجلس عند رأسه فيقول: اخرجى أيتها النفس المطمئنة إلى مغفرة من الله ورضوان، فتخرج نفسه تسيل كما يسيل قطر السقاء، ثم تنزل ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم أكفان من أكفان الجنة، وحنوط من حنوطها؛ فيجلسون منه مد البصر، فإذا قبضها الملك لم يدعوها فى يده طرفة عين. قال: فذلك قول الله**

---

(١) انظر معجم الطبراني.

(٢) لقوله -صلى الله عليه وسلم-: «**وإنه ليسمع خفق نعالهم إذا تولوا (عنه) مدبرين**».

(٣) سورة إبراهيم: ٢٧ .

(٤) أخرجه الشيخان، البخارى ومسلم (٢١٩٩) فى الصحيحين والقرطبى فى «التذكرة فى أحوال الموتى وأمور الآخرة» بتحقيق السيد الجميلى (١/ ٢١٥) وما بعدها.

تعالى: ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ﴾(١)، قال: فتخرج نفسه كأطيب ريح وجدت، فتعرج بها الملائكة، فلا يأتون على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح، فيقال: فلان بأحسن أسمائه؛ حتى ينتهوا إلى أبواب السماء الدنيا، فيفتح له ويشيعه من كل سماء مقربوها، حتى ينتهى إلى السماء السابعة، فيقال: اكتبوا له كتابه فى عليين، وما أدراك ما عليون، كتاب مرقوم يشهده المقربون.. فيكتب كتابه فى عليين، ثم يقال: ردوه إلى الأرض، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى. قال فيرد إلى الأرض، وتعاد روحه، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينهرانه ويجلسانه، فيقولان: من ربك ودينك؟ فيقول: ربى الله ودينى الإسلام. فيقولان: ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم لله؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما بيديك؟ فيقول: جاء بالبينات من ربنا فآمنت به وصدقت، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ ﴾(٢) قال: فينادى مناد من السماء: صدق عبدى، فألبسوه من الجنة وأروه منزله منها، فيفسح له مد البصر، ثم قال: ويمثل له عمله فى صورة رجل حسن الوجه، طيب الريح، حسن الثياب، فيقول له: أبشر بما أعد الله لك، أبشر برضوان الله وجنات النعيم. فيقول: بشرك الله بخير، من أنت فوجهك الذى جاء بالخير، فيقول: هذا يومك الذى كنت توعد، أنا عملك الصالح، فوالله ما علمتك إلا كنت سريعًا فى طاعة الله بطيئًا عن معصية الله، فجزاك الله خيرًا، فيقول: يا رب، أقم الساعة كى أرجع إلى أهلى ومالى. قال: فإن كان فاجرًا وكان من قبل الدنيا وانقطاع عن الآخرة جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فقال: أخرجى أيتها النفس الخبيثة، أخرجى بسخط الله وغضبه، فتنزل ملائكة سود الوجوه، معهم مسوح من النار، فإذا قبضها الملك، قاموا فلم يدعوها فى يده طرفة عين تتفرق فيستخرجها وقد تتقطع منها العروق والعصب كالسفود الكثير الشعب فى الصوف المبلول، فتؤخذ من الملك، فتخرج كأنتن جيفة وجدت، فلا تمر على جند فيما بين السماء والأرض إلا قالوا: ما هذه الروح الخبيثة، فيقولون هذا فلان بأسوأ أسمائه، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا، فلا تفتح لها فيقولون: ردوها إلى الأرض، إنى وعدتهم أنى منها خلقتهم، وفيها نعيدهم، ومنها نخرجهم تارة أخرى، فيرمى بها من السماء، وتلا هذه الآية ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

---

(١) سورة الأنعام: ٦١ .   (٢) سورة إبراهيم: ٢٧ .

السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[1] قال: فيعاد إلى الأرض، فتعاد فيه الروح ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه ويجلسانه فيقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ فيقول: لا أدرى. فيقولان: ما تقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه. فيقال: محمد، فيقول: لا أدرى، سمعت الناس يقولون ذلك فقلته. قال: فيقال له: لا دريت. فيضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويمثل له عمله فى صورة رجل قبيح الوجه، منتن الريح، قبيح الثياب، فيقول: أبشر بعذاب الله وسخطه، فيقول: من أنت؟ فوجهك الذى جاء بالشر، فيقول: أنا عملك الخبيث، فوالله ما علمتك إلا بطيئًا فى طاعة الله، سريعًا إلى المعصية، قال: فيقبض الله له أصم أبكم، ومعه مرزبة لو ضرب بها جبل لصار ترابًا؛ فيضربه ضربة فيسمعها الخلائق إلا الثقلين، ثم يقال: افرشوا له لوحين من نار، وافتحوا له بابًا إلى النار»[2].

[٣٠٤]

إكرام الميت

س: أليس دفن الميت فى التراب إهانة للبشر؟

(جـ): دفن الميت فى التراب إكرام له.. لأن التراب هو الأصل الأصيل.. وهو الأم الأصيلة، ولذلك فأنا أتحدى من يحب إنسانًا حين يموت، أن يبقيه عنده يومًا أو يومين أو أسبوعًا..!! ولذلك فإن أحب الأحياء هو الذى يسعى لأن يوارى الميت بالتراب، فنحن نرده إلى أمه الأرض التى تمتص كل ما يصدر عن الميت، وتحتضنه وتقبل منه أى شىء..!!

ومن العجيب أننا عندما نضع الميت فى الأرض نمنع أية رائحة من أن تتسرب، بينما لو وضعناه فى أى مكان آخر تسربت منه رائحة، وبعد مدة طويلة تتحلل باقى عناصر الإنسان لتفيد منه عناصر أخرى الحياة، فإن وضع الميت فى التراب إكرام له.. وإلا فلا تضع العزيز لديك فى التراب، وجرب كم تصبر على

---

(١) سورة الحج: ٣١.
راجع الدر المنثور (٤/ ٣٦٠).
(٢) الترمذى بنحوه فى الجامع الصحيح (١٠٧١).

ذلك، لن تصبر، ولسوف تعيده إلى التراب مرة أخرى. . فهو من التراب وإلى التراب يعود: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾(١).

إن ما يحمى حياتنا أننا نتحرك ولكن عندما يموت الإنسان، فهو لا يتحرك إلا أن يحركه أحد، وإذا به يتحول إلى جثة. . فالله يريد أن يستر هذه العورات عن الناس حتى تبقى صورة الإنسان الحى هى الباقية، ولا نشعر بما يحدث له فى حال موته. . وضرب الله مثلاً لذلك فى قصة قابيل وهابيل عندما دفن الغراب جثة أخيه، فقام يوارى سوءة أخيه؛ لأن كل ما ينتج عن الميت عورة؛ لأن الناس تأنف منه وتتأذى جوارحنا. إذن فإن دفن الميت فى التراب إكرام له. . حتى لا يتأذى منه الناس حتى أحباؤه.

[٣٠٥]

صلاة الجنازة للمرأة

س: تسأل سامية عبد الله من الجيزة:

هل تصلى المرأة صلاة الجنازة؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

دل قول النبى -ﷺ-: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات**» على ألا تشترك المرأة فى تشييع الجنازة، وبالتالى لا تصلى على الميت.

ولكن إذا وجدت المرأة بالمصادفة فى المسجد، وصلى المصلون على ميت، فيمكنها أن تصلى معهم، على ألا يكون خروجها من بيتها لغرض الصلاة على الميت.

[٣٠٦]

كيفية الزيارة الشرعية للقبور

إن الدين الإسلامى قد أباح لنا زيارة القبور لقصد العظة والاعتبار، متى وقفنا عند الحد المشروع.

أخرج ابن ماجة والحاكم عن عبد الله بن مسعود: أن رسول الله -ﷺ-

---

(١) سورة طه: ٥٥ .

قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها تزهدكم فى الدنيا، وتذكركم بالآخرة**»[(١)] وعن زيد بن ثابت[(٢)] عن رسول الله -ﷺ- قال: «**زوروا القبور، ولا تقولوا هجرًا**»[(٣)] أى قولاً باطلاً.. رواه الطبرانى.

حيث إن المقصود بالزيارة: الاشتغال بالاعتبار، والتأمل والتدبر فى أحوال الآخرة، ولا ينبغى الاشتغال بغير ذلك.. ففى الزيارة - إحسان إلى نفس الزائر بتذكر الموت والآخرة.. وإحسان إلى أهل القبور بالسلام والدعاء لهم بالمغفرة والرحمة وسؤال العافية.

عن بريدة -رضي الله عنه- أنه قال: كان رسول الله -ﷺ- يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: «**السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون. أنتم فرطنا (فى رواية: فرط لنا)، ونحن لكم تبع (فى رواية: ونحن بالأثر)، نسأل الله لنا ولكم العافية**»[(٤)] رواه أحمد ومسلم..

وللزيارة الشرعية آداب يجب مراعاتها، خشية الوقوع فى المحظور وهى: قصدها اعتبارًا بالفناء، واستقبال الميت بوجهه مستدبر القبلة، والسلام عليه.. وعدم التمسح بالقبر، وعدم السجود عليه، وعدم الطواف حوله، والدعاء له ولنفسه.. تلك هى الزيارة المشروعة التى يعرفها ديننا.

والحمد لله رب العالمين.

[٣٠٧]

الدعاء عند زيارة القبور

س: ما هو الدعاء المأثور عند الزيارة، أو المرور على أهل القبور؟

(جـ): هناك أدعية كثيرة نذكر منها على سبيل المثال: «السلام عليكم دار

---

(١) سنن ابن ماجة رقم ١٥٧١ عن ابن مسعود.

(٢) هو زيد بن ثابت بن لوذان الأنصارى البخارى، أبو سعيد وأبو خارجة صحابى مشهور من كتاب الوحى مات سنة خمس أو ثمان وأربعين.

(٣) مسلم فى الصحيح وأحمد فى المسند (٢/ ٤٤١) و(٥/ ٣٥٥) بنحوه.

(٤) المسند (٢/ ٣٧٥) و(٦/ ١١) و(١٨٠) وصحيح مسلم وأبو داود (٣/ ٥٥٨/ ٣٢٣٧).

قوم مؤمنين، وإن شاء الله بكم لاحقون»[١]. . «السلام عليكم يا أهل القبور من المؤمنين والمسلمين يغفر الله لنا ولكم، أنتم سلفنا، ونحن بالأثر».

[٣٠٨]

اذكروا محاسن موتاكم

س: ما معنى قولنا: «اذكروا محاسن موتاكم» وما الحكمة فى تأمين الملائكة على هذا الدعاء؟

(جـ): يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: إن القصد من «اذكروا محاسن موتاكم» أن السامع لا يرى أن واحدًا صنع سوءًا حتى لا تكون الأسوة. فعندما نذكر المحاسن فقط لشخص مات فإنه لم يفعل سوى الخير، فمن سمع بذلك يتصور الخير فى الأعمال كأسوة. ولكن عندما يسمع الإنسان ذكر الموتى بالخير والشر، فلا يمنع نفسه إذا وسوست له نفسه بعمل شر معتقدًا أن كل الناس تسىء، وأنه ليس المسىء الوحيد، وعندما لا يسمع إلا حسنًا فكأن الآخرين لم يعملوا إلا حسنًا؛ فيستقر فى الأذهان أن الحسن هو السائد.

أما تأمين الملائكة على الدعاء، فإن ذلك لا يكون إلا بالخير، فالحق يقول: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾[٢]. إذن فللملائكة عمل هنا معنا، وهو الدعاء المقصود به إيصال الخير لنا، ولذلك فعندما يقال: أنه لا تشرق شمس يوم إلا ينادى فيه ملكان: أحدهما يقول: «اللهم أعط منفقًا خلفًا، وأعط ممسكًا تلفًا»[٣] فأما أن يسأل الملك أن يعطى الله منفقًا خلفًا فهذا معروف أنه دعاء له، ولكن كيف يدعو على مَن أمسك بالتلف وليس بالمغفرة، ونحن نعلم أن الملك لا يدعو إلا بالخير؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢١٨) و(٦١٩) وأخرجه أبو داود فى السنن (٣/٥٥٨/٣٢٣٧)، والترمذى (١٠٥٣) وابن ماجة (١٥٤٧)، وأحمد فى المسند (٢/ ٣٠٠) و(٨/ ٤٠) و(٦/ ٧١، ٧٦).

(٢) سورة الأحزاب: ٤٣ .
يصلى عليكم: أى يبارك عليكم، وقيل: يغفر لكم (وملائكته) أى تستغفر لكم.
انظر القرطبى (١٤/ ١٩٨).

(٣) ولئن كان هذا الدعاء فى ظاهره شرًا لكنه فى مؤداه الحقيقى يريد خيرًا للممسك، فإن صبره على تلف ماله يجعله مأجورًا مجزيًا به.

عندما نبحث عن الحقيقة نجد أن الملك عندما يدعو للمنفق بالخير؛ فإنه يكون قد دعا له بالخير، لأنه أدى خيرًا. والذى لم ينفق ضن بماله واحتفظ به فيطلب الملك أن يأتى فى ماله تلف، فيؤجر على المصيبة، فيأتيه خير أيضًا.

وتقول: إنكم نظرتم إلى أنه دعاء عليه، ولكنه دعاء له، فهو يدعو الله بأن يجزيه خيرًا بالخير، فلابد أن يأخذ الناس الأمور بغايتها. وهل غاية الخير الدنيا، أم غاية الخير الآخرة؟!

[٣٠٩]

هل تنفع الصدقة الجارية الميت ؟ ؟

س: هل تجوز الصدقة على الميت؟

(جـ): نعم، لأن الميت ينتفع بها.

قال -ﷺ-: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**(١).

[٣١٠]

نعم الصدقة تصل إلى الميت

س: هل تجوز الصدقة على الميت؟

(جـ): سأله -ﷺ- رجل فقال: إن أمى توفيت أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: **«نعم»**(٢).

وسأله آخر فقال: إن أمى افتلتت نفسها(٣) وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: **«نعم»**(٤).

(١) أخرجه أبو داود فى السنن (٣/ ٣٠٠/ ٢٨٨٠)، ومسلم (١٦٣١) وأحمد فى المسند (٢/ ٣٧٢).

(٢) البخارى.

(٣) أفتلت نفسها: ماتت بغتة.

(٤) مسلم (٦٩٦) و(١٥٤).

وسأله -ﷺ- آخر فقال: إن أبى مات ولم يوص، أفينفعه أن أتصدق عنه؟ قال: «**نعم**»(١).

وسأله -ﷺ- حكيم بن حزام، فقال: يا رسول الله، أمور كنت أتحنث بها فى الجاهلية من صلة، وعتاقة، وصدقة هل لى فيها أجر؟ قال: «**أسلمت على ما سلف لك من خير**»(٢).

وسألته عائشة -رضي الله عنها- عن ابن جدعان وأنه كان فى الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ فقال: «**لا ينفعه، إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين**»(٣).

[٣١١]

الصدقة على الميت تصل إليه

الثابت غير الممترى وغير المشكوك فيه أن الصدقة عن الميت تصل إليه فى برزخه.

س: ماذا يقول الإمام الشيخ الشعراوى فى هذه القضية؟؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام:

ذكر الشيخ العدوى -رحمه الله- فى «مشارق الأنوار»، أنه: قد اتفق على وصول الصدقة إلى الميت، لا فرق بين كونها بعيدة عن القبر أو قريبة منه، وكذلك الدعاء والاستغفار.

وقال الإمام القرطبى: قد أجمع العلماء على وصول الصدقة للأموات، وكذلك القول فى قراءة القرآن، والدعاء، والاستغفار، ويؤيده حديث «**وكل**

---

(١) مسلم.

(٢) البخارى (٣/ ١٦٨/ ٢٢٢٠) ومسلم (١١٣، ١١٤).

(٣) لأن عمله لم يكن مبرورًا مقصودًا به وجه الله الكريم، ولا اليوم الآخر، من ثم كان مردودًا عليه؛ لأن الأعمال بالنيات.

معروف صدقة»[١]، وكذلك يؤيده قوله -ﷺ-: «**الميت فى قبره كالغريق المغوث ينتظر دعوة تلحقه من أخيه أو صديق له، فإذا لحقته كانت خيراً له من الدنيا وما فيها**»[٢].

ويدل للوصول قوله -ﷺ-: «**من مر بالمقابر فقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ إحدى عشرة مرة، ثم وهب أجره للأموات أعطى من الأجر بعدد الأموات**»[٣].

وكان الإمام أحمد بن حنبل يقول: إذا دخلتم المقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله أحد، واجعلوا ثواب ذلك لأهل المقابر فإنه يصل إليهم.

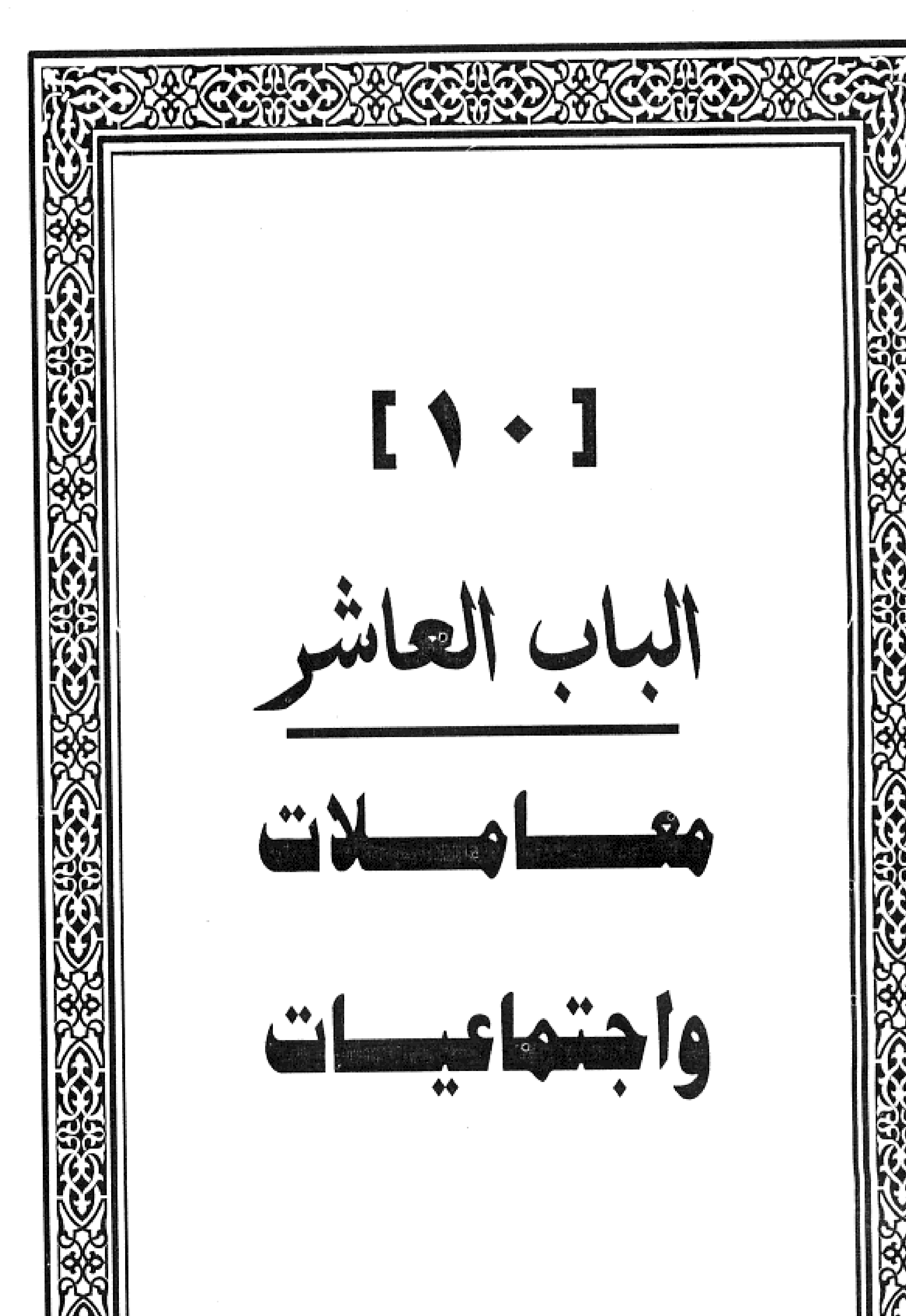
❁❁❁

---

(١) متفق عليه أخرجه البخارى (١٠/ ٣٧٤) ومسلم (١٠٠٥) من رواية حذيفة بن اليمان، وصححه السيوطى فى الصغير (٢/ ٣٩٥/ ٦٣٥١) وأحمد فى المسند (٤/ ٢٠٧).

(٢) الموتى المقبورون أحوج ما يكونون إلى الدعاء من الأحياء.

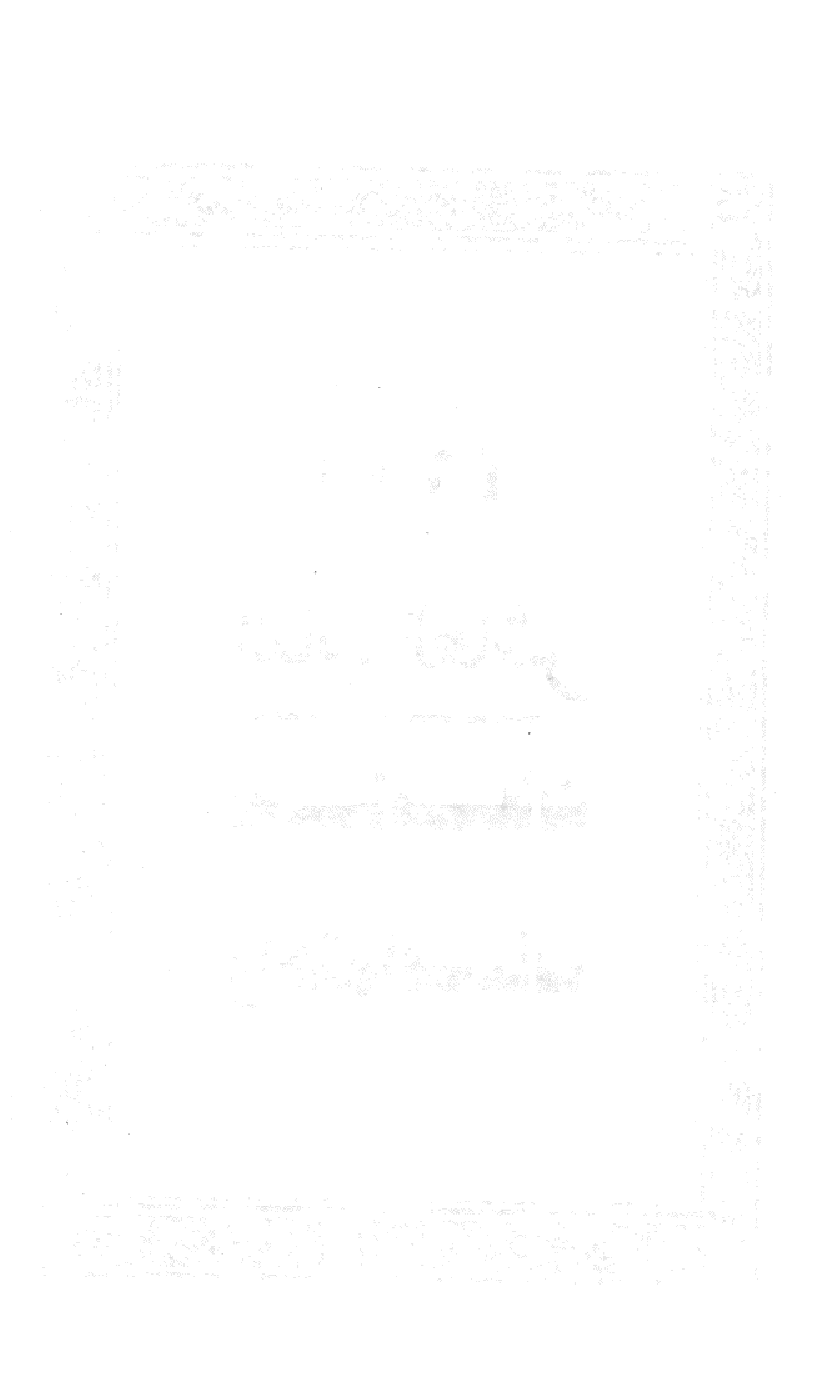
(٣) انظر كتاب «الروح» للإمام العلامة ابن القيم الجوزية بتحقيق السيد الجميلى حيث أفرد فصلاً وافيًا بسط فيه القول فى هذه القضية. وقد سكت الإمام العجلونى عن هذا الحديث فى كشف الخفاء (٢/ ٣٨٢) وحكم عليه الذهبى بالوضع، كذا وافقه ابن حجر.



[١٠]

الباب العاشر

معاملات واجتماعيات



[٣١٢]

الحرية ومبدأ الدين

س: ما معنى كلمة الحرية، وما موقف الإسلام منها؟ وهل تناقض الحرية معنى التدين؟ وما المقصود بالحرية فى إطار الالتزام بالمنهج التكليفى الذى أراده الحق سبحانه وتعالى؟

(جـ): تقوم هذه الأفكار فى أذهان الناس على قواعد خاطئة، ويسيئون فهمها ويعزون ظواهر خاطئة إلى مبدأ الدين فيتفهمون الخطأ، ويعزون ظواهر خاطئة إلى مبدأ الدين؛ فيفهمون الخطأ على أنه صواب، ولا يفهمون الصواب؛ فيتوهمون فيه الجرم والخطأ.

فى هذا المقام يوضح الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى هذه المسألة فيقول:

إن كلمة الحرية فى ذاتها تناقض مبدأ التدين، فالتدين التزام بالمبادئ والمناهج، الحرية تحرر وعدم التزام إذا ما أخذت الحرية على إطلاقها، ولكن الدين جاء لكى يعلى كلمة الحرية، فأنت حر فى أن تفعل ما تريد، وألا تفعل ما لا تريد، ولكن لا يجب أن تكون الحرية فيما لا يؤذى الآخرين، أو يعتدى المرء بها على حرية الآخرين.

فهل تبيح لنفسك حرية وتنكرها على غيرك؟ كلا وعندما يكون لهذا حرية، ولهذا حرية على إطلاقها؛ فإن الأمور تختلط، والمسائل ترتبك، ولو أخذت الحرية بهذا المفهوم، لكان لصاحب القوة والبطش والجبروت أن يفعل ما يشاء والضعيف ينتهى، وهنا قمة الفساد والتحلل.

إذن كلمة الحرية لابد أن تحدد.

وأنت من حقك أن تؤمن أو لا تؤمن بحريتك وبمحض اختيارك، فإذا آمنت يجب عليك أن تلتزم بالمنهج؛ لأنك دخلت فى الإيمان بعقلك، وبمحض اختيارك فالتزمت بالأصل، ولقد جعل الله الإيمان اختياريًا ولم يجعله إجباريًا؛ لأن الله سبحانه وتعالى يحب أن يقبل العبد على منهجه وهو فى مقدوره ألا يقبل عليه، ويريد الله العبد أن يطيعه، وفى استطاعته أن يعصيه، [فهو -أى العبد- غير مجبور ولا مقهور].

وعلى ولى الأمر أن يحمى هـذه الحرية لتبصره بمدى رضـاء الله، فقد يكون غافلاً فيتنبه. . . مثلاً سيدنا عمر قال: «لا خير فيكم إذا لم تقولوها، ولا خير فينا إذا لم نسمعها».

لماذا؟ لأنها نبهته إلى شىء. وعمر لم يكن غلاطًا، وإنما يعلم الناس، يقـول: لو أنى ملت برأسى هكذا. فيرد عليه بالسيف مثلاً فيقـول له: إياى؟ فيقـول: نعم أنت. فيقول: الحمد لله الذى جعل فى أمة محمد من يقوم عمر بسيفه. يعلمنا أن الحاكم لا يجد غضاضة إن غفل يومًا أن ينبهه واحد من رعيته.

إن وجـود هذه الحرية فى إطار الالتزام بمبدأ الدين جوهرى، ولكن كلمة الحرية على الإطلاق لا توجد فى الدين.

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

المرأة تؤول معنى الحرية إلى أنها مقصود بها أن تفعل ما تراه صوابًا، وتقتنع هى به، دون تدخل أى طرف آخر فى مسلكها سواء الزوج، أو أى من أهلها وعشيرتها؛ لأنها فى رأيها الخاص واقتناعها الذاتى الواعى، غير محتاجة إلى توجيه وتبصره، لأنها أضحت متكاملة النضج العقلى والفكرى. ولو كان الأمر كذلك، فكيف يتمشى هذا والقلوب متقلبة، والأهواء نزاعة، وهذا يبيح أن يكون لكل من الزوجين صديق حسب مفهوم الحرية على إطلاقه، فليس من حق أحدهما التدخل فى علاقة الطرف الآخر بصديقه، من ثم يصبح الصديق للمرأة، والصديقة للرجل متصل بكل منهج حياته وحياتها، وصديق المرأة يظفر فى النهاية برتبة العشيق، فالصداقة تنمو بالمودة غرسها، ويمتد ظلها، أما الحب فظل أناس فى أعماق أناس قائم متجسد نابض.

من ثم لا يكون هناك مانع من اتخاذ الخليلة (بالخاء المعجمة الموحدة الفوقية) إلى جانب الحليلة (بالحاء المهملة) ما دامت الحرية المكفولة محمولة على عمومها، وفى هذا هدم وإهدار لكل القيم الأخلاقية.

[٣١٣]

السبيل إلى مجتمع إسلامى

تتعالى أصوات تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية كأساس لتدعيم وترسيخ

أطناب وأسس المجتمع؛ لأن المجتمع الإسلامى هو المثالى الذى يعيش أبناؤه فى سعادة ورفاهية بعيدًا عن المتاعب النفسية والمادية والاقتصادية؛ لأن شقاء المجتمعات إنما هو نتيجة ابتعادها عن منهج الحق تبارك وتعالى، والذى وضع أجمل الضوابط، وأقوى الأسس، وأقوم المناهج لتقوية الآصرة الاجتماعية.

ويرى آخرون أن تطبيق الشريعة الإسلامية سيكون موضع تمرد من البعض.. **فما هو رأى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى؟**

يقول الإمام الجليل: دعوا الإسلام محققًا، وإن لم يكن مطبقًا، وبعد ذلك طبق الإسلام فيما ولايتك فيه على نفسك، فلو أن كل واحد فينا طبق الإسلام فيما ولايته على نفسه لسقط الحاكمون بغير الإسلام وحدهم... ولو أن الحكام يعلمون أن الناس يحبون منهج الله؛ لأنهم يرونهم يطبقونه فى نفوسهم؛ لتقربوا إلى شعوبهم بتطبيق منهج الله.

ويرى الشيخ الشعراوى أن الحكام -فى الوقت الحاضر- يتحسسون ما يرضى الشعوب، فإذا علموا أن الشعب يطبق منهج الله فيما ولايته فيه على نفسه؛ لعلم الحاكم عندئذ أن هذا الشعب عشق منهج الله... فيتقرب الحاكم إلى شعبه بتطبيق منهج الله؛ لأن الشعب طبق منهج الله فيما ليس للحكومة فيه دخل.

إن مهمتنا فى الحياة نحو مجتمع إسلامى ذات شقين:

الأول: أن نسعى ونلحق ونجاهد فى تطبيق الإسلام.

الثانى: إذا لم يتحقق التطبيق، فعلينا أن نحقق الإسلام ونصفيه علمًا.... علمًا يجلى عقيدة الإسلام، تجلية صافية، ويبين حقيقة القرآن وما فيه من كنوز ثمينة، وأنه ليس من قول بشر؛ لأن فيه غيبيات تتسامى على قدرات البشر. وعملنا حاليًا أن نجلى الإسلام عقيدة وعبادة.

[٣١٤]

بناء الإسلام لبنات المؤمن

جاء الإسلام ليجدد انسجام الإنسان مع الكون الذى يعيش فيه، وينسق المجتمع من الجهالة العمياء، ولما كان المؤمن لبنة أساسية فى كيان المجتمع، فإن بناءه على نسق فطرى دقيق من أهم مقومات هذا المجتمع السوى المتكامل.

ومن ذلك المنطلق لابد لنا أن نسأل:

س: ما هو بناء الإسلام للمؤمن كلبنة أولية، وخلية أساسية، وركيزة حية للمجتمع الإسلامى؟

(جـ): يقول الإمام الجليل الشيخ الشعراوى: إن بناء الإسلام، هو كل حركة من حركات الحياة فيها مراعاة الله، ولهذا نجد أن الإسلام يتعرض لأشياء لا تخطر على قلب الذين شغلوا أنفسهم بالتشريع لصالح الناس.

مثلاً يفرض الإسلام على والى المسلمين أن يعين قائدًا مبصرًا، لأى مكفوف، وأن يكون أجر هذا القائد من بيت المال.

وكذلك على الذى يقص شعر الرجال لابد أن يمتنع عن العمل فى اليوم الذى يأكل فيه البصل.. لأن أنفاس من يقص الشعر وأنفه تقترب من أنف الزبون.

ويقرر الإسلام أن الإنسان الذى يتولى عجن الخبز للناس، لابد أن يضع لثامًا كلثام الأطباء على فمه وأنفه؛ مخافة أن يعطس فيذهب الرذاذ إلى العجين.

[٣١٥]

عقوبة قطع الطريق والقذف

س: ما حكم عقوبتى قطع الطريق والقذف؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: عقوبة قطع الطريق:

هم العصابات المسلحة التى ترتكب القتل والسلب قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

---

(١) سورة المائدة: ٣٣، ٣٤.

راجع أقوال الإمام الفخر الرازى فى التفسير الكبير (١١/٢١١).

١- العقوبات فيهم أربعة: الإعدام إن ثبت أنهم ارتكبوا القتل.

٢- الصلب مع القتل إن قتلوا، وسلبوا الأموال.

٣- قطع أيديهم وأرجلهم من خلاف: اليد اليمنى والرجل اليسرى هذا إن اقتصروا على سلب المال، دون سفك الدماء.

٤- النفى إن استعملوا الإرهاب، ولم يقتلوا، ولم يسلبوا، وقد فسر النفى بالحبس استثنى الله من تابوا وأنابوا من قبل أن يتمكن الحاكم من معاقبتهم، هؤلاء تسقط عنهم العقوبة، ولكن تبقى عليهم حقوق العباد، فسالب المال يطالبه الحاكم به، ومن قتل عليه عقوبة القصاص: إما العفو مع الدية، وإما القتل كما يرتئى أولياء القتيل.

عقوبة القذف:

قال تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾(1).

فالقذف: هو أن يتهم شخص شخصًا آخر زورًا بالزنا اتهامًا صريحًا كأن يقول له: أنت زان ودلالة كأن ينسب شخصًا إلى غير أبيه، فمن صدر منه ذلك كان جزاؤه أن يجلد ثمانين جلدة، ما لم يأت بأربعة شهداء رأوا بأعينهم المتهم يزنى بامرأة ويستوي الحكم فيما إذا كان القاذف رجلاً أو امرأة -والآية أشارت لشرط هام هى أن يكون المقذوف محصنًا (وشروطه: الإسلام والبلوغ والعقل والحرية والعفة عن الزنا)، فيشترط للإحصان أن لا يكون قد ارتكب جريمة الزنا قبل قذفه، وقبل إقامة العقوبة عليه، وإلا تسقط العقوبة عن القاذف.

[٣١٦]

العدل أساس الملك

كنت مع فضيلة الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى فى بيته ذات يوم نناقش قضية فى غاية الأهمية، وهى من أروع وأجمل القصص القرآنى، وقد تدارسناها بيانيًا ولغويًا وعلميًا واجتماعيًا من زواياها كافة:

(١) سورة النور: ٤ .
انظر التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٣/ ١٥١).

قلت لفضيلة الشيخ الإمام: إن سليمان كما نعرف جميعًا قد أوتى الملك مع النبوة، وهذا تكريم واصطفاء وإنعام من الله سبحانه وتعالى، ولكنه وقف موقفًا عادلاً صعبًا من الهدهد، فهو يقول: إن لم يأتنى بسلطان -وأبان هذا السلطان بأنه مبين- سيعذبه عذابًا شديدًا أو يذبحه، فإن أتى بالسلطان المبين خلَّى سبيله، وإن لم يأت به عذبه عذابًا شديدًا، أو ذبحه، وهذا هو العدل مع الحزم والصرامة... ماذا كانت نتيجة هذه الصرامة والحزم والحسم فى الحق من الملك النبى... لقد اقترب الهدهد منه... (فمكث غير بعيد) لم يقل: فمكث (قريبًا) فما هو الفرق بين (غير بعيد) وبين (قريب)؟، فالهدهد اقترب من الملك ال ى، ولم يكتف بذلك، إنما قال له: أحطت بما لم تحط به... وهذا تبجح وفظاظة، ورد قاس من الهدهد، إذ يرمى سليمان بالجهل، فهو يقصد أن يقول: إنك مع نبوتك وملكك وتسخيرك للجن والشياطين وجبروتك، فإنى أعرف أشياء لا تعرفها أنت بكل عدتك وعتادك.

ونستطيع مطمئنين أن نقول إن ملك سليمان كان ملك عدل وسيادة وعلم، فلو كان سليمان ظالمًا لذبح الهدهد، ولما ترك له فرصة تبجح فى سيده ومولاه الذى تحرس ملكه العناية الإلهية، وخدمة الشياطين والجن...

وبهذه اللهجة القاسية من الهدهد، ندرك أن الملك مع القوة والحسم فى دولة العدالة يبيحان للرعية ويكفلان لها حرية الكلام، وحرية المجادلة، وعرض الرأي، والاعتراض بحرية تامة.

قال تعالى: ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ** ﴾[١].

ثم يتصل المشهد القرآنى الرائع بيانه:

﴿ **فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ** ﴾[٢].

قال فضيلة الإمام الجليل الشيخ الشعراوى:

---

(١) سورة النمل: ٢٠، ٢١.

قيل: العذاب الشديد هو نتف الريش انظر القرطبى (١٣/ ١٨٠) والطبرى (١٧/ ٩٠) والبحر المحيط (٧/ ٦٥).

(٢) سورة النمل: ٢٢.

إنها صرامة ممزوجة بالعدل حقًّا، وتلك صفة الحاكم العادل، الحزم عنده ممزوج بالعدل. فالقوة تتجلى فى إقامة العدل، فالمتهم فى القصة طائر، ولم يستطع سليمان أن يعاقب الطائر على سلوك لم يعجب به رغم ملكه ونبوته.

وكان لابد لسليمان أن يفهم ظروف المحكومين من الرعية، وإن لم يكونوا بشرًا. ثم عليه أن يترجم هذا الفهم إلى سلوك. ولذلك فإن سليمان لم يصدر حكمًا غيابيًا على الهدهد، إنما انتظر حتى يعود الهدهد، ثم تبدأ وتكون المحاكمة.

ولما أن عاد الهدهد من مملكة سبأ... كان يحمل الدهشة... ولقد رأى هنالك ما أذهله، إذ وجد بشرًا يسجدون لغير الله... يسجدون للشمس.

ثم يوضح لنا الشيخ الشعراوى دهشة الهدهد أنها دهشة فطرية.. إنه امتلك الحق، فصار به قويًا... فأعلن قوته للحاكم.

س: وهل يستأذن الإنسان إن رأى خيرًا فى أمته، وجماعته أولى الأمر، أم يفعله، حتى لا تضيع فرصة عمل الخير؟

(جـ): ويقول الشيخ الشعراوى:

إن الإنسان إن رأى خيرًا فى أمته وجماعته، فليفعله دون أن يستأذن فى ذلك، حتى لا تضيع فرص الخير.

[٣١٧]

النجاح والسؤدد فى الحياة

س: ما مفهوم كلمة النجاح والسؤدد فى الحياة؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

معنى كلمة «نجاح الحياة» أن تكون الحياة كلها ناجحة، وليست نجاحك أنت فقط، المهم أن حركة الحياة كلها تكون ناجحة، ولا يمكن أن نصف المجتمع الذى يسود فيه النفاق، والمحسوبية، بأنه نجاح فى الحياة.. فالنجاح للمجموع، وليس للفرد.

ولنوجه هذا السؤال: هل يعجبك ما أنت فيه من حياة؟ إذا كان الكل يشتكون: هذا يشتكى من ذاك، وذاك يشتكى من هذا، نحن نشتكى إذن من

أنفسنا، وحين نجد الشكوى من كل من فى المجتمع، فاعلم أن الشكوى من المشتكى منه، والمشتكى معًا.

وقد يحب الإنسان الشر ويسكت، فلابد إذن أن يعضه الشر، والناس يظنون أن النجاح فى الحياة أن تسوس حركتك أنت وحدك، إنما الأصل فى الحياة أن يعايش الإنسان بحركته حركات الآخرين، بدون تصادم، ليضمن لنفسه حركة نفسه، فإن عجز أن يكون قويًا. استطاع أن يعيش وهو ضعيف. فالمجتمع الذى تسوده المحسوبية، ويسوده النفاق، والنصب؛ تتصادم فيه حركة الإنسان مع حركات الآخرين، فإذا كان قويًا؛ أخذ حقوق الغير بدون وجه حق، وإذا كان ضعيفًا، أخذ الآخرون حقه بدون وجه حق أيضًا.

والإنسان الذى يعايش حركة الآخرين بحركته بدون تصادم، سعد هو متحركًا أو غير متحرك. وحسب الذين يصلون إلى حياتهم بوسائل يأباها الدين، ويأباها الخلق من نفاق، وكذب، ومحسوبية، ونصب، حسبهم أمام نفوسهم أن يكونوا صغارًا، وإن كانوا أمام غيرهم كبارًا؛ لأن الإنسان يجب أن يكون عند نفسه أولاً؛ لأن نفسه لا تفارقه ولا تغشه، وأستطيع أن أغش الدنيا، ولكن لا أغش نفسى.

ويضيف حضرة صاحب الفضيلة:

(وحينما أطلب من أحد الأشخاص أن يشهد لى زورًا فى المحكمة، أنتفع بشهادته لغرض معين، ولكن فى قرارة نفسى أحتقره).

ثم أخيرًا ما أمد هذا النجاح الذى يحققه أمثال هؤلاء؟ أمده حياتهم فى هذه الدنيا؟، ولكن المستقيمين أطول عمرًا، وأخلد ذكرًا، وأدوم فائدة؛ لأن نجاحهم يتعدى إلى عطاء ربانى أبدى... لا مقطوع، ولا ممنوع.

[٣١٨]

تطبيق الشريعة الإسلامية

س: لماذا لم تطبق الشريعة الإسلامية حتى الآن؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

هذا سؤال يجب أن يرد عليه الشعب نفسه؛ لأنه هو الذى يختار المشرعين لهذا البلد، فهل كان فى مقياسكم عند من انتخبتموه عهد أن يحكم بكتاب الله،

يجب أن يكون الأساس الذى تنتخبون نوابكم عليه هو هذا العهد، ولقد قلت: إننا لا نريد من البشر أن يعلنوا رأيهم فى منهج الله، ولكن أريد منكم أن يعلن مجلس الشعب الذى يعطيه الدستور مهمة التشريع فى هذا البلد أن لا يجد فى تشريعات الخلق بديلاً عن تشريعات الحق، أريد منكم أن يكون ذلك هو الأساس الذى تحاسبون نوابكم عليه، ماذا أديتم لدينكم فى مجلسكم التشريعى؟ وحين يوجد مثل هذا، يكون النواب قد علموا أنهم اختيروا على أساس أن يعلنوا أن حكم الله هو الذى يجب أن يسيطر على هذا البلد، وأن دستوره يجب أن يطبق تطبيقًا عاجلاً عادلاً.

والله أسأل أن يوفقنا جميعًا إلى أن يوجد فينا أسوة صالحة تحبب لنا الخير، وتحببنا فى الخير، وتقودنا إلى الخير.

[٣١٩]

تحريم قتل المؤمن

سئل -ﷺ- عن رجل شد على رجل من المشركين ليقتله، فقال: إنى مسلم، فقتله، فقال فيه قولاً شديدًا، فقال: إنما قاله تعوذًا من السيف.

فقال -ﷺ-: «**إن الله حرم على أن أقتل مؤمنًا**»(١).

[٣٢٠]

المنافقون وجزاؤهم

يقول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**﴾(٢).

ويقول -ﷺ-: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان**»(٣).

---

(١) كان القاتل هو أسامة بن زيد حب رسول الله -ﷺ-، وكان المقتول رجلاً من المشركين وكان ذلك فى «غزوة الحرقات».

«مواقف يوم القيامة» تأليف السيد الجميلى.

(٢) سورة النساء: ١٤٥.

(٣) أخرجه البخارى (١/ ٢٦/ ٣٣) فى الإيمان، وفى كتاب الشهادات (٤/ ١٤/ ٢٦٨٢) وفى كتاب الوصايا (٤/ ٥٠/ ٢٧٤٩)، ومسلم (٥٩)، والترمذى (٢٦٣١)، والنسائى (٨/ ١١٧)، عن أبى هريرة، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (١/ ٨/ ٢٥)، والإمام أحمد فى المسند (٢/ ٣٥٧).

س: فما حقيقة معاملة المنافقين؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: الله يستهزئ بالمنافقين، وما داموا قد قالوا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾(١) فإن الله يقول للعبد المنافق: ما دمت نافقت وقلت بلسانك ما ليس فى قلبك، سنعاملك أيضًا كذلك... سنقبل منك ظواهر الأشياء... نجرى عليك أحكامنا، ونورثك بعد أن نناكحك، أى: ترتبط بالمسلمين برباط الزواج، وننوى لك أنك تخلد لا فى النار ولكن فى الدرك الأسفل من النار، وكما أنك أيها المنافق جعلت لنفسك ظاهرًا وباطنًا مخالفًا، كذلك نحن لنا ظاهر نعاملك به الآن احترامًا لإعلانك، بأن لا إله إلا الله، فما كان لإنسان أن يقول لا إله إلا الله، ويشهد أن محمدًا رسول الله، ثم نعده بعد ذلك من الكافرين. هل أنت أيها المنافق وحدك الماكر؟.. كلا.. فالله خير الماكرين.. لهذا جاء قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ﴾(٢) والاستهزاء معناه: السخرية والاستخفاف، والتحقير.

[٣٢١]

عمل الجنة، وعمل النار

س: سئل -ﷺ-: ما عمل الجنة؟

(جـ): قال: «**الصدق، فإن صدق العبد بر، وإذا بر آمن، وإذا آمن دخل الجنة**»(٣).

س: وسئل ما عمل النار؟

(جـ): قال: «**الكذب، فإن كذب العبد فجر، وإذا فجر كفر، وإذا كفر دخل النار**»(٤).

---

(١) سورة البقرة: ١٤.

(٢) سورة البقرة: ١٥.

راجع رأى الطبرى فى تفسير هذه الآية فى جامع بيانه (١/ ٣٠٢).

(٣) من ثم تأتى أهمية الصدق وقد قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ سورة محمد: ٢١.

(٤) الكذب هو أساس الرذائل فمن كان كاذبًا مشتهرًا بذلك لن يثق به أحد فى أى شىء حتى ولو كان صادقًا فى بعض الأحيان.

[٣٢٢]

السفهـــاء

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾(١).

س: فما هو المعنى اللغوى للسفيه والسفه؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: السفه حمق، ومعناه الخسة فى تناول الأمور.

لكن من هو السفيه؟ الذى يؤمن بربه، أم الذى لا يؤمن؟

إذن.. إذا كنتم تعتقدون أنهم هم السفهاء، فلماذا تدعون لأنفسكم الإيمان لتكونوا سفهاء؟

وهذا أيضًا من السفه... وهو يشهد عليهم.

[٣٢٣]

جـــوع الملكـــات

س: الشباب فى الدول المتحضرة التى أصابت قسطًا وفيرًا من النهضة العصرية يقبل على الانتحار، رغم رفاهيته، ورغم ما أعطته هذه الحضارة من راحة بدنية. فما الدافع وراء هذا التعب؟

(جـ): يقول الإمام الجليل: إن الشباب بإحصائيته فى السويد التى فيها أرقى مستوى معيشى فيه أكثر نسبة فى الانتحار.. والجنون والشذوذ.. ولِمَ ينتحر طالما عنده وسائل الترفيه؛ لأن عنده ملكات أخرى جائعة، فهو شبع فى ملكة واحدة من ملكات نفسه؛ وجاع فى ملكات أخرى؛ فصار فى اضطراب؛ لأنه توجد ملكات أخرى غير نامية النمو المتسق مع بعضه، لكن المؤمن ينمو بكل ملكات

---

(١) سورة البقرة: ١٣.

السفهاء: الجهلة. يقال: سَفِهَ فلان رأيه: إذا جَهِلَه، ومن ذلك قيل للبذاء: سفه؛ لأنه جهل.

راجع لسان العرب لابن منظور (١٧/ ٣٩٢) والبضاوى (١/ ١٢).

نفسه، لو أحضرت إنسانًا ونزعت منه القطعة التى أعلى المخ تصبح حركاته مثل حركات الحيوان تمامًا(١).

إذن فالإنسانية كلها هنا كإنسان فى القطعة العليا من المخ (يقصد القشرة المخية). والحيوان يجوع، ولا يعيش فى ألم الفقر، وخوف المجاعة، ولا يفكر فيها.

إن الحيوان يموت، ويذبح ابنه أمامه، ولا يذوق ألم الثكل، ولا فجيعة الفراق، والحيوان يدرك بما وهبه الله من غرائز ما ينفعه وما يضره، ويرى غيره يموت، وهو ساعة ذلك لا يفكر فى الموت، أو مصيره إليه.

[٣٢٤]

الريـــاء

س: ما هو الرياء؟ وما خطره على المجتمع؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى: الرياء فساده توجيه العمل لغير مجزٍ عليه، فالمرائى يبحث عن جزاء أدنى من الأصل، ويمكن أن تشبعه مجرد كلمة من إنسان آخر.. تأثيرها وقتى محدود، وذلك نتيجة عدم استصحابه ضخامة الجزاء الذى وعده به الله، فيبحث عن دفع شر عاجل، أو جزاء عاجل مثل: إبعاد نفسه عن شبهة عدم التدين. أو لجلب الاحترام، والوضع المميز بين الناس.

وهذا جزاء واهٍ ضعيف أمام الجزاء الأبقى الذى أعده الله لعباده المخلصين.

فالرياء جوهره: الحمق فى تقدير الجزاء. والمرائى فى نظر الشرع بالرغم من ذلك - مسلم؛ إذ يقول الله: ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٢).

---

(١) يقصد فضيلة الشيخ بقوله: من أعلى المخ، أى: من مراكز المخ العليا Higher Brain Centres.

(٢) سورة النساء: ١٤٢.

انظر تفسير الإمام الطبرى (٩/٣٢٦).

[٣٢٥]

لقد خلقنا الإنسان فى كبد

س: فى الحياة وتموجاتها وحركاتها المتصلة نلقى كل المكابدة فى أقضيتها المختلفة، وهى تتعذر وتتعسر حينًا، وتضنى وتنهك وتمتنع حينًا آخر.

فهل هذه طبيعة الإنسان فى هذه الفانية، وهل خلق للشقاء؟

(جـ): يقول الإمام الجليل: الحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[1] ومعنى ذلك أن الإنسان بطبيعة تكوينه مكابد، والذى يريد أن يكون الإنسان مرتاحًا.. هو رجل لم يفهم سر خلق الله.. لأن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان مكابدًا.. خلق طاقة وميزه فكرًا.. طاقة مثل التى فى الحيوان تمامًا.. فيه جزء حيوانى، ذلك الذى ينمو ويعيش بنواميس الدنيا، التى تنطبق على الأجساد الحية.. والتى تشترك فيها بطبيعتها معظم الكائنات.. لكنه ميزه عن كل هذا الخلق بالفكر.. أى أن الله سبحانه وتعالى فضله على جميع مخلوقاته، بإعطائه الفكر.. لماذا؟ أرأيت جيلاً من الحيوانات يقول: إنه يجب أن نرتقى بمعيشتنا.. وننشئ لنا زرائب على أحدث نظام ونغير طعامنا بطعام أفضل.. ونخترع الدواء لأمراضنا.. ونحاول أن نحل مشاكلنا بأنفسنا أرأيت جيلاً من الحيوانات يفعل ذلك لله أرأيت حيوانًا حينما يوضع له الطعام يقول وهو أمامه: أنا آكل ذلك، ولا آكل هذا؟؟ أو يقول: سأوفر جزءًا من هذا الطعام إلى الغد.. أو سأدخر جزءًا من الطعام الذى أمامى للأيام القادمة.. أرأيت حيوانًا حينما يشبع يظل يأكل أو أنك إن ضربته مهما ضربته ليأكل أكثر لا يستجيب لك؟! أبدًا..إنه يأخذ حاجته فقط.. ثم بعد ذلك يترك الطعام. ولا يأخذ عودًا من البرسيم زيادة.. مهما كانت الوسائل التى تستخدمها معه.

نأتى بعد ذلك للإنسان.. إذا أكل وشبع. ثم قلت له: هذا الصنف من الطعام جيد يجب أن تتذوقه.. أو أحضرت له طبقًا من الطعام شكله مغر وزينته

---

(١) سورة البلد: ٤.

قال العلماء: فى كبد أى: فى مشقة، وشدة غلبة، ومكابدة لأمور الدنيا والآخرة.

انظر القرطبى (٢٠/ ٦٢) والطبرى (٣٠/ ١٢٦) والبحر المحيط لأبى حيان (٨/ ٤٧٤) والخازن (٤/ ٢٤٨) وأبا السعود (٥/ ٢٦٤) و(٢٦٥).

له.. فإنه رغم شبعه يأكل.. ويأكل.. فبينما الحيوان يأكل على قدر الغريزة فقط.. نجد أن الإنسان تدخل فيه قدرة الاختيار التى وضعه الله فيه؛ ليتخذ قرارًا.. وأحيانًا يكون هذا القرار ضارًا به، وأحيانًا يكون نافعًا.. ولكن له القدرة على اتخاذ القرار.. بحيث يستطيع أن يأكل أو لا يأكل.. بعد أن شبع. وأن يفعل شيئًا. أو لا يفعل.. ليس مدفوعًا بالغريزة.. ولكن باختياره الخاص.

نمضى بعد ذلك.. أرأيت حيوانًا نم على حيوان، أرأيت حيوانًا أخذ منه ابنه وذبح وامتنع عن الأكل أو الشرب، والحيوان يتعلق بأبنائه قبل اعتمادهم على أنفسهم، ومجرد أن يكبر الوليد ينفصل عن الأبوين وينتهى كل شىء ولا يعرف أين ذهب، إن مهمته قد انتهت، فالعواطف وتعدد البدائل هما سبب شقاء الإنسان ومكابدته.

[٣٢٦]

عتاب النبى للمنحرفين

س: كيف كان عتاب النبى للمنحرفين؟ وكيف كان يعاقبهم؟

(جـ): الأمن فى داخل الأمة المؤمنة يتولاه الوالى بما يأخذ من تعاليم الله من تشريع يبين حدود الله، فمن تعدى هذه الحدود فكسرها، فهناك التجريم وهناك العقوبة. حيث نجد ذلك، نجد أن رسول الله -ﷺ- قد تسامى فى هذه المسألة تساميًا لم يتحقق لأية أمة ولا لأية حضارة، ولا لأية مدنية. كيف كان ذلك؟

نجد أن رسول الله -ﷺ- لم ينشئ سجنًا ليؤدب فيه المنحرفين، وإنما أنشأ شيئًا آخر هو أن يسجن الذى أجرم وهو حر فى المجتمع، فهو لا يسجن المجرم، ولكن يسجن كل المجتمع عنه، يعيش بانطلاق حريته، ويعيش بين الناس وهو غريب عنهم، يتحكم فى الناس، ولا يتحكم فى الفرد الواحد، فيقول للناس: اعزلوا هذا الذى انحرف عن مجتمعكم.

فحين يصدر رسول الله -ﷺ- كلمة تعزل المنحرف عن المجتمع يستمع المجتمع كله. لا مودة لمنحرف، ولا محبة لمنحرف، ولا سلام لمنحرف، ولا كلام معه، ويتسامى فيأتى إلى أهل ذلك المنحرف، أى فى بيته فيأمره هو ألا يقرب أهله، هذه هى عظمة التشريع حين يتسامى، فلا يعزل المنحرف وحده، إنما يعزل

عنه المجتمع، وهو حر فى ذلك المجتمع... هذا كعب بن مالك[١] وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع تخلفوا جميعًا عن غزوة تبوك، وما تخلفوا عن عذر؟ لأنهم كانت لهم قوة يستطيعون بها أن يجدوا الزاد والراحلة والسلاح ومع ذلك تخلفوا، فلما جاء رسول الله -ﷺ- -أقبلوا إليه معتذرين بصدق لم يكذبوا ولم يقولوا: لم نجد، بل قالوا: «لم نكن أيسر حالاً منا فى ذلك الوقت، ولكننا تخلفنا وتخاذلنا من غير حاجة»، فيقول الرسول لهم: «**انصرفوا حتى ينزل الله فيكم حكمه**» ولكنه أمر الناس ألا يكلموهم فلم يكلمهم أحد، وتسامى الأمر؛ فعزل كل واحد عن أهله.. تلك قوة الكلمة حين تعزل الرجل عن أهله، ولا رقيب فى البيت بين الرجل وأهله، ويتسامى التشريع الحاكم مع المنحرف إلى أن لا يجعل الرسول -ﷺ- يأمر على المنحرف بعقوبة- بل يجعل المنحرف نفسه فى عقوبة على جريمة بينه وبين ربه يقربها، ثم يحكم على نفسه الحكم، فهذا أبو لبابة[٢] تبدو منه بادرة يشير بها إلى اليهود أنكم إن قبلتم عهد رسول الله فإنه القتل، فلما قالها قال: والله لقد علمت حين قلت ذلك أننى خنت الله وخنت رسوله، لم يطلع عليه أحد فى ذلك الوقت، ولكنه عرف ما كان من جريمة نفسه، فماذا صنع؟، ولم يطلع عليه أحد لتقوم عليه الدعوى، إنه ذهب إلى سارية المسجد. فوجئ به صحابة رسول الله -ﷺ- مربوطًا فى السارية فيسألونه: لماذا؟

يقول: أذنبت ذنبًا، هذا الذنب هو كذا وكذا، ولم يعلم به أحد، ولا يكفر عن ذنبى إلا أن أربط نفسى إلى سارية المسجد، أى: إلى عمود فى المسجد، فكان إذا ما جاءت الصلاة يحل نفسه ويصلى، ثم يعود، فيربط نفسه ويقول: «والله لا أحل نفسى حتى يكون رسول الله -ﷺ- من يحلنى».

ذلك شىء رائع!! أن يذنب الإنسان فى فترة من فترات الضعف ذنبًا ولا يراه أحد مع ذلك يعاقب نفسه أمام الناس الذين لم يروه، ويقول: «لا أحل نفسى، حتى يحلنى رسول الله -ﷺ-».

---

(١) هو كعب بن مالك بن عمرو بن القين الأنصارى السلمى الخزرجى، صحابى، مدينى، من أكابر الشعراء، اشتهر فى الجاهلية، وفى الإسلام كان من شعراء النبى -ﷺ- وشهد أكثر الوقائع، توفى سنة خمسين وقيل: ثلاث وخمسين، وقيل: خمس وخمسين.
راجع ترجمته فى الإصابة (ت ٧٤٣٣) وخزانة البغدادى (١/ ٢٠٠).

(٢) هو أبو لبابة الأنصارى، اسمه بشير، وقيل: رفاعة بن عبد المنذر، صحابى مشهور، كان أحد النقباء، عاش إلى خلافة على.

[٣٢٧]

البنوك ذوات العائد الجارى وشهادات الاستثمار

اختلفت الآراء وتعددت وجهات النظر للعلماء بالنسبة للبنوك وشهاداتها الاستثمارية ذات العائد الجارى التى تصرف نسبة مئوية محددة، قال البعض: إن شهادات أ، ب حرام، ولكن شهادات (جـ) حلال؛ لأنها لا يشترط فيها ربح ثابت، وإنما تدخل المسابقة الدورية، وهى عرضة للكسب، وعرضة لعدم الكسب. وقال آخرون: إنها أيضًا لا تخلو من شبهة. لكونها تشجيعًا للبنك المودعة فيه، وهذا ربما ينطوى على شبهة.

والبعض الذين يبيحون ويحللون إيداع الأموال فى البنوك يقولون: إن المال فى البنوك غير متجمد، وهو يستثمر فى مشروعات التنمية المختلفة، وهو لذلك نشيط غير كاسد، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى، فإن المودع لا يشترط على البنك نسبة مئوية معينة، إنما البنك هو الذى اشترطها على نفسه... وهكذا ازداد الجدل، وتفاقم الخوض فى هذه المسألة، والناس بين مؤيد ومعارض، متفق ومختلف، يموجون فى متاهات البحث، وفراغات لا تنتهى.

ولما سألت الشيخ محمد متولى الشعراوى عن هذه القضية أجاب سيادته:

قال -ﷺ-: **«الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات، كالراعى يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ومن ترك ما شبه له، فقد استبرأ لدينه وماله وعرضه»**(١).

ويرى الإمام الجليل:

أن البعد عن هذه الطريقة أمثل وأوفق، وأشار إلى أن بنك فيصل الإسلامى -وكذلك المصرف الإسلامى، فيهما يستطيع أن يودع المسلم ماله، وهذا المال المودع يعامل إسلاميًا يخصم مستحقات الزكاة عليه وتطهيره. حتى إن الشيخ أفاد أنه سمع أنه ربما يكون بنك مصر قد خصص فرعًا منه للمعاملات الإسلامية. وصفوة

---

(١) رواه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، والترمذى (١٢٠٥)، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (١/ ٣٤/ ٣٨٥٦).

القول بالنسبة لهذه المسألة أن البنوك الإسلامية هى خير ضمان على ذلك، وهو يطمئن إليها كل الاطمئنان[١].

إيضاح:

لقد تم إنشاء أحد عشر بنكًا وشركة إسلامية لاستثمار الأموال فى مصر والدول العربية مؤخرًا، للمساهمة فى خطة التنمية فى هذه الدول، بتشغيل المشروعات الصناعية والتجارية المختلفة، وتطبق هذه البنوك نظام المشاركة الاستثمارية، وتقتسم العائد منها بين المستثمرين فى إطار من الربح الحلال. كما تقدم البنوك الإسلامية جميع الخدمات المصرفية مقابل أجر مشروع. ولا تستخدم نظم التعامل بالفائدة المتعارف عليها بين البنوك الأخرى.

وفى هذه البنوك الإسلامية فى مصر يستطيع المسلم أن يستثمر مدخراته فيها، ويحصل على أرباح مشروعة، دون تحديد لحجمها، وذلك بفتح حساب ادخار، أو استثمار، أو الحصول على خدمة مصرفية.

ومن هذه البنوك فى مصر بنك فيصل الإسلامى، والمصرف الإسلامى الدولى للاستثمار والتنمية، وشركة الاستثمار الإسلامى المحدودة، فضلاً عن بنك ناصر الاجتماعى وفروعه وكذلك فروع بعض البنوك الإسلامية المعروفة.

وتعتمد هذه البنوك الإسلامية فى معاملاتها مع عملائها على جذب المدخرات النقدية، وتشغيلها فى أوجه الاستثمار المباحة طبقًا لأحكام الشريعة الإسلامية، وذلك بعدة أساليب أهمها أسلوب المشاركة، باستخدام المدخرات، فى تأسيس المشروعات الصناعية والزراعية والتجارية، غير المحرمة، أو بتمويل عمليات تشغيل مصانعها ومنشآتها للإنتاج، وهناك أسلوب بيع أو شراء السلع والمنتجات لعملاء هذه البنوك، على أساس اقتسام أرباح هذه المشروعات طبقًا لحجم المساهمة

---

(١) يرى بعض العلماء أن الأصل فى المنافع الإباحة، وفى المضار التحريم، وعلى هذا يبيحونها، ومن المؤيدين له فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى، وعلى نقيض ذلك يراها فضيلة الشيخ سليمان رمضان - من الربا والغرر المحرم، ولا تصح أن تكون من باب القراض، أو الوديعة، أو القرض.
ولكل رأى أنصاره ومشايعوه، والله سبحانه وتعالى خير مأمول، وأكرم مستعان به.

برأس المال، أو الإدارة أو الخبرة بين الأطراف المشتركة، ما تتيح للمواطنين فتح الحسابات الجارية، وتوفر خدماتها المصرفية من سحب وإيداع مجانًا(١).

[٣٢٨]

فوائد البنوك وشهادات الاستثمار والحج منها

س: عن فوائد البنوك، وشهادات الاستثمار، هل هى حلال أم حرام، وهل يمكن الحج منها؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

أما ما تدخره فى البنوك بفوائد، فمن الأفضل أن ينقل السائل ماله إلى بنك إسلامى؛ ليخرج من حيرة الارتياب.

والحلال بين، والحرام بين، وبينهما أمور متشابهات، فمن ترك الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه.

وعلى فرض أنه وجد رأى يقول: هذا حلال. ورأى آخر يقول: هذا حرام. فمن يريد أن يستبرئ لدينه وعرضه، فليبتعد عن المشكوك فيه، وخصوصًا إذا وجد البديل، وهو البنك الإسلامى الذى يعمل بنظام المضاربة.

وأما الحج من هذا المال فهو حرام، ولابد أن يكون مال الحج حلالاً خالصًا، لا شبهة فيه أبدًا. وفى هذا قال الشاعر:

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولكن حجت العير(٢)

أى حججت الجمال والركائب فقط.

---

(١) من النكت الطريفة فى هذا المقام أن ترى مكتوبًا على واجهة أحد البنوك: [يوجد بالبنك فرع للمعاملات الإسلامية].

ومؤدى هذا القول ومفاده، وبمفهوم المخالفة والاقتضاء أن ما عداه من أفرع هى للمعاملات غير الإسلامية.

مع الاعتذار لهذه البنوك - فما عمدت إلا الممازحة ليس إلا.

(٢) مثل قولهم: «أنفق ماله وحج الجمل».

وهو مثل كانوا يتندرون به على الرجل يحج من كسب خبيث غير طيب، فلا يكون حجه مقبولاً لهذا السبب.

[٣٢٩]

التأمين في الإسلام

التأمين على الحياة فى رأى الشيخ محمد متولى الشعراوى يعلم الفرد بلادة الحس الإيمانى، فعندما تحدث حادثة له يقول: الفلوس قادمة، ولا يقول: يا رب احفظنى.

والحادثة التى تحدث لى فى مالى أو فى شىء، قد يكون مقصود الله فيها أن يطهرنى... والناس لو تركوا أولادهم ضعافًا عندما تراهم بعد مدة تجدهم سادة.. الإسلام عندما يطبق ككل لا يحتاج مسألة التأمين هذه إطلاقًا -والإسلام بناء لابد أن يكون موجودًا. كله من أساسه دون تلفيق أو حشر.

قال تعالى: ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾[1].

ويذكر الشيخ الشعراوى أن معاوية وعمرو بن العاص كانا جالسين فى آخر حياتهما، فقال عمرو لمعاوية: أما المطعم فقد سئمت أطيبه، وأما اللباس فقد مللت ألينه، وحظى الآن فى شربة ماء بارد فى يوم صائف، تحت ظل شجرة.

وأنت ماذا بقى لك من متع الدنيا يا معاوية؟

قال: أرض خواره، بها يمن حرازه، تدر على حياتى، ولولدى بعد مماتى. وكان يسقيها وردان الخادم، فأراد أن يداعبه معاوية فقال: وأنت يا وردان، قال: صنعة معروف أصنعها فى أعتاق قوم لا يؤدونها لى فى حياتى؛ حتى تكون لعقبى فى عقبهم، قال: غلبنا اليوم العبد يا عمرو.

وذكر أن سيدنا عمر بن عبد العزيز[2]، وهشام بن عبد الملك نعرف موقفهما لما دخل مقاتل بن سلمان على المنصور فى يوم بيعته بالخلافة، قال: عظنى يا مقاتل، قال: أعظك بما رأيت أم سمعت؟ قال: بما رأيت. قال: يا أمير المؤمنين، عمر بن عبد العزيز، وقد خلف أحد عشر ولدًا، وترك ثمانية عشر دينارًا، كفن

---

(١) سورة النساء: ٩.

(٢) هو عمر بن عبد العزيز الأموى، أمير المؤمنين، الخليفة الزاهد، أمه أم عاصم بنت عاصم ابن عمر بن الخطاب، كان ولى إمرة المدينة للوليد، وكان مع سليمان كالوزير، وولى الخلافة بعده، فَعُدَّ من الخلفاء الراشدين. مات وله أربعون سنة، فى سنة إحدى ومائة.

منها بخمسة، واشترى له قبر بأربعة، ووزع الباقى على ولده، ومات هشام بن عبد الملك، فكان نصيب إحدى زوجاته الأربع من النقد دون الضياع والقصور ثمانين ألفًا. والله يا أمير المؤمنين، لقد رأيت فى يوم واحد ولدًا من ولد عمر بن عبد العزيز يحمل مائة فرس فى سبيل الله، وولدًا من ولد هشام يسأل الناس فى الطريق. إذن ضد من أؤمن.

[٣٣٠]

الغيبة

س: ما هى الغيبة؟ وهل صحيح أنه لا معصية فى اغتياب فاسق؟

(جـ): قال -ﷺ-: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**ذكرك أخاك بما يكره**»[1].

قيل: أرأيت إن كان فى أخى ما أقول؟ قال: «**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته**»[2].

وورد أن رجلاً سأل رسول الله -ﷺ-: ما الغيبة؟ فقال: «**أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع**» فقال: يا رسول الله، وإن كان حقًّا؟ فقال: «**إذا قلت باطلاً فذلك البهتان**».

[٣٣١]

الغيبة والنميمة

س: تسأل السيدة ناهد عبد الودود:

ما هى الغيبة، وما هى النميمة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

إن الغيبة هى: أن تذكر أخاك بما يكره، حتى ولو كان ما تذكره صحيحًا،

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند والبخارى فى الصحيح (١٠/ ١٠٥).

(٢) صحيح مسلم (٢٥٨٩) وأبو داود (٤٨٧٤) والترمذى (١٩٣٥).

فإن كان صحيحًا فقد اغتبته، وإن كان كذبًا فقد بهته، أى افتريت عليه. والأخوة هنا بمعنى الأخوة الإيمانية، فكل مؤمن أخ للمؤمن الآخر.

أما النميمة فهى: أن تؤتمن على سر فتنقله إلى الغير.

أما الشخص الذى يتعرض للرأى العام، وللحكم العام، فلا غيبة له، لأنه عرض نفسه لحكم الناس عليه. فإن أساء فلا مانع من الحديث عن ظلمه، لأن الله تعالى يقول:

﴿لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ﴾(١).

لأن القول هنا يجىء تنفيسًا عن الظلم، أو لرفعه.

ولا مانع من المشورة، فإذا استشارنى شخص فى زوج ابنته مثلاً؛ فعلى أن أقول الحقيقة، ولو كانت فى غير صالحه.

وبذلك تقول: إن الغيبة يقصد بها شفاء النفس بحقد على واحد وبعد ذلك قالوا: لا غيبة لفاسق. فالفاسق الذى يتعالى بفسقه لا غيبة له.

[٣٣٢]

الصراعات والخلاف بين المسلمين

س: ما السر فى كثرة الشقاق والصراعات، والخلاف بين العرب والمسلمين مما يضعف شوكتهم؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

لاشك فى أن ما يحدث الآن على الساحة العربية أمر محزن للغاية..

وقد سبق أن قلت: إن ما يحدث الآن فى بلاد الإسلام على وجه العموم دليل على صدق منهج الإسلام؛ لأن العالم لو كان كما نحب صلاحًا واستقامة وأمنًا وطمأنينة، مع عزوفه عن منهج الله تعالى، لقلنا: إنه لا ضرورة لهذا المنهج.

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.
انظر مختصر ابن كثير (١/ ٤٥٢).

أما الفســاد مع عدم التمسك بالمنهج، فهــذا يعتبر شهــادة للإسلام. قال الله تعالى:

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾(١).

ولقد سئلت مرة: عن مشاكل الزواج بين المسلمين، وكـثرة الطلاق بينهم، فقلت: إنكم اتهمتم الإسلام، مع أنكم تزوجتم على غير منهج الإسلام.

هل دخلتم على الزواج بمنهج الإسلام؟

هل اختارت المرأة صاحب الدين؟

وهل اختار الرجل ذات الدين؟

أم كان اختياره بمقاييس بعيدة عن الإسلام؟

كيف تدخلون على الزواج منهجًا غير الإسلام، ثم تلقون تبـعة الفشل فى الزواج على الإسلام؟ إنما يصح لكم هذا القــول لو أنكم دخلتم على الزواج بمنهج الإسلام.

إذن الذى يحدث الآن فى العالم الإسلامى أمر طبيعى، ويمكن أن يفسر بأن استشــراء هذه الأحوال سببه أن الله سـبحانه وتعالى أراد أن ينبـهنا إلى أننا ما دمنا تابعين، وكل منطقة تابعة لهوى من سيطر عليها، فسيظل هذا الفساد كما هو.

كذلك يمكن أن نسأل: هل يوجد استقرار فى الدول القوية؟

ونقول: لا، لم يحدث استقرار فى روسـيا، ولا فى أمريكا مع قوتهما. لو كان الفســاد موجودًا فى الدول الضعـيفة، لكان معقــولاً، ولكن حدوثه فى الدول القوية يمكن أن يفسر بأن نظام العــالم الـذى نراه الآن محكوم بالوضـع التقـدمى، أو الطمــوح المادى، إذن يجب أن نلتـقى فى الفســاد، لأننا التـقينا فى كـثيـر من المظاهر.

---

(١) سورة الروم: ١٤.
وانظر القرطبى والطبـرى (٢١/ ٢٠) ومختصر ابن كـثير (٣/ ٥٢) والكشاف للزمـخشرى (٤/ ٢٢٤).

[٣٣٣]

والكاظمين الغيظ

س: تسأل السيدة ليلى صبرى:

عن الكاظمين الغيظ.

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إذا أساء إلى إنسان فقلت إننى لم أتأثر بإساءته، فلن أكون صادقًا، لأن هناك مؤثرًا خارجيًا، ولابد من وجود انفعال يقابله. ولكن من الناس من يأخذه الانفعال، ولا يستطيع كتمانه، ومن الناس من يستطيع كظمه.

إذن فكظم الغيظ: أن يحتفظ المغيظ بغيظه فى نفسه، ولا ينفس عنه بشىء.. فكأنك ملأت «بالونة» بالهواء، واحتفظت بالهواء فى داخلها.

وشخص آخر تجاوز هذه المرحلة، فأخرج سبب الغيظ من نفسه، فعفا بالتماس العذر مثلاً.

والله يحب المحسنين. هذه مرحلة أخيرة، ليستوفى الحق أحوال النفس البشرية: إبقاءً للغيظ كما هو دون تنفيس.. إخراجه من القلب، والعفو عن المسىء.. الإحسان إلى المسىء بعد العفو عنه.

۞۞۞

[٣٣٤]

الناس معادن

س: هل الناس معادن كما يقولون؟

(جـ): الناس معادن كما يقولون، وسبق أن صنف أمير الشعراء أحمد شوقى الناس صنفين فقال فى ذلك -رحمه الله-:

الناس صنفان موتى فى حياتهم
وآخرون ببطن الأرض أحياء

وحينما نستقرئ أوضاع البشر فى الأرض نرى الناس، لا يخرجون عن لونين:

١- لون عاقل تقنعه الحجة، ويقنعه البرهان.

٢- لون جاهل يتمادى فى جهالته نكرانًا للإقناع، وعدم انصياع للحجة، ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾(١). ويؤكد مولانا الشيخ الشعراوى أن الله إذا أراد لمبدأ من المبادئ المتصلة بالحق أن يسود، فلابد أن تكون للحق قوة تقنع بالبرهان، وتردع بالسنان.

[٣٣٥]

من يبغضهم الله؟

س: من الذين يبغضهم الله؟

(جـ): الحديث القدسى يرتب درجات من يحبهم الله، ومن يبغضهم: **أحب ثلاثًا، وحبى لثلاث أشد:**

أحب الغنى الكريم، وحبى للفقير الكريم أشد.

وأحب الفقير المتواضع، وحبى للغنى المتواضع أشد.

وأحب الشيخ الطائع، وحبى للشاب الطائع أشد.

وأبغض ثلاثًا وبغضى لثلاث أشد:

أبغض الغنى المتكبر، وبغضى للفقير المتكبر أشد.

وأبغض الفقير البخيل، وبغضى للغنى البخيل أشد.

وأبغض الشاب العاصى، وبغضى للشيخ العاصى أشد.

ويرى الشيخ الشعراوى أن المجتمع المثالى الراقى، هو الذى يكون فيه الفقير كريمًا، والغنى متواضعًا، والشاب طائعًا.

ويرى أن مجتمع الحضيض، وهو ذلك الذى نرى فيه الفقير متكبرًا، والغنى بخيلاً، والشيخ فاسقًا متحللاً.

---

(١) سورة النمل: ١٤.

انظر مختصر ابن كثير (٢/ ٦٦٧).

[٣٣٦]

مجتمع الكفاية

س: ما هو مجتمع الكفاية الذى يكثر الحديث عنه؟

(جـ): مجتمع الكفاية هو الذى يوفر للناس مقومات حياتهم، ميادينه مختلفة ومهماته متعددة، تتحقق فيمن يبحث فى الصحة ليضمن السلامة، وفيمن يبحث فى الأرض ليستخرج منها الأقوات، وفيمن يبحث فى المادة ليبتكر منها مرفهات الحياة، وميسرات الوجود، لكن هب أن كل ذلك وجد، وبعد ذلك وجدت شراسة فى الكون، أو وجدت الشراسة فى ذات القوم، أو وجدت الشراسة من خارج القوم، فسينغص عليهم ذلك مجتمع كفايتهم، إذن فلابد من جهة أخرى تضمن التوازن، وتحقق الأمن فى داخل الأمة، وتحقق لهم الأمن من مخاوف خارجها.

[٣٣٧]

مجتمع الكسالى

س: انعقد فى الأيام الأخيرة مؤتمر اقتصادى موسع دعت فيه الدولة كل رجال الاقتصاد، وخبراء المال بجميع اتجاهاتهم، ومدارسهم المتعددة، واستمر المؤتمر عدة أيام.. وقد انبثق من الدراسات التى قدمت عشرات من الأبحاث والآراء المتعددة، والحلول المقترحة، والتى ركزت بشكل خاص على مشاكل الغذاء والإسكان ومعدلات الإنتاج، وخفض الإنفاق حول هذه القضية توجهنا لفضيلة الإمام الشعراوى بالسؤال فأجاب بما يلى:

(جـ): الهيكل الذى نسير عليه من قديم هيكل بعيد عن الإسلام، ومن سياسات البشر، فلا تأت على الهيكل من سياسات البشر وتقول: رممه لى باليدين. لا أستطيع؛ لأن أساسه فاسد.. أستطيع أن أرمم لو أن الأساس كله كان مسلحه واحداً.. إنما أنا بَانٍ حركتى على أساس غير سليم.. لا أستطيع أن أرممه بالإسلام.. لا. وإنما تقول: انقض هذا كله، واعمله بالإسلام.. أسسه على منهج الإسلام.

ثم إنك حتى تواجه الحالة الاقتصادية إذا واجهتها بسياسة البشر هل المشخصون للداء مخلصون فى تشخيص الداء؟... أم أنهم (يلفون) من هنا وهناك، ولا يواجهون الحقائق؟ لا أحد يواجه الحقائق ويقول: إن سبب هذه الأزمات أننا كسالى، أليس لدينا أرض نستصلحها..؟ لماذا لم نستصلح من مدة طويلة، قبل أن يزيد عدد السكان؟!!.

إذن، الذى تفعله الآن أنك تقوم بجبر نقص كان يمكن عمله من قبل.. هل كان يمكن فعل ذلك من قبل أم لا؟.. كان يمكن بدليل أنك تعمله الآن.. لو عملته من (زمان) وواجهته قبل حلول الأزمة.. كان يمكن ألا تكون هناك أزمة.

لو أن كل جيل التفت إلى أنه كان يجب أن يعطى أضعاف، أو مثل ما يأخذ على الأقل!! (يعنى كان المقياس أن الواحد على الأقل فى حياته يعطى الحياة مثل ما أخذ منها) لو أن كل واحد أعطى الحياة مثل ما أخذ.. ماذا كنت تتوقع أن تكون النتيجة؟.. رخاء بالطبع.. إنما نحن نأخذ ولا نعطى.. مثلما يحدث الآن -قوتنا من الخارج.. ترفنا من الخارج.. كل شىء من الخارج!!

ما يجب أن يحدث.. إما أن أعف نفسى، أى: لا أقتات من غيرى، وأربط على بطنى حجرًا.. وإما أن أترجل، وأخرج من أرضى، وآكل، ولا أعيش إلا على قدر إمكانياتى.

نحن قلنا: هى ثلاثة أشياء: إنتاج واستهلاك.. إن تساوى الإنتاج مع الاستهلاك، يكن هناك جمود.. إن زاد الاستهلاك عن الإنتاج (يكون خراب مستعجل).. إن زاد الإنتاج على الاستهلاك يكن ارتقاء، ونحن ما دام استهلاكنا أكثر مما ننتج.. فلابد أن تكون النتيجة هى أن نتأخر.

ولو أن كل جيل من الأجيال أعطى لأمته، أو أعطى لمجتمعه مثل ما أخذ، لكانت المسائل اختلفت (يعنى أنا انتفعت بفدان، ولو عملت طول حياتى كنت سأصلح فدانًا.. والثانى يصلح فدانًا، والثالث يصلح فدانًا، وقد سبق أن فعل أناس ذلك، وأصبحوا أغنياء.. إنما نحن نكسل قرنًا.. وبعد ذلك ننتبه فى يوم).

يجب أن نعالج المسائل بشىء من الشجاعة والجرأة، فلا تزال معالجة المسائل فيها شىء من المجاملة للنظم.. وإذا نظرنا إلى علاج المسألة الاقتصادية، نجد أن الذين يشخصون الداءات فيها يجاملون نظمًا اقتصادية قائمة.. ليس عندهم الجرأة

أن يقولوا: إن النظم الاقتصادية التى حكمنا بها نظم فاسدة.. نظم غير طبيعية، وما داموا مستمرين فى محايلة النظم.. سيظل العلاج بعيدًا!!

هل يستطيع أحد أن يقول: إن العمالة التى فى الدولة لا تنتج بقدر ما تأخذ من الدولة؟ من الذى يستطيع أن يقول ذلك؟ العمالة فى الموظفين بالذات.. هل تنتج بقدر ما تأخذ؟.. لا..!

[٣٣٨]

الانفجار السكانى

س: والانفجار السكانى.. أليس هو من أبرز معوقات التنمية الاقتصادية؟

(جـ): هناك انفجار سكانى.. هذا صحيح.. وعندما نحكم المقاييس والمعايير والخط البيانى.. يكون هناك خراب -كما يقولون: سنة ألفين.. هذا صحيح أيضًا.. لماذا؟ إننا قدرنا العدد الذى سيأتى سنة ألفين، ولم نقدر له ما أعددنا من الحركة فى الأرض لنواجه هذا العدد..!!

ماذا فعلنا فى المقابل؟ قلت: إننى سأقلل السكان.. أقلل النسل.. إذن فأنت (قدرت) على الطرف السلبى، ولم تقدر على الطرف الإيجابى، بدل من أن تقول: إن هذا العدد فى سنة ألفين سيحتاج إلى أرض كذا، وإلى مصانع كذا (ثم تعمل من أجل زيادتها) جئت للناحية الضعيفة وقلت: لا.. ننقص العدد.

إذن قدرت بمعدل الزيادة كل عام كذا.. فى سنة ألفين يكون كذا.. صحيح عدد رهيب.. انفجار سكانى فقلت: لابد: لازم نقلل العدد أقول: لماذا اخترت أن تقلل السكان ولم تقل فى الجهة المقابلة - نكثر الإنتاج؟..

إذن فأنت اتجهت إلى الجانب السلبى الذى يعينك على الكسل، ولم تذهب إلى الجانب الإيجابى لتنتج كذا وتفعل كذا وكذا، وتلزم وتضع خطة ملزمة.. لقد ذهبنا إلى الناحية التى لا تحتاج إلى مجهود، وطالبنا الناس بتقليل عدد السكان.. متشكرين.. نقللهم حسنًا.. (قد إيه) إن شاء الله..!!

«ونحن إذا أخذنا المسألة فى حياة الأفراد العاديين أنفسهم، نجد أن أسلوب المعالجة يختلف.. مثلاً الشخص يقول لنفسه: عندى ثلاثة أولاد، ومرتبى أربعون جنيهًا، وآخذ علاوة كذا.. إلخ.. هل ذلك يكفى؟. لا يكفى، إذن، لابد أن

أجد عملاً بعد الظهر. أعمل فى محل تجارى إذا كنت تاجرًا، أو أعمل على تاكسى، أو أقف فى كشك بعد الظهر، وهكذا يسوى الأفراد حياتهم.. أنت هنا تواجه زيادة تبعات الحياة، ولا تأتى للتبعات نفسها وتقول: لا. أنقصها، وهناك شخص آخر لم يفعل ذلك.. فحينما تزيد عليه تبعات الحياة، يكون الضيق.. بينما من تنبه قبل أن تحل الأزمة لم يحدث عنده الضيق».

ونحن -كمجتمع- لم نفعل مقدمًا لنواجه زيادة تبعات الحياة، ولذلك حينما يقال: أن النبى -عليه الصلاة والسلام- استعاذ من الفقر، وكثرة العيال، نقول: نعم ابتعاد من اجتماعهما!! فأنت لماذا قدرت على كثرة العيال، ولم تقدر على الفقر؟ لماذا لم تتحرك فى الحياة لتتغلب على الفقر؟ (هناك أناس قدروا على الثانية، فلم يهتموا بالأولى.. أى استطاعوا التغلب على الفقر، لم يضرهم كثرة العيال.

س: وعند سؤال الشيخ عن التشريعات الاقتصادية الإسلامية، وكيف تجد طريقها إلى النور، وهى القادرة على حل الكثير من مشكلاتنا المعاصرة.. وما سبب (الفجوة) أو (الجفوة) بين علماء الدين ورجال الاقتصاد؟

(جـ): أجاب فضيلته: بأن الذى يتكلم بالدين لا خبرة له بنظم البشر.. والذى يتكلم فى نظم البشر، لا خبرة له بالدين فهل هناك من يجمع بينهما.. فتتحد المفاهيم.

[٣٣٩]

سلاح الضمير

س: هل هناك تناقض بين ما تدعو إليه الحضارة الغربية من سلطان الضمير كبديل عن الدين.. أى أن ما يدعو إليه الدين من بناء الإنسان بالتقوى، كقوة فعالة تحول بين الإنسان وبين الشر، يدعون هم إلى استبداله بالضمير كمفهوم أخلاقى؟

(جـ): ما معنى الضمير؟ ما هو الضمير؟ وضمير من؟ ضميرى أم ضمير هذا؟ أم ضمير ذاك؟.. أم ضمير من؟ كل إنسان من الناس يستطيع أن يزين الشىء الذى يريده.. وبعد ذلك يستيقظ ضميره.. بعد أن يكون قد ملأ الدنيا شرًا.. ضميره لا يستيقظ إلا بعد أن يكون الإنسان قد صنع الشر!! ولكن أنا أريد أن أعمل حاجزًا بين الإنسان وبين الشر.. فهنا لا تقول كلمة ضمير.

إذن ما هو معنى الضمير فى الإسلام، هذا هو السؤال..؟

الضمير عمل بينك وبين نفسك يمنعك ويؤنبك.. أى لا يكون حكومة خارجية.. إذن المواجبة الدينية -التى نسميها الضمير- تحرسنى فى المسائل التى لا يستطيع المجتمع أن يحرسنى فيها.. فلو أن صناع الحضارة الغربية المادية وجدوا فى دينهم هذا المعنى.. ما كانوا فكروا، وإلى أن يوجد الصغير الذى ليس له ضمير بعد -الصغير الذى نقوم نحن بتكوين ضمير له- كيف ننشئه؟ والأفعال التى يتفق المجتمع على أنها فاسدة.. أين كان ضميرها حين يجلسون مثلاً فتيات يبعن أعراضهن.. أين كان الضمير فى هذا؟ أين كان الضمير فى الأشياء التى تهدد أمن البلاد؟ أقول: لو كان هناك ضمير فعلاً، وقادر على أن يحول بين الإنسان وبين الشر.. كنا نقول لهم: كان يجب ألا يكون عندكم محاكم.. كان يجب أن تلغى المحاكم بل - ويلغى القانون.. إنما الواقع أنكم قد اضطررتم أن يكون عندكم محاكم، وقانون لأنكم لم تستأمنوا هذا الضمير حتى على هذه المسألة..!!

ونعود لنتساءل: لو أن عندهم شيئًا من الدين؟ إنما الدين فى غير الإسلام أو فى غير بلاد الإسلام دين سياسى فقط.. ليس دينًا قياديًا، أو يحمل الإنسان على سلوك؛ حتى يستيقظ ضميره الحى، فيحول بينه وبين أن يرتكب ما يشينه.. إن الضمير فى الإسلام شىء يصنعه الله، ولا تصنعه التكنولوجيا..!!

[٣٤٠]

نعم.. محروسة بالقيم

س: وسائل التكنولوجيا الحديثة من تليفون، وتليفزيون من الطائرة إلى الصاروخ.. التقدم الحضارى الهائل، والكم العظيم من وسائل راحة الإنسان.. هل استعمال هذه الأدوات حلال أم حرام، وهل من الممكن أن يعتبر المسلم هذه الآلة نعمة أنعمها الله عليه، أم هى نعمة يتعذب بها فى الدنيا ثم يحاسب عليها غداً فى الآخرة، لا سيما وأنها نتاج الحضارة الغربية، والتى تتخذ العلمانية المادية منهجًا وأسلوبًا؟. إنه سؤال يحيرنا يا مولانا.

(جـ): أجاب الإمام: القيم ليس لها دخل بالتكنولوجيا.. لا نخلط، هم خلطوا مسائل التكنولوجيا بالقيم. ما هى القيم؟.. هناك آلات.. تليفون مثلاً..

فيم أستعمله؟.. تليفزيون.. فيم أستعمله؟.. طائرات.. فيم أستعملها؟.. صواريخ.. فيم أستعملها؟.

إذن.. فالآلة نفسها لا يقال عنها قيم.. إنما استعمال الآلة، هو الذى ينشأ عن قيم.. ومن هنا لا يصح أن نخلط المسائل المادية بالقيم..

الإسلام لا يعارض أى ارتقاءات مادية، ما دامت محروسة بالقيم.. فأنت إن كنت تريد استعمال التليفون، هل استعمال التليفون يقدح فى القيم؟.. إنه لا يقدح[1] فى القيم.. إن الحديث هنا عن أمر مادى. ولكن فى أى شىء أستعمل التليفون؟.. قديمًا كنت أحارب بسيف.. أما الآن فأحارب بصاروخ.. الآلة هى الآلة.. إنما فى أى شىء أستعملها؟.. فالقيم ليس لها علاقة بالآلة.. إنما لها علاقة باستعمال الآلة.. فلا يقال: أن هذه الآلة حلال أو حرام.. إنما فيم ستستخدم هذه الآلة؟؟ هذا هو السؤال.

إذن فالقيم ليس لها دخل بالتكنولوجيا.. التكنولوجيا هى أمور تعين على مسائل الحياة بيسر وسهولة وسرعة.. ولكن ما هى وسائل الحياة؟ هذه هى التى يجب أن نبحثها.. لها قيم أم ليس لها قيم؟. ولو كان قد صنعها ظلمة وجبابرة. فهذا خير.. أستعمل التليفزيون فى تثقيف أولادى، والنهوض بمستواهم الثقافى.. هذا خير.. أستعمله؛ لكى أدخل فى بيتى الفسوق والخلاعة والانحراف.. هذا شر.

إذن التليفزيون ليس (قيمًا) فى ذاته، وإنما (القيم) فى استعماله فقط.. (السكين) أيقال: أن السكين قيم، أم غير قيم،.. لا.. إنما أنا أستعملها فى ماذا؟.. أذبح بها المحلل لى.. يكون هذا خيرًا.. أذبح بها المحرم.. يكون هذا شرًا.

إذن لا يصح أن نقول: التكنولوجيا وقيم الغرب، وإنما نقول: إن التكنولوجيا هذه آلات.. أشياء تخفف نصب الإنسان وتعبه، وتقرب له الخير من أيسر طريق وأسرعه وأسهله.. لا تقل: إن هذه هى القيم، وإنما القيم فى استعمال هذه الآلات.. هذه هى القيم..!!

---

(١) القدح: الطعن.

[٣٤١]

عبس وتولى

س: إن بعض أعداء الدين الإسلامى يرون أن عتاب الله عز وجل لنبيه -ﷺ- فى سورة عبس فيه إقلال من قدر الرسول الكريم.. وأن هذه الآية واحدة من آيات العتاب.

نود من فضيلتكم تجلية وتوضيحًا لهذا الأمر وتفنيد هذه الشبهة؛ حتى لا يقع فيها البعض من عامة المسلمين.

(جـ): لننظر إلى الموضوع نظرة موضوعية ومنطقية، ونبحث معًا هل العتاب كما يقولون: إقلال من قدره -ﷺ-.

وبداية.. هل هذا الأعمى الذى جاء للرسول -ﷺ- ليسأله مؤمن أم غير مؤمن؟ إن الأعمى الذى جاء يسأل رسول الله -ﷺ- رجل مؤمن، جاء ليستفسر عن أمر من أمور دينه.. وهل الرد على استفسار من رجل مؤمن أمر سهل أم أمر صعب.. لا شك أن الرد على رجل مؤمن أمر سهل، ولقد كان هذا الرجل يسأل عن أمر بينما الرسول عليه الصلاة والسلام منشغل بمناقشة صناديد الكفر والرد عليهم.. وهذا لاشك أمر صعب عليه من الأول.. إذن فإن الله سبحانه وتعالى يقول لنبيه: لماذا تتعب نفسك مع هؤلاء الكفار، وتضيع وقتك معهم، وهذا أمر مرهق ومتعب لك؟ إذن فالله سبحانه وتعالى لا يعاتب النبى لأنه غاضب عليه، بل لأنه غاضب له فكأن الحق سبحانه وتعالى يعتب لصالح محمد صلوات الله وسلامه عليه.

ولننظر فى مجال عتاب آخر عندما قال جل شأنه: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾(١) هنا يسأل الله تبارك وتعالى رسوله عليه الصلاة والسلام: لماذا تضيق على نفسك؟ أفى هذا شىء يضر الرسول -ﷺ- ويضيق عليه، أم أنه يسهل له، ويوسع عليه؟

هذا ولكى نقرب لك المعنى أنه إن كان لك ولد أو أخ مجتهد يبذل فى مذاكراته جهدًا مضاعفًا.. فهو بالمدرسة صباحًا، ويسهر لليله للمذاكرة..

(١) سورة التحريم: ١.

ولمراجعة دروسه، وعندئذ تلومه على ما يبذل من جهد شاق حرصًا عليه، وحبًا له، وتقديرًا لتحمله المسئولية، ولا يكون عتابك هنا بسبب تقصيره فى أداء واجبه، فاللوم والعتاب وقع ولكنه أتى للتخفيف، وليس للتضييق والأمر فيهما مختلف تمامًا.

[٣٤٢]

انتحار..!!

هناك من يسأل هل الانتحار أو التخلص من الحياة حلال أم حرام؟

يقول السائل: أنا فى هذه الحالة لا أوذى أحدًا، أو أتسبب فى إضرار أحد.. بل إنها حياتى، وهى ملك لى..؟

(جـ): يا أخى السائل.. هداك الله.. إن الله يا أخى هو الذى وهب الحياة، فيجب أن تدع سلب الحياة إلى من وهبها، ولذلك فإن ذنب قتل الغير يتساوى مع قتل النفس؛ لأنه تعد على حق ليس لك، فإن فعلت أنت ذلك، ولو لنفسك تكون قد أخذت حقًا ليس لك.. يقول الله عز وجل فى حديثه القدسى: «**بادرنى عبدى بنفسه فتحرم عليه جنتى**»[1] لأن هذا الإنسان أخذ الحياة التى وهبها الله له، ثم سلب هو الحياة بنفسه، وهذا ليس من حقه.

وسبب آخر وهو أن الذى ينتحر لا يفعل ذلك إلا لوجود أسباب ضاق عن احتمالها، وفى هذا نقص للإيمان.. فمن فوائد الإيمان تحمل الشدائد ثقة فى أن لك رصيدًا بإيمانك بالله عز وجل فيصبح الانتحار قنوطًا من قدر الله عليك، وهو يأس من رحمة الله.

ويجب أن نعلم أن الإنسان يتعرض فى هذا الكون الكبير للمتغيرات، والكون كله متغير، فلابد أن يرتبط الإنسان المؤمن بربه، فإن تعرض المؤمن لأحداث مكدرة، أو لظروف قاسية يرجع إلى ربه، فيكون له أنسًا وقوة وملاذًا، فيقوى على مجابهة الأحداث والظروف التى يمر بها.. ولذلك قال الله تعالى: ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[2] وصدق الله العظيم.. فإننا نجد القلوب مضطربة

---

(١) حديث قدسى عن رب العزة -جل شأنه-.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

التسهيل لابن جزى (٢/ ١٣٤).

قلقة بغير ذكر الله، ولكن عندما يذكر الإنسان أن له ربًّا يطمئن قلبه إلى أنه لا يواجه الأحداث وحده، ولا يواجهها بقوته، ولكنه يواجه الحياة والأحداث بقوة ربه ومدده فيطمئن قلبه.. ولقد قال رسول الله -ﷺ-: **«عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»**(١).

[٣٤٣]

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

تسأل سيدة من حى رشدى بالإسكندرية فتقول:

إنها تتعامل مع الناس بإخلاص ووفاء، ولكن هذه المعاملة تقابل منهم بالنكران والخيانة... فهل هذا دليل على غضب الله عليها؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن كنت تعاملين الناس للناس، فلك أن تحزنى لمقابلتهم معاملتك الحسنة بالنكران.. ولكن المؤمن يعامل الناس لله، فلا يهمه خانوه أم وفوا... فإن أنت عملت عملك للناس فقد جحدوك. أما إذا كنت قد عملت عملك لله فقد اختلف الموقف.

فمن يعمل العمل الإيمانى فلا شأن له بالناس، ولذلك إذا قال البعض: إنى فعلت كذا، وفعلت كذا، وبرغم ذلك فقد أنكروا الجميل، فإننا نقول ردًّا على ذلك: إن الله لم يكن فى حسابك ساعة إحسانك لهم، فأنت عملت لإرضاء الناس، ولذلك انتظرت جزاء عملك منهم، ووكلك الله إليهم.

أما إذا عملت عملك لله، فإنك لا تنتظر جزاء عملك من الناس، ولكن ثوابك وجزاءك عند الله، ولا يهمك رد الفعل من الناس.

ولتعلمى أن الخير الذى يعمله الإنسان، ويجحده الناس هو أربح خير يفعله الإنسان، لأنه ينال كل ثوابه عنه من الله تعالى.

---

(١) مسلم (٢٩٩٩) وأحمد فى المسند (١/ ١٨٢) و(٤/ ٣٣٣) و(٦/ ١٦).

[٣٤٤]

حول الحسد والضيق من الناس

س: عن إحساسها بالضيق لمن يسبب لها الأذى، هل هو حرام، أو أنه شيء طبيعي؟ وتسأل كذلك عما تفعل ضد الحسد؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

يقول الله تعالى: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ**﴾(١) ولكنك إن كظمت غيظك، وعفوت لكانت لك منزلة أسمى من هذه المنزلة.

[٣٤٥]

عثرات اللسان وحصائده

س: إنها أحيانًا تصدر منها ألفاظ غير لائقة، وخاصة عند ثورتها، ويتكرر منها ذلك، وهى تخاف غضب الله عليها، وعدم مغفرته لها؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

أما ما يصدر عنك من ألفاظ تعبرين بها عن ثورتك وسخطك فليس لك إلا أن تستغفرى الله العظيم، وأن تتوبى إليه، وأن تؤكدى العزم على أنك لا تعودين.

فإذا ما غلبتك عواطفك فاعلمى أن الإنسان لا يتكلم إلا بإرادته، فلا يمكن أن تصدر الألفاظ من الإنسان إلا بعد أن يفكر فيها، ولا يتعلق بها إلا بإرادته مادام الإنسان عاقلاً.

فبمجرد أن يأتيك الخاطر افزعى إلى الله تعالى، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم، واعلمى أنها نفس الشيطان، واعلمى أن لديك مرحلتين: مرحلة ذهنية، ومرحلة كلامية.. فساعة يأتيك الخاطر ذهنيًا، استعيذى بالله من الشيطان الرجيم، وإذا ما غلب اللفظ فلا تتكلمين، فبمجرد نطقك بأول الكلمة اقطعيها ولا تكمليها، واستغفرى الله.

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.

[٣٤٦]

وإن كان شيئًا يسيرًا ؟ !

لما قال رسول الله -ﷺ-: «من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه، حرم الله عليه الجنة، وأوجب عليه النار». سألوه: وإن كان شيئًا يسيرًا؟ قال: «وإن كان قضيبًا من أراك»[١].

[٣٤٧]

سب الرجل والديه

س: نسمع عن سب الرجل والديه، فما المقصود من ذلك، وهل عقوق الوالدين من الكبائر؟

(جـ): قال سيدنا رسول الله -ﷺ-: «إن من أكبر الكبائر شتم الرجل والديه»[٢]. سئل: كيف يشتم الرجل والديه؟ قال: «يسب أبا الرجل وأمه؛ فيسب الرجل أباه وأمه».

وفيما رواه الإمام أحمد: «إن أكبر الكبائر عقوق الوالدين». قيل: وما عقوق الوالدين؟ قال: «يسب أبا الرجل وأمه فيسب أباه وأمه»[٣].

[٣٤٨]

رحم مقطوعة

س: لى أقارب ممن لا يحفظون عهدًا ولا ذمة، ولا يصلون الرحم ظالمين.. أصلهم، ويقطعوننى، وأحسن إليهم، ويسيئون إلى فهل أصلهم؟

(جـ): سأله -ﷺ- رجل فقال: إن لى قرابة أصلهم، ويقطعوننى، وأحسن إليهم، ويسيئون إلى وأحلم عليهم، ويجهلون على. قال: «إن كنت كما قلت فكأنما تسفهم الملّ[٤] ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك»[٥].

---

(١) مسلم (١٢٣٠).

(٢) البخارى (٨/ ٣/ ٥٩٧٣) ومسلم (٩٢).

(٣) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير (١/ ١٥٠/ ٢٤٨٢).

(٤) الملّ: الرماد الحار. (٥) ظهير: معين ومساند.

قال -ﷺ-: **«لا.. إذا تكونوا جميعًا، ولكن خذ الفضل وصلهم، فإنه لن يزال معك ظهير من الله ما كنت على ذلك»**(١).

[٣٤٩]

إلف عادة وشرف عبادة

س: ما ذنب من نبت فى بيئة سيئة وما فضل من نبت فى مناخ شريف أن يشب هذا على دين أبويه ولا يتمرد الآخر عليه؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: ما دام الإنسان قد أصبح له ذاتية، فإنه يسأل ويستفسر عن كل شيء، فيختار لون القماش الذى يرتديه، ويستذكر مجتهدًا للثانوية العامة؛ لكى يحصل على مجموع يؤهله لدخول الكلية والجامعة التى يرغب فيها.

إذن لماذا كانت له ذاتية فى اختيار هذه الأشياء، ولا يكون له ذاتية فى معرفة دينه. فالذى ينشغل بأمر يهتم به، ودليل ذلك وجود كثيرات ممن نشأن فى تلك البيئة الفاسدة، ولكنهن تعرفن على دينهن، وتمسكن به، والعكس صحيح فكثير ممن ينبت فى بيئة صالحة طيبة ينشأ فاسدًا فاسقًا. ولذلك فقد قال رسول الله -ﷺ-: **«نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها وأداها إلى من لم يعلمها»**(٢) وذلك لكى يحدث تكامل بين من حصل على نعمة التربية الصالحة، فينقلها لغيره ليستفيد منها، وهذا من خير المؤمن نفسه أيضًا؛ لأننى عندما أعلم شخصًا خصلة الخير سينالنى خير، وإن تركته على شره سينالنى شر فهذا من مصلحتى؛ لأن أثر المستقيم يعود على غيره، وأثر الشرير يعود على غيره.

إذن فمن مصلحتى أنا صاحب الخير أن يعرف غيرى الخير ليعاملنى به، فكأننى أعمل الخير لنفسى، ولذلك قال الرسول -ﷺ-: **«لا يؤمن أحدكم حتى**

---

(١) المسند (٢/ ١٨١) و(٨ ٠ ٢).

(٢) الترمذى (٢٦٥٦) والضياء عن زيد بن ثابت، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٥٤/ ٩٢٦٤). والمسند (١/ ٤٣٧) و(٤/ ٨٢) و(٥/ ١٨٣) وأخرجه الترمذى أيضًا عن ابن مسعود (٢٦٥٨) وعنه بلفظ (شيئًا) (٢٦٥٧) وأبو داود فى السنن (٤/ ٦٨/ ٣٦٦٠).

يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١] فهذا يعود إلى حب الناس، فإن كنت أنا أمينًا؛ فسيعود خير أمانتى على من حولى، فيأمنونى على مالهم، وفى بيئة أخرى سارق سيمسنى شره بسرقة مالى وخيرى يذهب إليهم.

إذن لكى أنال خيرهم؛ لابد أن أنقل إليهم الخير.

[٣٥٠]

الصغائر والكبائر

س: ما هى الصغائر وما هى الكبائر؟ وهل تكون الصغيرة كبيرة فى بعض الأحيان؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: إن الكبائر هى الشرك بالله، وشرب الخمر والزنا والسرقة والقتل، وعقوق الوالدين وشهادة الزور.

والصغيرة هى ما دون ذلك من ذنوب. والإصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة، فتكرار الخطأ والإصرار عليه، فكأنك تصر على عدم طاعة الله، فيصبح هذا الإصرار، ولو فى صغيرة كبيرة؛ لأنه انتقل من مجرد مخالفة عن الحكم إلى تمرد على الحاكم.

[٣٥١]

وسائل ارتكاب الجريمة

س: ما معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٢].

(جـ): إن المعصية إما قول وإما فعل. فالقول بالألسنة، والفعل يزاول باليد إن كان ما تزاوله بين يديك، وإن كان بعيدًا عنك تسعى إليه بقدمك، فهذه هى وسائل ارتكاب الجريمة: الألسن والأيدى، والأرجل تشهد على الإنسان رغم أنها

---

(١) البخارى (١/ ١٧/ ١٣)، ومسلم (٦٧)، والترمذى (٢٥١٥)، والنسائى (٨/ ١١٥) و(١٢٥) وابن ماجة (٦٦)، وصححه السيوطى فى الصغير (٢/ ٥٨٦/ ٩٩٤٠).

(٢) سورة النور: ٢٤.

راجع القرطبى (١٢/ ٢١٠)، والبحر المحيط (٦/ ٤٤٠)، والكشاف (٣/ ٥٧).

فعلت، لقد وهبنا الله فى الدنيا أجهزة الجسم، وهى مقهورة لإرادتنا تفعل ما نريده منها، ولا تمتن لأنها مقهورة لإرادتنا، ولكن يوم القيامة لا إرادة لنا عليها فتنقل الإرادة كلها لله عز وجل.. الله أعطانا الجسم كآلة مساعدة لنا فى حياتنا نؤدى بها ما نريد من أعمال، ولنا عليها إرادة، ولكن فى يوم القيامة فلا إرادة لأحد على شىء مطلقًا.

يقول عز من قائل عن ذلك الموقف: ﴿لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1] فتنفك الإرادة عن الإنسان، وتعترف أعضاؤه، وأجهزته بما فعل بها.

والعذاب لا يقع على هذه الأعضاء، ولكن يعذب الإنسان بها.. إذن فهى وسيلة لعذاب النفس العاصية، ولقد أثبت العلم الحديث لنا أن الألم لا يحدث للعضو، ولكن للنفس الواعية بدليل أن الإنسان يؤلمه أى جزء فى جسمه، ولكن يخدر الطبيب مريضه، ثم يقوم بإجراء الجراحات المختلفة دون أن يشعر المريض أثناء ذلك بأى ألم، ووصلت الجراحات الحديثة للمخ والقلب، وإلى بتر الفاسد من الجسم، كل ذلك ولا يشعر المريض أثناء ذلك بأى ألم، ولكنه ينام فى هدوء، وكأن شيئًا لا يحدث له، ولكن بمجرد زوال تأثير المادة المخدرة، وعندما يسترد المريض وعيه، تجده يشعر بالألم الشديد فى جسمه المصاب، وتراه يصيح ويتألم.

إذن فالألم لا يحدث فى الآخرة بهدف تعذيب أعضاء الجسم، ولكن الهدف هو النفس التى وجهت هذا العضو الذى هو ملك لله عز وجل ونعمة منه إلى المعصية بدلاً من الطاعة، وذلك لأن جسم الإنسان العاصى لا يكون عاصيًا بإرادته، ولكنه مقهور على المعصية بسبب النفس الشريرة التى وجهته إلى الشر بدلاً من الخير، وإلى الجحود بدلاً من الشكر، ولذلك فإن هذا العضو يشهد على صاحبه يوم القيامة بما فعل به ليأخذ جزاء ما فعل.

[٣٥٢]

شهادة الزور

س: ما حكم شهادة الزور فى الإسلام؟ مع العلم بأنه طالما أن هناك شهادة أو

---

(١) سورة غافر: ١٦.

انظر حاشية الشيخ البيضاوى (٤/ ٥)، والكشاف (٣/ ٤٢٠).

قول زور فلابد أن ثمة ظالمًا وآخر مظلومًا، ويتدرج الظلم وقد يصل إلى أقصى حد مستطاع بما قد ينجم عنه القتل أو يتسبب عنه الإعدام؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: إن شهادة الزور من أكبر الكبائر، وعندما تحدث رسول الله -ﷺ- عن الكبائر وذكر شهادة الزور قال: «**ألا وشهادة الزور ألا وشهادة الزور**»(١) ظل يكررها حتى ظن أصحابه أنه لا يسكت وقالوا: ليته سكت.

هذا لأن شهادة الزور تجمع الظلم كله، فالذى أشرك بالله شهد زورًا، فتبدأ شهادة الزور من قمة الإيمان إلى آخره، ولذلك فعندما ذكر الله جل جلاله صفات عباد الرحمن قال فيهم: ﴿**وَالَّذِينَ لا يَشْهَدُونَ الزُّورَ**﴾(٢) فلا يمكن أن يدخل الإنسان فى العبادية إلا من لا يشهد الزور، ومن أسباب فداحة هذا الجرم أنه لا يوقع الظلم فقط، ولكنه أيضًا يشرع الظلم، لأن القاضى يحكم بالبينات، فإذا كانت هذه البينات كاذبة ملفقة، فهى تضلل القاضى.

كذلك فى المقاييس العادية بين البشر وبدون الرجوع إلى التدين، فمن يجعلك موضعًا للنقيض فقد سقطت فى نظره، وإن أعنته على أمره كشاهد الزور يرتفع الرأس على الخصم بشهادته وتدوس القدم على كرامته، فقد كان يجب على شاهد الزور أن يثور لكرامته لمجرد أن يطلب منه ذلك، لأن اختياره لشهادة الزور أنه لم يجد إذنًا منه للقيام بهذه المهمة وقد يسعد من يطلبك لشهادة الزور بك لأنك تعينه على قضاء حاجته، ولكن لو قدر لك أن تشهد أمامه فلن يصدقك أبدًا، ولو كنت صادقًا لأنه جرب عليك وجرب معك عدم الأمانة ولو لصالحه.

أما عن موقف المظلوم بالنسبة لربه، فيقول العارفون فى ذلك: لو عرف الظالم ما يقدمه إلى المظلوم من الخير لضن عليه بظلمه؛ لأنك عندما تظلم إنسانًا فإنما تسلبه حقًا له من الله، وبذلك فإنك لا تعاند بذلك شخصًا، وإنما تعاند معطى الحق، فتصبح العداوة بينك وبين الله؛ ولذلك فإن دعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب، فالظالم أحمق يسلب المظلوم شيئًا، ومقابل ذلك يجعل الله فى جانبه، فهو بذلك أعطى المظلوم خيرًا عظيمًا.

---

(١) البخارى (١٠/ ٣٤٢)، و(٣٤٥)، ومسلم (٨٧).

(٢) سورة الفرقان: ٧٢.

انظر القرطبى (١٣/ ٨٠)، والطبرى (١٩/ ٣٢).

ولقد أباح الله تعالى للمظلوم أن يقول ما فى نفسه، ولا يكبت ظلمه فى نفسه إذا كان الكبت يتعبه قال تعالى: ﴿**لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ**﴾[١].

وقال الشاعر فى ذلك:

ولابد من شكوى إلى ذى مروءة ... يواسيك أو يسليك أو يتوجع[٢]

أما من يستطيع أن يكظم غيظه، فهو درجة أعلى، وعندما ننظر إلى ما ذكر القرآن فى ذلك تجده يقول: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾[٣]. فمعنى ذلك أنه يوجد غيظ فى نفس الإنسان وصدره، ولكنه مظلوم ومكظوم فإن استطاع المرء أن يكظم غيظه فهذا عظيم وأكرم وأرقى، وتأتى بعد ذلك الدرجة التى تعلوها بأن يعفو، وذلك؛ الإحسان، فجعل الإسلام الإحسان أرقى وأثوب، وجعل الإسلام الانفعال بإخراج الغيظ من نفس الإنسان، ومن قلبه أما المرحلة الأعلى فهى الذاتى لمن لا يستطيع كظم غيظه صمام أمان، ليطمئن المظلوم ويرتاح، وتدرج الارتقاء الإيمانى إلى درجة الإحسان، وبأن يدعو المظلوم لظالمه بالهداية.

[٣٥٣]

حقوق الجار

س: ما حقوق الجار فى الإسلام؟

(جـ): سئل سيدنا رسول الله -ﷺ- عن امرأة كثيرة الصيام والصدقة غير أنها تؤذى جيرانها بلسانها فقال: «**هى فى النار**»[٤]. فقيل: أن فلانة، فذكر قلة صلاتها وصيامها وصدقتها ولا تؤذى جيرانها بلسانها فقال: «**هى فى الجنة**»[٥].

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.
انظر جامع البيان للطبرى (٩/ ٣٤٩)، ومختصر ابن كثير (١/ ٤٥١).

(٢) أين هو ذو المروءة الذى تفضى إليه بأسرارك للتنفيس والتفريج والتسرية أو للاسترشاد والاستنصاح - ولا يكشف سرك ويذيعه، أو يخدعك ظاهره، وهو مطوى على سوء الدخيلة!

(٣) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٤) المسند (٢/ ٤٤٠).

(٥) المسند (٢/ ٤٤٠).

وسألته -ﷺ- عائشة -رضي الله عنها- فقالت: إن لى جارين فإلى أيهما أهدى؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»(١).

[٣٥٤]

أيعاقب المجرم فى الدنيا عاجلاً ؟

السؤال الذى يشغل بال الكثيرين:

هل يؤخر الله الجزاء فى الدنيا إلى الآخرة؟

أم أن المجرم يعاقب عاجلاً فى الدنيا على بعض الأشياء؟

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن الله سبحانه وتعالى لا يؤخر كثيرًا من قضايا الكون إلى الآخرة؛ لأنه لو حدث تأخير كل القضايا إلى الآخرة، لعاث الذين لا يؤمنون بالآخرة فى الأرض فسادًا.

فلو لم يأخذ الله كل ظالم للبشر لمنهج الله فى الحياة الدنيا.. لتشكك كثير من الناس فى مناهج الله.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾(٢).

وهكذا فالذين يعيشون فى الأرض فسادًا، لا يسلط الله عليهم إلا الظالمين مثلهم، ولا يسلط عليهم الأخيار، لأن الأخيار عندهم لين الطبع، ورقة القلب، ولكن الظالم يعذبه أظلم منه، ممن فقد الشفقة والرحمة.

[٣٥٥]

عدل الله وتجليه للمظلوم

س: كيف يتجلى عدل الله للمظلوم؟

(جـ): **يقول الشيخ الشعراوى:**

إن القوى الحقيقى الذى لا يغلب هو الله سبحانه وتعالى، وهو مع الضعيف

---

(١) البخارى (٣/٣١٦/ ٢٥٩٥).

(٢) سورة الأنعام: ١٢٩.

ضدك فاحذره، وتذكر جيدًا، واجعل هذا يطرق فكرك كلما أقدمت على عمل يغضب الله، فإذا طرقت قدرة الله عقلك فستتردد، وربما توقفت إذا دخل الإيمان إلى قلبك؛ لأنك ترى مع ذلك المغلوب على أمره، قدرة الله، التى هى أقدر منك بملايين المرات.

وفى الحياة أمثلة كثيرة لقدرة الله سبحانه وتعالى، إنسان تراه فى قمة السلطان والجاه والقوة، وفى لحظة واحدة، يتغير الموقف كله، ويجد هذا الجبار نفسه فى السجن لا حول له ولا قوة، قد يستجدى حارسه كوب ماء، وقد كان قبل ذلك بساعات يحيط به مئات الحراس يتمنون إشارة من يده، تلك عبرة من عبر الحياة وضعها الله سبحانه وتعالى كما وضع إذلال الجبارين فى الأرض؛ ليذكرنا أن الله مع الضعيف، وأنه لا قدرة إلا قدرة الله.

والله سبحان وتعالى لا يحب أحدًا إلا لعمله، ولا يكره أحدًا إلا لظلمه، وبذلك يكون عدل الله سبحانه وتعالى تامًّا بين البشر، وقدرة الله عندما تطرق العقل دائمًا؛ تذكرنا بهذه الحقيقة، تقينا من كل شر ننويه، ولنعلم أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يعطى، وأن كل قدرات البشر تتضاءل بل تكاد تنمحى أمام قدرة الله.

والله الذى يعطى الرزق لبلايين البشر على الأرض، قادر على أن يعطى المؤمن ما يريد ويشتهى، والله الذى ينجى ملايين الناس كل يوم من كروب وأزمات، ويأخذ بيدهم بعيدًا عن كل سوء.. قادر على أن يفرج كرب المؤمن وينجيه من كل سوء.

[٣٥٦]

تربية الكلاب

س: تقوم العائلات (المودرن) والأوساط المتحضرة -فى اعتقاد نفسها- بتربية الكلاب داخل البيوت؛ كنوع من الترف والترفيه... وقد ورد فى الأثر بصحيح الأسانيد أن النبى -ﷺ- قد قال: «لا ترتكبوا ما ارتكب اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» رواه ابن بطة فى جزء (إبطال الحيل) ص ٢٤ بسند جيد كما قال ابن تيمية وابن كثير.

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى لما عرضت عليه هذه المسألة:

ممنوع تربية الكلاب جميعها بأنواعها، ما عدا كلاب الصيد، وكلاب الحراسة. وتربى خارج البيت.

قال -ﷺ-: «**أتانى جبريل عليه السلام فقال: أتيتك البارحة، فلم يمنعنى أن أكون دخلت إلا أنه كان على الباب تمثال الرجال، وكان فى البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان فى البيت كلب، فمر برأس التمثال الذى فى البيت يقطع فيصير كهيئة الشجرة، ومر بالستر فليقطع فليجعل منه وسادتين توطآن، ومر بالكلب فليخرج فإنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب وإذا الكلب (جرو) لحسن أو حسين كان تحت نضد لهما (وفى رواية: تحت سرير لها) فقال: يا عائشة، متى دخل هذا الكلب ها هنا فقالت: والله ما دريت، فأمر به فخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه**» [وهذا حديث صحيح متفق عليه].

[٣٥٧]

عقوبة السجن فى الإسلام

س: هل هناك عقوبة بالسجن فى الإسلام؟

(جـ): لا، لم يحدث السجن فى عهد رسول الله -ﷺ- إنما كان النفى، وتحديد الإقامة.

ولذلك فالسجن بالمعنى العصرى، لم يكن موجودًا.

وكان النبى -ﷺ- يسجن المذنب، وهو مع الناس لا يكلمه أحد، يغدو ويروح دون أن يكلمه إنسان، مثل الثلاثة الذين خلفوا.

وأبو لبابة حبس نفسه، إذ ربط نفسه فى السارية، وسجن نفسه فى بيته، وقال: لن أطلق نفسى، إلا أن يأتينى رسول الله -ﷺ- فيطلقنى[1].

---

(١) البخارى (٧/ ٢٨٤/ ٥٨٦٣) ومسلم عن أبى هريرة وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٦٣/ ٩٤٦٣).

[٣٥٨]

تحريم الذهب والحرير على الرجال

س: ما الحكمة فى تحريم الذهب والحرير على الرجال دون النساء؟

(جـ): علم لا ينفع وجهل لا يضر.

لا تسأل عن الحكمة، إذ أنه يشترط فى السؤال عن الحكمة أن يكون الآمر مساويًا للمأمور، ولابد أن يقبل الإنسان على التكليف؛ لأن الله أمر به.

الحكمة فيما يقوله الفقهاء أنهم فعلوا، ثم أدركوا، ثم قالوا، ولم يرتبوا الفعل على معرفة الحكمة.

والأصل أن أقبل التكليف، وألتزم به أولاً؛ لأن الله سبحانه وتعالى أمر به، ثم بعد ذلك أبحث عن الحكمة.

ولقد روى البخارى ومسلم وأحمد أنه -ﷺ- «**نهى عن خاتم الذهب**».

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -ﷺ- قد رأى خاتمًا من ذهب فى يد رجل، فنزعه وطرحه وقال: «**يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها فى يده؟**» فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله -ﷺ-: «خذ خاتمك وانتفع به، قال: لا، والله لا آخذه أبدًا، وقد طرحه رسول الله -ﷺ-(١).

وعند عبد الله بن عمرو أن النبى -ﷺ- رأى على بعض أصحابه خاتمًا من ذهب، فأعرض عنه، فألقاه، واتخذ خاتمًا من حديد، فقال: «**هذا شر، هذا حلية أهل النار**» فألقاه، فاتخذ خاتمًا من وَرِق (أى فضة) فسكت عنه(٢).

وفيما روى أنه -ﷺ- قال: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فلا يلبس حريرًا ولا ذهبًا**»(٣).

---

(١) مسلم (١٦٥٥) وابن حبان فى صحيحه.

(٢) الصحيح، كذا ورد فى المسند (٢/ ١٦٣).

(٣) المسند، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٥٤٠/ ٨٩٨٢).

[٣٥٩]

حركة الإنسان على الأرض

س: هل حركة الإنسان ومشيه فى مناكب الأرض، هو الذى يجىء له بالرزق؟

(جـ): يقول الإمام الشيخ الشعراوى:

لا... فكم من عامل أكدى.. لا تظن أن ضربك فى الأرض هو الذى جاء لك بالرزق، ولكنك وصلت إلى الرزق الموجود والمخلوق فى الأرض، والله طمأننا عليه بقوله:

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴾[1].

فكأن الأرزاق مكنوزة فى الأرض، وعملك لا يخلق الرزق، ولكن يوصلك فقط إليه.

وذلك من استدامة وجماعية العبودية لله يوم الجمعة.

[٣٦٠]

حكم اللقطة

س: ما حكم المال الذى عثر عليه بالطريق؟

والبيع بالتقسيط، وكتابة الدين، والسمسرة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

حكم مال وجد بالطريق:

---

(١) سورة فصلت: ٩، ١٠.

انظر تفسير الطبرى (٢٤/ ٦٣) والقرطبى (١٥/ ٣٤٣) والبحر المحيط لأبى حيان (٧/ ٤٨٦) والدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٥/ ٣٦١) ومختصر ابن كثير (٣/ ٢٥٦) وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ١٨).

هذا المال يعتبر لقطة واللقطة لا تحل لمن التقطها أى وجدها إلا بعد تعريفها، فإن جاء صاحبها، وإلا حلت لك بعد سنة، وذلك لقول رسول الله -ﷺ- لما جاءه رجل فسأله عن اللقطة فقال -ﷺ-: «**أعرف عفاصها**» (أى وعاءها)، **ووكاءها** (أى ما يربط به)، **ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها، وإلا فشأنك بها**»(١) الحديث متفق عليه.

واختلف العلماء فى الالتقاط، هل هو أفضل أم الترك؟ فقال أبو حنيفة: الأفضل الالتقاط، لأن من الواجب على المسلم حفظ مال أخيه. ومثله قال الشافعى.

[٣٦١]

حكم البيع بالتقسيط

البيع نوعان عاجل، وآجل، وقد أباح الشارع أن يبيع الإنسان السلعة إلى أجل محدد، ومقسطة على أقساط محددة مقابل الزيادة فى ثمن السلعة، فإن الزمن، وإن لم يكن مالاً حقيقة إلا أن له حصة فى الثمن، ومعلوم أن ثمن السلعة عند شرائها يختلف عن ثمنها عند إتمام ثمنها بالأقساط، فتحقيقًا لمصلحة البائع والمشترى أباح الإسلام البيع المؤجل بشرط ألا يغالى البائع فى ثمن السلعة، ولا ينتهز فرصة احتياج المشترى، وإلا كان ذلك آكلاً لأموال الناس بالباطل.

[٣٦٢]

حكم كتابة الدين

الآية الكريمة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾(٢).

ومعنى هذه الآية أن الله تبارك وتعالى يقول: يا أيها الذين آمنوا إذا داين

---

(١) أخرجه الشيخان فى الصحيحين البخارى (٣/ ٢٢٩/ ٣٣٧٢) ومسلم (١٣٤٧).

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

راجع القرطبى (٣/ ٣٩٧) والطبرى (٦/ ٦٧) والبحر المحيط (٢/ ٣٤٦).

بعضكم بعضًا بدين مؤجل إلى أجل، لابد أن يكون الأجل محدودًا، فاكتبوه حفظًا للحقوق، وتجنبًا للنزاع.

ويجب على الكاتب أن يكون عدلاً فى كتابته، ولا يمتنع كاتب عنها، شكراً لله الذى علمه ما لم يكن يعلم ويكتب الدين حسب اعتراف المدين، وليخش المدين ربه، ولا ينقص من الدين شيئًا، فإن كان المدين لا يحسن التصرف، ولا يقدر الأمور تقديرًا حسنًا، أو كان ضعيفًا لصغر أو مرض أو شيخوخة، أو كان لا يستطيع الإملاء لخرس أو عقدة لسان أو جهل بلغة الوثيقة، فليكتب عنه وليه الذى عينه الشرع، أو الحاكم أو اختاره هو فى إملاء الدين على الكاتب بالعدل التام، وأشهدوا على هذا الدين شاهدين من رجالكم، فإن لم يوجدا فليشهد رجل وامرأتان، تشهدان معًا لتؤديا الشهادة معًا عند الإنكار، حتى إذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى، ولا يجوز الامتناع عن أداء الشهادة إذا ما طلب الشهود، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرًا أو كبيرًا، ما دام مؤجلاً، لأن ذلك أعدل فى شريعة الله، وأقوى فى الدلالة على صحة الشهادة.

[٣٦٣]

حكم السمسرة

التجارة من وسائل كسب العيش المحمود، وما دام البيع والشراء فى سلعة تداولها حلال، وأن البائع لا يستغل المشترى، ولا يخدعه فهو حلال، وللإنسان أن يأكل من الربح الذى يحصله من هذا الطريق المشروع، مثل ما يأكل من عمله فى الزراعة، أو من عمله فى الصناعة، وقد قال رسول الله -ﷺ-: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيراً من أن يأكل من عمل يده**»(١).

وقد تكون التجارة مباشرة بين البائع والمشترى، وقد لا يكون لإنسان خبرة فى البيع أو الشراء، فيأتى وسيط ماهر فى هذا الأمر، ويجمع بين البائع والمشترى، ويعمل على عقد صفقة تجارية بينهما، وهذا الوسيط اسمه السمسار، له أن يأخذ أجرًا على ما بذله من جهد، وأجره حلال، ولا شىء فيه، بشرط أن لا يغش أحدهما لصالح الآخر، بل يجب أن يكون أمينًا حينما يتدخل بينهما،

---

(١) أخرجه البخارى فى الصحيح (٣/ ١٢١/ ٢٠٧٢). وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٤٧٩/ ٧٧٣٣). والإمام أحمد فى المسند (٤/ ١، ١٣٢).

ويصف السلعة وصفًا دقيقًا، ويقول رأيه بصراحة بدون تحيز لأى من الطرفين، وحينئذ يأخذ أجرًا على عمله، وهو حلال.

[٣٦٤]

الذنوب والكبائر

س: عندما يغفر الله الذنوب جميعًا هل معنى ذلك أن الكبائر تندرج تحتها، أم أن الذنوب غير الكبائر؟

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[١]. هذا عن الذنوب. فهل ينطبق نفس الشيء على الكبائر مثل الشرك بالله، أو الزنا مثلاً؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: فى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ لا يدخل فيها الشرك، لأن الشرك ليس ذنبًا؛ لأن الذنب أنك تفعل شيئًا منصوصًا فى إيمانك على عقوبته، إنما الشرك هذا خيانة عظمى، بدليل أن الآية الأخرى تقول: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[٢].

والشرك لا نسميه ذنبًا، فهو أكبر من الذنب، لأن الذنب أن تؤمن بمنهج وبعد ذلك خالفت صاحب المنهج حين قال لك: اعمل كذا، واعمل كذا فيكون هناك ذنب، لكن كونك لا تؤمن بصاحب المنهج نفسه، فيكون ذلك غير داخل فى الذنب ولذلك كل المفسرين يقولون: إن الله يغفر الذنوب جميعًا غير الشرك، على أن المفهوم أن الشرك دخل فى الذنوب فنقول لهم. . كلا. . إن الشرك غير داخل فى الذنوب. ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾[٣] بقى هذا الغفران، هل رتبه الحق على «مجرد المشيئة فقط، أم هو سياق الآية؟» قيل: أن الحق رتبه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا**﴾ لكن ماذا قال: ﴿**وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ**﴾[٤] أى لا تتكل على أنه سيغفر الذنوب جميعًا، فهو قد قال:

---

(١) سورة الزمر: ٥٣.
انظر حاشية الشيخ الصاوى على الجلالين (٣/ ٣٧٦)، والكشاف للزمخشرى (٣/ ٤٠٣).
(٢) سورة النساء: ٤٨.
راجع تفسير الطبرى (٨/ ٤٥٠)، والكشاف (١/ ٥٣٢).
(٣) سورة النساء: ٤٨.
(٤) راجع تفسير الطبرى (٨/ ٤٥٠)، والكشاف (١/ ٥٣٢).

﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾(١).

فإذا قال الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ وبعدها يقول: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ وإن كانت الإنابة هى التوبة، فتكون التوبة تجب ما قبلها، إذا لم تتب فالآية فيها كلام أن الحق سبحانه وتعالى «لا يغفرها لأنه قال: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فالإنسان إذن لا يأخذ بظاهر الآيات إلا إذا أخذ بنهاياتها فآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا﴾ لا تقل إن أذنبت ذنبًا.. أن الذنب سيلازمك، لكن التوبة تمحوه عنك، الحسنات تبدل السيئة حسنة، أما أن الإنسان يسرف فى الذنوب، وبعد ذلك لا يتوب ولا يتبعها بحسنات لتمحوها، وبعد ذلك يتكل على الله بالأمانى.. فهذا ممنوع فى الإسلام.

[٣٦٥]

جزاء البخلاء فى الدنيا

س: البخلاء لا يطهرون أنفسهم بالصدقة، وعادة لا نرى فى البخيل منفعة فهو بعيد عن نفسه، وبعيد عن ربه، وبعيد عن الناس، فما هو جزاء البخلاء فى الدنيا؟

(جـ): الكريم قريب من الله، قريب من نفسه، قريب من الناس. فلسفة الحياة فى حركة البخلاء عجيبة: إنهم فى لحظة معينة (يعطون كل الذى جمعوا) وحسبهم الحرمان عقابًا فى حياتهم، فهم فى حياتهم فى حرمان متصل مستمر.

والقرية اللئيمة البخيلة التى نزل بها العبد الصالح الخضر، ونبى الله موسى، وكانا جائعين واستطعما أهلها فلم يطعموهما، هذه القرية اللئيمة البخيلة عندما وجدا فيها جدارًا مائلاً يوشك أن يقع أقامه الخضر من جديد، ولم يطلب أجرًا عليه.

---

(١) سورة الزمر: ٥٤-٥٦.
راجع تفسير القرطبى (١٥/ ٢٧٢) والطبرى.

عجب موسى عليه السلام من العبد الصالح كيف يقيم جداراً بلا أجر لأهل القرية اللئيمة البخيلة الذين أبوا أن يطعموهما. ﴿ **فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا** ﴾[1].

حيثية العمل تدل على أنها قرية ماكرة لئيمة، فلو أن الجدار وقع لأخذ أهلها كنز اليتيمين وأنكروه، لأنهم لئام، ولو كانت قرية كريمة، لكان أهلها يؤتمنون على مثل هذا الكنز. والمانع لموسى من العمل هو عين الدافع للعبد الصالح إلى العمل... لأن الحجة واحدة. قال تعالى: ﴿ **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ** ﴾[2]. إذن فجزاء البخلاء هو الحرمان.

[٣٦٦]

ظهور النفاق فى المدينة

س: لماذا ظهر المنافقون فى المدينة، ولم يظهروا فى مكة، وما مدى خطورة النفاق على المجتمع؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

إن ظهور النفاق فى المدينة ظاهرة صحية، ودليل قوة للإسلام، لأن القوى هو الذى ينافقه غيره. والإسلام فى مكة كان ضعيفًا. فلما ذهب الإسلام إلى المدينة كان لابد أن تظهر ظاهرة النفاق، وخاصة من القوم الذين كانت لهم سيادة بددت بالهجرة.

والنفس الإنسانية يجب أن تكون قوية، ولكن حبها للقوة فى ذاته يختلف، فنفس ترى أنها تقوى على سواها، ونفس أخرى ترى أنه قبل أن تقوى على سواها تقوى على ذاتها، وهناك نفوس لا تقوى على سواها ولا على نفسها.

ولكن الكافر تجتمع له قوة واحدة، فهو لا يقوى على نفسه ليحملها على منهج الله وإن قوى على دعوة الباطل ليواجهها.

---

(١) سورة الكهف: ٧٧.
انظر تفسير القرطبى (١١/ ٢١).
(٢) سورة الكهف: ٨٢.

وهناك ضعف ثالث لا يقـوى على نفسه، ولا يقوى على دعـوة الحق، فهو معزول عن القوتين، هؤلاء هم المنافقون.

المنافق لم يقو على نفسه، ولذلك لا يستطيع أن يقبل دعوة الحق؛ لأن نفسه قد راضها الباطل رياضة شرسة. فلم يقو على أن يكبح جماحها، من الميل إلى الباطل، وليته كان قويًا على دعاة الحق ليواجههم، بل أشفق وخاف منهم، فأعلن الإيمان بالحق ظاهرًا، لأنه لا قوة له على مقاومة نفسه، والقدرة عليها، ليؤمن بهذا الحق.

وهؤلاء أخطر القسمين، فهم أخطر من الكافرين، لأن الكافر عائد بصراحة، وعائد بكل وضوح، وجعل القوة الخفية تقف أمامه وقوفًا ظاهرًا غير مستور، ولكن المنافق الذى نافق القوة الخفية؛ فادعى أنه معها لتطمئن إلى أن قوتها زادت، وليته يدعى أنه معها فقط، ولكنه فى الباطن هو عليها.

فكأنه حارب الحق فى وجهين:

الأول: أنه جعل الحق يعتبره معه.

الثاني: من ناحية اقتناعه وإيمانه سل سيفًا إيجابيًا ظنت قوة الحق أنه معها، وسيفًا سلبيًا سلب منها.

إذن قوة النفاق كانت أخطر من قوة الكفر، لشراستها، وعملها فى الظلام. ولذلك فإن الحق حين عالج الإيمان والمؤمنين بالآيات عالج الكفر بآيتين، وعالج النفاق بثلاث عشرة آية، لأنه حقيقة ملونة، متعددة المظاهر.

[٣٦٧]

بيع الردىء بالجيد

س: حصلت لى خسارة فى تجارتى مرتين فى عام واحد، وكدت أفقد كل ثروتى تقريبًا فيها، وبقيت عندى بضاعة رديئة هى كل ما تبقى لى، فهل بيع الردىء بالجيد يعتبر حرامًا، أم أنه ضرورة تبيحها الظروف؟

(جـ): سأله -ﷺ- بلال عن تمر ردىء باع منه صاعين بصاع جيد؟ فقال:

«أوه عين الربا، لا تفعل ذلك، ولكن إذا أردت أن تشترى، فبع التمر بيعًا آخر ثم اشتر بالثمن»(١).

وسأله -ﷺ- فضالة بن عبيد، عن قلادة كان قد اشتراها يوم خيبر باثنى عشر دينارًا فيها ذهب، وخرز ففصلها؛ فوجد فيها أكثر من اثنى عشر دينارًا فقال: **«لا تباع حتى تفصل»**(٢).

وهو دليل على أن مسألة مد عجوة -والمد (بالضم) مكيال وهو رطلان تقريبًا- لا تجوز إذا كان أحد العوضين فيه ما فى الآخر وزيادة، فإنه صريح الربا، والصواب أن المنع مختص بهذه الصورة التى جاء فيها الحديث وما شابهها من الصور.

[٣٦٨]

التصرف فى مال اليتيم مؤقتًا

س: لى ابن أخ أحفظ حقه فى الميراث بعد موت أبيه، ولكنى نزلت بى نازلة مادية وخسارة فى المال، فهل لى أن أتصرف فى مال هذا اليتيم الذى معى مؤقتًا، أم أن فى هذا التصرف شيئًا من التحريم، مع العلم أنى أحفظه بقيمته له حتى يكبر؟

(جـ): سأله -ﷺ- رجل فقال: ليس لى مال، ولى يتيم؟ فقال: **«كل من مال يتيمك غير مسرف ولا مبذر، ولا متأثل(٣) مالاً، ومن غير أن تقى مالك»** أو قال: **«تفدى مالك بماله»**، ولما نزلت: **﴿وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**(٤) عزلوا أموال اليتامى، حتى جعل الطعام يفسد واللحم ينتن، فسألوا عن ذلك رسول الله -ﷺ- فنزلت الآية: **﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾**(٥).

---

(١) المسند (٣/ ٦٢).
(٢) المسند ومسلم (١٢١٣).
(٣) متأثل: جامعٌ مالاً.
(٤) سورة الأنعام: ١٥٢.
(٥) سورة البقرة: ٢٢٠.

[٣٦٩]

فأذنوا بحرب من الله..!!

س: قضية الربا وأزمتها المستعصية ومشاكلها المركبة لا سيما وأن النظم الاقتصادية فى العالم قد تحولت إلى بناء كامل له أسسه وقواعده التى لا تستطيع أية دولة -لا سيما دول العالم الثالث، أو المتخلف كما يقولون- الفكاك منها؛ فمصالحها متشابكة وهى محملة بالديون والأعباء من الالتزامات اليومية الحادة.. باختصار شديد، أصبحت هذه الدول الصغرى كما لو كانت مؤممة لدى الدول الكبرى، بسبب الربح المركب، والعائد الرهيب.. مولانا.. ما هو الحل..؟

(جـ): حل المشكلة أن ترغب الدولة المريضة فى أن توجد نظامًا لا يكون عندها كبرياء من الاعتراف بوجود فساد، وبعد ذلك تأتى لتدرس الإسلام.

بدليل.. هل هناك من بدأوا بنظم من الإسلام أم لا..؟ هل فعلوا ذلك أم لم يفعلوا؟.. هل أتى بعد ذلك واقف من هؤلاء موقف المانع، أو موقف العدو؟ يجب أن أرى نظمهم هذه وأقارنها بالنظم الموجودة، فإذا رأيت النظم، وقارنتها بالنظم الموجودة.. إن وجدت نظمهم جيدة فأهلاً وسهلاً.. إن لم أجد نظمهم جيدة أقول لهم: والله أنتم على الخطأ فى كذا وفى كذا، وفى كذا هلى هذا حدث؟. ثم كل الأساس أن النظام الموجود عندنا نظام (ربوى) وهل لابد أن تستقر أمور نظامها ربوى، والله سبحانه وتعالى لم يدخل فى حرب مع أحد إلا فى الربا؟

إذا كانت هناك بلاد فى أمريكا جاءت وأخذت نظام البنوك الإسلامية، وفى أوربا أخذت نظام البنوك الإسلامية، لأنها وجدته أفضل بالنسبة للعمل فى ذاته، وبالنسبة لأنها تؤكد النظرية الاقتصادية الجديدة.. إن المال لا يؤدى إلا إذا انخفضت الفائدة إلى صفر.

هم يريدون أن يأخذوا ذلك عن الإسلام، حتى يطبقوا هذا النظام عندهم وبعد ذلك نجد من علماء المسلمين من يبرر هذا النظام.. هم يريدون أن يتحللوا منه، ونحن نريد أن نتمكن منه وندافع عنه.. مسألة غير طبيعية.. ألست معى فى هذا..؟

[٣٧٠]

ما نصيب المجنون من الدنيا ؟

س: ما نصيب المجنون من الدنيا؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: المجنون الذى خلقه الله إنسانًا، والإنسان مكرم بعقله، فهل سلب العقل نزع لقيمة التكريم؟

أقول: ماذا يريد العقلاء الأقوياء فى كل أجهزة جسمهم؟

ماذا يريدون فى هذه الحياة الدنيا؟

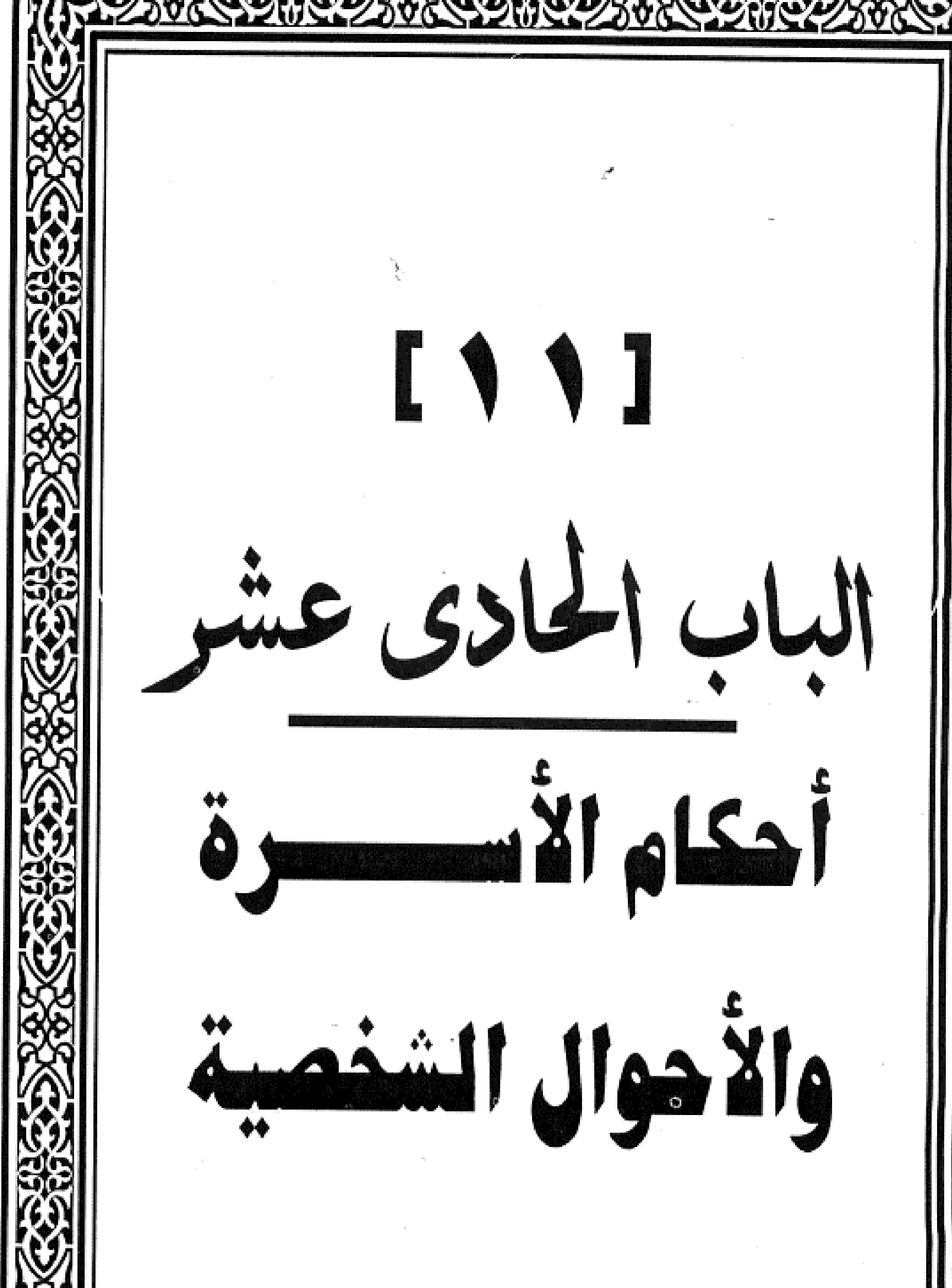
هم يريدون أن تكون لهم الكلمة، يريدون إذا قالوا قولاً أن لا يرد لهم القول.. يريدون أن يتصرفوا بإرادتهم، دون أن يلومهم أحد على شيء.

قلت لهم: وكذلك أعطى المجنون أنه يضربك وتضحك له، فلا تسأله عن فعل ولا يسأله الله يوم القيامة عن فعله، فهات إنسانًا أخذ هذا من الدنيا.. إن الغاية التى يسعى إليها الإنسان نالها المجنون... ولذلك تجد العجب... فبينما نسميه مجنونًا فى حركة الحياة.. إذا به يجعله الله فى لحظة من لحظات حياته بقوة عقلك فى كل حياتك.. فكيف ذلك؟

الإنسان منا قد يعرف الحقائق، إلا أن عقله يستر عن النطق بها، أما المجنون، فيقول كلمة الحق، ولا يبالى بقول الكلمة التى لا تستطيع أنت أيها العاقل أن تنطق بها، أو تتفوه بها.

وهذا يقودنا إلى معنى كلمة (عقل) لماذا أسموه عقلاً؟؛ لأنه يعقل عنك أشياء، لا يجعلك تتفوه بها.. أما المجنون فلا يبالى أبدًا.

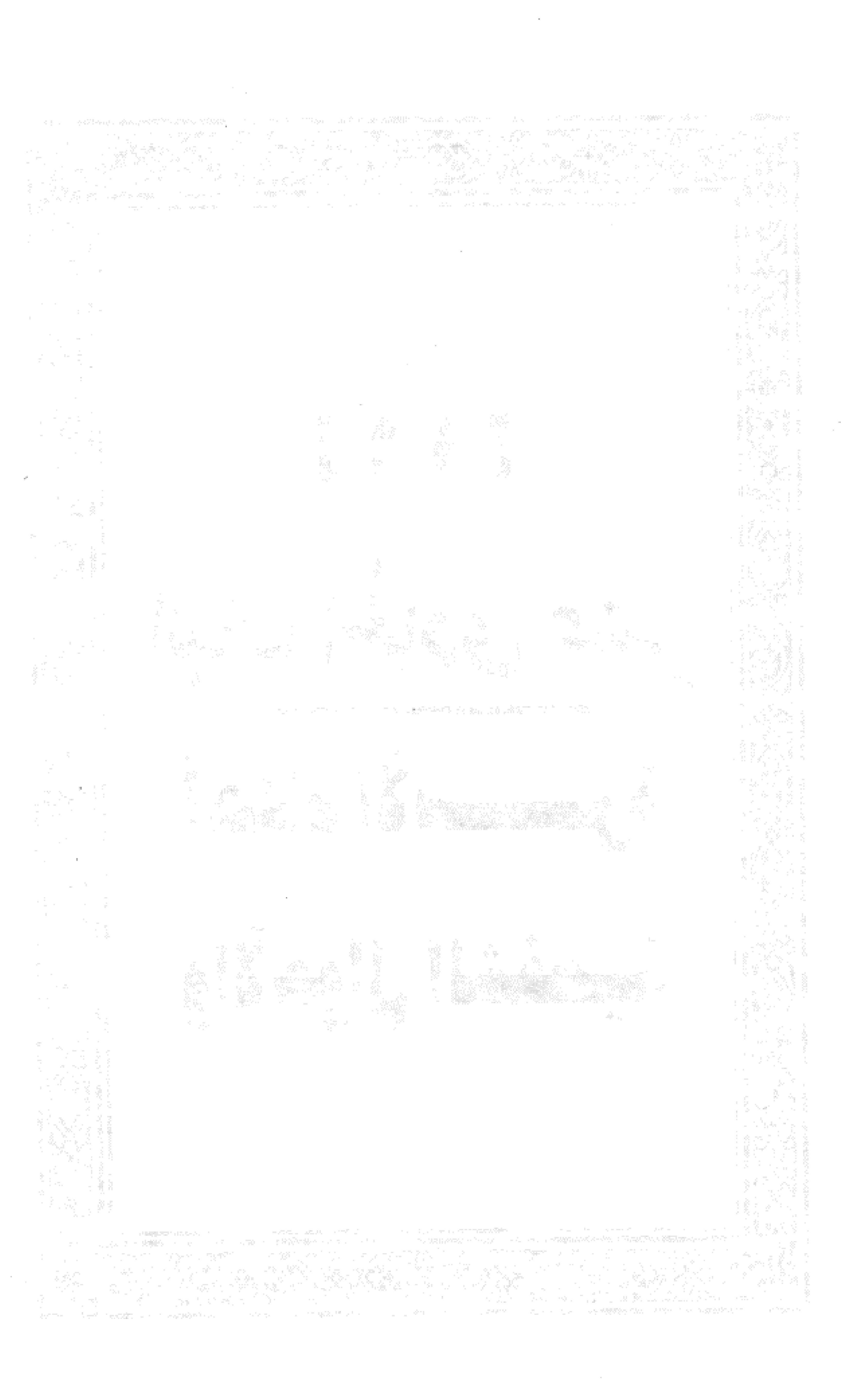
إذن المجنون فى لحظة من لحظات جنونه أخذ ما لم تستطع أن تأخذه أنت من كل لحظات عقلك فى الحياة... سبحان الله.



[١١]

الباب الحادى عشر

أحكام الأسرة والأحوال الشخصية



(أ) توطئـــة :

[٣٧١]

الزوجيــة والكـــون

س: قال تعـالى فى سورة يس: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾(١).

ما الدلالة البيانية والعلمية لقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾؟.

(جـ): ويقول فضيلة الشيخ الشعراوى فى تفسير هذه الآية الشريفة: الزوجية شائعــة فى الوجود كله، كلنا نعرفـها فى أنفسنا ونتـزوج، ونعرفها فى الحـيوان، ونعرفهـا فى النبات، إنما قول الله سبـحانه وتعالى: ﴿وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ هذا دليل على أن هذه عمليــة شائعة فى الوجـود كله، وإلا لو كانت هذه هى فقط، فـماذا يكون مدلول ﴿وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾؟ وما هو عطاؤها، إذن مـعنى ذلك: أن ربنا احترم العقل المعاصر عن أنه يقول له أشيـاء قد يقف فيها عقله العلمى، لكن قوله تعالى: ﴿وَمِـمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾ بعد ذلك لما يتطور عقلك العلمى، ويطمح ستعلم، وستـعرف أن مسألة الزوجـية هذه شائعــة فى الوجود، والآن أثبتوها فى الجــماد، وأثبتوها فى الذرة، وأثبتوها فى الســالب والموجب. . . يبقى إذن ساعة أن يتحكم في الأصل الأصيل بقوله «سبحــانه» أى: أنه لا يقدر أحد على عملها ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾(٢).

[٣٧٢]

الإســلام والمــرأة

س: هل هناك نص فى شـريعة الإسـلام على تنظيم عـمل المرأة فى المجتـمع العام؟ وما هى الوظائف التى سمح الإسلام لها بالعمل فيها؟

(جـ): ينبغى أن نعلم أنه لو اتحدت مهـمة الجنسين ما كان هناك ضرورة فى أن ينقـسم الجنسان إلى نوعين: ذكـر، وأنثى، ولنضـرب لذلك مثـلاً بآية كونيـة

(١) سورة يس: ٣٦.
راجع تفسير القرطبى (١٥/ ٢٦) ومختصر ابن كثير (٣/ ١٦٢).
(٢) سورة يس: ٨٣.

موجودة فى الوجود هى الزمن.. فالزمن هو وعاء الأحداث.. تحدث فيه الأحداث وهو قسمان: ليل ونهار.. الزمن كجنس: وعاء للأحداث، وكنوع فالنهار له مهمة، والليل له مهمة إن حاولت أن أقول: أسوى مهمة الليل بمهمة النهار أو العكس.. أكون قد أفسدت نظام الكون.. لأن الليل يخلق لمهمة، والنهار لمهمة حينما نرى جنسًا انقسم إلى نوعين.. خذ خصائص مشتركة فى الجنس ثم خذ خصائص مختصة بكل نوع وحينما أراد الله أن يبرز تلك القضية.. قال انظروا إلى قضية فى الكون غير مختلف فيها.. وهى حينما نسأل مثلاً علماء النبات يقولون: ضوء الشمس له عمله بالنسبة للنبات، والليل له مهمة بالنسبة للنبات.. النبات يمتص ثانى أكسيد الكربون المطلوب فى الوجود، إذن الليل له مهمة وجودية حياتية، والنهار له مهمة وجودية حياتية، لو أنك حاولت أن تقول: إنهما متعاندان. أقول: لا.. هما متكاملان، ولا يتعاندان.. وضرب الله المثل حين قال: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾(١). أى حياتنا كلها ليل: ﴿**مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ**﴾(٢). ثم قال فى آية أخرى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ**﴾(٣). إذن لكل منهما مهمة، ولا يصح أن أكلف نوعًا بمهمة الآخر، وإلا اختلت قضية الوجود.

فالله بين أن المقدمة المقطوع بها من كونية حياتنا هى وجود الناس، ثم أتى عليها بقضية الرجل والمرأة كيف؟ قال: إنهما مثل الليل والنهار، وهما جنس واحد وهو الإنسان ولكنهما نوعان: ذكر، وأنثى.. إذن لهما كإنسان خصائص مشتركة لا يختلفان فيها ولكنهما كنوعين كل نوع منهما مهمة.. اقرأ قول الله تعالى: ﴿**وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ**﴾(٤). أى كل واحد له مهمة فى الوجود.. إذا حاولت أن تأخذ مهمة الرجل للمرأة أو العكس تكون قد أخللت فى قضية الوجود، وإلا ما كان هناك ضرورة لأن يكونا نوعين: والخصائص المشتركة للجنس.. ربنا قال: الرجل والمرأة من جنس واحد... من مادة واحدة: ﴿**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا**﴾(٥). وليس كما قالت المذاهب أو الأديان الأخرى: إن الشيطان خلق المرأة أو إله الشر،

---

(١) سورة القصص: ٧١.
(٢) سورة القصص: ٧١.
(٣) سورة القصص: ٧٢.
(٤) سورة الليل: ١-٤.
(٥) سورة الأعراف: ١٨٩.

والرجل خلقه إله الخير.. لا.. الإسلام قال: إنهما من جنس واحد.. هذا هو التكوين فى الأصل ثم قال الإسلام بعد ذلك: إنهما واحد فى المسئولية.. كإنسان.. المرأة مسئولة عن عملها.. والرجل مسئول عن عمله ثم يوضح ذلك رسول الله -ﷺ- فيقول: «**الرجل راع ومسئول عن رعيته والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها**»(١) ومسئولين أمام الله: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ**﴾(٢). وقلنا أيضًا: إن المرأة لها حرية فى العقيدة تعتقد ما تشاء، لكن إذا اعتقدت لابد أن تلتزم... لها حرية فى الدخول فى الإيمان أو لا تدخل، لا تدخل الإيمان تبعًا لزوجها أو لأبويها، والله ضرب مثلاً بامرأة نوح وامرأة لوط.. فنوح ولوط كانا رسولين وبالرغم من ذلك لم يستطيعا إدخال زوجتيهما فى دينهما: ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**﴾(٣) ثم جاء من الناحية المقابلة للإيمان: ﴿**وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ**﴾(٤) الذى ادعى الألوهية ما استطاع أن يرغم امرأته أبدًا أن تعتقد فيه أنه إله: ﴿**إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾(٥) إذن للمرأة حرية فى العقيدة. ولقد أعطى الإسلام للمرأة حقوقًا مدنية كاملة ليست فى أى دين آخر. المرأة اليهودية كانت قبل الزواج تابعة الولاية لأبيها لا تتصرف فى أى شىء وبعد الزواج تتبع زوجها، وجاءت القوانين الوضعية حتى القانون الفرنسى فى المادة ٢٠٧ فى القرن الثامن عشر، تنص على أن المرأة، وإن اشترطت على الرجل أن تكون لها ذمة مالية مستقلة عنه يلغى هذا الشرط.

ولو نظرنا لوجدنا أن الحضارة الغربية تفقد المرأة خواصها.. ما هى الخواص الأولى للإنسان؟ شكله وسمته، ثم اسمه، فحينما تتزوج المرأة فى أوربا تنسب إلى زوجها، مدام فلان ليس من حقها أن تحتفظ حتى باسمها.. هدى شعراوى أخذت

---

(١) أخرجه الشيخان وأحمد فى المسند (٢/٥) و(٤٥) وأبو داود فى السنن والترمذى فى جامعه والسيوطى (٢/٣٩٦/ ٦٣٧٠).

(٢) سورة النحل: ٩٧ وغافر: ٤٠.

(٣) سورة التحريم: ١٠.

(٤)، (٥) سورة التحريم: ١١. انظر أبا السعود (٥/١٧٥).

اسمها هدى ونسبته إلى اسم عائلة زوجها على باشا شعراوى، لم يهن عليها أن تترك اسمها، ولكن فى أوربا وأمريكا تترك اسمها واسم أسرتها وتتسمى باسم زوجها فأى حق وأى مساواة للمرأة بعد أن تسلب اسمها! ولكن فى الإسلام زوجات الرسول وهو أشرف الخلق وتتشرف به كل واحدة منهن، لم يقولوا: مدام محمد بن عبد الله.. لم يقولوا: زوجة محمد.. ولكنهم قالوا: عائشة بنت أبى بكر.. حفصة بنت عمر، زينب بنت جحش احتفظن باسمهن واسم آبائهن وأسرتهن.. وبعد ذلك يأتى المفتونون يقولون: نريد أن نكون مثل الغرب والغرب لم يعط حرية للمرأة فى اسمها ولا فى مالها، ولكن الحرية التى أخذتها المرأة كانت بسبب الحرب عندما جندوا الذكور للحرب فاحتاجوا للمرأة لتحل محلهم فى العمل المدنى، فأعطوها بعض الحقوق، ليحصلوا على إنتاج فى عملها: سقراط مثلاً يقول: إن المرأة ليست معدة إعدادًا طبيعيًا لكى تفهم شيئًا فى العلم، ولكنها معدة للمطبخ وتربية الأولاد.. أفلاطون جاء ليعطيها قسطًا من التعليم، فقامت عليه الدنيا وقام الفيلسوف الساخر أريستوفان بتأليف رواية اسمها: «النساء المتحذلقات».. وتندر فيها على المرأة التى نالت قسطًا من التعليم.. جاء بعده موليير الفرنسى، وألف رواية اسمها: «برلمان النساء أيضًا»، ولكن الإسلام لم يقف منها ذلك الموقف بل قال الرسول -ﷺ-: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»(١) إذن نحن فرضنا التعليم للمرأة.. حينما تزوج الرسول -ﷺ- من حفصة بنت عمر -رضي الله عنها- وكان عمر قد جاء لها بامرأة من بنى عدى تعلمها القراءة والكتابة وبعد ما تعلمت، وتزوجها رسول الله -ﷺ-، طلب الرسول -ﷺ- من عمر -رضي الله عنه- أن يستمر مجىء العدوية إلى بيته؛ لتعلم حفصة بقية العلم قال عمر -رضي الله عنه- لقد تعلمت. فقال رسول الله -ﷺ-: «**لتجوده ولتحسنه..**» ولتتعلم المرأة، ولكن تتعلم التعليم النوعى إذا كنا نحن نقسم الرجال منذ بدء التعليم الإعدادى إلى تعلم نوعى مثل: صناعى - زراعى - تجارى - فنى... إلخ. إذن وجب تعلم المرأة تعليمًا نوعيًا يناسب المهمة التى ستؤهل لها.

إن المرأة يجب أن تشكر نعمة الله عليها، لأن الرجل يتعامل مع الأجناس الدنيا من الوجود، فإنه إما زارع يتعامل مع التربة والمواشى والحيوانات، وإما صانع

---

(١) أخرجه السيوطى فى الجامع الصغير بدون لفظ (ومسلمة) عن أبى سعيد وصححه، وعن أنس أيضًا (٢/ ٣٢٥/ ٢٦٤) و(٥٢٦٦، ٥٢٦٧).

يتعامل مع المادة الصماء.. ولكن المرأة تتعامل مع أشرف شيء فى الوجود وهو الإنسان.. المرأة التى لا تريد الاقتناع بهذه المهمة تكون امرأة فاشلة.. فالمرأة التى تريد أن تؤدى مهمتها كربة بيت وزوجة وأم ومربية.. إلخ. لا تجد من الوقت ما يسمح لها أن تعمل.. فلتتعلم وتغنينا عن مدرس خصوصى، أو تتعلم حياكة الملابس لأولادها، وتطريزها فلو نظرت إليها فى نشاطاتها فى الحياة، لوفرت على البيت أضعاف ما تأخذ من راتب، وتوفر علينا تكاليف زينتها ومتطلباتها فى الحياة، ثم ننظر بعد ذلك إلى الواقع.. هل المرأة فى سلم العمل كلما ارتقت تمنت مزيدًا من عمل أو كلما ارتقت وتقدم بها السن تمنت لو أنها ربة بيت حتى النساء الغربيات (مارلين مونرو).. قالت: إياكن أن تخدعن بالأضواء التى تسلط عليكن، وأنا لو استأنفت حياتى كنت أفضل أن أكون ربه بيت فقط، وعندما عملوا الاحصائية بين السيدات والبنات: ما هى نسبة السيدات اللاتى طلبن أن يعدن إلى بيوتهن كربات بيوت؟ إذن المسألة أن هناك فى الغرب شيء غير عندنا.. لا نحكم بشيء من هناك لنسيره على حياتنا. لأن الرجل فى الغرب بمجرد أن يكبر ابنه يتركه يضرب فى الحياة، وبمجرد البنت أن تكبر يقول لها: شوفى لك شغلة بقى. ليس عندنا مثل ذلك من الضرورات التى تجعل المرأة تتشابك فى حياتها مع المجتمع لكى تعيش، وعندما اخترع الغرب عيد الأم قلدناهم فى ذلك تقليدًا أعمى، ولم نفكر فى الأسباب التى جعلت الغرب يبتكر عيد الأم، فالمفكرون الأوربيون وجدوا الأبناء ينسون أمهاتهم، ولا يؤدون الرعاية الكاملة لهن، فأرادوا أن يجعلوا يومًا فى السنة؛ ليذكروا الأبناء بأمهاتهم، ولكن عندنا عيد للأم فى كل لحظة من لحظاتها فى بيتها.. فالإنسان منا ساعة خروجه من البيت يقبل يد أمه، ويطلب دعواتها يزورها بالهدايا دائمًا. إذن ليس هناك ضرورة لهذا العيد عندنا.. ولكننا أخذنا ذلك على أنه منقبة من مناقب الغرب، فى حين أنه مثلبة.. فى أوربا يترك الولد أمه تعيش فى ملجأ وأبوه يعيش فى مكان لا يدرى عنه شيئًا، وليس فى حياتنا مثل ذلك، فالإسلام أعطانا تكاتفًا وعلى قدر حاجة الأبوين رتب الإسلام الحقوق (.. أمك.. ثم أمك.. ثم أمك.. ثم أبوك..) لأن أباك رجل حتى لو تعرض للسؤال فلا حرج، وإنما الأم لا.

وعندما نستعرض القضية القرآنية في هذا الخصوص: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ

بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا ﴾(١). طيب هو يوصى بالوالدين ولكن إذا نظرت للآية القرآنية تجد أن الحيثيات فى الآية للأم كلها، وفى البداية أتى بحيثية مشتركة، ثم قال: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾(٢) يعنى لم يذكر سيرة للأب!!.

[٣٧٣]

الشهوة البهيمية وسلطان الغريزة

مصطلح يتردد على ألسنة الناس جميعًا، حتى إن الكثيرين منهم مثقفين وغير مثقفين يقنع به، وهو نعت الشهوة الجنسية، وسلطان الغريزة على كيان المرء بالشهوة البهيمية، وربما يكون ذلك مرجعه إلى أنها عندما تتمكن من البدن، ولذلك يقول: «**الخير فىَّ وفى أمتى إلى يوم القيامة**»(٣)، ولكن الخير حين يكون محصورًا فيه، فمحمد -ﷺ- أهل لأن يتلقى كمالات متعددة، ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ الكمال المحمدى، فالخير فيه -ﷺ- بأجمعه وكله، ولكنه فى أمته موزع، فواحد يأخذ منه صفة، وآخر يأخذ منه صفة، وثالث يأخذ منه صفة، بحيث إذا تجمعت صفات الكمال فى أمته -ﷺ-، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الأمة كلها.

جاء رسول الله -ﷺ- ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود، ومعنى انسجام الإنسان مع الوجود أن الوجود بجماده ونباته وحيوانه خاضع مسخر لله، لا يمكن أن يصدر عنه شىء إلا بمراد الله منه، ولكن الإنسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع، وجاء منه العاصى، ولذلك يعرض الحق هذه القضية، فى عدم انسجام

---

(١) سورة العنكبوت: ٨.
أمر الله تعالى الأولاد ببر الوالدين وليس العكس؛ لأن الأولاد جبلوا على القسوة، وعدم طاعة الوالدين، أما الوالدان فقد جبلا على الرحمة؛ فوكلهم إليها. حاشية الصاوى على الجلالين (٣/ ٢٣١) بتصرف.

(٢) سورة الأحقاف: ١٥.
راجع تفسير الطبرى (٢٦/ ١١) والقرطبى (١٦/ ١٩٣) والتفسير الكبير للرازى (٢٨/ ١٤).

(٣) ذكر السخاوى فى «المقاصد الحسنة» أن الحديث بلفظه هذا لا يعرف. ونقول: إنه إن لم يكن صحيحًا، فإن معناه صحيح.

الإنسان مع الوجود الخاضع الساجد الخاشع، يقول الحق: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ﴾(١) تلك هى أجناس بإجماع ساجدة، خاضعة لله، ولكنه حين جاء عند الإنسان لم يأت ذلك الإجماع، فقال: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾(٢) وكان من المفروض أن ينسجم الإنسان مع الوجود كله، فيكون خاضعًا لمنهج الله، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله، ويأتلف معه، وينسجم معه، ولا ينسجم شيء من الوجود مع الإنسان الطائع، أما الإنسان العاصى، فهو يشكل شقاقًا بينه وبين أجناس الوجود، وجود مسبح، وجود ساجد، وجود خاشع، وإنسان متمرد.

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للإنسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود فلا بدعة إذن أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد إليه انسجام الإنسان معه، وذلك هو الشأن معه -ﷺ-، جاء ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله، ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الإنسان، ليكون الإنسان خاضعًا كبقية أجناس الكون لله سبحانه وتعالى.

إذن فلا عجب أن يفرح به الوجود، لا عجب أن يفرح به الجماد، ولا عجب أن يفرح به النبات، ولا عجب أن يفرح به الحيوان، ولا عجب أن تفرح به الملائكة، ولا عجب أن يفرح به طائع الجن.

إذن، فإذا عرضت لنا السيرة أن أشياء من الكون فرحت برسول الله، وحدثت أشياء منها، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله، عارف بحق الله. وأيضًا، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا، ولكن الذين آمنوا هم الذين شاهدوها، هم الذين سمعوها، فالذين سمعوها حجة على أنفسهم، ونحن نتلقى عنهم الخبر، فإن كنا موثقين لهم فى الخبر، صدقناه، وإن لم يتسع ظننا لتوثيق الخبر، فنحن أحرار فى أن نصدق أو لا نصدق، ولكن منطق الأشياء، ومنطق الوجود، لا يحيل وجود شيء من ذلك.

---

(١) سورة الحج: ١٨.
راجع القرطبى ومختصر ابن كثير (٢/ ٥٣٤).
(٢) سورة الحج: ١٨.

فإذا حدثنا أن إيوان كسرى قد شق، فماذا فى ذلك؟ وما فى ذلك من العجب؟! أنستبعد أن يوقت شق الإيوان بالميلاد؟ أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس، وأن يوقتها مع الميلاد؟ أنستبعد على الله أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة؟!

[٣٧٤]

الإسلام وتهذيب الغرائز

الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى أوضح أكثر من مرة فى بيان للناس أن الإسلام ما جاء ليمحو الغرائز، إنما جاء ليهذبها ويروضها، وذلك حماية للنفس البشرية مما يفسدها.

والواقع أن الكثير من مجالات التحلل إنما يرجع إلى ابتذال الشهوات، وعدم الالتزام بمنهج الحق تبارك وتعالى، إذ أن الإسلام، وتعاليمه السمحة الغراء إنما جاءت لتعصم النفس البشرية من مزالق الخطأ، ومنحدرات التحلل فتصونها إذ تجعلها فى حرز من الشيطان المتربص بها الدوائر.

والسؤال الآن: ما السر السيكولوجى النفسى فى أن الإنسان يقدم على جريمة الزنا مثلاً وهو يعرف ويدرك تمامًا أنها كبيرة من الكبائر، ومع هذا يعاود الكرة ثانية وثالثة... وهلم جرا!

[٣٧٥]

الإيمان والغرائز

س: الإيمان له دور مباشر فى تهذيب الغرائز، وكبح جماحها.. ما هى حقيقة هذا الدور؟ ألا ينشأ عن هذا الصراع بين متطلبات النفس البشرية، وأشواقها وبين ما تؤمن به من مثل وقيم عليا.. ألا يكون هذا سببًا فى أن يتميز الإنسان بين مطالب الجسد ووشائج الروح؟ نرجو من مولانا الإمام توضيح الأمر حتى يطمئن الخاطر؟.

(جـ): وجود الإيمان هو الذى ينظم هذه الغرائز ويعليها، ولا يقتلعها، لأنه لو أراد الإيمان أن يقتل الغرائز فلماذا خلقها الله؟ إذن هى لها مهمة والإسلام لا يصنع من المؤمن مؤمنًا جامد القلب، بحيث ينطبع على شىء واحد.. الشىء الواحد -كما سبق وذكرنا- الذى يطبعه عليه هو أن يسلم قياده لمنهج خالقه، يعلى

غرائز حب الامتلاك، حتى لا تصل إلى السطوة والسيطرة، يعلى الغرائز الجنسية بالزواج، حتى يكون المجتمع نظيفًا شريفًا.. يعلى الغرائز فى طلب القوة لكى لا يكون نهمًا.. ولا يكون شرهًا.. يعلى الغرائز فى حب الاستطلاع كى لا يجعله تجسسًا، وتتبعًا لعورات الناس.

إذن فكل غريزة من غرائز الإنسان جاء الإسلام ليعدلها، لا ليجمدها، ولكن ليستبقيها لأن لها مهمة، والإنسان حين ينظر لهذه المسألة يعتقد أن قوة أعلى منه هي التى نظمت له هذه الأشياء، والقوة التى هى أعلى منه لا يستنكف الإنسان أن يخضع لها.. لماذا..؟ لأنها قوة مطلقة أعلى منه، وهى التى خلقتنى بقدرتها، وهى التى أمدتنى بقوة منها.. فإذا ما استقبل الإنسان منها أمرًا فإن ذلك الأمر لا يعنى غضاضة، يقول لها: كن شديدًا تارة، وكن رحيمًا تارة.

إذن فهو لا يطيع قوته على شدة مطلقة، ولا على رحمة مطلقة، وهو صالح أن يكون شديدًا بل هو صالح أن يكون رحيمًا، لأنه لو طبع على الشدة فهناك مواقف تتطلب الرحمة، ولو طبع على العزة، فهناك مواقف تتطلب الذلة، ولو طبع على لون واحد لامتنع عليه أن يأتى اللون الآخر واللون الآخر له مهمة فى الحياة. يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿**أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾(١).. إذن فيهم عنصر يمكنهم أن يكونوا أعزاء، وعنصر آخر يمكنهم أن يكونوا أذلاء.. ومتى يكونون أعزاء، ومتى يكونون أذلاء..؟ ذلك توجيه الحق لهم: كونوا أذلة على إخوانكم المؤمنين، وأعزة على الكافرين: ﴿**أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾(٢). إذن فلم يطبع الإسلام المؤمن به على طبع واحد لأن لكل طبع مهمة فلابد إذن من وجود قوة قاهرة عليمة حكيمة تقرر هذه الأشياء.

(ب) الحجاب

[٣٧٦]

المرأة والحجاب

للشيخ الشعراوى موقف لطيف رقيق بالنسبة لمسألة الحجاب، وهو كما

---

(١) سورة المائدة: ٥٤.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

الكشاف للزمخشرى (٣/ ٥٥٠).

نعرف دائمًا له فطرة البسطاء، ورقة النسيم، وحرارة الشباب، وعقل العباقرة، وفكر النوابغ العظماء.

ومع تحمسه للدين الحنيف ودعوته الواعية؛ لحمل الناس كافة على منهج الحق تبارك وتعالى، ورغم موجات الابتذال التى تعاصرها وتعانى منها الحياة الحاضرة، إلا أنه يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة، ويجادل بالتى هى أحسن، دون انفعال وبغير عصبية.

وفى حديث تليفزيونى حدد الشيخ الشعراوى صورة الحجاب للمرأة المسلمة، وأبان فيه كل شىء، ولكنه فى قرارة نفسه رجل عملى يركز دائمًا، ويجعل كل همه سلامة الباطن، المقنع وهو النفس الكامنة المطوية فى دخيلة الإنسان، ففى حديث دار بينى وبين فضيلته فى هذا الصدد قال لى:

نحن نريد أن نثبت الإيمان فى قلب المرأة المسلمة، وعندما تزداد الجرعة الإيمانية فى كيانها، هى التى ستطلب الحجاب، وترى أنه وسيلة مثلى لاتقاء سهام الشيطان المارقة الطائشة.

والشيخ الشعراوى يقرر مبدأ هامًا.

وهو منهج الإقناع الذى يرتكز على دعامة الاطمئنان الذاتى الداخلى، ومن ثم يكون الإيمان صادرًا من الدخيلة والطوية المستورة، فيتممه المظهر الخارجى.

لأن إيمان الجوارح أجدر أن يسبق ما عداه من مظاهر إيمانية خارجية، فلابد أن تمتلئ فراغات النفس الخفية غير المرئية بالحياة والحيوية العقائدية، ومن ثم ستسعى هى إلى الالتزام السلوكى فى أرقى صوره وأدق مظاهره، مع إيماننا الكامل بالتزام الزى الشرعى للمرأة المسلمة، فهذا أدعى لصيانة البيت المسلم، كما أنه أحفظ للمجتمع الإسلامى.

تتمة وتعقيب

مصداقًا لرأى الشيخ الشعراوى فى هذا الصدد نقول: إن الرغبة الجنسية فى الذكر مثلها فى الأنثى أيضًا، تشد الأول إلى الثانى، وينجذب الثانى للأول، وهذا السر الغريب فى غريزة الكلف والنزوع من كل من الجنسين الذكر والأنثى رغبة لا إرادية، سببها أساسًا وجود الهرمونات الجنسية فى كليهما، فإذا ما التزمت المرأة وارتدت الزىَ الإسلامى المحتشم، ولبست الخمار، وأسدلت الستار تمامًا على

مفاتنها ومحاسنها، ومواطن الإثارة فيها، ستبقى طبعًا عيناها طليقتين ترى بهما الوجود كله.. وهنا يرد سؤال طبى نفسى فلسفى: ما الذى يمنع النزوع، ويحبط الوجدان، فالإدراك عنها؟؟

إن عملية الوجدان لا حيلة للمرأة فيها؛ لأنها عملية مشاهدة ورؤية، فإذا ما رأت شابًا بدينًا سويًا فى بنائه وسيما فى قسمات وجهه، مليحًا فى تكوينه، فإن الهرمونات الأنثوية تثير فيها شهوة التمنى والرغبة، لكن التزامها بالمنهج، وكلفها بالحق يقطع عليها كل سبب للوجدان؛ فيمتنع الإدراك.. ولولا هذا لكانت المشكلة لا تزال قائمة إذ تمنع الإدراك والإثارة من جانب الرجل، بينا لا تزال قائمة من طرف المرأة؛ لأنها تراه، ولأنها تحتوى على حوافز جنسية عاطفية لا حيلة لها فيها، ولا قدرة لها على استنكارها وهى فى داخلها، وكما أمر الله الرجال أن يغضوا، أمر النساء أن يغضضن، حتى يقطع على الوجدان طريقه من الإدراك، ويقطع مقدم الوجدان حركة النزوع.

وعندما تكون الجرعة الإيمانية واقية شافية؛ فإن حب الله تبارك وتعالى يتسامى بالنفس الإنسانية إلى أرقى مراتبها، ويرتقى بالجسم البشرى إلى طهارة الملكية التى لا تلوثها أدران المعاصى، والروح كلما ارتقت إلى سماء الكلف الفوقى بالأعلى اندرجت تحتها شهوات الجسد المتعددة، وتروضت غرائزه الشهوانية. وتحولت إلى طاقات خلاقة تتلذذ بذكر الله ﴿**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾(١).

وما قيمة الجسد إلى جانب الصفاء الروحى؟؟، لا شىء طبعًا، فإن الجسد تقضمه الأيام، وتستهلكه السنون، وتستنفد منه الحوادث، ولكن الروح تستطيع مهما تقدم بالجسم العمر أن تضفى عليه من نسمات الحياة شبابًا جديدًا متجددًا، وتخلع عليه صحة وعافية.

[٣٧٧]

حجاب المرأة واجب

س: ما حكم حجاب المرأة؟

(جـ): قال الله تبارك وتعالى:

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[(١)].

ومن هذه الآية يتبين أن المطلوب أن تجعل المرأة غطاء الرأس على النحر والصدر وقال رسول الله -ﷺ- عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر بثياب رقاق قال: «**يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا. وأشار إلى وجهه وكفيه**»[(٢)]. وتقول أم المؤمنين عائشة كان النساء المؤمنات يشهدن مع النبى -ﷺ- صلاة الفجر ملفعات بمرطهن، ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفن من الناس. ويشترط فى الحجاب، ألا يكون الثوب نفسه زينة، وأن يكون صفيقًا مصداقًا للحديث الشريف «**سيكون آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت ألعنوهن فإنهن ملعونات**»[(٣)]. وألا يكون مجسدًا لهيئة الجسم، ولا معطرًا مبخرًا، وألا تتشبه النساء بالرجال ولا يشبه زى الكافرات، وألا يكون ثوب شهرة.

ومعلوم أن المرأة يجب عليها أن تستر عورتها وجميع جسدها، إلا وجهها وكفيها.

[٣٧٨]

صورة الحجاب الإسلامية

س: وردت أسئلة كثيرة واستفسارات شتى من مختلف الأقطار تسأل عن صورة الحجاب الإسلامية؟

---

(١) سورة النور: ٣١.
انظر القرطبى (١٢/ ٣٠) والطبرى (١٨/ ٩٢) والبحر المحيط (٦/ ٤٥٠).

(٢) مرسل أخرجه أبو داود فى السنن (٤/ ٦٢/ ٤١٠٤) وانظر أيضًا نيل الأوطار للشوكانى (٦/ ١١٢).

(٣) الحديث أخرجه مسلم (٢١٢٨) والإمام أحمد فى المسند (٢/ ٢٢٣) و(٣٥٦).

وفى وصف صورة الحجاب الإسلامية يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

فالخمار هو غطاء الرأس، والجيب هو مقدم النحر مع مقدم الصدر، والمطلوب أن يضرب غطاء الرأس على النحر والصدر. كيف ذلك؟ هذه حدود الصورة من أعلى. فما حدودها من أسفل؟ هى قوله تعالى: ﴿لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾[2] فزينة الأرجل هى الخلاخيل ولما كن يخفينها بأثواب سابغة كما تدل الآية الكريمة، فإنهن كن يضربن بأرجلهن؛ حتى تعلن هذه الزينة عن نفسها من وراء.

يقول رسول الله -ﷺ- عندما دخلت عليه أسماء بنت أبى بكر بثياب رقاق قال: «**يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يرى منها إلا هذا وهذا**»[3] وأشار إلى وجهه وكفيه.

وتحكى السيدة عائشة: «كان نساء المؤمنات يشهدن مع النبى -ﷺ- الفجر متلفعات بمروطهن ثم ينقلبن إلى بيوتهن حين يقضين الصلاة لا يعرفن من الناس»[4].

[٣٧٩]

شروط أخرى للحجاب

س: وهل هناك شروط أخرى، لابد من توافرها فى الحجاب الإسلامى؟

(جـ): نعم هناك شروط أخرى لابد من توافرها منها: ألا يكون الثوب نفسه

---

(١)، (٢) سورة النور: ٣٠، ٣١.

(٣) حديث صحيح. (٤) وفى رواية: (لا يعرفن من الغلس).

زينة، وهذا مفهوم من قوله تعالى: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾(١).

وأن يكون صفيقًا لا رقيقًا لقول الرسول -ﷺ-: «**سيكون آخر أمتى نساء كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت ألعنوهن فإنهن ملعونات**»(٢).

وألا يكون مجسدًا لهيئة الجسم، وكذلك ألا يكون معطرًا مبخرًا لقوله -ﷺ-: «**أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية**».

كما أنه يجب ألا تتشبه المرأة بالرجال لقوله -ﷺ-: «**ليس منا من تشبه بالرجل من النساء، ولا من تشبه بالنساء من الرجال**»(٣).

كذلك ألا يشبه زى الكافرات؛ لأن المسلمين مطالبون فى كثير من آيات القرآن الكريم ألا يتبعوا أهواء الكفار.

كذلك ألا يكون ثوب شهرة، لقول سيدنا رسول الله -ﷺ-: «**من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة ثم ألهبه فيه نارًا**»(٤).

[٣٨٠]

امرأة مسلمة سافرة

س: ما حكم الإسلام فى امرأة مسلمة ملتزمة بتكاليف العقيدة، ومنهج الإسلام، لكنها تنزل الشارع سافرة، حاسرة الأعضاء؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

على الفتاة التى تزعم أن الدين يحجر عليها فى لباسها وفى زينتها وفى حياتها أن تعلم جيدًا أنه كيف أراد الدين أن يؤمن شيخوختها فى الهرم، وعند سن اليأس، إذ إن أول صدمة تقع فى كيان المرأة عند سن اليأس، عندما تنقطع عنها الدورة الشهرية، وفى هذه الأوقات الحرجة لما تذوى نضارة المرأة، ويخبو جمالها

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٣.

(٢) أحمد فى المسند (٣/ ٢٢٢) و(٣٥٦) ومسلم (٢١٩٢).

(٣) المسند (٢/ ٢٠٠) عن ابن عمر وصححه السيوطى فى الصغير (٢/ ٤٧٠/ ٧٦٧٨).

(٤) أبو داود (٤/ ٣١٤/ ٤٠٢٩) وابن ماجة (٣٦٠٦) عن ابن عمر وحسنه السيوطى (٢/ ٥٤٢/ ٩٤).

نراها محتاجة إلى عطف زوجها وحنانه وبره، وهى ضعيفة مسكينة، كثيرة التفكير فى المصير المؤلم من ناحية أخرى، فإنها لم تعد تشبع غرائز الزوج.

فعلى الفتاة أن تعلم أن الإسلام إنما أراد أن يؤمن هذه الشيخوخة الذابلة المنهكة، وأن يدفع إليها البشر، والتفاؤل والأمان.

فعلى هذه الفتاة أن تعلم أنها لن تظل جميلة طول عمرها، ولا فاتنة ساحرة مدى حياتها.. فإذا ما ذبلت تلك الزهرة بتقدم العمر، وانمحت نضارتها، واعتصرت محاسنها.. ولم تعد تصلح لإثارة غرائز الزوج، وهى ليست فى مستوى الإهاجة، ونزل إلى الشارع فرأى فتاة فى خير عمرها، وفى كامل زينتها ورونقها، جرت شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر فى الشارع، وما يراه فى البيت، وبين هذا وذاك تتكالب عليه الهموم والحسرات، ولا نعتقد أن هذه المقارنة ستسر أية امرأة.

فنظرة الرجل فى الشارع إلى حسن ظاهر سافر مبتذل، تبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته، ولو لم ير فى الشارع لما التهبت مشاعره، ولا تنبهت غرائزه، من هنا تنحل الأصرة الزوجية، وتتفكك المودة العائلية.

فاعلمى أيتها الفتاة أن الذى منعك منع من أجلك، هو الذى منع ليحافظ عليك.

ويقول الشيخ الشعراوى: فبمقدار ما أغوت امرأة رجالاً، بمقدار ما زهد فيها رجال، وبمقدار ما رغب فيها أناس، بمقدار ما رغب عنها أكثر منهم، وبمقدار ما استمالت من نفوس، فإن الله يذل آخرتها فى الدنيا، بأن ينصرف الكل عنها انصرافًا مزريًا محتقرًا، والذى كان يتمنى أن يحظى بنظرة واحدة لو رآها لبصق عليها.

(ج) اختيار الزوج والخطبة

[٣٨١]

السكينة فى الزواج الإسلامى (وجعل منها زوجها)

س: قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (١) فلم يقل: وخلق منها زوجها؟

---

(١) سورة الأعراف: ١٨٩.

انظر التفسير الكبير للفخر الرازى (٤/ ٤٨٥) والطبرى (٩/ ٩٧).

(جـ): أوضحنا فى كتابنا (الإعجاز الطبى فى القرآن) الذى قدم له الشيخ الشعراوى الفرق بين الخلق والجعل عمليًا وطبيًا، وهنا نرى للشيخ الشعراوى رأيه فى هذه المسألة، يقول فضيلة الإمام: كلمة (جعل) فى اللغة إذا استعملت فى شيء كان معدومًا، فوجد تكون بمعنى (خلق) قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهنا جعل بمعنى: خلق.

إنما إذا استعملت «جعل» فى شيء موجود تحول إلى شيء آخر فيكون عندى أمران اثنان: مجعول منه، جعلت الطين إبريقًا، جعلت الخشب مكتبًا، إذن هناك فرق بين جعل التى تتعدى إلى مفعول واحد، وهذه إيجاد من عدم، وجعل التى تتعدى إلى مفعولين، المجعول منه كان موجودًا، ثم صار إلى شيء آخر، وربنا يقول لإبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1] فأنت موجود، أما الإمامية فهى شيء آخر.

[٣٨٢]
الإعلان عن الزواج

س: تسأل ن.أ.:

عما يفعله الناس من الطبول والزغاريد وتعليق الأنوار على البيوت فى الزواج؟

(جـ): ويجيب الشيخ الشعراوى فيقول:

إن الإصرار على ألا يعلم أحد بالزواج يجعل الزواج باطلاً.. فالإعلام شرط لحماية أعراض الناس من الناس.. وكل ما نراه من مظاهر مختلفة فى الأفراح من دق الطبول، وإطلاق الزغاريد، ووضع الزينات والأنوار على البيوت كل ذلك إعلام عن الزواج، لنحمى أعراض الناس من ألسنة الناس.

ويجب أن نعرف أن الإعلام شيء، والكتابة شيء آخر، لحماية المصالح المدنية من مؤخر الصداق، والنفقة أمام القضاء.

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

راجع تفسير القرطبى (٢/ ٩٨) والطبرى (٣/ ٨) والبحر المحيط (١/ ٣٨٦) والدر المنثور فى التفسير المأثور (١/ ١١٢).

[٣٨٣]

اختيـــار الزوجـــة

ينزع الشباب فى العصر الحاضر المتميز بمشاقه، وصعوباته فى كافة المجالات ينزع إلى الزواج من بنات السراة الأثرياء، حتى تعينه على شئون الحياة، ولا يهتم ولا يلقى بالاً إلى القيم الروحـية والدينية، ذلك لأنه يبـصر عبـر مجهر السـعادة الدنيوية، ومن ثم كـانت أمثال هذه الزيجات فاشلة تمامًـا وبدلاً من أن تكون عونًا مـعه على الأيام يجـدها عـونًا عليه مع الأيام، وهذا هو خـطأ التقـدير والتقـويم والاندفاع الطائش، والمراهقـة الفكرية لشبـاب اليوم، وهم إن كانوا مـعذورين فى ذلك إذ لابد من النظر للرصيد الدينى والخلقى قبل كل شىء.

والشـيخ الشعـراوى يقول فى ذلك: «لا تجـعلوا الغنى مـقيـاسًا لاخـتيـار الزوجة». نصيحـة لشباب اليوم ورجال العصر، مـن عالم عصره، وهذه من أجل النصائح وأغلاها. ثم يرد الإمام: لقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿ **وَأَنكِحُوا الْأَيَـامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِـينَ مِـنْ عِبَادِكُـمْ وَإِمَائِكُـمْ إِن يَكُونُـوا فُقَـرَاءَ يُغْنِهِـمُ اللَّـهُ مِـن فَضْلِهِ** ﴾[1]. إذن فلا تجعلـوا الغنى مقياسًـا لاختيار الزوجة إنمـا لتجعلوه مفـتاحًا للرزق. ولقـد أتى الله تعالى فى هذه الآية بشـرط وجواب، فـقال تعـالى: ﴿ **إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ** ﴾. وعندما يقول الله ذلك فلابد أن يحدث. ولقد لفتنا رسول الله إلى ذلك فقال: «من تزوج امرأة لحسبها يكن حسبها عليه». بمعنى أن يهدف الرجـل إلى زواجه من امرأة ذات حـسب وجاه ليـستـفيد من حـسبـها وجاهها، وعندئذ ينقلب حسبها عليه، فـيحدث بينهما نفرة وعداوة، فيكون بذلك قد اختار خصمه القوى.

ومن يختار المرأة لمالها، ولاستغلال هذا المال، فإننا نرى المرأة بخيلة شحيحة متعالية تذل الرجل بسبب المال، فيكـون ذلك المال الذى قصده وبالاً عليه وتنغيصًا له. ويأتى تعقيب الآية الكريمة: ﴿ **وَاللَّـهُ وَاسِـعٌ عَلِيـمٌ** ﴾ فهذا تعقيب للآية يناسب المطلوب.. فما دام الكلام عن الغنى فإن ما يحتاجه الإنسان هو السعة والله واسع لا ينفد مـا عنده أبدًا، حتى ولو افـترضنا أن كل الناس أرادت أن تـتـزوج فتـيات فقيرات ليتحقق قول الحق فى هذه الآية، فإن الله يعطى كل واحد منهم. ولكننا لا نجد ذلك فى الناس.

---

(١) سورة النور: ٣٢.

فإذا وجدنا إنسانًا موسرًا يعطى الناس من ماله نجد الآخرين قد حزنوا؛ لأن ما يعطى هذا الرجل للآخرين قد ينقص نصيبه هو، وذلك الحزن ينتج؛ لأن هذا الإنسان يعلم أن ذلك الإنسان الموسر ينفق فى حدود لن يتعداها؛ حتى لا ينفد ما عنده.

أما الله سبحانه وتعالى فالأمر هنا يختلف، فعندما يعطى لا يؤثر ما يعطيه لأحد على عطائه لغيره، فهو واسع يمكنه أن يعطى الجميع دون أن يؤثر ذلك على ملكه شيئًا. فالله جل جلاله عقب على هذه الآية بقوله: (واسع) أولاً لكى يعرف الجميع أنه يعطى الجميع، وهو: «عليم» فهو عالم بنيتك، والسبب الحقيقى لاختيارك لهذه المرأة، وهو يعطيك على قدر نيتك.

[٣٨٤]

المحرمات على المسلم

س: من هن النساء اللاتى يحرم على المسلم الزواج بإحداهن؟ وما هو الرضاع المحرم؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

قال الله تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾(١).

مضمون الآية:

يحرم على المسلم أن يتزوج واحدة من النساء الآتى ذكرهن:

١- زوجة الأب. ٢- الأم والجدة. ٣- البنت.

٤- الأخت. ٥- العمة. ٦- الخالة.

---

(١) سورة النساء: ٢٣.

راجع القرطبى، والدر المنثور للسيوطى (٢/ ١٣٥).

٧- بنات الأخ. ٨- بنات الأخت. ٩- الأم بالرضاعة.

١٠- الأخوات والعمات والخالات بالرضاعة.

١١- أم الزوجة. ١٢- بنت الزوجة (الربيبة).

١٣- زوجة الابن. ١٤- الجمع بين الأختين.

١٥- المرأة المتزوجة.

١٦- المرأة الملحدة غير المسيحية أو اليهودية.

١- المقرر شرعًا أن العقد على البنت يحرم الأم، ولو لم يدخل الرجل بالبنت.

٢- المقرر شرعًا أن العقد على الأم لا يحرم البنت، أما إذا دخل الرجل بالأم فتحرم البنت وتبقى الزوجية بالأم صحيحة.

٣- إن العقد على الحامل من زنى صحيح شرعًا، ويحرم على الزوج وطؤها إذا كان الحمل من غيره، حتى تضع، ويجوز له معاشرتها معاشرة الأزواج بعد وضع الحمل الذى كان من غيره سفاحًا، وما يرزقان به من أولاد بعد ذلك، فهم أولادهما، شرعًا ويرثون كلاً منهما إذا مات.

الرضاع المحرم على مذهب الإمام الشافعى، وهو الأصح للفتوى هو خمس رضعات -مشبعات - متفرقات - معلومات بيقين فى مدة الرضاع وهى سنتان، فإذا تحققت الشروط، فأصبحت المرأة أختًا للرجل من الرضاع سواء كان رضاعها قبله أو معه وصار جميع أولادها أولاد أخته، ويحرم الرضاع ما يحرم بالنسب.

[٣٨٥]

إبداء الفتاة رغبتها فى الزواج

س: كيف تبدى الفتاة لأبيها رغبتها فى الزواج؟

(جـ) قيل تلميحًا، وقيل تعريضًا.

ولذلك لابد أن يكون رب البيت ذا فطنة وذكاء. ولما أن قالت ابنة سيدنا شعيب: ﴿**يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ**﴾[1].

---

(١) سورة القصص: ٢٦.

راجع ما قاله أبو حيان فى بحره المحيط وهو قول رائع (٧/ ١١٤).

فهم نزوع ابنته... فقال من فوره لسيدنا موسى عليه السلام: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ﴾(١).

ولابد من تخيير الفتاة بكرًا كانت أم ثيبًا فى أمر زواجها:

وفى النسائى عن السيدة عائشة، -رضي الله عنها-، أن امرأة شكت إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- أن والدها زوجها ابن أخيه بغير رضاها، فخيرها الرسول فى أن تقبل أو لا تقبل. فقالت له: «يا رسول الله، أجزت ما صنع أبى، وإنما أردت أن أعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء»(٢).

وفى صحيح مسلم، وسنن أبى داود، والترمذى، والنسائى، والموطأ أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: «**الأيم أحق بنفسها من وليها، والبكر، تستأذن فى نفسها**»(٣).

وروى أبو هريرة -رضي الله عنه-، أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**لا تُنكح الأيم حتى تستأمر، ولا تنكح البكر حتى تُستأذن**»(٤).

وقد أورد الإمام السرخسى فى المبسوط أن سيدنا أبا بكر -رضي الله عنه- زوج عائشة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- دون بلوغها. فلما بلغت لم يخيرها الرسول -صلى الله عليه وسلم- فى أن تقبل هذا الزواج أو لا تقبل. فى حين أن لو كان لغير البالغ هذا الخيار؛ لخيرها فى أمرها هذا، مثلما خيرها عند نزول آية التخيير(٥).

[٣٨٦]

امرأة أعجبها رجل

س: امرأة أعجبها رجل، وأحبت أن تتزوجه، فماذا تفعل؟ هل تصرح له أم لا؟

---

(١) سورة القصص: ٢٧.

من الخير والحسن أن يعرض الرجل ابنته على الرجل الصالح اقتداء بالسلف الصالح. القرطبى (١٣/ ٢٧١).

(٢) سنن النسائى. (٣) المبسوط ص ٢١٤.

(٤) مسلم فى صحيحه، وأبو داود (٢/ ٥٧٣/ ٢٠٩٣)، والترمذى (١١٠٧)، والنسائى فى السنن، والموطأ.

(٥) مسلم (١٠٣٦)، والنسائى (٦/ ٨٥، ٨٦)، والمسند (١/ ٢٤٢)، وأبو داود (٢/ ٥٧٣/ ٢٠٩٢).

(جـ): تقول لولى أمرها.

[٣٨٧]

الخطيبان والعصر

س: هل يجوز اختلاط الخطيب بخطيبته قبل الزواج حسب مقتضيات العصر بداعى الدراسة والتأمل؟ وما هى حدود مشاهدة الخطيب خطيبته؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى لما أثرت هذا السؤال مع فضيلته: اختلاط الخطيب بخطيبته حسب مقتضيات العصر من تقليد غير وارد فى الشرع.

ويوضح لنا الإمام الجليل أنه لما تطول الخطبة، يريد الله لها ألا تتم.

[٣٨٨]

شروط الخطبة وآثارها

س: ما هى شروط الخطبة وآثارها؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

الزواج عقد لا يتم إلا بالإيجاب والقبول بشروطهما الشرعية.

الإسلام يعتبر الزواج ميثاقًا وعقدًا، على أساس التفاهم المتبادل بين الطرفين الرجل والمرأة وشرطه: الإيجاب والقبول وحضور شاهدين، فلو أن خاطبًا ومخطوبته أعلنا إرادتهما بتراضيهما فى الاقتران أمام شاهدين معتبرين شرعًا ولم يكن ثمة مانع من زواجهما تم عقد الزواج بينهما سواء أكان ذلك أمام مأذون أو قاضٍ، أو لم يكن كأن يكون على يد موظف الحكومة المكلف بكتابة عقد الزواج، والزواج فى هذا يعتبر صحيحًا من الوجهة الدينية.

الخطبة:

١- هى طلب الرجل امرأة معينة للتزوج بها، والتقدم إليها وإلى ذويها والأفضل أن يرى الخاطب مخطوبته وترى المخطوبة خاطبها؛ حتى تأتلف القلوب ولا تندم بعد فوات الوقت فهى ليست بعقد.

٢- وحق الخطبة أن ينظر مرة إليها مع محرم لها فقط، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»(١).

٣- لكل من الخاطب والمخطوبة العدول عن الخطبة، وإذا عدل الخاطب عن خطبته، أو ردت المخطوبة خاطبها، ترد الهدايا كالحلى وغيرها إلى مهديها، إن كانت قائمة أما إذا استهلكت، كالأطعمة والعطور، فلا يرد بدلها شىء.

٤- إن ما دفعه الخاطب لمخطوبته على أنه من المهر، ومات قبل العقد الشرعى يكون بوفاته حقًا لورثته، ولا شىء منه للمخطوبة شرعًا.

٥- إذا صارت الشبكة جزءًا من المهر اتفاقًا، أو عرفًا أخذت حكمه، وكان من حق ورثة الخاطب استردادها إن كانت قائمة ومثلها، أو قيمتها إن كانت هالكة أو مستهلكة، ما دام العقد لم يتم.

٦- إذا لم تكن الشبكة جزءًا من المهر بالاتفاق أو العرف فى هذه الحالة تكن هدية وهبة يمتنع الرجوع فيها بموت الواهب أو الموهوب له.

[٣٨٩]

هل يجوز خطبة الرجل لابنته ؟

وهنا ينجلى موقف سيدنا شعيب مع موسى عليهما السلام: ﴿**قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ**﴾(٢).

عمر، وما أدراك ما عمر، فاروق الإسلام... والذى فرق الله بين الحق والباطل، عرض ابنته حفصة على سيدنا أبى بكر فرفض، ثم عرضها على عثمان ابن عفان فرفض أيضًا... وتألم عمر فى نفسه ألمًا شديدًا وأحس بمرارة ما بعدها مرارة... ثم تزوجها النبى -ﷺ-، فكان تشريفًا لها أن أصبحت أم المؤمنين.

وفى الصحيحين: «**لا تنكح البكر حتى تستأذن**»(٣).

---

(١) المسند (٤/ ٢٦٤). (٢) سورة القصص: ٢٧.

(٣) البخارى (٩/ ١٩١)، ومسلم (١٤١٩).

وقال -ﷺ-: «الأيم أحق بنفسها من وليها»(١).

[٣٩٠]

نظر الخاطب للمخطوبة

س: جاءنى شاب مسلم ليخطب ابنتى، وكان قد رآها مرة واحدة، وطلب منى أن يجلس يتحدث، وينظر إليها وأسأل: هل نظر الرجل لمن يريد الزواج منها ليس محرمًا؟

(جـ): سئل رسول الله -ﷺ- من المغيرة بن شعبة، عن امرأة خطبها، فقال: «**اذهب فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما**»(٢).

فأتى أبويها فأخبرهما بقول رسول الله -ﷺ-، فكأنهما كرها ذلك، فسمعت المرأة وهى فى خدرها، فقالت: إن كان رسول الله -ﷺ- قد أمرك أن تنظر فانظر، وإلا فإنى أنشدك، كأنها استعظمت ذلك عليه، قال: فنظرت إليها فتزوجتها، فذكر من موافقتها له {ذكره أحمد وأهل السنن}.

[٣٩١]

خروج الفتاة مع خطيبها

س: هل يجوز للفتاة التى وعدها شاب بالزواج وهو على خلق، ولكن ظروفه تمنعه من التقدم لخطبتها فى وقته الحاضر، فهل يجوز لها أن تخرج معه إلى الأماكن العامة، أو محادثته تليفونيًا، للتعرف عليه؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

كل هذا لا يجوز، لا محادثته، ولا الخروج معه، ولا الخلوة فى بيتها بغير محرم، وليس له إلا أن ينظر إليها مرة واحدة بمحضر من أهلها.

لقد أسرف الناس فى أمور الخطبة، وحولوها عشرة، وبرغم أن الأحداث أثبتت لهم سوء هذا النظام الذى ابتدعوه؛ بفشل كثير من الخطبات بعد أن دخل الخطيب بيت خطيبته، ويخرج معها، وبعد ذلك يتركها، لتجتر الآلام وحدها.

---

(١) مسلم (١٤٢١).

(٢) يؤدم بينكما: يؤلف ويستأنس.

[٣٩٢]

تحكم الآباء فى تزويج البنات لا يجوز

س: إن والدها طلق أمها قبل ولادتها، وهى تعيش مع أبيها منذ بلغت الثانية عشرة، وهو رجل متشكك للغاية، حتى إنه يمنعها من فتح النافذة، ومن الخروج من البيت إلا نادرًا، ويمنعها من زيارة أمها، وتقول إنه تقدم لخطبتها شاب ممتاز على خلق ودين، انشرح له صدرها، غير أن أباها رفضه لمجرد أنه قريب لوالدتها، وتسأل: هل إذا تزوجته فى بيت أمها، وبدون موافقة أبيها تغضب الله؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

ليس للأب أن يتحكم ويعترض على هذا الشاب، ما دامت مقاييس الإيمان موجودة فيه، ولمجرد أنه قريب للمرأة التى طلقها. قال الله تعالى: ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١).

فالإثم على الأب هنا، وللفتاة أن تجد وليًا آخر يزوجها من هذا الشاب، وقد بلغت الرشد.

(د) الزواج والعشرة

[٣٩٣]

إن يكونوا فقراء يغنهم الله

س: ما هو رأى فضيلة الشيخ فى اختيارى لفتاة أريد أن أتزوجها، وهى تتمتع بكل ما يتمنى الشاب فى زوجته من دين وخلق وجمال لغير أنها فقيرة وينصحنى أصدقائى باختيار أخرى ميسورة الحال، تساعدنى بمالها من دخل على مواجهة الحياة؟

(جـ): لقد قال الله تعالى فى كتابه الكريم: ﴿وَأَنكِحُوا الأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾(٢). إذن فلا تجعلوا

(١) سورة المائدة: ٨.

(٢) سورة النور: ٣٢.

القرطبى (١٢/ ٢٣٥) والطبرى (١٨/ ٩٦) والبيضاوى (٢/ ٥٨) والكشاف (٣/ ٩٣).

الغنى مقياسًا لاختيار الزوجة، ولكن اجعلوه مفتاحًا للرزق، ولقد أتى الله تعالى فى هذه الآية بشرط وجواب فقال تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ﴾.. وعندما يقوم الله ذلك فلابد أن يحدث، ولقد نبهنا رسول الله -ﷺ- إلى ذلك فقال: «من تزوج امرأة لحسبها كان حسبها عليه».. بمعنى أن يهدف الرجل بزواجه من امرأة ذات حسب وجاه؛ ليستفيد من حسبها وجاهها عندئذ ينقلب حسبها عليه، فيحدث بينهما نفرة وعداوة؛ فيكون بذلك قد اختار خصمه القوى، ومن يختر المرأة لمالها، ولاستغلال هذا المال، فسيراها بخيلة شحيحة متعالية؛ تذله بسبب المال، فيكون ذلك المال الذى قصده وبالاً عليه وتنغيصًا له.

ويأتى تعقيب الآية الكريمة: ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ فهذا تعقيب للآية يناسب المطلوب.. فما دام الكلام عن الغنى، فإن ما يحتاجه الإنسان هو السعة والله واسع، لا ينفد ما عنده أبدًا.. وحتى ولو افترضنا أن كل الناس أرادت أن تتزوج فتيات فقيرات ليتحقق قول الحق فى هذه الآية فإن الله يعطى كل واحد منهم.. ولكنا لا نجد ذلك فى الناس، فإذا وجدنا إنسانًا موسرًا يعطى الناس من ماله نجد الآخرين وقد حزنوا لأن ما يعطى هذا الرجل للآخرين قد ينقص نصيبه هو، وذلك الحزن ينتج؛ لأن هذا الإنسان يعلم أن ذلك الإنسان الموسر ينفق فى حدود لن يتعداها حتى لا ينفد ما عنده.. أما الله سبحانه وتعالى فالأمر هنا يختلف، فعندما يعطى لا يؤثر ما يعطيه لأحد على عطائه لغيره، فهو واسع يمكنه أن يعطى الجميع دون أن يؤثر ذلك على ملكه شيئًا، فالله جل جلاله عقب على هذه الآية بقوله: ﴿وَاسِعٌ﴾ أولاً لكى يعرف الجميع أنه يعطى الجميع، وهو ﴿عَلِيمٌ﴾: فهو عالم بنيتك والسبب الحقيقى لاختيارك لهذه المرأة، وهو يعطيك على قدر نيتك.

[٣٩٤]

زواج الأقربـــــاء

س: شاب أراد أن يتزوج.. ما هو الأصلح له.. الزواج من داخل عائلته أى: الأقرباء، أم الأصلح أن يبتعد فيتزوج من خارج عائلته؟ وما هى الحكمة من ذلك؟ نرجو توجيه النصح من فضيلة الإمام، جزاه الله عنا خير الجزاء.

(جـ): لقد نصحنا رسول الله -ﷺ- أن نتجنب فى حالة الزواج حين قال: **«اغتربوا لا تضووا»** لأن القريبات حين يتزوج منهن الإنسان يؤول أمر النسل إلى ضعف أما إذا اغترب فإن أمر النسل يؤول إلى قوة.

وفى العلم التجريبى الحديث أجريت التجارب فى عالم النبات على أن يكون النوعان بعيدين -وكانت النتيجة سارة (أتت من الذرة فى أمريكا) أضعاف أضعاف ما كانت تؤتيه قبل تفرق الذكورة والأنوثة، وتسمى هذه التجربة (تربية التهجين) أى كلما ابتعد الجنسان (الذكورة والأنوثة) كلما كانت الحصيلة أقوى- إذن نلمح بواسطة العلم التجريبى أن القرآن حينما حرم زواج الأمهات وزواج البنات، وزواج القريبات من الأدنى، إنما حرص على أن يوجد النسل الأقوى، وإذا ما ابتعد الإنسان. بهذه القرابة كان ذلك معناه إيجاد نسل قوى.. وقول الرسول -ﷺ-: «**اغتربوا لا تضووا**» أى: لا تهزلوا وتضعفوا، ولذلك شاع على ألسنة الشعراء فى العرب قولهم:

أنصح من كان بصيراً لهم   تزويج بنات أولاد العم

وأيضًا:

فليس ينجو من ضوى وسقم

ويقول فى وصف الشجاع:

فتى لم تلده بنت عم قريبة   فيضوى وقد يضوى سليل الأقارب(١)

فحين يوجهنا القرآن وتوجهنا السنة إلى هذا يكون قد لوحظ أول شىء فى التربية أن يكون الوليد الذى يؤمل عطاؤه من الله أن يكون وليدًا قويًا فى خصائصه، لأنه يجمع خاصية جنس واحد لا نوعًا واحدًا، الذى يكره إذا تزوج قريبة، ولكنه حين يتزوج من بعيدة يأخذ خصائص القوة من هنا، وخصائص القوة من هنا، فينشأ ذلك الوليد قوى.

[٣٩٥]

تفكير الزوجة فى غير زوجها

زوجة مراهقة تقول:

إنها تزوجت شابًا طيبًا صالحًا يحبها، ولكنها مضطربة نحوه، وهى دائمة المقارنة بينه وبين غيره من الشباب، وهى فى حيرة من أمرها، ولذلك تحتقر نفسها.

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

كفاك عذابًا أنك تحتقرين نفسك. وقد حكمت أنت بذلك على تصرفك

---

(١) يضوى: يهزل، ويصبح نضوًا، مهزولاً.

الخاطئ. . ولو قلنا نحن لك ذلك، وحكمنا عليك بما حكمت به على نفسك لكان حكمًا من الغير عليك. ولكن كونك حكمت أنت بنفسك على نفسك فإنك حينئذٍ لست فى حاجة لحكم الغير على هذا التصرف المشين.

وليست هذه المسألة مجرد قبح دينى، فحتى لو لم يكن للإنسان دين لكان هٰذا التصرف قبيحًا.

. ويجب أن تنتهى إلى أمر هام، وهو: أنك إن لم تحبى زوجك فإن الحب بين الناس نسبى، ولا تقنين له، ولكن أن تفرقى بين الحب والاحترام، فالمطلوب منك إن لم يمل قلبك مع زوجك عاطفيًا أن تحترميه فى العقد الذى أحلك له، فإن لم تقدرى على ذلك فمن اليقين الإيمانى أن تطلبى منه أن يسرحك، بدلاً من أن تعيشى معه مزدوجة العواطف.

[٣٩٦]

قوامة الرجل على المرأة

س: قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾(١).

فما معنى القوامة للرجل على المرأة؟ وهل تلك القوامة تفضيل من الله للرجل على المرأة؟

(جـ): يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: إذا قيل أن فلانًا قائم على أمر فلان، فما معنى ذلك؟ هذا يوحى بأن هناك شخصًا جالس، والآخر قائم. . فمعنى قوامون على النساء. . أنهم مكلفون برعايتهن والسعى من أجلهن وخدمتهن، إلى كل ما تفرض القوامة من تكليفات، إذن فالقوامة تكليف للرجل. ومعنى: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾. ليس تفضيلاً من الله عز وجل للرجل على المرأة كما يعتقد الناس، ولو أراد الله هذا لقال: بما فضل الله الرجال على النساء، ولكنه قال: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ فأتى ببعض مبهمة هنا وهناك. . ذلك معناه. . أن القوامة تحتاج إلى فضل مجهود، وحركة وكدح من ناحية الرجال، ليأتى بالأموال يقابلها فضل من ناحية أخرى، وهو أن للمرأة مهمة، لا يقدر عليها الرجال، فهى مفضلة عليه فيها. . فالرجل لا يحمل ولا يلد

---

(١) سورة النساء: ٣٤.

ولا يحيض، ولذلك قال تعالى فى آية أخرى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(1).

لمن الخطاب هنا؟ إنه للجميع. وأتى بكلمة البعض هنا أيضًا، ليكون البعض مفضلاً فى ناحية، ومفضولاً عليه فى ناحية أخرى، ولا يمكن أن تقيم مقارنة بين فردين لكل منهما مهمة تختلف عن الآخر.

ولكن إذا نظرنا إلى كل من المهمتين معًا، سنجد أنهما متكاملتان. فللرجل فضل القوامة بالسعى والكدح.

أما الحنان والرعاية والعطف فهى ناحية مفقودة عند الرجل؛ لانشغاله بمتطلبات القوامة. ولذلك فإن الله عز وجل يحفظ المرأة لتقوم بمهمتها ولا يحملها قوامة بتكليفاتها لكى تفرغ وقتها للعمل الشاق الآخر الذى خلقت من أجله.

ولكن الشارع أثبت لنا أن الرجل عليه أن يساعد المرأة. فقد كان -ﷺ- إذا دخل البيت ووجد أهله منشغلين بعمل يساعدهم، مما يدل على أن مهمة المرأة كبيرة، وعلى الرجل أن يعاونها.

إن المرأة تتعامل مع أجمل الأجناس على الإطلاق مع الإنسان، فهى تربى سيد الوجود، بينما الرجل يتعامل مع الجماد والتراب مع النبات والحجر والحيوان.

[٣٩٧]
عورة المرأة

س: ما حدود عورة المرأة؟

(جـ): إن ستر جسم المرأة أمر شرعى لا جدال فيه.. والعلماء قد اتفقوا على أن جسم المرأة كله عورة ما عدا كفيها ووجهها.. وقد زاد أبو حنيفة: ورجليها حتى الكعبين. وهو الأفضل، لأن الرجلين أقل شهوة من اليدين والوجه.. وعدم ستر هذه الأشياء، حتى تعرف وسط الأهل والأقارب، وحتى تستطيع المتاجرة والبيع والشراء..

إذن فلا يجوز شرعًا للمرأة أن تكشف إلا عما قال به العلماء..

وهذا هو المفهوم من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ

---

(1) سورة النساء: ٣٢.

الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾(١).

وفى الحديث أن رسول الله -ﷺ- قال لأسماء بنت أبى بكر: «**يا أسماء: إن المرأة إذا بلغت المحيض لا يجوز لها أن تظهر إلا كفيها ووجهها**»(٢).

وعلى هذا فإن المرأة التى تغطى شعرها ويديها ولا تغطى رجليها، تكون قد ارتكبت أمرًا محرمًا وخالفت شرع الله، وعليها أن تسارع بستر رجليها حتى لا تتمادى فى معصية الله.

[٣٩٨]

الزواج العرفى

الزواج العرفى يتم بموافقة الطرفين: طلب، وقبول، وبشهادة الشهود، لكن لا يتعدى دائرة الشهود فى الغالب، وتكون السرية أهم سماته، ولذلك فإنه يفتقر إلى أهم ركن من أركان الزواج الشرعى: وهى العلنية.

لما أن سأل الدكتور السيد الجميلى فضيلة الشيخ الشعراوى عن هذا النوع من الزواج أفاد فضيلته بالآتى:

هو زواج شرعى، ولكن بشرط ألا يفقد العلنية، وألا يشترط فيه ألا يذاع لأن فى ذلك حماية لوقوع الناس فى أعراض من يتزوجون عرفيًا.

والقانون الوضعى هو الذى حدد فقط الزواج الرسمى؛ حتى يستطيع أن يرتب عليه حقوقًا، ولذلك حكم بالنسب، وإن لم يكن الزواج رسميًا.

تعقيب وبيان

جاء الإسلام ليحمى أعراض الناس من الناس، فلابد لصحة الزواج من شرط العلنية، بأن يذاع على الناس أن فلانًا قد تقدم لخطبة فلانة وقبلت؛ حتى تحمى الأعراض من القيل والقال؛ لأن هناك وهنا فى كل المجتمعات وفى كل العصور ألسنة سليطة على أعراض الأبرياء، وحماية آثار الالتقاء من تنصل الرجل حتى يحمل كل إنسان مسئولية قرعه، ويحمله علنًا أمام المجتمع بكل تبعاته، وحتى يتسنى للرجل أن يحمل تبعات هذه الآثار أدبيًا.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٩.

انظر الكشاف للزمخشرى (٣/ ٢٧٢، ٢٧٣).

(٢) فالعورة بموجب هذا الحديث تشمل كل جسد المرأة ما خلا وجهها وكفيها.

[٣٩٩]

زواج الهبـــة

الوهبة أن تهب امـرأة نفسها لـرجل، فى حالة عدم وجود كـاتب أو شاهد مثلمـا يجرى فى الصحارى، وفـيه الطلب والإجابة أى الإيجاب والقـبول، والمثل على ذلك فى تزويج السيـدة هاجر من سيدنا إبراهيم عليـه السلام، حيث وهبت نفسها له. وقد كان ذلك شرعًا خاصًا بهم.

وقد وردت الوهبة بصريح اللفظ فى القرآن الكريم فى قوله تعالى: ﴿ **وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ** ﴾(١). وهذا مخـصوص بالنبى -ﷺ-، وليس على إطلاقه للأمة...

وفى هذا النوع من الزواج يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى.

المهم فى حكمـية الزواج علينـا أن نحمى أعـراض الناس من الناس، وهى قطعة من الزواج العـرفى، والشهـود اشتراطهـا؛ لكى تتأكد من أن المتـزوجة هى بعينها، من يريد الزوج أن يأخذها، وبأن القائم بأمـرها وليها، وإلا فما يدرينى إن حصل بين رجل وامرأة أنه لم يتزوج، وأنها كذلك.

[٤٠٠]

زواج المتعـــة

تمهيد:

زواج المتعة هو زواج مقيـد محدد بفترة زمنية محددة، يفـسخ بعدها العقد، وينصرف عندئذ كل من الطرفين إلى حال سـبيله، واختلف العلماء فى مشـروعيته فالبعض وعلى رأسهم الإمام الفخر الرازى فى تفسيره الكبير ذكر أن زواج المتعة قد أباحه النبى -ﷺ- لفترة معـينة ولم ينسخ، وأضاف بعض المؤيدين لهذا الرأى أنه إن كان هذا النوع من الزواج يمنع ارتكاب مآثم وانحرافات ذريعة، فإنه لا مانع فيه -فى رأيهم- إلا أن كثيرين من العلماء أكدوا أنه حرام قطعًا؛ لأنه نسخ فيما بعد، لكن لم ترد أحاديث صحيحة قوية فى هذا الصدد.

---

(١) سورة الأحزاب: ٥٠.

وعلى العموم، فلقد تأكدنا بما لا يقبل المجادلة أن هذا النوع من الزواج لا يلجأ إليه الأسوياء من الناس، وفى ظروف غامضة، وأنه يفتقر إلى صلب التشريع من الرحمة والمودة والسكن، وهذا مما يفسد مشروعيته، ويبطل حكمته.

كان لابد من عرض قضية هذا الزواج على فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى الذى سرعان ما اختلج، وانفعل غيرة وحماسًا على منهج الله وقال:

«إن التقييد من حماقات الناس».

وقد قال -ﷺ-: **«ألا إنى قد كنت أبحت لكم زواج المتعة، وإنى أنهاكم عنه»**(١).

ثم قال فضيلة الإمام العالم الجليل:

لا أدخل إن صح عندهم النسخ أم لا يصح، ولكن زواج المتعة حمق ممن يفعله، وجهل يحق الإنسان فى أن يطلق متى يشاء من شاء.

ومن جعل النية مجرد الاستمتاع على غير نية الدوام، ومن قال: إن الرجل حين يتزوج زواجًا غير مشروط بزمن أن يأتى أى زمن ينفصل فيه عمن تزوج، وإذا كان ذلك مريحًا للرجل، ومخرجًا له من عنت ظروفه، فكيف تقبل المرأة أن تكون متعة موقوتة على نية الراغب فيها، يحدد وقت الرغب عنها والزهد فيها؟؟!

شىء آخر: وما الذى يضمن لهم بقاء الظروف الخاصة!

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

ألا يعلم هؤلاء الحمقى من الناس أن التشريع قد وسع عليهم بأن جعل العصمة فى يد الرجل، وأنه بيده الطلاق أى وقت متى شاء، وهذا عطاء وتيسير وسعة، فيأتون هم أنفسهم، ليضيقوا الخناق على أنفسهم... أليست تلك سفاهة حقًا!

أليس ذلك غباءً أن يضيق إنسان على نفسه، وقد وسع الله عليها وأنعم؟؟!!
فلو تزوج رجل يومًا واحدًا، ثم طلق فى اليوم التالى... لا عليهم من حرج.

ولا يمكن أن تدوم سعادة الحياة إلا بدوام العشرة الطيبة، واستمرار الألفة بين

---

(١) أى أن الإباحة كانت موقوتة، ولم تشرع على التأبيد.

الرجل والمرأة، وقد وضع الإسلام وأرسى قواعد وأطناب الحب الثابت الراسخ، بدلاً من الحب المضطرب فى رباط مقدس، وآصرة نبيلة راقية، وكرم التقاء الجنسين بنية الدوام حتى يتوفر تبادل العطاء والوئام. وحذر من اتخاذ المنهج من الطبيعة إذ أن مذهب الطبيعة فى الأكل والشرب لا يتمشى مع مذهب الحب الصادق، لأن المأكل والمشرب يتوخى فيه الناس كل جديد، وكل شائق مثير، والحب الشهوانى قاعدة الزواج المتصدع من أساسه.

[٤٠١]

يكفرن العشير

س: علمت أن المرأة هى أكثر الناس دخولاً للنار فلماذا..؟

(جـ) يقول الرسول -ﷺ-: **«إنهن يكفرن العشير. لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليها مرة واحدة قال: ما رأيت منك خيراً قط»**(١).

ومعنى يكفرن: يسترن ويجحدن.. والعشير هو الزوج.. فإذا كانت هذه هى العلة.. فالتى لا تريد أن تكون من أهل النار فلتمتنع عن هذه الخصلة، وتذكر عندما يسىء إليها زوجها أنه أساء لها مرة.. لكنه يحسن إليها دائمًا، وبذلك ترضى بزوجها وتسعد فى حياتها معه ولا تكفره فتستحق بذلك الجنة إن شاء الله.. ولقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راضٍ دخلت الجنة»**(٢).

ونسأل الله لك أن تكونى هذه الزوجة.

[٤٠٢]

المعاملة بالمثل

س: ما هى الحكمة من أن الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج كتابية (من أهل الكتاب من اليهود والنصارى) ولم يبح للكتابى أن يتزوج مسلمة تمشيًا مع مبدأ المعاملة بالمثل...؟!

---

(١) المسند (١/٣٥٩).

(٢) الترمذى (١١٦١) وابن ماجة (١٨٥٤) وهو ضعيف الإسناد؛ لجهالة مساور الحميرى، والراوى عنها وهى أمه.

(جـ): إن الرجل بالفرض الطبيعى فى كل مجتمع، هو القيم المهيمن على شئون الأسرة. وإذا كان مسلمًا فإنه يتعامل فى إطار دين يحتم عليه إن أحب امرأته أن يكرمها، وإن كرهها لا يظلمها، فهو مأمون عليها أمانة تجعل الحياة بينهما حياة هادئة رتيبة.. ثم الزوج الذى أؤتمن على الكتابية يؤمن برسولها، ولكنها على العكس، لا تؤمن برسوله، وعلى هذا فلأن تكون المرأة تحت من يؤمن برسولها خيرًا من أن تكون المرأة تحت من لا يؤمن برسولها.

[٤٠٣]

هل كان التعدد موجودًا قبل الإسلام؟

س: هل كان تعدد الزوجات موجودًا قبل الإسلام؟ أم جاء به الإسلام؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: لم يجئ الإسلام بمبدأ التعدد؛ لأنه جاء والتعدد أمر قائم فى الصلة بين الرجل والمرأة، فقد كان التعدد قائمًا قبل الإسلام.

ولقد جاء الإسلام يحدد التعدد، ويقصره على أربع بالنسبة لغير الرسول؛ حتى إن الرسول -ﷺ- خاطب من كان عنده أكثر من أربع نسوة بقوله: «**أمسك أربعًا وفارق سائرهن**»[1] مما يدل على أن الواقع كان أكثر من أربع، فالذين لا يفهمون هم الذين يرمون الإسلام بأنه جاء بالتعدد، والحق أنه جاء بوضع حد للتعدد، ولكن خصوم الإسلام ينتقلون إلى شىء آخر، وهو أن الرسول لم يلتزم بقوله: «**أمسك أربعًا وفارق سائرهن**»[2] إن إمساك الأربع استبقاء لحقوقهن الزوجية كلها، ولكن مفارقة البقية هى التى تحرم عددًا من النساء من زوجية كانت قائمة، ولكن هذا الحرمان يقطعه ألا تمنع أية امرأة من هذا النوع من أن تجد لها زوجًا آخر فى حد الواحدة، أو الأربع، وعند ذلك فالنبى كان متزوجًا من تسع، ووقت التشريع زوجاته أمهات المؤمنين، ويحرم على أى مؤمن أن يتزوجهن، فلو فارق منهن واحدة لن تتزوج غير النبى، فلابد أن يمسكهن.

---

(١)، (٢) والعمل بهذا واجب ملزم للأمة، وبموجبه أخذ، وعمل، وأفتى جمهور الصحابة والتابعين جميعًا.

[٤٠٤]

حكم تعدد الزوجات

س: ما حكم الإسلام فى تعدد الزوجات؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

١- قال الله تعالى:

﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾(١).

الآية القرآنية أباحت التعدد، ولكن شرطت العدل بين الزوجات، والأمن من الظلم بمعنى المساواة فى الإنفاق، والإسكان والمبيت وحسن العشرة وكل واجبات الزوجة.

٢- النص القرآنى ضيق دائرة إباحة التعدد أشد تضييق، لأنه جعل مجرد الخوف من الظلم محرمًا للتعدد، وموجبًا للاقتصار على زوجة واحدة.

٣- وقد كان الحبيب المصطفى يوصى بقوله: «**من كانت له امرأتان يميل لإحداهما على الأخرى، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل**»(٢).

٤- والعدل المطلوب فى الآية القرآنية، هو العدل الظاهر، وليس فى المحبة القلبية، فإن ذلك لا يستطيعه أحد.

روت السيدة عائشة كان رسول الله -ﷺ-: «**يقسم فيعدل ويقول: اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك**»(٣)، يعنى الرسول الميل القلبى المذكور فى قوله تعالى: **﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ﴾**(٤).

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن الله سبحانه وتعالى لم يشرع زواج الرجل بالمرأة لتخدمه. فالقصد من الزواج أشياء كثيرة. والخدمة ليست الأصل في

---

(١) سورة النساء: ٣.
(٢) سنن النسائى (٧/ ٦٣).
(٣) الجامع الصحيح للترمذى.
(٤) سورة النساء: ١٢٩.
راجع تفسير الطبرى (٩/ ٢١٩).

الزواج، ولكنه أمر يأتى مع الزواج، حتى أن المرأة لو رفضت الخدمة، فإن الرجل يأتى لها بمن يخدمها إن تيسر له ذلك.

إذن فالزواج ليس خدمة الرجل، ولكن القصد من الزواج هو إعفاف الرجل، فهب أن امرأته لا تعفه، ولو أن الرجل وجد فى امرأته معنى يناقض هذا الإعفاف، فلا يجوز أن نجعله يتطلع إلى سواها ويلهو فى أعراض الناس، لكى لا يشاركها أحد.

والآفة فى مناقشة الرأى أننا نناقشه من وجهة نظر واحدة. فما معنى أن رجلاً متزوجًا تقدم لامرأة وقبلت أن تكون زوجة ثانية؟ معنى ذلك أنها استعرضت أمرها، فوجدت أن قبولها أن تكون زوجة ثانية هو خير أحوالها بل أننا نجد أخرى، وقد وجدت أن خير أحوالها أن تكون زوجة رابعة.

ولكى يكون الحكم على الرأى موضوعيًا، فعلى المرأة أن تأخذ الحكم لها وعليها، ولا تأخذه لها فقط. ولما أباح التشريع تعدد الزواج، ضمن المرأة الأولى أن تعيش مع زوجها وضمن لها كل حقوقها. وأما إن كان للمرأة حساسية من زواج زوجها من امرأة أخرى غيرها، فلها أن تشترط فى العقد أن تطلق إن تزوج بأخرى، ولكن لا يصح لنا أن نجادل فى أمر أحله الله لحكمة قد لا نعلمها.

وما يحدث من مشكلات فى تعدد الزوجات، ينشأ نتيجة أن الناس أخذت حكم الله فى إباحة التعدد، ولكن لم تأخذ حكمه فى حتمية العدالة، فلقد حكم الله على من يعدد بأن يعدل بين زوجاته.

ولكن لما لم يعدل الرجال تشكك الناس فى حكم الله فى التعدد، ولكن لو أنهم عدلوا ولم يظلموا، لما حدثت الحساسية من التعدد.

ولقد اشتكت امرأة زوجها، لأنه أقبل على العبادة، ولم يعطها حقها؛ فرفعت المسألة إلى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-؛ فقالت له: إن زوجى يصوم النهار ويقوم الليل، وأنا لا أحب أن أشكوه بطاعة الله. فلم ينتبه عمر إلى شكواها وقال: نعم الرجل هو. ولكن أحد الرجال كان يحضر المناقشة، فقال له: إنها تشكو انشغال زوجها عنها. فقال له عمر: أما إنك قد فهمت كلامها، فاحكم بينهما. فقال الزوج: إنه أقبل على العبادة لخوفه من الله عز وجل، فحكم الرجل بأن يتعبد الزوج ثلاث ليال، ويقوم فيها الليل، ويتعبد كما شاء، وأن يبقى مع

امرأته الليلة الرابعة؛ لأن الله قد أباح للرجل أن يتزوج أربعًا. فرد عمر على ذلك قائلاً للرجل: لأى أمريك أعجب؟ ألأنك فهمت أمرهما، أم لأنك حكمت بينهما؟ أما والله ما دمت قد فهمت وحكمت، فلأولينك قضاء البصرة.

[٤٠٥]

لماذا أبيح التعدد للرجل ولم يبح للمرأة؟

سألنى أحد الطلبة المشتغلين بالدراسات الإسلامية:

لماذا أبيح التعدد فى الزوجات للرجل، ولم يبح للمرأة تعدد الأزواج مقابل ذلك؟

والحقيقة أن هناك إحصائيات وردت تؤكد أن نسبة عالية من سرطان الرحم تحدث بين النسوة اللائى يمارسن البغاء فى أمريكا وأوروبا، لتعدد مصادر الماء فى المكان الواحد (فرج المرأة)، وكان هذا عقوبة للزناة فى الدنيا قبل الآخرة.

ولما أن عرضت هذا السؤال على فضيلة الشيخ الشعراوى، أفاد أنه سئل هذا السؤال فى (أمريكا) فأجاب نفس الإجابة، ثم أضاف فضيلته:

لا يمكن أن يوجد تعدد من الرجال إلا إذا وجد فائض من النساء.

ولنفرض أن النساء الموجودات هن بعدد الرجال، ونأتى لنتزوج واحدة فهل أجد؟؟ لا يمكن. . . ، إذن ما دمت قد وجدت واحدة، وثانية، وثالثة، فمعنى ذلك أن العدد زائد واحدة.

والاحصاءات تدل على أن عدد الرجال أقل من عدد النساء، وفى كل إناث الحيوانات العدد أكبر، والرجال دائمًا عرضة للإصابات فى أحداث الحياة التى يتعرضون لها فى مجالات أعمالهم بالإضافة للحروب.

وما دام عدد النساء أكبر من عدد الرجال، فهناك أحد أمرين: إما أن نتركهن عانسات، ويكون لهن حالتان اثنتان واحدة تعيش شريفة، ولا يمكن أن تفك عن غرائزها فى أى شىء محرم، وتكون حالتها مكبوتة، سيئة معقدة أشد التعقيد، ومن هنا ينشأ الفساد والتحلل فى أوصال المجتمع.

لذلك أباح الشرع أن يعدد الرجل من زوجاته، حتى لا يوجد هذا اللون من

ألوان تعب المجتمع، واشترط شووطه. وهناك حالات أخرى مثل مرض الزوجة الأولى مثلاً، أو المرأة التى لا تنجب، إلى آخر هذه الحالات التى لا يخلو منها أى مجتمع، ومن هنا فإن الدين الإسلامى هو دين الفطرة الطيبة، دين الحياة والحكمة الخالدة. . .

[٤٠٦]

ما يحل من المرأة للرجل وهى حائض ؟

س: أتى رجل رسول الله -ﷺ- سائلاً: ما يحل من امرأتى لى وهى حائض؟

(جـ): فقال: «**تشد عليها إزارها، ثم شأنك بأعلاها**»(١).

[٤٠٧]

كفارة من أتى حائضًا

س: ما كفارة من أتى زوجته وهى حائض؟

(جـ): الوطء أثناء الحيض يسبب تعفن الرحم، فضلاً عن أنه قد يسبب العقم، فهو من أشد الأمراض إيلامًا للمرأة، حيث تقاسى منه آلامًا فى الحوض لا تطاق، وارتفاعًا فى درجة الحرارة والمضاعفات الأخرى الخطيرة التى تكون نتيجة ذلك التعفن.

هذا بالنسبة للمرأة، أما بالنسبة للأضرار التى تصيب الرجل، فمن أهمها: التهابات حادة تصيب أعضاءه التناسلية إذ تمتد الجراثيم، داخل القناة البولية، بل قد تصيب الإحليل وغدة كوبر، والبروستاتا، والحوصلة المنوية، والخصيتين، والبربخ.

أما بالنسبة للكفارة: فعن ابن عباس، عن النبى -ﷺ- قال: «**إن الذى يأتى زوجته وهى حائض يتصدق بدينار أو بنصف دينار**»(٢).

والحديث يدل على وجوب الكفارة على من وطئ امرأته وهى حائض.

---

(١) مالك فى موطئه.

(٢) حسنه السيوطى فى الصغير (٢/٥٠٦/ ٨٩٢) والمسند (٢/٤٠٨) و(٤٧٦).

[٤٠٨]

الكذب على الزوجة

س: هل أكذب على امرأتى، حتى لا تتوتر الحياة الزوجية، إذ إنها عصبية المزاج والصراحة المطلقة معها فى أمور حياتنا تضايقها، والكذب أحيانًا يريحها. فهل هذا حرام؟

(جـ): سئل -ﷺ- مثل هذا السؤال: هل أكذب على امرأتى؟ فقال -ﷺ-: «لا خير فى الكذب»(١) فقال: يا رسول الله، أعدها وأقول لها؟! فقال رسول الله -ﷺ-: «لا جناح عليك»(٢).

[٤٠٩]

كشف العورة بين الزوجين

س: هل هناك حرج فى كشف العورة بين الزوجين، ومشاهدة كل منهما الآخر؟

(جـ): أنسب للإنسان الاحتشام.

ومثلنا على ذلك على -كرم الله وجهه-.

[٤١٠]

حلول الغرائز

س: بالنسبة للمشاكل الأسرية التى تندلع بين الزوج وزوجه. أيًا كان سببها... ما الإجراء السليم فى كبح جماحه؛ حتى لا يستشرى، ويصدع الآصرة الزوجية؟

(جـ): وينصح الشيخ الشعراوى بعلاج هذه المسألة علاجًا نفسيًا طبيًا، عظيم النفع، جم الفائدة، فيه الدواء الشافى بإذن الله.

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن أى نزاع بين رجل وامرأة، إذا تعدى للغير

---

(١)، (٢) أخرجه مالك فى موطئه.

اتسع واستعصى على العـلاج، وإن لم يتعد، لا يتسع، ومع قليل من الوقت تحله الغرائز.

ويؤكد الشـيخ الجليل أن توافق الأسرة بين الرجل والمـرأة، هو خير ضـمان لانسجام المجتمع.

[٤١١]

غسل الشعر كله فى غسل الجنابة

س: هل يجب غسل الشعر كله عند الغسل من الجنابة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

نعم، بالطبع يجب غسل الشعـر كله عند الغسل من الجنابة، ولكن المرأة لا تنقض ضفيرتها، ويجب أن يتخلل الماء كل الشعر.

[٤١٢]

صحة الصلاة مع وجود إفرازات

س: تسأل السيدة سلوى على الدين:

هل يمكن الصلاة مع وجود إفرازات؟

(جـ): إن لم يكن العلاج لهـذه الحالة طبيًّا، وإلى أن يتم العلاج، يمكن للمرأة أن تصلى مع وجود الإفرازات، على أن تتـوضأ لكل صلاة وضوءاً خاصًّا، فلا تصلى الظهـر والعصر بوضوء واحد، ولو لم ينتـقض وضوءها الأول، ولكن يجب أن تتوضأ لكل فرض وضوءاً خاصًّا، وتصلى، وتتم صلاتها، حتى مع نزول الإفرازات، على أن تحتاط الاحتياط اللازم لمثل هذه الحالات.

[٤١٣]

القـادم الجديـد

س: حول نتائج استخدامات بعض الأجـهزة الحديثة مثل الوحدات المتطورة للأجهـزة الخاصة بالموجات فـوق الصوتية، التى تستطـيع الكشف عن الحمل المبكر بدون أخطار استـخدام الأشعـة العادية، فهى تكشـف أيضًا عمـا يوجد بالجنين من

تشوهات خلقية: كجنين بدون رقبة مثلاً، أو جنين مبتور الذراع، أو ثالث مبتور الساق.. إلخ، والتساؤل الذى يثيره البعض: هل يجوز فى هذه الحالة أن يقوم الطبيب بالإجهاض رحمة بالجنين، وحماية للمجتمع من قادم جديد مشوه...؟!

(جـ): حول هذه القضية الهامة يتولى الإجابة عنها مولانا فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فيقول: الذى يحاول أن يعدل فى صنعة هى الصنعة التى يصنعها، وتفسد فى يده له أن يصلح فيها، إنما أمر من صنعة غيره: الشذوذ فيها مقصود له.. يعنى كونه يخلق إنسانًا أعمى هذا مقصود لصانعه.. مبتور الذراع أو مبتور الساق.. مقصود لصانعه أيضًا.. ذلك لأن الصانع هنا يريد أن يلفت النظر إلى نفسه..!!

وسبق أن قلت: إنك لا تنتبه إلى عينيك وإلى نعمة الله فى عينيك إلا إذا رأيت أعمى يتعثر.. لا تحمد الله، وتتذكر أن لك ساقًا إلا إذا رأيت شخصًا «أعرج».

إذن فهذه المسائل التى يصنعها الخالق.. قد تقول: إنها تشويه.. هى تشويه فى جزئية.. لكنها تجميل فى الكل.. لكى يلفت جميع الناس إلى نعمة الله.. فكونك تقول: إنه سيكون مشوهًا.. هذا الكلام يمكن أن ينطبق على شىء تصنعه أنت: مثلاً صنعت دولابًا، ووجدته غير مضبوط يمكن أن تعدله.. إنما خالق أعلى منك.. خلق.. لا تقول: إن هذا مشوه.. لا تنظر هذه النظرة الحمقاء السطحية.. أنت لا تعرف الحكمة فى إنشاء هذا الكون.

ولتوضيح هذا الأمر نقول: الشواذ فى الكون.. هل هم أغلبية أم أقلية..؟ أقلية بالطبع!! وهم وسائل إيضاح فى الكون..!! لماذا؟ لكى يلفت الله الإنسان إلى هذا النعم، ثم يخرج من ذهن الإنسان أنها مسائل أتوماتيكية رتيبة.. يعنى الرجل والمرأة يجتمعان؛ والبويضة والحيوان المنوى وهكذا.. نقول له: لا.. هناك قوة أعلى من ذلك.!

والدليل على ذلك أن كل هذه الأشياء جاهزة.. ولكن نجد إنسانًا بهذا الشكل وإنسانًا آخر بشكل مختلف. هناك مدرسة ألمانية قديمة: مدرسة (جيبيل)، ومدرسة (بختر) أحدهما قال: إن الشذوذ فى الكون دليل على أنه لا إله يبرز الأشياء بحكمته.. أما الآخر -وهى مدرسة معاصرة لنفس المدرسة الأولى- قال: عدم الشذوذ فى الكون دليل على أن القوانين هى التى تحكم الكون، وإلا لو كان هناك إله يتحكم لشذ القانون فى ناحية هنا، وناحية هناك.

أحدهما قال: الشواذ دليل إلحاد، والثانى أخذ عدم الشذوذ دليل إلحاد.. نقول لهما: أنت غبى، وهو غبى.. إن من أراد الشذوذ دليل إيمان بأن هناك قوة أعلى من القوانين، ولذلك تتخلف القوانين.. هذا الدليل موجود -ولكن فقط فى الجزئيات، ومن أراد النظام موجود.. ولكن فقط فى الكليات.

ليس هناك شذوذ فى أمر كلى؛ لأن الشذوذ فى أمر كلى يحطم الكون كله.. ولذلك لا تجد شذوذًا فى قوانين السماء والأرض والشمس.. إلخ. إنه يصنع الشذوذ فى فرد.. فلو شذ فرد يكون هناك فرد آخر غير شاذ..!!

ولذلك نقول: يا من تريد الشذوذ دليلاً على وجود قوة أعلى من القوانين.. هذا الدليل موجود، ولكن فقط فى الجزئيات، ومن تريد ثبات النظام دليلاً على حكمة الخالق.. هذا الدليل موجود، ولكن فقط فى الأمر الكلى.

إذن ما دام عقل اتجه على أنه شذوذ، وعقل آخر اتجه على أنه لا يوجد شذوذ.. نقول له: الاثنان موجودان.. ولكن بدلا من أن يوجد الشذوذ فى الناموس الكلى -فيتحطم الكون- يوجد الشذوذ فى الجزئيات.

وعلى هؤلاء الذين يتساءلون ويريدون الإجهاض، أو فتك تلك الروح نقول لهم: إن الإنجاز الحقيقى هو بدلاً من أن تجد شاذًا فتجهضه وتنهيه، عليك أن تصلحه قبل أن يكون شاذًا.. ولكن إعدامه عملية سلبية.. إنك لم تصنع شيئًا..!! إن من يريد أن يقتل المشذة أو الشاذ لم يدرك الحكمة فى الوجود.. ونحن فى طبيعة أمورنا حينما ندرب مجموعة أشخاص على شىء معين.. نأتى مثلاً بالوردة، ونقطفها، ثم نشرحها.. وسيلة إيضاح تالفة تمامًا..!!

والخلاصة أن من يرَ أن يحقق إنجازًا للبشرية، لا يعدم هذه الروح، وإنما يبحث عن أشياء تمنع هذا الشذوذ والتشويه.

[٤١٤]

حكم التجبية

س: سألته -ﷺ- امرأة من الأنصار عن التجبية (وهى وطء المرأة فى قبلها، من ناحية دبرها).

(جـ) فتلا عليها قوله تعالى:

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(١).

وسأل -ﷺ- عمر -رضي الله عنه- فقال: يا رسول الله، هلكت. قال: «وما أهلكك؟» قال حولت رحلى البارحة، فلم يرد عليه شيئًا، فأوحى الله إلى رسوله: «﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾(٢)، **أقبل، وأدبر، واتق الحيضة والدبر**». {ذكره أحمد والترمذى}.

وهذا الذى أباحه الله ورسوله من الوطء من الدبر، وليس فى الدبر.

وهو القائل -ﷺ-: «**ملعون من أتى امرأته فى دبرها**»(٣).

وقال: «**من أتى حائضًا أو امرأة فى دبرها، أو كاهنًا فصدقه، فقد كفر بما أنزل على محمد**»(٤).

[٤١٥]

معاشرة الزوج القاتل خطأً

س: ارتكب زوجى جريمة قتل بالخطأ، فهل الاستمرار فى معاشرته حرام أم حلال؟ لقد أرقت هذه المسألة ليلى، وشغلت نهارى، ومزقت فكرى، وفؤادى، فهل نجد عند مولانا الشيخ الشعراوى ما يثلج صدرى، ويطمئن خاطرى، وله من الله الجزاء؟

(جـ): هونى عليك، فما دام هذا الرجل لم يعمد إلى القتل، ولكنه قتل من قتله خطأ وبدون قصد القتل، فهو يستطيع أن ينفذ ما شرعه الله فى هذا الخصوص، ولا شىء على زوجته، ومعاشرته حلال، ولا شأن للعلاقة بينها وبين زوجها وبين ما حدث.

[٤١٦]

نشوز المرأة المصاب زوجها بمرض عقلى

بعثت إلى امرأة مسلمة تستفسر عن: كيف تكمل مع زوجها مشوار الحياة

---

(١)، (٢) سورة البقرة: ٢٢٣.

الحرث: الزرع، وهو هنا كناية عن الجماع، وفى مجاز القرآن كناية وتشبيه (راجعه ٧٣) والطبرى (٤/ ٤١٥).

(٣) المسند (٢/ ٢٧٩).

(٤) المسند (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦).

التى أصبحت جحيمًا لا يطاق؟، فلقد تزوجته عاقلاً حكيمًا، ولكنه فجأة أصابه مرض عقلى جعله عصبى المزاج، يضرب، أحيانًا، ويركل أحيانًا أخرى، وأصبحت حياتى معه جحيمًا لا يطاق... فما العمل؟

إننى أريد الطلاق، فهل هذا من حقى أم لا؟

(جـ): وأثارت هذه الرسالة ثائرتى، حيث قلت: سبحان الله إذا ذهب عقل الإنسان لا يساوى شيئًا، بل إن أقرب أقربائه ينفر منه، وينصرف عنه.

وعرضت المسألة على الشيخ الشعراوى، فقال فضيلته:

ترفع أمرها للقاضى.

ثم قال: هذا هو العيب المستور.

[٤١٧]

حكم المستحاضة ولمس المرأة

س: ما حكم المستحاضة؟ ولمس المرأة والطهارة الظاهرة والباطنة؟

يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: حكم المستحاضة:

الاستحاضة هى عبارة عن استمرار نزول الدم فى أوانه.. والمستحاضة إذا كانت مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة فإنها تعتبر هذه المدة المعروفة على مدة الحيض فلا تصلى فيها ولا تصوم.. والباقى استحاضة، لما روى عن أم سلمة -رضي الله عنها-: أنها استفتت النبى -ﷺ- فى امرأة تهراق للدم، فقال: «**لتنتظر قدر الليالى والأيام التى كانت تحيضهن وقدرهن من الشهر فتدع الصلاة، ثم تغتسل، وتستغفر ثم تصلى**»[1] رواه مالك. والشافعى، والخمسة إلا الترمذى.

وأما إذا كانت أيام الحيض غير معروفة لها، أو نسيتها، ولا تستطيع تمييز دم الحيض؛ فإنها فى هذه الحالة يكون لحيضها ستة أيام أو سبعة على غالب عادة النساء.. وما زاد على غيره، وفى هذه الحالة تعمل بالتمييز.. لما روى عن فاطمة بنت أبى حبيش: (أنها كانت تستحاض) فقال لها النبى -ﷺ-: «**إذا كان دم**

(١) رواه الخمسة إلا الترمذى كذا رواه مالك فى الموطأ والإمام الشافعى.

الحيض فإنه أسود يعرف.. فإذا كان كذلك فأمسكى عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضئ وصلى، فإنما هو عرق»(١) أى دم عرق انفجر.

وللمستحاضة أحكام تتلخص فيما يأتى:

١- عليها أن تصوم.

٢- يجب عليها الوضوء لكل صلاة.

٣- ألا تتوضأ قبل دخول وقت الصلاة.

٤- أن تغسل فرجها قبل الوضوء من غير مبالغة، وتحشوه بخرقة، أو قطنة، دفعًا للنجاسة وتقليلاً لها.

٥- يباح لزوجها أن يطأ إذا شاء فى غير وقت الصيام.. لما روى عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: **«المستحاضة يأتيها زوجها»**(٢).

٦- لها حكم الطاهرات تعتكف، وتقرأ القرآن، وتمس المصحف، وتحمله، وتفعل كل العبادات على اختلاف أنواعها.

ثانيًا: لمس المرأة نقض الوضوء:

اختلف العلماء فى نقض الوضوء لمصافحة الرجل للمرأة الأجنبية، وذلك بسبب اختلافهم فى فهم قوله تعالى: ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾(٣) فى آية الوضوء والتيمم فقال فقهاء الحنفية: أن المقصود بالملامسة فى الآية هو الجماع، وأما اللمس وهو إفضاء الرجل بيده إلى يد المرأة الأجنبية أو إلى جزء من بدنها لا ينقض الوضوء؛ لأنه لا يدخل فى المعنى المراد من الملامسة هنا، وقالوا: إن الرجل لو أفضى بيده إلى امرأته، أو حتى لو قبلها لم ينتقض وضوؤه، واستدلوا بما رواه الدارقطنى، عن عروة بن الزبير، عن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبل بعض نسائه، ثم خرج إلى الصلاة فلم يتوضأ.

وقال الفقهاء المالكية: إذا لمس بلذة انتقض الوضوء وإن لمس بلا شهوة لم ينقض الوضوء، وبهذا قال أحمد بن حنبل -رحمه الله-. وهو الرأى الراجح.

---

(١) انظر فتاوى إمام المفتين فى «أعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن قيم الجوزية.

(٢) البخارى فى الصحيح.

(٣) سورة النساء: ٤٣ وسورة المائدة: ٦.

انظر الطبرى (٨/ ٣٨٨).

ثالثًا: الطهارة الظاهرة والباطنة:

يطهر المسلم بأن يتبع الآداب الإسلامية فى قضاء حاجته ووضوئه وغسله، وأن ينظف ثيابه وجسمه مما علق بـه من الأذى، وبعد ذلك يفتش أعضاءه الظاهرة والباطنة صباحًا ومساء، هل حفظت حدود الله تعالى التى حدها لها، أو تعدت وهل قامت بما أمرت به من غض البصر، وحفظ اللسان والأذن والقلب وغير ذلك على وجه الإخلاص، أو لم تقم؟؟ فإن رأى العبد جارحة من جوارحه أطاعت شكر الله تعالى، ولم ير نفسه أهلاً لذلك وإن رآها تلطخت بمعصية من المعاصى، شرع فى الندم والاستغفار، ثم يشكر الله تعالى إذا لم يقدر عليه أكثر من تلك المعصية، ولم يبتل جوارحه التى عصت بالأمراض ولزم التوبة، وأبغض الدنيا تبعًا لله تعالى، فإن الله لم ينظر إليها منذ خلقها لشدة بغضه لها.

[٤١٨]

الزانيـة والزانـى

س: ما حكم الزنا بامرأة محصنة، من شاب غير محصن؟

(جـ): سأل رجل رسول الله -ﷺ- فى ذلك فقال: إن ابنى كان عسيفًا[١] على هذا فزنا بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، وإنى سألت رجالاً من أهل العلم، فأخبرونى أن على ابنى جلد مائة جلدة، وتغريب عام، وأن على امرأة هذا الرجم، فقال: «**والذى نفسى بيده، لأقضين بينكما بكتاب الله، والمائة والخادم رد عليك، وعلى ابنك جلد مائة، وتغريب عام، واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها فاعترفت فرجمها**»[٢].

وقضى -ﷺ- فيمن زنا ولم يحصن بنفى عام، وإقامة الحد عليه[٣].

[٤١٩]

رجل زنى بامرأة ثم تزوجها

س: رجل زنى بامرأة ثم تزوجها...

---

(١) الحديث فى المسند (٤/ ١١٥، ١١٦)، والعسيف: الأجير.

(٢) متفق عليه، البخارى (١٢/ ١٣٦، ١٣٧) ومسلم (١٦٩٧) و(١٦٩٨).

(٣) البخارى فى صحيحه. (١٢/ ١٣٧).

هل نسب الولد إليه شرعًا، أم عاطفة؟؟

(جـ): إن النسب بالإجماع.

[٤٢٠]

ما خضراء الدمن ؟

س: ما المقصود بخضراء الدمن فى الحديث: «إياكم وخضراء الدمن»؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

بقية الحديث: قيل: وما خضراء الدمن؟ قال: «**المرأة الحسناء فى منبت السوء**»(١). والمعنى بهذا هو فساد النسب إذا كان الأصل غير سليم. والدمن هى آثار الإبل والغنم، وأبوالها وأبعارها، فربما نبت فيها نبات، فيكون منظره حسنًا أنيقًا، ومنبته فاسدًا، والمراد التحذير من الزواج بذوات المنظر الحسن، والجمال الفاتن، بغير دين أو خلق، فهذا ينتج ذرية غير صالحة.

[٤٢١]

صلاة المرأة مع زوجها

س: هل تصح صلاة المرأة مع زوجها؟

(جـ): أجل، ويكون لها صف وحدها، ولكن إذا أمت المرأة تأتى مع النساء فى صف واحد؛ لأنه لا تجوز إمامة المرأة للرجال فى الصلاة.

[٤٢٢]

صلاة الجنازة للمرأة

س: تسأل سامية عبد الله من الجيزة:

هل تصلى المرأة صلاة الجنازة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

دل قول النبى - ﷺ -: «**ارجعن مأزورات غير مأجورات**» على ألا تشترك المرأة فى تشييع الجنازة، وبالتالى لا تصلى على الميت.

---

(١) لأن حسن المرأة فى حد ذاته فتنة، فإذا اجتمع حسنها مع سوء المنبت كانت الفتنة أوكد وأشنع.

ولكن إذا وجدت المرأة بالمصادفة فى المسجد، وصلى المصلون على ميت، فيمكنها أن تصلى معهم، على ألا يكون خروجها من بيتها لغرض الصلاة على الميت.

[٤٢٣]

مرافقة الزوج زوجته فى السفر

أصبح السفر خارج القطر مسألة هينة على الناس -على مشاقه وتبعاته- سعيًا وراء الرزق، وجريًا على لقمة العيش، وقد كان فيما سلف قاصرًا على البعثات العلمية والشئون السياسية والدبلوماسية والحج، وبعض المهام العملية الأخرى.

وأصبح من الميسور لأى إنسان عادى، حتى ولو كان من دهماء الناس، وبسطائهم أن يطوف العالم كله من بلد إلى بلد، تاركًا أهله وبيته شهورًا عدة، بل أعوامًا كاملة.

وقد عرضت هذه القضية على فضيلة الإمام محمد متولى الشعراوى فأفاد:

أن الرجل إن كان لا يأمن على نفسه، يحرم سفره، فما بالك بالمرأة..

[٤٢٤]

هل تصح العبادة مع الإجهاض ؟ ؟

س: تسأل و.س. من العريش:

هل يمكن لمن أجهضت أن تصوم وتصلى إلا بعد أربعين يومًا مثل النفساء؟ وهل يمكنني أن أطهو الطعام، أو أستمع إلى القرآن الكريم فى هذه الظروف؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

يقترن الامتناع عن أداء العبادات من صلاة وصوم وقراءة قرآن وغيره مما يشترط لأدائه الطهر فى حالات الولادة أو الإجهاض -يقترن ذلك بنزول الدم.. فتستطيع المرأة إذا انقطع عنها الدم أربعين يومًا أن تتطهر، وتمارس عبادتها بشكل طبيعى.

أما إذا نزل الدم أكثر من أربعين يومًا فعليها أن تتطهر بعد الأربعين، وتمارس عباداتها، بعد ذلك، لأن هذا الدم ليس طبيعيًا، فلا يفسد صلاتها ولا صومها.

أما عن طهو الطعام وهى على غير طهارة فهذا يمكن، وتستطيع أن تؤدى كل واجباتها اليومية بلا أى حرج، لأن الإنسان المؤمن لا ينجس أبدًا.

وأما الاستماع إلى القرآن فيمكنك ذلك، ولكن الممنوع هو إمساك المصحف الشريف، أو قراءة القرآن.

[٤٢٥]

حج المرأة بغير إذن زوجها

س: هل يجوز حج المرأة بغير إذن زوجها؟

(جـ): لا يستحب للمرأة أن تستأذن زوجها فى الخروج إلى الحج الفرض، فإذا أذن لها خرجت، وإن لم يأذن لها خرجت بغير إذنه؛ لأنه ليس للرجل منع امرأته من حج الفريضة، لأنها عبادة وجبت عليها، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

ولها أن تعجل به لتبرئ ذمتها، كما لها أن تصلى أول الوقت، وليس له منعها ويلحق به الحج المنذور؛ لأنه واجب عليها كحجة الإسلام، وأما حج التطوع، فله منعها منه.

[٤٢٦]

حاضت قبل طواف الركن

س: إذا حاضت المرأة قبل أداء طواف الركن من الحج، واضطرت إلى مغادرة مكة قبل الطهر لارتباطها بالفوج الذى تحج معه، فماذا تفعل؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

قالوا: تصنع احتياطًا بحيث لا يسيل منها دم، ثم تتوجه مباشرة إلى الحرم وتطوف، لكن تذبح بدنة، أى بقرة، وإن لم تستطع الذبح تصوم.

[٤٢٧]

غسل أحد الزوجين للآخر

س: هل يجوز أن تغسل المرأة زوجها؟

(جـ): عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: رجع إلىَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من جنازة،

وأنا أجد صداعًا فى رأسى وأقول: وارأساه.. فقال: «**بل أنا وارأساه ما ضرك لو مت قبلى، فغسلتك، وكفنتك، ثم صليت عليك ودفنت؟**»(١).

والحديث يدل على أن المرأة يغسلها زوجها إذا ماتت، وهى تغسله قياسًا، وقد ثبت أن أسماء غسلت أبا بكر، وأن عليًا -كرم الله وجهه-، غسل فاطمة، هذا ولم يقع من سائر الصحابة إنكار على أسماء وعلى، فكان إجماعًا.

[٤٢٨]

الولادة العسرة تسقط الذنوب

س: هل صحيح أن كل امرأة تلد تسقط عنها ذنوبها كلها؟

(جـ): الولادة العسرة التى تتحمل فيها الأم آلامًا فوق الآلام العادية للولادة بصبر وإيمان واحتساب هى التى تسقط الذنوب.

[٤٢٩]

وجاء زوجها الثانى

س: غاب عنها زوجها، ثم فقد فى الحرب، ولم ترد عنه آية أنباء، وبعد فترة تزوجت من رجل آخر.. وبعد أن عاشرها الثانى.... حضر فجأة زوجها الأول... فما الحكم؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لما عرضت عليه هذه المشكلة:

لابد أن يرفع أمرها للقاضى.

[٤٣٠]

صدقة المرأة بدون إذن زوجها

س: هل صدقة المرأة فى مالها بدون إذن زوجها حرام أو حلال؟

(جـ): سألته -ﷺ- امرأة عن حلى لها تصدقت به، فقال لها: «**لا يجوز**

---

(١) انظر تاريخ الإسلام للذهبى، والسيرة النبوية لابن هشام فى موضع وفاة النبى -ﷺ-.

لامرأة عطية فى مالها إلا بإذن زوجها»[١]. وفى لفظ: **«لا يجوز للمرأة أمر فى مالها إذا ملك زوجها عصمتها»**[٢].

وروى ابن ماجة أن امرأة كعب بن مالك أتت رسول الله -ﷺ- بُحليٍّ لها فقالت: إنى تصدقت بهذا، فقال: **«إنه لا يجوز للمرأة فى مالها أمر إلا بإذن زوجها فهل استأذنت كعبًا؟»** فقالت: نعم، فبعث رسول الله -ﷺ- إلى كعب، فقال: **«هل أذنت لخيرة أن تتصدق بحليها هذا؟»** فقال: نعم، فقبله رسول الله -ﷺ- منها.

ورأى الشيخ الشعراوى فى هذه المسألة هو رأى الحنفية، وهو عدم ولاية الرجل على مال زوجته تمامًا، ولها حرية التصرف الكاملة فيه كيف تشاء، وبدون إذن زوجها.

[٤٣١]

معنى نقصان عقل المرأة ودينها

س: تسأل حنان خاطر:

ما المقصود بأن النساء ناقصات عقل ودين؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

ما هو العقل أولاً؟ العقل من العقال، بمعنى أن تمسك الشىء وتربطه فلا تعمل كل ما تريد. فالعقل يعنى أن تمنع نوازعك من الانفلات، ولا تعمل إلا المطلوب فقط.

إذن فالعقل جاء لعرض الآراء، واختيار الرأى الأفضل. وآفة اختيار الآراء الهوى والعاطفة، والمرأة تتميز بالعاطفة، لأنها معرضة لحمل الجنين، واحتضان الوليد، الذى لا يستطيع أن يعبر عن حاجاته، فالصفة والملكة الغالبة فى المرأة هى العاطفة، وهذا يفسد الرأى.

---

(١) على هذا الحديث مدار فقه الإمام مالك فى هذه المسألة، حيث يجعل ولاية الرجل على مال المرأة إلى درجة أن تستأذنه فى التصرف فيه.

(٢) انظر «أعلام الموقعين عن رب العالمين» للإمام ابن قيم الجوزية، وقد أخرج الحديث أهل السنن.

ولأن عاطفة المرأة أقوى، فإنها تحكم على الأشياء متـأثرة بعاطفتها الطبيعية، وهذا أمر مطلوب لمهمة المرأة.

إذن فالـعقل هو الذى يحكم الهـوى والعاطفـة، وبذلك فالنـساء ناقـصات عقل، لأن عاطفـتهن أزيد، فنحن نجد الأب عندما يقسـو على الولد ليحمله على منهج تربوى، فإن الأم تهرع لتـمنعه بحكم طبيعتها، والإنـسان يحتاج إلى الحنان والعاطفة من الأم، وإلى العقل من الأب.

وأكبر دليل على عاطفة الأم تحملها لمتاعب الحمل والولادة.

[٤٣٢]

المرأة والجهاد فى سبيل الله

س: هل على المرأة حرج أن تخرج للجهاد فى سبيل الله؟

(جـ): عندما يكون الإنسـان مجاهدًا فى سبيل الله، لابد أن يسـقط القتلى والجرحى، والمصابون فى مـيدان المعركة، وهنا مجـال للعمل يتطلب وجود المرأة؛ لأن هذا الظرف لا يدع للعـاطفة مجالاً لـلانحراف من الذى يرى هذا مقـتولاً فى سبـيل الله يجرى دمه، وهذا مـقطوعة أوصاله، ثم يفكر فى المسـائل الأخرى بين الرجل والمرأة؟

لذلك ما كان رسول الله -ﷺ- يقوم بغزوة إلا ومـعه نساء، السيـدة أمية بنت قيس بن أبى الصلت الغـفارية أبلت بلاء عظيمًا يوم خيـبر، وبعد ذلك قلدها رسول الله -ﷺ- قلادة ظلت تلبسها طوال حياتها، فلما ماتت أوصت وأمرت أن تدفن معها.

إذن، هذه المسألة ذات مظهرين فى الحج، وفى الجهاد فى سبيل الله.

فى الحج مظهر أناس فى بيت يناجـون ربهم، ونفوسهم كلها مـخلوعة عند ذنوبهم الماضـية، فلا أظن واحـدًا يفكر هذه الأفكار الساقطة، أو يتـحرك الحـركة الوضيعة.

وفى الجهاد فى سـبيل الله والمعركة دائرة الرحى، والدم مسـفوك، والأشلاء ممزقة والنفوس ولهة ملتاعة، فمن الذى يفكر فى شىء من هذا؟

[٤٣٣]

الصائم ولو كان جنبًا

س: حين يؤذن الفجر فى رمضان وقد أصابتنى الجنابة بالليل، ألا يؤثر ذلك على صومى مع العلم بعزم النية على الصيام، ما الحكم فى ذلك..؟؟

(جـ): صومك صحيح وعليك بالاغتسال الكامل فى أقرب وقت ممكن، حتى يمكنك أن تؤدى صلاة الفجر.

[٤٣٤]

الخيانة الزوجية

س: هل للزوجة أن تغفر خيانة زوجها لها؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

يجب أن تعرفى أنك لا تملكين المغفرة. فقبل أن يخون الزوج زوجته، فإنه يخون الله. فهذه مسألة بين الإنسان وربه، ولا شأن للعاطفة فيها.

وإذا حدث ما تقولين فإن إشاعة ما حدث من الخيانة إثم فى ذاته، فلو أن الزوجة أشاعت ما حدث من زوجها بين الناس أو بين الأسرة، تكون آثمة لذلك. لأنها تعطى القدوة السيئة لمن يسمع بها.

وعليها أن تسكت وتترك حساب الرجل إلى ربه.

هـ - الطلاق وأنواعه والعدة وأنواعها

[٤٣٥]

الزواج والطلاق

س: مع صعوبة الزواج ومشقات تكاليفه، ومقتضياته، ومستلزماته إلا أننا نجد الطلاق أسهل الوسائل كعلاج للمشاكل المستعصية للأسرة فى المجتمع. فما هو سبب ذلك يا ترى؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الجليل: إن ذلك راجع لمخالفة المتزوجين لمقاييس الإسلام فى كلا الأمرين، ولو أن طالب الزواج دخل على الزواج بمطلوبات الله فيه؛ لما حدث ما يدعو إلى الطلاق.

[٤٣٦]

أركان الطلاق

س: ما هى أركان الطلاق؟

(جـ): للطلاق ثلاثة أركان وهى:

أولاً: الزوج المكلف، فليس لغير الزوج أن يوقع طلاقًا لقوله -ﷺ-: «**إنما الطلاق لمن أخذ بالساق**»(١).

ثانيًا: الزوجة التى تربطها بالزوج المطلق رابطة الزواج حقيقة، بأن تكون فى عصمته لم تخرج عنه بفسخ أو طلاق، أو حكمًا كالمعتدة من طلاق رجعى، أو بائن بينونة صغرى، فلا يقع الطلاق على امرأة ليست للمطلق، ولا على امرأة بانت منه بالطلاق الثلاث، أو بالفسخ، أو بطلاقها قبل الدخول بها.

ثالثًا: اللفظ الدال على الطلاق صريحًا كان أو كناية، فالنية وحدها بدون تلفظ بالطلاق لا تكفى، ولا تطلق بها الزوجة [لذلك فإن من طلق فى سره لا يقع ما لم يتلفظ به].

[٤٣٧]

الطلاق والتعدد

س: تعدد الزوجات.. ما السبب الرئيسى والمباشر فيه؟

ما هو الداعى الشرعى له، وما الحكمة فى إباحة الطلاق وإجازته فى الإسلام؟

(جـ): ويرى الشيخ الشعراوى:

---

(١) أخرجه الطبرانى عن ابن عباس، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٣٠٠/ ٥٣٤٩).

أن هناك أمورًا حسبت على القانون وهى ليست منه، ويلقى اللوم على العنصر البشرى فى تعدد التزويج من جانب، وفى اللجوء إلى الطلاق من الجانب الآخر؛ لأن فضيلة الشيخ الشعراوى يرى الناس قد دخلوا على الزواج بغير مطلوبات الله فيه، وأقحموا أنفسهم فيه بغير مقاييس الإسلام. ويرى أنه لا يصح أن يعالج موضوعًا الأساس فيه خروج عن الإسلام.

ويؤكد فضيلة الإمام الجليل:

أن طالب الزواج لو دخل عليه بمطلوبات الله فيه، لما حدث ما يدعو إلى الطلاق، ولما وجدت آثاره الضارة فيه.

ومن العدل أن تحدث هذه المتاعب، فلو لم تحدث هذه المتاعب لكان ذلك كله مخالفًا لمنهج الله، ولكان ذلك مدعاة لتشككنا فى هذه التعاليم.

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

سقطة الزواج فقد تشقى المرء طول الحياة.. وإنى لا أتصور زواجًا يلتزم بمنهج الله سبحانه وتعالى ولا يحالفه التوفيق والسداد.

وإن لى أصدقاء من كبار العلماء والصالحين الأتقياء -ولا نزكى على الله أحدًا- الذين أعتقد تمامًا وعن ثقة أنهم ملتزمون بمنهج الله تبارك وتعالى، وهم جميعًا سعداء فى بيوتهم مع أهليهم وأبنائهم، ولم تعرض أمامى مشكلة عائلية لأحد منهم، على النقيض من المألوف عند الناس كافة ممن عداهم، وهذا يؤكد لنا بالدليل القاطع أن الخير كل الخير فى منهج الله، وراحة القلب وبغية النفس، وكل المنى فى طاعة الخالق جل شأنه.

هذا مع العلم بأن الابتلاءات التى يمتحن بها الله تعالى عباده تختلف عن ذلك تمامًا.

[٤٣٨]

حق المرأة فى التطليق

س: متى يحق للمرأة طلب التطليق من القاضى وما هى قيود منع الطلاق؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أولاً: يجوز للمرأة طلب التطليق بحكم قضائى:

وهناك سبع حالات:

١- إذا كان الزوج عاجزًا عن النفقة.

٢- وجود الجنون والجذام والمرض والعيب المستحكم بالزوج.

٣- إذا غاب الزوج سنة فأكثر.

٤- إذا أقسم الزوج ألا يقرب زوجته أربعة أشهر وأكثر، وانقضت المدة دون أن يقاربها، أو يطلقها، فإن الطلاق يقع.. وهو ما يسمى الإيلاء.

٥- التفريق بسبب اللعان بمعنى إذا ما اتهم الرجل زوجته بالزنى، أو نفى نسب ولدها، فإذا رفع الأمر إلى القضاء، ولم يستطع الزوج الإثبات، حكم بالتفريق بينهما.

٦- التفريق للشقاق من أحد الزوجين.

٧- التطليق للضرر إذا تزوج عليها، أو إخفائه أنه كان متزوجًا قبلها، ولم ترض صراحة بالزوجة الجديدة.

ثانيًا: بالنسبة للزوج حدد الشرع حوافظ تمنع الطلاق:

١- أوصى الرجال بالمعاشرة بالمعروف، والصبر على ما يكرهون منهن، وعدم الطلاق. قال تعالى:

﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾[1].

٢- نهى الإسلام الرجال عن إيقاع الطلاق فى الحيض، قال الحبيب المصطفى لسيدنا عمر عما يخص رجل طلق زوجته وهى حائض: «**مره فليراجعها، ثم**

---

(١) سورة النساء: ١٩.
انظر التفسير فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى (٣/ ١٣١) والقرطبى (١٥/ ١٠١).

ليمسكها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء أمسك بعد، وإن شاء طلق قبل أن يمس، فتلك العدة التى أمر الله أن يطلق لها النساء»(١).

٣- شرع الإسلام الإشهاد على الطلاق فحضور شاهدى عدل قد يحملان المطلق على مراجعة نفسه قبل إيقاع الطلاق، قال تعالى:

﴿ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾(٢).

[٤٣٩]

وأين الثالثة ؟

س: قال تعالى: ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾(٣).

ففى هذا ندرك الإشارة إلى المفهوم من قوله تعالى: **﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ ﴾**(٤). وهو الطلاق الرجعى، وهو بمعنى التطليق الذى هو فعل الرجل (كالسلام بمعنى التسليم) لأنه الموصوف بالوحدة والتعدد، دون ما هو وصف المرأة، ويؤيد ذلك ذكر ما هو من فعل الرجل أيضًا.

وإذا كان الطلاق مرتين فأين التطليقة الثالثة إذن؟

(جـ): التطليقة الثالثة: «التسريح بالإحسان» وهذا يدل على أن معنى «مرتان» اثنتان، ويؤيد العهد -كالفاء- فى الشق الأول فإن ظاهرها التعقيب بلا مهلة، وحكم الشيء يعقبه بلا فصل، وقد ورد فيما أخرجه أبو داود(٥). وجماعة، عن أبى رزين الأسدى، أن رجلاً قال: يا رسول الله -ﷺ- إنى أسمع

---

(١) صحيح البخارى عن ابن عمر (٧/ ٧٣/ ٥٢٥٢).

(٢) سورة الطلاق: ٢.

انظر ما ذكره الطبرى (٢٨/ ٨٨) والقرطبى (١٨/ ١٥٧) والبحر المحيط (٨/ ٢٨٢) والتسهيل لعلوم التنزيل (١٢٦).

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٢٨.

وبعولتهن أحق بردهن: أراد الرجعة ما لم تنقص الحيضة الثالثة.

راجع الطبرى (٤/ ٥٣٥) والقرطبى (٣/ ١١٣).

(٥) فى السنن.

الله تعالى يقول: ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ فأين الثالثة؟ فقال: «التسريح بإحسان هو الثالثة»(١).

[٤٤٠]

الطلاق ثلاثًا فى مجلس واحد

س: هل يجوز الطلاق ثلاثًا فى مجلس واحد؟

(جـ): أخرج البيهقى، عن ابن عباس -رضى الله تعالى عنهما- قال: «طلق ركانة امرأته ثلاثًا فى مجلس واحد، فحزن عليها حزنًا شديدًا، فسأله رسول الله -ﷺ-: «كيف طلقتها؟» قال: طلقتها ثلاثًا، قال: «فى مجلس واحد؟»، قال: نعم، قال: «فإنما فى تلك واحدة، فأرجعها إن شئت، فراجعها»(٢).

[٤٤١]

طلقة واحدة

س: طلق رجل امرأته ثلاث تطليقات جميعًا فى مجلس واحد، وبشهادة الشهود على ذلك، فهل تحسب طلقة واحدة أم ثلاث تطليقات؟

(جـ): سبق أن أجبنا عن هذا السؤال بأن تلك طلقة واحدة، وقد سئل سيدنا رسول الله -ﷺ- عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعًا، فقام غضبان ثم قال: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم؟» حتى قام رجل فقال: يا رسول الله ألا أقتله»(٣).

[٤٤٢]

طلقها ثلاثًا. فما العمل؟

تسأل المعذبة س. خ. أ. فتقول:

إنها تزوجت من شاب ممتاز، إلا أنه طلقها ثلاث مرات، يندم كل مرة

---

(١) كذا ورد فى الحديث.

(٢) انظر فتاوى رسول الله -ﷺ- إعداد السيد الجميلى.

(٣) النسائى (٦/ ١٤٢).

ويعود، وهو الآن شديد الندم، ويريد العودة إليها لتربية أطفالها، وهى تقول: إن الطلقات الثلاث كانت تتم بدون حضور شهود بينهما.

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى، فيقول:

لا لزوم للندم فى مثل هذه الحالة، فلقد أعطى الله ثلاث فرص للرجوع، ولكنه لم يحافظ عليها. . أما من ناحية الشهود، فإن الطلاق لا يشترط فيه وجود الشهود.

وكان الأولى بهذا الزوج أو الأب أن يراجع نفسه، ويسيطر عليها، قبل أن يتصرف هذا التصرف الأحمق، أما وقد وقع التصرف الأحمق بالفعل، فلا يحق له أن يعود إليك مرة أخرى إلا إذا تزوجت رجلاً غيره، وطلقت منه.

[٤٤٣]

المطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء

س: ما المقصود بـ ﴿يَتَرَبَّصْنَ﴾ و﴿قروء﴾؟

وما الحكمة الشرعية فى ذلك؟

(جـ): فى قوله تعالى: ﴿**يَتَرَبَّصْنَ**﴾[1]. أى: ينتظرن وهو خير، قصد منه الأمر على سبيل الكناية.

والمقصد من ذلك. أن يحرص النساء على التربص -لأن الباء للتعدية- فيكون المأمور به أن يقمعن أنفسهن، ويحملنها على الانتظار، وفيه إشعار نفسى رائع بأنهن، أو بكونهن مائلات إلى الرجال، وذلك مما يستنكفن منه.

وفى قوله تعالى: ﴿**ثَلاثَةَ قُرُوءٍ**﴾ نصب على الظرفية لكونه عبارة عن المدة، والمفعول به محذوف؛ لأن التربص متعد قال تعالى: ﴿**وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن**

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

ثلاثة قروء: جمع قرء، والقروء هى الحيض (بكسر الحاء المهملة وفتح الياء المثناة التحتية) على ما ورد فى لسان العرب لابن منظور (٨/ ٤١٢).

وهى أيضًا كما ورد فى اللسان (١/ ١٢٥-١٢٧)، ورسالة الشافعى ص٥٦٢ وما بعدها. راجع أيضًا الطبرى (٤/ ٥١٠) والقرطبى (٣/ ١١٣).

يُصِيبَكُمُ اللَّهُ﴾[١]. أي: يتربصن التزوج، وفي حذفه إشعار بأنهن يتركن التزوج في هذه المدة، حتى لا يتلفظن به.

والقروء جمع قَرء -بالفتح والضم- وهو يطلق على الحيض، لما أخرج النسائي، وأبو داود، والدارقطني «أن فاطمة بنت أبي حبيش، قالت: يا رسول الله، إني امرأة أستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟ قال -ﷺ-: «**لا، دعي الصلاة أيام أقرائك**»[٢]. ويطلق القرء على الطهر الفاصل بين الحيضتين[٣].

[٤٤٤]

اللعان بين الزوجين

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[٤].

لم تكلف الشريعة الزوج إثبات الزنى بل يقول الزوج أمام القاضي أشهد بالله أنني صادق فيما رميتها به من الزنا، ويكرر ذلك أربع مرات، ثم يقول بعد ذلك لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين وتقول الزوجة أربع مرات: أشهد بالله أنه لكاذب فيما يرميها به من الزنا، ثم يقول: أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين وبذلك تتملص من العقوبة، ويترتب على ذلك:

١- أن ينقطع الزواج بينهما.

٢- وتحرم الزوجة على الزوج إلى الأبد.

٣- ويلحق الولد بالمرأة.

---

(١) سورة التوبة: ٥٢.

(٢) المسند (٦/ ٤٢) و(٢٦٢).

(٣) انظر معاني القراء للأخفش (١/ ٣٧٠).

(٤) سورة النور: ٦-٩.

[٤٤٥]

معنـــى اللعـــان !!

س: ما هو معنى اللعان؟

(جـ): هو ما يحدث عندما يرمى زوج زوجته بتهمة الزنا، ولا شهود عنده إلا نفسه؛ فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين.

وفى هذه الحالة ماذا يكون موقف المرأة؟ هل تثبت عليها تهمة الزنا بذلك؟ إذا سكتت عن قسم زوجها، يكون الزنا قد ثبت عليها، ولكن إذا شهدت بالله العظيم أربع مرات، وفى الخامسة تقول: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين؛ فتكون بذلك قد دفعت عن نفسها التهمة، إلا أنه لا تستقر الحياة بينهما، ويفصل بينهما بما يسمى: فصل اللعان، وينتهى الأمر بينهما وحسابهما على الله.

ولقد نزلت آية اللعان عندما سأل أحد الصحابة رسول الله -ﷺ- قائلاً: إذا دخلت على أهلى، ووجدت رجلاً معهم أأتركه، حتى أحضر أربعة شهود يشهدون؛ فأنزل الله آية اللعان. ونلاحظ أن الرجل يدعو على نفسه (بلعنة الله إن كان كاذبًا) بينما تدعو المرأة بغضب الله (إن كان من الصادقين).. وهذا لأن اتهام المرأة بالزنا أفظع من اتهام الرجل، لأن زنا المرأة يسبب اختلاط نسب.

[٤٤٦]

حكـــم الإيـــلاء

س: الإيلاء هو -كما قال الراغب- الحلف الذى يقتضى النقيصة فى الأمر الذى يحلف فيه من قوله تعالى: ﴿لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً﴾(١) أى: باطلاً.

﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ﴾(٢). وصار فى الشرع عبارة عن الحلف المانع من جماع المرأة.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٨.

(٢) سورة النور: ٢٢.

انظر القرطبى (١٢/ ٢٠٧).

(جـ): قال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

ففى قوله تعالى: ﴿تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ﴾(٢) فالتربص هو الانتظار والتوقف، وأضيف إلى الظرف على الاتساع -وإجراء المفعول منه مجرى المفعول به، والمعنى على الظرفية، وهو مبتدأ ما قبله خبره، أو فاعل للظرف- على ما ذهب إليه الأخفش من جواز عمله.

[٤٤٧]

أنواع العدة

س: ما أنواع العدة؟

(جـ): أنواع العدة أربعة:

١- عدة المرأة التى تحيض، وهى ثلاث حيضات تطهر فيهن.

٢- عدة المرأة التى يئست من المحيض، وهى ثلاثة أشهر.

٣- عدة المرأة التى مات عنها زوجها، وهى أربعة أشهر وعشرة أيام، ما لم تكن حاملاً.

٤- عدة الحامل أن تضع حملها.

[٤٤٨]

أنواع العدة، وحكم الظهار

س: ما حكم الدين فى العدة وأنواعها وحكم الظهار؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

المقصود بالعدة:

فى فترة العدة يستمر الزوجان يقطنان فى مسكن واحد، ويستمر الزوج فى

---

(١)، (٢) سورة البقرة: ٢٢٦.

يؤلون: يحلفون، يقال: أليت من امرأتى أولى إيلاءً، إذا حلف أن لا يجامعها والاسم الألِيَّة.

الإنفاق، ولا يخرج الزوج زوجته من بيت الزوجية إلا فى حالة سوء السيرة قال تعالى: ﴿ لا تُخْرِجوهنَّ مِن بُيوتِهِنَّ وَلا يَخْرُجْنَ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾[1].

للعدة أحكام أهمها:

١- يحرم على المرأة أن تخطب فيها.

٢- يجب أن تظل فى بيتها لا تخرج منه، إلا لضرورة ملحة.

والحكمة من العدة:

١- بقاء الصلات بين الزوجين ما يستطيع الزوج به مراجعة زوجته، فهى فترة لإمعان الفكر قبل حل الحياة الزوجية.

٢- يتبين فيها للمرأة الحمل وعدمه، وفى ذلك من النفع ما فيه، كى لا تختلط الأنساب.

٣- الحداد على المتوفى؛ فمن الوفاء أن تمتنع عن الزواج فترة من الزمن.

أولاً: أنواع العدة الخمسة:

١- عدة المرأة المطلقة المدخول بها: إن كانت من ذوات الحيض.

الجاريات فى حيضهن على المعتاد: ثلاثة قروء، قال الله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[2].

٢- واليائسة التى لا تحيض عدتها: ثلاثة أشهر: ﴿ واللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[3].

٣- وعدة الحامل: وضع الحمل، قال الله تعالى: ﴿ واللاَّئِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلاثَةُ أَشْهُرٍ ﴾[4].

---

(١) سورة الطلاق: ١.
انظر القرطبى (١٨/ ١٤٧) والدر المنثور (٦/ ٢٩٩) ومختصر ابن كثير (٣/ ٥١٢) والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٢٥).

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.
انظر تفسير القرطبى (٣/ ١١٣) وتفسير الطبرى (٤/ ٥١٢).

(٣)، (٤) سورة الطلاق: ٤.

٤- المتوفى عنها زوجها: أربعة أشهر وعشرًا، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١).

٥- وأما إذا طلقها قبل الدخول بها: فلا عدة لها، لقوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴾(٢).

ثانيًا: ما المقصود بالظهار؟

يقول الشيخ الشعراوى:

الظهار تشبيه الرجل لزوجته فى الحرمة بمحارمة، والأصل فيه قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا ﴾(٣).

والظهار حرام لقوله جل شأنه:

﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا ﴾(٤).

وصورة الظهار أن يقول الرجل لزوجته «أنت على كظهر أمى» أو ما فى معنى ذلك من الحرمة، ويترتب على الظهار تحريم الوطء إلى أن يكفر، ووجوب الكفارة بالعود، وهو أن يمسكها بالزواج زمنًا يمكنه أن يطلقها فيه ولم يطلق.

وكفارة الظهار: عتق رقبة مؤمنة سليمة من العيوب، فإن لم يجد؛ فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينًا، وذلك لقوله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٣ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٤.
(٢) سورة الأحزاب: ٤٩.
(٣) سورة المجادلة: ٣.
(٤) سورة المجادلة: ٢.
(٥) سورة المجادلة: ٢-٤.

وإطعام المساكين، يكون لكل مسكين وجبتين، أو قيمتهما.

[٤٤٩]

لا عدة للرجل

س: هل هناك حالات يمنع فيه الرجل من الزواج لفترة معينة، كالمرأة المعتدة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

العدة أجل مضروب لانقضاء ما بقى من آثار الزواج الأول... أما الرجل، فلا ينتظر، لأن له أن يتزوج وهى معه، فأولى أن يتزوج وامرأته السابقة فى العدة.

غير أنه إن كانت المطلقة هى الزوجة الرابعة، فليس له أن يتزوج إلا بعد انتهاء عدتها، فإنه لا يجوز له أن يجمع أكثر من أربع فى نكاح، ولا فى عدة.

والحالة الثانية أن يريد الرجل الزواج بمن لا يحل له الجمع بينهما، وقد طلق إحداهما كالأخت يطلقها ليتزوج أختها، فلا يصح له زواجها إلا بعد انتهاء عدة الأخت المطلقة.

(و) اللباس والزينة والحلى

[٤٥٠]

حلق النساء رؤوسهن

س: هل يجوز للمرأة أن تحلق رأسها؟

(جـ): يحرم على النساء حلق رؤوسهن لقول على -رضي الله عنه-: «نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن تحلق المرأة رأسها»(١).

وذلك لأن فى حلق رأسها تشبهًا بالرجال، وخروجها عن طبيعة الأنثى، ونفور الرجال منها، وظهورها بمظهر ردىء، وهو حرام لما روى ابن عباس أن النبى

(١) أخرجه النسائى فى السنن (٨/ ١٣٠) والترمذى فى جامعه الصحيح (٩١٤)، وأبو داود فى السنن (٢/ ٥٠٢/ ١٩٨٤) بلفظ «ليس على النساء الحلق، إنما على النساء التقصير».

- ﷺ - قال: «**لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء، والمتشبهات من النساء بالرجال**»[١].

ولكن إذا ما ظهر فى رأسها ما يحتم الحلق ككثرة الهوام والحشرات، أو ظهور تقرحات فى جلدة الرأس فتلك ضرورة تبيح حلقها كما قال الإمام أحمد حينما سئل عن المرأة تعجز عن شعرها، وعن معالجته، أتأخذه؟ فقال: لأى شىء تأخذه؟

قيل: لا يقدر على الدهن، وما يصلحه، فقال: «إذا كان لضرورة، فأرجو ألا يكون به بأس».

[٤٥١]

السلاسل الذهبية للنساء

س: هل التزين بالآيات القرآنية فى السلاسل الذهبية حرام - أم حلال..؟

(جـ): التزين بالسلاسل الذهبية التى كتبت عليها بعض الآيات القرآنية، أو عليها لفظ الجلالة يجوز، ولكن على المرأة أن تحرص عند ذلك أن تكون على طهارة.. كما أنه لا يصح الدخول بها دورات المياه.

[٤٥٢]

تجميل الحواجب للمرأة

س: هل تجميل الحواجب حلال أم حرام؟

(جـ): منع الزائد كالشعرة الزائدة هو المطلوب.

ولقد ورد عنه - ﷺ - أنه قال:

«**لعن الله الواشمات والمستوشمات والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله**»[٢].

---

(١) الخمسة إلا مسلم.

(٢) أخرجه البخارى (٧/ ٣٠٢/ ٥٩٣١) ومسلم (١٦٧٦) وأبو داود (٤/ ٣٩٩/ ٤١٧٠) والترمذى (٢٧٨٢) ومسند الإمام أحمد (٤/ ٣٠٨) بنحوه وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٤٤٦/ ٧٢٧٢).

[٤٥٣]

اتساع الملابس

س: هل اتساع الملابس ضرورى للمرأة؟

(جـ): بشرط ألا يكون واصفًا، ولا كاشفًا.

ذلك لأن كل الأعمار من طوائف المجتمع تنظر إليها فى غدوها ورواحها.. وبذلك فإنها تستجلب، وتستفز شهوات هؤلاء الأبرياء، وتثير فيهم جميعًا استفزازًا حسيًا حادًا له دور فى إتعاب النفس، ومضايقة الخاطر.

ولذلك فمقصد الإسلام من احتشام المرأة، أن يقيد حركتها فى السفور وهى جميلة، حتى يؤمن شيخوختها وهى غير جميلة، وهى ذابلة.

[٤٥٤]

إطالة الأظفار

كنا فى بيت الشيخ الشعراوى، وسألته أخت مسلمة هذا السؤال القيم:

س: هل تطويل الأظفار(١) حلال أم حرام؟

فأفاد فضيلته:

(جـ): الإنسان كائن حى مستوى القامة، مقلم الأظفار، لأن الأظفار جعلت للتوحش، وحيث ارتقيت فلا أظفار، كأى آلة من الآلات، لا أستعملها إلا وقت الحاجة إليها. أمنع الدافع القسرى.

وقد ورد أنه -ﷺ- قد قال:

«خمس من سنن الفطرة: الاختتان، والاستحداد، (وفى رواية: حلق العانة) وقص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط»(٢).

قال أنس -رضي الله عنه-:

---

(١) وردت فى الطبعات السابقة الأظافر، وهذا خطأ مطبعى، لأن الصحيح لغويًا أن جمع الظفر أو الأظفور هو أظفار وليس أظافر.

(٢) البخارى فى الصحيح ومسلم (٢٥٨) وأبو داود (٤/ ٤١٣/ ٤٢٠٠) والترمذى (٢٧٥٦) وصححه السيوطى فى الصغير (١/ ٢٤١/ ٣٩٥٣) وأحمد فى المسند (٢/ ٢٣٩) و(٤١٠).

وُقِّت لنا «في رواية: وقت لنا رسول الله -ﷺ-» في قص الشارب، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وحلق العانة، ألا تترك أكثر من أربعين ليلة».

[٤٥٥]

قــص الشعــر

س: هل على المرأة شيء أن تقص شعرها؟

(جـ): إذا رأت فيه جمالها.

[٤٥٦]

صلاة المرأة فى ملابس شفافة

س: هل تصح صلاة المرأة في الملابس الشفافة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

يشترط فى الملابس التى تؤدى فيها المرأة الصلاة ألا تكون واصفة ولا كاشفة، بمعنى ألا تكون ضيقة تحدد شكل جسمها، ولا شفافة بحيث يظهر ما تحتها.

[٤٥٧]

كشف ذراع المرأة عفوًا فى الصلاة

س: ماذا تفعل المرأة إذا انكشفت ذراعها فى الصلاة، لتطاير طرحتها مثلاً، هل تعيد الطرحة بسرعة، أم تعيد الصلاة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

إذا انكشفت ذراع المرأة فى أثناء الصلاة، فبحركة سريعة تغطى نفسها، على أن تحتاط بعد ذلك قبل الصلاة، بأن ترتدى من الملابس ما يسترها تحت الطرحة، فلا تتعرض لمثل هذه الظروف.

ونحن نرى بعض النساء الفضليات وقد صممن زيًا للصلاة، بحيث يجعل المرأة تصلى فى هدوء، وهى مطمئنة لستر كل ما طلب ستره، فلا ينشغل بالها بلف الطرحة حولها، لتستر ما قد يبدو منها، وبذلك لا تشغل بالها فى أثناء الصلاة إلا بوقوفها بين يدى ربها عز وجل، فتؤدى بذلك صلاة خاشعة مطمئنة.

[٤٥٨]

لبس الذهب للمرأة

س: هل قول رسول الله -ﷺ- فى سوارين كانا فى يد ابنته: «هذان سواران من نار»(١) يعنى أن كثرة الذهب حرام ولو دفعت عنها الزكاة؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى:

يجيب علينا أولاً أن نعرف هل كان قوله هذا بعد أن أمسك بالحرير والذهب وقال: **«هذان حلال لإناث أمتى، حرام على ذكورها»**(٢). أم بعده؟ كان يجب التأريخ للحادثة، فلعل التشديد كان أولاً، ثم أباح الله للمرأة أن تتزين بالذهب، وحرمه على الرجال، أو أن هذا الحكم قد جاء متأخرًا. فيكون الله عز وجل قال: ﴿**وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ**﴾(٣) أى مواضع زينتهن. فذلك أنه أباح للمرأة أن تتزين.

أو أن هذا كان بالنسبة لابنته -ﷺ- خاصة.

ولكن جمهرة العلماء أباحوا للمرأة أن تتحلى وتتزين، ويعفى من الزكاة قدر حليتها.

(ز) بين الرجل والمرأة

[٤٥٩]

حد التكليف

س: ما هو التكليف الذى عنده يسأل المرأ عن اتباع منهج الله وتكاليفه؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: إن حد التكليف هو الحلم، فما هو الحلم؟ إنه اكتمال الرجولة فى الإنسان، أى اكتمال التكوين الإنسانى، اكتمالاً تشهد به

---

(١) وللفقهاء فى هذه المسألة نزاع مشهور، فليرجع من شاء إلى مظنته من كتب الفقه.

(٢) انظر نيل الأوطار للشوكانى، ونصب الراية للزيلعى، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد.

(٣) سورة النور: ٣١.

قال المفسرون: الزينة المراد بها الدُّملج والوشاحان ونحو ذلك. راجع أقوال العلماء فى ذلك فى تفسير الطبرى (١٨/ ٩٢) والقرطبى (١٢/ ٢٢٨) ومختصر ابن كثير (٢/ ٦٠١).

غريزة جنسية هى الوسيلة لاستبقاء الحياة فى غيره؛ لأن الله لو كلف قبل أن توجد هذه الغريـزة فى النفس الإنسانيـة، كان التعـاقد الإيمانى تعـاقدًا ناقـصًا؛ لأنه لو تعاقد، ولم يعلم من أمـر غريزته المجنونة شيئًا؛ فـسيطرأ تغيير وأمر على التـعاقد يخل بأصوله.

يقول تعاقدت قبل أن توجد هذه الغريزة المجنونة، فشاء الله أن يكون التعاقد للتكليف بعد وجود هذه الغريزة، حتى يقـبل الإنسان على التكليف بكل مقومات إنسانيته، ولا يطرأ عليه شىء جديد بعد ذلك.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ﴾(١).

إذن هنا مصب التكليف، ومـا دام قد وجد مـصب التكليف فله حده، هذا الحد هو الحلم، والحلم هو اكتمال الرجولة فى الإنسان، واكتمال الرجولة معناه أن التكليف من الله لا يأتى إلا إذا اكتـمل التكوين الإنسانى، اكتمالاً تشـهد به غريزة جنسية، هى الوسيلة لاستبقاء الحياة فى غيره.

ثم يردف فضيلة الإمام الجليل:

لكن الآفـة أننا نريد أن نجعل من مـرحلة الشـباب مـرحلة تربية، ومـرحلة الشباب هذه هى التى يقول فيها الحكيم: «من شب على شىء شاب عليه».

[٤٦٠]

مساواة الرجل بالمرأة

يقول الشيخ الشعـراوى: الذين ينادون بمساواة المرأة بالرجل، لماذا لا يقولون بمساواة الرجل بالمرأة؟ يطلبون من المرأة أن تقوم بعمل الرجل فكان من الواجب أن يطلبـوا من الرجل أن يقـوم بعـمل المرأة، وإلا جـاروا على مـبـدأ المسـاواة التى يطلبونها.

فـإذا قامت المرأة بالعـمل المطلوب من الرجل، وظلت هى بعـملها الخـاص الذى لا يؤدى إلا من جهتها.. لكان معنى ذلك إلقاء حمل جديد على المرأة.

---

(١) سورة النور: ٥٩.
انظر تفسير البيضاوى (٢/ ٦٢).

وهكذا فهم لا يطلبون مساواتها، بل يطلبون غبنها وظلمها، فلو أنصفت المرأة نفسها لرأت فى الذين يطلبون مساواتها بالرجل فيما تجنح إليه فكرة المساواة خصومًا لها، ولو أنصف الذين يطلبون مساواتها، لطلبوا لها أن تزاول كل أعمال الرجل، وألا تقتصر طلب المساواة على الأمور الهينة غير الشاقة ولا المجهدة.

[٤٦١]

المساواة بين الرجل والمرأة فى العمل

س: إذا كانت المرأة قد اقتحمت ميدان العمل، وهذا العمل جعلها تطالب بمساواتها بالرجل، بل أصبح سمة العصر الحاضر أن المرأة تنافس الرجل فى مجالات العمل، وأنها حيث تشارك الرجل فى العمل، فمن حقها أن تطالب بمساواته فى كل شىء.. ألا يتعارض هذا مع قوله تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾[2]؟؟!!.

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن الزوجة تقول (سأعمل حتى أخفف عن زوجى الشقاء)، وإنما هى جعلته فى شقائه كما هو، وشقيت هى أيضًا، فهى لم تخفف عنه شيئًا، وهو لم يأخذ نصف عمل فى الخارج، بل هو لا يزال يعمل. وكيف تخفف المرأة عن زوجها العمل، وهو لا يزال يعمل لينهض بأعباء الحياة التى لا تنتهى؟!، ولابد أن ينظر الإنسان إلى عمله، ويعرف المقدار الذى سيدره عليه من دخل، وعليه أن يجتهد

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

قال العلماء: الدرجة هى الإمرة والطاعة، وقيل غير ذلك. وذكر الإمام محمد بن جرير الطبرى «وأولى هذه الأقوال قول ابن عباس، وهو أن الدرجة هى الصفح من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها، وإغضاؤه لها عنه، وأداء كل الواجب لها عليه. (انظر تفسير الطبرى (٤/ ٥٣٥ بتصرف).

(٢) سورة النساء: ٣٤.

القوامة هنا بمعنى (قائمون) عليهن بالأمر والنهى والإنفاق والتوجيه، بسبب ما منح الله تعالى الرجال من العقل والحكمة والتدبير قال أبو السعود: التفضيل للرجل لكمال العقل، وحسن التدبير، ورزانة الرأى، ومزيد القوة. [راجع إرشاد العقل السليم (١/ ٣٣٩)].

كما شاء، وبعد ذلك يحدد مستوى حياته فى حدود مستوى الدخل، أما إذا حدد المستوى الذى يريد أن يعيش فيه، ولم يستطع الدخل أن ينهض بالمستويات، فقد يتجه إلى عمل الأشياء الأخرى، فقد ينحرف، فقد يرتشى من أجل أن يواجه ذلك المستوى.

وهنا نقول له: لا، المستوى لا يحدد إلا بعد أن تعرف أنت ما طاقتك فى العمل، وبالتالى تعرف مقدار دخلك، وعليه فمستوى حياتك، يحدد على هذا الدخل، فإذا أرادت المرأة أن ترفع مستوى حياتها بما لا يخرج بها عن مهمتها كزوجة، وعن واجبها كأم تحضن أطفالها، ولا يبعدها عن هذا الميدان، فيصح أنها تعمل، لكن فى إطار.

ويجب أن تعلم المرأة نوعيتها فى العمل؛ فلا تخرج عنها.

وقصة سيدنا موسى مع ابنتى النبى شعيب نبى الله، تحدد الضرورة والتصرف على قدرها:

﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ هذه الضرورة للعمل، وعلى قدرها ﴿ **لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ** ﴾، ومهمة المجتمع ﴿ **فَسَقَىٰ لَهُمَا** ﴾ وانتهاز الفتاة الفرصة؛ لتعود إلى مستقرها ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ** ﴾ وخطبة الأب ومسارعته فى ذلك؛ حماية لوجود الأجير، وتقديرًا لعواطف ابنته ﴿ **إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ** ﴾[(١)].

[٤٦٢]

مصافحة الرجل المرأة

س: هل حرام أن تصافح المرأة رجلاً؟ مهما كانت النية...

(جـ): المرأة لا يجب أن تصافح الرجل... وهل النية قبل السلام، أم بعد السلام؟

إن النية قبل السلام، وليست بعده.

---

(١) سورة القصص: ٢٧.
انظر هذه القصة بتمامها فى تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١٣/٢٦٨) وجامع البيان للطبرى (٢٠/٣٥)، وما بعدها، والبحر المحيط لأبى حيان (٧/١١٣، ١١٤) والتفسير الكبير للرازى (٢٤/ ٢٤٠) ومختصر ابن كثير (٣/ ١٠).

ثم يردف فضيلة الإمام الجليل. . .

هب أن واحدًا نيته حسنة، إنما الشرع يشرع للمجموع.

ولا شر فى شر بعده الجنة.

ولابد من مقارنة المقدمات بالنتائج.

[٤٦٣]

المرأة والميراث ووصية الوارث

سؤال ورد من قارئة لمجلة «لواء الإسلام» تقول فيه:

«مات أبى وأنا أبلغ الخامسة من العمر، ولى عم شقيق لأبى رحمه الله، وله أولاد، ولا تزال جدتى على قيد الحياة، ولكن جدتى -سامحها الله- كتبت كل تركتها لابنها -عمى- ولم تعطنى شيئًا من الميراث الشرعى لى منها. فهل لى الحق فى مقاضاتها؛ لأحصل على حقى منها، مع العلم بأنها حرمتنى بحجة أنها تخشى وتخاف أن تتزوج أمى برجل آخر؟

وعرضت هذا السؤال على فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، فأفاد أن هذه الفتاة لا حق لها فى الميراث؛ لأن عمها قد منعها.

ثم يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن البنت ليس لها أن ترث، وكذلك لو كانت ولدًا، وإنما لها «وصية واجبة بما لا يزيد عن الثلث»[١]، وهذه الوصية شرطها ألا تكون لوارث. وشرط وصية الوارث، أن يرضى بها الجميع من الورثة.

[٤٦٤]

ميراث الرجل وميراث المرأة

س: لماذا ورث الإسلام المرأة نصف ميراث الرجل؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: من يقولون ذلك سنقول لهم: لماذا أنقص

---

(١) تم العمل بالوصية الواجبة بموجب القانون الخاص بها، والمعمول به من أول أغسطس سنة ست وأربعين وتسعمائة وألف للميلاد، حيث أجاز لأبناء وبنات الابن، أو الابنة المتوفاة ما كان أبوهم مستحقًا له لو كان على قيد الحياة (وكذلك أمهم لو كانت هى المتوفاة) وبموجب هذا القانون يكون ذلك أيضًا فى حدود الثُّلُث.

الإسلام حق المرأة عن حق الرجل فى الميراث؟ يجب أن نرى: هل الإسلام بهذا قد جامل الرجل، أم جامل المرأة؟

المرأة قبل الزواج -فى عرف الإسلام- مسئولة من ولى أمرها ينفق عليها، وبعد الزواج مطلوب نفقتها من زوجها.

وعلى فرض أنها غنية وزوجها فقير، أيكلفها أن تنفق عليه؛ وهو فقير؟ لا. . . يذهب ليقترض ولا يأخذ منها، إذن، المرأة مكفية المؤونة سواء قبل الزواج أو بعد الزواج.

فإذا ما جئنا فى التركة، وأعطينا لأخيها الثلثين وهى الثلث، فالرجل مطلوب منه أن يفتح بيتًا ويتزوج، ويحضر واحدة ينفق عليها، إذن هو مكلف بالثلثين، أن ينفق على نفسه، وعلى زوجته، وأخته يتزوجها واحد وليست مكلفة أن تنفق عليه شيئًا، وبهذا يكون ثلثها محفوظًا.

فكان المفروض أن يقول الذين لديهم عقل: لماذا جامل الإسلام المرأة، مع أنها لا تنفق فى الأول، ولا فى الآخرة؟ ولا تكلف نفقة أبدًا؟

[٤٦٥]

وجوب المساواة بين الأبناء

س: والد لثلاث بنات وليس له ابن يدخر جزءًا من مرتبه، يوزعه بالتساوى على بناته الثلاث، وأراد أن يستثمر هذا المبلغ فى بنك إسلامى مثل بنك فيصل، فهل هذا التصرف جائز شرعًا؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن للأب الحرية فى أن يهب فى حياته ما يشاء، وهذا أمر متفق عليه، وما دام المال يوزع بالتساوى؛ فلا حرمة فى ذلك، والحرام الذى لا يقره الشرع هو تفضيل أحد الأبناء على الآخر، أو على الآخرين، فقد جاء أبو النعمان بن بشير إلى رسول الله -ﷺ- وقال: يا رسول الله، أعطيت ابنى النعمان كذا وكذا، من مالى فقال له الرسول -ﷺ-: «**هل أعطيت أولادك مثل ما أعطيت النعمان؟**» فقال: لا. . فقال له رسول الله -ﷺ-: «**أشهد على هذا غيرى، فإنى لا أشهد على جور**»(١).

---

(١) الجور: هو الظلم والحيف والهضم والحديث أخرجه أحمد فى المسند (٤/ ٢٦٩).

أما حدود هذا التصرف فهو أن يكون على قدر تجهيزهن وليس بكل ما يملكه أو يدخره لأن ذلك وسيلة للتهرب من الوارثين بعده.

[٤٦٦]

اختيار الاسم حق للأبناء

س: هل من حقى على والدى أن يختار لى اسمًا جميلاً أتحلى به طوال حياتى، وأفخر به وسط أقرانى حتى لا أكون مدعاة لسخرية إذا أظلنى اسم قبيح لا يغادرنى فى حلى وترحالى ولا يفارقنى فى يقظتى أو منامى حتى يصبح هذا الاسم وصمة تثقل كاهلى إلى أن أموت وينعدم هذا الاسم معى.. مشكلة حيرتنى يا فضيلة الإمام فهل أجد الجواب الشافى؟ أرجو هذا بارك الله فيكم.

(جـ): يقول الرسول -ﷺ-: «**أحسنوا أسماءكم فإنكم ستدعون يوم القيامة بأسمائكم**» ويضع -ﷺ- تجربة تطبيقية فيقض من الأسماء ما له معنى لا تسر له النفس، فقد سار مرة فى طريق وكان الطريق بين جبلين، فسأل عن اسم الجبلين فقيل له: ذلك (مخزى، وهذا فاضح) فلم يسر الرسول -ﷺ- بين الجبلين (المخزى والفاضح).. وأراد الرسول -ﷺ- أن تحلب له لقحة (شاة) - فانتدب صحابيًا ليحلبها فقال: «**من يحلب هذه اللقحة؟**» فقال رجل: أنا، فقال: «**ما اسمك؟**» قال: مرة، قال: «**اجلس**» ثم انتدب آخر قال: «**ما اسمك؟**» قال: اسمى حرب.. قال: «**اجلس**».. ثم انتدب ثالثًا قال: «**ما اسمك؟**» قال: اسمى يعيش.. فقال: «**احلب**».. هذا يدل على أن حق الوليد أن يحسن أبوه اسمه.

[٤٦٧]

حكم اختلاط الفتيات بالشبان

حياة الجامعة وما أدراك ما الجامعة، لقد جمعت فى إطارها وأطوائها كل خير، وكل شر، كل ما فى العلم من نعمة الفضل والفضيلة، وكل شر من التمرد والثورة على الفضل والفضيلة، فمجرد أن يرتقى الشاب، وكذلك الفتاة درج الجامعة، وهو يتعثر بخطاه فى ثياب المراهقة، ومجرد أن يلتقى القطب الموجب بالقطب السالب، يجذب الأول الآخر، ويلتحم الاثنان فى مسرحية المراهقة تحت شعارات المدنية المزيفة التى أدخلها مصطلح الحضارة والتطور.

ولو أن التربة التى تنشأ منهـا، وتنجم عنها البادرة كانت صالحة طـيبة كريمة المنبت، لما راودنا أى خوف أو قلق. إنمـا فى كل هذه البيئـات يختلط هذا بذلك، فنجد أن العواقب صعبة، والنتائج غير مرضية.

وللشيخ الشعراوى فى مسألة اختلاط الشباب بالفـتيات رأى وحكم، يقول فضيلته:

مسألة الاختلاط بين الفتاة والشاب ليسـت منطقية ولا طبيعية، وقد سبق أن عالجت هذا الأمر حـينما تكلمت عن قصة موسى مع شـعيب، وقلت: إن خروج الفتـاة إلى عمل فى غيـر مجال أسـرتها، أمـر تحدده الضرورة المحـضة، وقلت: اسمعوا قول الله تعالى: ﴿ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾(١).

وكلمة ﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾، حددت الضرورة، والضرورة التى أخرجت الفتاة إلى مجال الاحـتكاك، والاختلاط تؤخذ بقدرها، ﴿ **لا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ** ﴾ ليست مجرد الضرورة التى أخرجتها، حتى يحتكوا بالناس فى حجاب إن كانت فى مجتمع ﴿ **وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ** ﴾ ثم تكلم عن دور المجتمع ﴿ **فَسَقَىٰ لَهُمَا** ﴾.

يعنى حين يرى الرجل امرأة خـرجت لتكافح فى الحياة عن ضـرورة اقتضت ذلك؛ فيجب عليه أن يقضى لها ضرورتهـا، حتى تذهب إلى حال سبيلها ويجب على الفـتـاة أو المـرأة التى تضطرها هذه الضـرورة أن تلـتـمس الخـروج من هذه الضرورة.

قالت بنت شعيب: ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ**

---

(١) سورة القصص: ٢٣.
أمة: جماعة. تذودان: تكفـان غنمهما وحُذفَ الغنم اختصاراً. وفى تـفسير أبى صالح: «تحبس إحداهمـا الغنم على الأخـرى» انظر الطبرى (٢٠/ ٣٥) والقـرطبى (١٣/ ٢٦٨) وغريب القرآن ص ٣٣٢.
وقراءة يَصدرَ (بوزن يقتُل) الرعاء: أى يرجع الرعاء.
وقراءة يُصدرَ (بوزن يؤمن) الرعاء أراد: يرد الرعاء أغنامهم عن الماء.
وانظر الطبرى (٢٠/ ٣٧) والقرطبى (١٣/ ٢٦٩) والبحر المحيط (٧/ ١١٣) ومختصر ابن كثير (٣/ ١٠) والفخر الرازى فى الكبير (٢٤/ ٢٤٠).

الأمين﴾(١)، هى التى بحثت عن حل واحد يقوم بهذه المهمة، نحن لا نمنع المرأة من العمل، لكن تخرج إلى العمل إن كان فى محيط أسرتها، وإن استدعى أن تخرج إلى المجتمع، لكن فى حشمتها وفى وقارها، وفى اتزانها، ولا تجعل هذه الضرورة تبيح لها أن تختلط بالشباب ما شاء لها الاختلاط.

هبوا أن الضرورة اقتضت أن تخرج المرأة إلى المجتمع للعمل، ولا رجولة خاصة فى مجال القوى، ولا رجولة عامة فى المجتمع، وتركت المرأة لحال سبيلها تكافح فى الحياة، ما هو الرابط بين أن تتبرج لتخرج على أبهى زينتها، وأكمل حليتها؟ ما هى العلاقة بين هذا وهذا؟

والفتاة التى تخرج لتتعلم، إنما قلنا إنها ضرورة اضطرتها للاختلاط، فما ضرورة أن يكون ميدان الجامعة ميدان تبرج، تلبس أحسن الأزياء، ولقد قلت سابقًا: هل العلم لا يسمع إلا من بين الصدور؟ الثدى يكون ظاهرًا.

هل العلم لا يستقبل إلا بالسيقان المكشوفة؟

هل العلم لا يؤتى إلا باللباس الكاشف؟

والفتاة فى تبرجها خارج منزلها؛ تعبر عن إلحاح فى عرض نفسها على الرجل لأن مبالغة المرأة فى تبرجها خارج منزلها معناه إلحاح فى عرض نفسها على الرجل تمامًا، ومعنى ذلك أنها تقول له: انظر أنا هنا.

والشباب ليس فى حاجة إلى من يهيج غرائزه، الشباب الآن يحتاج إلى مبردات، وليس إلى مهيجات، فرقوا يا قوم بين حركة العمل فى الحياة، وبين إغراءات هذه الحياة.

[٤٦٨]

بر الوالدين بعد موتهما

س: ما هى كيفية بر الوالدين بعد موتهما. وكيف يكون ذلك؟

(جـ): سأله -ﷺ- رجل من الأنصار: هلى بقى على من بر أبوى شىء بعد موتهما؟ قال: «**نعم، خصال أربع: الصلاة عليهما والاستغفار لهما، وإنفاذ**

(١) سورة القصص: ٢٦.

انظر البحر المحيط (٧/ ١١٤).

عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا رحم لك إلا من قبلهما، فهو الذى بقى عليك من برهما بعد موتهما»[(١)].

وسأله -ﷺ- رجل: ما حق الوالدين على الولد؟ فقال: «**هما جنتك ونارك**»[(٢)].

وسأله -ﷺ- رجل عن بر الوالدين؟ فقال: «**ويحك! أحية أمك؟**» قال: نعم، قال: «**ويحك! الزم رجلها فثم الجنة**»[(٣)].

وقال -ﷺ-: «**إنى لأعجب ممن يدرك أحد والديه فى الكبر ولا يدخل الجنة**»[(٤)].

[٤٦٩]

المرأة مع أى من أزواجها فى الجنة ؟

س: المرأة تتزوج الرجلين والثلاثة... مع من تكون منهم يوم القيامة؟

سئل هذا السؤال رسول الله -ﷺ-:

(جـ): فقال: «**تخير، فتكون مع أحسنهم خلقًا**»[(٥)]. وقيل تكون لآخر أزواجها على سبيل التأويل.

[٤٧٠]

انفضى إلى نسائنا فى الجنة ؟

سئل -ﷺ-: أنفضى إلى نسائنا فى الجنة؟

وفى لفظ آخر: هل نصل إلى نسائنا فى الجنة؟

فقال: «**أى والذى نفسى بيده إن الرجل ليفضى فى الغداة الواحدة إلى مائة عذراء**»[(٦)].

قال الحافظ أبو عبد الله المقدسى: رجال إسناده عندى على شرط الصحيح.

---

(١) المسند (٣/٤٩٨). (٢) سنن ابن ماجة (٣٦٦٢).

(٣) ابن ماجة (٢٧٨١) بنحوه.

(٤) لأن برهما أو بر أحدهما طريق ممهدة للفوز بالجنة.

(٥) لأن أحسنهم أخلاقًا أولى بها فى الدنيا والآخرة.

(٦) المسند (٤/ ٣٧١).

[٤٧١]

تطهير الزاني بإقامة الحد عليه

س: ما هو حد الزنا الذي يطهر الزاني؟

(جـ): يختلف حد الزنا باختلاف صاحبه، فإن كان الزاني غير محصن، وهو الذي لم يسبق له الزواج الشرعي الذي خلا فيه بالزوجة ووطئها فيه، فإنه يجلد مائة، جلدة ويغرب عامًا.

والزانية غير المحصنة مثله، إلا أن تغريبها إن كان يسبب مفسدة؛ فلا تغرب؛ لقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[١].

ولقول ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-: «ضرب وغرَّب، وأن أبا بكر ضرب وغرب، وأن عمر ضرب وغرب»[٢].

وإن كان الزاني محصنًا، أو محصنة، رجم بالحجار حتى الموت.

وذلك لما كان يتلى، ونسخ: (الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله، والله عزيز حكيم).

ولأمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالرجم، وفعله فقد رجم الغامدية وماعزًا، ورجم اليهوديين، ورد هذا في الصحيح.

(ح) متفرقـــات

[٤٧٢]

ترى أحلامًا مزعجة

س: إنها دائمًا ترى أحلامًا مفزعة، فهل تقرأ آيات معينة من القرآن الكريم لمنع تلك الأحلام؟ وماذا لو لم تنصرف هذه الأحلام؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوي فيقول:

---

(١) سورة النور: ٢.

ومن أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية: أن الفاسق الخبيث الزاني الفاسق يرغب في نكاح الصوالح من النساء (بتصرف من التفسير الكبير للفخر الرازي (٢٣/ ١٥٠)).

(٢) صحيح البخاري.

إذا حدث ورأيت حلمًا مفزعًا، واستيقظت، فالتفتى جهة يسارك، وابصقى ثلاث مرات، واستعيذى بالله من الشيطان الرجيم فى كل مرة، ولا تقصى ما رأيت من الأحلام على أحد، ففى بعض الأحيان يقضى الله سبحانه وتعالى على الإنسان قضاء، ويريد الحق أن يلطف بهذا العبد فيه، ومن لطفه أنه يجرى الحدث على الإنسان وهو نائم.

[٤٧٣]

حول الخوف من الموت

س: تسأل ف.ع. من مصر الجديدة:

هل البكاء والخوف من الموت حرام فى الدين؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن الإنسان يجب أن يخاف من الموت؛ لأنه لم يستعد للقاء الله.. أم لذات الموت، فلا يجب الخوف منه.

[٤٧٤]

طبيب النساء

س: أنا حامل ويباشر علاجى طبيب مشهور أستريح له فى علاجى، إلا أنه غير متدين، فهل هذا حرام، مع العلم أنى حاولت أن أعالج نفسى لدى طبيبة، ولكنى لم أسترح لعلاجها..؟

(جـ): ما دمت محتاطة لدينك، وإن لم تكونى قد ارتحت عند الطبيبة التى تذكرينها، فلا مانع فى أن تسألى أهل الذكر فى طبيب مسلم، معروف عنه خشيته لله، فإذا لم يكن، فلا مانع فى أن تستمرى لدى طبيبك المعالج، إن لم يكن بالبلدة طبيب حاذق غيره.. والله أعلم.

[٤٧٥]

تعامل الحائض مع القرآن

س: تسأل السيدة نادية محمد سليمان:

عن قراءة القرآن سرًا للحائض ما حكمها؟ وهل النظر لكلمات القرآن بدون لمسه حرام على الحائض؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إمرار آيات القرآن على ذهن المرأة الحائض مباح، أما قراءتها للقرآن بأى صورة فممنوع، وذلك لإيجاد قداسة للقرآن، فلا يجوز أن يقبل الإنسان على القرآن إلا وهو متطهر.

ولقد أعفى الله الحائض من الصلاة والصوم، فهل تصلى وتصوم برغم إعفائها هذا؟

إن امتثال أوامر الله فى ذلك عبادة، فكما أن قراءة القرآن فى الطهر عبادة، فكذلك عدم قراءته عند الحيض عبادة.

ونجد أيضًا أن الإنسان حر فى أن يصوم فى أى يوم من السنة، ولكن فطره فى يوم العيد واجب، لأنه عبادة كذلك، فإن عبادة الصيام لا يزيد فضلها بتطويل مدة الصيام بعد المغرب، ولكن تعجل الإفطار عند أذان المغرب والامتثال لذلك عبادة مثل صوم النهار تمامًا.

[٤٧٦]
الجنة تحت أقدام الأمهات

س: سيدى الإمام.. ما معنى أن الجنة تحت أقدام الأمهات؟

(جـ): يقال: أن فلانًا بين يدى فلان يعنى أمامه ويقال: أن فلانًا تحت أقدام فلان، وهذه كناية مثل ما تقول: إن فلانًا طوع يدى، وإن لم تمسكه يداك فكأنك قبضت عليه بيدك توجهه كيف تشاء، فتذوب إرادته فى قوتك، وإن لم تمسكه فعلاً بمعنى أنه مؤتمر بأمره لا يخرج عن إرادته، كما لا يخرج المقبوض عليه من يد قابضه، فإذا قلنا: «إن الجنة تحت أقدام الأمهات» فليس معناه الإخبار عن مكان الجنة هنا، وإنما معناه من أراد الجنة فليلزم قدم أمه.. بمعنى أنه يكون فى الموطن الذى يظنه الناس مهينًا مع سواها.

وبذلك فإن معنى الجنة تحت أقدام الأمهات: يا من أراد الجنة، فلتلتزم الذلة والخضوع.. كما قال الله عز وجل: ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾[1].

---

(١) سورة الإسراء: ٢٤

وعندما أوصى النبى -ﷺ- بالوالدين، جعل الوصية الغالبة للأم؛ لأن الأب له من الكدح فى الحياة ما قد يغنيه، ولأنه إن تعرض للحاجة وإلى السؤال، فلا غبار عليه. . أما الأم إذا وصلت إلى هذا الحد من الحاجة، فيكون فى ذلك مهانة لها يجب أن تحفظها وتجنبها إياها.

وعندما سئل رسول الله -ﷺ- من أحق الناس بالصحبة؟ قال: «**أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك**»(١). . فأوصى بالأم ثلاث مرات قبل أن يوصى بالأب؛ لأن الأم تمثل الجانب الضعيف، وهى تمثل الحنان والستر، فأراد الله صيانتها.

وعندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ طلب العلى القدير من الابن الدعاء، طلب أن يدعو للأبوين كليهما بالرحمة، وأرجع التربية إلى كل من الأم والأب، فالأم تعطى الحنان، والرعاية، وللأب جانب الكفاح وراء الرزق فكلاهما مشترك فى التربية.

وأوصى كذلك القرآن الكريم بالوالدين فقال: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا**﴾(٢) فقد أوصى بالوالدين معًا، وفى آية أخرى قال: ﴿**وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾(٣) إذن فقد أوصى الله تعالى الأبناء بالأبوين معًا.

ولكننا نجده فى آية أخرى يقول: ﴿**وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا**﴾(٤). ومرة أخرى يقول: ﴿**حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ**﴾(٥) فأتى فى الآيتين الكريمتين بأسباب وحيثيات التوصية لجانب الأم، فهو جل شأنه أوصى بالوالدين معًا، ثم أتى بالسبب للأم وذلك، لأن الأشياء التى يضعها الأب للابن أشياء واضحة له، فعندما ينفتح ذهن الابن يجد أن كل شىء مرده إلى الأب؛ فهو الذى يأتى بالأموال التى يشترى بها طلباته، وبذلك حين تتفتح عقلية الابن، وينظر إلى مصادر النفع له، يجد أن مردها إلى الأب. فالابن هنا لا يحتاج إلى لفت نظره إلى دور الأب؛ لأنه أدرك بنضجه العقلى ما يفعله أبوه له.

أما متاعب الأم بالنسبة للولد، فلقد حدثت فى مرحلة لم يبلغ فيها الابن بعد مسألة الإدراك لما يحدث، فهو لا يستطيع أن يدرك المتاعب التى تتكبدها الأم

---

(١) البخارى (١٠/ ٣٣٦/ ٥٩٧١) ومسلم (٢٥٤٨).
(٢) سورة الأحقاف: ١٥.
(٣) سورة الإسراء: ٢٤.
(٤) سورة الأحقاف: ١٥.
(٥) سورة لقمان: ١٤.

فى فترة الحمل والرضاعة، وما تبذله من جهد عظيم لرعايته فى مرحلة طفولته المبكرة وبذلك فإن متاعب الأم غير مدركة للولد الذى يوجه له النصيحة، ولكن عندما ينصحه يكون قد بلغ من النضج والمقدرة على الفهم، فيقدر ما يفعله له أبوه فى الوقت الحاضر، أما ما فعلته أمه قديمًا فهو لا يدركه فى نفسه، مع إمكان إدراكه فى غيره، فأتى الله سبحانه وتعالى ليذكره بذلك.

[٤٧٧]

استماع الأغانى

س: استماع الأغانى من المطربين والمطربات، وما حكم الشرع فيه؟

(جـ): إنه يلهيك عن طاعة الله، ويخل الإنسان عن وقاره الاتزانى.

لا خير فى خير بعده النار، ولا شر فى شر بعده الجنة ولابد من مقارنة المقدمات بالنتائج.

[٤٧٨]

الشعراوى والتربية

س: ما هى التربية؟

(جـ): التربية هى حيثية إيماننا بالله وألوهيته ومعناها إيصال المربى إلى مرتبة الكمال التى هيئ لها.

۞۞۞

س: وما هو مصدر التربية الإسلامية؟

(جـ): التربية الإسلامية مصدرها منهج الله فالتربية الإسلامية حين تضع منهجًا إنما تضع منهجها عن الله الذى خلق الإنسان؛ فصاحب الصنعة الذى صنعها هو أعلم بها، وهو الذى يقنن لها.

۞۞۞

س: وما هى النظرية الإسلامية فى التربية المادية؟

(جـ): جاء الإسلام فبدأ مهمة التربية من اختيار نوعى الذكورة، والأنوثة

ليلتقيا لإيجاد أنساب وإنجاب أفراد جدد، والنظرية الإسلامية فى التربية تقوم على التكافؤ فى الجوهر بين النوعين، والتكافؤ فى الجوهر هنا يعنى التكافؤ النفسى والصحى، والخلقى والقيمى. ويقول الإمام الجليل: «الإسلام يضع هذه المسألة نصب عينيه قبل أن يبدأ فى تربية الوليد، لأنه يريد أن يضمن للوليد وعاء صالحًا ينتج عنه ذلك الولد، هذا الوعاء الصالح سيحمل بقانون الوراثة فى نوعيه أى فى (أبويه) صفات، وهذه الصفات ستكون محور التربية فيما بعد».

۞۞۞

س: وهل زواج الأقارب أوفق للتربية الإسلامية، أم زواج الأباعد؟

(جـ): ويفيد فضيلة الإمام أن الإسلام حريص على الاغتراب فى الزواج، حتى لا يوجد نسل هزيل ضعيف، ثم يجلو الإمام ذلك بقوله: «حين يوجهنا القرآن والسنة إلى هذا، يكون قد لاحظ أول شىء فى التربية -أن يكون الوليد الذى يؤمل عطاؤه من الله.. وليدًا قويًا فى خصائصه؛ لأنه لن يجمع خاصية جنس واحد، ولا نوع واحد».

وأشار الإمام إلى تقرير حق الطفل فى الإرضاع حولين كاملين. ويعد انتقال الطفل من مرتبة الرضاع إلى مرتبة الحضانة يعطى الطفل لمن يناسب عمر تكوينه، ويكون هذا من حق الأم؛ ويعلل الإمام ذلك بقوله: «لأن الطفل فى صغره ليس محتاجًا إلى العقل الحازم الجازم؛ لكنه محتاج إلى الحنان، وإلى العاطفة الرقيقة التى تناسب طبيعة تكوين الأم».

س: وما أسباب العقد النفسية فى الأطفال، وهى كثيرة شتى؟

(جـ): يجيب فضيلة الإمام بقوله: من أهم أسباب العقد النفسية هو التفاضل بين المربين، ففى تلك الأثناء، تتربى عن الذى يأخذ الحق الأقل عقدة مركب النقص يستشعر أنه ليس إنسانًا سويًا، كذلك الإنسان الذى يحب أكثر. قال تعالى فى أخوة يوسف: ﴿**إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ**﴾(١).

---

(١) سورة يوسف: ٨.
العصبة: الجماعة. وتطلق على العدد من العشرة إلى الأربعين.
راجع القرطبى (٩/ ١٣١) والتفسير الكبير للرازى (١٨/ ٩٤).

س: ما ثمرة العلم؟

(جـ): يقول الإمام الجليل: إن ثمرة العلم، هـى التطبيق العملى، فلابد من أن يسير العلم للتطبيق العملى.

[٤٧٩]

منهج التربية فى الإسلام

س: ما هو الأسلوب الأمثل للتوجيه والتربية فى المنهج الإسلامى؟

(جـ): لنتأمل حديث رسول الله -ﷺ- الذى يقول: «**ما بال أحدكم يفعل كذا وكذا**»[١]. . لنجد أنه لـم يواجه الفاعل بفـعله حتى لا يحـرجه، وحين لا يحرجه، أو يخجله يكون حريصًا على كرامـته فى المجتمع، ويكفى أن يعلم نفسه أنه قصر لكى لا يعلم غيره أنه هـو الذى قصر. . وبعد ذلك يأتى الرسول -ﷺ- بالمنهج الإسلامى فى التربية هو أن يحسن المربى كيف يأخذ المربى من أقصر الطرق إلى موقع الحق فى أية قضية من القضايا.

وهذه القضايا قد تكون صعبة للعقل فـيها وقفة، ولكن لباقة المربى، وحسن استعداده، واتساع ثقافته تجعل من هذه كلها أدوات تعينه على أن يصل بالمربى إلى الحقيقة التى يريدها من أيسر طريق إلى الفهم، وبأقل وسيلة للإقناع.

وقد أخرج الإمام أحمد والبيهقى فى (شعب الإيمان) عن أبى أمامة -رضي الله عنه- أن فتى شابًا أتى النبى -ﷺ- فقال: يا رسول الله، ائذن لى بحـب النساء، فأقبل القوم عليه فزجروه فقال: «**ادن**» فدنا منه، قال: «**اجلس**» فجلس، فقال -ﷺ-: «**أتحبـه لأمك؟**» قال: لا، والله جـعلنى الله فـداءك، قال: «**ولا الناس يحـبونه لأمهاتهم**» قال -ﷺ-: «أفتحبه لابنتك؟» قال: لا، والله يا رسول الله جعلنى الله فداءك، قال: «**ولا الناس يحبونه لبناتهم**» قال -ﷺ-: «**أفتحبه لأختك؟**» قال: لا، والله جعلنى فداءك قال: «**ولا الناس يحبونه لأخواتهم**» قال -ﷺ-: «**أفتحبه لعمتك؟**» قال: ولا والله جعلنى الله فداءك قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم» قال -ﷺ-: «**أفتحـبه لخالتك؟**» قال لا، جعلنى الله فداءك قـال: «ولا الناس يحبونه لخالتهم» قـال: فوضع يده -ﷺ- عليه ثم قال: «**اللهم اغفـر ذنبه، وطهـر قلبه،**

---

(١) البخارى (٣/ ٣١٦/ ٢٥٩٥).

وأحصن فرجه»(١) قال: فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.. وقال: فوالله ما همت نفسى بمعصية من ذلك النوع إلا ذكرت أن يفعل بأمى أو بزوجتى أو ببنتى، فامتنع.

إذن فالرسول -ﷺ- جاء إلى تبشيع المسألة من أقرب طريق يتصل به وبكرامته، وبعواطفه، وبمكانته، وبمقامه، فإذا ما أراد أن يفعل ذلك تذكر ما يمكن أن يفعل به.

ذلكم هو الأسلوب الأمثل فى التوجيه الكريم الذى علمنا من خلاله -ﷺ- كيف تكون الكلمة الطيبة، وما هو سحرها إنه المدخل الحقيقى لقلب وفطرة الإنسان السوى.. أجل.. كلمة طيبة ومنطق قويم.

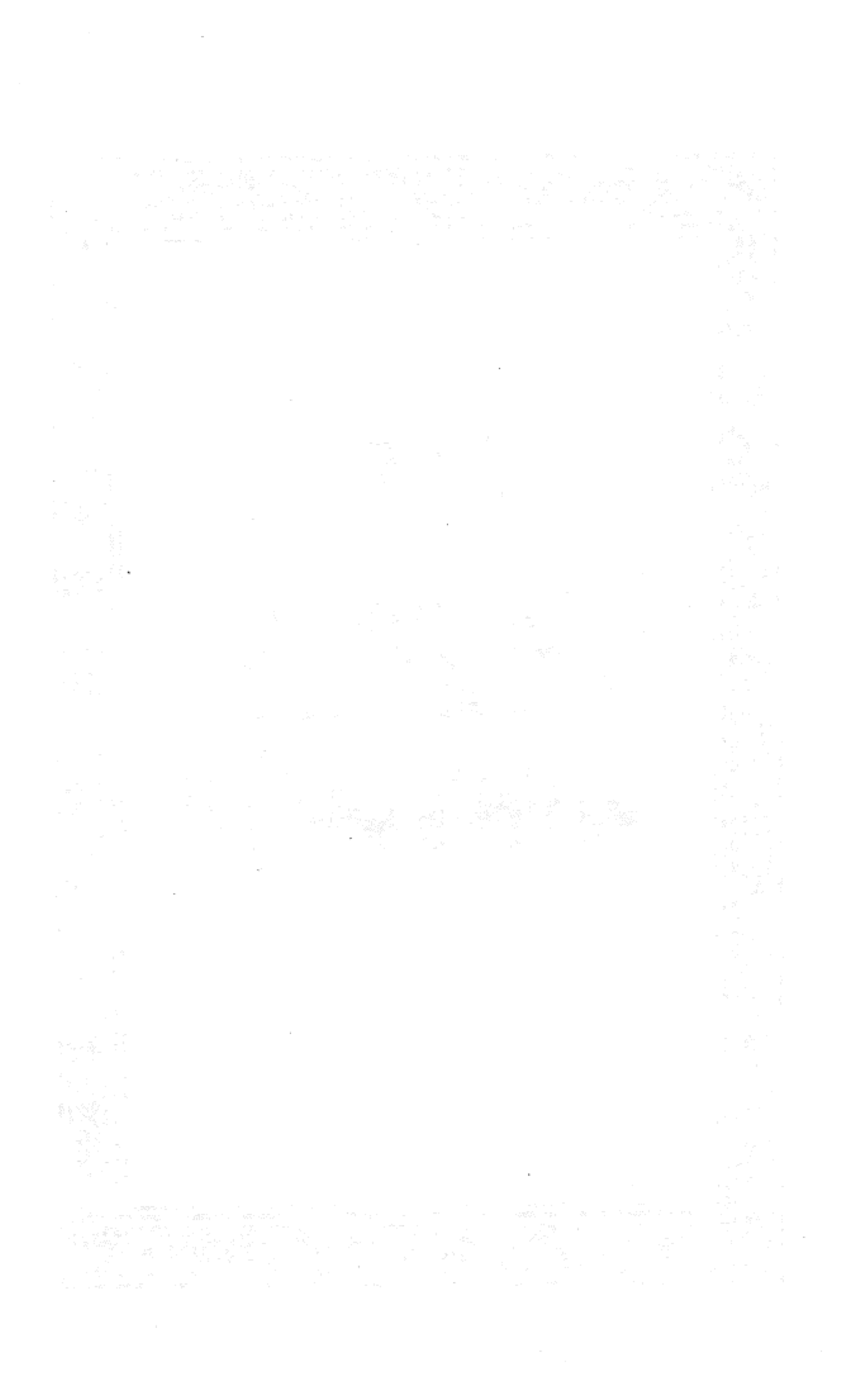
---

(١) حتى يرفع الحرج عن المليم، فلا يحرجه ولا يجرحه من التثريب المباشر.

[١٢]

الباب الثاني عشر

الفرائض والمواريث



[٤٨٠]

شروط الميراث وحقوق التركة

س: ما هى شروط الميراث والحقوق المتعلقة بالتركة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

شروط الميراث:

الأول: موت المورث حقيقة، أو بحكم قضائى، أو تقديراً (سقط جنين).

الثانى: تحقق حياة الوارث وقت موت المورث حقيقة.

الحقوق المتعلقة بالتركة نوعان:

الأول: قبل الإرث.

١- تجهيز الميت.
٢- يدون المورث.
٣- الوصية بالثلث.

الثانى: عند انعدام الورثة تكون التركة للمستحقين بغير الإرث.

١- من أقر له المتوفى بنسب.
٢- للموصى له بأكثر من الثلث.
٣- للخزانة العامة.

[٤٨١]

موانع الإرث

س: ما هى موانع الإرث؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

الأول : القتل عمداً من عاقل بالغ (١٥) خمس عشرة سنة وبغير حق.

الثانى: اختلاف الدين: فلا توارث بين مسلم، وغير مسلم وجوازه بين الكفار.

الثالث: اختلاف الدارين إذا منعت شريعة الدولة الأجنبية توريث الأجنبى عنها.

الرابع: الردة عن الإسلام من عاقل طوعًا فلا أثر لوجوده.

س: كيف توزع التركة بعد استيفاء حق المتوفى والدائنين والوصية؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: البدء بأصحاب الفروض عدد أربعة رجال (الأب - الجد - الزوج - أخ أم) وثمانية نساء (البنت الصلبية - بنت ابن - الأم - الجدة - الزوجة - أخت أم - أخت شقيقة - أخت أب).

ثانيًا: ما بقى يكون للعصبات النسبية: وهى ثلاثة: عصبة بالغير، وعصبة مع الغير، وعصبة بالنفس.

والعصبة بالغير ومع الغير، لا تكون إلا من الإناث، فالعصبة بالغير يكون الإرث بين الذكور والإناث، للذكر مثل حظ الأنثيين والعصبة مع الغير: مثلاً ترث البنت الصلبية وبنت الابن فرضهما كاملاً، وترث الأخت الشقيقة أو لأب الباقى تعصيبًا معهما.

ثالثًا: أما العصبة بالنفس: فلا تكون إلا من الذكور ولها أربع جهات:

مقدم بعضها على بعض فى الإرث عند الاجتماع حسب الآتى:

١- البنوة: جزء الميت تشمل الابن - ابن الابن - وإن نزل.

٢- الأبوة أصل الميت تشمل: الأب - والجد - وإن علا.

٣- الأخوة جزء أبى الميت تشمل: أخ شقيق - أخ أب، ابن أخ شقيق - ابن أخ أب.

٤- العمومة جزء جد الميت تشمل: عم شقيق - عم أب - ابن عم شقيق - ابن عم أب.

والترجيح عند الاجتماع يكون بالجهة، ثم بالدرجة إذا اتحدت الجهة (مثلاً: الابن، يمنع ميراث ابن الابن) ثم بقوة القرابة إذا اتحدت الجهة والدرجة (مثل أخ شقيق يمنع ميراث أخ لأب).

ثالثًا: فإن لم يكن هناك عاصب، فإن الباقى يرد على أصحاب الفروض غير

الزوجين، وإلا كان الميراث لذوى الأرحام، فإن انعدموا كان الإرث بالرد على أحد الزوجين.

مثال: توفى رجل عن زوجة وبنت وعم والتركة (١٦٠ فدانًا) للزوجة الثمن (٢٠ فدانًا)، للبنت النصف (٨٠)، والعم العاصب الباقى (٦٠).

١- إذا انعدم العاصب العم ترد حصته للبنت= ٨٠ + ٦٠= ١٤٠.

٢- إذا انعدم العاصب والبنت معًا ولم يوجد إلا الزوجة فيرث ذوى الأرحام (١٢٠) والزوجة الربع (٤٠).

٣- إذا انعدم ذوى الأرحام نرد الباقى (١٢٠) للزوجة التى ورثت الربع، فترث الزوجة التركة كلها فرضًا وردًا.

٤- وإذا انعدم الورثة تستحق التركة لفئات ثلاث:

(أ) لمن أقر له المتوفى بنسب.

(ب) للموصى له بأكثر من الثلث.

(جـ) للخزانة العامة للدولة.

[٤٨٢]

الثلث والثلث كثير

س: ما هو الحد الأقصى الذى يتصدق به الإنسان دون أن يجور على حق الورثة؟

(جـ): سأل سعد بن أبى وقاص[١] -رضي الله عنه- رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله، قد بلغ بى الوجع ما ترى، وأنا رجل ذو مال، ولا يرثنى إلا ابنة لى، أفأتصدق بثلثى مالى؟ قال: «**لا**»، وقلت: فالشطر يا رسول الله؟ قال: «**لا**»، قلت: فالثلث؟ قال: «**الثلث والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء، خير من أن**

---

(١) هو سعد بن أبى وقاص، أبو إسحاق، الصحابى الأمير، فاتح العراق ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأول من رمى بسهم فى سبيل الله وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

انظر تهذيب ابن حجر (٣/ ٤٨٣) وصفة الصفوة (١/ ١٣٨).

تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت بها (أو: عليها)، حتى ما تجعل فى فِى امرأتك»(١).

[٤٨٣]

مسألة فى الميراث
ما نصيب كل من هؤلاء ؟

س: ما نصيب ابنة الابن، وابنة، وأخت من تركة الأب المتوفى عن ابنة، وابنة ابن، وأخت؟

(جـ): سئل أبو موسى الأشعرى عن ابنة، وابنة ابن، وأخت، فقال: «للبنت النصف، وللأخت النصف، وائت ابن مسعود فسيتابعنى فسئل ابن مسعود، وأخبر بقول أبى موسى، فقال: لقد ضللت إذن وما أنا من المهتدين، أقضى فيها بما قضى النبى -ﷺ-، للبنت النصف، ولابنة الابن السدس، تكملة للثلثين وما بقى فللأخت»(٢).

[٤٨٤]

التوريث قبل الموت

س: امرأة أوصت قبل وفاتها بتوريث قريبة لها كل تركتها، وكل ما تمتلك فما مدى صحة هذا التوريث شرعًا؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

أخشى ما أخشاه أن تكون الوصية لأحد الأقارب فرارًا من أن يأخذ الوارثون حقوقهم المشروعة، فإن ذلك يدخل فى باب الكراهية، وإلا فما الداعى لأن تحرم

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (١/ ١٦٨، ١٧١، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٤) والنسائى (٦/ ٢٤٤) والشيخان فى البخارى (٤/ ٤٨/ ٢٧٤٣) ومسلم فى الصحيح وابن ماجه فى السنن (٢٧١١) عن ابن عباس وصححه السيوطى فى الصغير (١/ ٢١٧/ ٣٥٦٨، ٣٥٦٩) عن ابن عباس وعن سعد، وأبو داود فى السنن (٣/ ٢٨٤/ ٢٨٦٤).

(٢) البخارى (٨/ ٢٧٢/ ٦٧٤٢).

فردًا كتب الله له ميراثًا، فما دام الله قد كتب له ذلك فهو أقرب لها من غيره، والإنسان لا يمكن أن يوصى إلا بثلث ماله، وأما الثلثان فهو حق الله يتصرف فيهما بقوانين التوريث كما أراد.

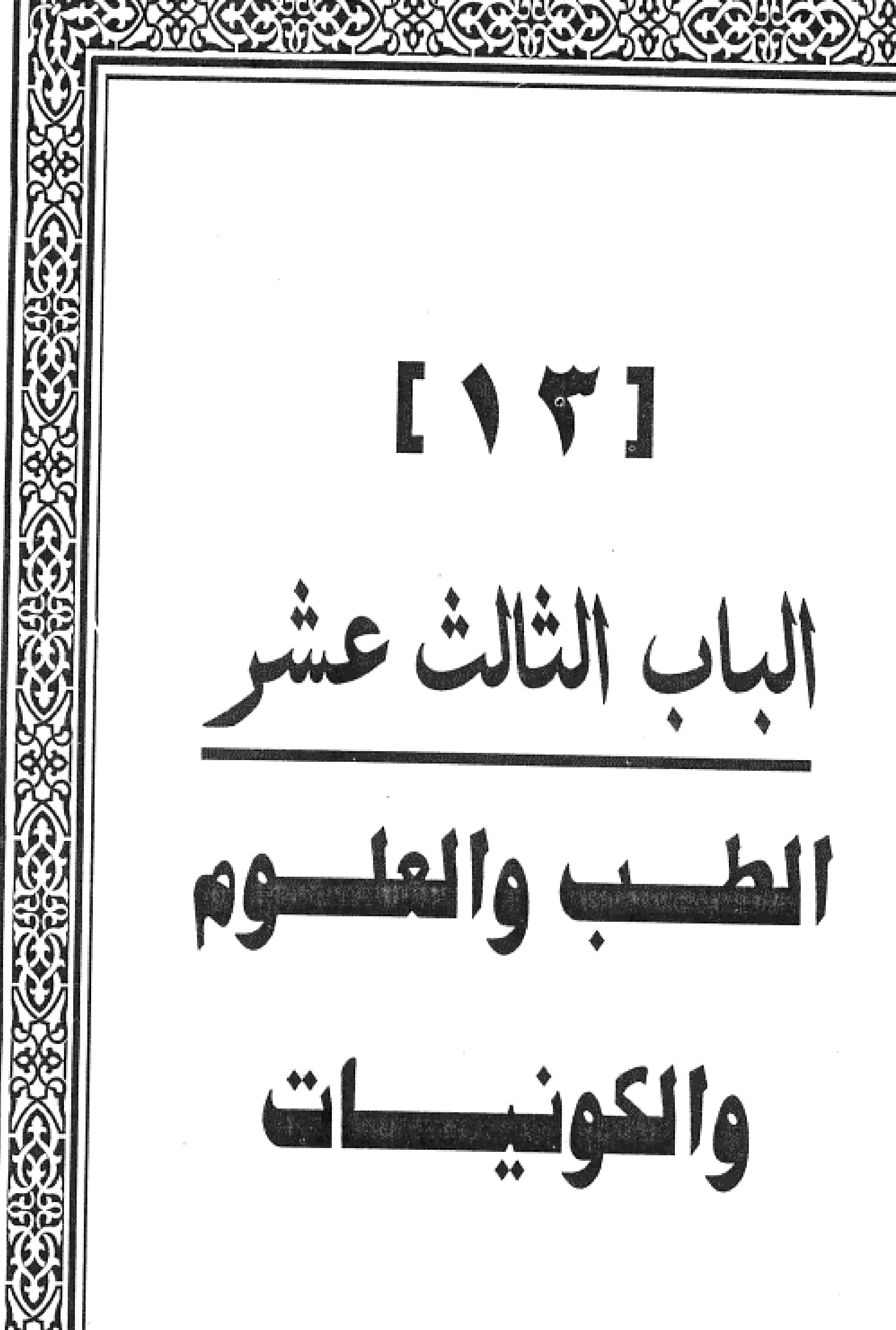
والله يقول فى ذلك: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ﴾(١). فأنا لا أترك ثروتى لمن أحب، ولكن أتركها لمن أحب الله أن يأخذها، وما دام الإنسان قد دخل دنياه وليس معه شىء، فإن الله يخرجه أيضًا، وليس معه شىء، وليس له أن يتصرف إلا فى الثلث، ويترك الباقى لأصحاب الحقوق.

كما يجب أن يكون الثلث الذى تتصرف فيه لغير وارث، فإن كان لوارث فلابد من موافقة جميع الورثة.

۞۞۞

---

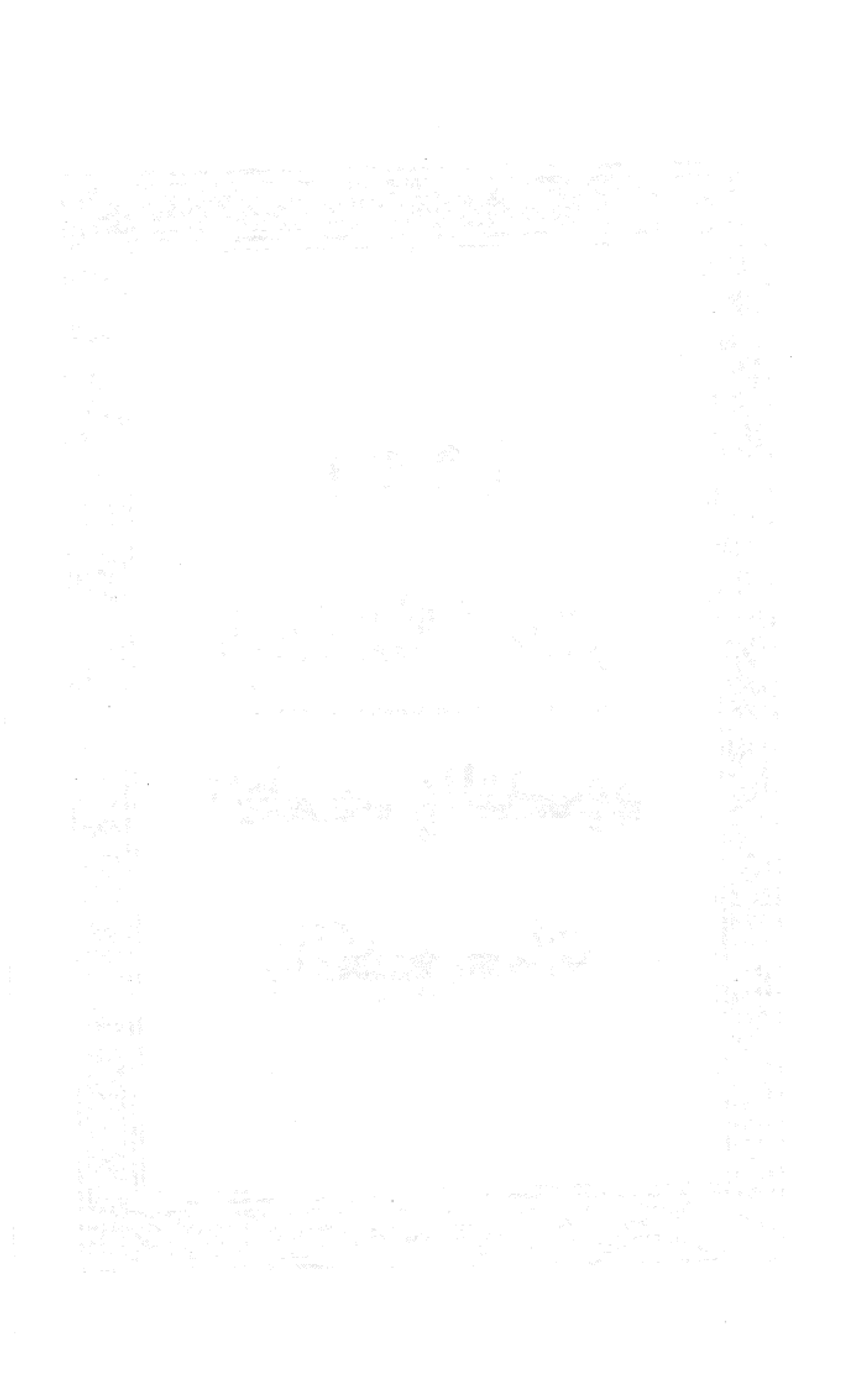
(١) سورة النساء: ١١.



[١٣]

الباب الثالث عشر

الطب والعلوم والكونيات



[٥٨٥]

التفسير العلمى للقرآن

س: ما هو رأى فضيلة الشيخ الشعراوى فى التفسير العلمى للقرآن؟

(جـ): أجاب فضيلته: إن الله سبحانه وتعالى شرع لنا من التكاليف ما تختلف فيه الأهواء؛ ليعصمنا من صراعات هذه الأهواء، أما الأمور العلمية التى تخضع للتجارب المعملية المادية، فالكل متفق عليها، المادة صماء لا تجامل باحثًا أبدًا، الغاية التى ينتهى إليها كل باحث يدخل معمله أمام المادة بدون هوى، تلتقى مع ما يذهب إليه نظره أيضًا إذا دخل معمله أمام المادة، وليس له هوى؛ لأن المادة صماء لا تجامل أحدًا، وإذا نظرنا إلى المسائل المادية وجدنا أن الرسول -ﷺ- قد وضع فى ذلك حدًا للمسلمين، وحدًا واضحًا... وجعل نفسه مقياس هذه التجربة، ما هى التجربة العلمية أولاً؟.

التجربة العلمية تنشأ من ملاحظة ظاهرة فى الكون. ثم لا تمر هذه الملاحظة مرورًا عابرًا بل تقف موقف التأمل، ولا تقف موقف التأمل لتستمتع فقط، بل لتنتفع؛ أى أن تأخذ من الظاهرة شيئًا يفيدها فى تصعيد إسعاد حياتها، والقرآن حينما يعرض هذه المسألة الكونية يقول: ﴿**وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ**﴾(١).

إذن فالآيات فى السموات والأرض يطلب منا الله أن ننظر إليها بنظرة متأنية متأملة وليست نظرة عابرة، وأن نتفحصها لنستهدى بواسطتها.

تلك هى الملاحظة والتجربة. الأمر المادى لا تختلف فيه الأهواء أبدًا، ومعنى ذلك أن النتيجة التى تنتهى إليها تكون واحدة، وسبق أن قلنا: إنه لا توجد كهرباء روسى ولا كهرباء أمريكى، ولا توجد كيمياء بريطانى وكيمياء ألمانى، كل ما انتهى إليه من القضايا العلمية التجريبية الناشئة من المعمل، أمور متفق عليها،

---

(١) سورة يوسف: ١٠٥.
راجع تفسير الطبرى (١٣/ ٥٠) والقرطبى (٩/ ٢٧١).

والرسول -ﷺ-، الذى يقول لنا الحق فيه: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾[(١)].

فالرسول يأتى بالتشريع بلاغًا عن الله، إذا كان بالنص، أو بلاغًا وبيانًا لمراد الله، أو تفصيلاً لما أجمل الله وقد يكون للرسول -ﷺ- تشريع فى ذاته، يأتى ذلك تحت قوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾.

ويضرب الشيخ الشعراوى مثلاً على ذلك فيقول: الرسول -ﷺ- جاء والعرب يلقحون النخل، أى بإجراء عملية الإخصاب من طلع الذكور إلى وعاء الأنوثة، فقال: «**ما تصنعون؟**» قالوا: كذا وكذا قال: «**لو لم تفعلوا لصلح**»، فسمعوا قول الرسول -ﷺ-، فلما جاء الموسم، لم يجدوا النخل قد آتى أكله كما يأتى به كل عام، فقالوا للرسول هذا فأراد الرسول أن يجعل التجربة فى ذاته فقال: «**أنتم أبصر وأعرف بشئون دنياكم**». أى الأمور التجريبية المعملية، التى لا تجامل.

إذن فذلك فتح للعقول على أسرار هذا الكون، لنستفيد منها الفائدة التى تعطينا الحركة المثمرة بأقل مجهود وأكبر عائد، وبذلك تميز الإسلام. والإسلام لم يضطهد عالمًا فى معمله، ولا صاحب نظرية من النظريات فى نظريته، ولا باحثًا فى بحثه وتجربته.

لم يضطهد القرآن شيئًا من هذا أو ذاك.

وإذا نظرنا إلى المبتكرات أو المخترعات التى تسعد الدنيا؛ لوجدناها جاءت نتيجة ملاحظة الظاهرة فى الكون، كيف استفدنا بالبخار؟.

استفدنا لأن ملاحظًا للظاهرة قد رأى ارتفاع غطاء القدر، فلما بحث عن سبب ارتفاع غطاء القدر، وجد ضغط البخار يرفع الغطاء، فعلم أن للبخار قوة، ومن الممكن لهذه القوة أن نستفيد منها فى الحركة، إذن فكل قضية علمية مؤكدة إنما هى نتيجة ظاهرة من ظواهر الكون يريد العلم منا ويريد الإسلام منا أن نتبين،

---

(١) سورة الحشر: ٧.

راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (٢٩/ ٢٨٦) ومنه أن المفسرين قالوا: «إن الآيه نزلت فى أموال الفيء، إلا أنها عامة فى كل ما أمر به النبى -ﷺ-» اهـ بتصرف، وانظر أقوال العلماء أيضًا فى الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١٨/ ١٧).

وأن نستنبط منها ما يسعدنا، وليس فى ذلك ما يناقض الدين، بل فى ذلك ما يؤيد قضية الدين؛ لأنه إذا كان الإسلام قد جاء ليسيطر منهجه على الوجود كله، فليس من مصلحة الإسلام أن نترك الكافرين بالله يأخذون أسرار كون الله منا، ونحن المؤمنون بالله نقف بعيدًا عن هذه الأسرار التى أبدعها الله جلت قدرته.

[٤٨٦]

الأمراض السرية والتناسلية

أخذ الحديث بيننا مداه بين فضيلة الإمام الجليل محمد متولى الشعراوى وبينى، وتطرق الكلام إلى مسألة طبية غاية فى الدقة، فوجئت بالعالم الجليل يشرحها شرح الطبيب الممارس، الذى تدرب على أصول الطب العلمية فى المعامل والمختبرات، يشرح باستفاضة، ويتكلم بثقة، ويبين بدقة، وقد كنا ونحن طلبة فى كلية الطب نسمع المحاضرة، ثم نطبق الجزء العملى عليها فى المختبر بتجارب عملية، وكان الأساتذة يشرحون رؤوس المواضيع وكان بشرحهم فى الغالب تتعقد المسائل، وتعوزنا جهدًا جهيدًا فى مراجعتها والتحقق من تفاصيلها؛ حتى تثبت فى الذهن؛ لترسخ فى العقل.

وبعد فينة وحقبة من الدهر -وقد مارسنا الحياة العملية بكل تعبها ومشاقها والتزاماتها ألفيتنى- وأنا طبيب باحث - أعود مرة أخرى تلميذًا فى الطب للدكتور محمد متولى الشعراوى:

قلت: إن الأمراض السرية والتناسلية تبدأ مزمنة من البداية، ولا يصحبها ارتفاع فى درجة الحرارة وهذا مدعاة للكسل عنها، وعدم الاهتمام بها؛ لأن المريض لا يشعر بالألم فيها، والشعور بالألم هو الحافز دائمًا للمسارعة بالتداوى، والبحث عن العلاج.

وقد أضاف الشيخ الشعراوى فقال:

لهذا كان الإسلام حريصًا على صحة المسلم بتحريم الزنا، حتى لا تنشر هذه الأوبئة؛ فلا يفرغ الرجل محتوياته إلا فى أهله، وإلا عم الخطر، وتفشى البلاء.

من ثم نجد المريض يشكو من نزول كميات كبيرة كثيفة من الصديد مع البول، منذ عشرات السنين، ولا يخف لعلاجها، ولا يسعى لتداويها؛ لأنها غير مصحوبة بألم أو بارتفاع فى درجة الحرارة.

[٤٨٧]

السرطان والألم

سألنى الشيخ الشعراوى قائلاً:

هل تعلم لماذا يكتشف مرض السرطان فجأة؟

وهل تعلم لماذا لا يحدث ألـمًا أو تعبًا فى مراحله الأولية؟

ثم هل تعلم لماذا يشعر مريض السرطان بالألم الشديد فى مراحله المتأخرة؟؟؟

تتابعت هذه الأسئلة فى قوة وثقة، وعادت بى الذاكرة إلى الوراء على الفور، وتذكرت أسئلة مشابهة لهذه الأسئلة وجهتها إلى لجنة المناقشة فى امتحان الجراحة للبكالوريوس، فقد كانت حالة «سرطان بالثدى»، واستأصله جراح من قبل، ثم دخلت المريضة المستشفى؛ لإجراء بعض التحاليل، وقد تبين من آثار الجراحة السابقة أن الجراح استأصل الثدى بأكمله، ومعه الغدد الليمفاوية فى منطقة الإبط، وعرفت ذلك من امتداد الأثر الجراحى إلى هذه المنطقة.

وكانت أسئلة لجنة المناقشة بالإنجليزية ترجمتها بالعربية:

س: ما نوع استئصال الثدى فى هذه العملية الجراحية؟

(جـ) استئصال جذرى.

س: وما معنى جذرى؟

(جـ): استؤصلت معه الغدد الليمفاوية المتصلة بالورم.

س: ولماذا؟

(جـ): لأنها تأثرت بالخلايا السرطانية، وتضخمت كذلك، وذلك لأن التشخيص جاء متأخرًا.

س: وماذا تتوقع أن يكون سبب تأخر تشخيص مثل هذه الحالة؟

(جـ) لأن سرطان الثدى لا يحدث ألـمًا يذكر، ومن ثم لا يستدعى الالتفات إليه، ولا يسترعى النظر له.

س: ولماذا تسبب كثير من حالات السرطان آلامًا فى أخريات تطوراتها؟

(جـ): لأنها تزداد فى الحجم شيئًا فشيئًا؛ فتبلغ مبلغًا كبيرًا، ومن هنا تضغط على الأحشاء المجاورة؛ فتسبب لها ضيقًا وتعبًا، ومن هنا يحدث الشعور بالألم، فضلاً عن انطلاق ثانويات سرطانية تغير على أحشاء الجسم الأخرى، ويكون هذا عند تقدم الحالة.

قال الشيخ محمد متولى الشعراوى يشرح لى كيف يحدث السرطان ألمًا فى آخر أطواره، لما نجده فى كل هاتيك الحالات:

جعل الله لكل عضو فراغًا فى بدن الإنسان يشغله، وقد صممه الحق تبارك وتعالى بدقة تناسب شكل وهيئة هذا العضو، فالضلوع جُعلت لتحمى الرئتين والقلب من أية صدمات أو احتكاكات، وكذلك الكبد والطحال؛ فإن وجودهما تحت أو خلف الضلوع يضمن لهما السلامة من التهتك، وإلا كان من السهل مع أى احتكاك، أو أى اصطدام بأى جسم أن ينفجر الكبد، أو يتهتك الطحال، أو يتمزق أغشية الرئتين.

وإذا ما أصاب السرطان عضواً من الأعضاء، فإن خلاياه تنشط نشاطًا غير عادى، وتتوالد وتنقسم أنويتها، فيبلغ أضعاف أضعاف حجمه الأصلى(١) فيجور على حصة غيره من الحيز المخصص له، فيضغط عليه، ويكتم أنفاسه، ويكبته، وهذا ظلم عظيم، وعدوان سافر، وضيم بائن(٢)، ومن هنا يصرخ المريض؛ لأن معركة طاحنة دارت رحاها فى داخله، ولا جرم أنه يصبح حطامًا فى أتونها.

[٤٨٨]

إيجابية الذكر وسلبية الأنثى

تمهيد:

أودع الله الشبق الجنسى فى النفس البشرية سرًا من أسراره وحكمة من روائع حكمه -جل شأنه- وجعل الممارسة الجنسية من أعظم ما ينزع إليه العقل والنفس والروح، وهى مطلب روحى وحسى وبدنى.

---

(١) هذا القول ليس مطلقًا فى كل الأمراض السرطانية بهذه الصورة، لكن فى الأغلب والأعم.

(٢) الضيم: الظلم، والبائن: الظاهر.

ولو أن رجلاً مرت عليه امرأة حاسرة سافرة على جمال باهر، وحسن ظاهر واستهواء بالغ، ولم يخف إليها، وينزع إلى جمالها، يحكم عليه الطب بأنه غير سوى، وتنقصه الرغبة الجنسية، ونقصان الرغبة الجنسية -فى عرف الطب- مرض يستوجب العلاج والتداوى، ناهيكم عن انعدام الرغبة تمامًا.. وهذا بدوره مرض عضال. وقد اتصلت بالممارسة الجنسية فى الإنسان قمة المتعة والتلذذ، وقد جعلها الله كذلك لاستبقاء النوع، وحتى يتصل البقاء البشرى الآدمى معمرًا صفحة لطبيعة.

ولما تحدث الشيخ الشعراوى فى ذلك ألفيته طبيبًا بارعًا، تكلم بمنطق علمى ملتزم من واقع المراجع الطبية التى قرأتها، وتدارستها على مدى سنين طوال.

فقد قال فضيلته:

إن المواقعة بين الرجل والمرأة يقوم الرجل فيها بدور إيجابى؛ لأنه يقذف الحيوان المنوى مؤهلاً للإخصاب، وهو فى هذه الحال يبذل جهدًا كبيرًا، ويسفح طاقة هائلة لقاء قذف هذه المحتويات الحيوية، ولكن دور المرأة سلبى؛ لأن إفرازاتها أثناء الممارسة الجنسية لا تحمل عنصر الحياة فى توها، إنما المقصود من هذه الإفرازات تشحيم الذكر (القضيب) حتى يسهل الإيلاج، وحتى لا تصادفه أية صعوبة أثناء الإتيان.

ولا يحدث الحمل إلا عندما يلتحم الحيوان المنوى مع البويضة، وليس كل اتصال جنسى تنزل فيه بويضة أنثى، إنما تنزل هذه البويضة كل شهر بصفة دورية منتظمة. لذلك فالرجل دوره إيجابى، والمرأة دورها سلبى، أو أقل إيجابية.

وقد ازدادت دهشتى وعجبى من أن ترجمة هذا الكلام لفضيلة الشيخ الشعراوى حرفيًا هى بعينها ما قاله أستاذنا العالم الجليل الطبيب البارع المرحوم محمد طلعت، أستاذ علم وظائف الأعضاء بكلية الطب (سابقًا) فى كتابه فى هذا الشأن (المجلد الرابع).

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

ربما يقول قائل أو يسأل سائل: إذا كان الرجل إيجابيًا والمرأة سلبية، فلماذا لا يمكن الاستغناء عن المرأة، ولو لم تكن عملية الإخصاب من منى الرجل نفسه، فربما كان معنى سلبى أى: ممكن الاستغناء عنه؟؟ نقول له على الفور.. كلا...

إن هذا العنصر السلبى ضرورى لا يمكن الاستغناء عنه، وإنه السلبى المتمم، والشق الرئيسى والضرورى، ولنا مثلاً على ذلك سلك الكهرباء عندما يتصل بالمصباح الكهربائي.. هل يمر التيار فى القطب الموجب فقط لكى تحدث الإضاءة؟.

أم أنه لابد من فرع موجب وآخر سالب يلتقيان معًا؛ فتحدث شرارة يتولد منها الضوء الحادث؟!!

بالمثل نفس الحركة الديناميكية، فالرجل فى كل عملية جماع مؤهل بسائله المنوى لأن يخصب ما يشاء ومن يشاء، ولكن المرأة ليست مستعدة للإخصاب كل لقاء مع الزوج؛ لأن فترات الإخصاب عندها محددة بفترات زمنية محدودة.

وقد قال أستاذنا الدكتور محمد طلعت فى المجد الأول فى علم وظائف الأعضاء له فى حديثه عن الجهاز العصبى الذاتى:

ما ترجمته بالعربية:

«إذا كانت العملية الجنسية (الجماع) عملية هدم للطاقة، وإهدار لها بالنسبة للرجل، فإنها تعتبر عملية بناء أيضًا؛ لأنها تُسهم فى إرساء لبنة حية لمولود جديد» اهـ.

[٤٨٩]
وسائل منع الحمل والإجهاض

سألت فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى -على ما أذكر فى شهر رمضان المباركة سنة ١٣٩٦هـ- وهو وزير للأوقاف وشئون الأزهر عن عمليات الإجهاض غير الشرعى فأفاد:

أن عملية الإجهاض غير الشرعى حرام قطعًا، ولا داعى للاقتراب منها، وهذه جريمة يرتكبها الأطباء حديثو التخرج -عن غير قصد- وللطبيب عذره فى ذلك إذ إنه يرى من واجبه الإنسانى، أن يجيب ملهوفة إلى طلبها، ويخفف عنها أتراحها، وهذه هى مهمته الإنسانية النبيلة حقًا فى إزالة المتاعب والمصاعب من النفوس الملتاعة، ومن ثم فإنه يبدو إنسانًا رحيمًا عطوفًا فى غير موجب لذلك، حتى إن هذه الرقة والعاطفة تسبب ازدياد الطين بلة، وتفاقم من شدة الخطر، وقد قال لى الشيخ الشعراوى: دعوها تحترق، نحن نريد أن نطهر المجتمع من أمثال هذه القاذورات.

ولما أن سألت فضيلته عن وسائل منع الحمل: أحلال مباح استعمالها أم حرام؟

فأجاب فضيلته:

إنها حلال مباحة بشرط أن تكون بقصد المحافظة على صحة الأم من عواصف مرض، أو ويلات سقم، بعيدًا عن مسألة الرزق؛ لأن الذين يتخذون من وسائل منع الحمل سببًا لتقليل حجوم عائلاتهم، لا يعتمدون بذلك على الله، وبهذا يتصدع صرح إيمانهم فى أعظم لبناته.

وأثرت هذه النقطة منذ فترة وجيزة مع الإمام الجليل، العالم الفاضل، وعند وجود داع وإلحاح لوسيلة منع الحمل لظروف الأم الصحية.. كمرضها مرضًا مزمنًا، معديًا، أو إصابتها برماتيزم القلب الذى يزداد سوءًا على سوء بالحمل، أو حالة إصابة الأم بتشنجات عصبية عنيفة تحتم إنهاء الحمل؛ حرصًا على صحتها وراحتها، فأى الوسائل تفضل فضيلتكم؟

الشيخ الشعراوى: ممنوع استعمال أية وسيلة لمنع الحمل عدا (العازل)، فإنه لا بأس فيه، ولا ضرر فيه، ولأنه لا يوافق على إدخال مادة كيماوية داخل جسم الأنثى.

وقد سئل -ﷺ- عن العزل، قال: «**أو إنكم لتفعلون؟**» قالها ثلاثًا «**ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهى كائنة**» متفق عليه. وفى لفظ مسلم: «**إلا عليكم أن لا تفصلوا، ما كتب الله عز وجل خلق نسمة، هى كائنة إلى يوم القيامة إلا ستكون**».

ولما سئل -ﷺ- أيضًا عن العزل قال: «**ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شىء، لم يمنعه شىء**».

تعقيب

يرى الدكتور السيد الجميلى ضرورة وضع حظر شديد على صرف أى من وسائل منع الحمل هذه إلا عند شدة الحاجة الشرعية إليها؛ حتى لا تشيع أمور لا يرضى عنها الله سبحانه وتعالى، والله يعصمنا من مزالق الخطأ.

وقد كنت ذات يوم أتناول طعام الغداء مع مولانا الشيخ الشعراوى فى بيته،

وعرض سؤال بالنسبة للذين يتخذون أساليب منع الحمل مخافة مشاق الحياة وتعبها وصعوبة الحصول على الرزق فى اعتقادهم فقال الشيخ الجليل:

إننا نرى كثيرًا من الناس يموتون، ويتركون أبناءهم صغارًا، ويكفلهم الله برعايته؛ فيوفقوا إلى أعلى المراتب والدرجات، وقد لا يصلوها لو عاش آباوهم.

[٤٩٠]

الختان والخفاض(•)

تمهيد:

عملية الختان عند الذكور تسمى الخفاض عند الإناث، وفى الختان فى الإناث (الخفاض) يقطع البظر كله، مع الشفرين الصغيرين، وقد مارس قدماء المصريين الخفاض من قديم الأزل.

وقد روى الإمام القرطبى أن النبى -ﷺ- قد ولد مختونًا، وأن سيدنا إبراهيم -عليه السلام- قد ولد مختونًا أيضًا، وأنه اختتن سيدنا إسماعيل.

وقيل: أن الدين الحنيف أى من الطهارة، وقيل: إبراهيم حنيفًا، أى طاهرًا مختتنًا(١).

قال رسول الله -ﷺ-:

«الختان سنة للرجال مكرمة للنساء»(٢).

وقد ذهب العلماء فى هذه المسألة مذاهب شتى، بعضهم رضى به للذكور فقط، والبعض الآخر وافق عليه للبنات دون الذكور، والبعض وافقوا على اختتان الذكور دون البنات.

وبعض الفقهاء لم يوافق على الختان البتة، فقد أنكر الشيخ محمود شلتوت الخفاض، وحتمه الشافعية للجنسين (المهذب للشيرازى (١/ ٢٩٧))، ووافقتهم

(•) يقال: ختن الغلام والجارية، فالغلام مختون والجارية مختونة وكلاهما ختين وهى فعيل بمعنى: مفعول.

(١) انظر المعنى فى تفسير القرطبى (٢/ ١٣٩، ١٤٠).

(٢) راجع الموضوع فى مظنته من كتب الفقه إلى مزيد من البيان.

الحنابلة فقط للذكور دون الإناث (المغنى (١/ ٧٠)، بينما رآه الحنفية والمالكية[١]، كما قال رسول الله -ﷺ-: «**سنة للرجال مكرمة للنساء**».

ولما سأل الدكتور السيد الجميلى الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى أجاب بالآتى:

الختان للرجل، والخفاض للمرأة[٢].

وفى نفس التسمية إعطاء المدلول.. خفاض غير إنهاك ومعنى تخفيض أخذ الأمر الزائد عن الأمرين.

وقد قال -ﷺ- لأم عطية -وهى امرأة مهاجرة كانت تختن البنات- «**اخفضى ولا تنهكى**» [انظر نيل الأوطار للشوكانى (١/ ١١٣)].

وإن لم يكن ثمة زائد، فلا داعى.

[٤٩١]

طفل الأنابيب

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾[٣].

علم الحق تبارك وتعالى أزلى سرمدى، غير محدود بمكان أو زمان، وقد سئلت سؤالاً - فى محاضرة علمية ألقيتها بين حشد هائل، ولفيف من الجامعيين منذ نحو عامين، وكان السؤال يتصل بطفل الأنابيب، ومحاولة تخليق طفل من منى الرجل وبويضة المرأة، بوضع كليهما فى ظروف مناسبة لتلك الظروف الرحمية، ومحاولة أقلمة الظروف من حول هذه البادرة، ثم بعد فترة يتم نقلها إلى تربة الرحم فى الأم، وحتى يكتمل النمو تماماً.

---

(١) راجع -إن شئت- كتاب (الإعجاز الطبى فى القرآن) تأليف السيد الجميلى وتقديم فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى والمرحوم الأستاذ إبراهيم الإبيارى.

(٢) يرى بعض العلماء أن الختان أو الخفاض هو نفسه «الإعذار». قيل: الختان للذكر، والخفاض للأنثى، والإعذار مشترك بينهما.
والعذار والإعذار والعذيرة: طعام الختان.

(٣) سورة لقمان: ٣٤.
راجع مختصر ابن كثير (٣/ ٧١)، والطبرى (٢١/ ٥٥).

والسؤال هو: هل هذا يتعارض مع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ﴾(١)؟؟

وقوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾(٢). هل يتعارض معه المحاولات الطبية الناجحة لمعرفة نوع الجنين ذكرًا كان أم أنثى؟؟

ويضيف الإمام الجليل:

ما تمت هذه التجارب إلا بأسباب الله من أخذ الحيوان المنوى من الرجل مخلوق الله، وأخذ البويضة من المرأة مخلوق الله أيضًا، وفى البيئة التى حددتها حكمة الله، ولما لم يقدروا على إيجاد وعاء يتسع لنمو الجنين، عادوا به إلى رحم أمه، حتى يؤكد مرجعه إلى أصوله.

فالبيان الأول:

لا يتم أى نجاح فى مثل هذه المسائل إلا بإرادة الله سبحانه، فهو الذى قدر ذلك وقرره فى غيبه الأزلى، ولو لم يرده الله تبارك وتعالى ما حدث وما تم.

وفى مبتكرات الطب ومنجزاته الضخمة فى معرفة نوع الجنين، وهو فى بطن أمه، لا نلقى أى تعارض مع قوله تعالى ﴿**وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ**﴾.

وفى نظر الشيخ الشعراوى:

أن هذا العلم الإنسانى لا يتم إلا بعد إجراء اختبارات معملية وتحاليل وبعد ذلك تظهر النتيجة والجنين فى بطن أمه، لكن العلم الإلهى اللامحدود غير مقرون باختبارات أو تحاليل، وهو علم أزلى قبل أن تقع النطفة فى الرحم، ويضيف فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، أن الطب لا يمكن أن يعرف كافة المعلومات الغيبية عن الجنين مثل: أطويل هو أم قصير، أذكى هو أم غبى، أشقى هو أم سعيد، هذا هو العلم الإلهى الذى قصر عنه، ويقصر فيه العلم الإنسانى مهما بلغ من تطور وتقدم.

هذا هو مجمل رأى فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى فى القضية.

---

(١) سورة ق: ١٦.

انظر روح المعانى (٢٦/١٧٨)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبى (١٧/٩).

(٢) سورة لقمان: ٣٤.

تعليق طبى للدكتور السيد الجميلى

ولدت أول طفلة بواسطة أنابيب الاختبار عام ١٩٧٨م. ثم تتابعت هذه العملية بعد ذلك بنجاح وتوفيق، ولا سيما فى إنجلترا.

ورغم أن بريطانيا هى التى بدأت التجربة، إلا أن كثيراً من دول العالم أجرت التجربة أيضًا بنجاح باهر، بل وأدخلت عليها تطورات، وتحسينات شتى، تكفل للجنين راحة تامة.

وقامت استراليا بتجربة أول توأم لأنبوبة اختبار، وتمت هذه التجربة الأولى من نوعها للتوأم كالآتى:

تؤخذ بويضة من أحد المبيضين، ويتم إخصابها فى أنبوبة الاختبار بالحيوان المنوى للذكر (الزوج) ثم تزرع فى الرحم، فيحدث الحمل العادى، وهذه الطريقة يستعين بها العلماء للتغلب على العقم الناجم عن انسداد «قناة فالوب» عند الزوجة، ورغم ذلك فإن العملية صعبة معقدة عند إجرائها، وقد توصل علماء استراليا إلى ابتكار جديد من نوعه فى هذا المضمار يحفز عملية (الإباضة) بدلاً من انتظار واحدة كل شهر، وذلك بإعطاء الزوجة عقارًا جديدًا يجعلها تطلق أكثر من بويضة فى الشهر، بل عدة بويضات فى المرة الواحدة، وبذلك أتيحت الفرصة لإخصاب بويضتين فأكثر، وتم زرعها فى تربة الرحم، وإذا كتب الله التوفيق لهذه التجربة، فستزداد فرصة إنجاب التوائم للزوجة العقيم.

[٤٩٢]

ويعلم ما فى الأرحام

س: ما المقصود بأن الله يعلم ما فى الأرحام؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

يقول الله سبحانه وتعالى فى سورة آل عمران:

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ

مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾[1].

إذن البشارة جاءت هنا وكل شيء عن المولود الجديد قبل أن يتم خلقه فى الرحم، بل وأكثر من ذلك كان زكريا نفسه غير مصدق أن ذلك ممكن أن يحدث؛ لأنه كبير فى السن وامرأته عاقر، فى هذه اللحظة التى يستبعد فيها زكريا أن يرزقه الله بطفل، أخبره الله أنه سيرزق بولد، ويكون اسمه «يحيى»، وسيكون نبيًا وحصورًا ومن الصالحين، وهذا هو لبعض تفسير كلمة «ما» فكيف يفسر البعض كلمة «ما» ذكر أو أنثى.. مع أن كلمة «ما» تتناول كل شيء عن المولود قبل أن يولد.. وفى أى أرض يموت.. ومستقبله، ومن سيتزوج، ورزقه، وهل سعيد أم شقى، طويل أم قصير، وكل ما سيحدث له، إن كلمة «ما» تتناول كل حرف فى حياة الإنسان ما سيشهده، وكيف سيعيش وإلى أى البلاد سيهاجر، إذن، فعلم الله سبحانه وتعالى فى كلمة «ما» علم غير محدود، فكيف تأتى أنت وتحدده بذكر أم أنثى، مع أن الله سبحانه وتعالى لم يحدده، بل قال «ما» فى الأرحام..؟.

القرآن ما دام معجزة فلابد أن فيه تحديًا، ولقد تحدى القرآن العرب بالبلاغة، ولكن الإسلام هو دين البشرية كلها، ولذلك كان للقرآن أن يتحدى الذين عاشوا وقت نزوله من غير العرب، ثم يحمل تحديًا لكل جيل بعد ذلك، وإلا فالمعجزة لا تكون قائمة.

ولقد استطاع القرآن أن يمزق حجب الغيب كلها، مزق حجاب الماضى، وحجاب الحاضر، ومزق حجاب المستقبل، ومزق حجاب النفس البشرية، ومزق حجاب كل الأشياء التى لا يمكن أن يصل إليها علم إلى الآن، وما زال القرآن يتحدى، ولا أحد يستطيع أن يواجه هذا التحدى.

نقطة يثور حولها الجدل فى هذه الأيام حول طفل الأنابيب، وما إلى ذلك، وأنت إذا أردت أن تصنع بشرًا، فالمفروض أن تأتى بالمادة الحية تصنعها أولاً، ولكنك حينما تأخذ ما خلق الله وتيسر عملية الخلق بما كشف الله لك من علم لا

---

(١) سورة آل عمران: ٣٨-٤٠.

راجع السيوطى فى الدر المنثور فى التفسير بالمأثور (٢/ ٢٠) وما بعدها، والقرطبى (٤/ ٧١)، وتفسير الطبرى (٦/ ٣٥٧)، ومجاز القرآن لأبى عبيد ص ٩١، ومختصر ابن كثير (١/ ٢٨).

يكون هذا أبدًا فيه صناعة أو طفل صناعى، أنت أخذت ما خلقه الله من الرجل، وأوجدت له الطريقة ليتم ما أراده الله فيما خلقه الله للأنثى، إذن أنت لم تفعل شيئًا سوى أن كان هناك سبب يمنع الحمل، واستطعت أن تتغلب عليه بطريقة ما، ولكن المادة الحية والرحم الذى نما فيه الطفل هما من خلق الله سبحانه وتعالى، فأين ما خلقت أنت من طفل صناعى. أو طفل أنابيب؟! إنك لم تخلق شيئًا، والحقيقة أن الله قد يسر لك سبيلاً تعالج عقمًا باستخدام ما خلقه الله.

[٤٩٣]

التعقيم وربط الأنابيب

س: ما حكم الدين فى التعقيم وربط الأنابيب؟

(جـ): حرام حرام بالإجماع، لأى سبب حتى ولو خاف الجراح انفجار الرحم. . . ذلك لأن علم الطبيب غير علم الله، والمرأة ليست آلة أو ميكانيكا، والأطباء لا يعرفون متى سيرزقها الله العافية.

والذى يجترئ عليها سيحوجه الله إليهم (إلى النسل)، ويزيل الله كل من معه؛ فيحتاج النسل مرة أخرى.

***

س: أحيانًا تجرى عملية، وعمليتان، وثلاثًا، قيصرية لسيدة، ثم نراها بعد ذلك مهددة بالموت لأى حمل قادم، فتطلب من جراح النساء والولادة أن يربط لها الأنابيب...

(جـ): لا يزال الشيخ الشعراوى عند رأيه. . . فيقول:

أنت تتكلم بحساباتك، والخالق له حساب فوق ذلك، فلا دخل لك.

ثم يرد سؤال خطير له أهميته.

[٤٩٤]

متى يكون التعقيم مباحًا ؟

س: كيف نبيح الإجهاض إذا دعت إليه الحالة الصحية للحامل، ولا نبيح

التعقيم لما قد تسببه الأمراض الموجودة بالسيدة من أضرار لصحتها بالنسبة للحمل المستقبل؟

(جـ): حالة الضرر الموجودة من الحمل فى حالة الإجهاض واضحة الآن، أما الذى قد يظهر مستقبلاً فى علم الله، وليس من شأنك.

(١)

لذلك فمجمل القول: أن الروح الإنسانية تدب فى الجنين بعد ١٢٠ يومًا من الحمل، ولابد من التفريق بين الناميات الحيوانية، والناميات النباتية، وبين الروح.

(٢)

الإجهاض بكافة أنواعه وأسبابه محرم، ما لم يكن لسبب متعلق بصحة الأم، وواقع الآن، وليس متوقعًا، لأن فى ذلك حكم على مستقبلنا، يريد الله أن يخلق فيه ما يخلق.

(٣)

منع الحمل لا ضرر منه ولا بأس، بشرط أن يكون باتفاق الزوجين، وألا يكون السبب فيه الخوف من قلة الرزق، وأن تكون هناك أسباب صحية خشية الضرر على الزوجة، ويثبت ذلك طبيًا...

التعقيم بكافة أنواعه حرام حرام حرام، مهما كانت الأسباب.

[٤٩٥]

نقل الدم أثناء وبعد العمليات الجراحية

س: هل هناك حرج فى نقل الدم من شخص إلى آخر أثناء وبعد العمليات الجراحية؟

(جـ): لا حرج على نقل الدم من شخص إلى آخر، كما يقول فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى، وكما هو معروف عندنا -نحن الأطباء- فلا شيء إطلاقًا، ولكن ما دفعنى إلى إثارة هذا السؤال لاستطلاع رأى الشيخ الجليل، وهو أن هذه العملية تتم فى ظروف حرجة جدًا يكون المريض فى أقصى لحظات التعب والإنهاك، فيكون نقل الدم إليه من نفس فصيلته نجدة

وإغاثة، والنية حسنة مقصدها شريف، وغايتها سامية، وهى المعافاة والصحة، لأن النبى -ﷺ- كان دائمًا يسأل الله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة.

[٤٩٦]

التبرع بالدم

س: ما هو ثواب التبرع بالدم، وهل من حق المتبرع أن ينال جزاء على ذلك، وهل الحصول على الجائزة يلغى ثواب التبرع، نرجو الإفادة من فضيلة الإمام؟؟

(جـ): تفضل مولانا الشيخ الشعراوى بالإجابة قائلاً: إن مجرد التبرع بالدم ولو أخذ عليه أجرًا يوجب الثواب؛ لأن هذا العمل قد يساعد فى إنقاذ حياة إنسان خصوصًا بعد أن أمكن الطب الحديث الاستفادة بالدم الموجود ولو بعد فترة.. ما دام القدر الذى يتبرع به المتبرع لا يضعفه، ولا يؤذى صحته، ودليل ذلك أنه من الممكن أن يجرح إنسان عفوًا، وينزف كمية كبيرة من الدم قد تزيد عن الكمية التى تؤخذ منه عند التبرع وعندما يتوقف الجرح فلا يؤثر الدم المفقود على حياته ولو على عموم صحته إذا كان أصلاً ذا صحة وعافية، بل وأكثر من ذلك فإن الدم يتجدد، ويستعيد الجسم الدم المفقود.. وبذلك فما دامت كمية الدم الذى يتبرع بها الإنسان من دمه لا تؤثر على صحته، وكان ذلك تحت إشراف ورعاية طبية، فإن مجرد القيام بهذا العمل ولو بأجر يكون عليه الثواب، وإن أراد المتبرع التنازل عن أجره فيكون له بذلك ثوابان.. ثواب التبرع بالدم، وثواب التبرع بالأجر والله تعالى أعلم.

[٤٩٧]

المخدرات وتعاطيها كمرقدات ومنومات

ما القول فى إعطاء المرضى جرعات مختلفة من المواد المنومة التى تحتوى على مخدرات مثل عقار «المورفين» و«ألفالمفين» و«دايكامفين» لا سيما بعد إجراء العمليات الجراحية الكبرى؟

وقد قال -ﷺ- فى حديثه الصحيح: «**كل ما أسكر كثيره، فقليله حرام،**

ولو لم يسكر»، وفى أبى داود والترمذى: «**كل مسكر حرام، وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام**»(١).

عرضت المسألة على فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى فأفاد أنه لا بأس فى ذلك، وقد ضرب لى مثلاً على ذلك، أنه لما ذهب عبد الله بن جعفر، -رضي الله عنه-، إلى الشام، وقصد الخليفة، فأصابته فى رجله عظمة جرحتها، فقاحت رجله من طول الطريق، وأصابتها الغنغرينا، فقرر الأطباء بتر رجله. فقيل: ابغوا له مرقدًا.. فقال: لا.. إننى لا أحب إن أغفل عن ربى طرفة عين فهى وإن كان تعاطيها (أى المخدرات) حرامًا - إلا أنه مباح للضرورة، لأن الضرورات تبيح المحظورات.

[٤٩٨]

فضلات الإنسان وخبث الحيوان

لمحة ذكية راقية أشار إليها العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وهى قوله:

إن الإنسان يتفنن فى اختيار وتنويع مأكولاته، ويهتم بتنسيقها وترتيبها، ويجد فى نظافتها إلى أقصى حد مستطاع، ومع ذلك كله فإن فضلاته وخبثه، وهو البراز كريه الرائحة لأقصى درجة.

ولكن الحيوان رغم أنه يأكل ما يجده من أعشاب مختلفة من هنا وهناك بذبابها وديدانها وجراثيمها وكل قاذوراتها ومع هذا فإن مخلفاته، ونواتج أيضه أقل كراهة من براز الإنسان، أو غائطه.

وربما يكون ذلك فى اعتقاد الشيخ الشعراوى يكون سببه راجعًا إلى أن النباتات تلك المختلفة المتنوعة فيها عقاقير طبية تعادل من بعض السموم، وتضاهى بعض المطهرات، ذلك لأن الأدوية التى يستخلصها الباحثون والصيادلة إنما يصدرها من نباتات البرارى، [والبوادى] والصحارى.

---

(١) كذا فى أبى داود (٤/ ٨٧/ ٣٦٨١) عن عائشة -رضي الله عنها- والترمذى عنها أيضًا (١٨٦٦)، وصححه وحسنه السيوطى (٢/ ٣٩٥/ ٦٣٤٨).

وقد قال -ﷺ-، من رواية ابن مسعود: «**ما أنزل الله من داء إلا وله دواء، فعليكم بألبان البقر، فإنها ترم من كل شجرة**»، رواه النسائى.

[٤٩٩]

حديث عن المعلبات واللحوم المستوردة

أثارت مجلة الاعتصام قضية خطيرة فى أهميتها هامة فى خطورتها، وهى مسألة اللحوم المستوردة والمعلبات التى تأتى من الخارج فيها لحوم مجمدة محفوظة ومكتوب عليها (ذبحت حسب الشريعة الإسلامية) وتبين أنها بعيدة كل البعد عما أحل الله، وعما أهل به لغير الله، ففيها لحم الخنزير، وفيها لحوم بعض الحيوانات المحرم أكلها فى الشريعة الإسلامية، وقد كانت هذه لمحة كريمة جريئة أومأت إليها الاعتصام، ونوهت عنها، بل وتناولتها لمساسها جوهر الدين الحنيف النظيف كل المساس.

وعرضت القضية على فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، فأبان:

أنه أيضًا مرتاب فى أمر هذه المعلبات، وساق إلى حدثا طريفًا جميلاً، وهو أنهم وجدوا إحدى هذه المعلبات المكتوب عليها (ذبحت حسب أو طبقًا للشريعة الإسلامية) وفتحوها فوجدوها علبة (سردين) وليست لحمًا. وهذا يفقد الثقة فى مثل هذه المعلبات، وأن المسألة أصبحت تجارة يبغون بها الكسب بأى وجه، وعلى أية صورة؛ فيضعون هذه الإعلانات إرضاءً لنا، وما هى من الحق فى شىء، وكما هو معروف فإن الذى يكذبك فيما تعلم، لا تصدقه فيما لا تعلم.

جزى الله عنها شيخنا الجليل خيرًا، وزاده فضلاً وعلمًا وكرامة.

[٥٠٠]

ممارسة الجنس عند الإنسان وعند الحيوان

يقول فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى فى مقام الحديث عن الممارسة الجنسية عند الإنسان.

إنها عملية استبقاء للنوع ومتعة، بدليل أن الإنسان يمتع نفسه بها. ويمنع الحمل.

لذلك فلا يجب فصل المتـعة عن الحمل، عندما نتـحدث عن حكمة الزواج فى استبقاء النوع والتوالد إلى جانب اللذة.

أما الحيوان، فإنه محكوم بالحكم الغريزى الذى لا خيار له فيه، فعندما تنزل البويضة من مبيض أنثى الحيـوان تصرح على الفور فى طلب الذكر؛ لأنها خرجت إلى مقام الاخـتيار الذى يعطى المتعـة الذاتية، فما دام الحيـوان قد ضمن استـبقاء النوع؛ فلا داعى لذلك.

ويضيف الدكتور السيد الجميلى تصـديقًا لقول مولانا وأستاذنا الإمام الجليل إيضاحًا له:

إن مجرد وقوع النطفة فى مهبل الأنثى، فإنها تلفظ الذكر لفظًا شديدًا، تكره أن يقترب منها نهائيًا، ولأن استبقاء النوع عندئذ قد ضمنته الأنثى، فهى لا تحتاج لممارسة الجنس أو تلقـيح الذكر لها أثناء الحمل، وهذا تأكـيد لأن الاتصال الجنسى عند الحيوان لا متعة فـيه. أما أنثى الإنسان فإنها تستمتع غايـة الاستمتاع بالاتصال الجنسى أثناء حـملها فى بعض الأحـيان، وهى فى الغـالب لا تعتـرض على هذا اللقاء طوال فـترة حملها، وفى الغـالب يكون رفضها للجـماع فى اعتقـاد زوجها رفضًا وصدودًا، ولكنه فى الواقع دلال وتصابى لا يفطن هو إليه.

ولابد للعـقل الحصـيف، والفكر المسـتنير البصـيـر أن يفرق بين الصـدود والدلال؛ لأن كليهما متفق مع الآخـر فى المظهر، لكنه متعارض فى الجوهر، ومن ذا الذى يخترم الظاهر إلى الباطن غير الأريب الممارس؟!!

[٥٠١]

مثوبـة العلمـاء وأجرهـم

والكفـار الذين لـم يؤمنوا بمحـمـد ولا بالقـرآن، لكنـهم علمـاء اخـتـرعـوا الميكروسكوب، أو الدواء، أو غير ذلك من المنجزات العلمـية التى خدمت البشرية والجنس الآدمى.

فما جزاؤهم عند ربهم؟

يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى:

إن الإنسان يأخذ أجره ممن عمل له، فهل كان الله فى بالهم، أم كان فى بالهم الإنسان، والعالم، والعظمة، والجاه، ولا تقل: إن الله افتأت عليهم بأن أضلهم -ﷺ- إنما ضل من فسق.

والفاسق هو ذلك الذى خرج من الإطار التكليفى.

[٥٠٢]

سنريهم آياتنا فى الآفاق

دعوة الإيمان

يقول الشيخ الشعراوى: قال تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾(١).. إن فى الأرض وما أقلت من سهول وجبال، وأنهار ووديان، وما عليها من زروع وثمار، وما فى جوفها من ماء عذب فرات، وماء كالملح الأجاج، وما فيها من زيوت ومعادن: آيات ودلائل للمتقين: ﴿**وفى أنفسكم أفلا تبصرون**﴾. وفى أنفسكم وما فيها من علوم ومعارف، وغرائز وميول واتجاهات للخير تارة. والشر أخرى آيات للمتقين.. أفلا تبصرون ذلك بقلوبكم لا بأبصاركم، وتفقهون أن هذا لا يمكن أن يكون مصادقة، ولكنه لخالق قادر على البعث وإعادة الحياة ﴿**وفى السماء رزقكم**﴾ تقدير رزقكم، وتحديده وأسبابه، فليس الرزق موقوفًا على شيء يتعلق بالكون الأرضى، فقط بل الأمر كله لله، والله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، أى وفى السماء إنه لحق مثل خلقكم، فكما أنكم لا تشكون فى نطقكم فكذلك هذا.. ﴿**فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ**﴾(٢). وروى عن بعض الأعراب حينما سمع هذه الآية قال: «يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف، ألم يصدقوه فى قوله حتى ألجأوه إلى اليمين؟»

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.
انظر أبا السعود (٥/ ٢٧)، والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٧/ ١٣٨، ١٣٩)، والقرطبى (١٥/ ٣٧٤)، والطبرى (٢٥/ ٤).

(٢) سورة الذاريات: ٢٣.
راجع القرطبى (١٧/ ٤٢)، وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ١٢٥).

صدق الله ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١). فمن كان يجلس على كرسى الوزارة.. ثم بعد ذلك بساعة نجده فى السجن والقيود فى يديه.. كل ذلك يحدث أمامنا ليذكرنا بطلاقة القدرة وقوة المشيئة.. ويؤكد لنا أن الأسباب التى أعطيت لزى بشر، لتمكن له ملكًا، أو جاهًا، أو سلطانًا، إنما هى أسباب معطاة من الله سبحانه وتعالى، وليست باجتهاد هذا الشخص أو نابعة من ذاته، بحيث إذا أراد الله، زالت هذه الأسباب، ولو كانت الأسباب ذاتية، أى تنبع من الإنسان نفسه لبقيت له، ولم يستطيع أحد أن يأخذها منه، ولكن كونها تزول عنه وفى لحظات، دليل على أن الله سبحانه وتعالى هو الذى وهبه هذه الأسباب، وهو الذى أخذها منه.

ولا تقتصر طلاقة القدرة على قمة الأمور فى الدنيا.. بل هى فى أكبر الأشياء وفى أبسط الأشياء، ولا تقتصر على فرد دون آخر، بل يراها الجميع، وكل منا صاح فى يوم من الأيام (ربنا كبير)، أو (ربنا موجود)، أو (ربك يمهل ولا يهمل) وهو يرى طلاقة القدرة تتدخل لتنصر مظلومًا ضعيفًا، على ظالم قوى.. أو تقتص من إنسان ارتكب جريمة وحسب أنه نجا من العقاب، أو لتعيد حقًا ضاع من صاحبه وحسب الناس أنه ضاع إلى الأبد، أو لتزيل ظلمًا، أو تقعد جبارًا كان يؤذى الناس، لتجعله عاجزًا عن رد الأذى عن نفسه، تلك كلها طلاقة القدرة وكلمة (يا رب) التى تخرج من قلب مظلوم لا حول له ولا قوة، يتبعها تدخل السماء؛ لتزيل ظلمًا؛ وتعيد حقًا، وتصحح الموازين فى الأرض..

وإذا كانت طلاقة القدرة باقية فى الكون، فأساس بقائها أنها تذكرنا بالله سبحانه وتعالى، فإذا وعدك ظالم بأخذ أسباب المال مقابل أن تفعل له ما يغضب الله فإن طلاقة القدرة تذكرك بأن الله يرزق من يشاء بغير حساب، وأنك إذا عصيت هذا الظالم وأطعت الله، فإن الله يعطيك من الرزق ما لا يخضع للأسباب، ويفتح لك أبوابًا ما كنت تدرى عنها شيئًا، ومن حيث لا تعلم.

[٥٠٣]

الله هو الحافظ الشافى

س: ما معنى أن الله سبحانه وتعالى هو الحافظ الشافى؟

---

(١) سورة الرحمن: ٢٩.

راجع حاشية زاده على البيضاوى (٣/ ٤٣٢).

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

هناك أشياء لم يخضعها الله سبحانه وتعالى بقدرته للبشر.. ولا يستطيع البشر أن يخضعها بقدراته.. وسواء أكانت هذه الأشياء من قوى الطبيعة.. أم من قوى الحيوانات والإنسان الذى يعيش معنا أو من القوى الخفية فى الكون التى لا نراها.. فإنها شر للإنسان؛ لأنه لا يستطيع أن يقف أمامها بقدراته الذاتية، ومادامت كذلك. فقد أمرنا الله أن نستعيذ به منها، ونحن حين نلجأ إلى الله فى ساعة المرض؛ نلجأ إليه لتكون قدرته مع الدواء ليتفاعل معه فى الجسم، ويقضى على الميكروبات.. ففى كثير من الأحيان يتناول مريضان بنفس الداء نفس الدواء، أحدهما يشفى، والثانى يشتد عليه المرض.. ونسأل الطبيب فيقول لك: إنها قدرة الله التى جعلت الدواء يتفاعل هنا مع الميكروب فيقتله، ولا يتفاعل هناك.

والميكروبات ليست شرًا مطلقًا، فإننا نستخرج منها الأمصال التى تقينا من الأمراض.. وأحيانًا نستخرج منها الدواء، ولكنها شر للإنسان، ونحن بجانب العلاج الطبى نتجه إلى الله سبحانه وتعالى أن يحقق لنا الشفاء... وهذا هو معنى الآية الكريمة ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾(١).. أما أسباب الشفاء فهى فى يد الله سبحانه وتعالى..، لقد أمرنا أن نأخذ بالدواء الذى خلقه الله لشفاء الداء.. ثم نترك تمام الشفاء لقدرة الله؛ ولعل أكثر الناس فهمًا لهذه النقطة هم الأطباء الذين يشاهدون معجزات الشفاء كل يوم، والذين ينظرون بعد إعطاء الدواء قدرة الله على الشفاء.

والله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لنا.. أنا خلقت الليل والنهار.. وجعلت النهار مضيئًا آمنًا؛ لتسير حركة الحياة فى الكون، وجعلت الليل ساكنًا مظلمًا لتنام فيه وتستريح، وتصبح قادرًا على حركة الحياة فى اليوم التالى، ولكن الليل ظلمة، والظلمة تخفى الأشياء، وتغرى بالشر، ومعظم الجرائم والشرور ترتكب فى الليل(٢)، وأنت فى النهار قد ترى عدوًا يتربص بك.. أو تلمح حشرة

---

(١) سورة الشعراء: ٨٠.

راجع القرطبى، والفخر الرازى فى تفسيره الكبير (٢٤/ ١٤٥).

(٢) وكانت العرب تقول فى مأثوراتها: «الليل أخفى للويل» لكون الليل محلاً للغدر والخديعة، والإغارة على العدو بغتة، وأخذ الخصم على غرة تحت أسداف الليل وأسجافه.

يمكن أن تؤذيك، وتشعر بالأمن والأمان، لأن الدنيا حولك مليئة بالحركة والحياة، ولكن ذلك ينتفى مع ظلمة الليل، ومن هنا فأنا أعطيك نعمة الأمان بالليل كالنهار، هى أن تستعيذ بى، ثم تنام أنت هانئًا مطمئنًا، لأنى أنا الله الحى القيوم، الذى لا تأخذه سنة ولا نوم.. فأنت إذا استعذت بى ستنام فى حراستى، وأنا لن أغفل عنك لحظة واحدة ما دمت قد لجأت إلى واستعذت بى.. فلا تخش أن تأخذنى سنة من النوم.. أو أغفل عن أى شىء؛ لأننى لا أنام، ولا يفوتنى شىء مما يحدث فى الدنيا.. ظاهرًا وباطنًا، وحراستى لك، لا تستطيع جيوش العالم كله أن تمنحك إياها.

فإذا جاء الليل فاستعذ بى، ونم آمنًا مطمئنًا، فأنا الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، لن أغفل عنك لحظة، ولن أتركك ثانية، بل ستكون دائمًا فى حراستى، بقدراتى التى لا تستطيع أن تصل إليها كل المخلوقات.

[٥٠٤]

الروح الإنسانى والحركة

س: ما هى الروح، ومتى تدب فى الجنين؟

(جـ): هذا السؤال سئل عنه رسول الله -ﷺ- وأمر بالإجابة عنه: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(١).

يبقى هنا معناه أنه لا سبيل لتحديد البشر للروح، إلا أنهم فقط يعرفونها بظواهرها فى الكائن الذى تحل فيه الروح، وهناك أشياء كثيرة فى عالمنا المادى الداخل تحت تجاربنا، لا تستطيع أن تحدد كنه هذا الشىء، وإنما تعرفه بظواهره؛ فأنت لا تستطيع أن تحدد ما هى الكهرباء حتى الآن، إنما تعرفها بظواهرها.

[٥٠٥]

النمو والروح

س: هل النمو دليل على وجود الروح؟

(جـ): أجاب فضيلة الشيخ الشعراوى:

---

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

كلا.. هذا هو الخلط؛ لأنهم يعتبرون أن كل ما ينمو فيه روح، والنبات ينمو، ولا روح فيه، ولكن فيه حياة.

إذن الحياة فى النبات، والروح ليست فيه رغم أنه ينمو.

[٥٠٦]

الفصل بين الحياة والروح

س: وكيف تتلبس الروح فى الحيوان؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لما أن عرضنا عليه هذا السؤال:

لا تقل فى الحيوان روح، هناك نامية حيوانية، فيه حياة مثلما توجد فى النبات نامية نباتية، ومعنى نمو النبات أنه يتحرك من الأدنى إلى الأعلى، إذن ففيه نمو، وفيه حركة، وفيه أشياء نعرف منها أن النبات حى.

وهل الورد الصناعى يذبل؟ لا لأنه لا حياة فيه، ومن عظمة الورد الطبيعى أنه يذبل، وهذا تأكيد الحياة فيه.

ويوضح لنا فضيلة الشيخ الشعراوى هذه النقطة؛ فيقول: الناس يحاولون بل يريدون أن يقولوا: إن الحياة هى الروح.

لا... لابد من الفصل بين الحياة وبين الروح.

هناك فرق بين نامية حيوانية، وبين نامية نباتية.

[٥٠٧]

النامية الحيوانية

س: وما هى النامية الحيوانية؟

(جـ): هى تلك التى توجد فى الجنين قبل ١٢٠ مائة وعشرين يومًا من الحمل، وهى التى يقول فيها الرسول -ﷺ-: **«ثم يرسل الله له الملك؛ فينفخ فيه الروح»**.

وهذه هى الروح الإنسانية.

فالروح تدب فى الجنين بعد ١٢٠ يومًا من الحمل، وقبل ذلك لا روح فيه، إنما فيه نامية حيوانية.

[٥٠٨]

ظواهر الروح فى البدن

س: وما هى ظواهر الروح فى البدن؟

(جـ): الحركة والنمو، ثم بعد ذلك يأتى الإنسان روح إنسانية وفكر.

[٥٠٩]

الجنين والروح

س: هل عندما تشعر السيدة الحامل بالحركة فى بطنها تستطيع أن تقول: إن الجنين دبت فيه الروح؟

(جـ): كلا... هناك نامية حيوانية، وإنما ظواهر الروح الإنسانى هى أن يتشكل، وتكون فيه خصائص الفكر، وخصائص الروح الإنسانية، ولا يكون مثل الحيوان.

ويضيف فضيلة الإمام الجليل:

فى التركيب العضوى للحيوان (الأرنب مثلاً) مشابه للإنسان؛ لأنه من رتبة الثديات، فما هو الفرق؟

إن الفرق بين الأرنب والإنسان... هو العقل والفكر.

ويقول الإمام العالم: أنا أستطيع أن أعلم القرد. ويقبل العلم، لكنه لا يستطيع أن ينقل ما تعلم إلى غيره من القرود أو يورثه.

[٥١٠]

ماء المرأة

س: ما دخل المرأة فى العملية الجنسية؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى لما أن عرضت عليه هذا السؤال: لقد قرأت

بحثًا جديدًا عن دور ماء المرأة فى الممارسة الجنسية، وهل له علاقة بالحمل أم لا . . . .

وتكلم فضيلته عن الأمشاج وأصباغ الخلية التناسلية فى الحيوان المنوى (xy) والبويضة (xx) وقال: إن ماء المرأة لا يتحكم فى ذكورة الجنين، إنما الذى يتحكم فيها ماء الرجل (المنى).

لذلك قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾(١)، قال: (منه)(٢) ولم يقل (منها).

أما ماء المرأة، فإنه يتدخل حيث يتحول من الحامضية للقلوية، أو من القلوية للحامضية أحيانًا.

ويقول فضيلة الشيخ. . ماء المرأة غير أساسى فى الحمل. . . ثم يردف. . النبى يقول: إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة. . كان الشبه له، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل؛ فالشبه لها. . .

ويوضح الشيخ الشعراوى هذه النقطة فيقول: لا يقال سبق إذا كان المنطلق واحدًا للشيئين. . . ولكن يقصد به (xy) أو (xx).

وهذا تعليل علمى طبى جميل رائع.

[٥١١]

الإجهاض بين الطب والدين

س: ما حكم الإسلام فى الإجهاض؟

(جـ): لا يمكن أن يباح إلا بأمر يتعلق بصحة الأم.

مع أن يوجد ما يجهض، بالعزل أنت حر فيها، ولابد من رضى الزوجين.

وأى سبب آخر غير مقبول.

ولابد أن يكون قبل ١٢٠ يومًا -مائة وعشرين يومًا- قبل أن تدب الروح فى الجنين.

---

(١) سورة القيامة: ٣٩.

راجع التفسير الكبير للرازى (٣٠/ ٢٣٢).

(٢) وهذا تأكيد وقطع بأن الرجل هو المسئول عن تعيين وتحديد نوع الجنين، ذكرًا كان أم أنثى.

وهنا يوضح الشيخ الشعراوى أن الإجهاض أجازه العلماء قبل أن تدب الروح فى الجنين أى قبل ١٢٠ يومًا.

واستشهد بقول النبى -ﷺ- فيما رواه ابن مسعود: «**إن أحدكم ليجمع خلقه فى بطن أمه، نطفة أربعين يومًا، ثم علقة بعد ذلك، ثم مضغة فى مثله، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح**»(١).

[٥١٢]

الإجهاض قبل نفخ الروح

س: ألا يُعتبر الإجهاض قبل ١٢٠ يومًا من الحمل اعتداءً على الجنين؟

(جـ): يجيب فضيلة الشيخ الشعراوى عن ذلك بقوله: على هذا نقول: إن الإنسان الذى يعتدى عليه هل هو الإنسان بالقوة، أم الإنسان بالفعل؟

الإنسان بالقوة الذى إن ترك لمجاله صار إنسانًا، والإنسان بالفعل هو الذى أصبح إنسانًا بالفعل، ولا يتم ذلك إلا بعد ١٢٠ يومًا، وما قبل ذلك يكون قابلاً لأن يكون إنسانًا.

واستشهد الشيخ الجليل بنواة البلح، فقال: نواة النخلة.. أنا أقول عليها نخلة بالقوة، أى أننى إذا وضعتها فى الأرض، وأعطيتها اللازم تصبح نخلة، إنما هل هى نخلة بالفعل؟ لا...

❁❁❁

س: وأليس القضاء على الحياة نفسها حرامًا؟

(جـ): عندما تكسر نواة البلح، هل تكون قد اعتديت على نخلة؟

❁❁❁

س: إذن لا علاقة بين الروح والحركة....

(جـ): معنى الروح الإنسانى أن تجعل الإنسان الذى فى كل أعضائه وأجهزته مثل الحيوان، وبعد ذلك لا يكون حيوانًا. فالأرنب الذى هو عند تشريحه أقرب ما

---

(١) البخارى (٤/ ٢٣٠/ ٣٢٠٨) و(٨/ ٢٦٩/ ٦٥٩٤) ومسلم (٢٦٤٣).

يكون فى بنائه من الإنسان، لكنه لا يكون إنسانًا؛ لأن الملك لم يحضر له، ويقول له: كن إنسانًا، والآخر يصبح إنسانًا قابلاً للتعلم، ومحكومًا بشىء فوق الغريزة.

ويطلق الشيخ العالم الجليل قاعدة قوية علمية:

كل الناميات النباتية والحيوانية، وظائفها غريزية لا تستخدم المخ فى توجيهها، فالإنسان بعقله يختار بين البدائل، أما هذه الناميات فلا.

ويطلق الشيخ حكمًا شرعيًا، وفتوى شديدة الخطورة، خطيرة الشدة فى أهميتها فيقول:

الإجهاض لا يمكن أن يباح إلا لأمر يتعلق بصحة المرأة.

ويؤكد الشيخ الجليل غريزة هذه الناميات، وأن اختيارها بين البدائل غير موجود إطلاقًا بقوله:

إذا ضربت القطة فلا إجابة لك عندها، ولا رد إلا رد واحد، وهو الخربشة... أما الإنسان، فإن له تعددًا فى اختيار البدائل نتيجة العقل والفكر.

[٥١٣]

فى العجز حكمة

العجز موجود في بعض سمات الأفراد، ولذلك تجد الشذوذ فى الخلق هو القلة، فإذا أحصينا الشُّذَّاذ[١] فى الخلقة فى بلد تعدادها عشرة آلاف.. (الشواذ مثل المجانين والعرج والعمى... إلخ) سنجد أنهم قلة... أى دون العدد بكثير.. وقد نثر الله هذه الأقلية فى كونه؛ ليلفت إلى نعمه الغافلين عن نعم الله عليهم.

إنك لا تشعر بنعمة عينيك حتى ترى أعمى يتعثر، حينئذٍ تفيق لنفسك.

ولا تذكر قوة رجليك إلا إذا رأيت أعرج، ولا تذكر قدرتك على الحركة، وانفعال جوارحك لإرادتك إلا حين ترى إنسانًا لا تستطيع جوارحه أن تنفعل لإرادته، كأن يريد أن يتحرك؛ فلا يتحرك؛ لتلف عصب الحس الموصل للإشارات العصبية الكهربائية.

---

(١) يكثر الخطأ الشائع على ألسنة العوام وكثير من المثقفين أن يقولوا: الشواذ جنسيًا، وهذا لحن لغوى؛ لأن الصحيح (الشُّذَّاذ) لأنها صفة العقلاء. أما (الشَّواذ) فهى صفة غير العقلاء.

إذن فهؤلاء جعلهم الله قلة؛ ليذكروك به كوسائل إيضاح وبيان؛ حتى لا يصاب الإنسان بالغفلة عن نعم الله عليه(١).

[٥١٤]

ذنب العاجز فى قضية الابتلاء

س: إذا كانت الحياة الدنيا فيها ما فيها من المحاسن والمتع فإن العاجز الذى أصيب فى ناحية من نواحى بدنه، أو فى قطر من أقطار نفسه لا جرم يشعر بنقص فى الإحساس بالسعادة والاغتباط والانفعال مع عناصر السعادة الموجودة، والتى يتلذذ بها ومعها ومنها الآخرون من أترابه وأضرابه وصاغيته... فما ذنب هذا العاجز المقهور فى نفسه فى ضياع قسط من متعة الحياة عليه؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

لقد اختار الله بعض الناس ليكون فيهم المثل... ما ذنب هؤلاء العجزة.. ما ذنب هذا ليكون أعمى مثلاً... ثم يقول: أنت تنظر إلى ما أخذ منه ولكنك تغفل ما أعطاه الله إياه نظير ذلك، فلو أنك نظرت إلى شمول ظاهرة من ظواهر القدرة، وحللت كل نعم الله عليه؛ لوجدته قد أعطى نعمة تعوضه عن المفقود منه.

عميت جنينًا، والذكاء من العمى
فجئت عجيب الظن للعلم موئله
وصار ضياء العين للقلب رافدًا
لعلم إذا ما ضيع الناس حصله

ونحن نرى كثيرًا من العباقرة كانوا أصحاب عجز فى بعض الأجهزة.

ونحن أيضًا نلتقى بعباقرة ينشئهم الله، حتى من مناطق عجزهم، وحين يسلب الله شيئًا من إنسان، يعطيه بقدر ما سلب شيئًا فى ناحية أخرى فى عضو

---

(١) لولا هذه المنبهات لأجهزت الفتنة وأغارت على الإنسان؛ إذ لابد من منبهات تحفزه وتستحثه، وتحضه على استدامة التذكرة لفضل الله عليه؛ حتى يظل موصولاً بربه لا يزايله الذكر طرفة عين.

آخر؛ لـذلك فإن مجموع كل إنسـان، يساوى مـجمـوع غيـره من الناس ولكن التفاضل فى النهاية بالتقوى.

[٥١٥]

هى من قدر الله

س: سأله -ﷺ- أعرابى فقال: يا رسول الله أنتداوى؟ قال: «نعم فإن الذى أنزل الداء أنزل الدواء، علمه من علمه، وجهله من جهله فتداووا، ولا تتداووا بمحرم»(١).

وقالت الأعراب -فى السنن- يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «**بلى، عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء (أو دواء) إلا داء واحد**» قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: «**الهرم**»(٢).

وسئل -ﷺ-: أرأيت رقى نسترقيها، ودواء نتداوى به، وتقاة نتقيها هل ترد من قدر الله شيئًا؟ قال: «**هى من قدر الله**»(٣).

والتداوى بالطب أيضًا من قدر الله.

(جـ): وهنا يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى حكمة بالغة بالخطورة: الطبيب معالج، والله شاف.

والمعالج عرضة للصواب، وعرضة للخطأ، وكثير من المرضى يموتون على أيدى معالجيهم. سبحان الله.

ويقول الإمام الجليل: إن الطبيب المصيب فى علاجه، لم يخرج عن قدر الله.

[٥١٦]

التداوى

س: سأل أعرابى رسول الله -ﷺ- فقال:

---

(١) المسند (٤/٢٧٨). (٢) المسند (٤/٢٧٨).

(٣) الجامع الصحيح للترمذى (٢٠٦٥) و(٢١٤٨).

يا رسول الله: أنتداوى؟

(جـ): قال: «نعم فإن الله لم ينزل داء، إلا أنـزل له شفاء، علمـه من علمه، وجهله من جهله»[١].

وفى السنن: أن الأعراب قالت: يا رسول الله، ألا نتداوى؟

قال: «نعم، عبـاد الله تداووا، فـإن الله لم يضع داء، إلا وضع له شـفـاء، أو دواء، إلا السام (والسام هو الموت)»[٢].

س: سئل -ﷺ-: أرأيت رقى نسترقـيها، أو دواء نتداوى به، وتقاة نتقـيها، هل ترد من قدر الله شيئًا؟

(جـ): قال: «هى من قدر الله»[٣].

س: وسئل -ﷺ-: هل يغنى الدواء شيئًا؟

(جـ): فقال: «سبحـان الله، وهل أنزل الله تبارك وتعالى من داء فى الأرض إلا جعل له شفاء»[٤].

[٥١٧]

التداوى بعسل النحل

س: ما حكم التداوى بعسل النحل على ضوء الطب المعاصر؟

(جـ) يقول الشيخ الشعراوى:

قال تبارك وتعالى:

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّـكَ إِلَى النَّحْـلِ أَنِ اتَّخِـذِي مِنَ الْجِبَـالِ بُيُـوتًا وَمِنَ الشَّجَـرِ وَمِمَّا

---

(١) مسـند الإمام أحمـد بن حنبل، وأخـرجه السـيوطى -معـزوا للحاكـم عن أبى سعـيد- وصححه فى الجامع الصغير (١/ ١١١/ ١٧٨٢).

(٢) انظر -إن شئت- «الطب النبوى» للإمام الذهبى بتحقيق السيد الجميلى.

(٣) الجامع الصحيح للترمذى رقم (٢٠٦٥) وكذلك رقم (٢١٤٨).

(٤) المسند (٥/ ٣٧١).

يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(١).

ولقد حكى أبو سعيد الخدرى -رضي الله عنه- أن رجلاً ذهب إلى النبى -صلى الله عليه وسلم-، وأخبره بأن فضلات أمعاء أخيه لينة (مسهلة) فقال له النبى -صلى الله عليه وسلم-: **«أعطه عسلاً ليشربه»** ففعل الرجل ثم أتى إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- وقال: لقد أعطيته الشراب، ولكن أمعاءه أصبحت أكثر إسهالاً، وكررها الرجل مرتين، ولما أتى فى المرة الثالثة، وأمره النبى -صلى الله عليه وسلم- بإعطائه عسلاً، قال الرجل: لقد أعطيته العسل ولكنه ازداد إسهالاً، ولقد أجابه النبى -صلى الله عليه وسلم-: **«إن الله قال الصدق وأمعاء أخيك قد كذبت ثم أعطاه عسلاً بعد ذلك وشفى»**(٢).

إن ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لفوائد العسل الطبية، يؤكد معجزة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- حيث إنه نبى أمى، لم يقرأ ما كتبه علماء الحضارات القديمة عن استعمال العسل فى علاج الأمراض وأهميته الحيوية فى التغذية، كما يؤكد أيضًا السبق العلمى لكل الأبحاث والاكتشافات والنشرات الطبية الحديثة المتعلقة بنجاح استعمال العسل فى علاج الأمراض الخطيرة والعلل المستعصية(٣).

[٥١٨]

أشد الناس ابتلاء

س: هل صحيح أن المرء يبتلى حسب دينه؟ أم أن كثرة وتوالى الابتلاءات هى من غضب الله على عباده؟ وهل تكفر هذه المصائب الذنوب أم هذه شىء وتلك شىء آخر؟

(جـ): سئل -صلى الله عليه وسلم-: أى الناس أشد بلاء؟

قال: **«الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، ويبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان**

---

(١) سورة النحل: ٦٨، ٦٩.

(٢) وفى رواية: (صدق الله وكذب بطن أخيك، فيه شفاءٌ للناس).

(٣) العلل المستعصية: الأمراض الشديدة التى تستعصى على العلاج، وراجع -إن شئت- كتابنا: «الإعجاز الطبى فى القرآن» للسيد الجميلى، بتقديم الشيخ محمد متولى الشعراوى، والأستاذ إبراهيم الإبيارى -رحمه الله-.

رقيق الدين ابتلى على حسب ذلك، وإن كان صلب الدين ابتلى على حسب ذلك، فما يزال البلاء ينزل بالعبد حتى يمشى على الأرض ليست عليه خطيئة»[١].

[٥١٩]

أمراض القلب وعلاجها

س: يتردد فى القرآن الكريم فى مواضع متفرقة الحديث عن أمراض القلب. كما فى قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[٢]. فما المقصود بأمراض القلب؟ وهل هى أمراض حسية أم معنوية؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: المرض هو خروج الجسم عن حد الاعتدال.. ولا تذكر أن لك بطنًا إلا إذا آلمتك.. ولا تذكر أن لك كلية إلا إذا آلمتك.. ولا تؤلم الأعضاء إلا إذا خرجت عن حد الاعتدال.

فخروج الجسم عن حد الاعتدال يدلك عليه، والدلالة تكون بالألم.. وهذا الألم ظاهرة صحية، لأنه إنذار بمرض.. والأمراض التى تأتى بدون ألم أشد استعصاء على العلاج. ويضيف فضيلة الإمام: أما القلب، فهو فى صورته الحسية مضخة دم، وهو يعطى الحياة والحركة.. هذا فى الماديات. أما فى الأمور المعنوية. فإن المعقولات تتركز وتتحول إلى قضايا تعقد فى القلب عقدًا لا تطفو بعده من جديد.. وتسير حركة الحياة على وفق هذه القضايا، والحيز الذى يشغله القلب هو الفؤاد، والقلب وفؤاده فى الصدر.

إذن هناك قلب وفؤاد وصدر.. ساعة يتحدث الله عن القلب يتحدث بأساليب مختلفة يقول مثلاً: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا﴾[٣] أى لا قلب لها؛ لأنه يقول سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾.

---

(١) الترمذى (٢٣٩٨) وأحمد فى المسند (١/ ٨٠) و(١/ ١٧٢) و(١٧٤) و(١٨٥) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) سورة البقرة: ١٠.
انظر الدر المنثور للسيوطى (١/ ٣٠) ومختصر ابن كثير للصابونى (١/ ٣٣).

(٣) سورة القصص: ١٠.
راجع تفسير الطبرى (٢٠/ ٢٤) والقرطبى (١٣/ ٢٥٥) والبحر المحيط (٧/ ١٠٧) وحاشية الصاوى على الجلالين (٣/ ١١٠).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[(١)] فالشرح للصدر كله، لا للقلب ولا للفؤاد وحدهما. فالمراد إذن من مرض القلب فى الآية الكريمة هو المرض المعنوى وهو الخروج عن حد الاعتدال. وما حد اعتدال القلب؟ إن حد اعتداله أن يكون بصدد أى عقيدة تعرض عليه فارغًا منها ومن سواها، ثم يناقش القضيتين، فأيهما يقتنع به يدخله فى قلبه.

[٥٢٠]

ويشف صدور قوم مؤمنين

س: قال تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[(٢)] وقال أيضًا: ﴿ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾[(٣)] فهل المقصود بذلك الشفاء المعنوى، أم الشفاء العضوى؟

(جـ): يقول الإمام فى هذا المقام: لا تضيق واسعًا... إن الجهاز البشرى ما يزال مجهولاً للناس.. لا يعرفون منه إلا الأجهزة الواضحة الظاهرة، الجهاز الهضمى مثلاً، الجهاز التنفسى، البولى، التناسلى، ثم يكتشفون كل يوم جديدًا.. ولعل غدة بسيطة مثل (حبة العدس) تقع فى قاع المخ فى الجمجمة، تدير عجلة الجسم لا يعرف عنها الكثيرون شيئًا..!!

وكل جهاز من هذه الأجهزة يؤدى دوره، طالما هو فى حالة الاعتدال بين الانقباض والانبساط؛ فإذا انقبض أكثر مما هو محدد له، أو انبسط أزيد من اللزوم خرج عن مهمته، وعن اعتداله واستوائه، والله سبحانه وتعالى يضرب لنا المثل على ذلك ﴿ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾[(٤)].. أى التزموا حد الاعتدال.. فالإنسان الذى لا تؤثر فيه الأحداث المفرحة أو المحزنة، يظل جهازه سليمًا مستقيمًا معتدلاً، وتظل التصرفات الصادرة عن هذا الجهاز سليمة.

---

(١) سورة الشرح: ١.
انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٠/ ١٠٣) ومختصر ابن كثير (٣/ ٦٥٢) والكشاف للزمخشرى (٤/ ٢٦٦).

(٢) سورة التوبة: ١٤.

(٣) سورة يونس: ٥٧.
انظر الطبرى (١١/ ٨٦).

(٤) سورة الحديد: ٢٣.
انظر التفسير الكبير للرازى (٢٩/ ٢٣٩) والكشاف (٤/ ٦٦) وروح المعانى للألوسى (٢٨/ ١٨٧، ١٨٨).

فشفاء لما فى الصدور يمكن أن تشمل كل مرض حسى، وكل مرض معنوى، أى ما نسميه بالأمراض النفسية، هى ظواهر لخلل فى أجهزة عضوية لم نكتشفها بعد، ولم تعرف خباياها فكل مرض لم يعرف أصله العضوى، أو جهازه فى جسم الإنسان نسميه مرضًا نفسيًا، فإذا اكتشفنا أساسه، أصبح المرض له أساس عضوى.

[٥٢١]
الشفاء بالكلمة

س: وما هو الشفاء بالكلمة؟ وهل هناك من يبرءون بالكلمة؟ أى هل ثمة من يشفون بالكلمة؟

(جـ): لقد انتهز الرازى الفرصة، فقذف سائله بكلمة شديدة، فغضب الرجل وارتجف.. وركبته الحمى فقال له الرازى: أغضبناك بكلمة..!! فالذى يمرض بكلمة يشفى بكلمة، والشفاء هو أن تعيد جهاز الجسم الإنسانى إلى حد الاعتدال، فأى خلل فى الجهاز الإنسانى سببه عضوى؛ لأن الإنسان فى أعضائه قد جعل الله لها صيانة، وصيانتها فى القيم، والرجل المستقيم جميع أجهزة جسمه منضبطة.

س: وهل من الممكن أن يعيش إنسان بلا خوف، ولا حزن أو مرض؟

(جـ): إذا كان هناك إيمان لا يأتيه الضرر إلا من الخارج، أى: بفعل فاعل كأن يكسر له أحدهم يده أو غير ذلك، وهذا أيضًا يكون نتيجة عدم استقامة أعضائه وأجهزته على منهج الله.

[٥٢٢]
المصاب.!!

س: سيدى الجليل.. ما هو المصاب؟ وما معنى المصيبة بمفهومها الصحيح؟ وكما نعلم أن الرسول -ﷺ- كان يلح فى دعائه المأثور: «اللهم لا تجعل مصيبتنا فى ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، واجعل الحياة زيادة لنا فى كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر»[1]. نرجو ونتمنى من فضيلة الإمام الإشارة إلى توضيح ذلك الأمر وجزاه الله عنا خير الجزاء.

---

(١) أخرجه الترمذى (٣٥٠٢) عن ابن عمر، وحسنه السيوطى فى الصغير (١/ ٩٤/ ١٥٠٥).

(جـ): يقول الله عز وجل فى حـديثه القدسى: «**وعزتى وجلالى لا أخرج عبـدى من الدنيا وقد أردت بـه الخير، فـإذا بقيت عليه سـيئة، ثقلـت عليه سكرات الموت؛ حتى يأتينى كيوم ولدته أمه، وعزتى وجلالى لا أخرج عبدى من الدنيا، وقد أردت به الشر، حتى أوفـيه ما عمله من الحـسنات من صحة فى جسـمه، وبركة فى ماله، وبركة فى ولده، فـإذا بقيت له حسنة خففت عليـه سكرات الموت حتى يأتينى وليست له حسنة**»(١). ولذلك عندما سئل رسول الله -ﷺ- عن المصاب؟ قال: «**المصاب لا من يصاب كما تعلمون، ولكن المصاب من حُرِمَ الثواب**»(٢).

أما من يصـاب بمصيبـة فيصـبر عليـها هل هذا مصـاب..؟ كلا.. بل إنه مكافأ.

[٥٢٣]

مشكلـــة طبيـــة

س: ممارسـة العادة السـرية حـلال أم حرام؟ وهل تصـيب الشـاب أو الفتـاة بالسل كمـا يقول البعض من الناس، وهل للإفراط فى المـمارسة آثار جانبـية ضارة على باقى أعضاء الجسم؟

(جـ): العادة السرية سلوك غير قويم يلـوذ به، ويلجأ إليه الشبان والشابات المراهقون فى فـترات الحلم؛ التى عادة مـا تخضع لتأثيـر الهرمونات الجنسـية التى ينشط إفرازها فى الجسم من الغدد الصماء.

ولعل ازدياد الرغبة الجنسـية لازدياد نسبة هذه الهرمـونات من جانب، وعدم السماح من المجتـمع الدينى الملتزم بالتفريج غير الشـرعى لهذه الشحنات والطاقات الجبارة؛ يؤديان إلى مـرض الاكتئاب النفسى وهو الشائع عـادة، وقد يعانى المراهق أو المراهقة من (النيوروزس) Neurosis أى التوتر العصبى الفائق الذى يطغى على كل تصرفاته وحركاته حيال حركة الحياة.

ولأمانة العلم نقول: إنه ليس ثمة آثار عـضوية للعادة السرية، إنما هى عادة سيئـة مستهجنـة، وأغلب الظن أن الذى يسوق الناس إليها أوقـات الفراغ، وعدم المسئولية واللامبالاة.

---

(١) حديث قدسى عن رب العزة.

(٢) لأنه عندما يحرم المرء من الثـواب تكون إصابته فى آخرته فادحة، وهذه خـسارة لا مزيد عليها.

وليس صحيحًا أن ممارس هذه العادة يمرض بالسل أو العمى، وإنما تلك مبالغة.

والتحرر من هذه العادة المستهجنة البذيئة يكون بشغل الوقت بالعمل المتصل الدائم، والصوم وقراءة القرآن، إلى أن تسنح الظروف بالزواج؛ ويكون هو العلاج الطبيعى لهذه المشكلة.

[٥٢٤]

وجعلنا نومكم سباتًا

(الردع الذاتى)

س: النوم آية كبرى، وقد خلقها الله لتعادل آية النهار؛ فتعطى مزاجًا معتدلاً، فما الوجه الصحيح لكونه نعمة وآية؟

(جـ): النوم نعمة كبرى من نعم الله على الإنسان؛ فأنت قد تحمل جسمك بعقلك على أن يجهد، ولكن ربنا سبحانه وتعالى لا يترك لهذه العملية يقول: لا لك.. لا.. انتهت المقاومة.. اعتزل عملية الحياة. هذا ردع ذاتى فى الآلة الإنسانية، فالآلة تعمل.. وقد تتعب تعبًا يحاول الإنسان تحمله.. ولكن يأتى عليها وقت تقول فيه: قف لم تعد صالحًا للعمل انتظر إلى أن يعود نشاطك.

والنوم سبات.. قال عنه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾[1].

وهذه أيضًا من النعم الكبرى على الإنسان.. فما دام النوم يفقد الإنسان صلته بالحياة الحركية فهو سبات، فالسبت هو القطع.. قطعتك عن الحركة رحمة بك وبجهازك الإنسانى، النوم يفقدك الوعى.. وفقدان الوعى نعمة أخرى.. إذا كان هناك ألم فى عضو من جسدك، فبمجرد النوم انتهى الألم.. وبعدها يستيقظ الألم.. وهذا دليل على أن النوم رحمة من الآلام.

---

(١) سورة النبأ: ٩.

السبت: التمدد.

انظر المعنى فى الجامع لأحكام القرآن (١٩/ ١٦٩) ولسان العرب (٢/ ٣٤٢) والقاموس المحيط «مادة سبت» ص ١٩٥ ط. الرسالة والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ١٧٢) والكشاف للزمخشرى (٤/ ٢٠٦) وروح المعانى (٣٠/ ٧).

[٥٢٥]

غريـــزة الامتـــلاء

س: لو أننا تصورنا حياة الإنسان قـائمة على ما يتكون منه الغذاء من عناصر أساسية، لكان هذا التصور بسيطًا وسطحيًا، وليس بالعمق العلمى النفسى.

(جـ): فإذا مـا قلنا: إن الإنسان يحـتاج إلى كذا جـرام من الدهون، وكذا جرام من البروتين، وكذا جرام من الكربوهيـدرات، وكذا من فيتامين أ، وكذا من فيتامين كذا، فإن هذه العـناصر مجتمعة بدلاً من أن تحتويها وجبـة كبيرة، نستطيع أن نضمنها كبسولة صغيرة تشمل محتوياتها كافة بتركيز شديد.

لكن لنسأل أنـفسنا. . . هل سيـشعر الإنسـان بعد أن يتناول هذه الكبـسولة بالشبع والامـتلاء؟؟ كلا، إن هناك أعـضاء وأجهزة فـارغة تنشد الامـتلاء، وهى المعدة، والاثنا عشر والمعى الدقيق، والمصران الغليظ.

ويستطيع أن يستغنى الإنسان عن المعدة باستئصالها جراحيًا تمامًا، ولكن لابد من اضطرابات هضـمـيـة قطعية الحـدوث قد لا يطيـقهـا التكوين البدنى للـجسم الإنسانى، وهذه هى غريزة الامتلاء التى تعتبر من أساسـيات الحياة، والطبيعة كما قالوا لنا قديمًا تخشى الفراغ، وتسعى إلى الامتلاء.

ولا جرم أن السـعى إلى الكمال، والكلف بالمثـالية صور مـختلفة لعـاطفة الامتلاء وغريزة التشبع.

[٥٢٦]

الرحمــة الحمقــاء

س: هل يجوز التبرع بأعضاء جسم الإنسان؟

(جـ): أنت تعطى عـضواً لشخص. وفـى نفس الوقت تفقـده من شخص آخـر. . وساعـة تفـقده، لا تتـأكد أن هـذا الشخص الذى أعطيتـه له يطرد هذا العضو، أو لا يطرده. . وبذلك تكون فقدتـه، ولن تضمن أن الجسم الآخر يقبله. ولذلك أرى أن هذه رحـمة حمـقاء. . فهـكذا صنع الخالق: الشذوذ فـى الخلقة، والعطب فى الأعضاء، والآلام فى الجـسم الواحد. . كلها منبهـات إلى وجود قوة

أعلى، ولذلك لا تجد الإنسان أقرب إلى الله.. إلا إذا كان يعانى من شىء مثل هذا..!!.

[٥٢٧]

الفنون الجميلة

س: الفنون الجميلة.. مثل النحت والرسم والتصوير أو ما شابه ذلك.. هل هى حرام أم حلال؟

(جـ): الفنون الجميلة.. أنت قلت هذا الكلام.. أنت خلعته على أنها جميلة.. أنت الذى تقول ذلك.. هذا الوصف من أين جئت به؟ هل هو وصف دينى؟.. لا.. من الإنسان؟ هنا نقول له: ما هو معنى جميلة؟ يشترط فى الجميل ألا يذهب بك إلى قبح.. يقولون: الرقص فن جميل.. إنما هل يؤدى بى إلى قبح أم لا؟.. كل جمال ينشأ عنه قبح، لا يكون جميلاً.. إذن، فلا تقل فنون جميلة، وتأخذ وصف الجمال على أنه أمر مسلم به.. متى تكون جميلاً؟ حين لا تورثنى قبحًا!!.

يقول لك نحات يصنع تمثالاً: هو شىء جميل نعم، هو جميل وكل شىء إلى أن أفتتن فيه، وبعد ذلك يأخذ خط عبادة.. إذن فهو قبح!!

(خل الجميل يظل جميلاً.. وليبق على العين والرأس!!).

أما الجمال فى ذاته.. فالله طلبه منا.. الله يريد أن يجعل الكون جميلاً.. جميل يعنى إيه.. يعنى يظل جميلاً مثلاً السيدة التى تزين نفسها لكى تكون جميلة.. أقول لها: اجعلى هذا الجمال لا يؤدى بنا إلى قبح.. لا تفتنى واحدًا عن أهله.. لا تفتنى واحدًا عن زوجته.. لا تفتنى واحدًا عن دينه.. لا تجعلى الجمال عندك فقط، بل اجعلى الجمال شائعًا وإلا.. فالقرآن قبل أن يعطينا الفوائد المادية للنعم.. أعطانى فيها الفوائد الجمالية، قال: ﴿ **وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ** ۝ **وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنفُسِ** ﴾[1] لماذا؟ لأن هذا الحمل فرع الملكية.. إنما النظرة الجمالية من لم يملكها يسعد بها..

(١) سورة النحل: ٦، ٧.
راجع القرطبى (١٠/ ٧٢).

الذى لا يملكها يسعد برؤيتها (أنا ليس عندى قصر.. إنما حينما أرى قصراً جميلاً، وأنظر إليه بحديقته المنسقة أسعد لرؤيته). فالجمال من هذه الناحية أمر متعد إلى الجميع الكل يراه.. إنما حمل الأثقال، وشرب اللبن.. هذا خاص بمن يملكها.

قبل أن يجعلنى آكل من الثمرة قال: ﴿ **انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ** ﴾(١) أى: متعوا عيونكم بالمنظر.. وليس بطونكم فقط. ولكن.. اضمن لى أن تظل هكذا.. لا تقل الفنون الجميلة على إطلاقها.. الفنون الجميلة لابد أن تحافظ على الجمال فى الوجود. أما أن تكون جميلة فى لحظة، وتهدم فى لحظة أخرى.. هذا لا يكون جمالاً. (مثلاً النحت إذا كان سيصل بى إلى قمة الشرك، وقمة الكفر لا يكون حلالاً.. وقبل أن تفتن الناس فى تماثيل كانت موجودة، ولكن فتنوا بها بالعبادة.. انتهى الأمر.. وسيدنا سليمان، قال الله تعالى عنه: إنه سخر له الجن: ﴿ **يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ** ﴾(٢) عمل تماثيل.. إنما لم تحدث الفتنة فيها.. لكن.. لما حدثت الفتنة قال: لا.. لا تماثيل.

[٥٢٨]

مقومات الحياة

س: كيف ضمن الله مقومات الحياة للإنسان؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

ماذا قدم العلم للبشرية؟ تعالوا نناقش ذلك من واقع التجربة العلمية، إن أساس الحياة البشرية من خلق الله سبحانه وتعالى لم يتغير، ولم يتبدل، ولا يستطيع العلم أن يجد له بديلاً، وإنما العلم يقدم الرفاهية للبشر، أى أنه يجعل الحياة أكثر سهولة، وأكثر نعومة، ولكنه لا يعطينا مقومات الحياة، بل إن الله سبحانه وتعالى علماً منه بظلم الإنسان للإنسان.. جعل مقومات الحياة فى يده،

---

(١) سورة الأنعام: ٩٩.

(٢) سورة سبأ: ١٣.

راجع القرطبى (١٤/ ٢٧٥) والطبرى (٢٢/ ٤٩) ومختصر ابن كثير (٣/ ١٢٤) والكشاف (٣/ ٢٨٢، ٢٨٣).

ومـا أعطاه منها لـيد البـشر، أعـطاه بشكل لا يجعـل الإنسان قـادرًا على إهلاك الإنسان باستخدام أسباب الخلق..

نأتى بعـد ذلك إلى مـقـومات الحـيـاة على الأرض.. الهـواء.. والماء.. والطعام.. لوازم ثلاثة لحياة الإنسان على الأرض..

١- الإنسان بطبعه لا يستطيع العيش بدون الهـواء أكثر من دقيقة أو دقائق، ولذلك أخرج الله الهـواء من قدرة البـشر على التحكم فـى البشر، فـالله شاء أن يكون الهواء مـباحًا للناس جمـيعًا، لا يستطيع واحـد أن يمنعه عن مجمـوعة من الناس فتهـلك، بل أنه أخضع الهواء لعدله، فكان مـتساويًا بين الناس جمـيعًا.. فقـيرهم وغنيهم، وعظيـمهم وحقـيرهم، وذلك الذى لا يملك من أسبـاب الدنيا شيئًا..

..فهم جميعًا يتنفسون بنفس السهولة، ونفس الطريقة دون أى عناء يصلهم الهواء إلى حيث هـم، وأينما كانوا، فى حجرات مـغلقة، أو فى الطريق، أو فى السيارة، أو فى أى مكان فى العالم.. فإن الهواء يصلهم سهلاً.. ميسرًا.. متاحًا للجميع.. وهذا عدل الله سبحانه وتعالى.. ولا دخل لبشر فيه.

٢- ننظر بعـد ذلك إلى الماء، وهو ما لا يسـتطيع الإنسان أن تعـيش بدونه يومًا، أو عدة أيـام، نجد أن القدرة على اختـزان الماء قليلة، والقدرة على منع الماء عن البـشـر قليلة، ومـحـدودة، وإن كـانت لهـا إمكانيـات، وهنا يتـدخل ظلم الإنسان.. ولكن بقدر محدود جدًا.. نظرًا لأهمية الماء للحياة البشرية.

٣- ولكن احتمـال الإنسان لعدم تناول الطعام أكثـر.. ومن ثم فإن الإنسان يستطيع أن يتحمل عدة أيام بدون طعام، ولكنه فى نفس الوقت يستطيع أن يحصل على ما يقيم أوده، أو يبقى الحياة فى جسده بسهولة؛ نظرًا لأن الكمية التى يحتاج لها الجسم البشرى من الطـعام قليلة نسبـيًا، فهى كـما قـال رسول الله -ﷺ- لقيمات يقمن أوده أو كمية محدودة[1] من الطعام..

[٥٢٩]

بين النمـــو والنقصـــان

بين النمو والنقـصان تتمشى طبـائع الموجودات، ولا يمكن أن يحدث التـغير

---

(١) انظر -إن شئت- كتاب «الطب النبوى» للإمام الذهبى بتحقيق السيد الجميلى.

السريع فى الزمن فجأة، وهذا من رحمة الله على البشر، وعلى الخلق أجمعين؛ لأن الطفرات تترك آثارها القريبة والبعيدة فى النفوس، مما يجعلها فى فترات نقاهة من متغيرات الحياة متصلة، ولما كانت الأيام دولاً، والحياة غير مستقرة، فمن الخطر، والجور أن تنتقل الأشياء فى متباين أطوارها من طور إلى طور فجأة... بل لابد أن يتم هذا الانتقال والتحول تدريجياً وشيئًا فشيئًا.

يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى لما عرضت عليه هذه القصة:

إن كميات من النمو، وكميات من النقص، شائعة فى كل جزئيات الزمن. ونظرة إلى الوليد نراه لا يكبر فى نظر أمه مرة واحدة، إنما النظر إليه، والتأمل فيه بعد شهرين مثلاً تتجلى درجة كبره، وهذا لانسجام المقاييس مع الحياة، شيء من التغيير، مع شيء من الالتزام.

وإذا كان أصل الإنسان قرداً كما يقول علماء التطور، وأنه بعد حين تحول إلى إنسان، نقول لهم: ولماذا لم يتحول كل القرود إلى آدميين، وبقيت قرود على حالتها كما هى؟!

وكلما تذبل المرأة فى جمالها المستميل، تعوضها طاقة جمالية أخرى، والزيادة والنقصان فى كثير من الأمور بمقدار تتطلبه الحياة.

بل إن استمرار الحياة، واستواءها يتطلب أحيانًا نقصانًا فى أمر من الأمور. سبحانه وتعالى بسلطانه هو يجعل من يشاء يصعد إلى السموات، كل حسب ما هو مقدر له.

فإذا سمعنا أحداً يقول: إن الإنسان قد نفذ من أقطار السموات والأرض؛ لأنه وصل إلى القمر.. نقول له: إن الإنسان قد استطاع أن يقتحم من ملايين السنين الضوئية بعض ثوان ضوئية، والتى تعتبر جزءًا من اتساع السماء الدنيا، وأنه محتاج إلى مليون سنة ضوئية محذوفًا منها ثانيتان؛ ليصل إلى العمق الذى يراه الآن من سماء الدنيا.. وهو فى كل هذا دون السماء الأولى لم يصلها بعد.

ويضيف فضيلة الإمام إلى ذلك قائلاً:

تلك قضية هامة للرد على بعض الذين يحاولون أن يخضعوا القرآن لقدرة البشر، وينسون قدرة الله، ويأخذون شيئًا سطحيًا فى محاولة لتطويره إلى مشكلة، هم أول من يعلم أنها غير موجودة؛ لأننى حين اقتحم ثوانى ضوئية من مليون سنة

ضوئية، لا يمكن أن أدعى لنفسى، أو لا يدعى عاقل أنه اقتحم المليون سنة التى هى فى العمق الظاهر من السماء الدنيا.

وبهذا، فإن معجزة الإسراء والمعراج خالدة، وستظل خالدة إلى يوم القيامة.. ولن يستطيع بشر مهما علا قدره ووصل علمه، أن ينفذ من أقطار السموات والأرض، بل أن ينفذ من السماء الدنيا، فما بالك بالسموات السبع.. وستبقى معجزة المعراج علمًا يدعو العالمين إلى الإيمان بالله وقدرته، وسلطانه المعجز المستحق للعبادة والوحدانية.

[٥٣٠]

إنها كفارة لك

س: يقال: إن الأمراض التى تصيبنا يثيبنا الله عليها لقاء معاناتها يوم القيامة.. فهل هذا صحيح؟

(جـ): سئل -ﷺ-: أرأيت هذه الأمراض التى تصيبنا، ما لنا بها؟ قال: «**كفارات**». قال أبو سعيد الخدرى -رضي الله عنه-: وإن قلت، قال: «**وإن شوكة فما فوقها**»[1].

[٥٣١]

هل المرض يكفر الذنب؟

س: هل المرض يكفر الذنب؟

(جـ): نعم.

قال -ﷺ-: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، ولا يزال البلاء ينزل بالعبد؛ حتى يمشى على الأرض ليست عليه خطيئة**»[2].

[٥٣٢]

حول تشريح جثث الموتى

س: هل تشريح الموتى حلال أم حرام؟

---

(١) المسند (٣/ ٢٣). (٢) أخرجه أحمد فى المسند، والترمذى فى السنن.

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

التشريح نوعان: إما للوصول إلى نتائج علمية، أو تشريح لمعرفة سبب الوفاة فيما إذا وجد شك جنائى.

وبالنسبة للأمر الأخير، فإنه يعين القضاء على مسائل كثيرة لمصلحة المجنى عليه، بمعرفة قاتله، ولمصلحة المجتمع أيضًا، وليس القصد هذا التمثيل بجثة الميت.

وكذلك الأمر بالنسبة للبحث العلمى، فإن التشريح يفيد البشرية بالتعرف على جثة الإنسان، وما يمكن أن يتعرض له من أمراض قد تودى بحياته، فيكون التشريح حينئذ بقصد تعليمى يهدف إلى فائدة الإنسان.. وفى مثل هذه الحالات تكون الجثة غيرَ معروفة، فلا يكون القصد أيضًا التمثيل بها.

ولكن الذى يسوء هنا هو امتهان الجثة بعد أن تؤدى الغرض منها، فلا يكون لها حرمة، أو أن تنبش القبور للإتيان بالجثث وسرقتها، وهذا بالطبع حرام قطعًا.

ويجب أن نعرف أن أجزاء الميت محترمة، ولها حرمة، بل إنه إذا بتر جزء من جسم الإنسان وهو حى، فإنه يدفن كما يدفن الميت تمامًا، فإن للإنسان كرامة حيًا وميتًا، ولقد بلغ من كرامته أنه قيل: أن كل إهاب (جلد) دبغ فإنه يطهر بالدباغة، إلا الخنزير لنجاسته، والإنسان لكرامته.

فإذا كان ولابد أن نشرح؛ فالتشريح يكون باحترام وأدب، وأن يعود كل شيء إلى أصوله، بعد أن يتم الهدف من تشريحه، فيدفن الدفن الطبيعى، ويحافظ على كرامته، أما كما نرى من إهانة الجثث بعد أن ينالوا غرضهم منها فهو ما لا يقره أحد.

[٥٣٣]

حرق الجثة

س: ما هو الرأى بالنسبة لحرق الجثث؟

(جـ): حرق الجثث حرام، وما يعذب بالنار إلا الله، شيء استلمته من الكون أستودعه فى الكون.. أما الذين يدعون أن الحرق يمنع من الأوبئة والأمراض.. فهذه حجج ليست من الإسلام فى شيء.

[٥٣٤]

الإسلام والعلمانية

س: ما معنى مصطلح (العلمانية) الذى ظهر فى المعجم الحديث لهندسة المجتمع؟

(جـ): نريد أن نناقش أولاً كلمة (علمانية) كى أبين أيضًا أنهم مخطئون، ومضللون فى هذه التسمية.

ما معنى كلمة علمانية؟ معناها أنها تسير فى أقضيتها، وفى كل مجالاتها على وفق ما يجىء به العلم. فما هو العلم؟ العلم قضية يقينية، ويمكن أن أقيم عليها الدليل؟ إذن كلمة علمانية لا تأتى مطلقًا إلا فى الأمور المادية. وفى الأمر المادى التجربة لا تجامل.. لكن الأمر النظرى كيف يكون يقينًا؟ لا يمكن.

ونقول لهم: أنتم تقولون: علمانية بمعنى ليست دينية، ومن الذى قال: إن الدين ليس علمانيًا؟ الدين علمانى فى مجال العلم الذى يؤتى قضية يقينية لا خلاف عليها، وهناك دليل عليها فى الأمور المادية، وما جاء دين، وخاصة الإسلام، ليناهض العلمانية بل هى فيه بأوسع معانى الكلمة، وإنما أنت أردت أن تقحم كلمة علمانية على شىء لا يدخل فى قضية العلم، وهى الأمر النظرى، تريد أن تحول الأمر النظرى إلى علم، فنقول فى ذلك: إن هذا ليس علمًا؛ لأنه ليس قضية يقينية، فالخطأ أنك أردت بالمقابلة (دولة علمانية) فى مقابل (الدولة الدينية) فنقول له: إن المقارنة خطأ. لأن الدين وخاصة الإسلام جاء للعلم.. لكنه يضع العلم فى مجاله الذى يجلو فيه القضايا اليقينية والحقيقية.

والعلمانية الصحيحة الخاضعة للعلم التجريبى لا تناقض الدين. والرسول عليه الصلاة والسلام جاء بالأمور التى يمكن أن تختلف فيها الأهواء، وقرر فيها رأى الدين فلا اجتهاد فيها، والأمور التى تخضع للتجربة لم يتكلم فيها بشىء.

يعنى بها الأمور العلمية التى يكون الحكم فيها للتجربة لا لكلام أحد، ورسول الله -ﷺ- يأمرنا أن لا نأخذ الأمور التجريبية من فم أى أحد إلا من التجربة نفسها، أما الأمور التى لا تجربة فيها فخذوا رأيها من عندى.

﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن

سبيله﴾[1]. ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض﴾[2]. فالعلمانية لا تقابل الدين.

والعلمانية فى مجالها الصحيح هى مع الإسلام، وإنما الإسلام ضد العلمانية فى غير مجالها إلا أنكم طرحتم قضية العلم فى قضية الأهواء.. والأهواء لا تعطى علمًا. أما بخصوص التضاد فى حقيقة الأصل، فهو غير موجود بين العلمانية بمفهومها الصحيح وبين الإسلام.

[٥٣٥]

الفصل بين العلم والدين

س: هل الإسلام يفصل بين الدين والعلم؟ ما رأى فضيلتكم فى بعض التصورات التى شاعت مؤخرًا إزاء هذه القضية الهامة؟

(جـ): ليس هناك فصل بين العلم والدين، وإنما هناك إدخال للعمل فى منهج الدين، بحيث لا يأتى رجل دين يقول: إن الذى يعمل بالكيمياء يصبح كافرًا.. نحن عندنا ناس يقولون: «دين ودنيا» فكلمة الدين خوفت أهل الدنيا من الدين، وكلمة الدنيا خوفت أهل الدين من الدنيا.. نقول لهم: لا يوجد «دين ودنيا».. الدنيا تقابلها الآخرة، والدين يشملهما.. البعض يقول عن المهتمين بأمور الدنيا إنهم كفرة، والمهتمون بأمور الدنيا يقولون عن المهتمين بالدين إنهم متخلفون، ونحن نقول لهم هذا ليس بمقابل.. مقابل الآخرة الدنيا، والدين يشملهما؛ لأن الآخرة ليست موضوع الدين، الآخرة هى المكافأة والجزاء.

[٥٣٦]

الجبال ودلالة وجود الله

الله سبحانه وتعالى موجود قبل خلق الوجود، ولم يكن ثمة شىء غيره، كما ورد فى مسند الإمام أحمد، ووجود الحق جلت قدرته مستمر قائم إلى غير

(١) سورة الأنعام: ١٥٣.
(٢) سورة المؤمنون: ٧١.
راجع مختصر ابن كثير (٢/ ٥٧٠).

'نتهاء، امتداد الأبد الأبيد كله، فى سرمدية لا طاقة للبشر بنعتها، أو تحديد

ولكن فيم يدور الجدل إذن؟ إنه يدور حول الدليل على وجود الله، أو حول محاولة إثبات وجود الله.

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى موجهًا الحديث لمن يجادل فى وجود الله، أو لمن يحاول وضع الدليل على وجود الله، يقول الإمام قائلاً: ما الذى حملك على ذلك، وأتعبك، وأتعب عقلك، وفكرك؛ لتضع الدليل على وجود الله؟

ويوضح الشيخ السر الخطير فى ذلك؛ فيقول: إن الله موجود فينا بالفطرة، إنه موجود فى كل حبات كياننا[1]، فالذى يحاول أن يضع الدليل على وجود الله فى الحقيقة، قد أثبت وجود الله، دون حاجة إلى دليل.

والدليل على وجود الله، هو طلب الدليل على وجود الله، ذلك أن طلب هذا الدليل، وإجهاد العقل فيه، معناه أن الله موجود فينا بالفطرة، نحس به، ونشعر بوجوده، ونعرف أنه موجود.

[٥٣٧]

فأبين أن يحملنها.. هل هذا عصيان..؟؟

س: قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً﴾[2]. فهل معنى ﴿أَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ تحمل معنى العصيان أم ماذا؟

(١) هذا الذى يقوله الإمام ليس مقصوداً به الحلول أو الاتحاد، لكن المبتغى منه أن سر الله تعالى والدليل على وحدانيته، إلهًا وربًا هو الموجود فى دخائلنا وخوالجنا.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

قال بعض المفسرين: الأمانة هى الفرائض المأمور بها المكلفون. على ما ورد فى تفسير الطبرى (٢٢/ ٣٨-٤٠) والبحر المحيط (٧/ ٢٥٣) والقرطبى فى جامعه (١٤/ ٢٥٣) وما بعدها والكشاف (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧).

وقال آخرون: إن الأمانة هى خلافة بنى آدم فى الأرض.

انظر مؤدى هذا القول فى القرطبى (١٤/ ٢٥٥، ٢٥٦).

(جـ): ما دام الاختيار موجودًا فى أنك تستطيع أن تفعل هذا، أو لا تفعله أى تستطيع أن تقول: إننى أخذت المال، أو لم آخذه.. فهنا تكون الأمانة.. الاختيار موجود.. وأنت وأمانتك.. تستطيع أن تقول الحق.. أو تنكره.

فإذا قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا**﴾ فمعنى ذلك أن هذه الأشياء كلها قد رفضت أن يكون لها اختيار فى أمورها.. وفضلت أن تكون مقهورة مسخرة لما يريده الله لها سبحانه وتعالى لماذا؟.. لأنها جميعًا خافت من عواقب هذا الاختيار، وما يمكن أن يؤدى بها إلى معصية.. أو إلى مخالفة لأمر الله، ولكن الإنسان بعقله قبل الأمانة.. قبل أن يكون له اختيار ويستطرد فضيلة الشيخ الشعراوى، ويبسط المسألة قليلاً فيقول: هب أن إنسانًا جاءك.. ومعه مبلغ كبير من المال.. وقال: أنا أريد أن أضع هذا المبلغ عندك أمانة.. أحد أمرين: إما أن يكون تصرفك كتلك المخلوقات التى رفضت أن تحمل الأمانة بأن تقول لنفسك: إن هذا اختيار صعب.. هذا الرجل سيترك لى ماله.. وقد تمتد يدى إليه.. وقد أنفقه فيما أنفق مما تغرينى به الحياة، ثم بعد ذلك يأتى وقت السداد فلا أجد المال.. فحتى لا أقع فى أى إغراء.. وأقطع الشك باليقين فإننى أرفض هذه الأمانة؛ لأنها تعرضنى إلى ما لا أستطيع أن أحتمله، وإلى إغراء الشيطان، ومن هنا فأنا لا أريد أى اختبار لنفسى، ولن آخذ هذا المال كأمانة.

إذن الأساس هنا هو الاختيار، والإنسان عندما حمل الأمانة معناها: أنه أخذ حرية الاختيار فى أن يفعل أو لا يفعل.. ومن هنا كانت الرسالات السماوية التى نزلت للإنسان؛ لأنه قبل حمل الأمانة.. أى أخذ الاختيار فى يده ليفعل ما يرضى الله. وأن يتجنب ما يغضبه.. ولكن إغراء الشيطان... وبريق الدنيا.. وضعف النفس البشرية لم يكن فى حسابه، وبذلك كان ظلومًا جهولاً، أى ظلومًا لنفسه فى أنه اعتقد فيها أكثر من قدراتها وهذا هو الغرور الذى أدى بالنفس التى يدخل بها إلى خروج الإيمان منها.. الغرور الذى جعل قارون يقول: ﴿**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي**﴾[1] أى: أن الإنسان يغتر بنفسه وعقله وقدراته.. ناسيًا أن هذه القدرات هى من عند الله.. وأنه هو الذى أعطاها له ويستطيع أن يأخذها منه..

(١) سورة القصص: ٧٨.

راجع الكشاف للزمخشرى (٣/ ١٩١).

جهولاً أى أن الإنسان جاهل بالحقيقة التى حوله فى أن الله سبحانه وتعالى هو القادر.. والمعطى والمانع والرافع والخافض. والمعز والمذل.

وهكذا حمل الإنسان الأمانة ووضع فيه الله سبحانه وتعالى أمانة البدائل فى افعل ولا تفعل، وما دام الحق قد قال للإنسان: افعل كذا فمعنى ذلك أن فى مقدوره أن يفعل هذا.

[٥٣٨]

أيام الله

س: قال تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾[(١)] فهل اليوم فى حساب الله مثل اليوم فى حساب البشر؟ أى أن اليوم عند البشر أربع وعشرون ساعة، فهل عند الله، وفى حسابه كذلك أم ماذا؟

(جـ): ويقول الحق: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾[(٢)] فما مقدار هذه الأيام الستة فى حساب الخلق والخالق سبحانه وتعالى؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى: فرق بين أن نقول أنا صنعت هذا القرص من الجبن فى ست ساعات، ولكنك جئت بالأدوات: اللبن والخميرة ووضعتها فى لحظة ثم تركته لتفاعله الكونى. إذن فكأن الحق لم يباشر الخلق فى هذه المدة وإنما أودع فى كل شىء خصائصه وتركه يتفاعل تفاعله بفعل الزمن كما خلق الإنسان فى تسعة شهور.. أودع الخصائص الخاصة فى الجو المناسب، وبعد ذلك أخذت تتفاعل.. إذن لم يخلقنا فى تسعة أشهر إنما خلقنا بـ «كن» فكأن الحق حينما قال: خلقها فى ستة أيام ليس معنى ذلك أن الستة أيام الظرف كله علاج للحدث؛ لأن معنى أن يكون الظرف علاجًا للحدث أن كل جزئية من الحدث تقابل جزئية من الزمان، وهذا هو العلاج والله يعملها بدون علاج.. الله يعملها بـ «كن» فكأن عناصر السماء أو عناصر الأرض الله يضع فيها

---

(١) سورة السجدة: ٥.
راجع تفسير القرطبى (١٤/ ٨٦-٨٨) والبحر المحيط (٧/ ١٩٨) والكشاف للزمخشرى (٣/ ٢٤١).

(٢) سورة الأعراف: ٥٤، وسورة يونس: ٣.
راجع تفسير الطبرى (٨/ ١٤٥) والقرطبى (٧/ ٢١٩).

الأشياء أو الأسرار الفعالة، فيها ثم يتركها تأخذ تفاعلها وكذلك حينما يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾(١) يعنى كل يوم ١٢ ساعة؟ كل نهار؟.. أنه فى شأن دائمًا قيوم، لا يمكن أن يترك علامة بلا قيومية لحظة واحدة، ولذلك لما سئل العلماء هذا السؤال؟ كل يوم هو فى شأن. ما شأن ذلك الآن، وقد صح أن القلم قد جف؟ كل شيء انتهى؟. قالوا: أمور يبديها ولا يبتديها.. فرق بين الإبداء والابتداء.. الابتداء معالجة خلقه. أما الإبداء فهو الظهور. وإذا جئنا بعد ما تقدم العلم، وعرفنا مثلاً الفلكيات، وعرفنا وضع الأرض مع المجموعة الشمسية، وعرفنا حقيقة دورانها حول نفسها وحول كذا، وحول كذا؛ لعلمنا أن كلمة يوم بالنسبة للحق كل لحظة؛ لماذا؟ لأنه إذا كان اليوم فى تحديدكم الفرق بين طلوع الشمس وغروبها، فالشمس دائمًا طالعة غاربة.. إذن ففى كل لحظة ينتهى يوم ويبدأ يوم وينتهى يوم.

إذن عندما يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ والمراد بيوم الآن. يعنى كل آن هو فى شأن. لماذا؟ لأنى أفرض مثلاً أن يوم هذا يبتدئ من الخامسة صباحًا إلى الخامسة مساء، خامسة ودقيقة يبتدئ يوم ثان، وينتهى خامسة ودقيقة وقسم الدقيقة إلى ثوان وهكذا.. إذن فكلمة يوم مدلولها موجود فى كل لحظة فحين يقول: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ يعنى كل آن قيومته دائمة.

لا ينتهى الأذان لله ولا ثانية من الحياة.. كل لفظ فى الأذان لا ينتهى وكل فعل فى العبادات لا ينتهى، يعنى حين يقول المؤذن فى مكان «الله أكبر» للفجر، يكون هناك مؤذن يقول: «الله أكبر» الثانية، ومؤذن فى ذلك الوقت يقول: «أشهد ألا إله إلا الله» ومؤذن غيره يقول: «أشهد أن محمدًا رسول الله».. إذن فكلمة الأذان، وكلمة العبادات موصولة دائمًا لا تنقطع، فالله مهتوف به: الله أكبر.. الله أكبر. فى كل لحظة من لحظات النهار والليل، وكل عبادة من العبادات يصلى لله بها.. فحين تصلى الفجر هنا أناس يصلون الظهر، وأناس يصلون العصر، وغيرهم يصلون المغرب، وآخرون يصلون العشاء.

ولذلك نستطيع أن نفسر بعض شطحات المجاذيب الذين يقولون: يا زمن

---

(١) سورة الرحمن: ٢٩.

انظر روح المعانى (٢٧/ ١١١) والكشاف للزمخشرى (٤/ ٢٦).

وفيك كل الزمن.. إذن فقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(١) أليس هو مالك الأمور أيضًا غير يوم الدين؟ قال ولكن لما كان للملك وللملك صورة ظاهرية فى كون الله.. بمعنى أننا نرى شخصًا نسميه ملكًا، ونرى آخر ونسميه مالكًا فى ظواهر الأمور. إذن فالأمور إن كان لها ظاهر وباطن الآن، فلبعض الناس ملك صورى، فإن فى الآخرة لا توجد حتى هذه الصور الظاهرية، بل الأمر كله لله. ولذلك تتخلى الأسباب عن البشر، وما دامت تتخلى عن البشر، إذن كنا هنا نعيش بأسباب الله الممنوحة منه ويبقى الملك ظاهرًا وباطنًا وما كان فى الخفاء ظهر فى القيامة.. يبقى ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ على الحقيقة، وعلى كل شىء بحيث لا توجد صورة ظاهرة لمالك أو ملك.

هنا يوم الدين.. الدين هذا يطلق إطلاقات متعددة، هذه الإطلاقات عندما تكلم العلماء عنها قالوا: الدين يطلق على الجزاء.. الجزاء على ماذا؟ على الطاعة.. الطاعة لماذا؟ لأمر الله.. وما هو الذى يعبر عنه بأمر الله. للمناهج والشريعة.. إذن هناك جزاء على طاعة، طاعة لماذا لمنهج الله. إذن هناك ثلاثة عناصر لها: الجزاء والطاعة والمنهج.

س: ولماذا قال يوم الدين، ولم يقل يوم القيامة؟

(جـ): لأن يوم القيامة له مظهر من مظاهر اليوم الآخر، والقيامة حيث يقوم الناس من قبورهم.

إنما ما زال الحشر، والحساب والمرور على الصراط، والجزاء فكان الجزاء نهاية هذه الأشياء فعبر بالنهاية، لأننا نبعث لماذا؟ لكى نجازى إذن هو الغاية، فالذى يقول: يوم الدين أو يوم الجزاء عبر عنه بدل يوم القيامة.

ولأن الجزاء هو الغاية من العبادات عند الغالب الأعم، فعلى قدر ما تكون عبادتك يكون جزاؤك، ولذلك تجد القرآن تعرض لهذه قال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾(٢).

---

(١) سورة الفاتحة: ٤.

(٢) سورة الكهف: ١١٠.

انظر القرطبى (١١/ ٦٧) والتفسير الكبير للإمام الرازى والكشاف (٢/ ٥٠١)

ولذلك نحن نسمى الدين فى مظهره التشريعى للناس. يقولون: إنه إيثار والتحقيق أنه أثرة وأنانية، بمعنى عندما يكون معك مبلغ من المال، وتجد واحداً محتاجًا وتؤثره على نفسك فى ظاهر الأمر أنك آثرته، وحقيقة أنك تريد المكسب ولكن من يدرك هذا المعنى؟ يدركها أصحاب الطموح.

إذن فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه أحدًا، أي يعبده لذاته مثل الحمد لذاته.. والحمد لرب العالمين، وحمد للرحمن، وحمد لمالك يوم الدين.

[٥٣٩]

السماء والأرض تبكيان

س: يقول الله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾(١) فهل هذا من قبيل المجاز أم أن السماء والأرض -حقيقة- تبكيان..؟!

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: السماء والأرض تبكيان.. أجل تبكى، هذه عملية العواطف.. البكاء عملية نزوعية من ورود العواطف فيها.: إنك تبكى بناء على عواطف ولذلك: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ يريد أن يثبت أن لها عواطف، فإذا كانت السماء والأرض لها عواطف يبقى الأشياء التى نتنعم بها، وهى الجمادات والحيوانات والنباتات ما مانع أن تكون عندها هذه العواطف، وأنها تكون نفسها راضية بجزاء من يجزى بها، لأنه يستحق أن يجازى هذا الجزاء، ولماذا يستحق أن يجازى هذا الجزاء؟ لأنها علمت أنه لم يستحق الجزاء إلا لأنه طبق المنهج الإلهى كما طلبه الله.. إذن فله آصرة ود؛ لأنها طبقت المنهج الإلهى كما يريده الله بلا اختيار لها.. إذن فهو أخوها فى الدين، فحين تنعمه، فهى شاعرة بأنها راضية بأن تكون منعمة له، ولذلك تكون نسبة الرضى للعيشة نسبة حقيقية أم مجازية؟ نسبة حقيقة.

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾(٢).

---

(١) سورة الدخان: ٢٩.

انظر القرطبى (١٦/ ١٣٩) وما بعدها، والتفسير الكبير للفخر الرازى (٢٧/ ٤٢٧).

(٢) سورة القارعة: ٦، ٧.

راجع القرطبى (١٧٧) والطبرى فى التفسير (٣٠/ ١٨٤) وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ٣٤٨) وأبا السعود (٥/ ٢٨٠-٢٨٢) والتفسير الكبير للرازى (٣١/ ٧٣).

[٥٤٠]

العوالم الأخرى غير عالمنا

س: هل يوجد عالم آخر غير عالمنا؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

إن الأشياء التى تغيب عن الإدراك والحس والمشهد، لا دليل فيها إلا قول من نثق به ونصدقه. فكل دليلنا على الغيبيات هو أن من آمنا به إلهًا قال: إن لى خلقًا آخر صفتهم كذا وكذا. فقال: إنى خلقت الملائكة والجن، ولكننا لا نستطيع رؤيتها.

وفى الإنسان نفسه أشياء لا يستطيع رؤيتها بالعين أو الأنف، أو بأى من الحواس المعروفة. ومع ذلك فهى موجودة فى الإنسان... فروح الإنسان التى بها حياته، هل رآها أحد؟ إنها لا تدرك بأى حاسة. فإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لأنفسنا، فإذا قال لنا خالقنا: إن فى الوجود مخلوقات ترانا ولا نراها فعلينا أن نصدقه.

[٥٤١]

أنتم أعلم بشئون دنياكم

س: مولانا الإمام.. يدور الآن على سطح البحث وبين كواليس الندوات وعلى لسان البعض حديث هام وخطير، وهو أمر الاجتهاد فى الإسلام كل يدلى برأيه منهم المتخصص، والجاهل، والعالم، والمتعالم، والفقيه والمتعالى، وهى قضية هامة شغلت الكثير من المفكرين والعلماء فى القديم والحديث.. ما القول الفصل فى مثل هذه القضية الهامة والحيوية؟؟

(جـ): اعتدل الإمام، وبدأ يفيض: إن آفتنا أن القوم المتحررين دينيًا يريدون أن يخضعوا كل شىء فى الدين للاجتهاد.. والآخرون يريدون أن يخضعوا كل شىء للاجتهاد أيضًا.

نقول لهم: كلاكما مخطئ، فمعنى الاجتهاد أن تبذل الجهد، أن تبذل وسع الجهد فى أن تعرف الرأى، وهذا لا يعنى أنها تحتاج إلى بحث ولكن المحكمات غاية النفس والعالم لا يفسد بأى رأى من الآراء فى المسموح فيه بالاجتهاد.. ولكنه يفسد بالأول.. فالذى يفسد به أولاً هو الذى قال لك لا.. أنا الذى

سأتحمله.. شيء آخر إن الناس يريدون أن يخضعوا قضايا هذا الدين إلى: «**أنتم أعلم بشئون دنياكم**»(١).. كل شيء يريدون أن يدخلوا فيه هذا الحديث.. علينا أن نفهم ميلاد الحديث.. الحديث ورد فى أمر علمى تجريبى، وأمر التجربة ليس منوطًا بالسماء.. أمر التجربة منوط بالأسباب والمسببات المادية، لأن الله ضمن أنه لا يدخله الهوى.. التجربة المادية لا يدخلها الهوى العالم يدخل معمله التجريبى، وليس له هوى فى نفسه إلا أن يصل إلى الحقيقة.. وما هى الحقيقة؟ هى ما تهدى إليه العناصر الصماء.. والتفاعلات لا يدخل إليها الهوى أبدًا فكأن الله ضمن فى التجربة المادية ألا يدخلها الهوى، ولكن فى الأمور النظرية يأتى الهوى فتحمل الأمور النظرية التى يختلف فيها الهوى، ولكنه قسمها قسمين: قسم يتدخل فيه، تدخلاً لا يسمح لكم بالاجتهاد فيه، وقسم آخر من أجل أن يعطيكم حرية البحث فيه حتى لا تكونوا قوالب حديدية، وأخذ التكاليف على أنها هكذا.. ولكن ليصبح عندك حيوية حركية، وحيوية اختيار.. حيوية اختيار بديلات، ولكن التجربة المادية هذه يستوى فيها الناس لا أحد يختلف فيها لماذا؟ لأن الهوى لا يدخل فيها.

أقول: دائمًا أننا نلاحظ أن هناك معسكرين الآن: المعسكر الشرقى الروسى، والمعسكر الغربى الرأسمالى، وهذان المعسكران على طرفى نقيض فى الكلام النظرى فقط، إنما فى الأمور المادية هل هناك كهرباء روسى، وكهرباء أمريكى؟ أبدًا.. بل العكس المعسكر الروسى يريد أن يسرق ما عندهم من تجارب مادية، والعكس صحيح، ولكن فى المسائل النظرية نجد سدًا حديديًا يمنع ذلك.. فهذه يمنعونها والأخرى يسرقونها، وهذا دليل على أن مسألة التجربة المادية غير مدخل إلا أن تستقبل بفكر الله الذى خلقه لك.. مادة الله الذى خلقها لك، بالطاقة المخلوقة لك. وما تنتجه هذه التجارب.. إما أن هذا ملحد، أو شيوعى، أو كافر، فهذه قضية لا يصح أن نتدخل فيها.

يجيء واحد يحكى ويقول: نبيكم محمد قال: أنتم أبصر بشئون دنياكم.. وهى التجارب المعملية التى أنت حر فيها.. وبذلك وضع الإسلام مبدأ العلم التجريبى، ولكن الأمور النظرية التى تختلف فيها الأهواء يحملها الله شكلين:

---

(١) فالمسائل الكونية يستوى فى العلم والإحاطة بها مع سائر الناس، وليست مجالاً للقول بالعصمة فيها، لأنها ليست محلاً للتبليغ.

لكن العصمة المطلقة للأنبياء هى فى مجال التبليغ؛ لأن على العصمة فى البلاغ مدار التصديق والإيمان.

الشكل الأول: شكل محكم، إن اختلفنا فيه نتعب..

والشكل الثانى: إن اختلفنا فيه لا نتعب، وإن كنا سنتعب من ناحية التعصب، والتعصب كما نقول دائمًا: إنه جبروت الضعيف.. إذن فيجب أن نستقبل قضايا الإسلام على أن الإسلام معناه أولاً أسلم يقتضى مسلمًا وهو الإنسان.. ومسلمًا إليه.. ومسلمًا فيه.. أنا لا أسلم نفسى إلى مساوٍ من البشر.. وإنما لا أسلم زمامى إلا لمن أثق أنه أقدر منى وأحكم. هذا هو معنى الإسلام.. إسلامى أننى ألقى زمامى بيدى للحق سبحانه وتعالى.. وكل عملى أوثق ما صدر من الله وصدر عن رسول الله -ﷺ- الذى هو المشرع الثانى.. عند هذا الحد انتهت المسألة.. تأمل دقة الرسول عليه الصلاة والسلام، تأمل الشجاعة الإيمانية فى أن النبى -ﷺ- هو الذى أشار بألا يلقحوا النخيل حيث قال لهم: «**إن لم تفعلوا فإنه أيضًا يصلح بدون تلقيح**»(1) فلم يفعلوا، ولم يصلح.. تأمل كيف تحمل التجربة المعملية المادية لا تقبلوا حتى كلام محمد بن عبد الله.. هل هناك أكثر من هذا؟ ولكن فى الأمور اللاهوائية نجد أن الواقع أعطانا منطلقًا يؤيد الواقع.. كيف؟.. انظر إلى المسائل النظرية التى اختلفوا فيها، ثم انظر إلى المسائل المادية تجد أن صاحب المسائل المادية، هو العالم المعملى الذى لا يعلم الناس شقاءه الذى يعيشه وهو وحده.. ولا أحد يدرى به، ويمكن أن يزهد عن أكله وشربه وهندامه.. من أجل تجربة يقوم بها.. ولا يشعر الناس به إلا عندما تنتهى التجربة إلى مبتكر، أو مخترع، أو شىء جديد، ثم نبدأ نحن نحصل على خير التجربة، ولكن من الذى شقى بها وحده.. هو فى معمله، ولكن التجربة فى الكلام النظرى ينعم بها صاحبها، ويشقى بها المجتمع إلى أن يثبت أن كلامه ضار، أو يجىء شخص آخر يغير من كلامه. إذن لقد تحمل الله عنا ما يشقى.. صحيح أن التجارب سترغمكم فيما بعد على أن تصلوا إلى ما يريد الله، ولكنه أراد أن يريحكم عناء التجربة؛ لأنه رب وخالق، ولا يوجد صانع يريد أن يحطم صنعته.. كل صانع يحب صنعته.. والله يحب صنعته، ولذلك فقد منع عنها المسائل الهوائية، وأباح لها الاجتهاد، والاجتهاد يعنى أن هذا جائز، وهذا جائز، والله تعالى أعلم.

---

(1) هذا المثل المضروب يقطع بعدم العصمة فى غير مجال التبليغ، وإلى هذا ذهب كثير من العلماء.

[٥٤٢]

عالم الأرقام والأكوان

س: كيف يجمع الله سبحانه وتعالى البلايين يوم القيامة فى صعيد واحد.. ومكان واحد.. وزمان واحد.. لا تؤاخذنى مولانا الشيخ.. أين المكان.. وما هو الزمان.. أستغفر الله.. إن عقلى وفكرى لا يتسع لهذا التصور الغريب، والعجيب.. إنى لفى حيرة من أمرى.. بصرنى مولانا الإمام. ولتضئ شمعة بارك الله فيك وعليك.

(جـ): يا سائلتى الكريمة، يا ابنتى الفاضلة، إنك لا تتصورين بعد حجم الكون. . فالأرض كوكب من أحد عشر كوكبًا فى المجموعة الشمسية، والمجموعة الشمسية واحد من مائة مليون مجموعة شمسية فى مجرتنا التى نعرفها، ونعرف غير مجرتنا مليون مجرة ولك ذلك دون السماء الدنيا. . ما السموات والأرض وما بينهما بالنسبة لملك الله إلا كحلقة ألقاها ملك فى فلاة، وعلم الفلك يسر علينا هذا الفهم، وهو يحسب حساباته بالحساب الضوئى؛ لتقريب الأرقام الكبيرة جداً إلى أذهاننا. . ولا يمكن أبدًا أن نتصور حجم ملكه سبحانه. .

فأنت عندما تصورت أن العالم ينحصر فى كوكب الأرض، فكأنك اعتقدت أن العالم هو العمارة التى تسكنين فيها، أو الشارع الذى تقطنين فيه أو المدينة التى تعيشين فيها.

[٥٤٣]

الإسلام والتطور

س: عن التطور ومنهج الإسلام المتطور المتجدد، وكيف أن القرآن ضمن التشريع أشياء بالغة الأهمية، سبقت كل عصر وأوان.

(جـ): إن كل النظم المتحضرة والمتطورة فى العالم أخضعت نظمها للتجارب العملية، وهى تجرب هذه وهذه وتلك، فما أن بلغت حضريتها غاية الرقى، والتمدن إذا بها تجد نفسها قد اقتربت من منهج الإسلام.

وقارن الإمام الجليل بين أعمار النظم الاجتماعية فى العالم وبين الإسلام، وأثبت أن النظام الإسلامى ما طبق إلا ونسق المجتمع، وتسامى بملكاته، وارتقى بوجوده.

[٥٤٤]

نظريــة دارون والشعــــراوى

س: ما هى نظرية دارون التى أقامت، وأقعـدت العلماء فترة من الزمن وهل هذه حقيقة علمية أم نظرية؟

(جـ): يقول فـضيلة الشيخ الشعـراوى: إنها نظرية. . ولكن غيـر الفاهمين استقبلها على أنها حقيقة. ومن هنا نشأ الخطأ.

وإذا كان التـابعون لدارون أولاً هم الذين فندوا نظريته ثانيًـا لماذا نتعب نحن أنفسنا فى هذا الموضوع تـعبًا أقل ما يوصف به. . أننا نجعل دارون فى كـفة، وما قاله الله الذى آمنا به فى كفة أخرى؟ وحسبنا من هذا البحث ذلك الضلال.

والرد البسيط النظرى أن نقول لمن يفتن بهذه النظرية: أين العوامل التى أثرت فى القرد الأول ليصبح إنسانًا، لماذا تركت بقـية إخوته القرود على قرديتهم؟ ولماذا لم نلحظ قردًا آخر يصيبه هذا الدور من الارتـقاء حتى يصير إلى إنسان؟ وهب أننا سلسلنا الإنسان عن قرد فالقرد عن ماذا؟ وماذا عن ماذا؟

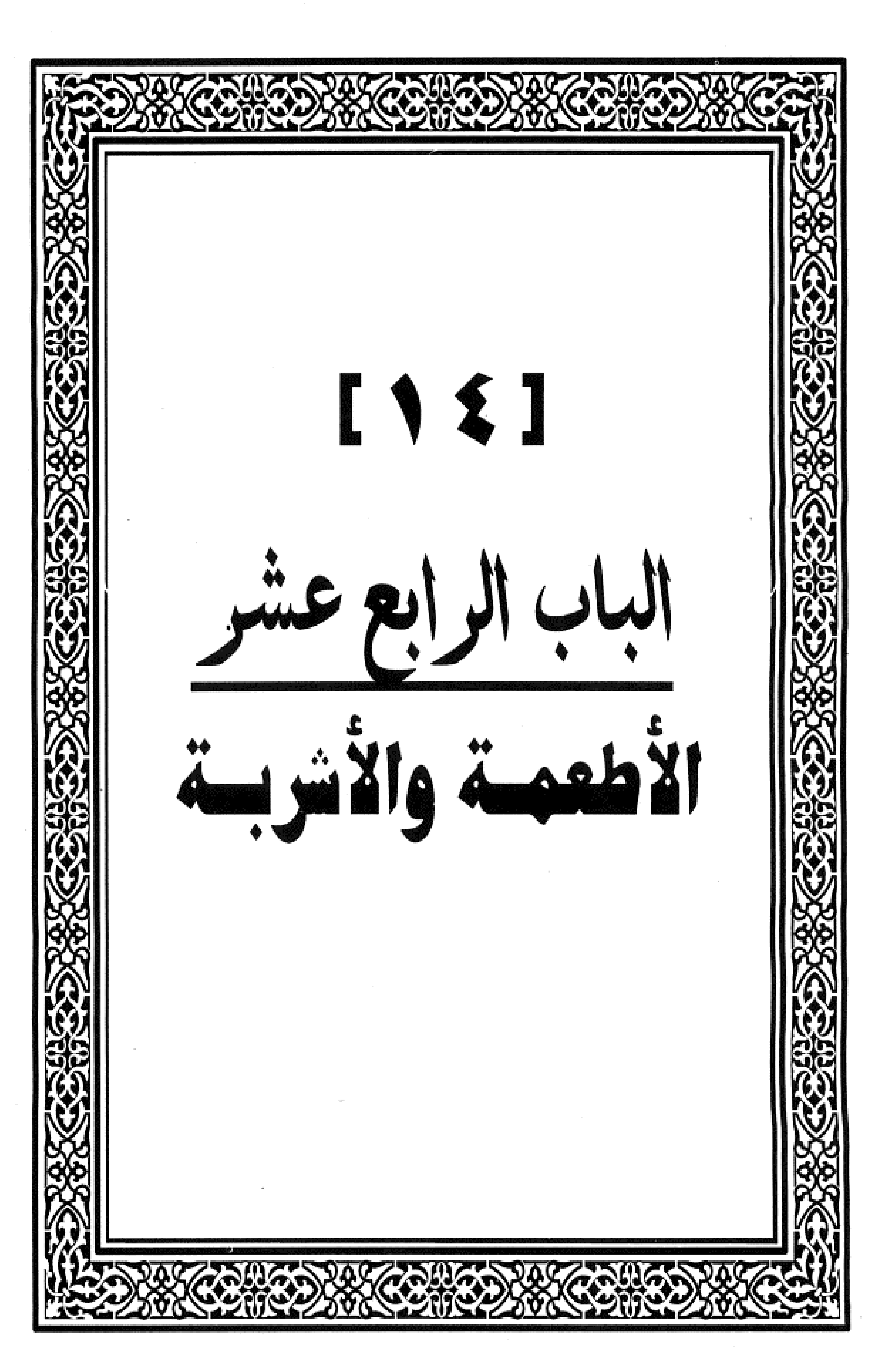
إذن لابد أن يوجـد شىء عن شىء، وسنصل إلى. . والشىء الأول عن أى شىء؟

والأجناس الأخرى من الحيوان. . ألها أصل تعود إليه بحيث تجمعها سلسلة واحدة؟ والنباتات وهى الكائن الحى الأدنى -ألها سـلسلة أيضًا؟ بحيث نستطيع أن ننظمهـا فى سلك بحيث ننتهى إلى أوليـتها؟ ارتقت فى حلقات. . فـإن كان ذلك فلماذا لا نرى حلقـة من حلقات الحيـوان أو حلقة من حلقات النبـات ترتقى أمام أعيننا إلى النوع الآخر. وقديمًا قيل مثل هذا الكلام، ولكن بغير هذا الفهم على أن آخر شىء فى النـبات أول شىء فى الحيـوان وهو الإحساس. . ولكـن ظل النبات نباتًا والحيوان حيوانًا.

فكذلك الحيوانات قد ترتقى فى بعض خصائصهـا، فتأخذ شيئًا من خواص الإنسان، وهى القدرة على التقليد، ولكن تظل حيوانات، فلا ترتقى إلى إنسان.

والدليل على ذلك أننا مثلاً حين نعلم القرد أى عمل، فقد يستطيع أن يفعله فعلاً مبدئيًا، ولكن لا يستطيع هو أن يعلمه لجنسه. بل يظل قردًا كما هو.

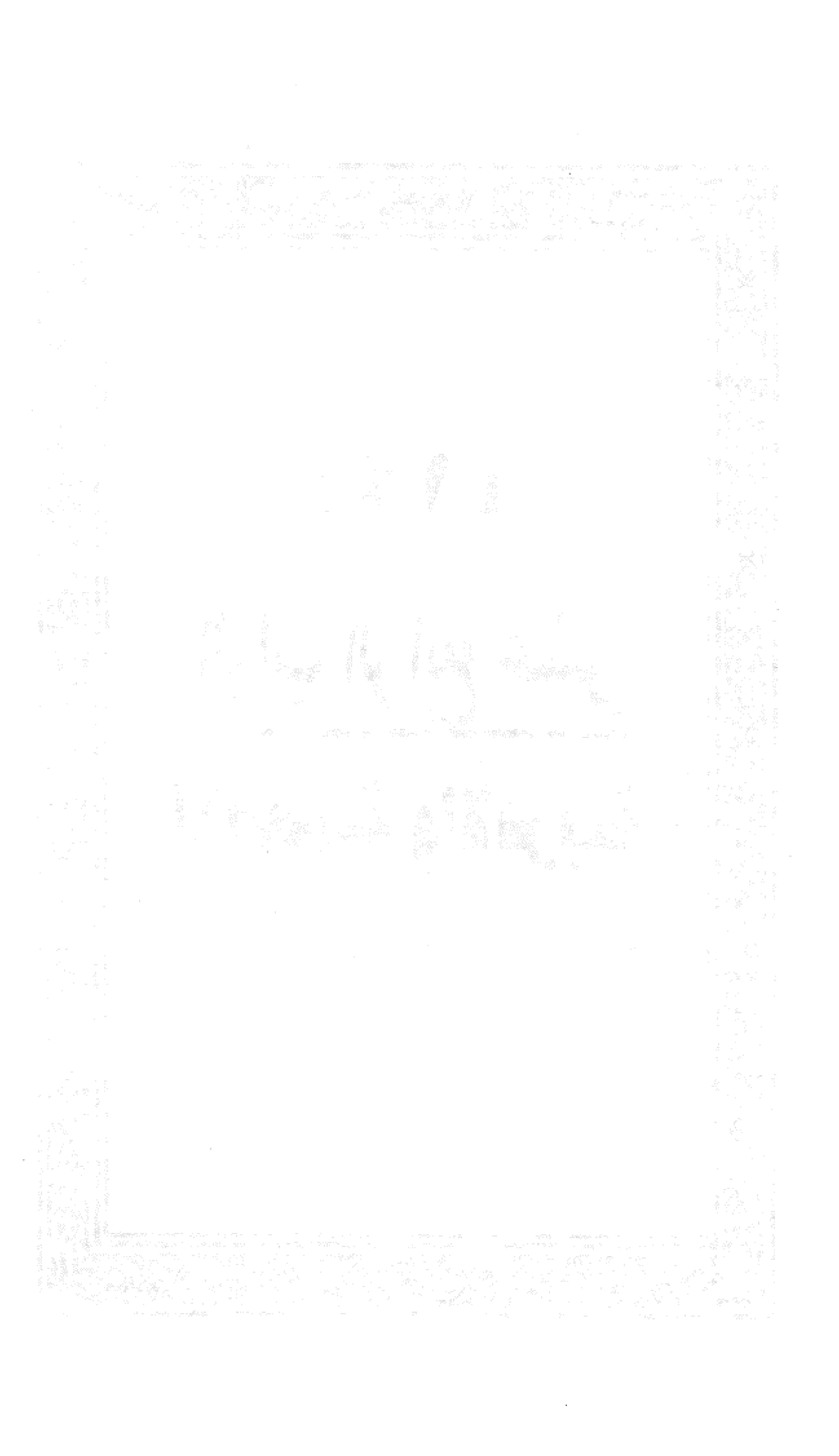
ووقوف حلـقات الأشيـاء فى دوائرها يدل على أنهـا حلقات قارة ولـيست متنقلة.



[١٤]

الباب الرابع عشر

الأطعمة والأشربة



[٥٤٥]

تحريم لحم الخنزير

تمهيد:

بمناسبة تحريم لحم الخنزير، لم يكن القدماء يعرفون الحكمة فى هذا التحريم، لكن الطب الحديث اكتشف السبب، وهو احتواء لحم الخنزير على يرقات الدودة الشريطية المسماة (تينياسوليم) والتى تصيب المريض بها بأفدح الأضرار، إذ أنها تمتص غذاءه؛ وتصيبه بالأنيميا الحادة، وتقلص الأمعاء، وفقر الدم، وتهدر طاقاته وتسلب قدرته.

وهنا لو أن المسلمين الأوائل أرادوا أن يعرفوا -شرطًا لإيمانهم- الحكمة فى تحريم لحم الخنزير -الذى لم يكن معروفًا وقتذاك فى فجر الدعوة- لانتهوا إلى لا شيء، ولكان إيمانهم ضعيفًا ركيكًا مضعضًا، ولكن الحكمة فى كل أمر تكليفى ألا يناقشه المؤمن، إنما يقبله، لأنه من الله، وهذا هو إيمان العجائز، وتلك هى عبادة العوام.

يقول الشيخ الشعراوى فى هذا المقام:

الإيمان: هو علة كل حكم صادر من الله.

وأضاف فضيلة الإمام الجليل: أن الحكمة قد تكون أسمى من المكلف، وقد تبدو بعد الفعل ولا تسبق الفعل؛ لأن الحكمة إن سبقت الفعل فإنه الاستجابة للحكمة، أما الإيمان فاستجابة للأمر.

وظهور حكمة لأمر صدر التكليف فيه من الله بعد فترة من الزمن، تأكيد لأن كل ما لا أعلم حكمته له حكمة.

وضرب الشيخ مثلاً عمليًا علميًا فى ذلك ممثلاً بلحم الخنزير فقال:

أكنا نؤجل تحريم لحم الخنزير؛ حتى تأتى التحليلات الطبية فتثبت لنا أنه مضر بجسم الإنسان؟!!

[٥٤٦]

الكحول والكينا

يقبل الكثيرون من الناس على شرب مادة الكينا كمقوٍ، ومنشط، وفاتح

للشهية؛ لاحتوائها على مادتى الكحول والحديد، والمسلم به أن المادة الكحولية لم تصل فى الكينا إلى درجة المسكر.... فهل الكينا حلال أم حرام لاحتوائها على الكحول، وبالرغم من عدم السكر فيها؟

لما عرضت هذا السؤال على الشيخ محمد متولى الشعراوى لأهميته، ولوقوع الكثيرين منا فى المغرم والمأثم دون شعور أو مبالاة، أفاد فضيلته:

أنها حرام لقوله -ﷺ-:

«كل ما أسكر كثيره فقليله حرام، ولو لم يسكر»(١).

والقاعدة العامة هى قوله -ﷺ-:

«كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»(٢).

ولكن لابد من تجلية هذه النقطة، وهى أن الله سبحانه وتعالى أمر باجتناب الخمر، وهذا أبلغ فى التحريم.

قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾(٣).

ومعنى فاجتنبوه... أى لا تقربوه أبدًا، لأن القرب منها قد يغرى الإنسان بها.

وقول النبى الكريم -ﷺ-: **«كل ما أسكر كثيره فقليله حرام ولو لم يسكر»** يوضح لنا التحريم بالإطلاق...

---

(١) وذكره السيوطى بلفظ: كل مسكر حرام وما أسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام. وصححه وحسنه (٢/ ٣٩٥/ ٦٣٤٨).

(٢) ورد فى البخارى عن أبى موسى فى ثلاثة مواضع بلفظ: «كل مسكر حرام» (٥/ ٣٢٣/ ٤٣٤٣، ٤٣٤٤)) و(١/ ٥٥/ ٦١٢٤).
وصححه السيوطى فى الصغير (٢/ ٣٩٥/ ٦٣٤٧).

(٣) سورة المائدة: ٩٠.
الميسر: هو القمار، والأنصاب: هى حجارة كانوا يعبدونها فى الجاهلية، والأزلام: هى القداح، قال ابن عباس: الأنصاب حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها، والأزلام: قداح كانوا يستقسمون بها. ووافقه مجاهد.
(انظر أبا حيان ٤/ ١٤. بتصرف).

وفى هذا المقام يقول لنا الشيخ الشعراوى موضحًا الحكمة فى هذا: . . .

الذى يشرب من الخمر، ويتعاقرها هل يضمن لنفسه القدرة على تحديد درجة السكر عند أية لحظة؟ ثم إنه يستطيع أن يتعاقرها ويتناولها بجرعات صغيرة لا تسكر، حتى يصل إلى حد الإدمان، وهو عند الإدمان يتعود عليها ويصعب على نفسه، ويشق عليه أن يميز درجة دخوله فى السكر، فليس هناك نقطة خطر مميزة تقول للشارب، قف هنا سيبدأ السكر والحرام. . .

[٥٤٧]

النطيحة

س: ما حكم الإسلام فى النطيحة؟

(جـ): حرام بصريح النص القرآنى:

قال تعالى: ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ** ﴾(١).

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى: فى سوبر ماركت يأكل اليهود مخ العجل، أو السمحاق من بعض الحيوانات القوية التى لا يستطيعون أن يملكوها لقوتها، إلا بأن يضربوها فى مخها؛ حتى تفقد الوعى؛ ويختل توازنها فيسهل ملكها، وهم بعد ذلك يأكلونها.

ولكنا نقول يكفى أنهم لا يسمون عليها غير اسم الله.

تعقيب

بعض الحيوانات المتوحشة لا يمكن للذكر أن يروض الأنثى، أو يتحكم فيها لممارسة الجنس معها، فيستعمل قرنه القوى الحاد فى إجبارها على الإذعان، والاستسلام إليه عنوة وقوة بكل فحولة وقسوة، ويسمى الأطباء البيطريون هذا بالسلاح الجنسى Sexual Wea pon.

---

(١) سورة المائدة: ٣.

انظر جامع البيان (٩/ ٥٠٢)، وفيه مبسوط القول فى شرح هذه الآية شرحًا مفيدًا لا مزيد عليه.

ويجب أن نتأمل هنا الفرق بين ممارسة الجنس عند الحيوان، وبينها عند الإنسان، حيث إن متعتها عند الإنسان فى رضى وقبول الطرفين معًا لهذه الممارسة، مما يزيدها جمالاً وحيوية وروعة.

[٥٤٨]

تحريم الخمر

لا يزال هناك من يجادل أن الخمر ليست محرمة، ومهما أنفقت فى إقناعه أنها محرمة، قال لك: لو أنها محرمة تحريمًا قاطعًا لقال الله سبحانه وتعالى: حرمت عليكم الخمر... مثلما قال: ﴿**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ**﴾[(١)]... لكن فى الخمر قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ**﴾[(٢)].

فما هو رأى الشيخ فى تحريم الخمر؟

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن تحريم الخمر فى القرآن الكريم قاطع لا شك فيه، ولا يصح الجدل حوله... بل إن قوله سبحانه وتعالى.. ﴿**فَاجْتَنِبُوهُ**﴾.. أقوى وأشد تحريمًا.. مما لو قال الله جل شأنه حرمت عليكم الخمر.. إذ إن قوله ﴿**فَاجْتَنِبُوهُ**﴾ معناه: ألا تقربوا منه أبدًا... فإن محارم الله يجب أن تبتعد عن نطاقها، لا تقاربها أبدًا.. لا تقترب منها أبدًا.. لأن قربك منها قد يغريك بها؛ فتقع فى أحبولة النزوع للتجريب.. فقوله إذن: لا تقرب أبلغ وأشد فى الاحتياط من قوله لا تفعل كذا.

نفس المسألة، مثل قوله: ولا تقربوا الزنا... أى لا تقتربوا من نطاقه؛ فينفتح للنفس باب الشيطان... إنما فى قوله: (لا تقربوا) صورة أقوى، وأقطع وأحسم للتحريم؛ لأنه سبحانه وتعالى لو قال لى: حرمت عليكم الخمر قد يجوز لى أن أحمل الكأس لمن يشربها ولا أكون مخالفًا لأمر التحريم، وقد يجوز لى أن أصنع الخمر، وأن أتاجر فيها، أو أفتح حانًا لها، أو أقدمها لضيوفى فى المنزل،

---

(١) سورة المائدة: ٣.

انظر الكشاف للزمخشرى (١/ ٤٦٨)، وتفسير الطبرى (٩/ ٥٠١).

(٢) سورة المائدة: ٩٠.

وأن أتواجد فى مكان تعاقرها، دون أن أرتكب إثمًا أو معصية، ولكن قوله تعالى: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ معناه أنه ممنوع على المسلم أن يتواجد فى مكان تقدم فيه الخمر، أو مع شاربيها، أو حملها، أو التجارة فيها، ثم يأتى الحديث الشريف موضحًا ذلك فيقول -ﷺ-: «**لعن الله الخمر وشاربها وحاملها.. إلى آخره**»(١).

س: وما حكم من يرث الخمر؟

(جـ): سأل أبو طلحة عن أيتام ورثوا خمرًا، فقال: «أهرقها» قال: أفلا أجعلها خلا؟ قال: «لا» حديث صحيح.

وفى لفظ: (أن أبا طلحة قال: يا رسول الله، إنى اشتريت خمرًا لأيتام فى حجرى، فقال: «**اهرق الخمر واكسر الدنان**»(٢).

وقد سأله -ﷺ- طارق بن سعيد عن الخمر، فنهاه أن يصنعها، فقال: إنما أصنعها للدواء، فقال: «**إنه ليس بدواء، ولكنه داء**».

تعقيب للدكتور السيد الجميلى

من أروع ما قدمه الإسلام لنظافة المجتمع والفرد -وهو لبنة أولية فى مجتمعه- تحريمه للخمر؛ لأنى لا أتصور المسلم المؤمن وهو عازف العقل، معربدًا فى الحانات، مطروحًا فى مدارج الطرقات، معتقلاً فى أيدى رجال الشرطة.

قال الغالون المزيفون للمنطق والواقع: إن الشراب يزيد فى رونق الجسم، ويبعث على النشاط والانتشاء، يفتق اللسان، يهذب البيان، يشحذ الطبع، ويزود القرائح، ويشجع الجبان، ويثبت القلب. ويغفلون أن فيه الفقر، والمرض، والسقوط، والجنون، وغضب الله.

وإنى لأرى أكثر الناس يعيشون فى مغالطات النفس، وأوزار الجهالة العمياء، وليست شهوة الخمر من الشهوات الطبيعية، إنما من الشهوات النافرة المركبةفى غرائز المتعلقين بها، ولو لم يذقها الناس ما طلبوها -وكما قال أستاذنا الشيخ الشعراوى: هناك إلف عادة، وهناك شرف عبادة، فقد يعيش المرء ثلاثين عامًا أو قل أربعين عامًا فى بيئة طاهرة نقية، لم يرد الخمر طيلة هذا العمر، ولا سمع عنها

(١) أخرجه أبو داود فى السنن (٤/ ٨١/ ٣٦٧٤) عن ابن عمر، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٤٤٥/ ٧٢).

(٢) سنن أبى داود (٤/ ٨٢/ ٣٦٧٥).

على الإطلاق... فكأن إلف العادة لا يحتم سعيه إليها وجريه وراءها، لأنه فى منهج حياته بعيد كل البعد عن نطاقها.

ولكن آخرًا يراها رؤية العين، ولكن يرفض أن يتعاقرها حبًا فى الله، وخوفًا من سخطه وغضبه وامتثالاً لأمره، وانتهاء عما نهى عنه. فهذا شرف عبادة. له قدره وله منزلته عند الله سبحانه وتعالى، وطوبى لمن أتى الله بقلب سليم.

أذكر ذات مرة، وأنا طبيب فى أحد المستشفيات الكبيرة وكان علىّ وردية السهر ليلاً، أن جاءنى (شرطى) يقود رجلاً نظيف المظهر، وقدم إلىّ الشرطى خطابًا من السيد (وكيل النيابة) يطلب منى توقيع الكشف الطبى على السيد الدكتور فلان المحامى، وذهلت من فورى، وأخذتنى دهشة مروعة، والرجل العظيم متجمد فى وقفته أمام الشرطى الذى أفاد أن هذا الرجل قد ضبط مخمورًا (سكيرًا) وقد اعتدى -بدون وعى- على نزلاء الفندق الذى كان يقيم فيه، وكانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، والمحترم ساكن فى مكانه، حبيس اللسان، تغير إهابه، وبدا عليه النحول الشديد، والإنهاك البالغ، وقد تحلل عقله ووجدانه، وكأنه لبس حلة الهرم قبل أوانه، وقد زهد فى الطاعة، وأسرف فى المعصية، ولقد كنت أعلم أنه يتفطر حزنًا وأسفًا، وهو فى قبضة رجل الشرطة، يوجهه كيف يشاء، ولما أن سألت الرجل عن القضية استعبر باكيًا، وظل يسفح دموع الندم على خدوده الناحلة الصفراء، وانساب نهر العبرات جاريًا على وجنتيه، وقال لى باللغة الإنجليزية السريعة:

- أرجوك يا دكتور... سامحنى... لقد أخطأت خطأ جسيمًا فى حق نفسى، وأعاهدك أنى لن أعود مرة أخرى..

- أجبته بالإنجليزية أيضًا فقلت له: ... أرجو أن تعلم أن العظيم يعظم فى أحزانه، حتى فى لحظات ضعفه يكون متماسكًا، فما لك انهرت بسهولة ويسر، وتصدعت جدران جسدك المكدود؟!

أجاب على الفور... إنى محام مشهور، ومن عائلة كبيرة، وأنا خال الدكتور فلان الأستاذ بكلية الطب، وقريب فلان وفلان وفلان، وظل يسرد طبعًا لى بعض الشخصيات الكبيرة، فقلت له بالإنجليزية على الفور:

Are you Alawer or a liar?

وLawer يعنى: محامى، أما Liar فتعنى: كذاب، فأجاب بحدة شديدة وانفعال، مما يؤكد صحوته:

Never, I am not a liar, I am A lawer, indeed

فقلت له: أليس هذا بعيب، وأنت رجل قانون، تضع نفسك فى هذا الموقف الحرج.؟ لابد أن تقرع رأسك مطرقة العدالة...

هكذا تفعل الخمر بشاربيها، والمدمنين عليها..

[٥٤٩]

قطف العنب لصناعة الخمر

س: عن حكم العامل الذى يقطف العنب لتصنع منه الخمر؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

حرمت الشريعة الخمر، وحرمت وسائلها التى تؤدى إليها، ومن ثم لعن رسول الله -ﷺ- شارب الخمر، وعاصرها، ومعتصرها، وبائعها، وحاملها، والمحمولة إليه، وآكل ثمنها.

والعامل الذى يعمل فى قطف العنب فقط، دون أن يشارك فى عصره لتخميره، لا شىء عليه، إذا لم يقصد بعمله الإعانة على المحرم، وتهيئة وسائله، أما إذا كان يقصد بعمله تمكين غيره من فعل المحرم، فعمله حرام، واللعنة لاحقة به.

[٥٥٠]

آنية طبخ فيها لحم خنزير

س: سؤال ورد من أستاذ جامعى يقول فيه: إنه أثناء بعثته فى أوروبا كانوا يستعملون آنية أصحاب المنزل الذى يقطنون فيه، وكانوا يطهون فيها لحم الخنزير، وهم يشربون الخمر، فهل هذا حرام أم حلال؟

(جـ): سأله -ﷺ- أبو ثعلبة الخشنى -رضي الله عنه- فقال: إن أرضنا أرض أهل كتاب، وأنهم يأكلون لحم خنزير، ويشربون الخمر، فكيف نصنع بآنيتهم

وقدورهم؟ فقال -ﷺ-: «**إن لم تجدوا غيرها فارحضوها**[1]**، واطبخوا فيها واشربوا**»[2]. قال: قلت: يا رسول الله، ما يحل لنا وما يحرم علينا؟ قال: «**لا تأكلوا لحم الحمر الإنسية، ولا يحل كل ذى ناب من السباع**»[3].

وقد ثبت عنه فى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أنه قال: «**أكل كل ذى ناب من السباع حرام**»[4].

[٥٥١]

اشتقاق الخل من الخمر

س: يتخذ البعض الخمر خلا، فما العمل؟ وهل هذا حرام أم لا مع بيان حسن النية؟

(جـ): سئل -ﷺ- عن الخمر تتخذ خلا، قال: «**لا**».

وسأله -ﷺ- قوم فقالوا: إنا ننبذ نبيذًا نشربه على غدائنا وعشائنا، (وفى رواية: على طعامنا)، فقال: «اشربوا واجتنبوا كل مسكر». فأعادوا عليه فقال: «**إن الله ينهاكم عن قليل ما أسكر كثيره**»[5].

---

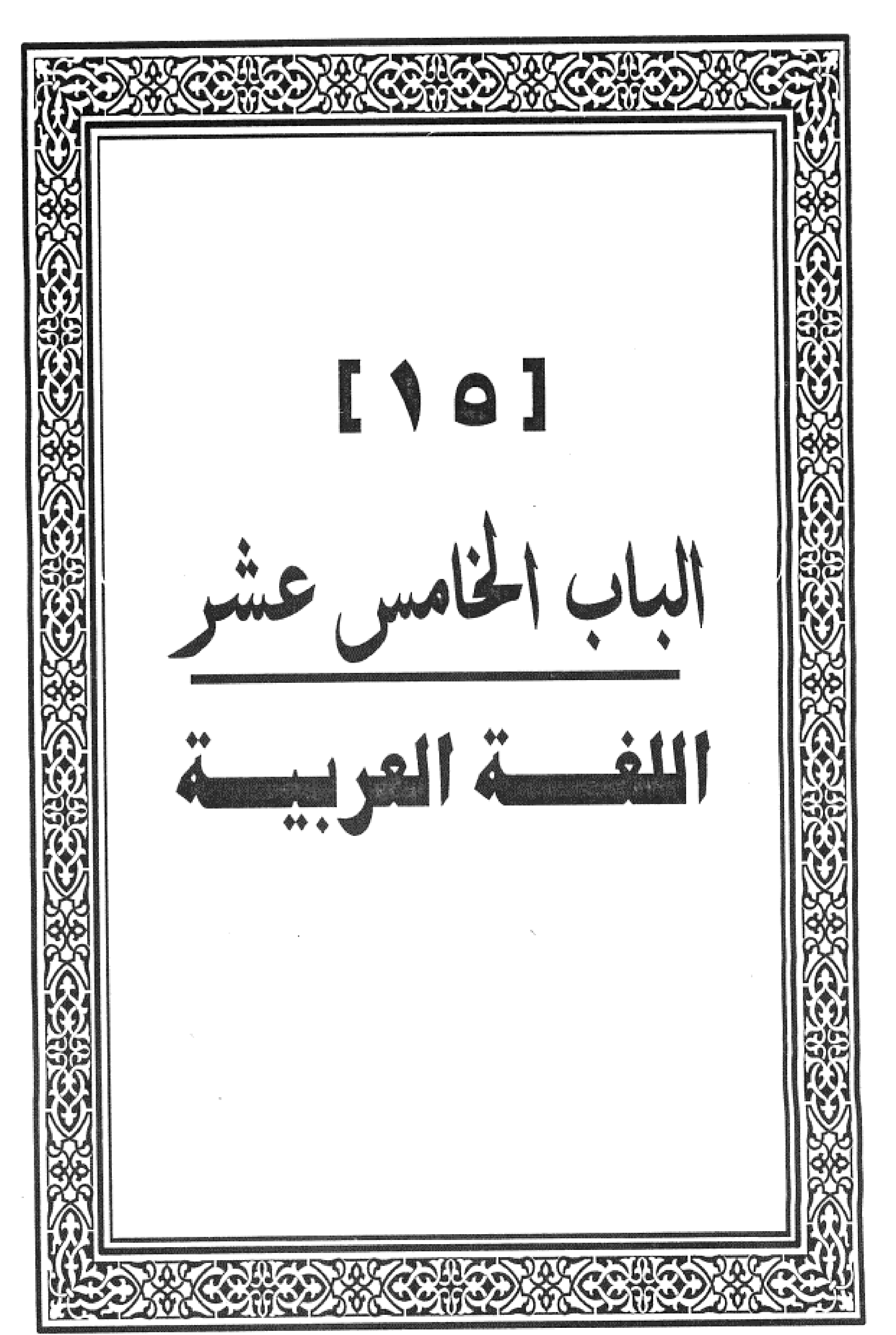
(١) ارحضوها: اغسلوها.

(٢) المسند (٤/ ٩٥، ١٩٦).

(٣) المسند (٤/ ١٩٤).

(٤) مسلم.

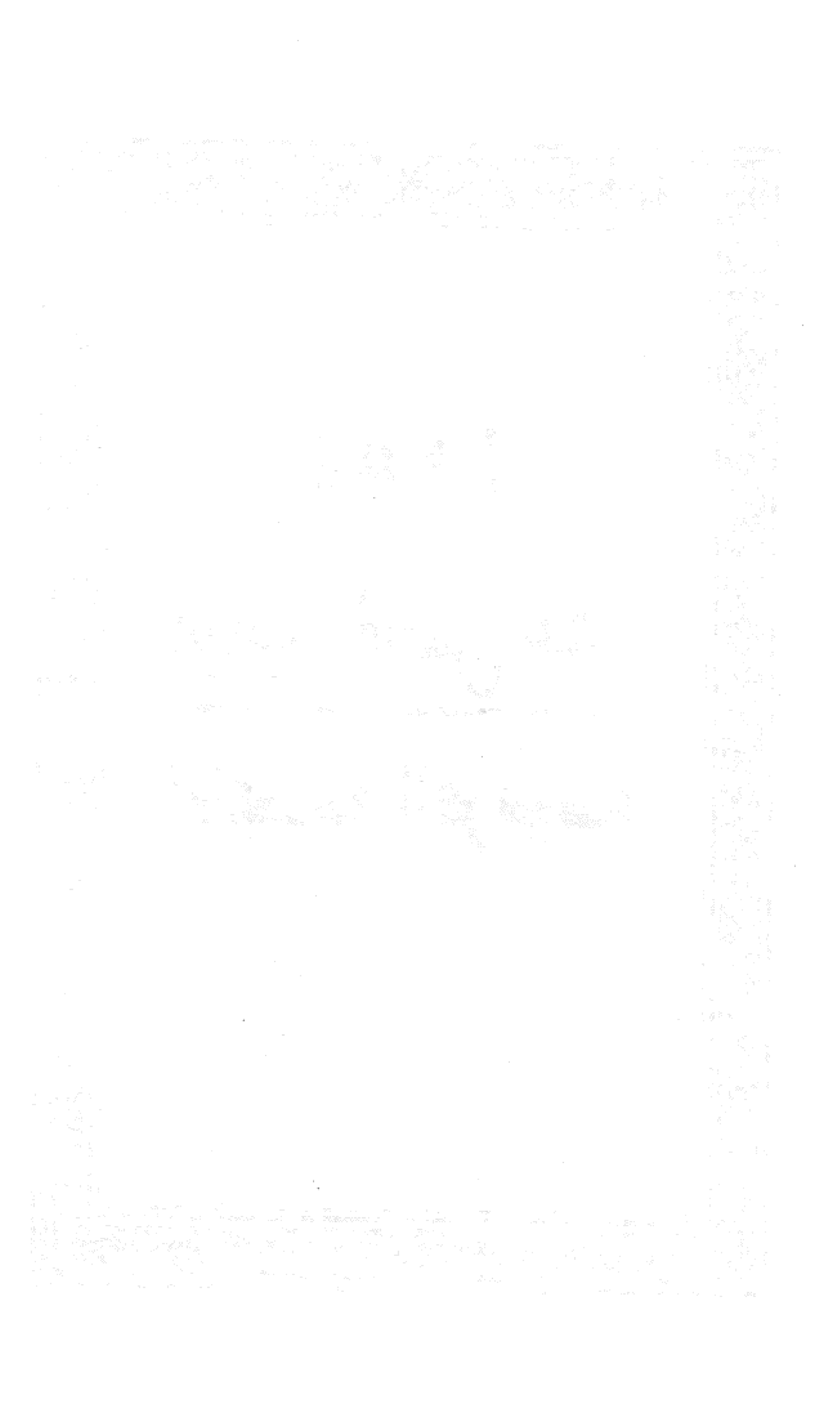
(٥) الدارقطنى (٤/ ٢٥٨).



[١٥]

الباب الخامس عشر

اللغة العربية



[٥٥٢]

هل لغة القرآن العربية لفظيًا هى عين كلام الله ؟

س: هل القرآن المكتوب فى المصحف حاليًا هو عين كلام الله سبحانه وتعالى؟ أم أن لله كلامًا آخر غير هذا المكتوب بين أيدينا؟

ولقد سبق أن أجبت عن هذا السوال فى كتابنا (الإعجاز الفكرى فى القرآن) وأوضحت رأى الشيخ ابن سينا فى الأمر، وهو أنه يعارض كون كلام القرآن فى المصحف عينه كلام الله، وإنما يرى أن لله كلامًا لا نعرفه نحن البشر، مُعْزِيًا ذلك لقوله:

(لقد عرف الصوت أنه إحداث تموجات من الهواء المضغوط بين قارع ومقروع، وبين ضاغط ومضغوط، والحروف ما هى إلا أطراف الأصوات وتبدأ فى بداية حدوث الأصوات، وهى صفة قائمة بلسان الإنسان خاصة به، وبتكوينه العضوى، والفسيولوجى منحصرة على بدنه، مقصورة على تكوينه العضوى الوظيفى من عضلات الفم والحلق واللسان والأحبال الصوتية، وكلها عدة أدوات التلفظ، وإمكانيات التكلم).

ثم يردف ابن سينا: لا يمكن إذن تحديد، وتعيين كلام لله سبحانه وتعالى مقيدًا بفسيولوجية عضوية مرتبطًا بكيفية محددة.

وكان من الأصوب أن أعرض هذه القضية على فضيلة الإمام العالم الجليل محمد متولى الشعراوى لاستطلاع رأيه:

فقال لى الإمام: إن القرآن المكتوب فى المصحف برسمه وهيأته من الله سبحانه وتعالى بنفس اللغة، وأعطانى الدليل العقلى الفكرى الفلسفى المنطقى فقال فضيلته:

قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾(١).

إذا أنت استقبلت ممن يأمرك وهو عال عنك كلمة (قل كذا)، فإنه يكفيك أن تقول مقول القول فقط...

---

(١) سورة الإخلاص: ١.
راجع الطبرى (٣٠/ ٢٢١) والقرطبى (٢٠/ ٢٤٤) والبحر المحيط (٨/ ٥٢٧) والتفسير الكبير (٣١/ ١٧٥) والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٢٢٢).

فالمبلغ عليه تبليغ مقول القول، وليس القول جميعه. . . لكن أسلوب القرآن غير هذا، يقول: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾(١) فكأن الرسول لا تصرف له فى شىء مطلقًا فى هذه المسألة، لا لوم عليه؛ لأنه مستقبل هذا الكلام من الله ومتلقيه عن الله، ولذلك فهو يقول لنا القول جميعه بجملته، كما قال له الله سبحانه وتعالى.

إذن فالاحتفاظ فى النسق القرآنى بقول الحق فى كثير من الأحكام (قل) دليل على أن الرسول تلقى ذلك القول تلقيًا لفظيًا، يعنى ليس تلقيًا لمعنى أو معانى، ليس نفثًا فى الروع كالحديث. . لا. . حتى إن اللفظ الذى أمر به الله. . هو هذا (قل).

ولقد كنت مقتنعًا برأى ابن سينا فيلسوف وحكيم عصره، وبعد أن حدثنى الشيخ الشعراوى فى هذه المسألة اقتنعت برأيه وأرجحه؛ لأنه أقرب إلى العقل والفكر والوجدان.

[٥٥٣]

لفظ الله ولغة البشر

س: لفظ الجلالة يحتوى على الهاء (هـ) وهى حرف صدرى عند النطق به ينطلق مخرجه من داخل الإنسان.

ويتساءل الكثيرون كيف دخل لفظ (الله) لغة البشر؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إن كان (الله) أمرًا عدميًا لا وجود له، والعدميات لا يوجد لها ألفاظ تدل عليها، والأعجب من هذا أنك تجد نظير ذلك اللفظ فى كل اللغات. فلا مفر أن يكون الأصل الأصيل فى الإنسان الأول قد علم الله. وقد عرف الله من أبيه آدم، ثم تنوقل ذلك. وبعد ذلك طرأ جحد الله على الناس لماذا؟

لأن الناس ألفوا الحس، ولم يألفوا الغيب، والله غيب، ولذلك نجد فى الفلسفة اللغوية الأخرى أن كلمة الكفر دليل على الإيمان، وكأن الإيمان هو الأصل.

---

(١) سورة الكافرون: ١.

انظر تفسير القرطبى (٢٠/ ٢٢٥).

والأصل المشهدى فى آدم، ثم نقله إلى بنيه، الأصل المشهدى فى الفطرة الإنسانية، إذن فكلمة الله، وكلمة كفر تدلان على الإيمان بالله معًا.

[٥٥٤]

اللغة استدلال على الوجود الإلهى؟!

س: هل من الممكن أن تكون اللغة استدلالاً على الوجود الإلهى؟

(جـ): إذا كانت المبررات العقلية والاجتماعية والنفسية تتطلب وجود قوة أعلى منها.. فهناك شيء قد يكون غريبًا على الأسماع، ولكنى أتعجب كيف فات على المستدلين على الوجود الإلهى هذا الدليل وهو دليل.. نعم على جميع الأجناس، وجميع العقول، وجميع المستويات... ودليل من لغة الناس أيضًا لا يمكن دفعه ولا رده.. فالإيمان بالله ضرورة لغوية -اللغة ظاهرة اجتماعية مطلوبة للإنسان؛ لأنه فى مجتمع مدنى بطبعه لازم له يتفاهم بها- لو كان واحدًا لما احتاج إلى لغة -كل ما يخطر على باله يفعله، إنما وهو مع غيره، فلابد أن ينقل أفكاره إلى غيره، ويستمع إلى أفكار الآخرين.

إذن لابد من وجود لغة.. هذه اللغة ما مهمتها؟ لنتفاهم بها.. وهل نستطيع أن نتفاهم باللغة إلا إذا كان المتكلم والمخاطب متفقين على معنى تدل عليه الألفاظ.. إذن لابد من ذلك فإن كان المتكلم يعلم ألفاظًا، والسامع المخاطب لا يعلم هذه الألفاظ.. فلن تأتى الألفاظ بنتيجة. يعنى قد يأتى إنسان فيتكلم بالعربية. ليس معنى أنه يتكلم بالعربية أن كل لفظ يستطيع أن يقوله، وكل لفظ يستطيع السامع أن يفهمه.. لا بل لابد من معرفة المعنى قبل النطق باللفظ أولاً وبعد سماعه ثانيًا فقد يأتى لفظ هو عربى، ولكنه لا يفهم شيئًا، وأنتم تعلمون جميعًا ما تقصه علينا كتب الأدب من أن هناك شخصًا يدعى أبا علقمة النحوى متقعر فى اللغة -يتكلم بالألفاظ الغريبة- فمن الذى رباه حتى ينزل إلى مستويات الناس فى التفاهم. لقد تقعر «أبو علقمة» وكان لا يفهم منه كثير من الألفاظ فماذا كان منه؟ إن أبا علقمة استيقظ ليلة ثم نادى الغلام فقال: يا غلام -أما هذه فقد فهمها الغلام-.. ثم قال: «أصعقت العتاريف» مسألة لم يفهمها الخادم -ولكنه أراد أن يلقن «أبا علقمة» درسًا يمنعه من التقعر.. فقال له: «ذقعليم»، فتعجب «أبا علقمة»، لأول مرة يتعجب «أبو علقمة» من لفظ لغوى! فقال: يا غلام، وما

«ذقعليم» فسر الغلام؛ لأنه أعجز «أبو علقمة» فقال له: «ما أصعقت العتاريف» فقال له: أنا أردت يا بنى: أصاحت الديكة؟ قال الخادم: وأنا أردت لم تصح هذا كان ابتداء لأبى علقمة، إذن فاللغة بهذه المثابة -حتى عندما تستوعب كل ألفاظ اللغة. إذا جاء للشخص لفظ لم يسبق أن عرف معناه وقف.. وما دامت اللغة هكذا يجب أن نستنبط:

أولاً: هل توجد المعانى أولاً، ثم توضع لها الألفاظ؟ أم توجد الألفاظ أولاً ثم تخترع لها المعانى..؟ قبل أن يوضع اللفظ، لابد أن يكون المعنى متضحًا فى الذهن -حين لا يوجد معنى متضح فى الذهن لا توجد له فى اللغة لفظ- هذه قضية.

إذن ما دام اللفظ يسبقه المعنى -فإذا حدثت معان لم تكن موجودة من قبل تجتمع المجامع اللغوية لكى تقول: نضع لذلك المعنى أى شىء، أى لفظ، ماذا نسمى هذا؟ المذياع المستقبل -لأنه معنى لم يكن موجودًا- فالمعانى العدمية التى لا وجود لها -لا وجود لألفاظ تدل عليها- فإن وضعوا لفظًا لمعنى عدمى نبهوا عليه، أى: أن معناه أنه شىء مثل ما قالوا: (الغول) -فإذا كان الأمر كذلك نقول: إذا كان مدلول «الله» أمرًا عدميًا لا وجود له فمن أين دخل لفظ «الله» على لغة الناس؟ -أو من أين دخل اللفظ المقابل للفظ «الله» فى سائر لغات الناس؟- مادامت الأمور العدمية لا تصل إلى مرتبة أن توجد لها الألفاظ.. وما دامت الألفاظ لا تسبق المعانى إذن فوجود تلك الألفاظ فى لغات الناس يدل قطعًا على أن معانيها سبقت وجود اللغة، وأن المعنى الإيمانى فى وجود «الله» أمر سابق على أن يكون لنا لغة.

وما دام ذلك اللفظ قد وجد فى لغات الناس يدل على أن المعنى كان موجودًا - إذن هناك انسجام فى أسر الألفاظ حتى المتعارضة كيف؟

-كلمة «الكفر»- نفسها دليل على الإيمان، دليل على وجود الإيمان؛ لأن الكفر ما معناه؟ «الكفر» فى أصل اللغة معناه «الستر» فما هو المستور بالكفر؟ وجود هذا اللفظ هل لأن شيئًا وجد فيه.. فالستر طارئ على شىء موجود.. إذن فمعنى «كفروا» أى ستروا شيئًا كان موجودًا، فالكفر طارئ على الإيمان، ولذلك نجد جوابًا حينما نسأل: لماذا يتعجب الله فى قوله: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾[1]؟.

(١) سورة البقرة: ٢٨

يعنى قولوا لنا على الطريقة الغربيــة التى سولت لكم أن تكفروا بالله. . هذه مسألة عجـيبة كيف كـفرتم بالله. .؟ إذن الألفاظ اللغـوية تدل على أن معنى لفظ «الله» دلالته على واجب الوجود سابق على وجود هذه اللغة - إذن فذلك يصحح أفهام الناس الذين بحثـوا فى مقـارنات الأديان، وهو أن الأصل فى النـاس أنهم غيـر مؤمنين بالله. . بل عـددوا ثم يرتقون إلى التـوحيد. . تقـول لهم: ثم طرأت بعد الغفلة تأثيرات البيئة، فطرأ الكفر على ما كانوا يعـملون. . وأيضًا فى لغتنا نحن «الله» علم على واجب الوجود، يعنى اسـم الله اسم للقوة المطلقة بكل صفـاتها، ووضع اسم على مسمـى أمر ألفناه جميعًـا؛ لأننا نضع الأسماء للمسـميات: كم وضعوا أسماء على مسميات.

- إذن فليست هذه المسـألة مشكلة بالنسـبة إلى الناس، حتى أنهم يضـعون الاسم صاحب المعنى الجيد على المعانى الخسيسة، يجىء واحد عنده زنجية ويسميها (قمر) هل يقـول له أحد لماذا تسميهـا قمرًا؟، نقلها للضـد -ويجىء لواحد شقى ويسميـه (سعيد). . إذن فأنت حـر فى أن تضع اسمًا للمسمـيات. بعد ذلك يأتى تحد فى القرآن، وهو من صميم إعجازاته.

القرآن اسـتقبل الناس بالإيمان به وبعضـهم كافر وجادل وظل علـى كفره - الكافر والمجادل- أيجب أن يعـجز الرسول -ﷺ- أم يعان الرسول -ﷺ- على مهمته؟. . لاشك أنه يريد أن يعجز الرسول -ﷺ-، وهم يعرفون وضع الأسماء للمسميات، وبعد ذلك يأتى الحق سبحـانه وتعالى فيقول فى آية من كتابه: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾ يعنى: أعرفت أحـدًا سمى اسم «الله» على نفسـه؟ لا أحد -لكن من الجائز أن محمدًا -ﷺ- استقرأ الأسـماء فلم يجد أحدًا من قبله سـمى شيئًا «الله» فما الذى كان يـضمن لمحمد -ﷺ- أن يتجرأ كافر ملحـد ليقول: سأتحدى القرآن وسأتحدى محمدًا -ﷺ- وسأضع اسم «الله» على أى شىء لى -ما حصل ذلك أبدًا- وظل اسم «الله» «الله» ومـعنى أن الكفـار الملحـديـن، والمعـاندين لا يصفون ذلك دليلاً قاطعًا على أنهم يطمئنون إلى وجود تلك القوة، وإلا فما الذى يخيفهم؟ أو على الأقل يجعلهم غير واثقين تمام الثقة فيما يعبدون، لأنهم لو كانوا واثقين مما يعبدون، لرأوا فيما يعبدون حـماية لهم أن ينزل الله بهم شيئًا من القسوة -فتحدى القرآن- ﴿**هَـلْ تَعْلَـمُ لَهُ سَـمِيًّا**﴾[1] والمستدل عليه الآن إلا أنه لم يوجد

(١) سورة مريم: ٦٥.

ذلك قبل، ولكنه أيضًا لم يوجد بعد مع وجود المكابرين والمعاندين فى وجود «الله» تحداه أن يطلقها ليخاف، لأنه لا يريد أن يجعل التجربة فى نفسه، ولو كان واثقًا من موقفه العقدى لأطلق ولم يبال.

[٥٥٥]

لغة المتكلمين فى القرآن

س: هل حكى الله عز وجل نص ما تكلم به فرعون، ومؤمن آل فرعون وسليمان والهدهد وغيرهم من المتكلمين فى القرآن، أم إنه تعالى عبر بطريقة خاصة عن كل ذلك؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

إن الله عز وجل حكى بلغة الإنسان العربى ما حدث تمامًا. مثلما يرسل الإنسان خادمه برسالة إلى إنسان، فالخادم يؤدى معانى الرسالة بألفاظه، وإذا أرسلت أديبًا إلى واحد بمعنى من المعانى، فإن الأديب سيعبر عن المعنى بأسلوب أدبى جميل. فهناك فرق بين الأداء، وبين المعنى.

ولننظر إلى كلام فرعون. قال تعالى:

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلاَّ فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(١).

---

(١) سورة غافر: ٣٦-٤٤.

راجع تفسير القرطبى (١٥/ ٣١٤) والطبرى (٢٤/ ٤٣) والبحر المحيط (٧/ ٤٦٦) والتفسير الكبير للرازى (٢٧/ ٦٢).

فلننظر إلى الإبداع الإعجازى فى التعبير. فلم يكن فرعون بليغًا لكى يعبر بهذا الإبداع لرد موسى عن قومه. ولا مؤمن آل فرعون كذلك.

هذا إلى جانب نقطة أخرى، هى اختلاف لغات لقمان وفرعون وسليمان والهدهد والنمل ممن ذكر القرآن الكريم محادثها.

[٥٥٦]

س: ما الفرق بين العالم والعلامة؟

(جـ): العالم أمامه أشياء يتغلب عليها...

أما العلامة فهو ينظر إلى مدى أبعد من العالم.

ويقول الشيخ الشعراوى: إن الناس يعتقدون أن العلماء هم كل من لبس عمامة، أو دخل الأزهر... لا... لا.. كل من علم حكمًا من أحكام الإسلام وبلغه به، فهو عالم به... يقول -ﷺ-: «**نضر الله امرأ سمع مقالتى، فوعاها وبلغها، فرب مبلغ أوعى من سامع**»(١).

[٥٥٧]

الرؤيـــة والإراءة

س: نري الآيات التى تناولت حادث الإسراء والمعراج فى القرآن، بعضها يتحدث ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾(٢) ثم فى موضع آخر يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾(٣) مرة جاء قوله: ﴿ لِنُرِيَهُ ﴾ ومرة أخرى: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ ﴾، مرة رؤية منه، ومرة أخرى إراءة من الله سبحانه وتعالى له.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/ ٦٨/ ٣٦٦٠) بلفظ: (حديثًا)، والترمذى عن ابن مسعود (٢٦٥٨) وعن زيد بن ثابت (بلفظ: سمع منا حديثًا (٢٦٥٦))، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سورة الإسراء: ١.

(٣) سورة النجم: ١٨.

هذه الآيات الكبرى التى رآها -ﷺ- ليلة الإسراء والمعراج هى: سدرة المنتهى، والبيت المعمور، والجنة والنار، ورأى جبريل فى صورته التى يكون عليها فى السموات له ستمائة جناح، كما رأى رفرفًا أخضر من الجنة قد سد الأفق. انظر صفوة التفاسير (١٧/ ١٤٣٧).

(جـ): يقول فى هذا الصدد فضيلة الإمام:

هذه مسألة تحتاج منا إلى وقفة، كذلك المرائى نفسها، نحن نعرف مثلاً الموقف الذى خير فيه الرسول -عليه الصلاة والسلام- بين اللبن والخمر، والمشهد الذى يبين ثواب المجاهدين، والمشهد الذى يبرز نتيجة أكل أموال اليتامى، والمشهد الذى يبين عاقبة الربا، والمرائى التى عبرت عن هذه الأوضاع، والأمراض الاجتماعية، والخلقية فى المجتمع، كل هذه المسائل تحتاج إلى الحديث عنها. فضلاً عن إمامة النبى للأنبياء مع ملاحظة أن أكثر الأنبياء الذين مر عليهم الرسول فى المعراج، هم من أنبياء بنى إسرائيل، ومسألة تردد الرسول -ﷺ- بين ربه، وبين موسى -عليه السلام-، وما تصوره البعض (برغم صحة الحديث) من أن هذا غير صحيح.

قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا** ﴾[1].

فلما تعرض الحق تبارك وتعالى فى هذه الآية الكريمة للأحداث فى الإسراء كان الفعل «لنريه» إراءة فما هى الإراءة؟ الإراءة هى أن تجعل من لا يرى... يرى، وذلك إما بتحويل المرئى إلى قانون الرائى، أو بنقل الرائى، لأن ينفذ إلى قانون المرئى.

[٥٥٨]

الرؤيا والرؤية

س: ما الفرق بين (رؤيا) وبين (رؤية)؟

(جـ): كلمة الرؤيا لا تأتى مصدراً إلا لرأى الحلمية -رأى المنام: لأن رأى البصرية يقول فيه: (رأيت رؤية).. إنما إذا رأيت مناماً تقول: (رأيت رؤيا).

(والراعى[2] النميرى - أعرابى ساخر) قال فى قصيدته:

فكبر للرؤيا وهش فؤاده ... وبشر نفساً كان قبل يلومها

(١) سورة الإسراء: ١.

(٢) هو الراعى النميرى: عبد الله بن حصين أبو جندل شاعر من فحول المحدثين كان سيداً فى قومه لقب بالراعى لكثرة ما كان موصوفاً بالإبل توفى سنة تسعين للهجرة. انظر خزانة البغدادى (١/ ٥٠٤)، والأغانى لأبى فرج الأصفهانى (٢٠/ ١٦٨).

إذن فقد استعملت (الرؤيا) بمعنى البصرية، وبمعنى المنامية.. ولكن عادة يستعملون الرؤيا (فى البصرية فى الأشياء العجيبة؛ كأنها من الأشياء التى لا تحصل إلا منامًا).

س: قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾(١) فكيف تكون «الرؤيا» فتنة للناس، أليس فى ذلك دليل على أن الإسراء كان منامًا؟

(جـ): لابد أن تنقلب هذه الرؤيا حقيقة، إذن لا مانع أن يكون رسول الله -ﷺ- قد رأى الإسراء رؤيا «ثم رآه يقظة كما حدث الله سبحانه وتعالى فى بعض سور القرآن. ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾(٢) رآه فى الرؤيا ثم صار حقيقة وواقعًا.. فما المانع أن يكون رسول الله آنس الله روحه، فرأى منامًا هذه المشاهد.. وبعد ذلك رآها حقيقة كما رأى أنه دخل المسجد الحرام رؤيا أصحابه محلقين، ومقصرين، وبعد ذلك رآها حقيقة. ولا يمنع أن يكون رسول الله -ﷺ- قد تعرض لحدث الإسراء منامًا، وتعرض له روحًا، وتعرض له يقظة.

[٥٥٩]

البصر والبصيرة

س: عمى البصر، وعمى البصيرة تمامًا مثل العمى والعمه لكل منهما مدلولة الخاص الذى يوحى به، ويفصح عنه.

فما رأى الشيخ الشعراوى فى هذه الاصطلاحات روحًا ومعنى؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام:

العمى: عمى البصر، والعمه: عمى البصيرة، ويعمهون أى يتخبطون، والعمه ينشأ عنه التخبط سواء كان تخبطًا حسيًا -عن طريق عمى البصر- أو تخبطًا فى الأمور المعنوية، والقيم، ومناهج الحياة، أى: فى البصيرة... فإن الأهم هو البصيرة، فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور.

---

(١) سورة الإسراء: ٦٠.

(٢) سورة الفتح: ٢٧.

تفسير الطبرى (٢٦/٦٩).

البصر يمكن -الاستعاضة عنه ببصر الغير، وهذا لا يسرى فى موضوع البصيرة. . . قال تعالى: ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١). أى يتحيرون ويتخبطون، وقل فيها ما شئت من تناقضات حركة الحياة.

فالعقوبات إما جرائم، وإما قصاص. . القصاص صاحبه ولى الأمر، وهو المعول عليه فى البت فيه. ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾(٢)، فالعقوبة لله، لا يستطيع أحد أن يتنازل عنها، فإذا وصلت إلى جريمة، ولم يستكف الحد، مثل السارق ما دون حد السرقة، ما دون حد النصاب، ألا يسرق أقل من خمسة وعشرين قرشًا، والتعزير حق للوالى حينما يجد حالات من هذا القبيل، فيفرض عقوبة لا تصل إلى الحد المقرر فى هذا الشأن.

فالتعزيز عقوبة مرجعها فى التقدير إلى ولى الأمر، لمن لم يستوف شروط الحد فى الجريمة، والعقوبة الرادعة فيها فى الجريمة، وثمة من أخطأ، ويكفى توبيخه. . . أو قطيعته، أو نهره وزجره، أو ضربه بسوط، وهذا يختلف باختلاف المعزر، وقيمة تأديب المعزر تختلف من شخص إلى شخص باختلاف الناس.

وصفوة القول، ومجمل العبارة، فالتعزير معناه عقوبة يقدرها ولى الأمر فى أمر لم يبلغ فيه حتى حدود الحد.

[٥٦٠]

رؤيا رسول الله -ﷺ-

س: وهل ورد فى الأثر أن سيدنا رسول الله -ﷺ- كان يرى الرؤيا فتتحقق؟

(جـ): نعم. . . قالت السيدة عائشة -رضي الله عنها- عن سيدنا رسول الله -ﷺ-: «أنه ما رأى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح»(٣) فإذا رأى (رؤيا) فهى إذن حقيقة.

---

(١) سورة الأنعام: ١١٠.

(٢) سورة البقرة: ١٧٨.

يكون العفو هنا بقبول الدية فى القتل العمد، والعفو عن الدم.

(٣) انظر مقدمة كتاب: «تهذيب تعطير الأنام فى تعبير المنام» للنابلسى و«تهذيب منتخب الكلام فى تفسير الأحلام» لابن سيرين، و«تهذيب الإشارات فى علم العبارات» للعلامة ابن شاهين، والثلاثة بتحقيق السيد الجميلى.

[٥٦١]

ملك وملكوت

س: ما الفرق بين ملك وملكوت؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

قال تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[1] هنا جاء بكلمة «ملكوت» ولم يجىء بكلمة «ملك».

وقال تعالى أيضًا: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[2] هنا جاء بكلمة «ملك» ولم يجىء بكلمة «ملكوت» ذلك، لأن الملك هو ما تشهده، أما «الملكوت» فهى الأمور الغيبية، تأتى لك بالظواهر، ولا تعرف هى المحركات وراء هذه الظواهر، إن المحركات التى وراء هذه الظواهر هذه عالم الملكوت.

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

[٥٦٢]

ما أدراك وما يدريك ؟

س: ما الفرق بين ما أدراك وما يدريك؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: «وما يدريك» نفى أن يوجد من أدرى فى الماضى، ونفى أن يوجد من يدرى فى الحال، أو الاستقبال.. ولذلك قالوا: كل ما يدريك فى القرآن لم يدره، وكل ما أدراك أدراه.

وإذا وجدت «ما أدراك» يعنى فى الماضى، فلا مانع أن يدريك الآن، إنما عندما يقول «وما يدريك» يبقى نفى أن يوجد من يدريه فى الحال أو فى الاستقبال، يبقى يظل غامضًا، أو لا يظل غامضًا؟

ولذلك لم تأت إلا فى الساعة، أو لم تأت إلا فى التزكية الغيبية.

---

(١) سورة يس: ٨٣.
راجع البحر المحيط لأبى حيان (٧/ ٥٢٣).

(٢) سورة الشورى: ٤٩.
انظر تفسير الطبرى (٢٥/ ٢٧) والقرطبى (٦/ ١٧) والبحر المحيط (٧/ ٥٢٤).

(٣) سورة يس: ٨٣.

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾(١) طبعًا لم يقل له عليها. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾(٢).

الاثنان فى أمر الساعة... أدراه ولم يدره لأنه قال: «وما يدريك» وليس «ما أدراك» فإن نفى ما أدراك فى الماضى، يبقى لا مانع أن يوجد فى الحال من يدريك. ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾(٣) والتزكية على الله لا توجد من أحد لأحد أبدًا، ولذلك يقول الرسول: أنا لا أزكى على الله أحدًا.

إذن الثلاثة هؤلاء وردوا فى القرآن: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾... ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾... ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى﴾ ثلاث وردت، ما أدراك ثلاث عشرة مرة فى القرآن، تبتدئ فى سورة الحاقة ﴿الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾(٤) مثل: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾(٥) طبق الأصل. وهذه واحدة.

وفى سورة المدثر يقول: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾(٦) هذه ثانية.. ثم يأتى فى سورة المرسلات: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾(٧) ثم فى سورة الانفطار يقول: ﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤) يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ (١٥) وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ (١٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾(٨)

---

(١) سورة الأحزاب: ٦٣.
انظر الكشاف (٣/ ٢٧٥)، وقال أبو السعود: وفى ذلك تهديد للمستعجلين الساعة، وتبكيت للمتعنتين انظر تفسيره (٤/ ٢٢٠) بتصرف وزيادة.
(٢) سورة الشورى: ١٧.
انظر البحر المحيط لأبى حيان فى تفسير هذه الآية (٧/ ٥١٣) والكشاف للزمخشرى (٣/ ٤٦٥).
(٣) سورة عبس: ٣.
انظر حاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ٢٩١، ٢٩٢) والكشاف للزمخشرى (٤/ ٢١٨).
(٤) سورة الحاقة: ١-٣.
(٥) سورة القارعة: ١-٣.
(٦) سورة المدثر: ٢٦-٢٨.
(٧) سورة المرسلات: ١١-١٤.
(٨) سورة الانفطار: ١٣، ١٩.

أعلمه أم لم يعلمه؟ ما أدراك ما يوم الدين؟ . . . وهكذا تواترت: وما أدراك، وما يدريك فى آيات سورة المطففين ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾(١) وفى سورة المطففين أيضًا ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾(٢) وفى سورة البلد ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ﴾(٣) وفى سورة الطارق ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾(٤) وفى سورة القدر ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾(٥) وفى القارعة ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾(٦).

[٥٦٣]

العبيد والعباد

س: هل هناك فرق بين أن نقول: (كلنا عبيد الله) و(كلنا عباد الله)؟

(جـ): يقول الإمام عندما يترك الإنسان المعاصى، وهى فى قدرته ويختار الطاعة يكون بذلك قد فنى فى الله. ونحن كلنا عبيد الله، ولكن لسنا كلنا عبادًا. والعباد هم الذين تنازلوا عن اختياراتهم لمراد ربهم سبحانه وتعالى:

فالمؤمن يقول: لقد خيرتنى يا رب، ولكنى سأجعل طلبك فوق اختيارى. وفى يوم القيامة يسلب الله الاختيار فنصبح جميعًا عبيده. قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾(٧).

حتى ما كان لكم فيه اختيار لم يعد لكم فيه اختيار، ولذلك فإن لنا فى الأرض أملاكًا، ولكن فى الآخرة يقول: ﴿لمن الملك اليوم﴾ حتى أجسامنا تعصينا. فهنا أجسامنا تخضع لنا ولإرادتنا فتسير قدماى إلى حيث أريد، وتبطش يداى بمن أريد، وأشتم وأسب بلسانى، وأقول به ما أريد فهى تطيعنى. . أما هناك فهى تعصينى، وتشهد على الآن وعهد الاختيار، والسيطرة عليها قد انتهى، وتحررت منه تمامًا.

---

(١) سورة المطففين: ٨.
(٢) سورة المطففين: ١٩.
(٣) سورة البلد: ١٢.
(٤) سورة الطارق: ٢.
(٥) سورة القدر: ٢.
(٦) سورة القارعة: ٣.
(٧) سورة مريم: ٩٣، ٩٤.

[٥٦٤]

الفرق بين المنهج ومنهج

س: هل هناك فرق بين قولنا القرآن كتاب (منهج)، وبين القول القرآن كتاب (المنهج)؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى: من قال: القرآن جاء ككتاب (المنهج). معنى هذا أنه المنهج وهو الوحيد ولا شىء غيره. أما كتاب (منهج) فيصح أن يكون غيره معه، وإذا كان القرآن الذى تؤمن به أعطى تفويضًا لرسول الله -ﷺ- فى أن يشرع إذن فلو شرع فبالقرآن!!

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾(١).

دل على أنه له تشريعًا خاصًا، وفى قوله تعالى أيضًا: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٢).

فيه أن الرسول -ﷺ- ما عنده من حكم الله فى القرآن يفعله، وما ليس عنده إذن ما يأتى به رسول الله -ﷺ- إن لم يكن بالنص الصريح فى القرآن، فإنه بالتفويض الذى جاء به النص الصريح من القرآن.

[٥٦٥]

الفرق بين الأمية والجهالة

س: ما الفرق بين كلمة الأمية، وكلمة الجهالة، وما هو المعنى الأول.. وما المقصود بالثانية؟ نرجو الإفادة.

(جـ): إن السطحيين من معرفة كنه الألفاظ يظنون أن الجهالة ألا تعلم، وهى والأمية سواء.. لا.. الجهالة شىء، والأمية شىء آخر. الأمية: ألا يعلم الإنسان نسبة ما فيقال له أمى، يعنى كما ولد من بطن أمه كما قال الله: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾(٣).. ثم ذكر وسائل العلم: ﴿السَّمْعَ

---

(١) سورة الحشر: ٧.
(٢) سورة النساء: ٦٥.
(٣) سورة النحل: ٧٨.

وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ﴾. إذن فالأمية لا تعلم نسبة من النسب، أو قضية من القضايا، أو حقيقة من الحقائق، ولكن الجهالة غير ذلك.. الجهالة: أن تعرف نسبة خطأ. وهنا يكون علاج الجهالة؛ أقسى من علاج الأمية؛ لأن علاج الجهالة يتطلب أولاً أن نزيح من نفسه ما أدرك من خطأ، ثم تقرر من نفسه المقابل وهو الحق.

[٥٦٦]

لماذا ورد المتشابه فى القرآن؟

قال تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾(١).

س: فلماذا ورد المتشابه فى القرآن؟

(جـ): أجاب الشيخ الشعراوى:

الراسخون فى العلم يقولون: آمنا بالله، وإن لم نفهم شيئًا فكل من عند الله، أى محكمه من عند الله، ومتشابهه من عند الله، وكما أن العين لها حد للإدراك النظرى، فإن الأذن لها حد للإدراك السمعى، وكذلك العقل له حد للإدراك العقلى.

ولذلك قال النبى -ﷺ-: «وما عرفتم من محكمه فاعملوا به، وما عرفتم من متشابهه فآمنوا به»(٢). صدق رسول الله

يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ٧.
الزيغ: الجور، يقال: زاغ عن الحق إذا مال عنه.
(ابتغاء الفتنة) أى: الكفر على ما رأى ابن قتيبة: وقيل: معناه إرادة الشبهات واللبس. وهذا هو المختار عند الإمام الطبرى (٦/ ١٩٧).

(٢) إذ إن العمل بالمحكم واجب مفروض، أما المتشابه فليس كذلك لكونه محلاً للاجتهاد.

(٣) سورة البقرة: ٢٦.
راجع القرطبى فى تفسيره (١/ ٢٤١).

فالله سبحانه وتعالى جعل للمؤمن ابتلاء، والابتلاء يجب أن يفهم على أنه امتحان.

والحق يريد أن يميز الخبيث من الطيب، وهو يعلم من الخبيث، ومن الطيب.

إنما يريد أن يكون العلم واقعًا من جهتك أنت؛ ليكون حجة عليك.

وهو يعلم.. إنما يريد العلم بشهادتك أنت؛ لأنه لو قال بعلم فيك ربما قلت: لو كنت انتظرت؛ لكان وكان كذا وكذا.

القرآن واحد لكن القابل مختلف، وكذلك الأمر فى استقبال كل الغيبيات.. واستقبال كل الأشياء التى يقف فيه العقل، فإن المؤمن يستقبلها على أنها حق من حق. فهمها أم لم يفهمها.

وهذا هو السبب فى ورود المتشابه فى القرآن. القرآن جاء ليبين لنا أحكامًا.

والمتشابه جاء فى القرآن ليعطينى معايير الإيمان «منه آيات محكمات» و«أخر متشابهات».

[٥٦٧]

الفكر ومهمته

س: ما الفكر وما مهمته؟ وهل الهواجس التى تتردد النفس معها بين الشك واليقين، تعتبر من وسائل الفكر؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: الفكر: هو الخاصية التى امتاز بها الإنسان، والفكر لا عمل له فى أمر لا بديل له، وعمل الفكر هو فقط فى اختيار البديلات، أى: فى منطقة الاختيار.

والأشياء التى ليس لها إلا طريق واحد، لا عمل للفكر فيه، أما إذا كان ثمة طريقان أو ثلاثة فيمكن للفكر أن يتدخل لاختيار البديل الذى يراه مناسبًا. بدليل أن الفكر عندما يتعطل بجنون، يصبح المرء غير صالح للتكليف، ويصبح التكليف موضوعًا عنه؛ لأن أداة الاختيار بين البديلات غير موجودة عنده.

[٥٦٨]

الفواتح المعجمة

الفواتح الواردة فى أوائل السور معربة أو معجمة كثرت حولها الأحاديث، وتفاقم الجدل بين القدماء والمحدثين.

بعضهم قال: إنها حروف تنبيه للاستهلال؛ حتى يتسنى الاستعداد والتأهيل لاستقبال ما يليها من آيات كريمة.

وقال آخرون إن (ق) اسم جبل، وأولوا بعض هذه الفواتح إلى أشياء مادية محسوسة.

وبعض المفسرين ذهب إلى أن هذه الحروف الواردة قد تكررت فى السورة المفتتحة بها أكثر من غيرها من الحروف الأبجدية.

وقال أيضًا: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ﴾(١).

وإذا كنا نقصد بالحياة هذا الوجود الحساس، وما عليه من حركة قسرية قهرية تسخرية، أو حركة إرادية تخييرية، فإن الحياة دائمًا هى محور الحركتين، الحركة التى تحدث بدون إرادة منهم، أو اختيار، وبين التى تحدث منهم بالإرادة، ومرجحات الاختيار.

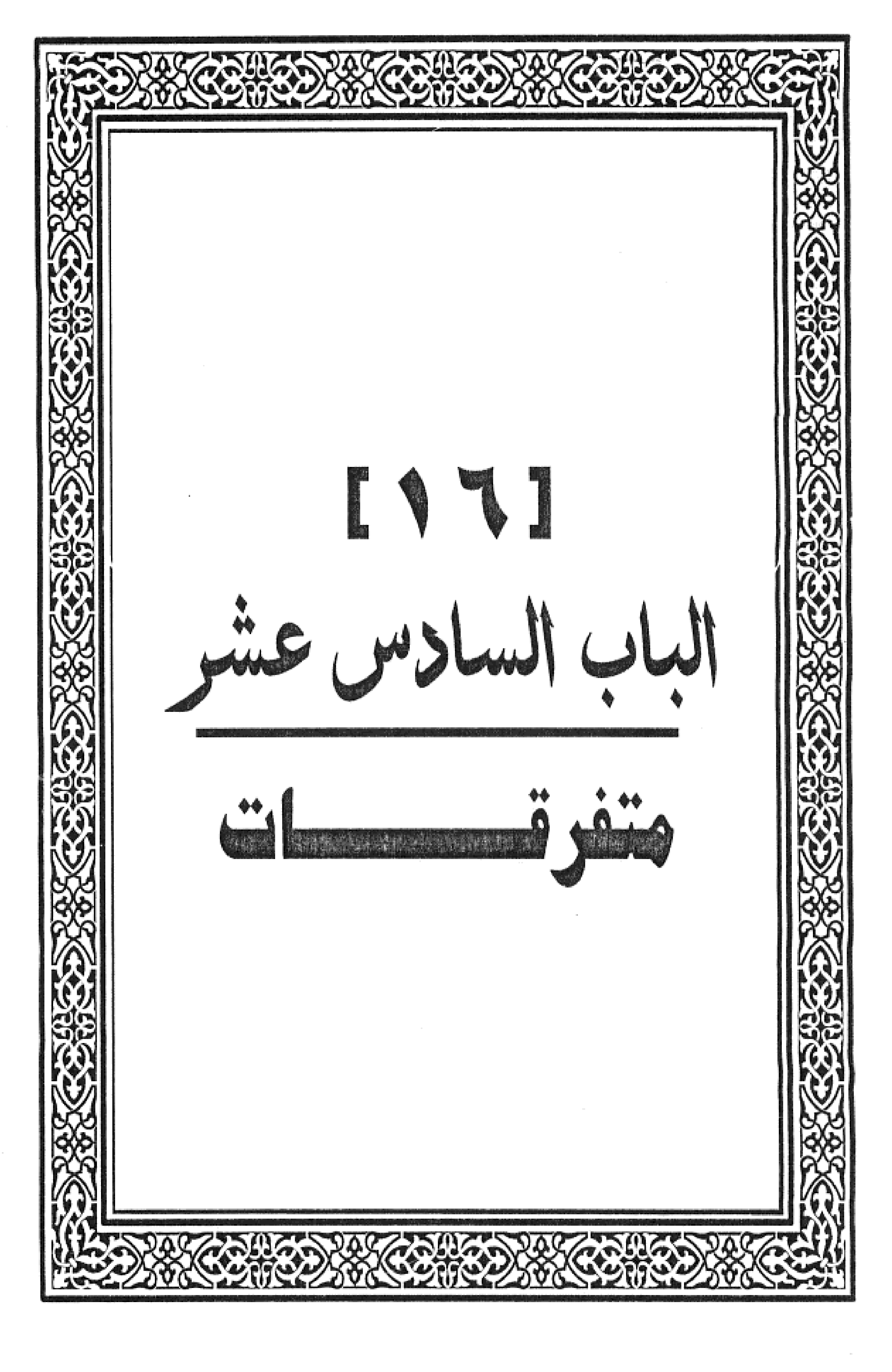
وإن الحياة الأخرى تكون السعادة فيها على قدر توفيقك، وإخلاصك فى حركة حياتك الأولى، والآخرة ليست موضوع الدين، ولكنها جزاء على موضوع الدين.

والذين يقولون: إن الدنيا هى الغاية، لا شىء بعدها نقول لهم: ما ذنب الذين يشقون فى حياتهم؛ ليسعدوا سواهم؟ أين يكون جزاؤهم؟

لو نظرنا هذه النظرة لكان هؤلاء الذين يشقون لإسعاد غيرهم، هم أحمق الحمقى؛ لأنهم فوتوا على أنفسهم موضوعًا واحدًا هو الدنيا، ولا عوض له فى شىء اسمه الآخرة.

---

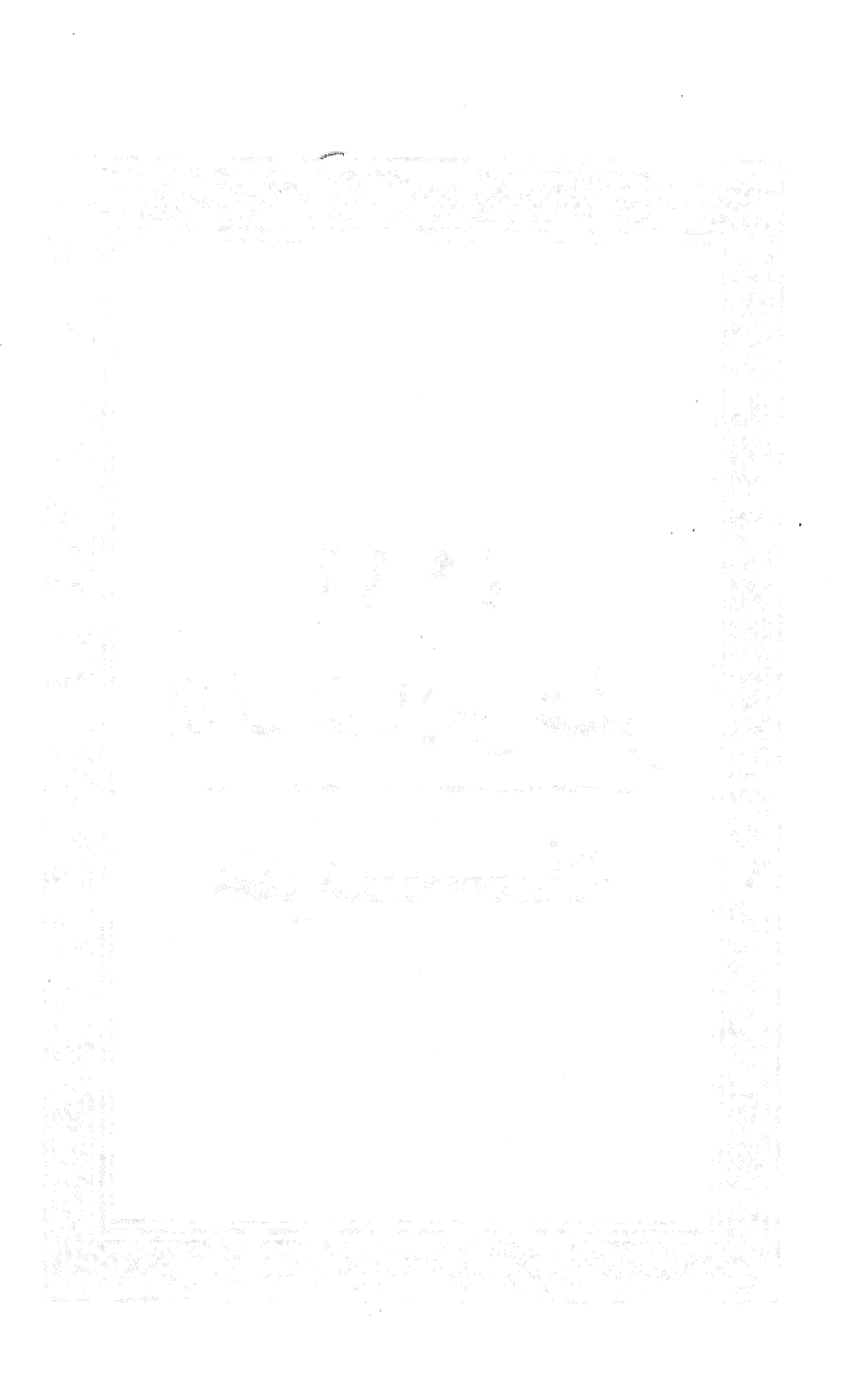
(١) سورة الحديد: ٢٠.
راجع تفسير القرطبى (١٧/ ٢٥٥).
قال ابن عباس: يجمع المال من سخط الله، ويتباهى به على أولياء الله، ويصرفه فى مساخط الله، فهو ظلمات بعضها فوق بعض اهـ.
بتصرف من التفسير الكبير (٢٩/ ٢٣٣).



[١٦]

الباب السادس عشر

متفرقات



[٥٦٩]

صور بعض الحيوانات بالمنزل

س: ما القول فيمن يزينون الحائط برسوم بعض الحيوانات؟ هل هذه ينطبق عليها ما ينطبق على التماثيل البارزة المجسدة من تحريم؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: لا شىء فى ذلك، ولكن ما حرم هو ما يفعله البعض لتقديس وتعظيم هذه الحيوانات، أما أن ترسم لكى يستعمل فى الزينة فلا مانع من ذلك.

[٥٧٠]

قوة الضعفاء بالحب

س: كيف كان الحب قوة للضعفاء، وما ثمرة هذا الحب فى نصرة الإسلام، ورفع رايته ولوائه؟

(جـ): نحن نعرف كم تعب سيدنا رسول الله -ﷺ- فى أول أيام حياته.. لم يكن فى قدرة الرسول -ﷺ- حماية أصحابه.. ولعل فى ذلك رمزًا إلى أن الله يريد أن يذهب إليه من يملكون قوة الحب وحده.. وكانت هذه القوة التى يملكها الضعفاء هى القوة فى وجه قريش التى لا يمكن لعربى فى ذلك الزمان أن يرفع رأسه أمامها، هذه هى قوة الحب عند الضعفاء، إنها قوة لا تقهر.. تملك قريش رحلتى الشتاء والصيف، وهم شبه ملوك من موقع السيادة.

وأراد الله لرسوله محمد -ﷺ- الاختبار، لم تناصره قريش فى البداية؛ لأنها لو ناصرته فى البداية؛ لقال الناس: إنها قبيلته تعودت على السيادة، فتعصبوا لواحد منهم؛ ليسودوا به الدنيا، ولو حدث ذلك لكان ما وصل عن الإسلام إلينا هو أنه دين العصبية، وأنه انتشر بعصبية قبيلة محمد -ﷺ-. لكن الله تبارك وتعالى أراد أن تقف قريش ضد محمد -ﷺ-.. وأراد الحق سبحانه وتعالى أن يكون محمد -ﷺ- ضعيفًا فى مولده، ضعيفًا فى مركزه الاقتصادى، لكنه قوى الإيمان والقدرة على الإدراك.

وهكذا أصبحت حلاوة الإيمان بما جاء به محمد -ﷺ- هو الذى خلق

العصبية لمحمد -ﷺ-. ولو أراد الله لمحمد -ﷺ- أن يكون معه قوة للقهر، والإذعان لما منعه شيء، ولكنه يحب أن يأتي إليه عبده طائعًا، وفي مقدوره ألا يأتيه. إن الله يحب طواعية الإيمان، وأن يقبل عليه عبده بقلبه طائعًا راضيًا ملتزمًا بمنهجه، وهي مقدوره، وفي استطاعته ألا يؤمن به.

[٥٧١]

الغفلة داء الإنسانية

س: داء الإنسان في مختلف أطواره ومصيبة الإنسانية في متباين صورها هو (الغفلة) فلماذا كانت الغفلة هي الداء المشترك لأجيال البشرية، ومواكب الخلق، وهل يسأل الإنسان ويحاسب على غفلته؟

(جـ): الداء الأصيل للبشرية هو الغفلة، وتغيير المنهج من قديم الزمان، ذلك أن الإنسان يتغاضى عن كثير من منهج الله، فأنت إذا مرض ابنك، أسرعت به إلى الطبيب تريد له العلاج، وإذا لم تجد طبيبًا أسرعت إلى آخر، وهكذا تنتقل من طبيب إلى طبيب، تتعجل الشفاء لطفلك، ولكن إذا ترك طفلك الصلاة، فإنك نادرًا ما تؤاخذه على ذلك، فأنت تهتم بالابن اهتمامًا بالغًا تمامًا في أن توفر له مستقبله الدنيوي، دون مستقبله الأخروي، وفي خلال هذا تنسى تمامًا منهج الله.

[٥٧٢]

معصية الشيطان ومعصية البشر

س: قال تعالى: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(١). وقال: ﴿وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾(٢). ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾(٣). فلماذا تاب الله على آدم، وطرد إبليس من رحمته إلى يوم يبعثون؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوي: معصية الشيطان تختلف عن معصية البشر، فالشيطان عصى الله سبحانه وتعالى، ورفض أمر السجود لآدم وكانت هذه

---

(١) سورة ص: ٨٢، ٨٣. (٢) سورة طه: ١٢١، ١٢٢. (٣) سورة البقرة: ٣٧.

معصية، وآدم عصى الله، وأكل من الشجرة.. وهذه معصية ولكن هاتين المعصيتين مختلفتان تمامًا.. فالشيطان حينما عصى، استكبر على الله سبحانه وتعالى، وأصر على المعصية، وقال: ﴿لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ وتحدى، وأمعن فى التحدى، ورفض أن يعترف أنه على خطأ بل رد الأمر على الآمر، وهو الله سبحانه وتعالى.. أما آدم عليه السلام فإنه حينما عصى اعترف بذنبه وتاب إلى الله، ولم يصر على ما فعل.. بل قال: يا رب إنى إنسان ضعيف أغوانى الشيطان، وأذلنى وإننى يا رب أعلم أنك أنت الحق.. وأن قولك الحق، وأن منهجك الحق.. ولكن نفسى ضعيفة، لم تحتمل المنهج الخطأ، وإنى أعود إليك يا رب تائبًا نادمًا مستغفرًا، كان هذا هو منهج آدم.. اعترف بألوهية الله، واعترف بعظمة الذنب، والتوبة عنه، والتعهد بعدم العودة إليه.

أما إبليس فإنه على عكس ذلك، لم يعترف بذنبه.. بل أصر على المعصية، وأصر على أن رأيه هو الحق، وأنه لم يخطئ وأنه حين يرد أمر الله فإنه يفعل ذلك وهو يعتقد أنه على صواب.. ولذلك أبعده الله وطرده الله من رحمته، فبماذا قابل إبليس هذا الطرد؟.

قابلة بإمعان فى التحدى بأن قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

ولكنه وهو حتى فى المعصية كان يعلم أن أمر الله نافذ، ولذلك قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ﴾ وجاء فى باب العزة لله؛ لأن الله غنى عن العالمين، ولذلك من باب غنى الله سبحانه وتعالى عن كل خلقه، وعدم حاجته إليهم أقسم إبليس لعنه الله. ولم يجد منفذًا ينفذ منه إلى البشر إلا بعزة خالقهم عنهم وعدم حاجته إليهم، ولو أن الله سبحانه وتعالى أراد أن يكون الخلق طائعين له، مهتدين لمنهجه.. لما استطاع إبليس أن يقترب منهم.. ولذلك استثنى فقال: ﴿إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ أى أن الذى يريده الله، ويصطفيه عبدًا مخلصًا له.. لا يستطيع إبليس أن يصل إليه.

[٥٧٣]

المسلم المهاجر

س: ما هى واجبات المسلم المهاجر من بلاده إلى بلاد غير إسلامية،

والظروف الجديدة التى تحيط به، وكيف يواجهها بالمناعات التى تحول دون تأثره بأمراض البيئة الجديدة؟

(جـ): إن الإنسان قد تضطره ظروف الحياة فى مكان إلى التماس السعة فى مكان آخر، وإزاء هذه الضرورة قد يتناسى أشياء إلى أن يأتى عليه زمن لا يستطيع أن يخلص نفسه مما يلحق به فى المكان الجديد، ولو بكل ما جمع. من ذلك مثلاً عجمة ألسنة أبنائه، وبعدهم عن منابع اللغة العربية الأصيلة، وجهلهم بتعاليم دينهم، وقيم إسلامهم، وما يتعلق بمشاكل البنات إذا كبرن. ونحن نرى أنه لا ضرورة فى حياة تدعو إلى الإقامة بمكان لا يأمن فيه الإنسان على دينه ودين أبنائه.. لا سيما وأن الظروف التى تحيط بهم فى الجو غير الإسلامى الذى يعيشونه أكدت لهم سلامة دينهم، وأنه المنقذ الوحيد لكل هذه البيئات من الأهوال والجرائم التى تحيط بها من كل جانب.

[٥٧٤]

الثواب والعقاب

س: ما هى الحكمة من الثواب والعقاب فى قانون الله، وهل الثواب يكون فى الدنيا قبل الآخرة؟ وكذلك العقاب لاشك أن هناك حكمة إلهية لهذا المضمون.. نرجو من فضيلة الإمام إفادتنا بارك الله فيه.

(جـ): وأنا أريد أن أسأل السائلة ألم تنظر إلى حياتها الخاصة وفى حياتها العامة لتخبر البشر بتفكيرهم، ولو كان غير دينى يضعون قوانينهم ثوابًا وعقابًا؟ الأم تضع ثوابًا وعقابًا لأبنائها وهى أحن الناس عليهم.. وكذلك الأب، والدولة تضع ثوابًا، وعقابًا لمن تربيه من أبنائها.. إذن فكل راع على شىء يضع ثوابًا وعقابًا لرعيته.. فما دامت الفتاة قد آمنت بأن الله هو الذى خلق، فمن المنطق أن يضع ثوابًا وعقابًا، ولو لم يضع الثواب والعقاب لوجدت فجوة كنا نسأل عنها لأن أتفه الأفكار فى الدنيا تضع ثوابًا وعقابًا؛ فوجود الثواب والعقاب ضرورة مع وجود الاختيار؛ فما دمت مختارًا لأن تفعل أو لا تفعل فلابد من وجود ثواب وعقاب، وإلا انطلقت حرية الفعل ما دمت مختارًا، فلابد أن تتحمل نتيجة اختيارك، فالتلميذ يذهب للمدرسة وهو حر فى أن يستمع إلى مدرسه أو لا يستمع.. يفهم أو لا يفهم، وهو حر فى أن يذاكر أو لا يذاكر، فهو مختار طول

العام، ولو لم يوجد اختبار آخر العام والنجاح والرسوب لما حاول أى تلميذ أن يجهد نفسه بالاستذكار والفهم أثناء العام، إذن فوجود الثواب والعقاب هو ضمان لعدم انحراف حرية الاختيار ولذلك لا نضع ثوابًا وعقابًا لأمر لا اختيار فيه.. إذن فلا يصح أن نسأل لماذا يوجد ثواب وعقاب؟ ولكن لو لم يكن الثواب والعقاب موجودًا، لكان يجب أن نقول: لماذا لا يوجد ثواب وعقاب؟ والمراد من الثواب والعقاب ليس أن يقع المحذور، ولكن تلافى وقوعه.. فعندما أقول: إن السارق تقطع يده، ليس معناه أننى أقول له: اسرق حتى أقطع يدك، ولكن معناه أننى أقول: إياك والسرقة، وإلا قطعت يدك.

ثم ننظر إلى إنسان سلك فى حياته مسلكًا نافعًا للمجتمع، وعاش لا يعتدى على حقوق الغير، وإنسان آخر على عكسه، أمن العدالة أن يكون هذا مثل الآخر؟ هل من المعقول أن يتساوى إنسان منحرف فى الحياة، يقتل ويسرق ويعتدى على الغير مع إنسان شريف أمين مسالم؟ إذن فالجزاء يجعل حياة الإنسان فى الدنيا والآخرة وحدة واحدة لا ينعزل إحداهما عن الأخرى، فلا يكون سعيدًا فى الآخرة إلا إذا أحسن فى الدنيا، فلا يفصل عمله فى الدنيا عن جزائه فى الآخرة؛ فتصبح حياته فى الدنيا والآخرة وحدة واحدة. كذلك فعندما يفعل إنسان عملاً شريرًا، فإنه يكون أسوة لمن يراه إن لم يجد عقابًا يردعه والله أعلم.

[٥٧٥]

إن هذا الدين متين

س: تسأل الآنسة ضحى الشابورى فتقول:

ما معنى الحديث الشريف: «إن هذا الدين متين، فأوغل فيه برفق»؟.

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن الدين لا حدود له، ولقد فرض الله علينا الحد والمحتمل والضرورى.. ولكن إذا أردت أن تتصدق بكل مالك فتصدق.

إذن فليس للدين حد يقف عنده، ولكن هناك حد أدنى، ولا يوجد حد أعلى. ولكنك لا تلزم نفسك بالحد الأعلى حتى لا تمل. فأوغل فيه برفق.

وخير الأعمال أدومها وإن قل، فإذا صليت فى اليوم مائة ركعة، فمن الجائز

أن تفعل ذلك فى وقت نشاطك، ولكن قد لا تستطيع المداومة، وهنا الخطأ، فكأنك جربت الله فى الود ولم تجده أهلاً له. . ولذلك فإياك من ذلك، فالإيغال هو الزيادة عن المطلوب، فافعل أولاً المطلوب، وإن أردت أن تزيد فبرفق، فإن الله لا يمل حتى تملوا.

[٥٧٦]

الثقافة الدينية

س: تسأل السيدة حياة محمود من القاهرة فتقول:

انشغل الناس بالحياة، ولم يعودوا يهتمون بثقافتهم الدينية، فكيف يتعلمون دينهم مع هذه المشاغل، بحيث لا يكون هناك إفراط ولا تفريط؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن المشكلة الموجودة بالفعل ليست هى مشكلة علم بالدين، ولكنها مشكلة عمل بالدين. فدع الناس يعملون بما يعلمون أولاً ودع ما لا يعلمون.

هل يوجد مسلم لا يعرف أن الصلاة واجبة؟ وهل هناك من لا يعرف أن الصوم واجب فى شهر رمضان أو أن الخمر والسرقة، والرشوة حرام!.

كل هذه أمور معروفة، وأولية، ولكن هل المسلمون ينفذون المبادئ الأولية لدينهم؟

إن الإسلام فى البلاد الإسلامية فى غربة، ويجب أن نعرف أن هناك فرقًا بين إسلام وبين مسلم.

فما دام الإسلام قد حرم بعض الأفعال، فذلك دليل على فهمه أن المسلم من الممكن أن يعمل عملاً خاطئًا كالسرقة مثلاً، فقال: من يسرق تقطع يده.

ووضع حدًا على شارب الخمر، وطالب برجم الزانى.

إذن فما دامت هناك عقوبات مجرمة فى نفس الدين، ثم رأيتها فى الناس، تقول: إن هذا خطأ فى الدين. . كيف ذلك وقد حرم الدين هذه الأفعال؟.

ولو رأينا المسلم الذى صنع شيئًا مجرمًا قد وقعت عليه العقوبة لما استطاع أحد أن يقول شيئًا. . ولكننا نرى المسلم يجرم، ولا تقع عليه العقوبة.

لقد نص الإسلام على جرائم ووضع للجريمة عقوبة، فحين يرى واحد جريمة، ولا يرى العقوبة عليها، يعتقد أن هذا هو الإسلام. وهنا نقول له: لأنه يوجد شيء معطل.

[٥٧٧]

اختلافهم رحمة!!

س: المذاهب الأربعة.. الأئمة الأربعة.. واختلاف الأربعة.. لماذا..؟

(جـ): أنزل الله سبحانه وتعالى الإسلام منهجًا يحكم حركة الحياة، والمنزل الذى نزل ليحكم الحياة مفروض فيه أن يحكم حركة حياة الإنسان. . لأن غير الإنسان محكوم بمنهج قهرى قسرى لا يستطيع أن يتحول عنه. فما السبب فى أن الإنسان هو الذى حكم بمنهج افعل ولا تفعل، وغيره فى الوجود يفعل بدون منهج وبدون اختيار؛ لأن الإنسان يملك أداة الاختيار بين البدائل، وهى العقل ومعنى الاختيار بين البدائل أنه يوجد شيء على ألوان متعددة، والعقل يرجح واحدة فيها. . إذن فالبدائل موجودة وآلة الاختيار بينها وهى العقل موجودة فحين لا توجد بدائل لا يوجد اختيار، وحين توجد بدائل لا عقل كالمجنون مثلاً، فلا يوجد تكليف لمن لم ينضج عقله؛ إذن ففى الاختيار بين البدائل بدون شيء قهرى عليه يكرهه، فإن وجدت قوة تكرهه على أن يفعل غير ما اختاره من البدائل. . نقول: سقط عنك الحكم.

فحين شرع الله الإسلام لمكلف مختار لاحظ فى الإنسان شيئين: أنه فى قالب مجبر وفى قالب مختار، فالأمور الكلية العامة الأصلية ألزم الله فيها بالحكم، ولم يجعل للإنسان فيها اختيارًا. . لأن وجودها على لون واحد هو المقصود للإصلاح. مثل حركة الكون كلها، فما أراده الله واضحًا أتى به محكمًا لا اختلاف فيه، ففرض خمس صلوات لم يختلف على ذلك أحد، فلم يقل واحد بأنها أربعة، وآخر بأنها سبعة مثلاً، وبعد ذلك قال: الصبح ركعتان، ولم يختلف على ذلك أحد، إذن فالأمر الأصيل فى التكليف لم يتركه الله مجالاً للاجتهاد، بل جاء به واضحًا محكمًا.

ـ هذا يمثل الجانب القهرى فى الإنسان، وهو مجبر عليها، وحكم بها الله كما هى بدون اجتهاد للإنسان، كذلك جعل الخير سبحانه وتعالى فى الأحكام مجالاً

للاختيار، وبذلك يصبح كل ما يختار الإنسان هنا داخل ما يريده الحق، ومثال ذلك إذا أعطيت ولدى جنيهًا وطلبت منه شراء يوسفى، أو برتقال بسرة، أو برتقال سكرى مثلاً، وإن اشترى أيًا منها أو خليطًا منها لا يكون قد خرج عن حدود طلبى، ولكنه لا يستطيع أن يشترى موزًا أو شايًا أو سكرًا مثلاً؛ لأنه بذلك يخرج عن حدود طلبى؛ وبذلك فلا يظن ظان بأن الأئمة اختلفوا فى أصل، أراده الله محكمًا، فما أراده الله محكمًا لا اختلاف فيه أبدًا. . وجعل الأمر المحكم فيما يفسد لو لم يكن هكذا، إنما الأمر الذى يصلح على لونين أو ثلاثة أو أكثر تركه الله مبهمًا، ليعطى للإنسان حرية الاختيار فيه، لأن الله الذى خلق الإنسان قدر اختلاف أمزجته، ولم يشأ الله أن يجبر الناس على الأحكام الفرعية. . بل تركها للاختيار، والاجتهاد فى إطار النص العام.

أيضًا الصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا يشهدون الرسول -ﷺ- فى أوقات مختلفة من النهار والليل حسب ظروف كل منهم، ولم يكونوا جميعًا يجتمعون لديه فى مواعيد محددة مثل المدرسة التى تفتح أبوابها فى الصباح، ثم تغلقها فى المساء، فيحصل كلا التلاميذ على قدر واحد من المعرفة، ولكن كل واحد من الصحابة كان يأخذ قدرًا مختلفًا عن الآخر حسب وقت وجوده مع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

فإذا وجده أحدهم فى وقت ما يفعل أمرًا من الأمور غير المحكمة بطريقة معينة فيقول لقد فعل الرسول كذا ويراه آخر فيقول: لقد فعل النبى كذا ولكن هل فعل النبى ما قاله هذا ولم يفعل ما قاله الآخر. .؟ هذا هو المنطق.

ولذلك فقد قال فقهاء الأنصار ما رأوا النبى فى حالاته المختلفة. إذن فالاختلاف إنما جاء فى أمور تركها الشارع قصدًا بدليل أن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾(١). حينما انتهى النبى عليه الصلاة والسلام من غزوة الأحزاب لم يكن قد خلع ملابس الحرب بعد، وقالوا له قبل أن يخلع ملابس الحرب: اذهب إلى بنى قريظة لتأديبهم فقال: «**من كان يؤمن بالله ورسوله، فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة**»(٢).

---

(١) سورة النساء: ٨٣.

(٢) انظر كتاب: «أصول التشريع الإسلامى» للمرحوم الأستاذ الشيخ على حسب الله.

فاختلف الصحابة، قالوا: إن العصر لا تصح إلا فى بنى قريظة، ولكن فى الطريق كانت الشمس تقترب من المغيب، فقال البعض: إن الرسول عليه الصلاة والسلام أراد أن يتعجلنا، ولكن الوقت يمر ولابد من أداء الصلاة فى وقتها فصلى البعض العصر فى الطريق قبل المغرب، وأخر آخرون الصلاة إلى أن وصلوا إلى بنى قريظة.

وهذا النص محتمل، ولكن لا خلاف على أن الجميع يريدون أداء صلاة العصر، ولكن للحدث زمان ومكان، وعندما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: **«لا تصل إلا فى بنى قريظة»** حدد المكان ولما وجد الناس الشمس تغيب تحكم عنصر الزمان، فأخذ البعض بعنصر الزمن، وأخذ الآخرون بعنصر المكان، ولما قالوا للنبى -عليه الصلاة والسلام- عما حدث، أقر هذا وأقر هذا. وبذلك فإن اجتهادات الأئمة جاءت لأن الله أراد لنا أن نجتهد؛ ولأن الله لم يرد أن تأتى الأحكام منصبة على الإنسان فى قالب من الحديد لا يتصرف فيها حتى لا يمنع الإنسان من حرية الحركة الفكرية، وحتى يوجد أئمة اجتهاد فيما أباح فيه الاجتهاد.. ومثال ذلك آية الوضوء حينما قال الله تعالى: ﴿**إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ**﴾[1].

فعندما تحدث الحق عن الوجه لم يحدد غايته.. لم يقل إلى؛ لأن الوجه لا يختلف فيه العرب أبدًا.. ولكن اليد يختلف فى تحديدها.. فبعضهم يرى أن اليد هى الكف.. والبعض يرى أنها تصل إلى الكوع.. والآخر يرى أنها تصل إلى الكتف، والله يريدها إلى المرافق..

إذن فحينما يريد الله التحديد فهو يحدد لكى يمنع الاختلاف.. ولو لم يحدد الحق إلى المرافق واجتهد الأئمة فى ذلك لقلنا لكل مجتهد: إنه اجتهاد يصح، وقال تعالى: ﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾ فنقل من غسل وهو إسالة الماء إلى المسح وهو المسح بالماء بدون أن تقطر فلماذا قال: (امسحوا برؤوسكم)؟ لو قال: امسحوا رؤوسكم هل كان يوجد مجال للاختلاف..؟

ولو أراد الله مسح ربع الرأس، أو نصفه لقال ذلك، ولكنه جاء بحرف الباء التى تحمل معان كثيرة، فيصبح كل من يأخذ بمعنى معانى الباء، يصبح آخذًا

(١) سورة المائدة: ٦.

بالنص. إذن فحين يجتهدون، فهم يذهبون إلى ما يحتمله النص، ولكن اجتهاد فى فهم النص.

أما الالتزام بهذه المذاهب، فالذى له قدرة على فهم كل المنصوص له ألا يتقيد بمذهب، ولكن بما يهتدى إليه من النص، فيرجح ما يرجحه ما دام أهلاً للاجتهاد، وعنده أدوات الاجتهاد من علم بالقرآن وعلم بالسنة، ولكن من لا قدرة له على ذلك، فيقلد من يثق فى علمه، ومذهبه مذهب مفتيه، فعندما يعرف أن واحدًا نصب من ولى الأمر، أو تعارف الناس على أنه أهل خبرة، فيسأله فى أمور دينه.

لكن جاءت المذاهب الأربعة، واستوعبت كل الأمور أصبح كل واحد لا يملك القدرة على الاجتهاد، فيتبع مذهبًا معينًا يصبح الجميع يلتمس نصًا يجتهد فيه، ولا يأتى بحكم من عنده، وما دام الشارع قد ترك الحكم مجالاً للاجتهاد فيه، ففى ذلك إذن منه بأن كل ما يصل إليه مجتهد حق مثل مثال البرتقالة، فمادمنًا اتفقنا على الأصل، وتركنا الفرع مبهمًا، فيصبح ما يصل إليه المجتهد صالحًا.. والله تعالى أعلم.

[٥٧٨]

المولد النبوى

س: ما رأى فضيلة الإمام فى مظاهر الاحتفال بالمولد النبوى من زينات وحلوى؟

(جـ): الاحتفال بالمولد النبوى، وهو باتباع ما يحبه من خلق صاحب الميلاد، ويقول فضيلة الإمام: ما أكثر ما احتفل المسلمون بهذه الموالد، وما أقل ما انتفع المسلمون بها، ولو أن كل ميلاد لرسول الله -ﷺ- يستقبل بإحياء شعيرة من شعائر دينه، لثبت دينه فى الآفاق.

ولكن يبدو أننا نكتفى من الحفاوة بالمناسبة بما يتفق أيضًا مع شهوات نفوسنا وخلاص شهية عام، ولذيذ حلوى، وجمال سهرة، ودين الله بعيد عن كل هذه الحفاوات. ولو رأينا الزينات التى تستقبل هذا الميلاد؛ لأدركنا مدى حب الناس لمذاهب الدين، ولو دخلنا فى البيوت التى على واجهاتها هذه الزينات لعلمنا كيف بعد الناس عن هذا الدين.

والحق أن مناسبة ميلاد المصطفى -ﷺ- أضخم حدث فى الكون كله، أضخم من ميلاد هذا الكون ذاته، لأن محمدًا جاء بالمنهج للإنسان؛ ليتوج به هذا الكون كله.

وميلاد النبى -ﷺ- هو نظرة الخير للوجود كله.

ويجب ألا يظلم الإنسان نفسه، وكيف يظلم الإنسان نفسه؟ وذلك بأن يتمكن من الخير ولا ينفعل به، وأن يدل على النور، ولا يهتدى إليه.

لذلك يجب أن نلفت إلى الميلاد بما يحبه صاحب الميلاد، وبما يحبه من خلق صاحب الميلاد.

والإسلام ليس بحاجة إلى تغليفه بمظاهر تجعل النفس تقبل عليه لأن له شهى، والشهوة فى اللب حقيقة الجواهر النفسية، وشهوة السطح سمة الجواهر المزيفة.

ويجب ألا تنعزل حفاوتنا بمولد الرسول -ﷺ- عن منهجه، ولتتجمع أحداث الدين لما يعين على تطبيق منهج الدين، ولا مانع من أن تغلف بشرع نلفت به أنظار الصغار، الذين لم يعرفوا بعد قيمة المناهج، لنربطهم بحب الذكرى، وندعم كل ذكرى من هذه الذكريات بشرع توضحه الأحداث قبل أن يوجد لها العقل الماكر المبرر، وحين يوجد العقل الماكر المبرر يصعب علينا أن نغرس الطباع، ولكن علينا أن نغرسها فى العقل الفطرى الذى لا تلويه شهوة، ولا يلويه غرور حينئذ يكبر الناشئ وفى نفسه الخميرة الدينية، حتى وإن عصفت به الأحداث، فسنجد مردًا نهائيًا إلى فطرة الإنسان.

[٥٧٩]

يسألونك...

يقول الحق سبحانه وتعالى للرسول -عليه الصلاة والسلام-:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ...﴾(١).

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ...﴾(٢).

(١) سورة البقرة: ٢١٩.

(٢) سورة البقرة: ١٨٩.

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ... ﴾[(١)].

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ... ﴾[(٢)].

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ... ﴾[(٣)].

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ... ﴾[(٤)].

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

كل سؤال يطرحه الله، نجد أن الرسول تلقى الجواب من الله بـ ﴿ قُلْ ﴾ ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى... ﴾[(٥)] كأن المسألة ليس فيها اجتهاد لبشر هو الذى قال هكذا... فتسأل أنت كيف؟

يسألونك ماذا ينفقون؟ مرة يقول: ﴿ قل العفو ﴾. ومرة يقول: ﴿ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ ﴾[(٦)].

يسألونك عن الأهلة؟ قل هى مواقيت للناس والحج، إذن الرسول أخذ الأمر التكليفى بـ ﴿ قُلْ ﴾ وجاء مقول القول ولكن يلاحظ عند قوله ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ... ﴾[(٧)] الوحيدة فى القرآن قال: ﴿ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴾[(٨)] وهذه قل مع ورود الفاء... فقل ينسفها ربى نسفًا.. هنا تجد أن هناك أسئلة سألها رسول الله عقب السؤال، وفيه سؤال قال له ستسأل هذا السؤال أى قبل أن يسأله، فكأن الفاء دلت على أن هذا السؤال رصيد من الله قاله إذا سألت فقل... لم يسأل قبل الجواب، ولكن ذلك يبقى لنا أن الفاء دلت على أن فيه شرط مقدم معناه يسألونك عن الجبال، فقل ينسفها ربى نسفًا... يعنى لم يسألونك الآن، ربما يسألونك فيما بعد... وقلنا إن الإخبارات عن أشياء مستقبلة ممن يملك إلا بفعله إعجاز...

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٢. (٢) سورة البقرة: ٢١٩.

(٣) سورة طه: ١٠٥. (٤) سورة النازعات: ٤٢.

(٥) سورة البقرة: ٢٢٢.

(انظر جامع البيان (٤/ ٣٨٤)).

(٦) سورة البقرة: ٢١٥.

الخير: المال.

(٧)، (٨) سورة طه: ١٠٥.

انظر تفسير الطبرى (١٦/ ٢١٢).

وكل ﴿قُلْ﴾ فى القرآن بغير الفاء ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾(١) إلا سؤال واحد ليس فيه الفاء ولا قل. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾(٢) ولم يقل فقل إنى قريب.

وهذا يؤكد المباشرة بين العابد والمعبود، وفيها معنى التقاء الاثنين.

[٥٨٠]

مصر فى القرآن

س: كم مرة ذكر اسم مصر فى القرآن؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام الشيخ الشعراوى: لقد ذكر اسم مصر فى القرآن الكريم خمس مرات هى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾(٣).

﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾(٤).

﴿ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾(٥).

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾(٦).

﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾(٧).

هذه الآيات التى وردت فى القرآن الكريم باسم مصر، أما الأوصاف، فقد وردت عشرين مرة.

---

(١) سورة طه: ١٠٥.
انظر تفسير الطبرى (١٦/ ٢١٢).
(٢) سورة البقرة: ١٨٦.
انظر تفسير القرطبى (٢/ ٣١٦) والطبرى (٣/ ٤٣٥) والبحر المحيط (١/ ٤٩٠) والدر المنثور (١/ ١٩٦).
(٣) سورة يونس: ٨٧.
(٤) سورة يوسف: ٢١.
(٥) سورة يوسف: ٩٩.
(٦) سورة الزخرف: ٥١.
(٧) سورة البقرة: ٦١.

[٥٨١]

أى آية فى القرآن أعظم ؟

س: سئل رسول الله -ﷺ-: أى آية فى القرآن أعظم؟

(جـ): قال: «الله لا إله إلا هو الحى القيوم»(١).

[٥٨٢]

لولا أن ثبتناك

س: تطاول المرجفون من بعض المستشرقين على العظمة المحمدية لما قرأوا قوله تعالى: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾(٢) وقالوا: إنها لوم للرسول من الحق تبارك وتعالى، لأنه مال -فى نظرهم- إلى الكفار.

فنزلت هذه الآية. فما رأى الشيخ الشعراوى فى ذلك؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: مسألة ميل رسول الله إلى الكفار، وأخذ الآية الكريمة: ﴿وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ﴾ على أنها لوم لرسول الله، فالرسول لم يمل للكفار فقط. . . وإلا لما بدأت الآية بحرف الامتناع لولا! ليؤكد الله سبحانه وتعالى امتناع حدوث هذا الشىء. ثم يخبرنا أنه بقدر الود إلى الله والقرب منه، وكشف الله آياته لعباده يكون الحساب الذى يضعه الله فى منزلة أعلى، ويريه آياته إذا كفر بعد ذلك. . يكون حسابه ضعف عامة الناس، أو كما قال الله فى منزلة أعلى ويريه آياته إذا كفر بعد ذلك. . يكون حسابه ضعف عامة الناس أو كما قال الله لعيسى والحواريين: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾(٣).

---

(١) سنن أبى داود (٤/ ٢٩٥/ ٣-٤٠٠٣).

(٢) سورة الإسراء: ٧٤.

انظر تفسير الطبرى (١٥/ ٨٨)، والتفسير الكبير (٢١/ ٢٢) وكشاف الزمخشرى (٢/ ٤٦٠).

(٣) سورة المائدة: ١١٥.

انظر التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى (١/ ١٩٤) والقرطبى (٦/ ٣٩٤) والكشاف للزمخشرى (١/ ٦٥٥).

[٥٨٣]

لماذا لم يفسر الرسول القرآن كله ؟

س: لماذا لم يفسر القرآن كله فى عهد النبى -ﷺ-؟

(جـ): نزل القرآن الكريم هداية للبشرية جمعاء، ونورًا للأرض كافة، وتنزل على المصطفى صلوات الله وسلامه عليه فى ثلاث وعشرين سنة. . .

***

فلماذا لم يفسر النبى القرآن الكريم كله مجملاً فى حياته؟

الواقع أن هناك فريقان: فريقًا يقول: إن التفسير فى عهد النبى -ﷺ- والصحابة. . هو تفسير نهائى غير قابل لأية إضافة. . بل إن الإضافة فيه هى نوع من تحميل القرآن الكريم أكثر مما يحتمل، وتعريض كتاب الله إلى نظريات علمية أرضية قد يثبت عدم صحتها بعد عشرات السنين.

أما الفريق الآخر فيقول: إن القرآن له عطاءان. . عطاء الفروض والأحكام، وهو واضح لا لبس فيه. . والتفسير الذى حدث فى عهد النبى -ﷺ-. . ملزم حتى تنتهى الأرض ومن عليها. . أما معجزات القرآن هذه فيزداد لها العالم فهمًا. . كلما تقدم العلم كشف الله للناس عن آياته فى الأرض. . ومن هنا فإن عطاء القرآن فى هذه الناحية هو عطاء متجدد، لا ينتهى أبدًا. . أعطى الأجيال التى قبلنا. . وسيعطى الأجيال التى بعدنا. . وله عطاء مستمر لا ينتهى إلا بقيام الساعة. . ومن هنا، فإن المعجزة مستمرة. . ونواحى الإعجاز فى القرآن فى كل عصر وزمان ومكان موجودة، والأيام القادمة قد تكشف تفسيرًا لبعض الآيات، نكون نحن عاجزين عن فهمها الفهم الصحيح.

فالنبى -ﷺ- لم يفسر القرآن كله مجملاً فى حياته، وإلا لتعطلت إعجازاته الفكرية والعلمية المتنوعة، ولكنه فسر آيات الأحكام والتشريع والتكليف؛ لأن التكليف لابد من بلاغه موضحًا مبينًا.

إذن فإن مجالات الاتساع القرآنى فى عطائه المستجد متنوعة وشائقة وممتعة.

والذى يعارض صريح النص القرآنى كافر، والمسألة أنه فى غير آيات

التكليف والتشريع، لاسيما الآيات التى توحى بالإعجازات البيانية والكونية والفكرية لابد أن تأخذ العقول فى فهمها مذاهب شتى، كل واحد منها يفهم بأسلوبه وطرائفه الخاصة، لكن فى النهاية لا مساس بقضية العقيدة والتوحيد والإيمان المطلق بالله جل شأنه، وهذه هى الناحية التى يتجدد فيها ومنها الفهم القرآنى والعقلانى حينًا بعد حين، وحقبة بعد حقبة.

[٥٨٤]

ترتيب المصحف وترتيب النزول

س: ما سبب ترتيب المصحف، على غير نظام ترتيب النزول؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن نزول القرآن كان على حسب الأحداث التى تتطلب الأحكام، وأما كتابته على حسب وجود المصحف الشريف فى اللوح المحفوظ، فهناك فرق بينهما.

[٥٨٥]

وذللناها لهم

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾[(١)].

ما المراد بهذه الآية الكريمة وما هى الأبعاد القرآنية لكلمة (ذللناها لهم)؟ نرجو من فضيلة الإمام التكرم بالإفادة.

(جـ): الإنسان خليفة الله فى الأرض، ومعنى كونه خليفة أن الله أمر الوجود أن ينصاع له.. الأرض تنفعل له.. الحيوانات تنفعل له.. الجماد ينفعل له، ولكن الإنسان الغافل قد يظن أن ذلك كله لمهارته هو، ولذلك يقول له: لا.. ليس بمهارتك، ولكن بتسخيرى أنا.. لو لم أسخرها لما استطعت أنت.

ولذلك تجد العجب فى الكون.. تجد جملاً يصرفه وليد صغير.. وتجد

---

(١) سورة يس: ٧١، ٧٢.

انظر مختصر ابن كثير (٣/ ١٧٠) وانظر القرطبى (١٥/ ٥٥) والبيضاوى (٢/ ١٣٥) والبحر المحيط (٧/ ٣٤٧) والكشاف (٣/ ٣٣٠).

ثعبانًا لا يستطيع أشجع الشجعان أن يقربه.. هذا ذلله الله لك.. وهذا تركه بغير تذليل ليقول لك: إن كنت ذللت بقدرتك فذلل هذا!!

أنت لا تستطيع أن تذلل البرغوث الذى يفزعك وأنت نائم، ومع ذلك تذلل الفيل..، شىء عجيب..

إذن المسألة ليست خاضعة لقوتك، ولا لمهارتك ولكن الذى خلقك هو الذى ذلل ذلك.. فإن لم يذلل لك ما استطعت أنت أبدًا أن تصنع هذا.

[٥٨٦]

الحسد وعلاجه

الحسد مقطوع به، وذلك كما ورد بصريح النص القرآنى، لكن لا يزال البعض من الناس يقولون: أن الحسد لا يصل إلى درجة التأثير فى منهج وسلوكيات الناس.

والواقع أن وجود الشىء أمر، وتأثيره فى الموجودات أمر آخر.

(جـ): يقول فضيلة الإمام الجليل:

إنه لا توجد مسائل مادية قاطعة، لكن كما هو معروف فكلما لطف الشىء عنف، وكلما شف صعب، والعنصر لم يجىء فى جرمية المادة، ولكن فى فعالية التأثير.

والأمراض المستعصية هى تلك التى لم يصل فيها الإنسان إلى معرفة ميكروب محدد مسبب لها، ومسئول عنها. فإذا ما استعمل الإنسان سلاحه فى الحسد.. فما العلاج إذن؟

قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[1] ليس مطلقًا، فلم يسكت إنما قال: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ إذ إنه من الممكن لأى إنسان أن يحسد، ومن الممكن أن يرى الإنسان نعمة، ولا يحقد على صاحبها، فلا تخرج الإشعاعات الحاسدة القاتلة، وهذا الرضا يغلق نوافذ الشر منه، فإذا قال «ما شاء الله، لا قوة إلا بالله» فقد بطل الحسد فى الحال.

---

(١) سورة الفلق: ٥.

ويقول الشيخ الشعراوى:

إن نفثات فى الحسود بالأشعة اللامرئية مثلما يفكر العلماء الأطباء فى إجراء جراحة بأشعة الليزر دون إهدار دم المريض[1]، وهذا يتمشى مع أشعة الحسود اللامرئية أيضًا.

وفى هذا المقام: ما ذنب المقهور لسبب مادى لا يعرفه؟؟

ما ذنب المقهور لجور طائش، ما ذنب المقتول بالخنجر، والعصا، أو بالرصاص؟؟

❁❁❁

سألته -ﷺ- أسماء بنت عميس[2] -رضي الله عنها- فقالت: يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفأسترقى لهم؟:

قال: «نعم فإنه لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين»[3].

[٥٨٧]

التليفزيون حلال أم حرام؟

فى كثير من الآلات التى خلقها الله، لا نقول هذه حلال أم حرام.. السكين مثلاً لا نقول هى حلال أم حرام، لكن فى أى مجال نستعملها؟ المهم استعمالها واتجاه حركتك فيها... كذلك فالتليفزيون لن نقول: هو حلال أم حرام إلا إذا حددت اتجاه حركتك فيه، وهى التى يقال عنها: حلال أم حرام، هذا رأى الشيخ الشعراوى.

وكثيرًا ما ألقيت إعراضًا من بعض الشيوخ عن التليفزيون، حيث يحرمنه تحريمًا قاطعًا، ويرون أنه من الفتن المشينة، ولكنى كثيرًا ما قلت لهم وأقول دائمًا أن

---

(١) وهذا من محدثات الحضارة الطبية المعاصرة.

(٢) هى أسماء بنت عميس: الخثعمية، صحابية، تزوجها جعفر بن أبى طالب، ثم أبو بكر، ثم على، وولدت لهم، وهى أخت ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين) لأمها. ماتت بعد على -رضي الله عنه-.

(٣) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٤٣٨)، والترمذى (٢٠٦٢)، وابن ماجة فى السنن (٣٥١٠).

العبرة بتحديد الوجهة فى ذلك، واستقصاء النية، وكما قال نبينا الكريم -ﷺ-: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»[(١)].

يصبح التليفزيون حلالاً إذا ما خلصت النية فى الاستمتاع به، ولولا ذلك لما شاهدنا الصور والمشاهد العلمية الناطقة بالإيمان فى حركاتها وسكناتها، مثل «برنامج عالم الحيوان» الذى يعرض أنماطًا شتى لكائنات تشاركنا الحياة على صفحة الطبيعة، وهى جمعاء من مخلوقات الله جلت قدرته[(٢)].

[٥٨٨]

المناظر الخارجة بالتليفزيون

س: هل يحرم اقتناء التليفزيون نظرًا لما يعرضه، من مناظر خارجة عن أدب الإسلام؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

التليفزيون آلة ناقلة للصوت والصورة. فهو متاع من الأمتعة يجوز بيعه وشراؤه. والحرمة فى استعماله آتية من نوع ما ينقله كالأغانى الخليعة، والصور الماجنة، التى تفسد العقول والأجسام، فإن خلا من ذلك، وكانت الإذاعة الصوتية، أو المرئية مقصورة على القرآن، والحديث والمحاضرات الجادة، والبرامج الهادفة، والبرامج الترفيهية غير الخليعة، فهو مباح.

والإثم يكون على من قدم المنكر وأذن به، كما على من تعرض واستحله واستباحه.

[٥٨٩]

(لم وكيف؟)

مطلوبات الإيمان، ومطلوبات العلم.

---

(١) أخرجه البخارى (١/٢/١٠٦٦) وبألفاظ أخرى منها: إنما الأعمال بالنية (٨/٢٥٢/٦٦٨٩) و(٩/٤٠/٦٩٥٣)، ومسلم (١٥١٥).

(٢) إن الأحكام الشرعية تتعلق بأفعال البشر، ولا تتعلق بذوات الأشياء، فذوات الأشياء لا حكم لها، إنما الحكم على تناولها والتعامل معها، وهذا بموجب القاعدة المقررة عند الفقهاء التى مؤداها: «أن الحرمة إذا لم تتعين حلّت»، وهذا صحيح مثله مع كل ما كان له استعمالان فأكثر، واختلط الحلال بالحرام.

مطلوبات الإيمان قضاياه غيبية؛ لأنها لو حسية لا تحتاج إلى الإيمان. ليس مع العين غيب.

فالأمور الغيبية: هى التى تحتاج إلى إيمان.

والغيب الذى يحدثنى به القرآن، حدثه رسول صدق، عن إله حق.

لا تعطيك قضية واحدة خيرًا وشرًّا فتنة، لكى نرى من يقبل على الله رغبًا، والمغريات أمامه.

وإن وجدت «كيف» لا توجد «لم».

فى الغيبيات توجد «كيف» ولا توجد «لم»؛ لأن «كيف» تأتى للتجربة المادية، والعلم الغيبى الإيمانى ليسأل عن «لم» وليس «كيف»، مثل تكوين جزىء الماء من ذرتين من الأيدروجين وذرة أكسجين وهنا السؤال: كيف يتكون الماء؟ وليس لنا أن نسأل: لم ذلك؟

وهكذا عندما قال إبراهيم لربه ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[1] أجابه الحق: بتجربة عملية.

الكيفية فى وضوح تجربة.

[٥٩٠]

هل يحاسب الإنسان على النسيان؟

ورد عن النبى -ﷺ- مرفوعًا أنه قال: «رفع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[2].

والسؤال: هل النسيان يرخص للإنسان العفو، أو بمعنى آخر: هل يرفع عن الإنسان التكليف أو يصبح معذورًا فى الغفلة؟؟

يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

إن الحق حين شرع التوبة، وفتح باب القبول لها، يريد أن يجعل للإنسان

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٢) أخرجه الطبرانى فى معجمه عن ثوبان، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٧٣/ ٤٤٦١).

العذر فى الغفلة، والعذر للإنسان فى النسيان، والعذر للإنسان فتصيبه المعصية.. ولكن ذلك لا يعنى أن يستشرى فى باب المعصية، فشرع له التوبة، وبين أنه سبحانه أفرح بتوبة العاصى من أحدكم يقع على بعيره، وقد أضله فى فلاة - والبعير للعربى كل عدته وعتاده، وانقطع الأمل بضلاله، فإذا ما رجع بعيره فرح والله -وله المثل الأعلى- كذلك يفرح بعبده الراجع إليه بالتوبة، وذلك صيانة لسلامة حركة الحياة.

ويردف فضيلة الإمام الجليل:

إن كلمة النسيان كان يجب ألا يؤاخذ عليها آدم، لأن الله لم يكلفه بشىء إلا فيه نفعه، ونهاه عن شىء واحد هو الشجرة. إذن فالنهى عن شىء واحد، حتى لا تقول لقد تاه آدم بين المنهيات. وهذا أمر واحد، فإذا كان قد نسى الأمر الواحد، فقد نسى كل التكليف، وكان الواجب على آدم ألا ينسى الأمر الواحد الذى هو كل التكليف.

ويضيف فضيلة الإمام:

إن هناك من يقولون: إن آدم نبى، والأنبياء معصومون[1]، فلماذا يخطئ، ويعاقب بالهبوط من الجنة؟

نقول له: إن آدم أبو البشر، والبشر سينقسمون إلى قسمين: إلى رسل يبلغون رسالات الله، وإلى مرسل إليهم يستمعون رسالات الله، والرسل يجب أن يكونوا معصومين، لأنهم قدوة، لئلا تنهدم الأسوة، لكن القسم الثانى، وهو المرسل إليهم منهم الطائع ومنهم العاصى، وآدم أبو الصنفين، إذن يجب أن يكون فى التجربة ما يتمثل فى الصنفين: صنف العصمة بالنسبة لذريته من الرسل، وصنف تتأتى منه المعصية، كباقى ذريته.

وحين أكل آدم من الشجرة نسى. نسى ماذا؟

إن إبليس حينما أغواه قال: يا آدم، إن الله لم يمنعك من أن تأكل من هذه

(١) تنازع العلماء فى عصمة الأنبياء، فمن قائل إن عصمتهم مطلقة فى كل الأحوال، ومن قائل إن عصمة الأنبياء مقصورة على الأداء والتبليغ وحسب، وفى غير هذا المجال يكونون بشراً غير معصومين، ولا خلاف بين أهل العلم أن من طعن وقدح فى عصمة الأنبياء فى مجال البلاغ، يكون كافراً.

الشجـرة إلا رغبة فى ألا تكون من الخـالدين؛ لأنك لو أكلت منها ستخلد، ولا تموت، فكأنه ينبهه إلى أن الله يخدعه ﴿ **مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ** ﴾(١). إذن، لو أكلتما ستكونان ملكين، أو تكونان من الخالدين.

[٥٩١]

هل يثاب الإنسان على ما يحل به من محن ومصائب ؟!

هناك أناس لا يستطعمون متعة فى الحياة، إذ أن تركيب حياتهم متصل بأسباب من المحن والمصاعب والمتاعب، وما ذنب المقهور فى حياته لأسباب لا إرادية، كالطفل الوليد الذى غاب عن أحشائه عضو (كالبنكرياس)، ويعيش طول حياته على حقن مادة الأنسولين طوال عمره، من الطفولة حتى الموت... ما ذنبه فى هذا؟ فهل مثل هذه الكوارث والنوازل التى تحل بالإنسان فى حياته تدخر، وتحتسب عند الله فيثاب عليها؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى:

الحق سبحانه وتعالى يريد أن ينبها إلى أن كل ما يحدث من الله جل شأنه فى كل أمر خارج عن اختيار الإنسان بالنسبة للمؤمن فهو خير، وذلك جلى فى الآية الكريمة فى قوله تعالى:

﴿ **قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا** ﴾(٢)، ولم يقل: ما كتب الله علينا والمصيبة تقع على الشخص، وليست له، أما الشىء النافع إنما يقع له وليس عليه.. فلو قال سبحانه وتعالى أو استخدام لفظ (علينا) لكان معنى ذلك -ما يحدث تعتبره شرًا هو علينا، أى: نعتبره شيئًا ضارًا، لكنه سبحانه وتعالى قال: ﴿ **لَنَا** ﴾ إذن هو شىء يحسب لنا، فإذا أراد الله أن يعطينا شيئًا لنا فنحن أحيانًا بمقاييسنا قد نعتبر هذا الشىء سرًا، ولكنه فى الحقيقة خير، وهو لنا لا علينا.

فالسفينة التى خرقها العبد الصالح لينجيها، ويجنبها الوقوع فى يد ملك

---

(١) سورة الأعراف: ٢٠.

راجع تفسير الطبرى (١٢/ ٢٤١)، والقرطبى فى الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٨٠).

(٢) سورة التوبة: ٥١.

ظالم، والحائط الذى بنى؛ ليمنع عن أهل القرية اللئام الكنز الذى يملكه طفلان يتيمان.

ومتاع الدنيا مقياسه بقدرة البشر، ولكن متاع ونعيم الآخرة هو على قدرة الله تعالى، بل يشترى بكل ما لديه ما يمتعه بقدرة الله تعالى.

[٥٩٢]

رؤيته -ﷺ- فى المنام

س: هل يظهر الرسول -ﷺ- فى الأحلام بصورته الحقيقية.. أم أنه طيف؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى فيقول:

إن أى شىء يأتى فى الرؤيا على أنه الرسول -ﷺ- فهو الرسول.. فما دام قيل فى الرؤيا، أو استقر فى بالها أنه الرسول فإنه هو -ﷺ-.

تأتى الأمور على وفق ما يشتهى الإنسان، وإنما اللطف يأتى على وفق ما يريده الحق سبحانه وتعالى.

[٥٩٣]

متى يسقط التكليف ؟

نعلم أن كل رسالات السماء نزلت بالمناهج القويمة؛ لإسعاد الإنسان وراحة لقلبه، وكل منهج لم يخل من ترهيب وترغيب، وكل منهج من هذه المناهج جاء بتكليف معين خالص، وكل تكليف نزلت به دعوة وتضمنه منهج لابد أن يكون فى مقدرة البشر الملقى به إليهم أن يطيعوه ويتقبلوه ويلتزموا به، ذلك؛ لأنه التكليف لو كان فوق الطاقة، وفوق المقدرة لما أمر الله به، ولكن من الذى يقرر أن هذه التكاليف مناسبة لمقدرة الإنسان، وإمكانياته، إنه خالق كل شىء سبحانه، لأن يعلم كل أسرار هذا البدن الآدمى، وتلك الروح البشرية التى نفخ منها فيه ذلك أن الحق تبارك وتعالى هو الذى جمع شتات الإنسان، وركب أسراره فى هيكله السوى المستقيم.

ولم يأت منهج بغير تكليف، ولم يرد تكليف بسوء أو بشر للناس، إنما جاء لإسعاد الناس، وهندسة المجتمعات وترويض الخير، وانتشاره فى ربوع النفوس.

والسؤال الآن:

س: من الذين يسقط عنهم التكليف؟

يقول فضيلة الشيخ الشعراوى:

إن التكليف منشؤه وجوب الاختيار، فللإنسان القدرة فى (أن يفعل) وله القدرة (ألا يفعل).

لذلك فالمكره يسقط عنه التكليف، وكذلك المجنون، أو ناقص العقل، وغير البالغ، أى الذى لم يبلغ الحلم.

ويضيف الإمام الجليل:

ولا تكليف إلا بالبلوغ، أو نضج العقل، أو ذهاب الجنون.

لأن قانون الاختيار بين البديلات غير موجود.

ومناط التكليف لابد أن يكون فى أمور اختيارية، إذ أن الأمور غير الاختيارية، لا تكليف فيها، إذ أن الإنسان لا دخل له فيها.

ويعزى الشيخ الشعراوى:

كل فساد فى الكون ناشئ من الأمور الاختيارية التى تصدو من الإنسان والتى يملك فيها (افعل) (ولا تفعل)، ومنطقة الاختيار هذه هى أساس كل شقاء، وكل فساد، وكل تحلل فى الكون، أما الأشياء غير الاختيارية التى لا تصل إليها يد الإنسان، فهى منسجمة مع بعضها ومع الطبيعة.

ولا ينشأ هذا الفساد، وهذا التحلل إلا إذا خالف.

[٥٩٤]

حكم التصوير

الإخوة من بعض العلماء المسلمين يقولون: إن الصور محرمة إطلاقًا فى جملتها، وهى تمنع من دخول الملائكة مثلها مثل الكلاب، إذ أن جبريل -عليه السلام- قال للنبى -ﷺ-: «نحن الملائكة لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب»... وأخذوا الأمر على إطلاقه، ويرى البعض أن الأمر مقصور على الصور البارزة

والصور اليدوية التى تصنعها يد الإنسان، وآثرت أن أعرض القضية برمتها على فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، فقال لما ناقشته فى حكم التصوير:

هذه الصور الفوتوغرافية ظلال مطابقة للأصل، وليس فيها أى تحوير، أو تغير عن الأصل.

ويرى الشيخ الشعراوى أن الصور الفوتوغرافية لا بأس منها، طالما أنها خالية من التكوين، بعيدة عن التحوير عن الأصل.

[٥٩٥]

آل بيت النبى -ﷺ-

س: كيف كرم الله ورسوله أهل البيت النبوى؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

ملايين الملايين من المسلمين فى غابر أزمانهم، ولاحق أعمارهم، وكل من ينطق بلا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، ممتلئ قلبه حبًّا واعتزازًا لآل البيت النبوى الكريم: بما لهم من منزلة فى القلوب، ومكانة فى النفوس؛ لأنهم الدوحة الطيبة، والمنبت الأصيل، والفرع الكريم لشجرة النبوة، هم محط الرسالة، من أفواههم تتفجر ينابيع الحكمة، ومن قلوبهم تفاض الرحمة، إن نطقوا صدقوا، هم موضع سر النبى -ﷺ-، وملجأ أمره، ولهذا فهم أساس الدين، وعماد اليقين - خطب الإمام الحسن(١) -رضي الله عنه-، فقال: نحن أئمة المسلمين، وحجج الله على العالمين، وسادة المؤمنين، وقادة الغر المحجلين، وموالى المسلمين، وأهل البيت هم الذين يقول الحق سبحانه وتعالى فى شأنهم: **﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**(٢) وعن أم سلمة -رضي الله عنها-، أن النبى -ﷺ-، كان فى بيتها على منامة له، عليه كساء خيبرى، فجاءت فاطمة -رضي الله عنها- بطعام، فقال النبى -ﷺ-: **«ادعى زوجك وابنيك حسنًا وحسينًا»**، فدعتهم، فبينما هم،

---

(١) هو الإمام الحسن بن على -رضي الله عنهما-.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٣.

انظر الطبرى (٢١/ ٣) ومختصر ابن كثير (٣/ ٩٤، ٩٥).

يأكلون إذ نزلت على النبى -ﷺ- الآية الكريمة فأخذ النبى -ﷺ- بفضلة كسائه فغشاهم إياها ثم أخرج يده من الكساء، وألوى بها إلى السماء ثم قال: «**اللهم هؤلاء أهل بيتى وخاصتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا**»(١). قالها ثلاثًا، قالت أم سلمة: فأدخلت رأسى فى الستر، فقلت: يا رسول الله، وأنا معكم، فقال: «**إنك على خير**»(٢). هؤلاء أهل البيت الذين تشرفت بهم الدنيا واستنارت بهم القلوب، كان جبريل ينزل فى بيتهم، ويصعد من عندهم، يقول الإمام الحسن -رضي الله عنه-: «إنا أهل البيت أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا وأذهب عنا الرجس وطهرنا تطهيرًا، لم يفترق الناس فرقتين إلا جعلنا الله فى خيرهما من آدم إلى جدى محمد -ﷺ-. فلما بعثه الله للنبوة، واختاره للرسالة، وأنزل عليه كتابه، ثم أمره بالدعاء إلى الله عز وجل، كان أبى أول من استجاب لله ولرسوله، وأول من آمن وصدق الله ورسوله -ﷺ-. ولقد قال الله فى كتابه المنزل على نبيه المرسل: ﴿**أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ**﴾(٣) يقول «فجدى الذى على بينة من ربه»(٤). وأبى الذى يتلوه وهو شاهد منه وآل البيت الذين أمرنا الله بمودتهم، وحسن معاملتهم قال الله لنا على لسان نبيه: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾(٥) فالنبى -ﷺ- لم يطلب على تبليغ الدعوة أى مال، ولم يتطلع إلى جاه وإنما طلب مودة قرباه ورعاية أمورهم، وهذه المودة مطلوبة من كل مسلم. وفى هذا السياق خطب النبى -ﷺ- فقال: «**أذكركم الله فى أهل بيتى**». قالها ثلاثًا -فقيل لزيد بن أرقم راوى الحديث: من هم أهل البيت قال: «**من حرمت عليهم الصدقة**». من اقترب منهم وعاش فى رحابهم وامتلأ قلبه بحبهم، وتخلق بأخلاقهم، وعمل بأعمالهم، حشر معهم».

روى الحاكم فى المستدرك أن أبا ذر أخذ بباب الكعبة، ثم قال: «من عرفنى فأنا من عرفتم. ومن أنكرنى فأنا أبو ذر. سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**مثل أهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا. ومن تخلف عنها غرق**» إن تمثيلهم بسفينة

---

(١) من أولى بالتطهير من الأدناس والأرجاس - من آل بيته -ﷺ-؟

(٢) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٣٠٤، ٣٢٣).

(٣) سورة هود: ١٧.

(٤) راجع «أسباب النزول» للواحدى بتحقيق السيد الجميلى.

(٥) سورة الشورى: ٢٣.

نوح صريح في وجوب اتباعهم. لأن من اتبع أهل البيت أصاب الحق ونجا من سخط الله وفاز برضوانه، ومن خالفهم هلك ووقع في سخط الله. فمن لجأ إليهم في الدين، وأخذ عنهم القواعد والأصول، فقد أخذ بالحق ومن أبغضهم، وترك العمل بهديهم والتخلق بأخلاقهم، فهو منافق.

خطب الإمام الحسين -ﷺ- فقال: «نحن حزب الله الغالبون، ونحن عترة رسوله الأقربون، ونحن أهل بيته الطيبون، ونحن أحد الثقلين اللذين خلفهما جدي -ﷺ- في أمته. ونحن ثاني كتاب الله فيه تفصيل كل شيء لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد». «وهو يشير إلى قول رسول الله -ﷺ- فيما رواه زيد بن أرقم **«أنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به»**. فحث على كتاب الله، ورغب فيه، ثم قال: **«وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»**.

«إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن تبعتموهما، وهما كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تتقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا، ولا تعلوهم فإنهم أعلى منكم» يقول الإمام علي -كرم الله وجهه-: «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتبعوا أثرهم، فإنهم يخرجون بكم إلى هدى ولن يعيدوكم في روى فإن لبدوا فالبدوا، وإن نهضوا فانهضوا. ولا تسبقوهم فتضلوا، ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» ومن كلامه -كرم الله وجهه-. يذكر أهل البيت «هم عيش العلم وموت الجهل، يخبركم حلمهم وعلمهم، وظاهرهم عن باطنهم، وصمتهم عن حكم منطقهم، لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه، هم دعائم الإسلام، وولائم الاعتصام، بهم عاد الحق إلى نصابه وانزاح الحق عن مقامه، وانقطع لسانه عن منبته، عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية. لا عقل نخاع ورواية. فإن رواة العلم كثير.. ووعاته قليل».

فالواجب على المسلم أن يمتلئ قلبه بحبهم، وأن يحسن إليهم، ويجعلهم في الكلام ويذكرهم بالتقدير، فعن رسول الله -ﷺ-: **«استوصوا بأهل بيتي خيراً، فإني أخاصمكم عنهم غداً، ومن أكن خصيمه أخصمه الله، ومن أخصمه الله أدخله النار»**.

ولقد توفى لصفية بنت عبد المطلب[١] -رضي الله عنها- ولد، فبكت عليه فقال لها رسول الله -ﷺ-: «**تبكين يا عمة، من توفى له ولد فى الإسلام كان له بيت فى الجنة**» فلما خرجت لقيها زوجها، فقال لها: إن قرابتك محمدًا لن تغنى عنك من الله شيئًا، فبكت فسمع النبى -ﷺ- صوتها ففزع من ذلك فخرج، وكان -ﷺ- مكرمًا لها يبرها ويحبها، فقال لها: يا عمة تبكين، وقد قلت لك ما قلت. قالت: ليس ذلك أبكانى وأخبرته بما قال الرجل، فغضب -ﷺ- وقال: «**ما بال أقوام يزعمون أن قرابتى لا تنفع!! إن كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا حسبى ونسبى وأن رحمى موصولة فى الدنيا والآخرة**». وهذا الذى دعا عمر بن الخطاب أن يتزوج بالسيدة أم كلثوم بنت الإمام على، وكانت صغيرة السن. وقد ألح عمر على الإمام على. حتى رضى بذلك، وقد خطب عمر -رضي الله عنه- فقال: أيها الناس، والله ما حملنى على الإلحاح على عَلِيٍّ فى ابنته إلا أنى سمعت رسول الله -ﷺ- يقول: «**كل حسب ونسب وصهر ينقطع يوم القيامة إلا حسبى ونسبى وصهرى**».

[٥٩٦]

فضل الإمامين الحسن والحسين -رضي الله عنهما-

يقول الشيخ الشعراوى:

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**حسين منى** (أى بضعة ونسبًا) **وأنا من حسين**»[٢] أى محبة وتقديرًا وحسبًا، وفى قوله -ﷺ-: «**الحسن والحسين سبطان من الأسباط**»[٣] تنويه بشرفهما، وعظم مجدهما، وفى قوله -صلوات الله وسلامه عليه-: «**أحب الله من أحب حسينًا**»[٤]: على أن الجملة -خبرية، أو دعائية- إفادة عظم الثمرة لمحبة الحسين -رضي الله عنه- فما أعظم محبة الله تعالى، وفيها الخير كله، ومن ذلك -الوقاية من شر الدنيا- وضررها، وفتنتها، وتيسير الصالحات، ومنها - حلمه، وعفوه، فقد جنى بعض مواليه جناية توجب التأديب، فأمر بتأديبه، فقال له: يا مولاى، قال الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِين**

---

(١) هى صفية بنت عبد المطلب، عمة رسول الله -ﷺ-، سيدة قريشية، وشاعرة جليلة، أسلمت قبل الهجرة، ثم هاجرت إلى المدينة، وأثر عنها قصائد جليلة فى غاية الجودة لاسيما المرثيات وماتت فى المدينة سنة عشرين للهجرة -انظر الإصابة كتاب النساء ت٦٥١ والتبريزى (٤/ ١٤٧) والأعلام (٣/ ٢٠٦).

(٢) المسند (٤/ ١٧٢). (٣) المسند (٤/ ١٧٢). (٤) المسند (٤/ ١٧٢).

﴿الْغَيْظَ﴾[١] فقال عليه رضوان الله تعالى: خلوا عنه، فقد كتمت غيظى، فتلا ذلك العبد - الآية، المذكور فيها ذلك القول السابق، فعند ذكره قوله تعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾[٢] قال الحسين -عطر الله مثواه-: قد عفوت عنك، فأتم العبد الآية: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. فقال الحسين -رضي الله عنه-، وأرضاه-: للعبد: أنت حر لوجه الله تعالى.

وكان رضوان الله عليه -يقاتل مع أبيه -رضي الله عنه- أصحاب الجمل، فجنود معاوية، فالخوارج، وينتقل -مع جيوش المسلمين- إلى أقطار الأرض، فى فتح أفريقية، وغزو قسطنطينية، وغيرهما.

يوم الطف -يوم كربلاء- وهو اليوم الذى استشهد فيه -رضي الله عنه- رفع يديه، فقال: اللهم أنت ثقتى فى كل كرب، ورجائى فى كل شدة، وأنت لى -فى كل أمر نزل- ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته إليك. رغبة منى إليك عمن سواك، ففرجته، وكشفته، وكفيتنيه، فأنت ولى كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة. والطف: هو الموضع الذى يعرف أيضًا بكربلاء، فى أرض العراق.

حدث أن كان الحسن والحسين يصطرعان فكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **«ويها يا حسين»**، فقالت فاطمة: «يا رسول الله، لم لا تقول يا حسن؟» فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **«إن جبريل -عليه السلام- يقول ويها يا حسن»** -وويها كلمة إغراء وتحريض- فسرى عن فاطمة -رضي الله عنها-، وابتسمت حين عرفت ذلك».

ولد الإمام الحسن بالمدينة عام ٣هـ ودفن بالبقيع عام ٥٠هـ -ولد الإمام الحسين[٣] عام ٥هـ بالمدينة واستشهد عام ٦١هـ بكربلاء العراق، نقل رأسه الشريف إلى مصر عام ٥٤٨هـ[٤].

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

كظم الغيظ: حبسه. ويكون ذلك بالصبر، وقوة العزيمة والاحتمال.

(٢) سورة آل عمران: ١٣٤.

(٣) راجع ترجمة الحسين بن على فى: «حلية الأولياء»، و«صفة الصفوة»، و«الإصابة» لابن حجر، و«تاريخ الإسلام» للذهبى.

(٤) انظر كتاب: «استشهاد الحسين» للإمام الطبرى بتحقيق السيد الجميلى.

وألقاب الحسين كثيرة منها: الرشيد، الطيب، الزكى، الوفى، السيد، المبارك، السبط، التابع لمرضات الله، وأعلاها رتبة ما لقبه به -ﷺ- فى قوله عنه وعن أخيه «**أنهما سيدا شباب أهل الجنة**»(١) وكذلك السبط فإن صح عن رسول الله -ﷺ- أنه قال: «**حسين سبط من الأسباط**» أى أمة من الأمم.

يقول الرسول -ﷺ-: «**أحشر أنا والأنبياء فى صعيد واحد، فينادى معاشر الأنبياء، تفاخروا بالأولاد فأفتخر بولدى الحسن والحسين**»(٢).

وعن حذيفة بن اليمان(٣) -رضي الله عنه- قال: رأيت رسول الله -ﷺ- آخذاً بيد الحسين بن على وهو يقول: «**أيها الناس هذا حسين بن على بن يعقوب، هذا الحسين جده فى الجنة، وأبوه فى الجنة، وأمه فى الجنة، وعمه فى الجنة، وعمته فى الجنة، وخاله فى الجنة، وخالته فى الجنة، وأخوه فى الجنة، وهو فى الجنة**»(٤).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كنا مع رسول الله -ﷺ-، وإذا بفاطمة -رضي الله عنها- قد أقبلت تبكى، فقال لها النبى -ﷺ-: «**ما يبكيك؟ لا أبكى الله لك عينًا**» فقالت: يا أبت، إن الحسن ليسقى البستان، وقد استوحشت لهما، قال -ﷺ- لها: «**لا اذهب فاطلبهما، وأنت يا سلمان**» ولم يزل يوجه حتى مضت طائفة فى طلبهما، فرجعوا ولم يصيبوهما فقام النبى -ﷺ-، ووقف على باب المسجد وقال: «**إلهى بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفوتك، إن كان قرتا عينى فى بر، أو بحر، أو سهل، أو جبل فاحفظهما وسلمهما لأمهما فاطمة سيدة نساء العالمين**» فنزل الأمين جبريل وقال: «السلام عليك يا رسول الله، الحق يقرئك السلام ويقول لك: لا تحزن ولا تغتم، الغلامان هما الفاضلان فى الدنيا والآخرة، وهما سيدا شباب أهل الجنة، وأنهما فى حديقة بنى النجار، وقد وكلت بهما ملكًا يحفظهما، إن قاما، أو قعدا، أو ناما، أو استيقظا!» ففرح النبى -ﷺ- فقام ومعه صحابته حتى دخل الحديقة، فوجدهما نائمين فجثا النبى -ﷺ- على ركبته، وانكب عليهما يقبلهما ويقول «حبيبى، حبيبى» حتى استيقظا فحملهما

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند (٣/٣، ٦٢، ٦٤، ٨٢) والترمذى (٣٧٦٨) عن أبى سعيد، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢/ ٢٣٢/ ٣٨٢٠).

(٢) لشرفهما وكرامتهما عند الله تعالى وعند الناس أجمعين.

(٣) هو حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-.

(٤) وهذا شرف عظيم لا نظير له.

النبى -ﷺ- على كتفيه، الحسن على عاتقه الأيمن، والحسين على عاتقه الأيسر، وكان يقول كلما قبلهما: «**من أحبكما فقد أحبنى، ومن أبغضكما فقد أبغضنى**[(١)]» فقال أبو بكر -رضي الله عنه-: «أعطنى أحمل أحدهما يا رسول الله» قال: «**نعم المطى مطيهما، ونعم الركبان هما**» ولم يزل النبى -ﷺ- سائرًا حتى دخل المسجد، وبعث بهما إلى ابنته، ففرحت البوحة والهزة وتولاها السرور والحبور.

وقد كان الحسين ملء العين والقلب من خلق وفى أدب وسيرة، وكانت فيه مشابهة من جده وأبيه، إلا أنه كان فى شدته أقرب إلى أبيه. كان كثير الصوم والصلاة والحج، فقد حج خمسًا وعشرين حجة ماشيًا على قدميه، كان متواضعًا يجالس المساكين.

رُبى الحسين -رضي الله عنه- بين رسول الله -ﷺ- أفصح من نطق بالضاد، وأمير المؤمنين الإمام على الذى كان كلامه بعد كلام الرسول -عليه السلام-، وفاطمة الزهراء التى تفرغ عن لسان أبيها -ﷺ- فلا غرو إن كان أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء.. وقد تعلم فى صباه العلم والأدب والفروسية.

[٥٩٧]

قمة العبودية لله

س: ما هى قمة العبودية التى يجب أن يكون عليها المؤمن، حتى تطمئن جوارحه، وتستشعر رضى الحق سبحانه وتعالى بالعطاء المستمر المتصل؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام:

لو أن كل أمر يتطلب لتنفيذه أن تقف عند حكمته، وتقتنع به فإن ذلك يفسد معنى العبودية الحقة، إنما العبودية أن تأخذ الأمر من الله بعد أن وثقته، وأن تثق تمامًا كل الثقة فى أن ذلك أحكم ما يوجه فى هذا الموضوع.

وبعد ذلك إذا أقبلت على الأمر بهذه النية، تكون قد أخذت قمة العبودية لله، وبعد ذلك قد يطلعك الله على أسرار أحكامه، وتفيض عليك إشراقات، فالذين قالوا: حكمة الصلاة، حكمة الصوم، أو حكمة الزكاة، هم قوم نفذوا الأمر أولاً، ثم أدركوا فى نفوسهم ما يعطيه هذا الأمر من عطاءات فى نفس

---

(١) البغض: هو الكراهة، ومن يبغض رسول الله -ﷺ- لا شك فى هلاكه.

الإنسان، فقالوا: لكذا وكذا، فرض أركان الوضوء أربعة، غسل اليدين إلى المرفقين، والوجه، ومسح الرأس والقدمين. فلما أفتى الرجل نفسه فى هذه السنة، أدرك أنه لابد أن يكون هناك حكمة، ولاشك أن الرسول يعرف خواص الماء السائل الذى لا لون له ولا رائحة، فحين يأخذه بيديه يرى أنه لا لون له، وعندما يتمضمض يعرف أنه لا طعم له، فإذا استنشق يعلم أنه لا رائحة له، إذن، فهو ماء صالح للوضوء، إذن فلعل الأسباب وأحكامها لا تأتى أولاً قبل أن تنفذ، ولكن نفذه أولاً.

[٥٩٨]

الفلاح فى التقييد بالتكليف

س: لا يخلو تكليف من التكليفات من تقييد وتحديد فى كل الديانات السماوية علىَ اتساع مداها، واتصال منهجها لإسعاد البشرية بقصد انتشالها من كبوات التحلل، وانتياشها من حمأة الابتذال، فكيف يكون الفلاح فى التقييد؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

كلمة فلح تؤدى معنى القطع.. والحديد يفلح أى: يقطع، وكلها معنى حركة، تستدعى شق متلازم جامد، والفلاح حين فلح الأرض قلد أباه، عن أبيه، عن آدم، لكن آدم حين فلح الأرض قلد من؟ إنه علمه من الله، كما علم الأسماء إن كل شيء فى الوجود أصله معلمة من السماء، لأن الله لا يخلق آدم ليباشر مهمته فى الأرض إلا إذا علمه كيف يزاولها.. أو على الأقل علمه بداءات هذه المهمة.

قال تعالى: ﴿ **أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ** ﴾[1].

فالتكليف يضيق على الإنسان، والله يعلمه أن التكليف يوسع عليه؛ لأنه إن ضيق عليك فى الفانية، فسيعطيك فى الباقية.

(١) سورة الواقعة: ٦٣-٦٥.

راجع تفسير القرطبى (١٧/ ٢١٩) والطبرى (٢٧/ ١١٤) والبحر المحيط (٨/ ٢١١) والدر المنثور (٦/ ١٦٠) والتسهيل لعلوم التنزيل (٤/ ٩٢) وحاشية الصاوى على الجلالين (٤/ ١٦٤) وتفسير الخازن (٤/ ٢٣).

فالأرض التى تبذر فيها بذرة واحدة تحصل منها على سبعمائة حبة، وإذا كانت الأرض وهى المخلوقة تعطيك أضعاف ما تعطيها، فكيف بالخالق؟ ألا يعطيك أضعاف ما أعطيته؟

[٥٩٩]

لماذا كانت أمة أمية أعدت لرسالة الإسلام؟

س: هذا السؤال مثار استفسار ومدار استغراب من الكثيرين... لماذا أمة أمية قد أعدها الله لتحمل رسالة الله ومنهجه لأقطار الدنيا كافة؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

كان من إعداد الله للجزيرة العربية أن تستقبل الإسلام، وهى جزيرة أمية؛ لأن الله لا يريد انطلاقة تنشأ من أمة متحضرة، فربما قيل: أن الدعوة نتيجة لحضارة، وكان لابد أن توجد.

فلم يشأ الله أن يكون الإسلام هكذا، فربما قال قائل: قفزة حضارية، لكن أراد أن يجىء الإسلام من نبى أمى، فى أمة أمية، ليعلم الناس جميعًا أن كل ما عندهم لا يد لهم فيه، وإنما هو من عند الله وحده.

لذلك يجب أن نعلم أن الذين يتكلمون فى أمية محمد -ﷺ- ويقولون: يجب أن تمحى هذه الكلمة، فلا يقال: نبى أمى، فى أمة أمية، نقول لهم: افطنوا يا قوم؛ لأن الله يريد أن يقول للعالم: إن محمدًا وأمة محمد لم يأخذوا من حضارة الدنيا شيئًا، وإنما جاء كل منهجهم من السماء، فلا دخل لأحد فيه، ولا بالنسبة للرسول الذى أنزل عليه، ولا بالنسبة للقوم الذين أنزل إليهم.

[٦٠٠]

المخلفون يوم تبوك

س: لماذا سمح رسول الله -ﷺ- للمخلفين يوم تبوك؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ

لَهُمْ﴾[١]. . الحق سبحانه وتعالى عندما يقدم كلمة العفو، كان يجب أن تقطع كل شيء معنى عفا الله عنك. . هذه المسألة منهية، لكنى أقول لك ذلك؛ لكى يعامل أناسًا آخرين ليس عندهم وحى. . إذن ليس كل واحد يأخذ حكمًا من هذه.

﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾[٢] إذن فالرسول عنده من يعدله، لكن غيره لم يكن كذلك، فتبقى العلة أنك لم تأذن فى هذه المسألة؛ حتى يتبين لك الذين صدقوا تكون يقظًا، ولكن هذا إن وجد من يصحح له أمثالنا، وأمثال أتباعه لم يجدوا من يصحح لهم.

[٦٠١]

شمولية الرزق

س: هل الرزق ما يتعلق فقط بالأموال، أم أن هناك شمولية فى مفهوم الرزق؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: يظن البعض أن الرزق هو ما يتعلق بالأموال والنفعيات من أرض وخير فنقول: لا. . إن الرزق هو ما انتفع به، فالقوة رزق، وكل ما فيه حركة للحياة رزق، فلا تقل أنا ليس عندى مال لأنفق منه، لديك عافية؛ فتصدق بالعافية، على العاجز.

عندك حلم. . أنفقه للأخرق. عندك علم. . أنفقه للجاهل.

إذن فقوله تعالى: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٣] تستوعب كل أقضية الحياة، وكل كمالات الوجود حتى لو ذهبت إلى إنسان لا يجيد صنعة شيء، فاصنعه له لأنك تجيده.

إذن فإجادة الأشياء رزق أيضًا.

---

(١) سورة التوبة: ٤٣.

(٢) سورة التوبة: ٤٣.

(٣) سورة البقرة: ٢ وسورة والأنفال: ٣ وسورة الحج: ٣٥ وسورة القصص: ٥٤ وسورة السجدة: ١٦ وسورة الشورى: ٣٨.

انظر مختصر ابن كثير (١/ ٣٠) و(٣/ ١٨) والطبرى (٢٠/ ٥٨).

[٦٠٢]

العــدل الحقيقــى

س: فى أطوار التاريخ المختلفة قديمها ومعاصرها يضيع الحق والعدل بين الناس؛ مما تتعذر معه راحة الإنسان، فما هو العدل الحقيقى؟

(جـ): العدل الحقيقى هو ما كلفنا الله به.. والعدل ليس صفة يتطوع بها العادل، وإنما تعنى أن العادل يمسك ميزانًا صنعه له غيره، وهو الله جل شأنه، فالعادل ليس متطوعًا من عنده بتطبيق ما يراه.. وإنما بتطبيق ما وضعه الخالق، ولذلك قلت وأقول: إن ميزة الإيمان أنه لا يجعلك دائمًا تتحكم فى أو أتحكم فيك، وإنما أنا وأنت محكومان لله.

[٦٠٣]

عبقــرية محمــد -ﷺ-

س: وضع الأستاذ عباس محمود العقاد سلسلة العبقريات لتحليل الشخصيات الإسلامية الكبيرة تحليلاً نفسيًا وأدبيًا وعلميًا وتعرض إلى (عبقرية محمد -ﷺ-)، وعبقرية الصديق، وعبقرية عمر، وعبقرية خالد.. إلخ.

فما رأى الشيخ الشعراوى فى ذلك؟

(جـ): يقول فضيلة الإمام: حينما كتب المرحوم الأستاذ عباس محمود العقاد (سلسلة العبقريات) يعلم الله إننى ذهبت إليه، وقلت له: إن جاز أن تقول عن صحابى (عبقرية الصديق) و(عبقرية عمر) فلا يجوز أن تطلق على رسول الله -ﷺ- (عبقرية محمد) ذلك لأن محمداً ليس له شىء فى هذه العملية، ومن هنا فقد أكد الله على أميته، وتأكيده على أميته رفعة لشأنه، لأن غير الأمى قصاراه أن يأخذ من ثقافات البشر.. فالله يريد أن يجعله أميًا.. أى لا يأخذ من ثقافات البشر، أى أن ما جاء به ليس من ثقافات البشر، وإنما من السماء!!

يعنى هو يعلى ويرتقى شأن مصدره الثقافى.. أليس كذلك والناس يظنون أننى حينما أقول: (أمى) أنى أنتقص، لا، أمية بالنسبة لى تعنى نقصًا، ولكن أمية بالنسبة له كمال، فكل ما عنده جاء به من عند ربه!! إننى هنا ارتفعت بقيمة المصدر.

وبعد ذلك قال: إن هناك أمة أمية. لأن الأمة هى التى تحمل الرسالة، وتحمل نظام الحكم، ثم تنساح الدنيا، وبعد ذلك تدهش العالم، وبالتالى، فهذه ليست قفزة حضارية، لأن الأمة الأمية ليس عندها شيء، فحينما تسأل: من أين جاءت بكل هذا؟ نقول لك: من السماء؟؟ إنما لو كانت مسألة حضارية، ولو كان حدث ذلك فى بلاد فارس أو بلاد الروم.. كنا نقول: إنها قفزة حضارية مثل القفزات التى تحدث، ولكنها حدثت فى بلاد العرب، فى أمة أمية، ولذلك يرد الله على مثل هذا فى قوله تعالى: ﴿**قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾[1].

ثم من الذى يؤجل عبقريته حتى سن الأربعين؟ ونحن نعلم أن العبقريات تأتى فى آخر العقد الثانى، والعقد الثالث.. هل هناك إنسان تكون لديه عبقرية، ولا تظهر عنده إلا فى سن الأربعين؟ يقولون: لا، كانت عنده العبقرية وانتظر حتى يفجرها بعد النضج. نقول لهم: ومن كان يدريني أنه كان سيعيش إلى أن يفجرها والناس يتساقطون من حوله، هذا يموت فى سن كذا، وذاك فى سن كذا... إلخ.

من ذا الذى يضمن له أنه سيبقى حتى سن الأربعين، ثم يفجر عبقريته؟ إذن فكلمة عبقرية بالنسبة للبشر جائزة لماذا؟ لأن معناها أنه سيظل يتأثر بمن حوله، ثم يحاول أن يؤثر فيمن حوله من البشر.

إذن فقول العقاد صحيح عن الصحابة، ولكن عن الرسول -ﷺ- غير صحيح؛ لأن ثقافته ليست من البشر، إنما ثقافته علوية من السماء.

[٦٠٤]

الموجودات مقهورة للإنسان

س: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[2] وقال: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾[3] فالإنسان هو الكائن الأصيل فى الكون، وقد

---

(١) سورة يونس: ١٦.

(٢) سورة الإسراء: ٧٠.

الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٣٠٨).

(٣) سورة البقرة: ٢٩.

كرمه الله وسخر له ما فى البر والبحر لقوله تعالى أيضًا: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾[1]. ففى قوله: ﴿لَكُمُ﴾ وقوله: ﴿ذَلُولاً﴾ ما يبين ويجلو مدى تسخير مخلوقات الله لمخلوق الله، وهو الإنسان ويأتى السؤال: لماذا سخر الله كل هذه الموجودات وقهرها لخدمة الإنسان؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: نلاحظ أن الله تبارك وتعالى يقول: «خلق لكم» أى لكل الناس، وليس للمؤمنين فقط، وفى الحديث القدسى يقول الله تعالى: «**يا ابن آدم خلقت الأشياء من أجلك وخلقتك من أجلى، فلا تشتغل بما هو لك عما أنت له**». هذا الحديث القدسى يدفعنا للتساؤل: هل قوتى هى التى دفعت المخلوقات الأخرى لخدمتى، فأنا لا أستطيع أن أسيطر على الشمس والقمر أو الهواء أو الماء، فهى تخدمنى بغير قدرتى، فكان يجب أن أتنبه له ولى.. إذن، لماذا خلق الله الإنسان؟

قال تعال: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[2]. وخلق الله سبحانه وتعالى الإنسان، ليبين أنه يسخر الأقوى للأضعف، فلا يسخر الإنسان الأشياء بالطاقة والقدرة، ولكنه يخرج عن طاقته وقدرته، وتجد أن كل هذه الأجناس ليس لها حرية ولا اختيار لتخدمنى، ولكنها مقهورة على خدمتنا، فلا تستطيع الشمس، ولا الهواء أو الماء أن ترفض خدمتى وذلك؛ لأن حياتنا تترتب عليها.

فالحق سبحانه وتعالى جعل هذه الأشياء فى خدمتنا؛ حتى تتجلى قوة القهر وتبدو سيادة الحق على ملكه، وعلى مخلوقاته بقدرته العالية فى أن يسخر الأقوى للأضعف بدون حول منه ولا قوة وبعد ذلك جاء لهذا الإنسان، وقال له: لقد سخرت لك كل هذه الأشياء لتخدمك وعليك أن تطيعنى حبًا لى، فالمخلوقات الأخرى مقهورة بالقدرة وبلا اختيار، ولكنى جعلت لك بعض الاختيار فإن شئت أجبتنى وآمنت بى وإن شئت لا تفعل.. إذن الله يطلب منا أن نحبه مختارين، ونحن قادرون بأن نفعل ذلك أو لا نفعل، فهناك فرق بين الخضوع والانفعال والقهر وبين الحب.

---

(١) سورة الملك: ١٥.

مناكب الأرض: جوانبها، وهو قول الفراء ومنذر بن سعيد والكلبى ومقاتل على ما فى القرطبى (١٨/ ٢١٥) والبحر المحيط (٨/ ٣٠١) وهو الرأى المختار عند السيوطى فى الدر المنثور (٦/ ٢٤٨) والطبرى ومختصر ابن كثير (٣/ ٥٢٨).

(٢) سورة الذاريات: ٥٦.

لذلك يقول الحق تبارك وتعالى فى الحديث القدسى: «يا ابن آدم، أنا لك محب؛ فبحقى عليك كن لى محبًّا» وهذه هى قمة خلق الإنسان.

[٦٠٥]

دار الشقاء

س: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾(١) وقال أيضًا: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ﴾(٢).

فلماذا اختصن الدنيا الفانية بالشقاء، والمكابدة والكدح؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: إنها كذلك بالنسبة لمن تجافى عن الإيمان فقط، أما من أخذ الدنيا بالإيمان بخالق الدنيا فشأن آخر، وخالقه ووجود التعب والشقاء والنكد لمن لا يؤمن بالله دليل على صدق وجود الله، وصدق منهج الله فنقول للسائل: لم يجعل الله من الدنيا دار شقاء ولا كد ولا تعب، إنما هى كذلك لمن يبتعد عن منهج الله.

ولذلك نجد المؤمنين بالله فى غاية الرضا بكل ما قسمه الله لهم، هذا إن كنت تقصد تعب القلب، أما إن أريد الكد فى الحياة والتعب من أجل الحياة فهذا أمر لا يذم؛ لأن المطلوب من الإنسان أن ينفعل مع الكون إن أراد أن يرتقى، الله خلق لنا الماء، لكن بدلاً من أن أذهب إلى العين لأشرب بحفنتى أو أصنع كوبًا، وبدلاً من الذهاب إلى مجرى الماء يوميًا لأحصل على حاجتى من الماء أضع خزانًا عاليًا ومواسير توصل الماء إلى البيوت مكررة معقمة، وكل هذا ترف فى الحياة يريده الإنسان، ولابد له من أجل ذلك أن يتعب، ولكن هناك كد وتعب من نوع آخر ثمرته الشقاء، ألا وهو تعب القلب وهمه، وهنا قال الذكر الحكيم: **﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**(٣). وفى آية

---

(١) سورة البلد: ٤.

الكبد: الشدة والغلبة. قال العلماء: فى مكابدة لأمور الدنيا والآخرة. راجع جامع البيان (٣٠/ ١٢٦) والقرطبى (٢٠/ ٦٢).

(٢) سورة الانشقاق: ٦.

كادح: عامل، ناصب فى معيشتك، إلى ربك: إلى لقائه سبحانه وتعالى.

راجع مؤدى هذا المعنى فى جامع القرطبى (١٩/ ٢٦٩)، وروح المعانى (٣٠/ ٧٩، ٨٠).

(٣) سورة البقرة: ٣٨.

أخرى يقول: ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾(١) فكون السائل يقول: إن الحياة مخلوقة دار شقاء وتعب. نقول: إن هذه الدنيا كذلك لمن يعرض عن ذكر الله، فهذا عندما يتعرض لتعب فى الحياة يكون هذا التعب هو كل نصيبه، أما المؤمن فعندما يتعرض لذلك يؤمن أنه ما دام الأمر خارجًا عن إرادته، فله ثواب وجزاء على الصبر عليها، فهو خير له، وقد يكون الأمر المحزن له فداء لأمر آخر لا طاقة له به، فالمؤمن يجد دائمًا تفسيرًا لكل ما يتعرض له فى حياته، ولذلك فعندما يقال لنا: إن فلانًا شقى، نسأله هل شقاء دينى أو عضلى..؟ أم أنه شقاء القلب؟ وهذا لا يحدث إلا لغير المؤمنين، أما شقاء العضل والجسم، فإن الإنسان نفسه يستفيد منه ويفيد أولاده وأهله وأمته وحينئذٍ يصبح العمل محببًا إليه.

ونحن نرى كل المخترعين شقوا فى دنياهم، وانشغلوا عن ملابسهم وطعامهم وراحتهم فى سبيل أن يحققوا خدمة البشرية كلها، وكذلك المؤمن الذى يعتبر حركته فى الحياة خدمة لأهله ودينه وجنسه، لا يشعر بشقاء فى عمله.

[٦٠٦١]

فيض الجود وبذل المجهود (حجب الغيب)

س: يتردد الكثيرون من العوام والبسطاء، ومن أفناء الناس على من يسمونهم الأولياء والصالحين الذين يكشفون لهم حجب الغيب، فينبئونهم بما خفى عنهم من كوامن المقدور، وأسرار الغيب، وينعتونهم بأنهم أولياء الله. فما هو بيان الشيخ الشعراوى لذلك؟ ومن هم أولياء الله؟

(جـ): يقول الإمام: حين يتخذ الله من إنسان وليًا، فإنه إما يكون من فيض جوده، أو من بذل مجهوده. فالله لا يحكمه سبب كان؛ ولا يصل إليه إلا من أطاع، فمن الناس من يصل بطاعة الله، هذا يطيع الله أولاً؛ فيكرمه الله والآخر يكرمه الله أولاً؛ فيطيعه.

فلو شىء كل شىء لا يحدث إلا مرتبًا على سببه، واستمرت الأمور هكذا ليئس المسرف على نفسه من رحمة الله وإذن لزوال الله سلطانه مرة واحدة، ولكن

(١) سورة طه: ١٢٣.

الله سبحانه استعمل طلاقة القدرة، وهو يفعل ما يشاء. . قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾(١)، وقال تعالى أيضًا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾(٢). فلا شىء يحكم الله سبحانه جلت قدرته.

إن أقرب الناس إلى الله هم العلماء؛ لأنهم يناقشون، ويتباهون بعلمهم فيصيبهم الغرور. ولقد عرفنا عندما وقف سيدنا عمر ليستقى؛ فلم ينزل الماء وفى طريق عودته، وجد عبدًا يقف يستسقى وحده، فقال عمر: والله ما وضع يديه حتى نزل الماء بغزارة، فذهب عمر إلى النخاس وطلب منه عرض عبيده، فظن النخاس أن أمير المؤمنين يريد عبيدًا، فعرض عليه الأقوياء مفتولى السواعد، ثم قال: لم يعد عندى يا أمير المؤمنين إلا عبد هو كل على مولاه، فلما رآه هو قال: أهذا أنت؟ فنظر إليه الرجل، وقال: (اللهم كما فضحتنى بين خلقك، فخذنى غير مفتون «فقبض ساعتها»).

ثم يقول فضيلة الإمام: إن ستر الغيب نعمة عظيمة أنعمها الله سبحانه وتعالى علينا، ومعرفته هتك لهذه النعمة فلتترك الأمور تقع لأننا قد نعرف أمرًا محزنًا فنعيش فيه فى عزلة عن اللطف الذى يأتى به الله عز وجل مع الحدث، ثم إن هناك أمرًا خطيرًا. . هل إذا عرفت غيبًا أستطيع بمعرفتى له أن أمنع حدوثه؟ لا يمكن طبعًا. . إذن لماذا هذا التعب الذى أجلبه لنفسى؟ ولذلك فعلى كل إنسان أن يترك أموره لله، ما دام لا يملك من الأمر شيئًا، ولقد خلق الله هذه الأشياء؛ ليزيدنا اطمئنانًا ورسوخًا ويقينًا، لا أن نشتت بها أفكارنا، ونشغل بها بالنا.

[٦٠٧]

حكم اللحية

س: ما حكم اللحية، هل هى مأثرة أم سنة؟

(جـ): نعم وردت أحاديث كثيرة تدل على إعفاء اللحية فقط، ولم نتعرض

(١) سورة الأنبياء: ١٠١.
القرطبى (١١/٣٤٦).
(٢) سورة العنكبوت: ٦٩.
القرطبى (١٣/٣٦٣) والكشاف (٣/٢١٣).

لحلقها، من هذه الأحاديث: ما رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «**جزوا الشوارب، وأرخوا اللحى، وخالفوا المجوس**»(١).

وعن ابن عمر -رضي الله عنهما- أن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «**خالفوا المشركين، وفروا اللحى، وأحفوا الشوارب**»(٢).

[٦٠٨]

منطق الدعوة للإيمان

س: ما هو منطق الدعوة للإيمان، وكيف يتسامى الإسلام بالجدل، ومدى انفساح صدر الدين، واتساع حظيرته، وامتداد عرصاته؛ ليظل الجميع حتى من الديانات الأخرى بظلال كرمه وسخائه؟

(جـ): يقول الشيخ محمد متولى الشعراوى: إن الإسلام له منطق مهذب مؤدب له قوة واستعلاء. المنطق الإيمانى رحيم، والقوة بالإيمان تعرف أن العدل هو المنهج، ولا استعلاء لبشر على بشر. بل إن الدعوة إلى الإيمان عليها-أن تأخذ من أدب الرسول -صلى الله عليه وسلم- قدرة الفهم لظروف من تدعوهم للإيمان.

إن الداعى إلى الإسلام لا يمكن أن يعرض على الناس أن يخرجوا مما تعودوا عليه بأسلوب يكرهونه، لأن الإنسان الداعى للهداية، يعلم أن الدعوة بأسلوب مكروه تجعل الناس يتحملون مشقتين.

المشقة الأولى: هى إرهاق الناس بأن يخرجوا عما اعتادوا عليه، وألفوه، وتعودوه.

والمشقة الثانية: إرهاق الطريق الذى يؤدى إلى الجديد بما قد يحمله أسلوب الإقناع الفج من الوقاحة، وسوء الأدب، وعدم الحكمة فى الموعظة. ولذلك.. كان العربى قديمًا يقول: النصح ثقيل؛ فلا ترسله جبلاً، وتجعله جدلاً(٣) واستعيروا للنصح خفة البيان.

---

(١) مسلم فى الصحيح (٢٢٢) وأحمد فى المسند (٢/ ٣٦٥، ٣٦٦).

(٢) البخارى (٧/ ٢٩٣/ ٥٨٩٢) ومسلم (٢٢٢).

(٣) ومن أجمل مأثورات العرب ومسموعاتهم فى ذلك قولهم: النصيحة ثقيلة، فاستعيروا لها خفة البيان.

[٦٠٩]

النصح

س: لماذا يكون النصح ثقيلاً؟

(جـ): الإجابة: إن النصح يدفع المنصوح إلى الخروج عما أحب أن يفعله، لذلك فقد استثقل النصح.

وقد يحب المنصوح من يزين له أمر شهوته، وقد يكون المنصوح لا يحب أن يفكر فى إصلاح نفسه، ولذلك نجد الأدب العالى فى منهج القرآن.. فها هو الرسول -ﷺ- يتلقى تعليم ربه بأن يقول لخصومه: ﴿**قُل لَّا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(١).

إن محمداً -ﷺ- يتحدث إلى خصومه بأن كل واحد من البشر محاسب على عمله. فأنتم أيها الخصوم لا تُسألون عن (إجرام) أى من المؤمنين.. ونسب الإجرام هنا لنفسه وللمؤمنين؛ لأن خصوم الإسلام نظروا للإيمان أول الأمر على أنه جريمة. ولكن حين أراد الرسول -ﷺ- أن يصف سلوك الخصوم قال بلسان الحق: ﴿**وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ**﴾(٢).

إن قياس الكلام هنا كان أوجب أن يقول الرسول -ﷺ-: «ولا نسأل عما تجرمون» ولكنه أبدلها: «عما تعملون» فالله يعلم نبيه ورسوله آداب الجدل. فلا تأتى سيرة الإجرام حتى بالنسبة لمن يتحقق عند الله إجرامهم، ومع ذلك لم يجابههم الرسول -ﷺ- بالإجرام.

هذا هو أدب الجدل، وهذا هو السمو بالجدل، ولكن يجب أن نرتفع عن شهوة البشر فى الاستعلاء، ونجادل بمنطق الحق فى السماء.

وهكذا يجب أن يكون حال الداعية للإسلام. وهكذا يجب أن نستقبل كل خصومة للإسلام، ولابد أن نترك خصوم الدين يعيشون فى رحمة هذا الدين.

---

(١) سورة سبأ: ٢٥.
القرطبى (١٤/ ٢٩٩) والطبرى (٢٢/ ٦٦) والبحر المحيط (٧/ ٢٧٩) والكشاف (٣/ ٢٨٨).

(٢) سورة سبأ: ٢٥.
القرطبى (١٤/ ٢٩٩) والطبرى (٢٢/ ٦٦) والبحر المحيط (٧/ ٢٧٩) والكشاف (٣/ ٢٨٨).

[٦١٠]

خصـــوم الإســـلام

س: وإذا ما استغل خصوم الإسلام سـماحته، وانقلبوا عليه؛ لينالوا منه ومن بنائه القومى.. فما العمل؟

(جـ): يقول الشـيخ الشعراوى: أمـا إذا فكروا فى مثل هذا؛ فـإن الإسلام يتطلب من المؤمنين أن يضـربوا على أيدى الخصـوم من أول الأمر. . حـتى تكون كلمة الله هى العليا.

لأنه إن جاء فى ظاهر الأمر أن فى بعض الأحـياء أنصار الحق؛ صاروا دون أنصار الباطل، فذلك درس يعلمه الله للبشر.

[٦١١]

كيـــف ســاد الإســـلام ؟

س: كيف يكون أمر الحياة إذا علا الباطل وساد؟

(جـ): إن المؤكد أن أمر الحياة سيكون سيئًـا فى حالة سيادة الباطل، وسيادة الحق هى سيادة لمنهج الله. إننا نتعرف على (الحق) و(الباطل) بالمقارنة بين الاثنين، ويعلمنا الله ذلك بأدب الجدل. ويعلمنا الله كيفية الوصول إلى الحق بقوة البرهان، لا يستعدى أحد على أحد بمنطق الحق.

س: وكيف ساد الإسلام وفرق الباطل؟

(جـ): عندما نسـتعرض تاريـخ الإسلام الطويل، فلسوف نجـد أن الإسلام ارتفع بأمرين:

الأمر الأول: اندفاع المؤمنين به إلى نشره كدين يهدى الناس، وفى هذا قوة.

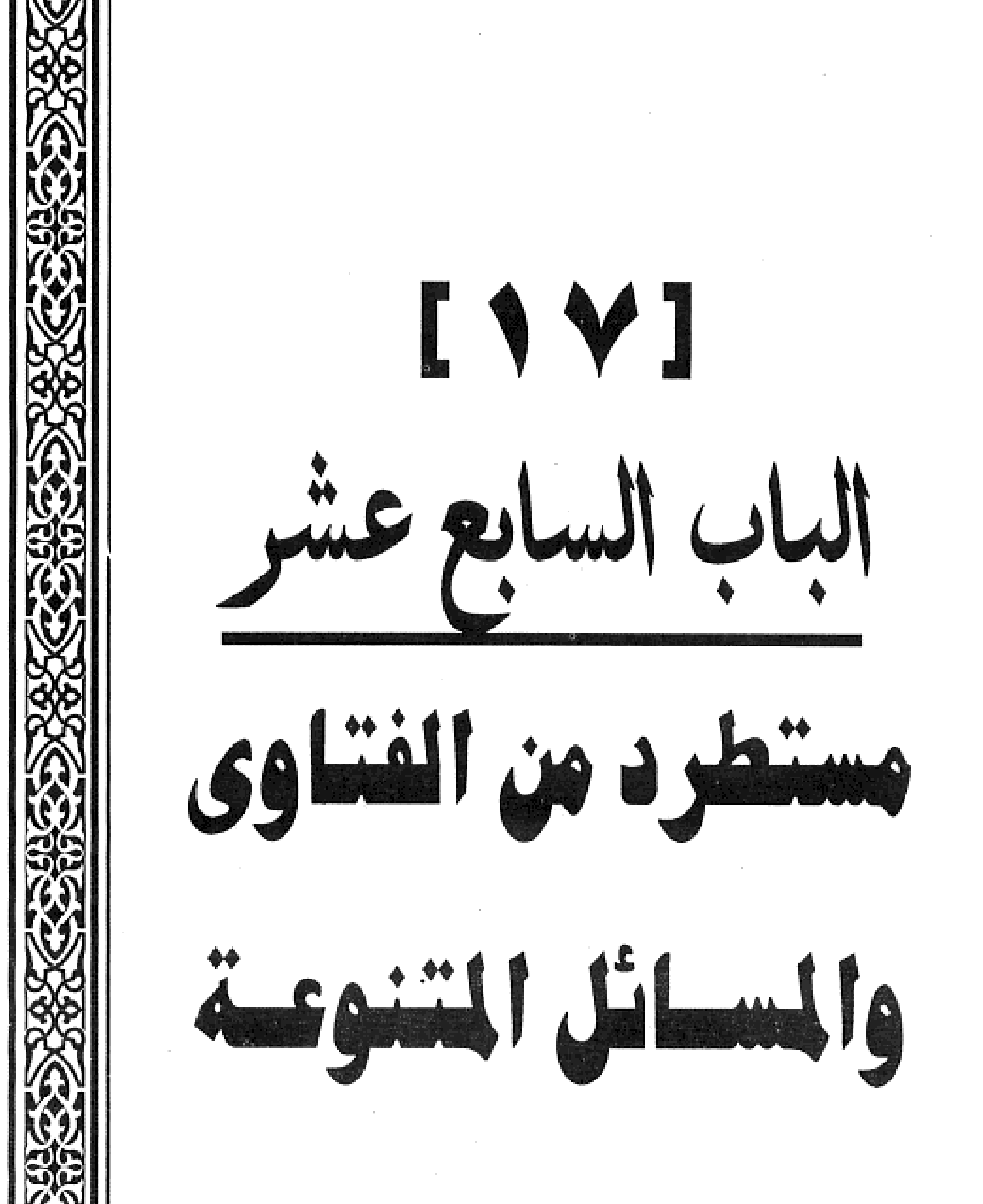
الأمر الثانى: استغاثة المحكومين بالباطل حيث مدوا أيديهم إلى الحق؛ ليأخذ بيدهم.

لذلك نجد أن كثـيرًا من فتوحات الإسلام قـامت على أساس من دعوة أهل البلاد المفتـوحة. . حيث طلب هؤلاء الناس أن يأتى إليهم المسلمـون؛ ليخلصوهم مما هم فيـه من شر. لذلك نرى غـالبية المسـلمين، أو كثرتهم فى أمم لـم يدخلها

الإسلام بالقتال.. ونستنتج أيضًا أن الإسلام لو كان قد جاء لإجبار الناس عليه لما وجدنا ديانات أخرى فى البلاد التى فتحها الإسلام. قال تعالى: ﴿ **وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا** ﴾[1].

---

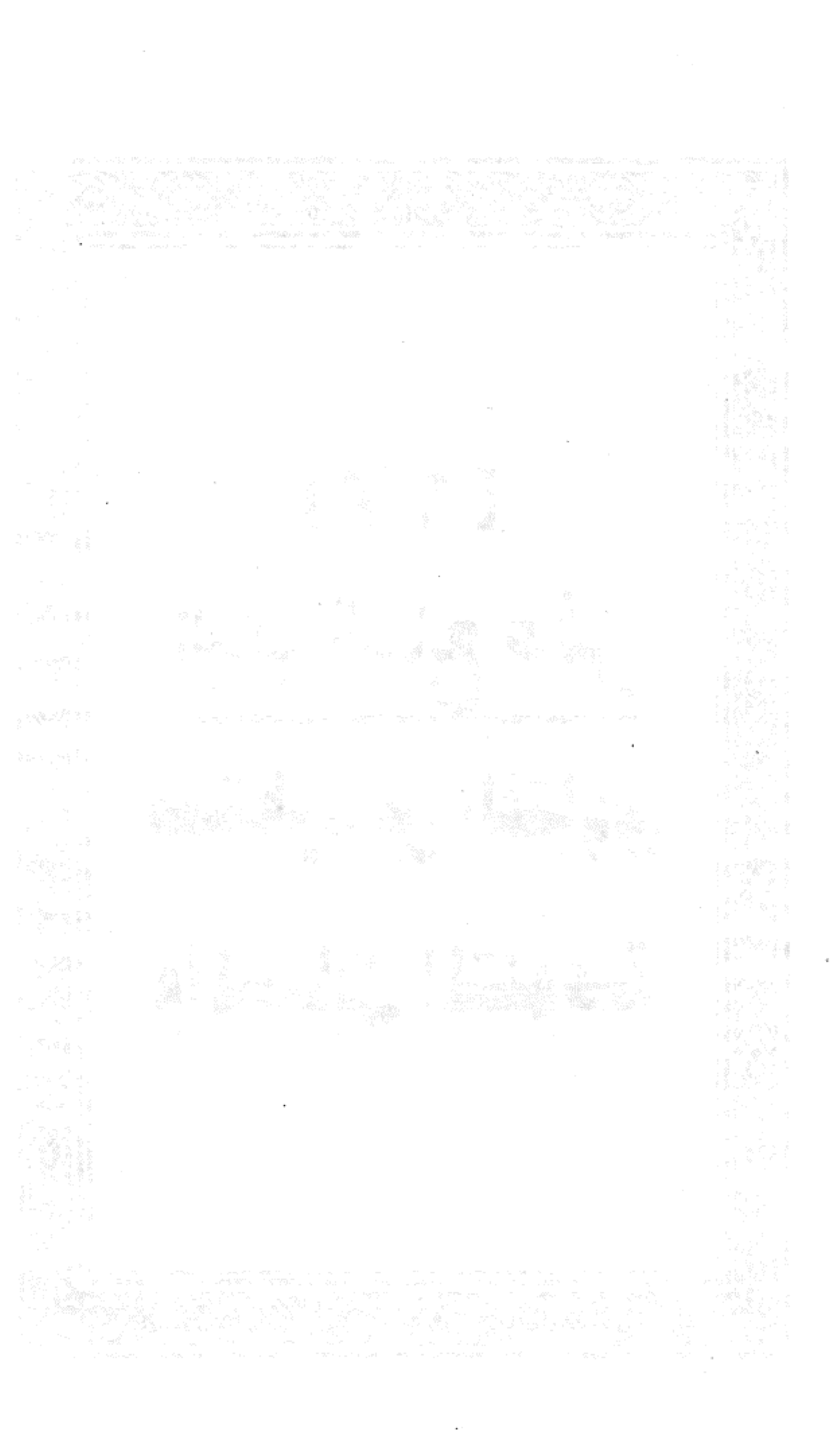
١) سورة الكهف: ٢٩.
القرطبى (١٠/ ٣٩٥).



[١٧]

الباب السابع عشر

مستطرد من الفتاوى والمسائل المتنوعة



[٦١٢]

الفرق بين العلم والتربية

س: ما الفرق بين العلم والتربية؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: العلم هو إدخال المعلوم من العالم إلى ذهن المتعلم.. والتربية هى أن تحمل الشخص الذى تريد تربيته على أن يغير سلوكه على وفق ما علم؛ وذلك لأن علم الدين يتطلب السلوك على ما علم الإنسان، ولكن الكيمياء لا تطبع السلوك على مقتضى قوانينها.. الدين منظم لحركتك، وليست المسألة مسألة انطلاق فى الحركة.. ولكن هناك أمورًا أنت لا تحب أن تفعلها، ومطلوب منك أن تفعلها، وأمورًا أنت تحبها، ومطلوب منك ألا تفعلها.

س: ولماذا تجمد الدين فى المدارس والمساجد والجامعات وأصبح أداؤه لمهمته شاقًا صعبًا؟

(جـ): لأن علم الدين، كما قلنا يبدأ من معلم.. يجب أن يكون للمعلم أسوة برسول الله -ﷺ-، وأسوة بقيم الإسلام بوجه عام.. وإلا فليبحثوا لأنفسهم عن مجال آخر.. يجب أن يحملوا سلوكهم على وفق ما ما كان يفعله رسول الله -ﷺ- حتى يقلدهم طلابهم؛ ورسول الله -ﷺ- لقى ما لقى من متاعب، ولم يلاق أحد من علماء المسلمين شيئًا.. إذن فالقدوة ومراقبتها هى أساس النجاح فى عملية تعلم الدين.

[٦١٣]

فى الجنة خيل وإبل

س: هل فى الجنة خيل وإبل؟

(جـ): نعم، ولكن لا تحصل عليه إلا ما تريده كمتعة، وهذه حسب الطلب والإرادة، والشهوة فى الجنة لحظيه بغير مقاييس الدنيا.

[٦١٤]

هل خلقت الجنة بعد أم لا ؟

س: وهل خلقت الجنة بعد أم لا؟

(جـ): نعم خلقت. والله أعلم.

[٦١٥]

تزوج فإذا بالعروس حبلى

س: تزوج فإذا بالعروس حبلى.. فماذا يفعل؟

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى - لما أن وجهت لفضيلته هذا السؤال- لا ينكح الرجل مثل هذه الزوجة، حتى لا يسقى زرع غيره، كما ذكر الفقهاء.

[٦١٦]

غيبيــــات

س: هل هناك غيبيـات لـم يؤمر النبى -عليه الصلاة والسلام- بتـبليغها رغم اطلاعه عليها؟

(جـ): يجيب الإمام الجليل: نعم، وذلك واضح من قوله تعالى:

﴿ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴾(١).

فى غير نطاق التكليف؛ لأن التكليف لابد من تبليغه.

[٦١٧]

القــرآن جملــة ومنجـمًا

س: كـيف نزل القرآن جـملة ومنجـمًـا فى نفس الوقت، إذ أن الله سـبحـانه وتعالى يقول: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾(٢).

---

(١) سورة النجم: ١٠.

أى: أوحى جبريل إلى محمد -ﷺ- ما أوحى إليه من أوامر الله جل شأنه.

(٢) سورة القدر: ١.

=

ويقول: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾(١).

وهذا يؤكد نزوله جملة.

ولكن المعروف من الأثر أنه تواتر نزوله على قلب محمد -ﷺ- منجمًا فى ثلاث وعشرين سنة.

(جـ): يقول فضيلة الشيخ الشعراوى: إنه نزل جملة إلى السماء الدنيا؛ ليباشر مهمته فيها، ثم نزل منجمًا بعد ذلك من السماء الدنيا إلى النبى -ﷺ-، وإلى أمة الإسلام.

[٦١٨]

المرء وأهله يوم القيامة

س: هل يذكر المرء أهله إلى يوم القيامة؟

(جـ): نعم، يذكر المرء أهله يوم القيامة، ويكون معهم لقوله تعالى: ﴿ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾(٢)، ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾(٣).

[٦١٩]

المذى يوجب الوضوء

س: هل يوجب المذى الغسل أم الوضوء؟

(جـ): يوجب الوضوء.

= انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى (٢٠/ ١٢٩) ومختصر ابن كثير (٣/ ٦٥٩) والبحر المحيط لأبى حيان (٨/ ٤٩٦).

(١) سورة البقرة: ١٨٥.

(٢) سورة يس: ٥٦.

والظلال: جمع (ظل) و(فى ظُل) جمع ظُلَّة. انظر القرطبى (١٥/ ٤٤) والطبرى (٢٣/ ١٤).

(٣) سورة الطور: ٢١.

انظر القرطبى.

وقد سأله -ﷺ- أمير المؤمنين على بن أبى طالب -كرم الله وجهه- عن المذى فقال: «من المذى الوضوء، ومن المنى الغسل» (وفى لفظ: «إذا رأيت المذى فتوضأ واغسل ذكرك، وإذا رأيت نضح الماء فاغتسل»[١]. ذكره أحمد.

[٦٢٠]

التطبيب والتداوى

س: هل التطبيب والتداوى يدخلان فى قدر الله؟

(جـ): نعم فالتداوى يدخل فى قدر الله؛ لأنه من أسبابه.

وقد سئل -ﷺ- عن الأدوية والرقى، هل ترد من القدر شيئًا، فقال -ﷺ-: «**هى من القدر**»[٢].

وقد سئل -ﷺ-: هلى يغنى الدواء شيئًا؟ فقال: «**سبحان الله، وهل أنزل الله تبارك وتعالى من داء فى الأرض إلا جعل له شفاء**»[٣]. ذكره أحمد.

[٦٢١]

العين حق

سألته -ﷺ- أسماء بنت عميس[٤] -رضي الله عنها- فقالت: يا رسول الله، إن ولد جعفر تسرع إليهم العين، أفأسترقى لهم؟.

(جـ): قال: «**نعم فإنه لو كان شىء سابق القدر لسبقته العين**»[٥].

---

(١) المسند (١/ ١٠٩، ١٢٥).

(٢) وقد أخرجه الترمذى فى جامعه الصحيح عن أبى خزامة (٢٠٦٥) و(٢١٤٨).

(٣) المسند (٥/ ٣٧١).

(٤) هى أسماء بنت عميس: الخثعمية، صحابية، تزوجها جعفر بن أبى طالب، ثم أبو بكر، ثم على، وولدت لهم، وهى أخت ميمونة بنت الحارث (أم المؤمنين) لأمها. ماتت بعد على -رضي الله عنه-.

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند (٦/ ٤٣٨)، والترمذى (٢٠٦٢)، وابن ماجة فى السنن (٣٥١٠).

[٦٢٢]

عدم القيام لجنازة الكافر

س: هل من الجائز للمسلم أن يقوم فى جنازة كافر؟

(جـ): كلا، ولكن إجلالاً للنفس التى خلقها الله.

[٦٢٣]

احذر.. التطبيب بغير علم

س: هل التطبيب بغير علم يجعل الطبيب ضامنًا؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى: . . . وهذا حمق ممن ملكه نفسه.

وقد أفتى -ﷺ- أن من تطبب، ولم يعرف منه طب، فهو ضامن، وهو يدل بمفهومه على أنه إذا كان طبيبًا، وأخطأ فى تطبيب، فلا ضمان عليه.

[٦٢٤]

صلاة الجمعة واجبة

س: وردت إلى أسئلة كثيرة من قراء «لواء الإسلام» عن القول فى الذين يصلون فى البيت لظروفهم الخاصة التى تمنعهم من الحضور للمسجد للصلاة..

(جـ): فأفاد الشيخ الشعراوى:

بأن النص القرآنى صريح فى صلاة الجمعة:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ﴾(١).

[٦٢٥]

س: ما معنى لا «طلاق إلا بعد النكاح؟».

(١) سورة الجمعة: ٩.

(جـ): الطلاق هو فسخ العقد، وقد سأل -ﷺ- رجل قال: إنى تزوجت فلانة فهى طالق ثلاثا، فقال: «**تزوجها.. فإنه لا طلاق إلا بعد النكاح**»(١).

وسئل -ﷺ- عن رجل قال: يوم أتزوج فلانة فهى طالق، فقال: «**طلق ما لا يملك**»(٢) ذكرها الدارقطنى.

[٦٢٢٦]

الفأل والطيرة

س: ما الفأل والطيرة...؟

(جـ): كان -ﷺ- يحب الفأل الحسن، ويكره التطير، وقال -ﷺ-: «**لا عدوى ولا طيرة، وخيرها الفأل**»(٣).

قيل: يا رسول الله، وما الفأل؟ قال: «الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم»، متفق عليه.

وقد سئل -ﷺ- عن الطاعون، فقال: «**عذابًا كان يبعثه الله على من كان قبلكم، فجعله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون فى بلد، ويكون فيه فيمكث لا يخرج صابرًا محتسبًا يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، إلا كان له مثل أجر شهيد**»(٤). ذكره البخارى.

[٦٢٢٧]

الوضوء من لحوم الإبل

س: هل يجب الوضوء من لحوم الغنم والإبل؟

---

(١) فى الجامع الصغير (لا طلاق قبل النكاح، ولا عتاق قبل ملك) عن المسور، وحسنه السيوطى (٢/ ٥٨٥/ ٩٩٠٤)، وهو عند ابن ماجة (٢٠٤٨).

(٢) سنن الدارقطنى (٤/ ٥) و(٣٧).

(٣) البخارى (١٠/ ١٨١)، ومسلم (٢٢٢٤)، وأبو داود (٤/ ٢٣٤/ ٣٩١٦)، والترمذى (١٦١٥).

(٤) انظر «الطب النبوى» للإمام الذهبى ص ١٨٧. بتحقيق السيد الجميلى.

(جـ): فقط لحم الجزور هو الوارد، والعبرة بعموم النص لا بخصوص السبب، لأن النبى -ﷺ- أمر الصحابة بالوضوء.

[٦٢٨]

إنما الماء من الماء

س: هل تغتسل المرأة إذا احتلمت؟

(جـ): نعم، «إنما الماء من الماء»(١).

سألت أم سلمة فقالت: يا رسول الله، إن الله لا يستحيى من الحق، فهل على المرأة من غسل إذا هى احتلمت؟ فقال رسول الله -ﷺ-: **«نعم إذا رأت الماء»** فقالت أم سلمة: أو تحتلم المرأة؟ فقال: «تربت يداك، فبم يشبهها ولدها؟»، وفى لفظ: أن أم سلمة سألته -ﷺ- عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل، فقال -ﷺ-: **«إذا رأت المرأة ذلك فلتغتسل»**، وفى المسند: أن خولة بنت حكيم سألت النبى -ﷺ- عن المرأة ترى فى منامها ما يرى الرجل، فقال: **«ليس عليها غسل حتى تنزل كما أن الرجل ليس عليه غسل حتى ينزل»**(٢).

[٦٢٩]

جلود الشاة الميتة

س: هل جلود الشاة الميتة حلال أم حرام؟

(جـ): كل إهاب دبغ فقد طهر، إلا جلد الآدمى لكرامته، وجلد الخنزير لأنه نجس.

[٦٣٠]

ألوان من الصدقة

سأله -ﷺ- رجل فقال: إنى تصدقت على أمى بعبد، وأنها ماتت، فقال: **«وجبت صدقتك، وهو لك بميراثك»**(٣). ذكره الشافعى.

---

(١) أخرجه مسلم وأبو داود عن أبى سعيد، وأخرجه أحمد فى المسند، والنسائى، وابن ماجة، عن أبى أيوب، وصححه السيوطى (١/ ١٥٣/ ٢٥٥٧).

(٢) أى أن مدار الغسل يكون موقوفًا على الإنزال.

(٣) من ثم فإن تسويغ العمل ووهب ثوابه إلى الميت جائز.

سأله -ﷺ- أبو ذر فقال: من أين أتصدق، وليس لى مال؟ قال: «**إن من أبواب الصدقة التكبير، وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، وأستغفر الله، وتأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتعزل الشوكة عن طريق الناس، والعظم والحجر، وتهدى الأعمى، وتسمع الأصم والأبكم حتى يفه..**»[١].

وسألته -ﷺ- امرأة فقالت: إنى تصدقت على أمى بجارية، وإنها ماتت، فقال: «**وجب أجرك، وردها عليك الميراث**»[٢]. ذكره مسلم.

[٦٣١]

والله خير الماكرين

يسأل رشاد نيازى:

ما المقصود بمكر الله؟ وكيف يكون الله سبحانه وتعالى ماكرًا؟

(جـ): ويجيب فضيلة الشيخ الشعراوى قائلاً:

ما هو المكر أولاً؟ المكر هو: أن يعلن المرء شيئًا، ويضمر شيئًا آخر. وهناك مكر سيئ، ومكر حسن، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله.

المكر هو: تبييت باطن، وتغليفه بظاهر، لكى يحقق شيئًا لو اطلع عليه الممكور به لتلافاه.

إذن كلما كان للإنسان قدرة على تغليف مراده فى ظاهره كان ماكرًا. ولكن مراده فى ظاهره لمن يحب أو لمن يكره، بالخير أم بالشر؟ فإذا كان المكر لمن يحب بالخير فهو المكر المحمود، وأكون قد مكرت به لفائدة له. أما العكس فهو مذموم.

إذن فالمسألة هى تبييت، والتبييت يقتضى أن المبيت له جاهل بما يبيت له، ولكن عندما يريد الله سبحانه أن يبيت أمرًا فمن ذا الذى يستطيع أن يعرفه. إذن لا يمكن لأى مخلوق أن يمكر مع الله أبدًا.

ولقد قال الله تعالى عن نفسه: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[٣]. يعنى أنه سبحانه وتعالى عندما يمكر فمكره خير.

---

(١) وهذا باب عظيم من أبواب الخير، يجب أن يلتفت إليه المكلفون.

(٢) فى الصحيح. (٣) سورة آل عمران: ٥٤.

[٦٣٢]

أمن الإنسان وأمانه

س: وهل من الممكن أن يعيش إنسان بلا خوف، ولا حزن، أو مرض؟

(جـ): إذا كان هناك إيمان لا يأتيه الضرر إلا من الخارج، أى: بفعل فاعل كأن يكسر له أحدهم يده أو غير ذلك، وهذا أيضًا يكون نتيجة عدم استقامة أعضائه وأجهزته على منهج الله.

[٦٣٣]

الحج من حساب البنك

س: هل يجوز أداء فريضة الحج عن طريق القرض بفائدة من البنك، أم أن هذا يتنافى مع شرع الله، أفيدونا ولكم من الله الجزاء؟

(جـ): إن الحج من حساب البنك، والمشروط بالفائدة حرام حرام حرام، ولابد أن يكون الحج من مال حلال، فلا يتقرب إلى الله بالمعاصى.. وقديمًا قال الشاعر:

إذا حججت بمال أصله دنس فما حججت ولكن حجت العير[1]

[٦٣٤]

رحمة الله وهدايته

س: ما المقصود برحمة الله وهدايته للخلق؟

(جـ): يقول الشيخ الشعراوى:

يريد الحق تبارك وتعالى بالتسمية الاستهلالية (بسم الله الرحمن الرحيم) أن يذكرنا دائمًا أننا ندخل عليه من باب الرحمة.. أكثر من أن ندخل عليه من باب العمل.. والإنسان خلق خطاء.. والإنسان خلق ظلومًا.. وسيدنا رسول الله

---

(١) مثل قولهم فى الرجل يحج ولا يكون مقبولاً منه:
«أنفق ماله وحج الجمل».

-ﷺ- قال: «**لن يدخل أحدكم الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله برحمته**».. قيل حتى أنت يا رسول الله؟. قال -عليه الصلاة والسلام-: «**حتى أنا**»[(١)].

وأنت إذا استعنت بالله، فإنك تستعيذ برحمة الله سبحانه وتعالى.. لأنك لو لم تستعذ بعدل الله الذى لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.. ولولا رحمة الله ما بقيت لنا نعمة.. ولو يؤاخذ الله الناس بذنوبهم.. ما أبقى على ظهرها من دابة.. وأنت لو لم تستعذ بالله.. لما وجدت سبيلاً إلى جنته.. فذنوب الإنسان فى الدنيا ومعاصيه لا تحصى ولا تعد.. إذا تكلم فقد ينم.. وإذا حكم فقد يظلم.. وإذا ظن يسىء.. وإذا تحدث فقد يخطئ.. وإذا شهد فقد يبتعد عن الحق.. هذه أشياء يرتكبها كل واحد منا مئات المرات.

ولذلك يصور لنا رسول الله -ﷺ- معنى رحمة الخالق بالإنسان وجحود الإنسان لربه.

«**قالت الأرض: يا رب، ائذن لى أن أخسف بابن آدم الأرض، فقد طعم خيرك، ومنع شكرك. وقالت السماء: يا رب، ائذن لى أن أسقط كسفًا على ابن آدم، فقد طعم خيرك، ومنع شكرك، وقالت الجبال: يا رب، ائذن لى أن أخر على ابن آدم، فقد طعم خيرك، ومنع شكرك.. وقالت البحار: يا رب، ائذن لى أن أغرق ابن آدم، فقد طعم خيرك، ومنع شكرك**».

إذن كل العوالم التى سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان.. ضجت من معصيته، وتوجهت إلى الله سبحانه وتعالى طالبة الإذن أن تفنى بنى آدم من الوجود جزاء له على معصيته.. ويمضى الرسول الكريم مكملاً «**وهنا يقول الله سبحانه وتعالى: لو خلقتموهم لرحمتموهم، دعونى وعبادى، فإن تابوا إلى فأنا حبيبهم، وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم**».

إذن هذه هى رحمة الله بخلقه، تلك الرحمة التى جعلته يسخر لنا ما فى الكون.. ثم يمنع كل ما هو مسخر من أن يخرج عن طاعة الإنسان.. هذه هى رحمة الله وصبره على عباده.. وعدم مواجهة الإساءة بالعقوبة.. وفتحه باب التوبة والمغفرة لكل نادم على معصية.. وفتحه باب رحمته لكل عاص.. إن الله لا يأمر الأرض أن تهلك من فوقها بزلزال مدمر.. ولم يأمر المياه أن تغرق

(١) لأن عمل الإنسان مهما بلغ لن يكافئ ولا يوازى أدنى نعمة أنعم الله تعالى علينا بها كنعمة الصحة والعافية، ونعمة البصر، والسمع، وما شاكل ذلك.

الأرض.. ولم يأمر السماء أن تسقط كسفا على الناس.. بل منع كل هذا برحمته.. وفتح التوبة والمغفرة، ووضع لنا منهج الحياة..

ومع ذلك فنحن نعصاه.

حينما نطالع آيات في القرآن، لابد أن نستحضر كل المادة، فنتبين آيات فيها نفي، وآيات فيها إثبات، مثلاً: الله يقول لرسوله -ﷺ-: ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾(١) (إنك لتهدى).. ماذا أثبت له؟ أثبت له الهداية. ثم يقول فى آية أخرى: ﴿ إنك لا تهدي من أحببت ﴾(٢) فأثبتها له مرة، ونفاها عنه مرة، ولا يمكن أن يكون النفى والإثبات متعلقين بمعنى واحد فى الهداية، بل الهداية هنا لها معنيان، هداية بمعنى الدلالة، وهداية بمعنى المعونة، أما التى للرسول -عليه الصلاة والسلام- فالهداية بمعنى الدلالة ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ أى: تدل الناس، وترشدهم على طريق الخير. يسلكونه، أو لا يسلكونه.. هذا موضوع آخر، يؤمنون به، أو لا يؤمنون.. هذا موضوع آخر، فالذى يؤمن به، ويقبل على منهج الله فيه، ويصدق الله فيه، يكون عمل الله في أن ييسر عليه الأمر، وأن يعينه، يأتى فى آية ثانية ويقول: ﴿ والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم ﴾(٣).

[٦٣٥]

قاعدة ذهبية للعمل بموجبها

صرَّح الإمام الشيخ محمد متولى الشعراوى أكثر من مرة فى أكثر من مناسبة وقد نشر عنه -رحمه الله- فى أكثر من جريدة ما مفاده ومعناه ومؤداه أن على المسلم أن يستفتى أكثر من مفت وأكثر من واحد.

وهذه فى الحقيقة -فى نظرنا- قاعدة ذهبية مقصودٌ منها ومرادٌ بها الأخذ بالأحوط وذلك لخطورة بعض المسائل وحساسية بعض الأقضية، ولعل الاستقصاء فيها عند أكثر من فقيه يفتح مجالاً للتيسير فلا يحرم المكلف نفسه منه، أو ربما كان ذلك سبيلاً لإظهار وتجلية علل ومناطات أخرى يكون التحوُّط فيها مُستحبًا (مندوبًا) وربما كان حتمًا لسد الذريعة أحيانًا.

وفى الأصول: ما حُرِّم سدًا للذريعة كان مباحًا لمصلحة راجحة. من ثم لزم التنبيه.

---

(١) سورة الشورى: ٥٢. (٢) سورة القصص: ٥٦. (٣) سورة محمد: ١٧

فهرس الكتاب

الموضوع **الصفحة**

١ ـ العقائد والغيبيات

(أ) التوحيد والإيمان بالغيب

الموضـــــوع | الصفحة

(ب) الروح وتحضير الأرواح والإسراء والمعراج

الموضـــــوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

(هـ) الوحى والرسل والأنبياء

(و) القضاء والقدر

الموضـــوع **الصفحة**

(ز) طلاقة القدرة

(ح) أشراط الساعة وأماراتها والموت

(ط) الحياة البرزخية وحساب القبر

الموضــــوع الصفحة

(ى) مواقف يوم القيامة
(البعث والحساب والجنة والنار)

(ك) متفرقات

الموضـــــوع **الصفحة**

٢ - الطهارة والوضوء

٣ - الصلاة

الموضـــوع **الصفحة**

الموضــــــوع **الصفحة**

٤ ـ الصيــــام

الموضـــوع الصفحة

٥ - الزكـــاة

٦ - الحـــج

الموضــــــوع الصفحة

٧- الدعاء والاستخارة والرؤية

الموضـــــوع الصفحة

٨- الأيمان والنذور والكفارات

٩- الموت وزيارة القبور

الموضـــــوع **الصفحة**

١٠ - معاملات واجتماعيات

الموضــــوع **الصفحة**

الموضـــــوع **الصفحة**

١١ - أحكام الأسرة والأحوال الشخصية

(أ) توطئة:

(ب) الحجاب:

(ج) اختيار الزوج والخطبة:

الموضــــوع الصفحة

الموضـــوع **الصفحة**

(هـ) الطلاق وأنواعه والعدة وأنواعها

الموضــــوع **الصفحة**

الموضــــوع **الصفحة**

(ح) متفرقــات

١٢ ـ الفرائض والمواريث

١٣ ـ الطب والعلوم والكونيات

الموضـــــوع **الصفحة**

الموضوع **الصفحة**

١٤ـ الأطعمة والأشربة

الموضــــوع الصفحة

١٥ - اللغــة العربيــة

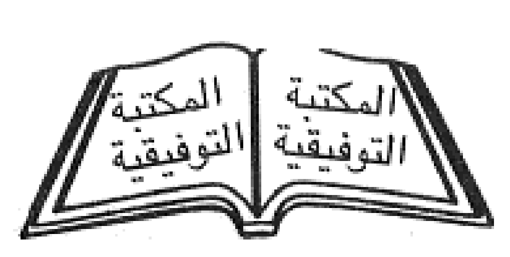
١٦ - متفرقــات

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــوع الصفحة

١٧ - مستطرد من الفتاوى

الموضـــوع **الصفحة**



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠